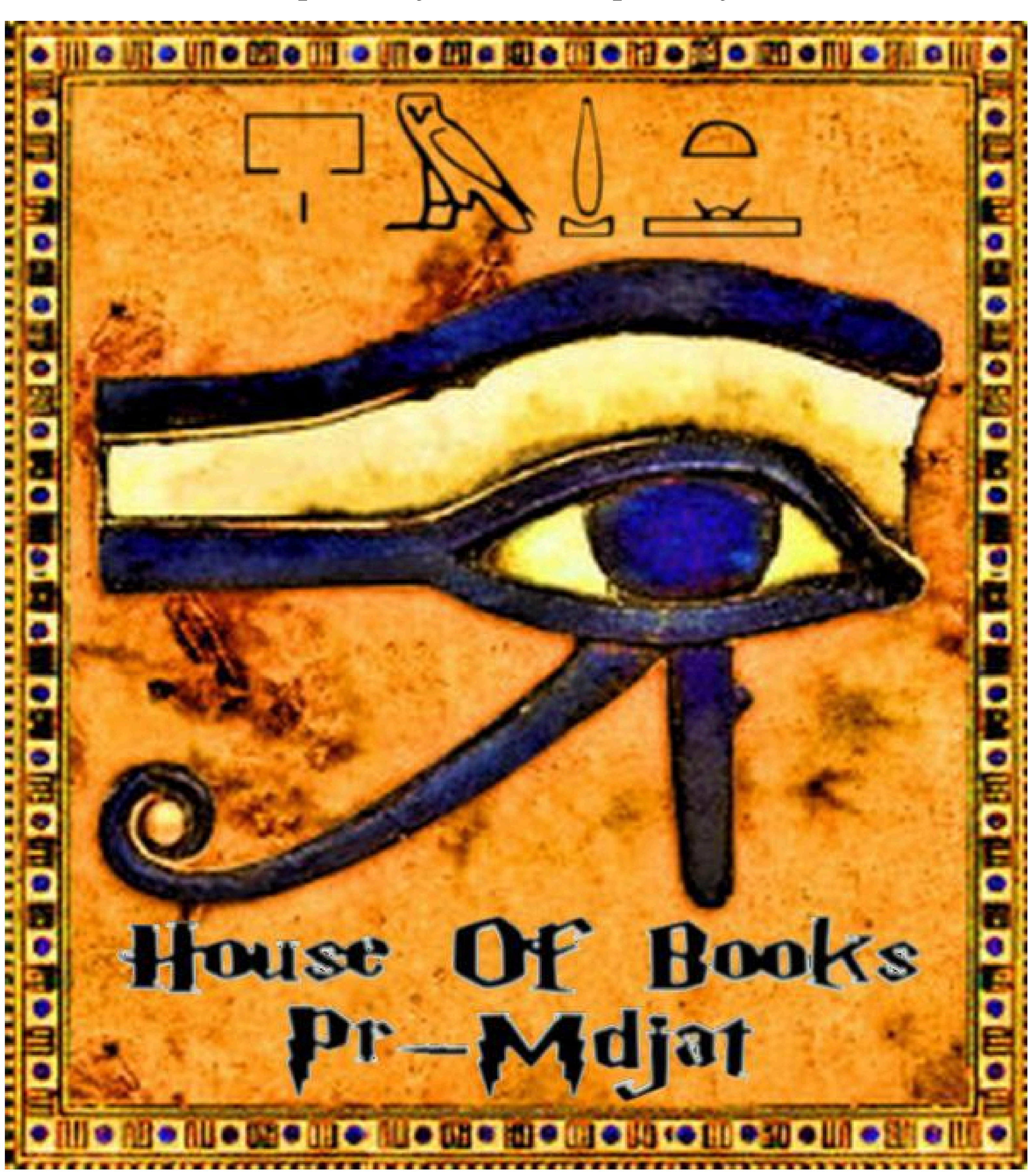
دكتور
رمضان عبده على
أستاذ علم المصريات
كلية الآداب - جامعة المنيا

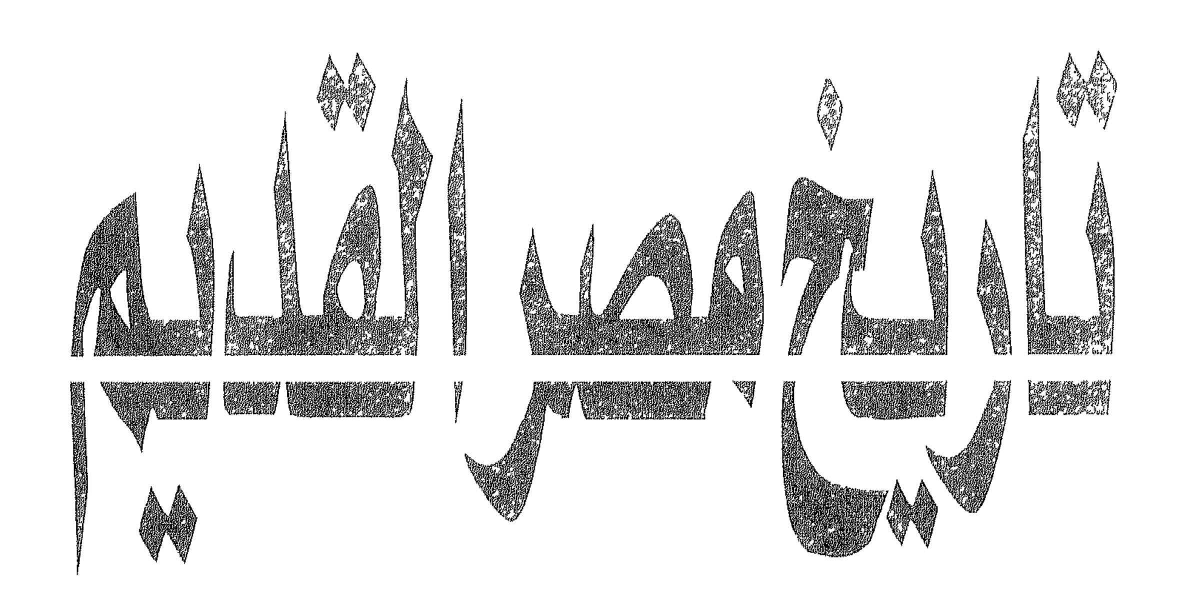
تاريخ مصر القديم

(الجزء الأول)

الناشر
دار نهضة الشرق
بحرم جامعة القاهرة

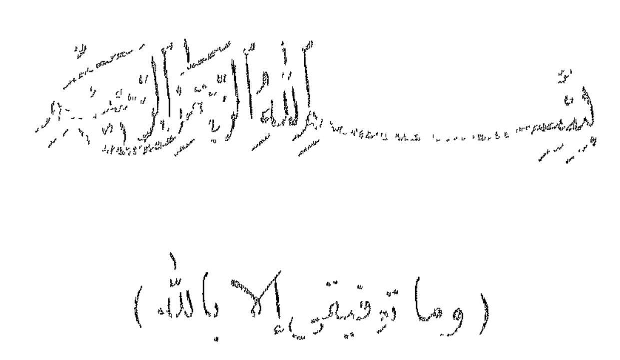

House Of Books
Pr—Mdjat

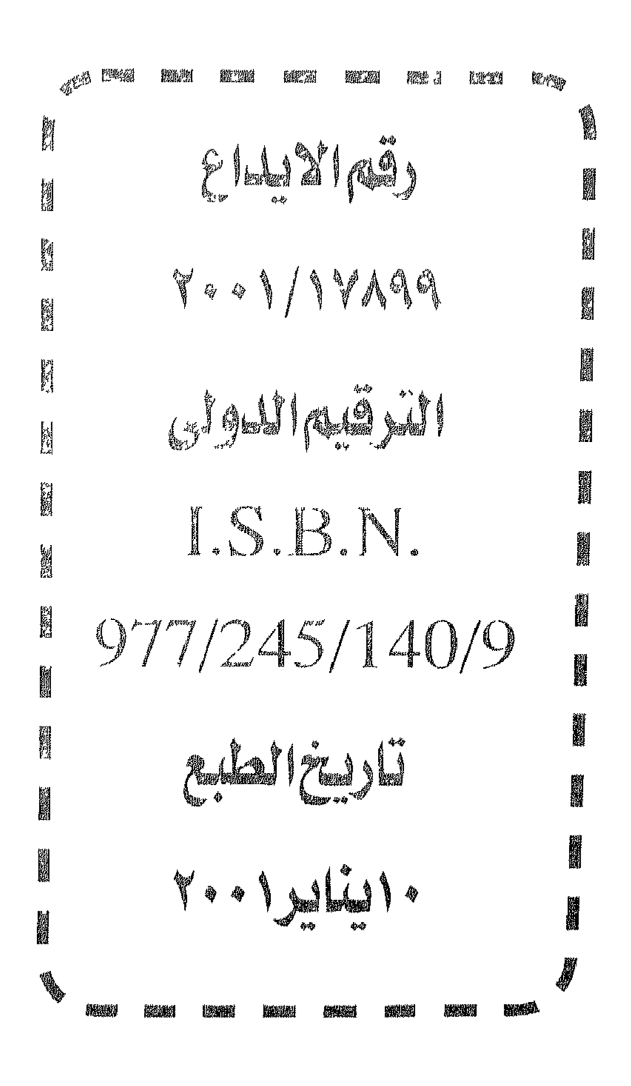
دكتور
رمضان عبده على
استاذ علم المصريات
كلية الآداب، جامعة المنيا



الجزء الأول

الناشر
دار نهضة الشرق
بحرم جامعة القاهرة




رقم الايداع
٢٠٠١/١٧٨٩٩
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977/245/140/9
تاريخ الطبع
١٠ ايناير ٢٠٠١

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ظهرت أول طبعة من هذا الكتاب تحت اسم : " معالم تاريخ مصر القديم " قامت بطباعتها الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ، عام ١٩٧٩ . وعندما نفذت هذه الطبعة أعيد تصويرها بنفس العنوان بمعرفة ناشر مكتبة نهضة الشرق بجامعة القاهرة ، عام ١٩٨٤ .

وبعد ذلك قمت بإعداد نسخة جديدة منقحة وقامت هيئة الآثار المصرية بطباعتها فى " سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية -مشروع المائة كتاب " (العدد ١٦)، ظهر الجزء الأول منها تحت عنوان " تاريخ مصر القديمة " عام ١٩٨٨ ، وظهر الجزء الثانى مكملا للأول (العدد ٢١) عام ١٩٩٣ ، ومنذ هذا التاريخ وأنا أفكر فى إعداد طبعة ثالثة منقحة أيضا وبها بعض التعديلات عن النسخ السابقة وزودتها بأحدث المراجع التى ظهرت فى مجال علم الدراسات المصرية القديمة ، فمع إشراقة شمس كل يوم جديد يظهر مؤلف جديد عن تاريخ مصر القديم وحضارتها فى جميع أنحاء العالم ، ولهذا فإن التأليف باللغة العربية فى هذا المجال ما زلنا نعتمد فيه على المصادر الأجنبية ، ومن هنا جاءت صعوبة التأليف فى تاريخ مصر القديم ولهذا فنحن ننشد فى كل نسخة الوصول إلى ما هو أفضل من معلومات ولكن لن نصل أبدا إلى حد الاكتفاء أو أننا نستطيع أن نؤكد معلومة بشكل قاطع لأن الاكتشافات الحديثة كثيرا ما تغير ما لدينا من معلومات أو تضيف إليها . ولهذا كما يذكر أستاذنا د. زايد فى مقدمة كتابه " مصر الخالدة " ، ص ج : " إن البحث فى التاريخ القديم بوجه عام ليست فيه متعة مادية مثل بعض الأبحاث .. إنما للتاريخ القديم عشاقه وطلابه ، خصوصا تاريخ مصر القديم الذى امتاز بأصالته وقوته " .

ولهذا فإننى أضع هذه النسخة الجديدة بين يدى القارئ العادى والدارس راجيا أن يجدا فيها ما يحقق رغبتهما ..

يتناول هذا الجزء معالم تاريخ مصر القديم منذ أقدم العصور حتى نهاية الأسرة الرابعة عشرة (أى حتى عام ١٦٠٤ قبل الميلاد تقريبا) ويلقى هذا الكتاب الضوء على التاريخ السياسى لمصر القديمة خلال عصورها المختلفة ، مع الإشارة إلى أهم الآثار والمظاهر الحضارية التى خلفها الإنسان المصرى القديم فى كل عصر من عصور هذا التاريخ الطويل ، مع الاهتمام بشرح وتوضيح للأحداث السياسية الهامة وما حققه الملوك فى سياستهم الداخلية والخارجية ، وذلك اعتمادا على ما ذكره بعض المؤلفين ممن قاموا بالكتابة عن تاريخ مصر القديم وتناولوه بالشرح والمناقشة ، وقد استلزم الأمر عرضا لبعض الآراء التى ذكروها وذلك للوصول إلى إعطاء صورة واضحة تضع القارئ على الطريق الصحيح لفهم التاريخ السياسى القديم لهذا البلد العريق .

والحقيقة أن تاريخ مصر القديم زاخر وعامر بالأحداث والتطورات نظرا لما حوته عصوره من فترات خالدة مجيدة تعبر عن جهد الإنسان المصرى القديم وتفوقه الحضارى لما تنفرد به حضارته عن حضارات العناصر البشرية المعاصرة له فى البلاد المجاورة فيما تركه وخلفه من آثار مختلفة ومتنوعة تعد المصدر الرئيسى لدراسة هذا التاريخ وتلك الحضارة .

كما تعد الآثار التى خلفها المصريون القدماء خير شاهد على تاريخهم المجيد وتعبر عن مدى قدرة الإنسان المصرى القديم وصبره على صنع حضارته فكان تاريخه صورة من صور النضوج السياسى والتكامل الحضارى . كما أن تشييد وإقامة هذه الآثار فى هذه الصورة المتقنة إنما يعبر عن عمق فى الفكر الدينى الذى كان هو المحرك الرئيسى وراء صنع هذه الحضارة العظيمة .

ودراسة هذه الآثار المتعددة دراسة علمية وافية يبين لنا الظروف التى نشأ فيها المصريون القدماء وكيفية تفاعلهم مع عناصر البيئة وكيف استطاعوا على الرغم من كل الظروف الصعبة فى البداية أن يقيموا ويضيفوا ويطوروا عبر تاريخهم حضارة عريقة وأن يتركوا بصماتهم الحضارية على هذه الأرض الطيبة .

والمتأمل فى آثار مصر القديمة والدارس لنقوشها يلاحظ أنها تعكس الكثير

من أحداث حياتهم السياسية ونظم حكمهم والإدارة التى طبقوها وحافظوا عليها ، وحياتهم الدينية وعقائدهم ، وما كان يسود حياتهم الاجتماعية من نظم وعادات وتقاليد ، كما أنها تبين ما بلغوه من نضوج ومعارف فى مجال الفنون المختلفة والآداب والعلوم المتنوعة ! كما أنها تعكس لنا بعض مظاهر حياتهم اليومية وما دونوه من حكم ونصائح . فهى الدليل المادى على ما بلغه المصريون القدماء من تطور يضعهم فى مكانة حضارية متفوقة بين حضارات العالم القديم ، كما تبين لنا تلك الآثار كيف أنهم استطاعوا استغلال مصادر ثرواتهم الطبيعية فى تطوير حياتهم . كما أنها تعكس بعض التجارب التى أثرت فى حياة الإنسان المصرى القديم . وكيف استطاعوا أيضا أن يتغلبوا على الكثير من الصعاب التى واجهتهم ، وأن يحافظوا على وحدتهم السياسية عبر هذا التاريخ الطويل سواء فى فترات القوة أم الضعف التى تعرض لها مجتمعهم من ثورات داخلية أو غزوات أجنبية أو تأثيرات خارجية . وبفضل هذه الوحدة السياسية استطاعوا أن يحققوا الكثير فى مجالات الحضارة .

ولحسن الحظ فإن أغلب هذه الآثار لا يزال قائما فى المناطق الأثرية المتعددة والمنتشرة فى كل محافظات مصر ، كما يزخر المتحف المصرى والمتاحف الإقليمية فى الداخل بكثير من آثار المصريين القدماء كما حوت جميع المتاحف والمجموعات الخاصة فى الخارج بالعديد منها .

وعلى الرغم من أن هذه الآثار الكثيرة والمتنوعة قد أسدل عليها ستار الصمت والسكون منذ آلاف السنين ، إلا أنها لا تزال تجذب الناظر إليها فتثير فى نفسه الإعجاب والتقدير والدهشة والتساؤل لضخامتها ، ولما تظهر عليه من دقة فى الصنع ، ومقاومتها لعوامل الطبيعة والزمن ، ورغم مرور آلاف السنين عليها إلا أنها لا تزال باقيه لتثبت للعالم الحديث والمعاصر أن المصريين القدماء هم صانعوا أصول وأمجاد حضارية عريقة على ضفاف وادى النيل الخصب والمعطاء .

وعلى الرغم مما كتب عن تاريخ مصر القديم وحضارتها إلا أن هذا التاريخ وتلك الحضارة لا يزالان يجذبان اهتمام علماء الدراسات المصرية القديمة وغير المتخصصين من جميع أنحاء العالم ، لأنهما كالمعين الذى لا ينضب .

إن الجميع يحاول إلقاء الضوء على هذا التـاريخ ودراسـة مظـاهر هـذه الحضارة والكشف عن أسرارها وما شابها من غموض . فيجـد فيهمـا الـدارس أو الباحث ما يحقق ذاته بالوصول إلى الكشف عن أثر جديـد أو معلومـة جديـدة ..أو ترجمة نص لم ينشر من قبل ، كما يجد فيها المتخصص أو غـير المتخصـص مـا يروى ظمأه فى مجالات المعارف التى توصل إليها المصرى القديـم . ولهـذا فـإن الوقوف على أحداث هذا التاريخ ومظاهر هذه الحضارة ضرورة ثقافية لابد أن يتسلح بها كل مواطن مصرى مثقف يعيش على أرض هذا الوطن الغالى الذى تنطق أرضه بالتاريخ وتزخر بآثار حضارته . ويتكون هذا الجزء من مدخل وعشرة فصول .

ففى المدخل حاولت إبراز أهمية دراسة ومعرفـة تـاريخ مصـر القديـم والأسباب التى من أجلها يجب أن نهتم بدراسة هذا التاريخ ، وما هو واجبنا نحو هذا التراث الأثرى الهائل وكيف يمكن لأبناء مصر من الجيل الحالى والأجيال القادمة أن يحافظوا على تراثهم القديم كما تحدثت عن الأساليب التى يجب اتباعها لنشر ما يمكن تسميته بالوعى الأثرى وثقافة معرفة أحداث هذا التاريخ ومظاهر هذه الحضارة .

وفى الفصل الأول تحدثت عن " نشأة علم الدراسات المصرية القديمـة " ، منذ خطواته الأولى التى بدأت بالتعرف على آثار مصر القديمة ، ثم الخطوة الثانيـة التى جاءت فى أعقاب حملة بونابرت على مصر ، والخطوة الثالثة التى تحققت بفضل اكتشاف حجر رشيد وقراءة علامات ورموز اللغة المصرية القديمة ودور شامبوليون ، والخطوة الرابعة التى بدأت بعد اكتشاف شامبوليون وتوافد علمـاء أوروبـا علـى دراسة الآثار المصرية ، والخطوة الخامسة بدأت منذ أن أنشأت فرنسا علم الدراسات المصرية القديمة عام ١٨٣١ ، وتطور دراسته ، وذكرت أسـماء هـؤلاء العلمـاء ومجهوداتهم بعضهم فـى وضـع الأسـس الأولـى لعلـم الدراسـات المصريـة القديمة . فتحدثت عن النشأة والتطور والازدهار وتنوع الدراسـات بفضـل جهـود مجموعة كبيرة من العلماء وختمت هذا الفصل بالحديث عن أهم التخصصـات فـى مجال علم الدراسات المصرية وخاصة ما حدث من تقدم وتطور فى دراسـة اللغـة المصرية القديمة وما تشير إليه أحدث مؤلفات البيبليوغرافيـا فـى علـم الدراسـات المصرية القديمة من مؤلفات حديثة وبحوث فى هذا التخصص الهام .

وفى الفصل الثانى الذى يعد أكبر الفصل وأهمها ، تحدثت أولا عن مصادر دراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها ، وتعد الآثار ما كان مكتوبا منها أو غير مكتوب ، أهم مصدر لدراسة هذا التاريخ وتلك الحضارة ، وتحدثت عن الآثار التى تمدنا بمعلومة أو أكثر فى مجال الأحداث التاريخية من لوحات صغيرة ، أو قوائم ملكية وكذلك ما كتبه مانيتون ، أو آثار متنوعة تحدثنا عن السياسة العامة ، أو تحدثنا عن حياة الملوك ، وسياستهم فى المجالين الداخلى والخارجى ، أو تحدثنا عن النفوذ الأجنبى أو الاحتلال الأجنبى لمصر . وتحدثت كذلك عن الآثار كمصدر هام لدراسة الحضارة المصرية القديمة فى مظاهرها المختلفة ، وتحدثت ثانيا عما ورد فى بعض المصادر التاريخية فى بلاد الشرق القديم عن فترات معاصرة لتاريخ مصر القديم . وتحدثت ثالثا عن كتابات الرحالة والمؤرخين والفلاسفة اليونان والرومان الذين زاروا مصر وعن غيرهم ممن استقروا فى مدنها الكبرى . وتحدثت رابعا عن بعض الإشارات التى وردت فى الكتب المقدسة . وتحدثت خامسا عما جاء فى المصادر العربية فى العصور الوسطى وختمت هذا الفصل بنظرة تحليلية لهذه المصادر المتنوعة .

وخصصت الفصل الثالث لدراسة تقسيم عصور تاريخ مصر القديم والتقويم عند المصريين القدماء فتحدثت أولا عن التاريخ ، وما هى المصادر التى اعتمد عليها علماء الدراسات المصرية القديمة لمعرفة بداية تاريخ عصور ما قبل الأسرات ، أو عصور ما قبل التأريخ وبالتالى نشأة الحضارة المصرية القديمة . وذكرت التواريخ التقريبية التى أعطاها العلماء لبعض المواقع أو المحلات أو المراكز الحضارية فى عصور ما قبل التأريخ وبخاصة العصر الحجرى الحديث .

وتحدثت كذلك عن المصادر التى اعتمدوا عليها لمعرفة بداية العصور التاريخية والتطور الحضارى ، وكيف قسم العلماء هذه العصور التاريخية إلى عشر فترات زمنية طويلة ، وتساءلت : أين مكان تاريخ الرسل والأنبياء الذين وفدوا إلى أرض مصر وتشرف بهم ثراها فى هذه الأزمنة البعيدة من هذا التقسيم ؟ وتحدثت ثانيا عن التقويم وكيف طبق المصريون القدماء التقويم المدنى بكل تفاصيله وما الغرض منه .

وفى الفصل الرابع : تحدثت عن طبيعة البلاد التى شهدت وقـوع أحـداث وفاعليات هذا التاريخ وتكوين وتطور مظاهر هذه الحضارة ، وتحدثت كذلـك عـن تأثير البيئة على السكان وتجارب الإنسان المصرى مع البيئة ، وناقشت إلى أى جنس كان ينتمى الإنسان المصرى الأول الذى عمر أرض الوادى وانتشر فى ربوعه .

وتناولت فى الفصل الخامس عصور ما قبل التأريخ (أو فجر التـاريخ) أو العصور الحجرية وظهور المحلات السكانية وبداية التاريخ وميلاد الحضارة وما بذله الإنسان المصرى القديم خلالها من مجهودات ، فتحدثت عن فجر العصور الحجرية . العصور الحجرية القديمة المختلفة ، وأهم المواقع أو المحلات أو المراكز التى شهدت ميلاد حضارة أقدم سلالات الإنسان المصرى القديم ، ثـم تحدثـت عـن الاندمـاج الحضارى فى عصور ما قبل الأسرات ، والشواهد الأثرية التى تدل على التأثير بين حضارات الوجه القبلى والوجه البحرى ، ثم مراحل التكوين السياسى قبل تكوين أول أسرة ملكية فى مصر . ومهما يكن الأمر ، فإن تلك الفترة البعيدة شهدت عدة أحداث تاريخية قبل تحقيق وحدة البلاد ، وكانت فترة توصل فيها الإنسان المصرى القديم إلى درجة من النضوج والرقى فى عدة مجالات حضارية ، وتمثل ذلك فى أن تقلد ملوك مصر الأوائل مقاليد الحكم ما كان إلا نتيجة لتلك القرون الطويلة من التجارب والعمل الدائم المتصل فى سبيل التطور بنظم الحكم والإدارة .

أما الفصل السادس فتحدثت فيه عن عصر بداية الأسرات واستقرار وحـدة البلاد السياسية ويشمل الأسرتين الأولى والثانية ، وهو العصر الـذى يحـدد بدايـة التاريخ المتفق عليه بين علماء الدراسات المصرية ، وقد شـرحت أن ذلـك مرتبـط بعاملين : عامل سياسى ، وهو تحقيق وحدة البلاد ووضع أسـس الحكـم والإدارة ، وعامل حضارى ، وهو اختراع الكتابة وما ترتب عليه من عوامل تطور .

وتحدثت فى الفصل السابع عن عصر الدولة القديمة ، ويشمل الأسرة الثالثة حتى السادسة ، وتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية فى الداخل ، وتأمين الحـدود فى الشرق والغرب والجنوب ، واتساع صلات مصر بغيرها فى الخارج ، وألقيـت الضوء على حالة الشعب فى هذه الفترة ، ويمكن القول بأن الشعب المصرى – كـان

أكثر الشعوب إنسانية – وساهم بالكثير فى الإنجازات الحضارية فى هــذا العصــر ، وكان لديه شعور دينى عميق ولديه معنى واضح عن العدل والظلم ، وما هو حســن وما هو سيئ فى نظر المعبودات ، وكان مسلكه العام يتميز بمجهود فعلى لإطاعة ما نادى به أهل الديانة وأصحاب الفكر والأدب من تعاليم وحكم وقيم ومبــادئ ، فكــان عليه تنفيذ هذه السلوكيات واتباع تلك المبادئ والتمسك بهذه القيم واحــترام قوانيــن الدولة ، لكى يصبح فى علاقة طيبة مع المعبودات ويكسب رضاهم عليه .

أما العصر الوسيط الأول الذى تضمنه الفصل الثامن ، فيمتــد مــن بدايــة الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة ، وهى فــترة ضعــف سياســى وثــورة اجتماعية فى الداخل ، نرى فيها انهيار السلطة المركزية وازدياد نفوذ حكام الأقــاليم وتعطل المهن والحرف والصناعات وانقلاب الأوضاع الاجتماعية حتى جاء عصــر الأسرة السابعة إلى العاشرة وأصبح العرش فيه محل نزاع بين بيوت وأسرات محلية قوية لها نفوذ من بينها أدعياء للحكم وطامعون فيه ، ونجد أن أهــم آثــار العصــر الوسيط الأول هى تلك البرديات التى تعكس لنا بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فــى هذه الفترة المضطربة .

وفى الفصل التاسع تحدثت عن قيام عصــر الدولــة الوســطى ، وتشــمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وبينت أن قيام الدولة الوسطى كان بعد تلــك الفترة الطويلة من الاضطرابات التى انتهت فى حوالى ألفين قبل الميلاد ، فقد اتحدت السلطة المركزية من جديد ، وعادت للملكية هيبتها ، واســتعادت مصــر وحدتهــا السياسية من جديد فى مجال التقدم الحضارى والترابط السياسى ، وقام الملوك خــلال هذه الفترة بتأمين الحدود فى الشرق والغــرب والجنــوب ، وبتنفيــذ الكثــير مــن المشروعات فى الداخل وخاصة مشاريع الرى فى الفيوم ، وفيما يخــص العلاقــات الخارجية ، فيبدو أن الاتصال بسوريا العليا وبيبلوس كان قائما على التبادل التجــارى والثقافى ، وبالنسبة للمعتقدات الدينية فقد شاعت ديانة المعبود أوزير حامى الموتــى والمهيمن على عالم الآخرة ، ومن الناحية الفنية فقد تقدمت فى تلك الفترة جميع الفنون وخاصة فن النحت ، وزاد الإنتاج الأدبى وخاصة فى مجال الأدب القصصى .

أما الفصل العاشر فقد تناولت فيه أهم أحداث العصر الوسيط الثانى من بداية الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الأسرة الرابعة عشرة وهى فترة شهدت فيها البلاد الصراع على السلطة من جديد ، وما ترتب عليه من تمزق وحدتها وضعفها السياسى وتعرضها للغزو الأجنبى لأول مرة فى تاريخها ، ونتيجة لذلك نجد أن الإنتاج الفنى نفسه قد قل إلى حد كبير فى أكثر من مجال .

والله أسأل أن يوفقنى فى إبراز أهمية تاريخ مصر القديم عبر عصوره المختلفة إشادة بجهد الإنسان المصرى القديم وتاريخه الذى ما زال الكشف عن غموضه يزداد يوما بعد يوم بفضل مجهودات علماء الدراسات المصرية فى مجال الحفائر والدراسات والنشر والتأليف .

المؤلف



مدخل

أهمية دراسة ومعرفة تاريخ مصر القديم

فى هذا الزمن الذى تسيطر فيه على عقولنا البحوث العلمية فى المجـــالات المتعددة والتكنولوجيا الحديثة ، والغنية بالآمال بالنسبة للحاضر والمســـتقبل ، وفـــى عصر تطغى فيه مشاكل الحياة المادية على تفكيرنا ، فإنه قد يبدو غير منطقى أن نهتم بالماضى وبدراسة تاريخ مصر القديم الذى يبعد عنا كثيرا من حيث الزمن ومن حيث طبيعة الأحداث ، ونترك تلك المشاكل التى تفرضها علينا حضارة القرن الحالى دون التفكير فيها وفى محاولة حلها ، وقد يراه الكثيرون نوعا من " الترف الثقافى " الحديث عن الاهتمام بدراسة آثار مصر وتراثها الحضارى ، فى الوقت الـــذى يعـــانى فيـــه الشعب أساسا من ارتفاع تكاليف المعيشة ، ومن التصارع على لقمة العيش .

ولكن رغم تقديرنا الكامل لأولوية اهتمام الناس بالمطالب اليومية التى تتزايد أعباؤها إلا أن إحياء التراث الحاضرى فى ضمير أمتنا سيكون له أكبر الأثـــر فـــى تحقيق نهضة مصر واستلهام المثل العليا والقيم من تاريخنا القديم .

فهناك أكثر من خمسة آلاف عام قد مضت ، منذ قيام ملوك مصر الأوائـــل بحكم مصر فى دولة متحدة القطرين ، وهناك ما يقرب من عشرين قرنا قد مضـــت منذ أن اندثرت آخر أحداث ذلك التاريخ .[١]

لذلك لنا أن نسأل ما فائدة دراسة ومعرفة تاريخ مصر القديم ؟ والإجابة عن مثل هذا السؤال تنحصر فى إبراز النقاط التالية :

أولا : أن هذا التاريخ يعد من أقدم تواريخ العالم الحديث وأقـــدم تواريـــخ البشرية بأجمعها . وفى الواقع أننا لا نستطيع تحديد بداية تاريخ مصر القديم ، فأحداثه ترجع إلى عصور ما قبل التأريخ ، ويمكن القول أيضا بأن هذه العصـــور لا

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, Paris (1965), p. 5 – 6 .

يمكن تحديد بدايتها بزمن أو بتاريخ مؤكد ولكن نعرف أنها انتهت خلال القرن الثالث والثلاثين أو الثاني والثلاثين قبل الميلاد ، وهو القرن الذى يحدد بداية ما يسمى بالعصور التاريخية .

ثانيا : أن أهمية هذا التاريخ لا ترجع إلى عامل القدم فحسب بل لطابع الاستمرار فيه ، فنجد أن العصور التاريخية فيه تتوالى بعضها وراء بعضها الآخر ، ولكن لا تختلف كل منها عن الأخرى ، ولا تنفصل بعضها عن بعض بعوامل انفصالية كبيرة أو عميقة .

ثالثا : نجح المصرى القديم عبر عصور هذا التاريخ الطويل أن يحافظ على الإطار العام والملامح العامة لتاريخه عبر العصور الطويلة المختلفة ، على الرغم من أن الإطار العام قد تأثر أحيانا بفترات تمزق وعوامل ضعف عديدة اتخذت مظاهر مختلفة .

ففى خلال العصور التاريخية الطويلة عان تاريخ مصر القديم من بعض الأحداث التى يمكن أن يتعرض لها أى مجتمع إنسانى فى العصر الحديث من ثورات اجتماعية أو أنواع الصراع السياسى واضطرابات اقتصادية أو مجاعة أو تأثيرات خارجية وغزوات وهجرات أجنبية ولم يسلم تاريخ مصر القديم من أى من هذه الأحداث ، ولكن المصرى القديم استطاع أن يخرج من كل هذه المحن والصعاب أقوى مما كان . ولذلك فإن مصير الغزاة الذين حاولوا أكثر من مرة غزو مصر فى فترات الضعف والتفكك السياسى كان إما الطرد تحت ضغوط المقاومة الوطنية ، فخرجوا منها دون التأثير فى نظمها وأوضاعها السياسية المتوارثة ، أو محاولة الاستقرار فى ربوعها الخصبة والتكيف مع ظروف الحياة فيها واعتناق مظاهر حضارتها .

فمنذ العصر الحجرى الحديث حتى الغزو المقدونى فى عام ٣٣٢ قبل الميلاد نجد أن تاريخ مصر القديم يتوالى فى إطار موحد متماسك .

رابعا : لم يعرف تاريخ مصر القديم التعصب فى معتقداته وعباداته الدينية فسلم تاريخه من نوازع التطرف والفتن ولهذا سلمت معظم معالمه الأثرية من الضياع

ولم تخرب إلا فى حالات قليلة نادرة ، وكان المصريون القدماء يمتـازون بالتسـامح فيما يخص العقيدة والمعتقد ، فكان لكل أقليم معبـوده أو معبودتـه الخاصـة بـه ، ويعترف فى الوقت نفسه بالمعبودات التى تعبد وتقدس فى الأقاليم الأخرى المجـاورة أو البعيدة ، ويمكننا أن نجد إلى جانب عبادة المعبود المحلى فى الأقليم عبادات أخرى لمعبودات مختلفة ، ومن ناحية أخرى يمكن لكاهن واحد أن يكون فى خدمة أكثر مـن معبود أو معبودة ، ويصبح كاهنا لمجموعة من المعبودات ويتولى أكثر من وظيفـة لخدمة الطقوس المختلفة لهذه المعبودات فى المعابد الرئيسية أو المحلية ، وتعـد روح التسامح هذه من أهم خصائص الديانة المصرية القديمة ، وتدل أيضا على سمو تفكير المصرى القديم فى معتقده .

خامسا : يكفى تاريخ مصر القديم فخرا ، أن عصوره المختلفة شهدت وفـود العديد من الرسل والأنبياء عليهم السلام ، منهم سيدنا إبراهيم وسيدنا يعقوب ، وسيدنا يوسف واخوته ، وسيدنا موسى الذى نشأ وتربى على أرض مصـر ، وعـاش فـى عصر أحد ملوكها القدماء . حتى اختاره الله سبحانه وتعالى هو وأخوه سيدنا هـارون ليبلغا رسالة الإيمان والإسلام لله إلى المسئول – فرعون وآله ، ولكن هذا المسـئول وآله كفروا بآيات الله عز واستكبروا فكان عقابهم الغرق أجمعين وأصبحـوا مثليـة لأقوام الكفر الذين سبقوهم فى مناطق أخرى .

سادسا : لو تأملنا تاريخ مصر القديم جيدا لوجدنا فيه العظة والعـبرة لبنـى الإنسان ، لأن المصريين القدماء أدركوا أنفسهم حقيقة الموت وأن الإنسان مهما أقـام من آثار مختلفة الأنواع والأشكال والأحجام ، ومهما بلغ من وسائل المعرفة ، ومـهما عاش من سنين ، فإن مصيره الموت ولن يبق من الإنسان إلا ذكراه ممثلة فى آثاره ، ولن يبق من تاريخه سوى الكلمات التى تعبر عنها نقوش وكتابـات آثـاره ووثائقـه المختلفة .

سابعا : حتى يومنا هذا يميل بعض الباحثين إلى اعتبار تاريخ مصر القديـم تاريخا محددا وجافا فى إطار ثابت غير إنسانى، ولكنه فى الواقع شئ يختلف عن كـل هذا التجنى بل هو على العكس من ذلك لأنه يحمل بين طياته أعماقا ونزعات إنسـانية متعددة، كما أن الشعب المصرى كان معروفا بإنسانيته . وتبين لنا النصوص طبيعـة

العلاقات التى كانت سائدة بين الناس . فبالقيم والتفانى فى العمل والتعاون بين أفراد الجماعة صنع المصرى القديم تاريخه وحضارته . إن إيمان المصرى القديم بعمله والهدف منه مهما تكون طبيعة هذا الهدف أو قد يكون هدفا غريبا على منطقتنا فى العصر الحالى ، وما آمن به المصرى من معتقدات وما تمسك به من قيم أخلاقية وروحية ، يبين لنا أن حضارة مصر القديمة كانت حضارة عطاء وفكر دينى عميق وهى ميزة تكاد تنفرد بها بين حضارات الشعوب القديمة . ولهذا فإن ما حققه المصرى القديم عبر تاريخه الطويل قد يعجز أن يحققه أخيه الإنسان فى عصرنا الحديث بإمكانياته المادية المتعددة والمتطورة .

ثامنا : لابد من دراسة تاريخنا لأنه جزء من تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم الذى يبين ما توصل إليه وحققه فكر الإنسان المصرى القديم فى السياسة والديانة والثقافة والفنون والصناعات والحرف . وكيف أثر هذا الإنسان بفكره فى جماعات الحضارات المحيطة به ، وإلى أى مدى تأثر بها ؟ وعلى أى أسس أقام علاقاته الخارجية وما اتخذته من مظاهر ؟ وما هى ملامحه تاريخه بالنسبة لتواريخ هذه الشعوب المحيطة به .

تاسعا : يجب علينا أن نعرف جيدا تاريخ مصر القديم لأنه جزء من تاريخنا القومى . ولا شك فى أن معرفة تاريخنا القديم هو واجب قومى يمليه علينا حبنا لهذا الوطن وشعورنا بالانتماء إلى أرضه ، فالتعرف على التاريخ القومى القديم هو بمثابة التعرف على الذات الوطنية والشخصية المصرية . •

إن من واجب كل مواطن مصرى أن يتعرف على هذا التاريخ لأنه جزء منه ، ومع الأسف فما زال أكثر المصريين ، بما فى ذلك عدد كبير من المثقفين ، يجهلون هذا التاريخ ، أما العامة فلا يحفون به ولا يتأثرون بذكر أحداثه أو مشاهدة آثاره العظيمة والإعجاب بها ، بل إن بعضهم ينفر منه ويكاد ينكره ويعده تاريخا وثنيا وذلك لعدم توافر الفهم والوعى الكافى عن حقيقة هذه الآثار وما تحمله من معان ، ولاشك فى أن سياسة الاستعمار قد باعدت بيننا وبين الاهتمام بدراسة تاريخنا القديم ، وفرض علينا أن نعرف تاريخ أوروبا أكثر من معرفتنا لتاريخنا القومى

القديم ، هذا إلى جانب ما حدث من سلب ونهب لآثارنا من قبل القناصل الأجانب[١] والبعثات الأجنبية قبل صدور قانون حماية الآثار رقم ١٤ لسنة ١٩١٢ .

ومحاولتنا فهم تاريخنا القومى القديم وما مر بهذا الوطن والأرض من أحداث قديمة ، يساعدنا على فهم كثير من الأمور ويجعلنا نربط الماضى بالحاضر ، ويجعلنا أكثر تمسكا بأرضنا لكى يصبح الماضى بما فيه عظة لأجيال المستقبل .

عاشرا : يجب علينا أن نبذل الجهد لدراسة هذا التاريخ دراسة علمية وتحليل مادته على أسس علمية ، وأن نبحث بجد عصوره المختلفة وأن نكون جادين أيضا فى النشر العلمى ، فكل كلمة تكتب ثم تنشر عن تاريخ مصر القديم هى سجل علينا للحاضر والمستقبل . لذلك يجب أن نحسن الفهم عند دراستنا لآثارنا أكثر من غيرنا ، وبذلك نستطيع أن ندافع بأسلوب علمى ، ضد بعض العلماء ممن تجنوا على تاريخ مصر القديم ، وأساءوا فهم أحداثه ، ونظروا إليه نظرة غير واقعية وغير محايدة[٢] ، ولم يتجهوا فى كتاباتهم اتجاها علميا سليما وخرجوا علينا ببعض النظريات الخاطئة ، ومن واجبنا أن نحاول إبراز الجوانب الإيجابية فى هذا التاريخ بعيدا عن التفسيرات السلبية التى أدخلت عليه وأدت إلى كثير من الأخطاء . ومعرفتنا الجيدة لتاريخنا تجعلنا نرد بأسلوب علمى على كل من تسول له نفسه النيل مما حققه أجدادنا الأوائل من عظيم الأعمال والإنجازات ، يعجز الإنسان فى عصرنا الحديث بكل ما أوتى من معارف وإمكانيات مادية متطورة ومتعددة أن يحقق مثلها .

ويجب أن نركز فى دراستنا ليس فقط على الأحداث التاريخية أو أعمال الملوك وسياستهم الداخلية والخارجية بل يجب أن نهتم أكثر بدراسة حياة الشعوب وأنشطة أفراده وجماعاته التى هى جزء هام من هذا التاريخ فإليهم يرجع الفضل فى صنع هذا التاريخ وإقامة هذا التراث الأثرى الهائل الذى كان وأصبح من أهم ثمار غرسهم ، ولابد من إعداد دراسة وطنية واعية لتاريخنا القديم بكل أحداثه التاريخية

---

(١)د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية- مشروع المائة كتاب ،العدد ١٨، هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٤، ص ١٢ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٣ .

والسياسية البارزة عبر هذا التاريخ الطويل لأول حضارة وأول دولة منظمة شـــهدها تاريخ الجنس البشرى على وجه الأرض .

ولنا أن نقول أيضا أنه على الرغم من كثرة مـا كتبـه علمـاء الدراسـات المصرية وما أكثر ما سوف يكتبون فى المستقبل عن فترات وأحداث هذا التـاريخ ، فإن الصورة الحقيقية لحياة هذا الشعب لن تظهر معالمها واضحـة إلا بعـد سـنوات عديدة من البحث الجاد ، وإلا سنظل بعيدين كل البعد عن فهم الكثير من أسرار تاريخ مصر القديم ، وفهم الدور الفعال لشعب مصر القديمة .

حادى عشر : يجب علينا ألا نتفاخر بالكلام فقط بهذا التاريخ ، بـل يجـب علينا أن نعمل على نشر الوعى بين أبناء مصر ليصبحوا أكثر إدراكـا لقيمـة هـذا التراث الأثرى المتنوع الذى تتضاءل إلى جواره آثار أى بلد آخر ، وبقيمة ما يمثلـه كل أثر قائم من دلالات تاريخية وحضارية ، ويجب علينا أيضا أن نحافظ على البقايا الأثرية المنتشرة فى جميع أراضى مصر وألا نعبث بها ، وأن نكون أكـثر النـاس حفاظا على هذا التراث لأنه جزء من هذه الأرض الطيبة التى نعيش عليهـا والتـى عاصرت هذا التاريخ وكانت مسرحا لأحداث تاريخية هامة . وهذا التراث هو خـير شاهد على أهمية هذا التاريخ ، وهو فى الوقت نفسه يعكس أحداثه ، ويكفى أن هـذا التراث من صنع المصريين القدماء أنفسهم بأفكارهم وسواعدهم .

ثانى عشر : نحن ننظر إلى الماضى باعتباره أحداثا مضت واندثرت وانتهى أمرها ولكن أليس الحاضر هو امتداد للماضى وان اختلفت ظـروف بيئـة الإنسـان وطرق معيشته وإمكانياته المادية ومعارفه وتجاربه وثقافته وان اختلف أيضا ما حققه من إنجازات . ولهذا يمكننـا أن نعتـبر تـاريخ مصـر القديـم هـو " المـاضى الحى " لأن آثاره التى خلفها الإنسان المصرى القديم نجدها منتشرة فى كل مكان على هذه الأرض الطيبة كأنها " متحف مفتوح " تمثل آثاره جميع العصور التاريخية أو أنه كالزهرة التى ذبلت ولكن لا يزال عبقها ينتشر بقوة فى كل مكان . وعلى الرغم مـن الصمت الذى ران على هذا التراث إلا أن نقوشه ونصوصه تعكس أحداثـا تاريخيـة هامة ومظاهر حضارية متعددة تدل على ثراء حياة الإنسان المصرى القديـم وتعـدد

معارفه وتجاربه وتنوع مجالات ثقافته وسمو أفكاره الدينية وعمق إيمانه .

ثالث عشر : يدعونا تاريخ مصر القديم إلى التأمل أكثر من أى تاريخ قديم فى العالم والتأمل يبعث فى النفس حب المعرفة والتعمق لمعرفة المزيد ، فالقارئ لتاريخ مصر القديم منذ أقدم عصوره يجد نفسه مدفوعا لتتبع أحداثه حتى النهاية ثم يعاود الكرة لقراءته من جديد فيجد نفسه أنه يريد أن يعرف المزيد ثم المزيد عن هذا " الماضى الحى " لعله يجد الإجابة على ما يكون قد علق فى ذهنه من تساؤلات عما ما توصل إليه الإنسان المصرى القديم من معارف وتجارب عجز العلم الحديث عن التوصل إلى معرفة أسرارها .

رابع عشر : يجب الإشارة هنا إلى الكلمات الطيبة التى ذكرها الأستاذ جلال عيسى فى جريدة الأخبار فى ١٧ / ١٢ / ١٩٩٧ بخصوص أهمية دراسة التاريخ ، فيقول : " والواقع ان التاريخ بجانب كونه غذاء للروح وصقلا للعقل وراحة للنفس ، فإنه بمثابة ضمير للأمة ونبض قلبها وحافظ لذاكرة شعبها . فإذا أهمل أصبح الشعب بلا ذاكرة أو تذكر أو وعى بأمجاد أجداده . ولذا فمن المحتم على الشعوب الناهضة تعميق الوعى بتاريخها والبحث فى الأعماق عن جذورها . ..

والواقع ان حب تاريخ الوطن هو حب للوطن كما ان من أحب وطنه أحب تاريخه . لذا يجب أن يوضع تاريخ مصر وحضارتها فى ضمير أمتنا وشعبنا " .

وأخيرا فإن واحدة فقط من هذه النقاط السابقة كفيلة وحدها بأن تدفعنا إلى الاهتمام بدراسة ومعرفة تاريخ مصر القديم ، فما بالك بها كلها مجتمعة . ويبقى بعد ذلك كله أن كتابة تاريخ أمة من الأمم بقلم أحد أبنائها إنما يصدر عن إحساس عميق بما كان عليه ماضيها ، وإيمان قوى بحاضرها ، وثقة كاملة فى مستقبلها ، وهذا ما أرجو أن يشعر به كل مصرى محب لوطنه ..

لذلك لابد من العمل الجاد والواعى لتجنيد خريجى كلية الآثار جامعة القاهرة وأقسام الآثار بالجامعات الأخرى للعمل بتدريس مادة تاريخ مصر القديم وحضارتها بنوع من التعمق لأبنائنا الصغار فى المدارس حتى يجد كل منهم الاهتمام الكافى بتدريس حضارة أجدادهم ، ويقوموا أيضا باصطحابهم إلى المناطق الأثرية المتعددة ،

والشرح العلمى لهم حتى يذكروهم بأن هذه الأماكن شهدت الأعمال الجادة لأجدادهم وكانت أمكنة لتحقيق ثقافتهم وأفكارهم ومعتقداتهم الدينية وخلاصة ما توصلوا إليه من معارف وتجارب . وأنها ليست أماكن للتنزه وتمضية الوقت دون فائدة علمية مستخلصة . كما عليهم أيضا اصطحابهم إلى المتحف المصرى والمتاحف الإقليمية لاطلاعهم عن قرب على مظاهر حضارة أجدادهم . فعليهم تقع مسئولية الإسهام فى إعداد جيل واع بتاريخ وحضارة أجداده ومرتبط منذ الصغر ووفى ومخلص لذكرى هؤلاء الأجداد الأقدمين . وفى كل مرحلة من مراحل التعليم يجب أن يدرس تاريخ مصر القديم بنوع من التوسع وألا يترك الطالب دراسة هذا التاريخ فى أية مرحلة حتى عند دخوله الجامعة ، فيجب أن يدرس هذا التاريخ فى جميع أقسام كليات الجامعة . كما يجب تكليف خريجى قسم الترميم بكلية الآثار للعمل بالمناطق الأثرية المختلفة للمحافظة على الآثار وحمايتها من عبث العابثين بطريقة علمية بعد توفير الظروف المعيشية الملائمة لهم ووضع كل الإمكانيات المادية تحت أيديهم وإيفاد النابغين منهم فى بعثات لتعلم أحدث وسائل الترميم حتى لا يظل هذا المجال حكرًا على الأجانب الذين يعوز بعضهم الحس الأثرى بقيمة هذا التراث .

ومما أثلج صدرى أن هناك مقالتين ظهرتا فى جريدة الأخبار ، الأولى كتبها الأستاذ بيومى قنديل فى الصفحة الخامسة فى باب " كل يوم " (عام ١٩٩٢) يقول :

" لست أدرى ما هى الأسباب التى دعت ولا تزال تدعو وزارة المعارف ووريثتها وزارة التربية والتعليم إلى الامتناع عن تدريس اللغة المصرية القديمة بمراحلها الرئيسية الثلاث الكبرى : الهيروغليفية والديموطيقية والقبطية (ونسى سيادته الهيراطيقية التى تأتى بعد الهيروغليفية ، فهناك أربعة أشكال للكتابة المصرية القديمة) ، فى مدارسها ومعاهدها وجامعاتها كمادة أساسية يتعلمها التلاميذ المصريون كافة بلا استثناء . وليس المقصود بهذه الدعوة ، بطبيعة الحال ، أن يعود المصريون إلى التحدث بتلك اللغة الميتة .. ولعل الذين اتصلوا منا بالمناهج التربوية التى تدرسها الأمم المتحضرة – وعلى رأسها الأمم الأوروبية دون نزاع – يعرفون أن هذه الأمم تدرس اللغتين القديمتين الإغريقية واللاتينية لتلاميذهم كافة على نحو ما ندعو إليه وعلى نفس المنوال تستطيع دراستنا ، كشعب ، للغة المصرية القديمة أن

تثرى لغتنا المنطوقة أى اللغة المصرية الحديثة وتجعلها أقدر على مواكبة تطورات العصر " .

وأعقبته السيدة فاطمة سعيد فى باب أخبار حواء بمقال بتاريخ ٢٧ / ٩ / ١٩٩٢ بعنوان " لماذا لا نتعلم لغة أجدادنا ؟ وتقول فيه :

" قالت الفتاة الصغيرة للفتاة الكبيرة :

كم كنت أتمنى أن يعرف كل مصرى ومصرية تاريخ بلده ومجد أجداده القدماء فرغم الضجة والدعاية الكبرى التى تعيشها مصر هذه الأيام بمناسبة انعقاد المؤتمر السياحى العالمى عندنا فكل الذى يعرفه معظمنا أنهم جاءوا ليشاهدوا آثارنا من أهرام ومعابد وتماثيل لأن هذا هو كل ما تعلمناه فى مدارسنا عن أجدادنا القدماء لم يقولوا لنا إلا هذه المعلومات السطحية البسيطة .. وهذا هو الذى يجعلنا غير متحمسين وغير مقدرين لقيمة الذى يحدث حولنا من اهتمام وإعجاب السائحين ببلدنا " .

فقالت لها الفتاة الكبيرة : " لأنهم للأسف يعرفون عن تاريخ أجدادنا وأمجادهم أكثر مما نعرفه نحن أحفادهم . هذا هو سبب عدم اكتراثنا أو اعتزازنا بأصالتنا وجذورنا العريقة التى تمتد من سبعة آلاف سنة أيام كنا هنا على أرض مصر منارة للحضارة والعلم والحكمة " .

إن معرفتنا بأمجاد أجدادنا تعطينا مزيدا من الاعتزاز والشموخ والكرامة وتزيدنا تمسكا بحقوقنا وتقاليدنا وأصالتنا .. ولن يتحقق لنا هذا إلا إذا علمونا فى مدارسنا منذ الصغر حتى نهاية دراستنا تاريخ أجدادنا قبل أن نتعلم تاريخ شعوب الدول الأخرى .

ويعلمونا لغة أجدادنا القدماء مع تعلمنا اللغات الأخرى فمن العار كل العار أن نكون مصريين ولا نعرف لغة أجدادنا حقيقة أننا لا نستعملها الآن ولكن هذا لا يمنع أن نتعلم حروفها وبعض كلماتها حتى نستطيع قراءة بعض المكتوب بها " .

واعتقد أن ما جاء فى هاتين المقالتين كاف لتوضيح ما نتأمل ونرجو أن

يتحقق ولنا أن نضيف أن :

على الجامعات أن تقوم بإعداد ندوات ثقافية لأعضاء هيئة التدريس بها ليكونوا على دراية بتاريخ مصر القديم وحضارتها .

فهناك من أعضاء هيئة التدريس من اصبح أستاذا وعالما فى مجال تخصصه ولكن لا يعلم من تاريخه القديم إلا الشيء اليسير . وقد يسأل هذا الأستاذ من قبل من تعلم على أيديهم فى أوروبا أو أمريكا أو أى بلد آخر عن حضارة بلده فلا يجيب إلا بالمعلومة البسيطة ويجد من يسألونه أعلم منه بحضارة أجداده وتاريخه القديم .

وعن طريق أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية يمكن عقد ندوات مع المتخصصين فى الآثار المصرية القديمة ويمكن اصطحاب المشاهد إلى الأماكن الأثرية والشرح لهم عن طريق متخصصين مثل برامج صورة ومعلومة أو خمسة سياحة أو كنوز مصرية أو البرنامج الذى عرض أخيرا تحت اسم " شوف وطوف " ، ويصبح هناك نوع من تثقيف العقل ، هذا إلى جانب تشجيع المتخصصين على الكتابة والتأليف فى مجالات الحضارة المصرية القديمة بأسلوب مبسط يسهل فهمه للجميع ، هذا إلى جانب تأليف المؤلفات العلمية المتخصصة ونشر التحقيقات الصحفية عن المناطق الأثرية التى لا يعرفها الكثيرون .

وقد لا يعرف العديد من المثقفين أن هناك شعبة للتراث الحضارى والأثرى ضمن المجالس القومية المتخصصة تضم عددا كبيرا من خبراء هيئة الآثار المصرية وأساتذة الجامعات المتخصصين فى مجال الآثار المصرية الإسلامية والقبطية والترميم وأول من رأسها المرحوم د. جمال مختار ، وكان لى شرف الانضمام إلى عضوية هذه الشعبة حتى الآن ، وقدكرست هذه الشعبة أكثر من جلسة لمناقشة كيفية تحقيق نوع من الوعى الأثرى لدى الناس ، وقد نادى أعضاء الشعب فى توصياتهم بإنشاء مجلس أعلى للتراث يتبنى خطة شاملة تضاعف من وعينا بتاريخنا وحضارتنا وتعمق من انتمائنا القومى . وتقوم خطة هذا المجلس على الأهداف التالية :

١-إن التراث الأثرى ليس مجرد أحجار خرساء أو أطلال صماء أو بقايا

متناثرة أبدع أجدادنا صنعها وتشكيلها ، وإنما هو تجسيد مادى لتراث روحى وفكرى وفنى عميق الجذور ، وهو جزء من ذاتنا وإن احترامنا له إنما هـو احترام لذواتنا .

٢- إن الآثار تؤدى دورا حيويا فى بناء ودعم الاقتصاد المصرى ، وإمكاناتها الهائلة فى هذا المجال لم تستثمر الاستثمار الأمثل حتى الآن .

٣- إن المجتمع المصرى بوجه عام لا يزال يمر بمرحلة التقارب بين فئاته من الناحية الثقافية ولذا ينبغى الاهتمام بعنصر ثقافى مشترك بين جميـع أفـراد المجتمع ، ألا وهو التراث الحضارى والتاريخى لمصر وتنمية الوعى به .

٤- أنه يمكن من خلال الأمثلة التاريخية والشواهد الأثريـة معالجـة بعـض مظاهر السلوكيات السلبية واللامبالاة ، بالدعوة إلى التمثل بـالأجداد الذيـن بنوا هذا الوطن ورفعوا ذكره ، مع التأكيد بأن واجب الوفاء يقتضى من كل مصرى أن يجلوا حقائق ذلك التاريخ ويكشف من عظمته .

وتبدأ الخطة القومية المطلوبة للتوعية بتراثنا الأثرى والحضارى من مرحلة الطفولة بحيث ينشأ الصغير مدركا لتاريخه وحضارته مؤمنا بأنه قادر على اسـتعادة أمجاد الماضى بالعمل والجدية .

ومن وسائل تحقيق ذلك ، اقترح خبراء وأساتذة الآثار فى شـعبة الـتراث الحضارى والأثرى ما يلى :

١-دعوة الأدباء الذين يكتبون للطفل إلى كتابة قصص مسـتمدة مـن تراثنـا الحضارى موجهة إلى الأدباء والأمهات لتلقينها لأطفالهم فـى مرحلـة مـا " قبل المدرسة " بدلا من القصص الشائعة غير الهادفة . وبذلك نغرس فـى الطفل ، منذ سنوات عمره الأولى ، بذور وعى حضارى أثـرى يصعـب نزعه أو نسيانه .

٢-تضمين المناهج الدراسية بدءا من مرحلة الحضانة والروضة ، دراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها خلال الأحقاب التاريخية المختلفة ، بأسلوب مبسـط

مناسب ، وذلك من خلال كتيبات توضع خصيصا للطفل ، تتدرج مع سنه ، وتحتوى على كل ما هو شائق وجذاب ، وتكون مزودة بالصور الملونـة ، يشترك فى وضعها أثريون وأدباء وفنانون .

٣- تضمين برامج الإذاعة المسموعة والمرئية حلقات للأطفال ، تبين مدى تقدم المظاهر العديدة للحضارة المصرية القديمة ، بحيث تقدم للأطفال بأسـلوب يسهل عليهم استيعابه ، عن طريق استخدام الأفلام والتمثيليـات والصـور المتحركة .

٤- تشجيع الكتاب والأدباء الذين يكتبون للسينما والمسرح ، على أن ينهلوا من التراث الأدبى المتنوع فى الحياة الثقافية عند المصريين القدماء .

٥- النظر فى إنشاء متاحف للأطفال ، حتى يتاح لهم على مختلف مستوياتهم ، سواء فى مرحلة الحضانة ، أم فى مرحلة التعليم الأساسى الفرصة للتعرف على القطع الفنية الأثرية ، وتعميق ونشر وربط ذلك كله بحياتهم اليومية .

ويمكن أن يشمل نشاط متحف الطفل عرض بعض الأعمال الفنيـة الأثرية الحقيقية التى تحتمل طريقة العرض المكشوف ، حتى يتمكن الأطفال من رؤيتها ولمسها مثل عينات المواد المختلفة من أحجار ومعادن وأخشاب وصخور وغيرها ، وكذلك نماذج من الآثار التى تمثل أهـم معـالم نشـاط الإنسان المصرى فى العصور التاريخية المختلفة ، وربط ذلك كله باهتمـام الأطفال فى مراحل أعمارهم المختلفة ، حتى يمكنهم إدراك أهميتهـا ، بـل وتقليد بعض ما يرونه ويلمسونه .

وتزويد المتحف بالكثير من الأفلام التعليمية التى تتناول مجموعات من الآثار المعروضة ، طبقا لتاريخها أو أهميتهـا الفنيـة أو الحضاريـة ، وعرض بعض المسرحيات والتمثيليات التى يقوم الأطفال بأنفسـهم بـأداء بعض أدوارها .

٦-إنشاء مراكز خاصة بالطفل فى المتاحف الكبرى تعنى باسـتقباله وتزويـده

بالمعلومات الكافية عن المجموعات الأثرية ، كما يمكن إقامة معارض توعية للآثار بمتاحف الأطفال ، وابتكار لعب للأطفال تغرس فيهم حب التراث الحضارى لمصر .[١]

وتقع مسئولية نشر الوعى الأثرى على وزارات الثقافة والإعلام والسياحة وكذلك التعليم وجميع المحليات . وقد أخذت وزارة الثقافة زمام المبادرة عندما قامت هيئة الآثار المصرية مشكورة بفضل مجهودات المرحوم د. أحمد قدرى بإصدار سلسلة تتناول مجموعة من المؤلفات العلمية عن تاريخ مصر القديم وحضارتها . ويلاحظ أن بعض هذه المؤلفات ترجم إلى اللغة العربية عن مؤلفات صدرت باللغات الأجنبية . وتتناول هذه السلسلة أيضا مؤلفات عن المخطوطات والعمارة والفنون الإسلامية وكذلك العمارة والفنون القبطية .

وقد صدرت هذه السلسلة تحت عنوان :

" نحو وعى حضارى معاصر – سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية – مشروع المائة كتاب " .

وقد تم نشر تسعة وعشرين مؤلفا حتى الآن فى هذه السلسلة[٢] . وهناك مؤلفات أخرى تحت الطبع وخاصة فى مجال الترجمة إلى العربية لمؤلفات أجنبية .

وأملنا أن ترتفع نسبة المؤلفات العلمية والمترجمة فى هذه السلسلة إلى ألف كتاب .

---

(١)وقد نشرت هذه التوصيات فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩ / ١ / ١٩٩٣م .

(٢) منها مؤلفنا عن " تاريخ مصر القديمة " فى العددين ١٦ ، ٢١ فى هذه السلسلة .

الفصل الأول

علم الدراسات المصرية القديمة

النشأة والتطور والازدهار

مر الاهتمام بمعرفة الآثار المصرية القديمة ودراستها ومحاولة الكتابة عن عصور وفترات تاريخ مصر القديم ومظاهر حضارتها بخمس مراحل :

الأولى : بدأت بوفود زوار رحلات الحج إلى بيت المقدس ووفود الرحالة والمغامرين الأجانب إلى مصر بحثا عن الآثار المصرية القديمة وجمع العاديات والمخطوطات القديمة فيها منذ بداية القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر (أى من حوالى عام ١٤٠٠ حتى عام ١٧٩٧) .

وكان من نتيجة ذلك أن بدأت تقام فى عواصم المدن الأوروبية معارض التحف الأثرية التى كانت تجدد باستمرار الرغبة فى جمع العاديات ومهدت الطريق لتكوين مجموعات الآثار المصرية الضخمة التى تزخر بها متاحف أوروبا الرئيسية ، وشجعت هذه المجموعات الأثرية أهل العلم والمعرفة والرحالة على الوفود إلى مصر للكشف عن المزيد من آثارها وتراثها الحضارى .

والثانية : بدأت مع ما بذله علماء الحملة الفرنسية الذين اصطحبهم بونابرت فى حملته على مصر عام ١٧٩٨ من جهود علمية فى حدود إمكانيات عصرهم وما قام به هؤلاء العلماء من وصف للآثار المصرية القديمة بطريقة علمية ، وتسجيل النقوش ورسم المناظر التى يحملها كل أثر بإتقان شديد ، وما أحدثه اكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩ من ردود فعل واهتمام العلماء بدراسة الكتابات الثلاث التى يحملها مما كان له تأثيره على اهتمام الغرب بحضارة مصر القديمة . وظل علماء الحملة الفرنسية يعملون فى مصر لمدة أكثر من عامين من عام ١٧٩٨ حتى عام ١٨٠١ .

والثالثة : بدأت باهتمام العلماء الأجانب بدراسة الكتابات التى نقشت على

حجر رشيد ومحاولة قراءة علامات ورموز الكتابة الهيروغليفية من عام ١٨٠٢ حتى عام ١٨٢١ .

والرابعة : بدأت منذ أن نجح شامبوليون فى قراءة علامات ورموز الكتابة الهيروغليفية على حجر رشيد وما وضعه من أسس لدراسة اللغة المصرية القديمة وما بذله من مجهودات فى تسجيل الآثار المصرية القديمة من عام ١٨٢٢ حتى عام ١٨٣٠ .

والخامسة : بدأت منذ أن أنشأت فرنسا " علم الدراسات المصرية " القديمة عام ١٨٣١ وهو تخصص جديد أو علم جديد أضيف إلى العلوم الإنسانية فى جامعات أوروبا . وبدأ علماء العالم والباحثين فى الاهتمام بدراسة الآثار المصرية القديمة واللغة المصرية القديمة وأشكال كتاباتها على أسس علمية ، تلك الأسس التى كان قد أرسى قواعدها شامبوليون وتطورت هذه الدراسة بفروعها المختلفة على أيدى هؤلاء العلماء والباحثين الذين وفدوا إلى مصر ، وكانوا يحملون معهم أسس هذا العلم الجديد وجاءوا لكى يطبقوه عمليا وذلك بالقيام بأعمال الحفائر فى جميع أرجاء أرض مصر ودراسة الآثار القائمة فى جميع المناطق الأثرية مما أكسبهم مزيد من المعرفة العلمية ومزيد من الخبرة فى مجال الحفائر العلمية وكما قاموا لتسجيل النقوش والرسوم الموجودة على أغلب الآثار ثم قاموا بدراسة وتحليل ما نسخوه وسجلوه وكشفوه دراسة علمية استهدفت استنباط أصول تاريخ مصر القديم وإماطة اللثام عن مظاهر حضارتها التى ران عليها ستار من الغموض والنسيان من عام ١٨٣١ حتى عام ١٩٨١ م .

<u>أولا : وفود الزوار والرحالة والمغامرين الأجانب للتعرف على الآثار المصرية القديمة منذ بداية القرن الخامس عشر حتى نهاية الثامن عشر (أى من حوالى عام ١٤٠٠ حتى عام ١٧٩٧)</u> : كان الرحالة والمؤرخين والجغرافيين وأهل الفكر والعلم والفلسفة القدماء من اليونان والرومان من أوائل من شدوا الرحال إلى مصر لأنها كانت منهل الفكر البشرى والبلد الجدير بالاحترام ، الحافظ للأسرار ، لقد قطع الإغريق البلاد طولا وعرضا بغرض استكشافها استكشافا منتظما فيما بين القرنين

السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد [١]، من أمثال : هيكاتيه الملتى ، وهـيرودوت ، وافلاطون ، وهيكاتيه الأبديرى ، واراتوسثينيس ، وديودور الصقلى ، وسـترابون ، هذا بالإضافة إلى وفود الكثيرين من أبرز الشخصيات اليونانية على مصر لينهلوا من علوم ومعارف مكتبات معابدها الكبرى ، فكانت هذه المعابد تضم مكتبـات عـامرة بالبرديات والمخطوطات التى تتناول جميع أنواع المعارف الإنسانية ولا سـيما التـى توصل إليها الإنسان المصرى القديم ، مثل مكتبة معابد ايونو والرمسيوم وإدفو وإسنا وغيرها [٢] ، وكان من نتيجة هذه الزيارات والتأثر بالحضارة المصريـة ان كتـب هؤلاء الرحالة والمؤرخون وأهل الفكر والعلم والفلسفة عن مـدى رقـى الحضـارة المصرية وخاصة فى مجالى الحياة الثقافية والدينية وعن حكمـة المصريـين وعمـا للحضارة المصرية من فضل على حضارة اليونان .

وقد أوجدت هذه الكتابات القديمة نوع من الشغف وحب الاسـتطلاع لـدى بعض الزوار والرحالة والمغامرين الأوربيين فى العصر الحديـث لزيـارة مصـر والتعرف على آثارها القديمة وجمع المخطوطات القديمة فيها وذلك ابتداء من القـرن الخامس عشر على الرغم مما كان يمثله كل ذلك من مشقة فى السفر وصعوبة فـى الانتقال داخل البلاد . وكان من بين هؤلاء المغامرين من يبحث عـن جمـع الآثـار وبيعها بغية فى الثراء والكسب المادى السريع .

وبطبيعة الحال لا ينتمى هؤلاء الرحالة والمغـامرين والمستكشـفون إلـى بلـد واحد ، بل يرجعون إلى جنسيات مختلفة قصدوا فرادى أو جماعات إلى مصر ،

---

(١)نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة (ترجمة ماهر جويجـاتى ومراجعـة د. زكية طبوزاده)، دار الفكر للدراسات النشر والتوزيع، القـاهرة ١٩٩١، ص ٦ .

(٢) د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، الجـزء الثـانى – عصر البطالمة ، الهيئة المصرية العامة للكتـاب ، القـاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٠٠ .

واتخذوا منها ومن حضارتها العريقة مادة لأبحاثهم [١] ولم تشتد رحلات الأجانب إلى بلاد الشرق عامة وإلى مصر خاصة إلا اعتبارا من القرن الثانى عشر الميلادى ، وكانت رحلات السفن إلى الشرق قد توقفت بسبب الحملات الصليبية الثمانية من عام ١٠٩٦ حتى ١٢٩١م وذلك لأن دافع الرحلة فى أوروبا لم يكن موجودا فى العصور السابقة لتلك الحروب وفكرة الرحلات الخارجية كانت تقريبا معدومة . وبعد الحروب الصليبية أصبحت الدوافع الرئيسية موجودة للرحلة عند الأجانب منها أسباب دينية حيث هرعوا إلى القدس لزيارة قبر السيد المسيح . فبعد وصولهم إلى الإسكندرية يتخذون طريقهم إلى القدس ومنهم من يصعد النيل حتى يصل إلى القاهرة لزيارة أماكن إقامة العائلة المقدسة فى المطرية وقاموا بوصف شجرة السيدة العذراء والبئر الذى استخدمته لتطهير السيد المسيح عليه السلام . كما أشاروا إلى كنائس مصر القديمة ودير سانت كاترين بسيناء وغيره من الأديرة ، وكان السبب الثانى للرحلة كان إيفاد السفراء للبلدان العربية والإسلامية لمقابلة الحكام والسلاطين وإقامته علاقات سياسية ودبلوماسية معهم . إلا أنه فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين بعد انتهاء الحروب الصليبية ، افتتحت السفارات لتحسين العلاقات وضمان سلامة راكب التجارة . والسبب الثالث للرحلة هو التجارة [٢] وأخيرا حب المغامرة والبحث عما هو غامض ومجهول فى باطن أراضى المناطق الأثرية وبين آثارها المنتشرة فى كافة أنحاء البلاد .

ويذكر أنه كان هناك أكثر من مائتى رحالة أوروبى جاءوا إلى مصر فى الفترة من حوالى عام ١٤٠٠ إلى ١٧٠٠ ميلادية ، وتحدثوا فى مؤلفاتهم التى نشروها بعد عودتهم إلى أوروبا عن مصر وآثارها [٣] . فكانت مصر فى هذه الفترة

---

(١) د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(٢) جيلان عباس : آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢ ، ص ٣٨ – ٤٠ .

(٣) قام داوسون بإعداد مؤلف هام عن أسماء علماء الدراسات المصرية، ===

معبرا يمر بها الزوار المسيحيون المتجهين إلى بيت المقدس فى فلسطين [١] . ويمكن القول بأن مسيحى الغرب قد اكتشفوا مصر من خلال رحلات الحج إلى بيت المقدس والحملات الصليبية .

ومن هؤلاء الرحالة طبقا لتاريخ زيارتهم :

- " يواس فان جيستل – Joas Van Ghistele "
الذى زار مصر فى عامى ١٤٨٢ – ١٤٨٣ [٢]

ومن أشهر رحلات الحج التى قام بها إلى الأراضى المقدسة الراهب :

-" فيلكس فابرى – Felix Fabri " وهو من القساوسة الدومينيكان الذى زار مصر عام ١٤٨٣. [٣]

– وكان الرحالة الألمانى " ارنولدفون هارف A. Von Harff " واحدا من هؤلاء الزوار الأثرياء ، وغادر كولونيا فى نوفمبر سنة ١٤٩٦ قاصدا زيارة

=== ظهرت أول طبعة منه عام ١٩٥١ ، والطبعة الثانية عام ١٩٦٩ وظهرت الطبعة الثالثة عام ١٩٧٢ . تناول داوسون فى هذا المؤلف أسماء علماء الدراسات المصرية والرحالة والمكتشفين ورجال الحفائر فى مصر ، وجامعى الآثار المصرية والمتاجرين فيها ، والقناصل والموظفين الرسميين والمؤلفين وأصحاب الهبات والمنعمين والموسيرين الأجانب من ممولى الحفائر وأسماء أخرى ارتبطت بعلم الدراسات المصرية من عام ١٥٠٠ حتى تاريخ ١٩٥١ ، راجع :

Dawson, who was who in Egyptology, Oxford, 1972.

(١) J. Baines – J. Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford, 1984, p. 25.

(٢) Le voyage en Egypte de Joas Van Ghistele 1482 – 1483, IFAO 16, le Caire 1976 .

(٣) Le voyage en Egypte de Felix Fabri, IFAO, Le Caire 1975 .

بيت المقدس فى رحلة دامت ثلاث سنوات ، زار فيها مصر (أيام حكم المماليك الجراكسة) وبعض بلاد الشرق الأوسط ، ثم عاد إلى بلاده فى أكتوبر عام ١٤٩٨ . وقد دون ملاحظاته عما شاهده فى المناطق الأثرية التى زارها أثناء رحلته ، ثم كتب عنها كتابا أهداه بعد عودته إلى أمير مقاطعة كولونيا . وتحدث فون هارف بإسهاب عن كل ما شاهده ورآه فى مصر ، فحدثنا عن الأهرام ومقابر سلاطين المماليك والمساجد والكنائس والمدارس فقد بهره كل ما رآه وتأثر به .[١]

وظهر فى عام ١٤٩٩ فى فينسيا رسم لضريح من فرانسيسكو كولونا – عبارة عن مسلة عليها نقوش هيروغليفية وأسفلها رسم فيل .[٢]

– وكان رابع هؤلاء الرحالة عالم النبات " بييربيلون دى مانس Pierre Belon du Mans " الذى شجعه الملكان هنرى الثانى وشارل التاسع على السفر إلى بلاد الشرق فى عام ١٥٤٦ . وكان أحد أفراد حاشية السفير الذى بعثت به فرنسا إلى الباب العالى بعد الغزو العثمانى مباشرة ، واستمرت رحلته حتى عام ١٥٤٩ ، قام خلالها بزيارة مصر عام ١٥٤٧ (أيام حكم العثمانيين)[٣] ولكنه لم يتوغل فى داخل البلاد ، وزار منطقة الجيزة ودخل الهرم الأكبر وزار حجرة الدفن فيه وأعطانا تفسيرا غريبا لحقيقة تمثال أبى الهول [٤] . وتوفى بيلون عام ١٥٦٥ وكتب كتابه بعنوان :

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٩ – ١٨١ .

(٢) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford 1984, p. 22.

(٣) د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٤) Le Voyage en Egypte de Pierre Belon du Mans, 1547 IFAO, le Caire, 1970; R. Khoury, Quelques notes additionnelles au voyage en Egypte de Pierre Belon (1547), dans BIFAO 77 (1977), p. 261-270; Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, Paris, 1967, p. 6-10; Dawson, who was who in Egyptology, Oxford, 1972, p. 23.

Les Observations de plusieurs singularités et choses mémorables trouvées en Grece , Judée, Egypte, Arabie et autres pays étrangers, redigées en trois livres, 1553 – 58 .

" ملاحظات عن العديد من الغرائب والأشياء المأثورة التي وجدت في اليونان وفلسطين ومصر والعربية وبلاد أجنبية أخرى " .

–جاء بعد ذلك عالم الجغرافيا " اندريه تيفه Andre Thevet " الذى عاش في فترة كاترين دى مديسيس أم شارل التاسع ، وقام بزيارة لجبانة سقارة وقام بحفر بعض المقابر بحثا عن المومياوات فى عام ١٥٤٩ – ١٥٥٢ .[١]

– وفى حوالى الفترة نفسها جاء إلى مصر الطبيب " بروسبرو البيني – Prospero Alpini " وكان من مدينة بادوا الإيطالية . وقد مكث فى مصر أربع سنوات [٢] . جاء فى صحبة قنصل فينسيا وعمل معه كمستشار طبى . زار الهرم الأكبر وتسلقه ووصفه من الداخل ونشر :

De Medicina Aegyptiorum libri IV, 1591 .

De Plantis Aegypti liber. Accessit etiam libre de Balsomo, 2 vols . 1592 .

– جاء بعد ذلك " جان بالرن Jean Palerne " الذى زار مصر عام ١٥٨١ وذكرها فى رواياته التى غلب عليها أسلوب أدب الرحلات .[٣]

– وكذلك " ميشيل فون برتن Michael Von Bretten " الذى زار مصر

---

(١) Voyages des années 1549 – 1552, IFAO 1, le Caire 1984; Eydoux, op. cit., p. 10 .

(٢) نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ١٢ ، وأيضا :

Dawson, op. cit., p. 6 .

(٣) Le Voyage en Egypte de Jean Palerne, Foresien, IFAO, Le Caire 1971 .

عام ١٥٨٥ – ١٥٨٦ .[١]

– وفى الفترة من ١٥٨٧ – ١٥٨٨ حدثت زيارات " ليشتن ستين Lichten – Stein ، وكيشل Kiechel ، وتوفل Teufel ، وفرنبرجر Fernberger ، ولونباو Lunebau ، وميليوتى Miloiti " .[٢]

– وبعد ذلك جاء إلى مصر فى عام ١٥٨٩ " رحالة مجهول الهوية " من مدينة البندقية وتجول فى مناطق الوجه القبلى وذهب جنوبا حتى منطقة الدر فى النوبة ، وذكر فى مخطوطه :

" إنه لم يتجول لأى هدف مقصود (أى بحثا عن كنوز أو هدف مادى) ولكن فقط لكى يرى العديد من المبانى الفخمة والكنائس والتماثيل العادية والضخمة والمسلات والأعمدة " .[٣]

ويذكر أيضا :

" ومع أننى ذهبت لمسافة بعيدة فلا شئ من المبانى التى رأيتها كان يستحق الإعجاب ، فيما عدا واحد وهو الذى يسميه العرب : الأقصر (بما فى ذلك الكرنك) [٤] " .

وعن الكرنك يقول :

" وإذا حكمنا بأن هذا البناء الهائل كان متفوقا على عجائب الدنيا السبع ، وعلى الرغم من أن واحد منها لا يزال باقيا وهو أحد أهرام الفراعنة ، فمقارنته بهذا

---

(١) Voyage en Egypte de Michael Von Bretten 1585-1586, IFAO 18, le Caire 1976 .

(٢) Voyage en Egypte pendent les années 1587- 1588, lich-testein, Kiechel, Teufel, Fernberger, Lunebau, Miloiti IFAO 6, le Caire 1972 .

(٣) Baines – Malek, op. cit., p. 23 .

(٤) Id ., op. cit ., p. 23 .

البناء يعتبر شئ صغير " .[١]

– وبعدها جاءت زيارة " نبيل فيلامونت Seigneur de Villamont " أعوام ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ .[٢]

وفى عام ١٥٨٩ نشر " مركاتى Mercati " (طبيب وعالم فى دراسة البيئة وتاجر آثار) كتابه : Degli obelischi di Roma, 1589 الذى أوقد حمية الاهتمام بمصر القديمة وبالخط الهيروغليفى فى أوروبا .[٣]

– وجاء " أبراهام اورتليوس – Ortelius " عام ١٥٩٥ . وقام بإعداد خريطة نشرت فى امستردام بين عليها أغلب المدن والأقاليم فى مصر القديمة وأبرزها مدينة طيبة . وهذه الخريطة محفوظة الآن فى المكتبة البريطانية فى لندن .[٤]

– وفى الفترة من ١٥٩٧ – ١٦٠١ حدثت زيارات " داجا ليبولى Da Gallipoli و " روشتا Rochetta " وكاستلا – Castella " .[٥]

– وفى عام ١٥٩٨ حدثت زيارة " كرستوفر هارانت Christopher Harant " .[٦]

ومع بداية القرن السابع عشر جاء العديد من المحاربين والفنانين

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 24 .

(٢) Voyages en Egypte des années 1589, 1590, 1591, IFAO, le Caire, 1971 .

(٣) Dawson, who was who in Egyptology, p. 200 .

(٤) نجد فى هذا المرجع صورة واضحة لهذه الخريطة Baines – Malek, op. cit., p. 22-23 .

(٥) Voyages en Egypte des années 1597 – 1601, IFAO II, le Caire 1974 .

(٦) Le Voyage en Egypte de Christopher Harant, IFAO, le Caire 1972.

والموسيقيين والمؤرخين والفلاسفة تباعا كى يدرسوا ويبحثوا وينقبوا ويتأملوا ويرسموا ما رأوه . وبدأت تظهر معارض التحف الأثرية فى أوروبا التى جددت حب جمع العاديات ومهدت الطريق لتكوين المجموعات التى تزخر بها متاحف أوروبا الرئيسية . وبدأ إعادة اكتشاف الحضارة المصرية على أيدى الرحالة وأهل العلم . وقد لعب عامل الصدفة دورا فى الكشف عن العديد من الآثار مما أدى إلى نبش المقابر واستخراج المومياوات التى كان يصنع منها مسحوق له فاعلية مؤثرة فى تجديد حيوية كل شئ ولا سيما الأرض الزراعية وبلغ الأمر بالإنجليز أن يشيدوا فى بلادهم طواحين المومياوات لتلبية الطلب المتزايد على هذا المسحوق الفعال .[١]

وجاءت بعد ذلك مجموعة من تجار الآثار والهواة والمحترفين ونذكر منهم :

– " فيلد – Wild " الذى زار مصر عام ١٦٠٦ – ١٦١٠ [٢] . و " سانديس– Sandys " عام ١٦١٠ والذى كان رحاله وتاجر آثار إنجليزى .[٣]

و " ليثجو Lithgow " الذى جاء عامى ١٦١١–١٦١٢ .[٤]

– وبدأت تظهر فى أوروبا بعض المخطوطات القبطية نتيجة لمجئ النبيل والرحالة الايطالى " بيترو ديللافالى – Pietro della Valle " الذى زار بلاد الشرق

---

(١)نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) Voyages en Egypte de J. Wild, IFAO, le Caire 1973 .

(٣) The Relation of a Journey begun an Dom. 1610 in Four Books, 1615 . ونفى هذا الكتاب الادعاء بأن اليهود هم الذين شيدوا الأهرام وأنها لم تكن لخزن غلال سيدنا يوسف ولكنها شيدت لتصبح مقابر لملوك مصريين ، راجع : Dawson, op. cit., p. 259- 60

(٤) Voyages en Egypte des années 1611-1612, Georges Sandys et William Lithgow, IFAO 7, le Caire 1973 .

وزار مصر وبعدها استقر فى بغداد اثنى عشر عاما من عـام ١٦١٤ إلـى ١٦٢٦ ، ووصف أهرام الجيزة ووصف لنا الهرم الأكبر وأخذ أبعاد حجرة دفن الملـك وقـام بفحص الآثار الصغيرة وتمثال أبو الهول ، وجمع مجموعة مـن الآثـار المصريـة وحصل على مومياوتين ومخطوطات قبطية التى تحتوى على قواعد ومفردات اللهجة البحيرية التى اعتمد عليها كيرشر فى دراسته للهجة القبطية فى القرن الـذى يلـى ، وكان ديللافالى قد حمل كل هذه المخطوطات معه إلى إيطاليا .(١)

- وفى الفترة من ١٦٣٤ إلى ١٦٣٦ جاءت زيارات كل من " هنرى بلونـت Henry Blunt ، وجاك البرت Jacques Àlbert ، وسـانتو سـجزيزى Santo Seguezzi ، وجورج فون نيتزشيتز George Von Neitzschitz " .(٢)

وجاء بعد ذلك " جان كوبين Jean Coppin " الذى زار مصر مـن عـام ١٦٣٨ إلى عام ١٦٤٦ .(٣)

واعتمادا على المخطوطات القبطية التى حملها ديللا فالى معه إلى إيطاليـا قام القس وتاجر الآثار " اثاناسيوس كيرشر Athanasius Kircher " بدراسة تلـك المخطوطات وقام بنشرها فى كتاب تحت عنوان " مقدمة للقبطية أو المصرية " :

" Prodromus Coptus Sive Aegyptiacus 1636 "

الذى ظهر فى عام ١٦٣٦ ، بادئا بذلك أول سلسلة لمجموعة من الكتب عن

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 22; Dawson, op. cit., p. 233 .

(٢) Voyages en Egypte des années 1634 – 1635 et 1636,de Henry Blunt, Jacque, Albert, Santo Seguezzi, George Von Neitzschitz, 13 le Caire 1974 .

(٣) Les Voyages en Egypte de Jean Coppin, IFAO 4, le Caire 1971; O. V. Volkoff, Notes additionnelles au voyage en Egypte de Jean Coppin (1638 – 1646), BIFAO du Centenaire, 1981, p. 471 – 504 .

اللهجة القبطية .[١]

وبدأ كيرشر فى الاهتمام بأسرار اللغة المصرية القديمة . وقام بتأليف كتابه : " إحياء (أو إعادة) بناء اللغة المصرية :

" Lingua Aegyptiaca Restituta, Rome 1643

وجاء فى هذا الكتاب أول محاولة لقراءة رموز الكتابة الهيروغليفية وذكر فى كتابه ان اللغة القديمة كتبت بحروف الهجاء اليونانية فى المخطوطات القبطية مع إضافة حروف أخرى مساعدة .

وعلى الرغم من مجهودات كيرشر لقراءة رموز الكتابة الهيروغليفية ألا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التردى فى تفسيرات خيالية بالغة الغرابة عن الهيروغليفية مما يدل على أنه ضل الطريق تماما بالنسبة لمعرفة حقيقة الحروف الهيروغليفية التى أراد أن يرى فيها كتابة رمزية فقط يمكن تفسير علاماتها بمزيج من الخيال والسحر ، ومن أمثلة ذلك تفسيره لاسم الملك " ابريس " من الأسرة السادسة والعشرين والذى كتب على مسلة قائمة فى روما فهو يعنى عند كيرشر :

" أن فوائد اوزيريس المقدس يمكن الحصول عليها بواسطة مراسيم مقدسة وعن طريق سلسلة من الملائكة الحافظة لكى يمكن الحصول على فوائد النيل " .[٢]

كما قام كيرشر بكتابة مؤلف آخر عن المسلات لم يظهر فى روما إلا فى عام ١٦٥٠ تحت عنوان :

" نبذة عن المسلات – Obeliscus Pamphilius "

ونشر كيرشر فى هذا المؤلف جزء من ألقاب الإمبراطور دوميسيان

---

(١) Gardiner, Egyptian Grammar, third edition, Oxford 1957, p. 11 ; Dawson, op. cit., p. 158 .

(٢) Baines–Malek, op. cit., p. 24; Gardiner, op. cit., p. 12 (9) .

الموجودة على مسلة ميدان نافونا فى روما .(١)

وقام كذلك بكتابة أربعة مؤلفات أخرى ظهرت فى روما من عام ١٦٥٢ إلى ١٦٥٤ تحت عنوان " أوديب المصرى – L'Oedipus agyptiacus, " 4 vols . 1652 – 54 ".

وتحدث فيها عن عقيدة أوزيريس . وذكر فيها آرائه بالنسبة لتفسير اسم ابريس وما ذكره عن أوزيريس .(٢)

وكان من نتيجة ظهور المخطوطات القبطية فى أوروبا أن زاد إقبال العديد من الرحالة والزوار والمغامرين وتجار الآثار على مصر . ولم يعد منهم إلى بلاده بمعلومات ذات قيمة سوى القلة القليلة ومنهم من كتب عما شاهده . وأخذت تظهر بعض المؤلفات عن مجموعات الآثار المصرية الموجودة فى أوروبا فى مجموعات خاصة . فقام " فون هوهنبرج Von Hohenburg " بنشر أول مجموعة من النصوص الهيروغليفية فى عام ١٦٢٠ (٣) :

Thesaurus Hieroglyphicorum 1620 .

- وفى ١٦٣٥ أهدى المطران " وليام لاود – W. Laud " مجوعة من تماثيل الأوشبتى إلى جامعة اكسفورد .(٤)
- وجاء بعد ذلك الرياضى الشهير وأستاذ الفلك فى اكسفورد " جون جريفز John Greaves " . وكان قد رحل إلى الشرق الأدنى فى معية إدوار دبوكوك . وزار مصر عامى ١٦٣٨ و ١٦٣٩ وتجول فى منطقة أهرام الجيزة

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 24 .

(٢) Gardiner, op. cit., p. 12; lefebvre, Grammaire de l'Egyptien Classique, BdE, le Caire 1954, p. 47 (70) .

(٣) قام برسم ونقش نصوص تمثال كبير الكهنة المرتلين بادى آمون أم اوبت Baines – Malek, op. cit., p. 22 .

(٤) Id ., op. cit., p. 24 .

وقام فى أثناء رحلتيه بقياس أبعاد الأهرام وكتب تحليل نقدى لكل ما كتب عن الأهرام من كتابات قديمة ونشر فى عام ١٦٤٦ كتابا بعنوان : Pyramido graphia, or a Discourse of the pyramids in Agypt, 1646 " وصف هندسة الأهرام أو حديث عن الأهرام فى مصر " . كما قام أيضا بزيارة لمنطقة سقارة [١] ، وقام جريفز بتسلق الهرم الأكبر وقام برفع مقاسات الأحجار واكتشف الهرم من الداخل ونشر أيضا :

Demonstratio Ortus Sini Helinci pro parallels inferioris Aegypti, 1648 .

ناقش فيه ظهور النجم سيريوس .

و " جابريل برموند Gabriel Bremond " ، الذى جاء إلى مصر عام ١٦٤٣ - ١٦٤٦ .[٢]

و " بالتزاردى مونكونيس Balthasar de Monconys " الذى زار مصر عام ١٦٤٦م .[٣]

وزار الرحالة الفرنسى " جان دى تفنو Thevenot " مصر عام ١٦٥٦ ونشر فى عام ١٦٦٧ كتابا بعنوان "

" رحلة إلى المشرق Voyage au levant "

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 24; Dawson, op. cit., p. 122-123 ؛ نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ، ١٩٨٠ – الجزء الثالث ص ٤١ .

(٢) Vogyage en Egypte de Gabriel Bremond, IFAO 12, le Caire 1974 .

(٣) Vogyage en Egypte de Balthasar du Monconys IFAO, le Caire 1973 .

وبعد وفاته نشر كتاب آخر فى خمسة أجزاء بعنوان :

Voyages de M. Thevenot en Europe, Asie et Afrique, 5 vols. Paris . 1689 .

وقام فيه بوصف الأهرام وصفا دقيقا . ويتحدث هذا الكتاب عن رحلاته فى أوروبا وآسيا وأفريقيا ، وقد أعيد نشر هذا الكتاب فى امستردام عام ١٧٢٧ .(١)

وجاء بعد ذلك الأب " انطونيوس جونزاليس Antonius Gonzales " الذى زار مصر عامى ١٦٦٥ و ١٦٦٦ .(٢)

وفى عام ١٦٦٨ ذهب " راهبان فرنسيان " إلى الأقصر وإسنا ونجحا فى العبور إلى البر الغربى فى طيبة وزارا وادى الملوك .(٣)

وفى عام ١٦٨٤ أصدر " ميشيل ديفاشتر Dewachter " موسوعته لجرد الآثار المصرية .

وجاء بعده " انطوان ماريسون A. Marisson " الذى زار مصر عام ١٦٩٧ .(٤)

وفى نهاية القرن السابع عشر ، بدأ الرحالة يصفون الآثار الضخمة التى أعجبوا بها فى وادى النيل ، ومنهم الكاتب الفرنسى " جاك بوسيه Jacques Bossuet " (الذى ولد فى ديجون) وكتب كتابا بعنوان :

---

(١) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford, 1984, p. 25; Dawson, who was who in Egyptology, Oxford 1972, p. 286 .

(٢) Le voyage en Egypte du Père Antonius Gonzales 1665 – 1666, IFAO 19, le Caire 1977 .

(٣) Baines – Malek, op. cit., p. 24 .

(٤) Le voyage en Egypte d'Anthoine Marisson 1697, IFAO 17, le Caire 1976 .

" Le Discours sur L'histoire Universelle "

" حديث عن التاريخ العالمى " . وتحدث فى هذا الكتاب عن مصـــر وآثـــار معبد الكرنك .(١)

وجاء بعد ذلك القس " فان سلب – Vansleb " الذى زار مصر فى عـــامى ١٩٧٢ – ١٦٧٣ وزار خلال رحلته مصر الوسطى ووصل حتى جرجا والأقصـــر ، وكان أول من وجه الأنظار إلى أهمية آثار طيبة القديمة .(٢)

وعندما جاء فان سلب إلى مصر كان يقيم فيهـــا مســيو " بنـــوادى مـــايو Benoit de Maillot " قنصل فرنسا فى مصر ، وكان يمثل الملك لويس حيث قضى فى مهمته ستة عشر عاما ، وكان مغرما بالعادات الشرقية والآثار المصريـــة وتعلـــم العربية وألف كتابه القيم بعنوان " وصف مصـــر Description de l'Egypte ".(٣) وكان بنوا دى مايو أول من قام بإعداد خريطة حديثة لمصر بعد زيارته لوادى النيـــل ومعابد الأقصر والكرنك ووادى الملوك وأسوان وأبو سمبل . وكان من نتيجـــة قيـــام بعض الرحالة بنشر مؤلفات بسيطة عن قطع أثرية أن أصبح لها رد فعل كبـــير فـــى تعريف القارة الأوروبية بمصر وآثارها ، وزاد تبعا لذلك نشاط الرحالة الأوربيين من بداية القرن الثامن عشر . وتوالت الوفود التى جـــاء فيهـــا الشـــعراء والموســيقيون والباحثون والفلكيون والفنيون وخبراء الاجتماع من مختلف بلدان أوروبا . فكان هـــذا

---

(١) د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، وزارة الثقافـــة ، هيئـــة الآثـــار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، ١٩٨٨ ، الجـــزء الأول، ص ٧٦ .

(٢) Vansleb, Nouvelle relation d'un voyage fait en Egypte en 1672 – 1673, Paris 1677, p. 16 . انظر أيضا : G. Lacaze, O. Masson, J. Yoyotte, Deux documents memphites copiés par J. M. Vansleb au XIII siècle, RdE 35 (1984), p. 127 137 .

(٣) د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ . Sauneron, L'Egyptologie, Paris, 1968, p. 7 ; Dawson, op. cit., p. 81-82 .

الشغف هو أحد الأسباب التى من أجلها نظم بونابرت حملته على مصر مع نهاية القرن الثامن عشر لغزوها عسكريا وثقافيا ، وقد شهد هذا القرن ظهور بعض الدراسات التحليلية العلمية على أيدى بعض الرحالة .

وأخذ بعض القساوسة يهتمون بزيارة مصر ، منهم القسيس الرحالة : " كلودسيكار Claude Sicard " الذى كان يعمل فى سوريا ولكنه نقل إلى مصر عام ١٧٠٧ حيث مكث فيها طيلة حياته . وقام بعدة رحلات إلى الوجه القبلى أعوام ١٧٠٨ ، ١٧١٢ ، ١٧٢٠ ، ١٧٢١ وأمره الأمير فيليب من أورليان أن يقوم بعمل مسح أثرى للآثار وإعداد خرائط لها ورسومات عنها . وكان أول رحالة أوروبى يصل إلى أسوان من بين أولئك الذين سعوا وراء البحث والتحرى من المحدثين نسبيا . ووصف لنا معبد فيلة ومنطقة الفنتين وكوم امبو . وقد أعاد الكشف عن عدة مواقع أثرية فى طيبة التى زارها أربع مرات ، وكان أول من قارن بين معبدى الأقصر والكرنك على أنهما يمثلان طيبة القديمة . وكان أيضا أول من وصف بدقة تمثالى ممنون فى البر الغربى فى طيبة وذكر أنه زار أربعة وعشرين معبدا وأكثر من خمس عشرة مقبرة صخرية ملونة أو منقوشة ، ولكنه لسوء الحظ لم ينشر سوى القليل مما شاهده . وقد فقدت معظم أوراقه التى كانت تحتوى على قوائم بكل الآثار والمواقع التى اكتشفها .[١]

وزار الرحالة الإنجليزى وتاجر الآثار " شاو Shaw " مصر عام ١٧٢٠ وألف كتابا تحدث فيه عن زيارته للأهرام وملاحظاته عن مصر وظهر بعنوان[٢] :

---

(١) Cl. Sicard, Nouveaux Mémoires des Missions de la compagnie de Jesus dans le levant, Paris 1725 (Sicard, Relaions et Mémoirs imprimés, Oeuvres, 11 édition critique de M. Martin, IFAO, BdE 80, le Caire 1982; Baines – Malek, op. cit., p. 24; Dawson, op. cit., p. 270 .

(٢) Dawson, who was who in Egyptology, Oxford, 1972 p. 269 .

Travels or Observations relating to severalparts of Barbary and the levant , 1738 .

كما زار " لتيليه Lethieullier " الرحالة وجامع الآثار الإنجليزى مصر عام ١٧٢١ وأحضر مومياء من سقارة وآثار أخرى أهداها إلى المتحف البريطانى .[١]

ومن الشخصيات التى ظهرت فى هذا القرن وكتبت عن آثار مصر " برنار دى مون فوكون – Barnard de Mont Faucon " الذى نشر كتابا هاما ظهر فى باريس عام ١٧٢٤ تحت عنوان [٢] :

L'Antiquité, expliquée et representée en Figures

" الأثر ، شرحه وتمثيله فى صور إضافية – Supplement ونشر فى هذا المؤلف تمثال من البرونز للمعبود حعبى كرسه " باحب بن بتاح اردى إس " [٣] ، ونشر جملى كاريرى G. Careri " عام ١٧٢٩ مسلة سنوسرت الأول [٤] الموجودة فى المطرية وذلك فى كتابه : " رحلة حول العالم Voyage au tour du monde, Paris 1729 .

وجاء بعد ذلك لزيارة مصر " جرانجة – Granger " (كان يسمى سابقا تورشو Tourechot) وهو " عالم فيزيائى ورحالة فرنسى وصل إلى القاهرة عام ١٧٣٠ ، ومع بداية شهر يناير من عام ١٧٣١ بدأ رحلته الاستكشافية فى مصر الوسطى والصعيد ، فزار الفيوم ، وبنى حسن ، وأبيدوس ، وطيبة ، وادفو . وزار مصر مرة أخرى عام ١٧٣٣ ، ونشر بعد وفاته المؤلف الذى يحمل عنوان :
Relations d'un Voyage fait en Egypte en l'année 1730, 1745 .

---

(١) Dawson, op. cit., p. 175 – 76 .

(٢) Baines – Malek, op. cit., p. 24 .

(٣) Id., op. cit., p. 24 .

(٤) Id., op. cit., p. 25 .

" معارف رحلة نفذت فى مصر عامى ١٧٣٠ ، ١٧٤٥ " وترجم هذا الكتاب إلى الألمانية عام ١٧٥١ ثم إلى الإنجليزية عام ١٧٧٣ .[١]

وجاء بعد ذلك الرحالة الإنجليزى " ريتشارد بوكوك Pococke " الذى زار بلاد الشرق القديم بين عامى ١٧٣٧ و ١٧٤٠ . وزار مصر عامى ١٧٣٧ و ١٧٣٨ وذهب حتى فيله وكتب كتابه القيم تحت عنوان : " وصف للشـــرق وبعـــض البـــلاد الأخرى " A Description of the East and some other countries 2 vols. 1743 – 5 " فى جزأين كبيرين وهما من أهم أعماله ، وفى هذا العمل الهام أعطى بوكوك وصفا لبعض المواقع وسجل الآثار التى بكل موقع .

وللأسف نجد أن بعض هذه المواقع قد اختفى فى القرن التاسع عشر [٢] وقد وصل عن طريق الإسكندرية وذهب أولا إلى رشيد لزيارة البطريرك كوسماس وزار أيضا مدينة المحلة الكبرى . ثم جاء إلى القاهرة وقضى فيها أياما لدراسة أحوال أهلها وأسوارها وآثارها ، وزار كذلك مدينة الفيوم وعاد منها إلى النيـــل فركـــب مركبـــا لمشاهدة آثار الوجه القبلى .

ويعتبر بوكوك أول من ذكر مقابر وادى الملوك فى العصر الحديث وتحدث عن أربع عشرة مقبرة فقط . وقد ذكرها بدون ذكر أسماء أصحابها وذلك فى الجـــزء الأول الذى يخص " ملاحظاته عن مصر " .[٣]

---

(١) Dawson, op. cit., p. 121 .

(٢) Id., op. cit., p. 234 - 35 .

(٣) R. Pococke, A Description of the East and Some other Countries, volume I. Observations on Egypt, London 1743 – 1745 . وأيضا د. عبد الرحمن زكى : المرجـــع الســـابق ، ص ١٩٣، ٢١٥ وأيضا : Baines – Malek, op. cit., p.24 ; Dawson . op. cit., p. 234 – 35 .

وفى العام نفسه أى ١٧٣٧ ميلادية جاء إلى مصـــــر الرحالـــة الد نمركـــى " فردريك لودفيج نوردن F. L. Ludwig – Norden " وكان من ضباط البحريـــة الدنمركية [١] ، جاء بناء على أمر من ملك الدنمرك وكتب بعد رحلته كتابا ظهر فى كوبنهاجن عام ١٧٥٥ بعنوان [٢] :

" رحلة إلى مصر وبلاد النوبـــة Voyage d'Egypte et de Nubie, Copenhagen, 1755 " وظهر فى ثلاثة لأجزاء ، ويعد هذا المؤلف من أهم مـــا كتب الرحالة الأجانب .

وظهرت النسخة الإنجليزية عام ١٧٥٧ تحت عنوان :

Travels in Egypt and Nubia 1, 1757 .

وصف فيه الممر الصاعد داخل الهرم الأكبر ووصف أيضا أجزاء الهرم من الخارج بدقة كبيرة . وزود هذا الكتاب بملحق رسم فيه بعض اللوحات [٣] منها رسم لمقصورة منحوتة فى الصخر فى جبل السلسلة .[٤] وطبع هذا الكتاب طبعة ألمانيـــة وطبعتين إنجليزيتين وطبعة فرنسية عام ١٨٠٢ . وتحدث فيه أيضـــا عـــن مدينـــة الإسكندرية وقلعة قايتباى وقلعة أبو قير ورشيد والبحيرة وبعض المنـــاطق الأثريـــة الهامة . ويقال أنه وصل إلى منطقة الدر فى بلاد النوبة . ويقال أيضا أنه هو الـــذى قام برسم معظم اللوحات التى جاءت فى مؤلفه بعنوان : " وثائق آثار طيبة "وخاصة

---

(١) F. L. Norden , Voyage d'Egypte et de Nubie, Nouvelle édition, tome 11, Paris 1795 ; Dawson, who was who in Egyptology , p. 218 . وأيضا : د. عبد الرحمـــن زكـــى : المرجـــع السابق ، ص ١٩٣ ، وأيضا : Baines – Malek, op. cit., p. 26 .

(٢) Baines – Malek, op. cit., p. 158, 160 .

(٣) F. L, Norden . Drawings of some ruines and Colossal Statues at Thebes in Egypt, London, 1741 .

(٤) Baines – Malek, op. cit., p. 24 .

عن التماثيل الضخمة فى طيبة ، أما مؤلفه الثالث فهو عبارة عن أطلس لرحلة مصر وبلاد النوبة .[١]

وقام " برى C. Perry " رحالة إنجليزى وكاتب فى مجال الطب بكتابة :

" مشهد من المشرق A View of the Levant, 1743 " وذلك فى عـــام ١٧٤٣ ووصف فيه معبد المعبودة نخبت فى الكاب وأيضا تمثالى ممنون بما عليهـــا من كتابات باليونانية واللاتينية [٢] .

وجاء بعد ذلك " فورمون Fourmont " : وهو باحث ورحالـــة ومـــترجم ملكى فرنسى ، جاء إلى مصر عام ١٧٤٦ ونشر عنها Description historique et géographique des plaines d'Heliopolis & Memphis, 1755 ووصف فى هذا الكتاب هضاب هليوبوليس ومنف .[٣]

وتعددت المؤلفات واستمرت محاولات التعرف على الآثار المصرية القديمة خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، فنجد أن المؤلف والرحالة الاسكتلندى " جوردون " قد نشر العديد من الأعمال عن مصر .[٤] منها ما يلى :

- An Essay towards explaining the hieroglyplical figures on the Coffin of the ancient Mummy belonging to Cap. W. Lethieullier, with the Egyptian Mummy in the Museum of Doctor Mead, 2

---

(١) F. L. Norden, Atlas du voyage d'Egypte et de Nubie, Bibliotheque portative des voyages, tome XI, Paris, 1800 .

(٢) Baines – Malek, op. cit., p. 80, 95 ; Dawson , who was who in Egyptology, p. 226 – 227 .

(٣) Dawson, op. cit., p. 107 .

(٤) Dawson, op. cit., p. 314 ; Baines – Malek, op. cit., p. 26 .
نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ، الجزء الثانى ، ١٩٨٠ ، ص ٥١٦ – ٥١٧ .

pts . Fol 1737 .

- An Essay towards illustrating the History, Chronology, and Mythology of the Ancient Egyptians . 1741 .

والمستشرقون وتاجر الآثار الدنمركى والباحث " زوجا – Zoega " الذى عاش فى روما . وقد بدأ فيها الاستشراق فدرسه وعمل على تفهم تاريخ مصر وحضارتها أيام الأباطرة الرومان وكذلك تفهم اللهجة القبطية فيها . وقام بكتابة عدة مؤلفات ضخمة جمع فيها كل ما قاله أسلافه أو فكروا فيه بالنسبة للآثار المصرية ومن أهم مؤلفاته ثلاثة : (١)

أولهما ظهر عام ١٧٨٧ بعنوان :

Numi Aegyptii Imperatorii prostantes in Museo Borgiano Velitris, 1787 .

والثانى : عن المسلات وسجل فيه بعض الكتابات بالخط الهيروغليفى وظهر فى روما عام ١٧٩٧ بعنوان :

De Origine usu Obeliscorum, Rome 1797 .

ونشر فى هذا المؤلف مسلة بسماتيك الثانى الموجودة فى ميدان فى مونسيتوريو Montecitorio فى روما .

والثالث : عبارة عن كتالوج لمجموعة البرديات القبطية فى متحف (الفاتيكان) بروما الذى يعد أول بحث علمى فى دراسة اللهجة القبطية وظهرت هذه الدراسة فى روما عام ١٨١٠ بعنوان :

Catalogus Codicum Copticorm Manuscriptorum (in Museo Borgiano), Rome 1810 .

---

(١) Dawson, op. cit., p. 314 ; Baines – Malek, op. cit., p. 26 .
وأيضا : نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ، الجزء الثانى ، ١٩٨٠ ، ص ٥١٦ – ٥١٧ .

وكتب البارون الفرنسى " كايلوس Baron de Caylus " مؤلفا عن مصر فى عام ١٧٥٢ – ١٧٦٤ (١) وكان تاجرا وجامعا للآثار وظهر بعنوان :

Recueil d'antiquites egyptiennes , etrusque, grecques et romaines, 7 vol. 1752 – 60 .

" مصنف للآثار المصرية والاتروسكية واليونانية والرومانية " .

وجاء بعد ذلك " نيبور Niebuhr " وهو رحالة ألمانى شهير ، وعالم فى الجغرافيا .

وقد اختير نيبور ضمن أعضاء البعثة العلمية التى أرسلها فريدريش الخامس ملك الدنمرك للتنقيب فى مصر وشبه الجزيرة العربية وسوريا ، تلك البعثة التى أبحرت فى يناير ١٧٦١ من كوبنهاجن إلى القسطنطينية ومنها إلى مصر ثم اليمن .

عاد نيبور عام ١٧٦٧ ومعه مادة علمية وفيرة ، عاش أولا فى كوبنهاجن ثم فى ألمانيا . ومن أهم مؤلفاته :

" وصف الرحلة إلى بلاد العرب والبلدان المجاورة " وظهر فى جزأين فى كوبنهاجن عامى ١٧٧٤ ، ١٧٧٨ وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الدانمركية والفرنسية والإنجليزية والهولندية . ثم صدر الجزء الثالث منه عام ١٨٣٨ (أى بعد وفاة نيبور) ويحتوى على معلومات قيمة وممتعة عن " مصر وآثارها وجوها ومدنها وحياة شعبها " .

وقد ظهر الجزء الأول من الرحلة فى كتاب بعنوان " رحلة إلى مصر " ونقله إلى العربية وقدم له الأستاذ مصطفى ماهر ، القاهرة ١٩٧٧ .(٢)

---

(١) Dawson, op. cit., p. 314 ; Baines – Malek, op. cit., p. 24 .

(٢) د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية – الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ، ص ١٣١–١٣٢ ؛ وأيضا :

Dawson, who was who in Egyptology, Oxford, 1972, p. 217

نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ١٩٨٠، الجزء الثانى ، ص ٥١٥–٥١٦ .

وفى عام ١٧٦٦ قام الرحالة " دانفيل Danville " بإعداد خريطة للمواقع الأثرية فى مصر واعتمد فيها على الخريطة التى قام بإعدادها من قبل سيكار .[١]

وفى أيام على بك الكبير مر بالقاهرة الرحالة الإنجليزى " جيمس بروس – James Bruce " وكان فى طريقه إلى الحبشة فى عامى ١٧٧١ و ١٧٧٢ وبعد أن استقر فترة فى القاهرة استأنف رحلته عن طريق النيل إلى الأقصر . ومنهـا أخذ طريقه إلى القيصر فالحبشة عن طريق البحر الأحمر ، وعاد مرة أخرى إلى مصر بعد انتهاء رحلته داخل الحبشة ونشر كتابا بعنوان : " رحـلات Travels, 1790 " وارتبط اسمه ببردية Papyrus Bruce التى تتحدث عن كنه الأسرار الربانية بالقبطية،وهى موجودة الآن فى مجموعة بودليان (Bruce Ms. 96) Bodleian .[٢] وبعد مرور عدة سنوات على مجئ الرحالة الإنجليزى بروس أوفدت الحكومة الفرنسية مسيو " سونينى دى مانونكور Sonnini de Manoncour " عالم بيئة ورحالة ، وصل إلى الإسكندرية عام ١٧٧٧ وكان قد أرسل إلى مصر للوقوف على الأحوال السياسية بها وذلك لرغبة حكومة الملك لويس السادس عشر فى وضع خططها للاستيلاء على مصر ، تلك الخطط التى لم تتحقق إلا على يد بونابرت حين غزا مصر بعد ذلك على رأس حملته الشهيرة ، وأمضى سونينى معظم أوقات رحلته فى رشيد ، وأمضى فى مصر ثلاث سنوات فى اكتشافها ووصل حتى أسوان ثم رجع إلى باريس عام ١٧٨٠ ونشر مؤلفه :

Voyage dans la Haute et Basse Egypte fait par ordre de l'ancien Gouvernement (de 1777 `a 1780), et contenant des observations de tous genrs etc., 3 vols. Fol Atlas, did not appear until 1799 .

---

(١) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 23 .

(٢) Baines – Malek, op. cit., p. 25؛ وأيضا : د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ؛ Dawson, op. cit., p. 276.

" رحلة فى مصر العليا والوجه البحرى "

وسمح هذا الكتاب الذى طبع على نفقة الحكومة الفرنسية للرحالة بأن ينتبهوا إلى أهمية الآثار المصرية القديمة وتراثها الحضارى .[١] ومن أهم الرحلات التى تمت فى أواخر القرن الثامن عشر هى تلك التى قام بها المستشرق الفرنسى " كارى - Carre " الذى زار مصر وكتب مؤلفا عن الرحالة والكتاب الفرنسيون فى مصر .[٢] الجزء الأول من بدء الاحتلال التركى إلى زواله ١٥١٧ - ١٨٤٠ مع ٤٣ لوحا فى المتن ، والجزء الثانى من زوال الاحتلال التركى إلى افتتاح قناة السويس ١٨٤٠ - ١٨٦٩ مع ٤٩ لوحا فى المتن .[٣]

وزار الكاتب والرحالة البولندى " بوتوسكى Potocki " مصر عام ١٧٨٤ ونشر المؤلفات الآتية : [٤]

- Voyage en Turquie, en Egypte, fait en 1784, 1788 .

" رحلة فى تركيا وفى مصر نفذت فى ١٧٨٤ - ١٧٨٨ " .

- Dynasties du second livre de Manethon, 1805 .
- Examen critique du fragment Egyptien connu sous le nom de l'Ancienne chronique, 1808 .

وزار العالم والرحالة الفرنسى " فولنى Volney " (شاسبف Chasseboeuf) مصر وسوريا أعوام ١٧٨٣ - ١٧٨٥ وكتب عن تاريخهما وأوضاعهما الاجتماعية .

---

(١)د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ؛ Dawson, op. cit., p. 276 .

(٢) J. M. Carre, Voyageurs et écrivains Francais en Egypte, IFAO, 2 vols, le Caire 1956 .

(٣) نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ١٩٨٠ ، الجزء الأول ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٤) Dawson, op. cit., p. 237 .

وكتب مؤلفا بعنوان :

Voyage en Egypte et en Syrie pendent les annees 1783, 1784 et 1785, Paris 1787 (new ed. 1799) (Avec deux cartes geographiques et deux planches gravees) .

" رحلة فى مصر وفى سوريا أثناء السنوات ١٧٨٣ – ١٧٨٥ " .

وبفضل ما جاء فى هذا الكتاب أخذت الحملة الفرنسية على مصر فيما بعد الطابع العلمى .[١]

<u>ثانيا : بداية الشغف الحقيقى للتعرف على الآثار المصرية القديمة وأثر ما قام به علماء الحملة الفرنسية من جهود لتسجيل ووصف الآثار المصرية القديمة من عام ١٧٩٨ حتى عام ١٨٠١ . وما أحدثه اكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩ من ردود فعل نحو اهتمام علماء العالم بدراسة الكتابات الثلاث التى يحملها</u> : ففى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأ الشغف الحقيقى لكل ما يتعلق بالآثار المصرية القديمة بأنواعها . وذلك نتيجة لحملة بونابرت على مصر فى عام ١٧٩٨ . دخل بونابرت مصر بعد انتصاره فى معركة الأهرام على المماليك بقيادة مراد بك فى ٢١ يوليو من عام ١٧٩٨ . ودخل الاهتمام بدراسة هذه الآثار مرحلة جديدة على الرغم من اضطراب الأوضاع السياسية فى عهد البكوات إسماعيل ومراد وإبراهيم الذين أتاحت لهم أسوأ الأقدار التصرف فى أمور مصر والتسلط على حكم أبناءها ، وما صاحب ذلك من قلاقل مهدت لنجاح الحملة الفرنسية على مصر .

وعلى النقيض من كل الغزاة اصطحب بونابرت معه إلى مصر مجموعة

---

(١) Eydoux, op. cit., p. 12 . د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ؛ ص ٧١ – ٧٤ ؛

Dawson, op. cit., p. 294 – 295 .

كبيرة من المدنيين كانوا حوالى مائة وسبعة وستين [(١)] من كبار المتخصصين الفرنسيين من مهندسين وغيرهم كانوا بمثابة الفيلق الثقافى والعلمى الملحق بالجيش الفرنسي والذى كون منهم بونابرت ما سوف يعرف فيما بعد باسم " معهد مصر " الشهير . ومنذ اللحظة الأولى للاحتلال أصر بونابرت على أن يباشر " معهد مصر " نشاطه وأبحاثه واجتماعاته على هيئة لجان تقصى الحقائق ، تعكف على دراسة الطبيعة والآثار والأوضاع السائدة ورصدها وتسجيلها فى كتاب موسوعى من عدة أجزاء كبيرة الحجم .

كذلك أحضر بونابرت معه أطقم كاملة من الحروف المطبعية اليونانية والعربية ، على أساس ان اليونانية كانت من اللغات القديمة التى يعرفها أهل بلاد الشرق والعربية على أساس انها اللغة الأم لأغلب سكان الشرق .[(٢)]

ومن أشهر هؤلاء العلماء والمتخصصين وأكثرهم نشاطا وتجوالا فى صعيد مصر وفى مناطقها الأثرية تسعة عشر اسما كانوا يقومون بكتابة ووصف وشرح وتحليل كل ما شاهدوه ويقومون برسم اللوحات التى تمثل معظم وأهم المعالم الأثرية وإعداد الخرائط وكتابة أسمائهم تحتها ، وهم :

---

(١) فقد اشتملت الحملة على ١٦٧ مدنيا اسمهم العلماء بينهم :
٢١ عالما فى الرياضيات ، ١٥ فى العلوم الطبيعية وهندسة المناجم ، ١٧ مهندسا مدنيا ، ١٥ عالما فى الجغرافيا ، ١٥ قنصلا مترجما ، ٢٢ فنى طباعة ، ٨ رسامين ، ١٠ ميكانيكيين فنيين ، ١٠ أدباء ، ٩ شئون صحية ، ٩ حجر صحى، ٣ فى الفلك، ٤ مهندسين معماريين، ٣ مهندسين إنشائيين ، ٢ موسيقيين ، نحات واحد ، ٣ خبراء فى المتفجرات والبارود ، جاءت هذه المعلومات فى مقال للكاتب الصحفى نبيل زكى فى جريدة الأخبار بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٩٩ " يوميات الأخبار " .

(٢) د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٣٤ – ٣٥ .

-بالزاك Balzac مهندس معمارى .

- سيسل Cecil مهندس معمارى وأستاذ الرسم بكونسرفاتوار الفنون والحرف .

- لوبر Lepere مهندس معمارى .

- دفيليه Devilliers مهندس طرق وكبارى .(١)

-جيرار Girard كبير مهندسى الطرق والكبارى .

- جولوا Jollois مهندس طرق وكبارى .

- سان جينى Saint – Genis كبير مهندسى الطرق والكبارى .

- فيارد Viard مهندس طرق وكبارى .

- جومار Jomard مهندس مساحة وجغرافى وجامع للآثار .(٢)

-روزيير Roziere مهندس مناجم .

- دوترتر Dutertre أستاذ رسم لدى أصحاب الجلالة الأباطرة .

---

(١) ساهم فى بعض الأنشطة الأثرية وساهم فى كتابه وصف مصر ، ونشرت مذكراته عام ١٨٩٩ ، راجع :

Dawson, who was who in Egyptology, Oxford, 1972, p. 86.

(٢) ساهم فى إعداد كتاب وصف مصر . وكتب ستة مؤلفات من التعليقات الملحقة بوصف مصر وكتب عن :

Sur les lignes numériques des anciens Egyptiens, 1816 – 19; Etalon metrique trouvé `a Memphis, 1822; Voyage `a L'Oasis de Syouah, 1823 reédition, 1981 ; Observations sur le Voyage au Darfour, 1845 .

وراجع أيضا ----

-ردوتيه Rodoute رسام بمتحف التاريخ الطبيعى .

- كارابوف Caraboeuf قبطان بالجهاز الإمبراطورى للمهندسين .

- لارى Larrey كان جراحا فى بعثة بونابرت .(١)

-لوجنتى Legentil كولونيل فى الهندسة العسكرية .

- لونوار Lenoir مهندس فى المعدات العلمية .

أضف إليهم :

-شابرول Chabrol ولانكريه Lancret ومارسل Marcel (٢) وساهم فى كتابه وصف مصر وتحدث عن الشئون الطبية .

وكون هؤلاء العلماء والمهندسين والرسامين معهدا فى ٢٢ أغسطس من عام ١٧٩٨ أطلقوا عليه اسم : معهد مصر " Institut d'Egypte " .

ولا يزال هذا المعهد يقوم بنشاطه العلمى تحت اسم " المعهد العلمى المصرى " .(٣)

=== Dawson, op. cit., p. 152 ؛ من أشهر ما كتبه هو : جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل (ترجمة د. ايمن فؤاد)،مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٣ .

(١) ساهم فى كتابه وصف مصر وخاصة الشئون الطبية وعند عودته إلى فرنسا كان فى حوزته مجموعة كبيرة من الآثار بعضها فى متحف اللوفر، راجع: Dawson, op. cit., p. 164 ، وكتب كتبا عن العربية وتاريخ العرب .

(٢) جان جاك مارسل مستشرق فرنسى كان عضوا فى بعثة بونابرت وكتب كتابا عن تاريخ مصر وارتبط اسمه ببردية موجودة الآن فى المكتبة الأهلية بباريس ، راجع : Dawson, op. cit., p. 193 - 194 .

(٣) تألف هذا المعهد من ستة وثلاثين عضوا موزعين على أربعة أقسام هى : الرياضيات والطبيعيات والاقتصاد والسياسة والآداب والفنون . واختار العالمان : مونج وبرتوليه ومعهم الجنرال كافاريللى قصر حسن الكاشف شركس بالناصرية ليكون مقرا لهيئة المعهد ، وضموا إليه القصور ===

وقام هؤلاء العلماء والرسامين بنقل بنقل صورة دقيقة وقريبة إلى الواقع لجميع الآثار التى كانت لا تزال قائمة فى أماكنها ومحتفظة إلى حد ما بكيانها . وقاموا برسم ونسخ النقوش الهيروغليفية المدونة على جدران تلك الآثار وذلك بدقة متناهية وأمانة لشعورهم بأنهم يؤدون خدمة جليلة للعلم وللعالم ، وذلك دون أن يعرفوا الدلالات والمعانى الحقيقية لهذه النقوش .

وكانت مهمتهم دراسة البيئة المصرية من أقصاها وفى جميع المظاهر ، سواء ما يتعلق بتاريخها القديم وحضارتها ، أو ما يتعلق بتاريخها الحديث وبأحوال المصريين الذين كانوا يعيشون فى زمن دخولهم مصر ، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بدراسة الثروة الحيوانية والثروة النباتية وموارد البلاد . وتطرقوا أيضا لمختلف الأشكال والصور المعمارية للأبنية القائمة ، فجاء كل ما قاموا به حصرا شاملا للحضارات التى تعاقبت على أرض مصر .

==== المجاورة له التى شيدها المماليك ، وخصصت لسكن الأعضاء وبعثة العلوم والفنون مثل قصر بك وبيت إبراهيم كتخدا السنارى الذى ما يزال قائما إلى اليوم والذى تحول وقتذاك إلى " متحف بونابرت " وبطبيعة الحال كانت هذه القصور أفضل من الأطلال التى عاشوا فى ظلها بالإسكندرية . وفى منزل حسن الكاشف أنشئت معامل الكيمياء والطبيعة والمكتبة وأول متحف للعاديات المصرية يحتوى على بعض التوابيت وحجر رشيد الذى اكتشفه الضابط بوشار . كما ضم قاعة الاجتماعات الكبرى التى كان بونابرت يحضرها أحيانا إلى جانب القاعات الصغرى التى تجتمع فيها اللجان المختلفة وبيت أمير الحج . وكان هناك سبعة من العلماء من أقطاب لجنة العلوم والفنون وقواد الجيش لإدارة هذا المعهد ، راجع : د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ؛ د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء (القرن التاسع عشر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، ص ١٣٠ .
وأيضا : Sauneron, L’Egyptologie, p. 7 .

واستمر هذا العمل من يونيو ١٧٩٨ إلى سبتمبر ١٨٠٢ . ولهذا يمكن القول بأن ما قام به علماء الحملة الفرنسية كان يمثل المنعطف الرئيسى فيما سيسمى بعد ذلك بعلم الدراسات المصرية القديمة .(١)

وذهبت أول بعثة علمية من رجال هذا المعهد إلى الصعيد فى عام ١٧٩٩ وكان يرأسها عالم الرياضيات وكبير مهندسى الطرق والكبارى " جيرار " وكان هناك بعض المهندسين الذين عهد إليهم بدراسة أحوال مياه النيل ، غير أن اثنين من أعضاء البعثة هما " دفيلييه وجولوا " – كانا أشد اهتماما بالآثار من شئون الرى وطمى الفيضان ، فإذا بهما كانوا أول من سجل بدقة نقش الأبراج السماوية بمعبد دندرة الذى آثار إعجابهم وحماسهم . كما اكتشفا مقبرة أمنحتب الثالث فى البر الغربى . كما أذهلهما معبد الكرنك بضخامته وشموخه فأمضيا الساعات يرسمان نقوشه ويسجلان أبعاده إلى أن وصلا إلى معبد إسنا حيث أقرا على الفور بتفوق العمارة المصرية على كل ما يوجد من آثار تحمل الطابع اليونانى الرومانى .

وقد اتجه دفيلييه وجولوا بعد بضع أيام إلى أسوان برفقة المثال " كاستيه Castier " . وهناك عكفا فى هدوء على رسم أطلال معبد فيله وتسجيلها زهاء أسبوعين . ورفعا تصميم المعابد مستعينين بميزان البناء وبمقياس الأبعاد وبالبوصلة وطاولة الرسم ، ومزودين بالفرجار ومثلث المساح ، وسجلا كافة النقوش بطريقة تكاد تكون آلية ، ناسخين النقوش الهيروغليفية دون إدراك مغزاها أو معناها .

ومع ذلك فإن أفضل ابتكار لأساليب الوصف الموضوعى للآثار المصرية كان يرجع إلى هذين المهندسين قبل اتقان التصوير الفوتوغرافى .(٢)

وبعد عدة شهور من إقلاع البعثة الأولى إلى الصعيد توجهت إليه بعثتان أخريان إحداهما برئاسة مهندس المساحة " كوستاز " وتضم اثنى عشر عضوا من

---

(١) Sauneron, L'Egyptologie, Paris 1968, p. 10 .

(٢) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

بينهم عالم الآثار ريبو ، والثانية برئاسة عالم الرياضيات " فورييه " وتضم أحد عشـر عضوا من بينهم " جوفروا وجومار وشـابرول " والمـهندس والرسـام " سيسـيل وردوتيه " . وحين التقت البعثتان فيما بين ادفو وجبال السلسلة مع زملائهما دفيلييـه وجولوا بادر الأخيران بعرض ما حققاه على زملائهم وحثـهم علـى إتبـاع نفـس الأسلوب الذى سلكاه ، ومنذ ذلك الحين استقرت أركان منهجهم وبدأ العمل بـه بـلا هواده . فعلى يدى جومار تم تنظيف معبد إدفو الذى كان مدفونا تحت الرمال . وكان الفلاحون قد أقاموا فوق الرمال التى تغطيه أكواخا يسكنونها . كما عرف " كوسـتاز " الطريق إلى مقابر الكاب على الضفة الغربية للنيل ، فكانت دهشـته هـو وزمـلاؤه مماثلة لدهشة دينون حين اكتشف مقابر القرنة ، فحتى هذه اللحظة لم يشاهدوا منـاظر الحياة اليومية على جدران المقابر .

وعند وصولهم إلى الأقصر أخذوا يفحصـون معـابد الأقصـر والكرنـك ومدامود على البر الشرقى ومعابد الرمسيوم والقرنة ومدينة هابو بالبر الغربى . ثـم انتقلوا إلى اكتشاف مقابر وادى الملوك التى لم يتسع وقت دينون لأن يزور منها غـير مقبرة رمسيس الثالث . وعند وصول العلماء إلى جرجا قاموا بدراسة معبد أبيـدوس الذى ظنوه فى البداية قصرا مدفونا وسط الرمال .

وقد فرغت بعثتا " فورييه وكوستاز " من مهمتيهما خلال شـهرى أكتوبـر ونوفمبر من عام ١٧٩٩ .(١)

ولم يغادر علماء بونابرت مصر إلا بعد سنتين على أثر استسلام الجـنرال مينو عام ١٨٠١ . وقد استخدموا كل ما فى جعبتهم من لباقة ودبلوماسية وحيل كـى يعودوا إلى فرنسا مصطحبين – رغـم الحظـر البريطـانى – نباتاتـهم ومعادنـهم وحيواناتهم وخرائطهم ورسوماتهم وبعض الآثار التى اكتشفوها وكان حجـر رشـيد وتابوت نختنبو من بين الاكتشافات الهامة غير أن الإنجليز صادروهما واحتفظا بـهما فى المتحف البريطانى . وما كاد العلماء يصلون إلى فرنسا حتى بدأ العمـل الكبـير الذى كان بونابرت يؤازره ويستحث مواصلته حتى صدر قرار عـام ١٨٠٢ بـإعداد

---

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

ونشر كتاب " وصف مصر " على نفقة الخزانة العامة .[١]

وظل " جومار " يشغل وظيفة سكرتير هيئة تحرير كتاب " وصف مصر " لمدة عشرين عاما محاطا بالعديد من المعاونين وأشرف مارسيل على الطباعة بالمطبعة القومية . وأعد لوبير وجولوا الفصل الخاص بمصر المعاصرة والإسكندرية ورشيد والقاهرة ، وكتب دبيوا ايميه فصلا عن الدلتا ، وشابرول فصلا عن عادات الأهالى بمصر . كما قام جومار بالمقارنة بين سكان مصر القدامى والمعاصرين فى أحد الفصول ، وقدم كوستاز دراسته عن زراعتهم وعاداتهم ، وسجل روبيه شعائرهم الجنائزية وأساليب التحنيط إلى أن ظهر فى عام ١٨٠٩ الجزء الأول من كتاب " وصف مصر " الذى " طبع بأمر صاحب الجلالة الإمبراطور نابليون الأعظم " .[٢]

وتتناول الأجزاء الأولى – التى تقع فى خمسة مجلدات يستهلها العلامة فورييه بمقدمة تاريخية وتحدث عن الآثار المصرية ومعابدها وتماثيلها وكل ما شيد بعد الفتح الإسلامى .[٣]

على أن الأضواء لم تسلط على مصر وتصبح قبلة علماء الآثار إلا منذ أن ظهرت مجهودات علماء ورسامى حملة بونابرت فى صورة الأربعة والعشرين مجلدا من كتاب وصف مصر [٤] " Description de L'Egypte " الذى ظهرت طبعاته الأولى فيما بين أعوام ١٨٠٩ و ١٨٣٠ . وقد استغرق إعداد كتاب وصف مصر خمسة وعشرين عاما من الجهود الجماعية .

وتطلب تنفيذ التسعمائة لوحة التى اشتمل عليها الكتاب (وأكثرها غير ملون) إلى الاستعانة بنخبة ممتازة من الرسامين والمصورين والطباعين وما يقرب

---

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٤٣ – ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) منها أحد عشر مجلدا من المقالات والوصف وثلاثة عشر مجلدا تضم مئات من الخرائط وتسعمائة لوحة رسمها الرسامون .

من أربعمائة حفار .

فقد بدأ العمل فى كتاب وصف مصر عام ١٨٠٣ ولم ينته إلا عـــام ١٨٢٨ بعد تذليل العقبات السياسية والمالية التى أوقفت عمليات طبعه خمس مرات .(١)

وقد نقل إلينا هذا العمل الضخم صورة مسجلة ومفصلة عـــن آثـــار مصـــر القديمة .

وفى الواقع إن كل الظروف كانت مهيأة لعمل هؤلاء العلمـــاء والرســـامين لتجميع المادة العلمية الأساسية للوصف والرسم والكتابة والتسجيل . فقد انتشروا فـــى جميع أرجاء البلاد ، وقاموا بدراسة ووصف وقياس ورسم معظم الآثار القائمة . هذا بالإضافة إلى أنهم كشفوا عن آثار عديدة ووثائق هامة ، وأمدتنا الدراسات التى قاموا بها فى مجلدات وصف مصر بنصوص جديدة ولوحات دقيقة مـــن منـــاظر جـــدران المقابر والمعابد جذبت أنظار المتخصصين وغير المتخصصين ومحبى الاستطلاع .

وفى أثناء عمل علماء ورسامى حملة بونابرت وصل إلـــى القـــاهرة بعـــد استيلاء الفرنسيين عليها عام ١٧٩٨ " فيفان دينون V. Denon " الذى كـــان تـــاجرا للآثار ورساما ونحاتا وكاتبا ، الذى وصل عن طريق رشيد وألف كتابا عـــن رحلتـــه وصف فيه كل ما رآه فى القاهرة والجيزة وصفا بليغا وكان بونابرت قد اقترح علـــى دينون أن يرافقه فى رحلة العودة إلى فرنسا .

وسرعان ما ظهرت ثمار رحلة دينون حين أمر القائد العام بناء على طلـــب العديد من أعضاء المجمع بتشكيل لجنتين متخصصتين على وجه السرعة من العلماء والفنانين لتسجيل ورسم جميع آثار الصعيد على نحو علمى دقيـــق أحدهـــا برئاســـة فورييه والأخرى برئاسة كوستاز .

---

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

وظهر كتاب دينون فى فرنسا عام ١٨٠٢ بعنوان [١] :

" رحلة فى الوجه البحرى ومصر العليا " " Voyage dans la Basse et La Haute Egypte, Paris 1802 " وكتاب آخر فى " وصف مصر " بكل تفاصيله الدقيقة الشاملة . وكان بونابرت قد كلف الجنرال دسيه بغزو الصعيد فسمح لدينون بمرافقة الحملة فذهب إلى المنيا وهرموبوليس ودندرة وطيبة وأرمنت والكوم الأحمر وإدفو وأسوان وقد أزاح دينون بهذا الكتاب الستار لأول مرة لفرنسا ثم لأوروبا كلها عن روائع الحضارة المصرية ، وبلغ ما قدمه للعالم من الرسوم المطبوعة ما يقرب من ثلاثمائة وخمسة وعشرين رسما . وقد خصص دينون لدندرة ثلاث لوحات جميلة فى أطلسه . وقد ذهب القائد الفرنسى بيار برفقة دينون ليتأمل فى إعجاب ودهشة النقش الغائر فى دندرة المعروف باسم نقش البروج السماوية " زودياك " والمحفوظ اليوم بمتحف اللوفر .

وهنا يجب ألا ننسى مساعدة أهالى المناطق والقرى والمدن الأثرية التى زارها هؤلاء العلماء ، وأقاموا فيها فترة . وخاصة وأن أهالى هذه المناطق فى صعيد

---

(١) Dawson, who was who in Egyptology, Oxford 1972, p. 33; V. D. Denon, Voyage dans la Basse et la Haute Egypte pendant les campagnes du general Bonaparte, éd. Didot l'Aîné, Paris 1802 (ed. IFAO, Le Caire 1989).
" رحلة فى الوجه البحرى ومصر العليا خلال عمليات الجنرال بونابرت الحربية " زوده بأطلس شامل من الرسوم فى عام ١٨٠٢ ، راجع : د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٧٥ – ١٢٨ ؛ د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ؛ وأيضا :
Gauthier, Vivant Denon en Egypte, Bulletin de l'Institut d'Egypte 1922 – 1923 ; Tissot, Notice sur Vivant Denon en tête du Voyage dans la Basse et La Haute Egypte, 1829 .

مصر كانوا يعتقدون أن هؤلاء الأجانب جاءوا للكتابة عن حضارة أجدادهم وإظهار أمجادها ، وهذا ما ذلل لهم الكثير من الصعاب فى تنقلاتهم زد على ذلك كرم الضيافة المتأصل فى طبيعة شعب مصر .

فإذا كان لعلماء الحملة الفرنسية الفضل فى وضع الأسس الأولى لدراسة الآثار المصرية . فإن الفضل الأكبر يرجع أيضا إلى أبناء قرى ومدن مصر وأهلها الذين عاصروهم ومدوا لهم يد العون ورحبوا بهم فى كل مكان ذهبوا إليه واستقروا فيه فترة وعاونوهم على إخراج هذا العمل العلمى الضخم بهذه الصورة الناجحة .[١]

وقد بذل أعضاء " معهد مصر " جهودا كبيرة فى خدمة العلم وكانوا دائمى النشاط مجدين مثابرين . ولولا ما سجله الرسامون الكبار فى لوحات كتاب وصف مصر من مناظر وعناصر معمارية لما عرفنا الكثير عن هذه الآثار التى كانت قائمة والتى اندثر بعضها الآن .

وعلى الرغم من جهود علماء حملة بونابرت وجهود من جاءوا فى ركابهم من علماء العالم والمتخصصين والغير متخصصين إلا أن كل هذه الآثار بما تحمله من نقوش ومناظر كانت بالنسبة لهم لغزا محيرا لأنهم لم يتوصلوا فى الفترة من

---

(١)انظر فى هذا الصدد محاضرة د. طه حسين بالفرنسية " بناء مصر الحديثة " التى ترجمها إلى العربية ، د. حامد طاهر فى سلسلة دراسات عربية وإسلامية ، ج٤ سبتمبر ١٩٨٥ ، ص ٥٣ حيث يقول د. حامد فى تعليقه على هذه المحاضرة : " إذا كان هذا الفرع الجديد " علم الدراسات المصرية القديمة Egyptologie " من فروع المعرفة الإنسانية يعتبر مفخرة لفرنسا ، فلا ينبغى أن ننسى أن الشعب المصرى له فى هذه المعجزة نصيب كبير ، فهو الذى أحسن استقبال الفرنسيين ، وسمح لعلمائهم بالإقامة الآمنة بينه ، كما عاونهم فى التنقيب عن الآثار . والخلاصة أنه أدرك بفطرته أنهم يساعدونه على استعادة جزء عزيز من ماضيه ، فلم يبخل عليهم بشىء " .

١٧٩٨ إلى ١٨٢١ إلى حل لفك علامات ورموز الكتابة المصرية القديمة ومعرفة قراءتها ، لأن أغلب هذه النقوش والنصوص تفسر حقيقة دور هذه الآثار والغرض من إقامتها وتخبر عن دور من أقاموها أو تحدثنا عما توصل إليه المصريون القدماء من أفكار ومظاهر حضارية .

وكما نعلم أن استخدام الكتابة الهيروغليفية أو غيرها من الكتابات أو الخطوط المصرية القديمة قد توقف منذ أن أغلقت المعابد المصرية أبوابها فى القرون الرابع الميلادى وما بعده .[١] ونعلم ان معبد ايزيس فى فيلة قد أغلق تحت حكم جوستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) .[٢] وآخر مثال لوجود الهيروغليفية هو نقش عثر عليه فى فيلة ويرجع إلى عام ٣٩٤م .[٣] وعثر فى المكان نفسه على آخر نص كتب بالديموطيقية ويرجع إلى عام ٤٥٢م .[٤] ونعلم أيضا ان آخر وثيقة حررت بالديموطيقية ترجع إلى عصر الإمبراطور زينون (٤٧٤ – ٤٩١م) .[٥] ونتيجة لذلك فكل ما كان يعتبر وثيقة مصرية قديمة كان أشبه بالصفحة الغامضة التى لا يمكن قراءتها وفهمها . وكنا نكتفى لمعرفة تاريخ مصر القديم وحضارتها بما كتبه الرحالة والكتاب والفلاسفة اليونان والرومان الذين زاروا مصر فيما بين القرنين السادس قبل الميلاد والثانى الميلادى .[٦]

---

(١) فى عهد الإمبراطور ثيودسيدس الأول (٣٧٩ – ٣٩٥م) الذى أمر بتحطيم كل آثار الوثنية فى جميع أنحاء إمبراطوريته وذلك فى عام ٣٩١ م . راجع : د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١١ .

(٢) Vycichl, la Vocalisation de la langue Egyptienne, BdE 16, (1990), p. 8 .
وأيضا : د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر، ص ٦٩ – ٧٠ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها- الموسوعة المصرية، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٣٤٢ .

(٣) فقد عثر على اسمى ديكيوس (٢٤٩ – ٢٥١م) وديوكليتيان (٢٨٤ – ٣٠٥م) والنص الذى يخص هذا الأخير فى فيلة يرجع إلى العام الثانى عشر من حكمه أى عام ٢٩٦م ، راجع : Gardiner, Egyptian Grammar, p. 1; Vycichl, op. cit., p. 8; James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 82 .

(٤) Gardiner, op. cit., p. 11.

(٥) Vycichl, op. cit., p. 8.

(٦) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١١٢ .

وكما أثارت الآثار المصرية بكل عصورها حب استطلاع الرحالة والكتاب والفلاسفة اليونانيين منذ القرن الخامس قبل الميلاد نجد أن الكتابة الهيروغليفية قد أثارت حب استطلاعهم بدرجة أكبر لغموضها .

فهناك إشارات متفرقة عن الهيروغليفية على اعتبار أنها هى الأساس الذى يجب الاعتماد عليه فى تفسير بعض الأحداث التاريخية كما ذكر ذلك " هيرودوت " الذى جاء إلى مصر فى حوالى عام ٤٤٨ ق. م .

وفى القرن الأول قبل الميلاد ذكر " ديودور الصقلى " الذى زار مصر فى عام ٥٩ ق. م . أن الكتابة الهيروغليفية هى كتابة مجازية لا تنطق .

كما ذكر " يوسيفوس " الذى عاش فى القرن الأول الميلادى أن المصادر التى اعتمد عليها مانيتون فى كتابة تاريخه كانت مصادر كتبت بالهيروغليفية .[١]

كما أبدى " شرمون " الذى كان فيلسوفا ولغويا ومعلما لنيرون فى الفترة ٥٤ إلى ٦٨ ميلادية وأصبح بعد ذلك مديرا لمعهد الإسكندرية أو دار المجمع العلمى : الموسيون ، بعض ملاحظاته بالنسبة للكتابة الهيروغليفية وذلك فى مخطوط لم يصلنا منه سوى مقتطفات موجزة ، وقد حاول من جانبه أثناء إقامته فى الإسكندرية وبحكم إطلاعه على المخطوطات والبرديات أن يتوصل إلى نطق بعض حروف الكتابة الهيروغليفية .

كما أننا نجد أن " بلوتارخ " الذى عاش بين أعوام ٥٠ ، ١٢٥ ميلادية وزار مصر قد تحدث عن أسطورة إيزيس وأوزيريس ، قارن فى حديثه عن هذه الأسطورة بين الكتابة الهيروغليفية التى كتبت بها هذه الأسطورة وتعاليم بيثاجوراس[٢] ، وأخيرا ذكر " تاكيتوس " المؤرخ اللاتينى الذى ولد فى روما حوالى ٥٥ – ١٢٠ ميلادية إلى أهمية الهيروغليفية فى معرفة التاريخ .[٣]

---

(١) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 11 (9) .

(٢) Petit Larousse, Paris 1967 (1634) .

(٣) Gardiner, op. cit., p. 11 (9) .

وحاول الكاتب والطبيب المسيحى " كليمنت السكندرى " الذى عـــاش فـــى القرن الثانى الميلادى (حوالى عام ٢٠٠ ميلادية) [١] كما ذكرنا من قبـــل أن يبـــدى بعض ملاحظاته عن هذه الكتابة مشيرا إلى تفسير أدق لطبيعة الهيروغليفيـــة . فكـــان أول من استخدم كلمة " هيروغليفية " والتى تعنى حرفيا " النقـــوش المقدســـة " وهـــى تسمية صحيحة لأن أغلب النقوش فى العصر المتأخر قد نقشت على جدران المعابد . ولكن تعبيراته كانت مشوبة بالكثير من الغموض يجعلها لا تلتقى مع أفكار الغالبية من العلماء .[٢]

ولكن أضخم ما وصل إلينـــا هـــو كتـــاب عـــن " الهيروغليفيـــة " كتبـــه " هورابوللون " ، الذى كان أديبا مصريا عاش فى القرن الرابع الميلادى ، وأعطـــى تفسيرات مجازية للعديد من الأسماء والعلامات . ولكن نعلم أن التفسير المجازى غير صحيح مطلقا بل هو مضلل فى أغلب الأحيان .[٣]

وأخذت محاولات اكتشاف سر هذه الكتابة وتلك اللغة تزداد شيئا فشيئا بيـــن الهواة وغير المتخصصين والمتخصصين الأجانب منذ بدايـــة القـــرن الســـابع عشـــر الميلادى مع ازدياد إقبالهم على دراسة الآثار المصرية .

وكما ذكرنا من قبل فمع " كيرشر Kircher " فى منتصف القـــرن الســـابع عشر بدأت محاولات طويلة توصل فيها إلى أن الأسماء المصرية القديمة وصلت إلينا عن طريق الروايات التى يمكن شرحها وتفسيرها عن طريق نطق الحروف القبطية . واستنتج أيضا أن الكتابة القبطية لم تكن إلا صورة أخيرة من تطور كتابات أو خطوط اللغة المصرية القديمة . وعلى الرغم من هذه النتيجة الإيجابية إلا أن كيرشـــر ضـــل الطريق تماما بالنسبة لمعرفة طبيعة الحروف الهيروغليفية وأراد أن يرى فيها كتابـــة رمزية فقط . وكان شأن هذا العالم شأن عالم آخر جاء بعده هو المستشرق الألمـــانى

---

(١) Gardiner, op. cit., p. 11 (9) .

(٢) Baines – Malek, op. cit., p. 15 .

(٣) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 44

" يابلونسكى Jablonski " الذى أعطانا تفسيرات غريبة لحقيقة اللغة المصرية القديمة .[١] ونشر كتابا عن الديانة المصرية : Religion Egyptian, 3 vols. 1750 – 52 . وحدثت محاولات عديدة بعد ذلك حاول المعاصرون استغلالها لمعرفة المزيد من اللغة المصرية القديمة . فقد حاول الألمانى تيشسن – Tychsen المتخصص فى الدراسات العبرية أن يحل رموز الكتابة الهيروغليفية والكتابة المسمارية ونشر نتائج أعماله فى مؤلفين[٢] :

- Uber die Buchstabenschrift der alten Aegypter, Gottinen, 1790.
- De Cuneatis Inscriptionibus Persepolitanis Lucubratio, 1793 .

ولكن المحاولات الجدية والعملية لم تبدأ إلا بعد اكتشاف حجر رشيد .

ثالثا : اهتمام العلماء الأجانب بدراسة الكتابات التى نقشت على حجر رشيد ومحاولة قراءة علامات ورموز الكتابة الهيروغليفية من عام ١٨٠٢ حتى عام ١٨٢١ : بعد نجاح الحملة الفرنسية على مصر وبالتحديد فى شهر أغسطس من عام ١٧٩٩ كان أحد ضباط المدفعية فى جيش بونابرت بيير – فرانسوا –اكسافييه بوشار – Bouchard مكلفا بتقوية أساسات وبقايا جدران قلعة قايتباى (التى سميت وقت الاحتلال الفرنسى باسم حصن سان جوليان نسبة إلى أحد القواد الفرنسيين) . وكانت تبعد حوالى ٣ كم شمال مدينة رشيد .[٣] وكان يقوم بهذا العمل خشية دخول الأسطول الإنجليزى مصر عبر فرع رشيد . وهذه القلعة غير قلعة قايتباى التى شيدت فى الإسكندرية .

وأثناء عملية حفر أحد الخنادق عثر على حجر من البازلت الأسود ارتفاعه ١١٣ سم وعرضه ٧٥,٥ سم وسمكه ٢٧,٥ سم به أركان مهشمة ولوحظ أن هناك

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 24 – 25; Dawson who was who in Egyptology, p. 149 .

(٢) Dawson, op. cit., p. 290 .

(٣) Les Guides Bleus : Egypte, Paris 1956, p. 62 .
فكانت توجد برشيد بقايا قلعة أقامها السلطان المملوكى قايتباى فى القرن الخامس عشر الميلادى عرفت باسم " برج رشيد " فلم يجد بوشار أفضل من هذا المكان ملائمة لعمل التحصينات العسكرية بعد تقوية أساساته وبقايا جدرانه .

جزءا كبيرا من أعلى الناحية اليسرى وأعلى الناحية اليمنى قد تهشم ، بالإضافة إلـــى الركن الأسفل من الناحية اليسرى .

وعرف هذا الحجر باسم " حجر رشيد " نسبة إلى المكان الذى عـــثر فيـه عليه .[١]

ويحمل هذا الحجر كتابات ثلاث :

الهيروغليفية والديموطيقية والآيونية (كما يسميها النقش والمقصـــود بـها اليونانية القديمة) ونظرا لتهشم أجزاء من الحجر من أعلى وأسفل فنجد أن ما بقـــى من النص المكتوب بالخط الهيروغليفى يبلغ حوالى أربعة عشر سطرا فقط .

وبقى من النص المكتوب بالخط الديموطيقى حوالى اثنين وثلاثيـــن ســطرا وبقى من النص المكتوب بالآيونية (أى اليونانية) أربعة وخمسين سطرا .[٢] أى هذا

---

(١) Andrews, The Rosetta stone, London 1982; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, Paris, 1959 p. 253 – 254; Budge, A History of Egypt, vol. VII, chap. 1-III, New York, 1902, p. 161 n. (1); Id., Books on Egypt and Chaldea vol. XVII, p. 93; Id., Guide Brit Mus. London, 1909, p. 270-271; Id., Guide sculpture, p. 258-260; lagier, Autour de la Pierre de Rosette, p. 5; Gauthier, livre des Rois IV, p. 278 (VIII); James, An introduction to Ancient Egypt, London 1979, p. 83; Sethe Urk II, p. 198-214 (37); Thissen LA IV, p. 1186; V, p. 310 – 311 ; PM IV, p. 1 .

(٢) د. عبد العزيز صالح :الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول :مصر والعــراق، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٦ ، ويضيف د. صالح الحقيقة التالية وهى أن الكــاتب المصرى تعمد أن يجعل كتابته بالخط الهيروغليفى فى أعلى الحجر.، وسـجل كتابته الديموطيقية الشعبية فى وسطه ، وجعل الكتابة الأغريقية فـــى أسـفل الحجر ، وذلك يعنى أن الكاتب المصرى حاول بهذه الطريقة أن يعبر عـــن قوميته الدفينة ويظهر اعتزازه بلغته القومية فجعل خطيها فى المقــامين الأول والثانى .

الجزء من النص المكتوب بالآيونية يكاد يكون النص الوحيد الذى وصل إلينا كـــاملا إلى حد ما .[١]

أرسل هذا الحجر فى بداية الأمر إلى مقر " معهد مصر " بالقاهرة ، حيث تم إعداد عدة نسخ من كتابات هذا الحجر بواسطة كبار الرساميين الفرنسيين الذين قاموا بتسجيل نسخة من هذه الكتابات فى كتاب وصف مصر وذلك تنفيذا لأوامر بونابرت .

وقام علماء الحملة الفرنسية بنسخ ما كتب علـــى حجـــر رشـــيد ، وقـــاموا بتصويره فوتوغرافيا ، كما صنعت منه قوالب تداولت فى أنحاء العالم .

نقل حجر رشيد بعد ذلك إلى منزل الجنرال " مينو " بمدينـــة الإســـكندرية . وبسبب الصراع الذى كان قائما بين الإنجليز والفرنسيين فى هذه الفترة للاستيلاء على مصر . قام الإنجليز بحصار الفرنسيين بالإسكندرية أكثر من شـــهرين تحـــت قيـــادة مينو .[٢] واضطر الفرنسيون نتيجة لحصارهم إلى التفاوض مع القيادة الإنجليزيـــة . ففى أول يناير من عام ١٨٠٠ كان كليبر القائد الأكبر للحملة الفرنسية فى مصر بعـــد

---

(١)هناك أكثر من لوحة من العصر البطلمى كتب عليها بـــالخطوط الثلاثـــة : لوحة أو مرسوم كانوب التى عثر عليها فى كـــوم الحصـــن مـــن عصـــر بطلميوس الثالث ، وهى موجودة بالمتحف المصـــرى تحـــت رقـــم CG 22186، راجع :Gauthier, LR IV, p. 257 (1), 261 ولوحـــة عـــثر عليها فى ميت رهينة من عصر بطلميوس الرابع وهـــى موجـــودة أيضـــا بالمتحف المصرى تحت رقم CG 31088 ، راجـــع : Gauthier, LR IV, p. 271 (B), 274 (G) ونص ثالث عثر عليه فى الإسكندرية من عصر بطلميوس العاشر وهو موجود بالمتحف المصرى ، راجع :

Gauthier, LR IV, p. 350 (XIII) .

(٢) وذلك بعد هزيمة الفرنسيين فى معركة أبو قير فى ٢١ مارس ١٨٠١ التى يسميها الإنجليز فى تاريخهم الحربى معركة الإسكندرية .

سفر بونابرت يفاوض الباب العالى ليعقد الصلح وتجلى قوات فرنسا عن مصر على مراكب إنجليزية وتسليم البلاد للحكومة العثمانية . وفى ٢٤ يناير وقع على الاتفاق المعروف باسم اتفاق العريش واستعد الفرنسيون للرحيل . ولكن الأميرال كيث الإنجليزى أبلغ كليبر بأن حكومة إنجلترا لا تعترف باتفاق العريش وعلى الجيش الفرنسى أن يسلم . وفى ٢١ مارس أعلن كليبر أنه ألغى اتفاق العريش وأنه لا يرضى الذل وسار برجاله لمقاتلة الجيش التركى فى موقعة عين شمس فانتصر وعاد إلى القاهرة فوجد إبراهيم بك أحد كبار المماليك قد دخلها وحرض أهلها على الثورة ضد الفرنسيين فضربها عشرة أيام (المعروفة باسم ثورة القاهرة الثانية وكان مركزها بولاق) ثم دخلها وولى مراد بك وفى ١٤ يوليو قتل كليبر . وفى أول عام ١٨٠١ وصل جيش إنجليزى عدده ٣٠ ألفا بقيادة إيبر كرمبى ووصل جيش تركى عدده ٨٠ ألفا وأحاطوا بالفرنسيين وأخرجوهم من القاهرة فى ٢٥ يونيو ١٨٠١ ومن الإسكندرية فى ٢ سبتمبر . وتم الاتفاق على أن يقوم الفرنسيون قبل جلائهم فى أكتوبر من نفس العام بتسليم عدد كبير من الآثار التى كانت تحت أيديهم للإنجليز [1] كهدية إلى الملك جورج الثالث الذى أهداها بدوره إلى المتحف البريطانى . وكان من بينها حجر رشيد الذى نقل إلى إنجلترا فى فبراير عام ١٨٠٢ .[2] ووضع أولا فى

---

(١) وطبقا للبند ١٦ من هذا الاتفاق الذى عرف باسم معاهدة الإسكندرية لعام ١٨٠١ تم الاتفاق على تسليم جميع الآثار إلى الإنجليز وبالفعل وصل بعد هذا الاتفاق الدبلوماسى الإنجليزى وليام هاميلتون – W. Hamilton وكان سكرتيرا لسفير بريطانيا فى اسطنبول . وكان أول عمل اضطلع به عند وصوله هو المطالبة بحجر رشيد الذى كان الفرنسيون على وشك الإفلات به مخالفين نصوص الاتفاق ، فاستولى على سفينة كانت تتأهب للإقلاع خلسة لأنها كانت تحمل ثروة من الآثار من بينها حجر رشيد الشهير، راجع: د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء والقرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٢٨٩–٢٩٠ ؛ وأيضا : Dawson, op. cit., p. 132

(٢) James, An Introduction to Ancient Egypt, Oxford 1979, p. 84 .

الجمعية الأثرية بلندن ، ثم نقل بعدها إلى المتحف البريطانى ويحمل الآن رقم ٢٤ ، حيث أصبح منذ هذا التاريخ من أهم القطع الأثرية والتاريخية بالمتحف البريطانى . ويوجد بالمتحف المصرى بالقاهرة نموذج مقلد لهذا الحجر .[(١)]

وشهدت الفترة من ١٨٠٢ إلى ١٨٢١ نشاطا جادا من جانب العلماء الأجانب الذين بدأوا يهتمون بدراسة الكتابات التى نقشت على حجر رشيد أى بدأ النشاط الفعلى فى مجال اللغة ومحاولة قراءة الكتابة الهيروغليفية وفك رموزها ومعرفة القيم الصوتية لعلاماتها والكشف عن أسرارها .

فمع بداية عام ١٨٠٢ بدأت محاولات العلماء لدراسة الخطوط الثلاثة التى سجلت على حجر رشيد ومحاولة فك رموز علاماتها ومعرفة أسرارها لأنهم أدركوا أن هذه الوثيقة الهامة تتيح لهم أكثر من غيرها فرصة أفضل لحل رموز الكتابة الهيروغليفية .[(٢)] فقد نشرت جريدة " بريد مصر Le Courrier d'Egypte " أن النص اليونانى ما هو إلا ترجمة حرفية للنص نفسه المكتوب بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى ، ولهذا أقبل العلماء على مقارنة الكتابات الثلاث على الحجر التى تختلف فى طريقة الكتابة وشكلها ولكنها تتفق فى المضمون والمعنى .[(٣)]

اعتقد العلماء أن المشكلة تبدو سهلة إلى حد ما ، حيث أن هناك نص كتب بلغة أو بخط لغة معروفة وهى اليونانية ، كتب النص نفسه بكتابتين أخريين غير معروفتين (هما الهيروغليفية والديموطيقية) ، فالحل إذن هو محاولة عمل مقارنة مواضع كل كلمة فى كل جملة من ناحية فقه اللغة .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية، ص ٨٤-٨٥ حاشية(١)؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، دار المعارف ١٦٨٠ ، ص ١٦ - ١٩ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٦ ؛ وأيضا : James, op. cit., p. 80-89 .

(٢) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 24

(٣) Posener, op. cit., p. 253 – 254 .

ولكن العلماء فشلوا فى الوصول إلى نتائج إيجابية عند تطبيق هذه الطريقة ، لأن بداية النص بالهيروغليفية مهشمة ولا يعرف عدد السطور المفقودة كما أن النص الديموطيقى ينقصه أيضا بعض المفردات . وكان من المعتقد بأن المقارنة باليونانية سوف تساعد على نطق بعض الحروف فى النص الهيروغليفى ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل أيضا .

ومن هنا بدأ العلماء يتجهون وجهة أخرى وهى دراسة كل نص على حدة فأقبل بعض العلماء على دراسة النص اليونانى لأن اللغة اليونانية القديمة لا تختلف عن الحديثة كثيرا ، فقاموا بترجمة النص إلى عدة لغات ، إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية . وكان من أهم تلك الترجمات ما قام بـه الإنجليزى " ستيفن وستون Stephen Weston " عام ١٨٠٢ .[١] وقد أفصحت ترجمة النص اليونانى عن معنى مضمونه ، فهو عبارة عن مرسوم أصدره كهنة منف فى عهد بطلميوس الخامس فى ٢٦ مارس من العام التاسع لحكم هذا الملك عام ١٩٦ ق. م .

ويحدثنا هذا المرسوم الذى أصدره مجمع الكهنة بأن بطلميوس الخامس قام بخدمات كبيرة للمعابد والمعبودات المصرية وأنفق الهبات الطائلة لكى يعيد للمعابد رفاهيتها ، وأمر بأن تحتفظ المعابد بكافة الموارد التى كانت لديها فى عهد أبيه دون دفع ضرائب عليها وأحيا ما أهمل من طقوس دينية فى هذه المعابد ، وقدم الهدايا إلى المعبودين أبيس ومنيفس وسائر الحيوانات المقدسة الأخرى التى كانت تقدس فى المعابد المصرية فى منف وهليوبوليس ومندس وطيبة وذلك أكثر مما قدم إليها الملوك السابقين . ووجه عناية كبرى إلى دفنها طبقا للطقوس المتعارف عليها وطبقا لما يقدم إلى هياكلها ، وقام بزخرفة معبد أبيس ، وأقام معابد ومقاصير وهياكل أخرى وأصلح ما كان يحتاج منها إلى ترميم . وبسبب كل هذه الأعمال الخيرة قرر الكهنة جميعا أن تقام لهذا الملك فى أبرز مكان فى كل معبد تمثال ينحت على الطريقة المصرية ويوضع هذا التمثال بجوار تمثال المعبود الرئيسى فى المعبد ، وأن يقيم الكهنة

---

(١)ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٨٥ ؛
Gardiner, Egyptian Grammar , p. 12 .

الطقوس الدينية للتمثالين معا ثلاث مرات يوميا كما هو متبع فى الطقوس اليومية داخل المعابد الكبرى ، وأن يقام لهذا الملك فى كل معبد تمثال وهيكل من الذهب يوضعان فى قدس الأقداس مع الهياكل الأخرى ، وأن يقام حفل كبير فى المعابد فى السابع عشر وفى الثلاثين من كل شهر وذلك لأن الملك توج فى السابع عشر من شهر بابه ، وولد فى الثلاثين من شهر مسرى .

وأن يقام فى كل المعابد سنويا عيدا إجلالا للملك يستمر خمسة أيام ، يبدأ فى اليوم الأول من شهر تحوتى ، وأن يحمل الكهنة لقب كهنة ابيفانس المقدس إلى جانب ألقابهم الكهنوتية الأخرى ، وأن يذكر اسم كاهن تمثال هذا الملك فى الوثائق الرسمية ، وأن يكتب هذا المرسوم على لوحة من الحجر بالخطوط الرسمية الثلاثة المعروفة والمتداولة فى هذا العصر وهى : الهيروغليفية والديموطيقية والآيونية (اليونانية) .[١]

وتقام فى كل معبد من معابد الدرجات الأولى والثانية والثالثة .[٢]

----

(١)د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٧-٣٨ .

(٢) يذكر د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢١ حاشية (١-٤) بأنه عثر على أربع نسخ أخرى من حجر رشيد ، وهى موزعة فى الأماكن الآتية :

نسخة بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى كتبت على جدران معبد إيزيس فى فيلة ، ونسخة ثانية : كتبت بالخط الهيروغليفى على لوحة نقراطيس ، ونسخة ثالثة كتبت على جدران معبد ايموحتب فى فيلة ، ونسخة رابعة كتبت على جدران معبد ادفو . وهذا غير صحيح بالنسبة للمصدرين الآخرين . وقد تم العثور حتى الآن على سبع نسخ من نص حجر رشيد فى الأماكن الآتية :

سوف نقوم بترتيبهم حسب تاريخ الحكم الذى ورد فى النص : ===

ويبدو أن حجر رشيد كان جزءا من لوحة كبيرة كاملة الأطوال والأبعاد وكانت مقامة فى معبد من الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة طبقا لما جاء فى مرسوم

=== ١- على جدران صالة الأعمدة لمعبد الميلاد المقدس (الماميزى) فى معبد فيله الحائط الخارجى ، الجانب الشرقى ، أعلى المناظر ، يوجد نصان بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى ، سجل بطلميوس الخامس فى الأول تخصيص عيد بمناسبة إخضاع ومعاقبة الثوار فى طيبة فى مصر العليا ، والآخر سجل فيه تخصيص عيد لتكريم زوجته الملكة كليوباترا الأولى ، راجع : Gauthier , LR IV, p. 281 . n (1)

-بهذه المناسبة سجل فى هذا المكان النسخة الأولى من هذا المرسوم وكان الأصل على حجر رشيد مؤرخا بالعام التاسع أما هذه النسخة فهى مؤرخة بالعام ١٩ من حكم بطلميوس الخامس وكتبت أيضا بالهيروغليفية والديموطيقية ، راجع :

- Sethe, Urk 11 , p. 214 – 30 (38) .
- L D IV, 20 b.
- Brugsch, Sammlung Demotischer Urkunden, I pl. III .
- Gauthier, L R IV, p. 203 (XVIII), p. 281 (XXII) 283 (XXIX), p. 286 (XL II A – B) .
- PM VI, Upper Egypt chief Temples, p. 228 (225 – 226) .

يعتبر مؤلف PM أن هذا النص هو المرسوم الثانى ويعتبر النص الثانى المؤرخ بالعام ٢١ هو النص الأول .

٢- النسخة الثانية من هذا المرسوم نجدها على لوحة المتحف المصرى رقم : CG 22184 مصدرها إحدى مدن الدلتا ، عليها نص بالخط الهيروغليفى فى حالة سيئة من الحفظ ، ونجد أن البروتوكول والجزء الأخير مطابق لما جاء على حجر رشيد ، وهى مؤرخة بالعام ٢٠ من حكم بطلميوس الخامس ، راجع : Kamal, Stèles Ptolémaiques et Romaines CGC, p. 177 – 181, pl. 58 .

====

حجر رشيد . وكان هذا المعبد الرئيسى أو الثانوى مشيدا على بعد ٣ كم شمال مدينة رشيد على الفرع الغربى للنيل (فرع بالبتين Balbitine) وكان مؤرخا من العصر

==== ٣- النسخة الثالثة منقوشة فى فيله فى المكان نفسه الذى ذكرناه مؤرخة بالعام ٢١ من حكم بطلميوس الخامس ، كتب بالهيروغليفية والديموطيقية ، قام بنشر النص الهيروغليفى : Sethe, Urk 11, p. 198 – 214 (37)
Salt, Essay on Dr. Young's and M. Champollions phonetic system of Hieroglyphics, p. V. (1,2) ; LD IV, pl. 20 a .
وجزء من النص الديموطيقى نشر فى LD VI, Pl 26 – 34

٤- لوحة المتحف المصرى رقم CG. 22188 : تم شراؤها فى دمنهور ولكن مكانها الأصلى كان فى معبد نقراطيس (كوم جعيف) عليها نسخة أفضل ولكن مختصرة للنص بالخط الهيروغليفى لما جاء على حجر رشيد وهى مؤرخة بالعام ٢٣ من حكم بطلميوس الخامس ؛
Kamal, Stèles Ptolémaiques Romaines CGC, p. 183-187, pl. 62-63.
Gauthier, LR IV, p. 203 (XVII, XIX), p. 262 (N), p. 274 n. (1), p. 282 (XXVI) .
PM IV, p. 50 .

٥- لوحة اشتراها المتحف المصرى عام ١٩١٠ ، وهى مؤرخة بالعام ٢٣ من حكم بطلميوس الخامس ، السطرين الأوليين يعطيان برتوكول اسم الملك كما جاء على لوحة نقراطيس والسطرين السادس والثامن يتشابهان مع ما جاء فى فيلة ؛ Daressy , RT 33 (1911), 2- 8
Gauthier, LR IV, p. 282 n. (2) .

٦- لوحة عثر عليها فى أصفون المطاعنة فى مقصورة من العصر البطلمى وهى مؤرخة بالعام ٢٣ من حكم بطلميوس الخامس . وهى الآن بالمتحف المصرى : تحت رقم JE 4401 ، راجع :

=== Daressy , RT 38 (1916), p. 175 – 79 ; PMV, p. 165 .

البطلمى .[١] وفوق مكان هذا المعبد شيد قايتباى قلعته (التـى سـميت أيـام الحملـة الفرنسية باسم حصن سان جوليان) ولهذا عثر بوشار على هذا الحجر فـى أساسـات القلعة .[٢]

=== ٧- عثر فى أسوان على ثلاثة بقايا للوحة مؤرخة عن عصـر بطلميـوس الخامس ، ولم يعثر فى النص على تاريخ محدد نظرا لتهشم اللوحة ، ولكـن ما جاء على اللوحة هو نص مختصـر وصـورة طبـق الأصـل للنـص الهيروغليفى على حجر رشيد . وقد عثر عليها كل من كلرمون – جانو وكلدا فى حفائرهما فى جزيرة الفنتين فى عام ١٩٠٧ ، راجع :
Daressy, RT 33 (1911), p. 1 (c); PM V, p. 243 . وكـان الغرض من تسجيل كل هذه النسخ (وربما هناك غيرها) هـو أن يتعـرف أكبر عدد من أهالى البلاد فى الصعيد والدلتا علـى المـآثر التـى حققـها بطلميوس الخامس للمعابد المصرية وكهنتها . وذلـك للتخفيـف مـن حـدة الثورات المصرية التى كان لها تأثير على سياسة القصر فى عصر بطلميوس الرابع والخامس ، تم إلغاء بعض الضرائب وتنازلت الدولـة عـن ديونـها وصدر عفو شامل عن الجنود المصريين الذين انضموا إلى الثورة وتنـازل القصر عن كثير من الامتيازات للكهنة وازدياد مكانة العنصر المصرى ممثلا فى الكهنة ، راجع : د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلـى الفتح العربى . ص ٨١ – ٨٢ .

(١) عن هذا المعبد البطلمى أو معبد بولبيتينوم ، راجع :
Cary, A History of the Greek World from 323 to 140 B. C. (London 1932), p. 217 .
وأيضا ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ترجمة د. عبد اللطيف على ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢) د. محمود درويش : الاستحكامات الحربية بمدينة رشيد من العصر المملوكى حتى عصر محمد على ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآثار – جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١٣ .
يرى كل من د. جليلة جمال – د. محمد طاهر – د. محمد حسام فى مؤلفهم : رشيد ، النشأة – الازدهار – الانحسـار ، دار الآفـاق العربيـة ، القـاهرة ١٩٩٩، ص ٣١ ، ٣٣ " ان رشيد هى بولبتين القديمة ، وان حجر رشيد كان مقاما أصلا فى معبد آتوم فى سايس ونقل بعدها إلى موقع القلعة " ونعلم ىن آتوم كانت له عبادة هامة فى سايس فى عصر الأسرة السادسة والعشـرين ، راجع : R. el Sayed, Doc. Relatifs a'Sais, p. 51-52 n. (2)
وهذا يجعلنا نتساءل لما لا يكون هذا الحجر كان مقاما أساسا فى معبد نيـت فى سايس نفسها ؟

وربما يكون هذا الحجر الذى عثر عليه فى موقع رشيد ما هــو إلا نسـخة أخرى من الأصل الذى كان مقاما أساسا فى معبد منـف الرئيسـى وأمـر بوضعـه بطلميوس الخامس وأمر بوضع نسخة أخرى منه فى معـابد أخـرى فـى مختلـف الأقاليم .

وكان أول من حاول فك رموز هذا الحجر ، هـو المستشـرق الفرنسـى " سيلفستر دى ساسى Silvstre de Sacy " الذى كان أستاذا لشامبوليون والـذى بـذل جهودا مضنية فى البحث ولكنه لم يصل إلى نتائج تذكر .[١] فقام بتسليم النسخة التـى كان يعمل عليها إلى الدبلوماسى السويدى " اكربلاد Akerblad " الذى كرس جهـوده للدراسات الشرقية فى باريس ، وبدأ فى محاولة قراءة الكتابة المختزلة تحـت النـص الهيروغليفى مباشرة مدركا أنه الخط الديموطيقى الذى اشار إليه هيرودوت من قبل .

وفى خلال مدة لا تتجاوز الشهرين نجح فى مقارنة أسماء الأعلام فى كـل من النصين اليموطيقى واليونانى ، واستطاع أن يميز حوالى نصف حروف الهجاء فى هذه الأسماء ، واستطاع أيضا أن يقرأ هجائيا اسم الملك بطلميوس فـى اليموطيقيـة . وتوصل إلى معرفة بعض المفردات مثـل كلمـة " المعـابد " و " اليونـانيون " أى (البطالمة) . وتعرف كذلك على ما سمى فيما بعد بواسطة علماء اللغـة المصريـة القديمة الأجانب بالضمير اللاحق Suffix pronoun للشخص الثالث (إف F) فـى حالة المفعول به (him) وفى حالة الملكية (his) .[٢]

وأرسل فى عام ١٨٠٢ خطابا إلى مسيو " دى ساسى " : [٣]

" Lettre `a M. de Sacy in 1802 "

---

(١) Dawson, who was who in Egyptology, Oxford, 1972, p. 270 – 71 .

(٢) Dawson, op. cit., p. 4 ; James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 84 .

(٣) Dawson, op. cit , p. 4 .

يخبره فيه عن محاولاته التى نجح فيها . ولم يبذل اكربلاد أيـــة مجهـــودات أبعد من ذلك .

وقام رجل الدين والكاتب الإنجليزى " واربرتـــون Warburton " بدراســـة ارتجالية لا تقوم على أسس علمية سليمة .[١]

ونشر مؤلفه " وصايا موســـى Legation of Moses 1738 " . وقـــام الباحث الفرنسى فريه Feret بمحاولة لقراءة علامات الكتابـــة الهيروغليفيـــة ونشـــر مؤلفه : " محاولة عـــن الهيروغليفيـــة العلميـــة Essai sur les Hiéroglyphes Scientifiques, 1744 " وهو شبه تعليق على أعمال واربرتون وأعمال أخرى تتصل بالفلك القديم والأوزان والمقاسات .[٢]

وحاول القسيس الكاثوليكى الإنجليزى " نيدهام Needham " أن يثبـــت أن يثبت أن هناك صلة وثيقة بين الكتابة الهيروغليفية والصينية .[٣]

جاء من بعده العالم الإنجليزى " توماس يونج Thomas Young " وهـــو عالم طبيعة وفيزيائى ، أهم اكتشافاته نظرية " تموج الضوء " عـــام ١٨٠٢ (والتـــى نشرت عام ١٨٠٧) فإلى جانب ميوله العلمية كان يستهويه كل شئ محير وغـــامض فى أكثر من مجال وكان من هواة معرفة كل شئ محير وغامض فى أكثر من مجـــال وكان من هواة دراسة ومعرفة اللغات القديمة . وبدأ يهتم بعلم الدراســـات المصريـــة وحجر رشيد من خلال قراءته لمقال لأدلنج Mithridates Adelung . وكـــان أول عمل له فى الآثار المصرية هو حصوله على بردية ممزقة أحضرها السير " بوجتون Boughton " من الأقصر ، ومن هذه البردية عاد إلى دراسته لحجر رشـــيد . ففـــى

---

(١) Dawson, op. cit., p. 298 . وأيضا : ألفه نخبة مـــن العلمـــاء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٥ .

(٢) Dawson, op. cit., p. 103 .

(٣) Id., op. cit., p. 215 .

عام ١٨١٤ حصل على نسخة من نص حجر رشيد واستعان بالنتائج التى توصل إليها اكربلاد . وبدأ دراسته لكتابات حجر رشيد عام ١٨١٤ حتى عـــام ١٨١٨ . ولـــو أن عمله لا يقارن بما حققه شامبوليون إلا أن يونج توصل إلى حقيقة أن هناك صلة بيـــن اليونانية والقبطية لأنه اكتشف أن هناك أسماء ثلاثة أشهر فى النص اليونـــانى علـــى حجر رشيد تتفق مع الأسماء القبطية المعروفة . وتخلى عن الأبجدية التى توصل إليها اكربلاد فى الديموطيقية . واتفق معه دى ساسى فيما توصل إليه ورأى أن المصريين القدماء استخدموا الحروف الأبجدية وغير الأبجدية فى النصوص .[١] وأشار إلـــى أن الحروف الديموطيقيةمشتقة فى بعض الحالات من الهيروغليفية وأنهما يحويان مقاطع لفظية مشتركة ولاحظ أن النص اليونانى كان مليئا بعلامات تتكرر فـــى كـل سـطر وكانت لديه فكرة عن شكل الخطين الهيروغليفى والهيراطيقى . وذلك بعـــد إطلاعـــه على بردية فى عام ١٨١٦ كتبت بالخطين الهيروغليفى والهـــيراطيقى وهـــى برديـــة تحتوى على فصول من كتاب الموتى واستطاع أن يتعرف على الأشكال المختصـــرة لبعض العلامات وأرجعها إلـــى أصلهـــا الهـــيروغليفى بعـــد قراءتهـــا فـــى النـــص الهيراطيقى [٢] ، وأشار إلى أن البرديات الجنائزية من الدولة الحديثة لها خاصية معينة فى الكتابة (أى الهيراطيقية) . وكان متأكدا أن كلا من الديموطيقيـــة والهيروغليفيـــة يحتويان على عناصر صوتية .

كما قام يونج بفحص مجموعة من الآثار التى جمعتها البعثة الإنجليزية التى تحمل اسم " الجمعية المصرية " أثناء حفائرها فى مصر . وأثبت يونـــج صحـــة مـــا توصل إليه كل من الأب الفرنسى " بارتليمى Barthelemy " الذى كان تاجرا للآثـــار ومتخصص فى المسكوكات وباحث [٣] والمستشـــرق الفرنســـى " دى جويجنـــس de Guignes " وتاجر الآثار الدنمركى والباحث " زوجا Zoega " الـــذى عـــاش فـــى

---

(١) Lefebvre, Grammaire de l'Egyptien classique BdE 12, le Caire 1954, p. 48 (72); Dawson, op. cit., p. 312 – 314 .

(٢) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 13 (10) .

(٣) Dawson, op. cit., p. 20 – 21 .

روما . وقد سبق وأن تحدثنا عنه .

ولقد سبق لهؤلاء أن توصلوا إلى أن الخانات البيضاوية أو المستطيلة الشكل فى كتابات حجر رشيد كانت تحتوى على أسماء ملوك وملكات البطالمة [١] . وأطلق علماء الدراسات المصرية القديمة على هذه الخانات البيضاوية اسم " الخراطيش " .

وقد نجح يونج فى تقسيم النص الديموطيقى على حجر رشيد إلى ست وثمانين مجموعة من المفردات وقارنها بما جاء فى النص اليونانى .

وقد اتجه تفكيره إلى البحث عن إيجاد كلمة فى النص اليونانى متكررة أكثر من مرة ، ثم بحث فى النص الديموطيقى عن مجموعة من العلامات متكررة بنفس عدد المرات ومتشابهة فى الشكل . وكانت المجموعة التى تكررت فى كل سطر تقريبا هى واو العطف وكذلك كلمة ملك وبطلميوس ومصر . وهنا حدد العلامات اليونانية وما يقابلها فى النص الديموطيقى وحاول نطقها .[٢]

ولكن القيم الصوتية التى أعطاها لهذه المفردات من الديموطيقية كانت معظمها غير صحيحة . وعلى الرغم من ذلك نجح فى قراءة اسم برنيقة واسم أحد الملوك البطالمة وهو بطلميوس الخامس ، كما نجح فى قراءة بعض ألقاب بطلميوس الخامس مثل " المحبوب من بتاح " " الذى يعيش أبديا " . واقترح بأن إحدى الخانات الملكية (أو الخراطيش) تحتوى على علامة تشبه علامة يتكون منها اسم الملك تحوتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة كما نجح فى التعرف على الضمير اللاحق للشخص الثالث المفرد المذكر هو (إف – F) وحرف التاء (T–) التى تنتهى به المفردات المؤنثة ، والمخصص المستخدم فى نهاية الأسماء المؤنثة (امرأة جالسة) كما أعلن يونج أنه اكتشف العلامات الدالة على الأعداد وطريقة كتابة الجمع .

---

(١) Gardiner, op. cit., p. 13 ; James, op. cit., p. 84 .

(٢) د. محمد حماد : تعلم الهيروغليفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ ، ص ٢٤ .

وللأسف الشديد أن كل هذه الاكتشافات كانت مختلطة ببعض الاستنتاجات الخاطئة ؛ ومن بين الثلاث عشرة علامة التي جاءت في قائمته . نجد أنه نجح في قراءة ست علامات بطريقة صحيحة وثلاث علامات إلى حد ما صحيح وأربع علامات أخطأ في قراءتها وتوقف جهده عند هذا الحد .[1] وترك بعض العلامات دون شرحها والسبب في وجودها مما أدى به إلى الوقوع في عدة أخطاء . وقد سجل يونج كل ما توصل إليه في مذكراته . كما نشرها كذلك في مقاله بملحق دائرة المعارف البريطانية عام ١٨١٩ بعنوان " مصر

ويحتفظ المتحف البريطاني بكل مخطوطاته وأوراقه التي دون فيها ملاحظاته ومحاولاته بالنسبة لقراءة الهيروغليفية بين أعوام ١٨١٤ – ١٨١٨ (Add. Mss 27281 – 27285)

وفي عام ١٨١٩ كون جمعية مصرية لنشر النصوص الهيروغليفية ، وظهرت لوحات هذه الجمعية في أجزاء تحت رعاية الجمعية الملكية للأدب ، ولم يحظ يونج بالتشجيع الكافي لمحاولاته ولم يحصل على التمويل الكافي لتكملة هذا العمل الهام . وفي عام ١٨٢٧ قرر أن يترك محاولاته بالنسبة للخط الهيروغليفي وركز على الخط الديموطيقي .

ونشر يونج ستة عشر عملا علميا أهمها [2] :

- Remarks on Egyptian Papyri and on the Inscription of Rosetta, 1815 .
- Account of some Thebaic Manuscripts written on leather.

---

(١) د. عبد الحميد زايد : نظرات عابرة في العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم ، مجلة عالم الفكر – المجلد الثاني ، العدد الثالث ، الكويت ١٩٧٣ ، ص ١٨٥ .

(٢) Dawson, op. cit., p. 313 .

Ligh's Narrative, 1816 " Egypt ", article in the Supplement to the Encyclopedia Britannica, 1819 .

- Appendix to the second edition of Belzoni's travels, 1821 .
- An Account of some Recent Discoveries in Hieroglyphical literature and Egyptian Antiquities including the author's original alphabet as extended by M. Champollion, 1823 .
- Hieroglyphics, collected by the Egyptian Society , 1823 .
- Rudiments of an Egyptian Dictionary in the ancient Enchorial Character , containing all the words of which the Sense has been ascertained, Appendix to Tattam's Coptic Grammar , 1831 .

ولما كان يونج مشغولا بأبحاثه العلمية وعلاج مرضه ، فقد ترك البحث عن حقيقة رموز الكتابة الهيروغليفية لأحد الفرنسيين النابغين وهو جان فرنسوا شامبوليون . وقام بإمداد هذا الأخير بكل ما توصل إليه من نتائج .

وحاول الرسام وتاجر الآثار الفرنسى " لاكور Lacour " أن يثبت أن هناك صلة وتشابه فى معانى المفردات بين المصرية والقديمة والعبرية وذلك فى مؤلفه [1] :

" محاولة عن الهيروغليفية Essai sur les Hieroglyphes, 1821 "

الذى زوده بأربع عشرة لوحة .

ولاشك فى أن عمل شامبوليون مع أبيه الذى كان صاحب مكتبة قد أثر فى تكوينه الثقافى منذ الصغر وأدى إلى انبهاره بكل ما هو قديم . وكان إطلاعه على خبر العثور على حجر رشيد بجريدة فرنسية بمثابة الشرارة التى أوجدت لديه حماس دفين للتفكير فى معرفة المزيد عن تراث مصر الحضارى ، وعندما أطلع على نسخة من حجر رشيد هنا بدأت تداعب خياله أمنية حميمة وهى البحث فى أسرار اللغة المصرية القديمة وكان ذلك بمثابة الانطلاقة لحماس جاد كان يخفى ورائه الكثير من الآمال والطموحات .

---

(١) Dawson , op. cit., p. 161 .

رابعا : نجاح شامبوليون فى قراءة علامات ورموز الكتابة الهيروغليفيــة علــى " حجر رشيد " وما بذله من جهود فى تسجيل الآثار المصرية ووصفها وما وضعــه من أسس لدراسة اللغة المصرية القديمة من عام ١٨٢٢ حتى عام ١٨٣٠ . تحققت معظم النتائج الإيجابية على يد شاب فرنسى هو : " جان فرانسوا شـــامبوليون Jean Francois Champollion " (١٧٩٠ – ١٨٣٢) ويقـــال لـــه : " شـــامبوليون الصغير Champollion le jeune " للتمييز بينه وبين أخيه الأكبر الذى يحمل اسم " جاك جوزيف شامبوليون فيجاك (إحدى مدن جرنوبل ، شرقى فرنسا) Jacques Joseph Champollion Figeac " (١٧٧٨ – ١٨٦٧) الذى حـــاول أن يكـــون ضمن علماء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ ولكنه لم يوفق من هذا ، وكـــان قد درس تاريخ مصر القديم وشغف به كثيرا ؛ وكان جاك جوزيف مشتركا فى جريدة فرنسية اسمها " رفيق السائح إلى مصر " التى نشرت نبأ العثور على حجر رشـــيد . وكان هناك ابن عم له يحمل نفس الاســـم " دى شامبوليون de Champollion " . وكان ابن عمه هذا قائدا ضمن قوات بونابرت أثناء حملته على مصر . وعندما عـــاد إلى فرنسا حمل معه نسخة مطبوعة من نقوش حجر رشيد . وكـــان جـــان فرانســـوا شامبوليون يبلغ من العمر عشر سنوات فقط واطلعه ابن عمه على هذه النســـخة مـــن كتابات حجر رشيد . ومنذ هذه اللحظة أصبح يسيطر على حياة الفتى الصغـــير حلـــم كبير وهدف واحد ألا وهو الوصول إلى معنى هذه الكتابة الغريبة .[١]

وكان شامبوليون الصغير مغرما منذ صغره بكل ما يخص تـــاريخ مصـــر القديم [٢] . فتعلم وهو فى سن الثانية عشرة العبرية والعربية [٣] . وزاد حماسه لتعلـــم اللغات الشرقية . وكان يشجعه على ذلك أخوه الأكبر جاك جوزيف شامبوليون فيجاك وتعلم التاريخ القديم فى جامعة جرنوبل كما تعلم بعض اللغات القديمة :

---

(١) Sauneron , op. cit., p. 11 – 12 .

(٢) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 13 .

(٣) Id., op. cit., p. 13 .

الكلدانية والسريانية والفارسية والكوشية والنظم الأبجدية لبعض هذه اللغات القديمة . وفى الوقت نفسه كان يتابع بشغف أبحاث سابقيه الذين توقفوا بسبب عدم التوصل إلى حل ، هل اللغة المصرية القديمة بخطيها الهيروغليفى والديموطيقى عبارة عن كتابة تصويرية ؟ وهل كل علامة فيها تعبر عن فكرة معينة أو فعل معين ؟ أم هى كتابة صوتية وكل علامة فيها لها دلالة صوتية كما يوجد فى اللغات الحديثة ؟ وهل هى ذات حروف هجائية أو ذات حروف لها مقاطع لفظية ؟

وأخذت كل هذه التساؤلات تتردد فى ذهنه . وكان يعرف أن كيرشر قد أشار من قبل فى منتصف القرن السابع عشر إلى أن اللغة المصرية القديمة لا تزال تعيش فى اللهجة القبطية ، وهى اللهجة التى كان يتحدث بها الرهبان فى مصر حتى القرن التاسع عشر .[1] لذلك لجأ إلى تعليم اللهجة القبطية . ولم يكن ذلك إلا استعدادا منه لفحص كتابات حجر رشيد .

وبعد تفكير عميق وبحث جاد توصل إلى الحقيقة التالية :

وهى أن النص الهيروغليفى على الرغم من تشوهه يحتوى على كثير من العلامات أكثر من النص اليونانى لذلك كان لابد من تفسير هذه الظاهرة وتوصل شامبوليون إلى أن السبب فى كثرة العلامات يرجع إلى أن اللغة المصرية القديمة لغة رمزية وصوتية فى آن واحد ، وبمعنى آخر ، أنها تحتوى على علامات تقرأ وأخرى لا تقرأ وإنما هى موجودة فى الكلمة لتحديد معناها سواء أكانت فعلا أم اسما .

وفى سن الثامنة عشرة أصبح مدرسا بجامعة نوبل وبعد ذلك ببضع سنوات وضعه تعاطفه مع الجمهوريين فى مشاكل سياسية جادة فقد اتهم شامبليون وشقيقه بأنهما كانا من مؤيدى بونابرت ، وأخذ خصومه المقربون من لويس الثامن عشر وخاصة جومار يؤلبونه عليه . ونفى من جرنوبل وعاد إليها فى عام ١٨١٦ كمدير لمدرسة فى بلدته الأصلية فيجاك . وفى عام ١٨١٧ أى بعد عام من عودته إلى

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 10 .

جرنوبل وإدارته للمدرسة عمل كأمين لمكتبة أكاديمية العلوم المحلية [١] ؛ ولكنه فقد هاتين الوظيفتين فى عام ١٨٢٠ . وفكر هو وأخوه فى الرحيل إلى باريس ، وفى خلال هذه الفترة المضطربة من حياته أدى كل ما تعرض له إلى زيادة إصراره ودفع طموحاته العلمية فى اتجاهات كثيرة . وكان شامبوليون يضيف بصفة دائمة إلى رصيد معرفته من اللغة المصرية واللهجة القبطية [٢] . وكان يحاول دائما إيجاد حلول جديدة للمشاكل حتى توصل إلى الحقيقة بكل وضوح تمهيدا لكشفه الجديد . وسيطرته الكاملة على المادة العلمية المتاحة له هى التى مكنته من أن يتوسع فى اكتشافاته بسرعة وبدقة أبعد مما وصل إليه معاصريه .

وإذا مررنا على طموحات أو كتابات شامبوليون المبكرة نجد أن أول وأهم طموحاته كانت متجهة إلى الجانب الجغرافى فقد أعد مشروعا لموسوعة لكى تظهر فى جزأين ونشر فى بداية حياته كتابين [٣] :

- Introduction a` L'Egypte sous les Pharaons, 1811 .
- L'Egypte sous les Pharaons ou Recherches sur la géographie .
- La Religion , la Langue, les écritures et l'histoire de l'Egypte avant l'invasion de Cambyse, Description géographique, 2 vols, 1814 .[٤]

ولكن إذا عدنا إلى ما توصل إليه ، نجد بأنه قام بدراسة نهائية أوجدت عنده

---

(١) نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة (ترجمة ماهر جويجاتى ومراجعة : د. زكية طبوزاده) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١، ص ١٤ .

(٢) Gardiner, Egyptian Grammar , p. 13 .

(٣) Dawson, who was who in Egyptology , p. 59.

(٤) Gardiner, op. cit., p. 14 .
د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء (القرن التاسع عشر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، ص ١٧٤ – ١٨٠ .

الاعتقاد الراسخ بأن الثلاثة أنواع من الكتابة المصرية ما هى إلا تغيرات فـــى شـــكل العلامة من الواحدة إلى الأخرى أو اختصار من الواحدة للأخرى .[١]

وفى صيف عام ١٨٢١ قام بطبع مذكرته عن الخـــط الـــهيراطيقى تحـــت عنوان [٢] : . De L'écriture hieratique des Anciens Egyptiens 1821 .

ولم يجد أية صعوبات فى إرجاع العلامات الديموطيقية التى يعرفـــها إلـــى أصلها الهيراطيقى ومن ثم إلى الهيروغليفية بفضل معرفته لقراءة اسم بطلميوس فـــى كل من الخطين الديموطيقى والهيروغليفى وأصبح أكثر قربا من كتابات حجر رشيد ، وفى هذا الوقت أصبح أكثر معرفة بالبردية الديموطيقية : " كاساتى Casati " حيـــث وجد عليها ، كما يؤكد كاتب سيرة حياته ، كتابة تعبر عن اسم كتـــب بالهيروغليفيـــة الذى ظنه بحق أن يكون لكليوباترا .

ولكن تأكيد هذا الظن كان يحتاج إلى دليل . وســـوف يأتيـــه التـــأكيد عمـــا قريب . ففى عام ١٨١٥ كان " بانكس Bankes " الذى كان رحالة إنجليزى وجامعـــا للآثار[٣] يقوم بعملية استكشاف في معبد فيلة [٤] ، فعـــثر فـــى المعبـــد المخصـــص لايموحتب[٥] فى فيلة على قاعدة ضخمة مغطاة بالكتابة اليونانية هى عبارة عن تكريم لبطلميوس الثامن (فسكون) [٦] واثنتين من الملكات يحملان اسم كليوباترا ، أحدهمـــا هى الملكة الثالثة [٧] وكان النص اليونانى يحمل شكوى من كهنة فيلة إلى بطلميـــوس

---

(١) Dawson , op. cit., p. 59 .

(٢) Gardiner, op. cit., p. 14; Dawson, op. cit., p. 59.

(٣) Dawson, op. cit., p. 17 .

(٤) Gardiner, op. cit., p. 14.

(٥) نعلم أن بطلميوس الخامس قد شيد معبد ايموحتب فى معبد فيله ، راجـــع : PM VI, p. 213 (63 – 64) .

(٦) يعتبر بانزومالك أن فسكون هو اسم الشهرة لبطلميوس الثـــامن : Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 37 .

(٧) Gauthier, livre des Rois IV, p. 323 n. (2) .

السابع وخطاب من الملك إلى لوخوس .[١]

وبالقرب من القاعدة عثر على مسلة من الجرانيت ملقاة على الأرض ، والتى يبدو أنها كانت مقامة فوق هذه القاعدة الضخمة وعلى أوجه المسلة الأربعة نقرأ ألقاب بطلميوس السابع كتبت بالخط الهيروغليفى .[٢]

وكان هذا الكشف الذى قام به بانكس من العوامل المساعدة لشامبوليون وخاصة بالنسبة لما جاء على المسلة والقاعدة من نصوص كتبت بالخطين الهيروغليفى واليونانى .

وقام " بلزونى " فى عام ١٨١٩ بنقل المسلة وقاعدتها إلى إنجلترا لكى يزينان حديقة مستر بانكس فى كنج ستون لاسى Kingston lacy فى مقاطعة دورست .[٣] وأمر بانكس بعمل نسخة بطريقة الليتوجراف أى الطبع على الحجر للنصين الهيروغليفى واليونانى الموجدان على المسلة والقاعدة وذلك فى عام ١٨٢١ . وفى شهر يناير قدم " لترون Letronne "[٤] (وكان ثريا فرنسيا وباحثا فى الدراسات اليونانية الرومانية) لشامبوليون نسخة من هذين النصين مصحوبة

---

(١) Gauthier , op. cit., IV, p. 324 (LIXA – B)
- Letronne, Recueil d'inscriptions gréques et latines d'Egypte, p. 333, 469 ; PM VI, p. 214 (74) .

(٢) وتكريما لايموحتب قام بطلميوس السابع بإقامة هذه المسلة أمام الصرح الأول لهذا المعبد ، وعلى أوجهها الأربعة يوجد نص كتب بالخط الهيروغليفى ، راجع :
- Gauthier, op. cit., IV, p. 323 (LV111 A-D); Budge, Books on Egypt and Cheldea, Vol. XV11. P. 135-159 .

(٣) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 14; James, op. cit., p. 85.

(٤) اهتم بما توصل إليه يونج وشامبوليون من نتائج فى قراءة علامات ورموز الكتابة الهيروغليفية وقام بنشر المؤلفات الآتية : ====

بملاحظات يونج بالنسبة لقراءة اسم كليوباترا وأيضا بكتابة بانكس بخــط يــده التــى تحتوى الخرطوش الذى يعبر عن اسم الملكة .(١)

ويبدو أن ملاحظات يونج لم تساعد شامبوليون كثيرا أو أنه تأثر بــها بأيــة حال من الأحوال .

وابتداء من هذه اللحظة بدأ شامبوليون يفكر فى قراءة النصين الــهيروغليفى والديموطيقى على حجر رشيد . وقد أمضى شامبوليون فى دراسته لكتابــات حجــر رشيد مدة لا تقل عن العشرين عاما .

وكان من العوامل التى ساعدت شامبوليون ومهدت الطريق لنجاحه هــو أن اكربلاد كان قد نجح من قبل فى قراءة اسم الملك بطلميوس الذى كتب فــى النــص الديموطيقى داخل خانة ملكية ونجح فى قراءته هجائيا أى بحروف الأبجديــة . فلجــأ شامبوليون إلى تحديد العلامات الديموطيقية التى كتب بها اسم بطلميوس فى النــص الديموطيقى وقارنها بالعلامات الهيروغليفية التى كتب بها نفس الاســم فــى النــص الهيروغليفى .(٢)

- Recherches. L'histoire de L'Egypte pendant la === domination des Grecs et Romains, 1823 ; Inscriptions Grecques et latines du colosse de Memnon restituées et expliquées, 1823; Sur l'origine Grecque des Zodiaques pretendus Egyptiens, 1837 ; Recueil des Inscriptions Grécques et latines de L'Egypte etudiées dans leur rapport avec L'histoire politique, 3 vols, 1842 – 48 .

ونشر بعد وفاته : Nouvelles recherches sur le calendrier des anciens Egyptiens, sa nature, son histoire et son origine, 1863 .

وجمعت بعض أعماله الصغيرة بواسطة فاجنان Fagnan فــى مؤلــف باســم : Egypte Ancienne , 2 vols , 1881 .

راجع : Dawson , op. cit., p. 176

(١) Gardiner, op. cit., p. 14 .

(٢) Gardiner, op. cit., p. 14 .

وهنا اكتشف شامبوليون ان الهيروغليفية تحتوى على حــروف لــها قيـم صوتية وأخرى رمزية لا تنطق . وبدأ فى قراءة اسم الملك الحاكم المكتـوب داخـل خانة ملكية ومكرر فى الكتابات الثلاث أى أنه اختار اسم علم مؤكد لا تحتمل قراءتـه أى شك أو تأويل وإن اختلفت شكل حروفه وقيمه الصوتية فى الكتابـات الثـلاث . ونجح فى قراءة اسم الملك هجائيا وتعرف على القيم الصوتية لهذا الاسم ، كما تعرف أيضا على الحروف الهجائية لاسم الملكة كليوباترا ، وقـد أمدتـه قـراءة الخـانتين الملكيتين بحوالى اثنى عشر حرفا وبحوالى اثنتى عشرة قيمة صوتية .

فكان اسم الملك بطلميوس يتكون من سبعة حروف هى [١] :

p t w l m y s = (ب ت و ل م ى س) واسم كليوباترا يتكـون مـن تسعة حروف هى : k l i w p 3 d r 3 t = (ك ل إ و ب ا د ر ا ت) (نلاحـظ هنا أن حرف أ – 3 مكرر أكثر من مرة) . واكتشف أن هنـاك أربعـة حـروف مشتركة فى الاسمين وهى : p l w t وأصبح لديه اثنى عشر حرفا هى :

= 3 i w p t k l m r y s d

واكتشف أيضا أن حرف التاء المشترك فى اسـمى بطلميـوس وكليوبـاترا يمكن أن يكتب بعلامة كف اليد (d) التى لها نفس القيمة الصوتية لحرف التاء .

وكان هذا الكشف هو الذى جعله ينجح فى التمييز بين الكتابة الهيروغليفيـة والكتابة اليونانية التى تحمل أسماء : الإسكندر وبرنيقـه ، وتيـبريوس ودوميسـيان وتراجان ونجح كذلك فى قراءة بعض ألقابهم الرسمية مثل :

أوتوكراتور Aurtocartor وقيصـر Caesar وسباسـتوس Sebastos ، وإلى هذا الحد يبدو أن شامبوليون نجح فى قراءة بعض الأسماء البطلمية والرومانيـة ولكن ماذا عن أسماء الملوك المصريين الوطنيين الذين حكموا فى عصور سابقة ؟

---

(١) James , An Introduction to Ancient Egypt, p. 85 .

وكما نعرف أن الهيروغليفية فى العصر المتأخر أو عصر البطالمة والرومان تختلف فى القيم الصوتية لحروفها عن الهيروغليفية فى العصور السابقة .[١] ويبدو أن شامبوليون كان أكثر استعدادا لمواجهة مثل هذه المشاكل أكثر من معاصريه من علماء العالم فى اللغة المصرية القديمة .

ففى ١٤ سبتمبر عام ١٨٢٢ أرسل إليه المهندس المعمارى الفرنسى " هيوت Huyot " الذى زار مصر عامى ١٨١٨ – ١٨١٩ نسخ من نقوش غائرة لخراطيش منقولة من معبدى أبو سمبل [٢]، وعند قراءته لتلك النسخ التى اعتمدت على الأصل زال الشك من تفكيره وأصبح متأكدا من أن الكتابة المصرية كتابة تصويرية ورمزية بها حروف تقرأ وأخرى لا تقرأ . [٣] وقام بفحص نسخة عليها اسم الملك رمسيس الثانى من معبد أبو سمبل ، ففى الخانة الملكية للاسم نقرأ : Rc- mss (W) وتعرف فى البداية على العلامة الأخيرة حرف S – س (الذى يمثل منديلا مطويا) ولاحظ أنه كرر مرتين فى الاسم . وكان حرفا مألوفا له ثم قرأ علامة الشمس الدائرة المستديرة على أنها تشبه اسم Re – رع فى اللهجة القبطية . واعتقد أن اسم الملك رمسيس يمكن أن يقرأ S S– ؟ – Re =رع – سس . وهنا أدرك أن هناك علامة لم تقرأ وهى ms . وقام بفحص نسخة أخرى من النسخ التى تحت يديه من هيوت ووجد ان اسم Ḏḥwty – ms = تحوتى – مس يوجد به طائر الأيبس وتتبعه علامة تشبه العلامة الموجودة فى اسم الملك رمسيس الثانى وهى mes – مس التى ولابد أن تقرأ هكذا .

واكتشف أن هذه العلامة موجودة أيضا فى النص الهيروغليفى لحجر رشيد ويقابلها فى النص اليونانى كلمة " جنثليا – Genethlia " بمعنى " يوم عيد الميلاد " وتعادل فى اللهجة القبطية mose – موزى misi – ميسى بمعنى " يلد " . ومن هنا

---

(١) Daumas, les Moyens d'expression du grec et de l'égyptien, le Caire 1952, p. 17 .

(٢) Lefebvre, op. cit., p. 49 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

نجح فى قراءة اسمى تحوتمس (الثالث) ورمسيس (الثانى) وفهم معنى كل اسم وارتباطهما بمعبود الشمس والقمر بمعنى " المولود من تحوتى (= القمر) و " المولود من رع (= الشمس) " .

ومنذ تلك اللحظة كان كل يوم يبشر بتقديم جديد وتوصل شامبوليون بالتدريج إلى معرفة الحروف الهجائية والأبجدية ، ونجح فى فصل الكلمات فى الجملة الواحدة ، وفصل الجمل عن بعضها البعض وبتكرار مطابقة الأحرف الهجائية توصل شامبوليون إلى قراءة معظم علامات الحجر بالكامل . وحين أدرك أنه ليس هناك من داع للسكوت على ما توصل إليه نجد أنه فى السابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٨٢٢ قرأ فى " أكاديمية التسجيلات (حرفيا : الكتابات أو النقوش) وعلم الأدب " [١] بباريس خطابه الشهير[٢] إلى داسيه سكرتير عام الأكاديمية .[٣]

" Lettre a` M. Dacier, relative `a l'alphabet des hiéroglyphes phonetiques employés par les Egyptiens pour inscrire sur leur monuments les titres, les noms et les surnoms de Souverains grecs et romains, 1822 .

" خطاب إلى مسيو داسيه بخصوص الأبجدية الصوتية الهيروغليفية المستخدمة بواسطة المصريين لكى ينقشوا على آثارهم الألقاب والأسماء وأسماء الشهرة الخاصة بالحكام البطالمة والرومان ، ١٨٢٢ " . ونشر بعدها كتابه عن

---

(١) Academie des inscriptions et belles lettres
أنشئت بواسطة كولبر Colbert فى عام ١٦٦٣ وكانت تتكون من أربعين عضوا وتختص بالبحث التاريخى والآثار . Petit larousse, Paris 1967 (1123)

(٢) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 15 .

(٣) اختير داسيه (١٧٤٢ – ١٨٣٣) سكرتيرا دائما للأكاديمية عام ١٨٢٠ وكان من مؤيدى شامبوليون ، راجع : Dawson, op. cit., p. 75

المعبودات المصرية [١] :

Pantheon Egyptien, Collection des personnages mythologiques de L'ancienne Egypte, 1823 .

كان بمثابة أول عرض علمى للديانة المصرية .[٢]

ولم يشر فى هذا الخطاب إلى قراءته لاسمى تحوتمس ورمسيس ، ولكن احتفظ بسر هذا الكشف مع كشوف أخرى لغوية لكى يسجلها فى كتابه الرائع :

" Précis du systeme hiéroglyphique des anciens Egyptiens ou Recherches sur les éléments premiers de cette écriture sacrée et les diverses combinaisons sur les rapports de ce systeme avec les autres methodes graphiques égyptiennes avec un volume de planches, 1824 ".

مختصر عن نظام الهيروغليفية الخاص بالمصريين القدماء " ، الذى ظهر بعد ذلك بثمانية عشر شهرا أى فى عام ١٨٢٤ وأوضح فيه أن الأبجدية المستخدمة بواسطة المصريين القدماء والموجودة على مختلف أنواع الآثار تعبر عن لغتهم . وذكر فى هذا الكتاب حوالى ٤٥٠ كلمة أو مجموعة مفردات هيروغليفية [٣]، وبفضل

---

(١) Dawson, op, cit., p. 59 .

(٢) Dawson, op, cit., p. 59 . قام سالت Salt بالتعقيب على ما توصل إليه يونج وشامبوليون وذلك اعتمادا على قراءته للنص الهيروغليفى الذى جاء فى المرسوم المؤرخ بعام ٢١ من حكم بطلميوس الخامس ، والذى يعتبر نسخة من النص الذى جاء على حجر رشيد ، وقد سجل هذا المرسوم كما ذكرنا من قبل على الجدران الخارجية (الجانب الشرقى) لواجهة معبد الميلاد المقدس فى فيلة ، راجع : Salt, Essay on Dr. Young's and M. Champollions's phonetic system of hieroglyphies; PM VI, p. 228 (225 – 26) .

(٣) Dawson, op. cit., p. 59 .

مجهودات شامبوليون استطاع العلماء إعداد ترجمة سليمة للنص بالهيروغليفية على حجر رشيد .[١]

وقد ترك شامبوليون منتقديه يواصلون محاولتهم للإقلال من شأنه ، بحثا عن ثغرة فى نظامه المقترح . فانغمس هو وسط مجموعات الآثار التى جمعها المغامرون الذين شدتهم مصر بما عرف عنها من جاذبية تقترن بكل ما هو جديد فى العالم ، فنهبوا المواقع الأثرية لحساب قناصل الدول الأجنبية فى مصر واستفادوا من مشاريع التنمية التى عمت البلاد فى ظل حكم محمد على وخلفائه . وكانت هذه المحاولات من جانب المغامرين أقرب إلى الغزوات للسلب والنهب منها إلى التنقيب والبحث العلمى .[٢] وأخذ يهتم بعد ذلك بالنصوص المصرية القديمة الأخرى التى وجدها أمامه فى متحف اللوفر وغيره ، وفى كل مرة كان يقابل صعابا ما ، كان يحاول التغلب عليها ، وذهب فى عامى ١٨٢٤ ، ١٨٢٦ إلى إيطاليا حيث زار مجموعة الآثار المصرية المعروضة فى متحف تورين . وقام بنسخ معظم النصوص واطلع على بردية تورين التاريخية التى تحمل أسماء الملوك .

وأدى كل ذلك إلى إثراء معرفته بالمفردات المصرية والعلامات والمخصصات وتفهم أفضل لفقه اللغة المصرية القديمة .[٣]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٥ .

(٢) نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ١٤ – ١٥ .

(٣) Pourpoint, le Roman d'une decouvrte (Champollion et l'énigme égyptienne)Paris; 1963, p. 13-15; H. Hartleben, Champollion sa vie et son oeuvre, Paris 1983; بالألمانية Hartleben, Champollion, sein leben und sein werk, 2 vols. 1906 ;
ونشرت أيضا : Hartleben, lettres de Champollion 2 vols. Paris, 1909.
وهيرمين هارتليين ألمانية الجنسية ومن أقارب الشاعر =====

ونشر فى عام ١٨٢٥ مؤلفا عن مجموعة البرديات الموجودة فـــى مكتبـة الفاتيكـــان [١] Catalogo dei papiri egiziani della Bibliotica Vaticana, 1825 .

ونشر أيضا مؤلفا عن مجموعة الآثار المصرية الموجودة فى متحف شارل العاشر :

=== ايريش هارتليبن ودرست فى هـــانوفر وبـــاريس وقـــامت بكتابـة سـيرة شامبوليون ، وهى من مواليد زمكينتال فى جبـــال الـــهارتس عـــام ١٨٤٦ وتوفيت عام ١٩١٨ قضت ست سنوات فى مصر . وبعد زيارتـــها الثانيـة لمصر عام ١٨٩١ شغلتها سيرة شامبوليون ، فبـــدأت عـــام ١٨٩٣ تجمـع وقائع حياته ، وسافرت من أجل ذلك إلى باريس وجرنوبل لكى تتطلع علـى الوثائق الموجودة فى المتاحف والتى فى حوزة أسرة شامبوليون . ثم نشرت فى عام ١٩٠٦ كتابها بعنوان : " شامبوليون ، حياته وأعماله فى جزأيـــن ، تناولت فيها حياة شـــامبوليون الطفـل (١٧٩٠ – ١٨٠١) ، ثـم التلميـذ (١٨٠١ – ١٨٠٧) فالطالب حتى ١٨٠٩ فالأستاذ فى السياســـة والتـاريخ ١٨٠٩ – ١٨١٦ فالمعلم ١٨١٧ – ١٨٢١ ، وأخـــيرا شـــامبوليون قـــارئ الهيروغليفية ١٨٢٢ ، وتشيد بعبقريته وشعوره منذ حداثتـــه بـــالحنين إلـى اكتشاف الغامض . ونظرا لموته المبكر (فى سن الواحد والأربعين) فقـــد ترك وراءه الكثير من المعلومات والملاحظات غير الواضحة ، وكان لابـــد للمؤلفة من ربطها بعضا مع بعض ربطـــا منطقيـــا ، راجـــع : د. كمـــال رضوان : ألمان فى مصر ، ص ٨٣ – ٨٤ ؛ وأيضا : Dawson, who was who in Egyptology, Oxford 1972, p. 58 – 60 . وأيضا : د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنـــانين والأدباء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، ص ١٧٤ – ١٨٠ .

(١) Dawson, op. cit., p: 59 .

Notice descriptive des monuments égyptiens du Musée Charles X, 1827 .

وكان شامبوليون قد وفق إلى شراء مجموعة الآثار المصرية التى عرضها للبيع " سالت Salt " القنصل الإنجليزى بمصر . كما قام بشراء مجموعة ثمينة أخرى قام بجمعها " دروفتى Drovetti " قنصل فرنسا فى مصر [1] وتم نقلهما إلى باريس وعرضهما بمتحف اللوفر فى ديسمبر عام ١٨٢٧ .

وكان هذا النجاح وراء تعيين شامبوليون أمينا لقسم الآثار المصرية بمتحف اللوفر فى ١٤ مايو ١٨٢٧ . وكان شامبوليون على معرفة تامة بالإنجاز العظيم الذى قامت به لجنة العلوم والفنون بحملة بونابرت إلا أنه كان يؤمن أيضا أن لد دورا يؤديه ويقوم به إضافة إلى عمل أولئك العلماء الأفذاذ . فقد أتاح له منصبه فى اللوفر أن يكتب عام ١٨٢٧ مذكرة رفعها إلى الملك شارل العاشر يلتمس فيها أن تبعث به الحكومة الفرنسية إلى مصر ليحقق هذا العمل الذى كان يتوق إلى إنجازه كما كان شغوفا إلى رؤية مصر وآثارها . وفصل شامبوليون فى مذكرته للملك خطته وأهداف رحلته وحرصه على أن تستكمل بطريقة سريعة وحاسمة وأوضح فى هذه المذكرة ما يأتى :

" إن علماء الحملة الفرنسية ومعظم الرحالة الذين اقتفوا أثرهم ، كانوا يعتقدون باستحالة التوصل إلى فهم رموز الهيروغليفية ، وبالتالى لم يتوخوا الدقة فى نسخ النقوش بل أهملوا نسخ كثير من النصوص ، مكتفين بتحديد أماكنها ، فما أشد حاجتنا اليوم إلى استنساخ دقيق لهذه المشاهد الرائعة بما تحمله من نصوص تفسيرية تنطوى على قيمة ثمينة للعلوم التاريخية " .

---

(١) قام دروفتى بجمع مجموعة كبيرة من الآثار وباعها فى عام ١٨٢٤ لملك سردينيا والتى تكونت من خلالها أولى مقتنيات متحف تورين ، وقد أعطت هذه المجموعة الفرصة لشامبوليون ليكون أول من استفاد من القوائم الملكية ، راجع : نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ١٥ .

وفى ٢٦ أبريل من عام ١٨٢٨ وافق الملك على تقرير الرحلة إلى مصر ، وطلب الأجازة لمدة أربعة عشر شهرا ، واختير شامبوليون رئيسا للبعثة ، التى انضمت إليها بعثة إيطالية برئاسة المستشرق " روزلينى Rosellini " وعرفت هذه البعثة المشتركة باسم " البعثة الفرنسية – التوسكانية " . وفى ٣١ يوليو أبحرت السفينة " Egle " من ميناء طولون وعلى متنها أعضاء البعثة المشتركة لتصل الإسكندرية فى ١٨ أغسطس عام ١٨٢٨ .

واصطحب شامبوليون معه الرسام الفرنسى " لهو Lehoux " الذى ذهب معه حتى بلاد النوبة . وعندما عاد شامبوليون إلى فرنسا بقى لهو لينفذ بقية رسوماته .[1]

وعندما وصل الإسكندرية ذهب شامبوليون مع أعضاء البعثة لتحية الوالى محمد على باشا بصحبة دروفتى فى مقره بالإسكندرية .

وأبدى شامبوليون رغبته فى الذهاب حتى الجندل الثانى . وأمدهم الباشا بالفرمانات اللازمة التى تكفل لهم تيسير مهمتهم وحمايتهم فى كل منطقة أثرية تحل بها البعثة وقد حاول دروفتى عرقلة أعمال بعثة شامبوليون وخاصة بعد وفاة منافسه القنصل الإنجليزى سالت ، غير أن محمد على بسط حمايته على بعثة شامبوليون وأمر بمدها بكل مساعدة تحتاجها فى كل موقع ، كما أنه طلب ترجمة لنقوش مسلة الإسكندرية .[2]

وفى ٢١ ديسمبر ١٨٢٨ وصلت البعثة إلى القاهرة . وفى أول أكتوبر ١٨٢٨ غادرت القاهرة إلى البدرشين وميت رهينة . وفى الخامس من أكتوبر وصلت البعثة إلى منطقة سقارة ، وفى الثامن من أكتوبر توجهت إلى منطقة أهرام الجيزة ، وفى الخامس من نوفمبر وصلت البعثة إلى بنى حسن وتنقلت البعثة خلال الأيام التالية ، إلى الشيخ عبادة والأشمونين ووصلت إلى ديروط فى اليوم الثامن من

---

(١) Dawson, op. cit., p. 171 .

(٢) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

نوفمبر . ومكثت البعثة فى بنى حسن خمسة عشر يوما عكفت فيها على دراسة نقوش المقابر الصخرية . وأسفرت دراسة هذه المقابر عن إنجاز ما يقرب عن ثلاثمائة رسم غاية فى الدقة والإتقان ، ويذكر : " إن ما حققته من نتائج هنا ، يكفى وحده ، لجعل رحلتى إلى مصر أكثر نفعا وفائدة من كل ما دونه علماء الحملة الفرنسية " . وقام شامبوليون بكتابة بعض الخطابات من مصر بعنوان :

Lettres écrites d'Egypte et de Nubie en 1828 et 1829, Paris, 1833.

حيث دون فيها انطباعاته اليومية أمام الآثار المصرية ، وسجل أيضا قراءاته للأسماء والنصوص التاريخية .(١) ومما لاشك فيه أن وقوفه أمام الآثار المصرية قد اثار فى نفسه شعورا بالرهبة والإعجاب وجعله يشعر بإحساس عميق بأنه حقق حلما كبيرا كان يراوده منذ أن كان شابا فى جرنوبل فقد حقق ما عجز الآخرون عن تحقيقه أو التوصل إليه .

وكان وجوده أمام الآثار المصرية هو أعظم هديه قدمت له وأثرته ثراء كبيرا ، فكلما غاص شامبوليون صوب الجنوب تعاظمت سعادته بالفرصة الذهبية التى أتاحتها له هذه الزيارة لمصر . ففى ١٦ نوفمبر وصلت البعثة ليلا إلى دندرة لم ينتظر شامبوليون حتى الصباح ، وقد تملكته اللهفة لرؤية معبدها الشهير الذى كثيرا ما حدثه عنه " دينون " وكان ضوء القمر ساطعا ، والمعبد على مسيرة ساعة من الزمن ، وأخذ يعدو فى ضوء القمر ليكتشف تلك التحفة الهندسية الرائعة التى تغطيها نقوش منحوتة من طراز يعود إلى عصر البطالمة والرومان ، وعلى ضوء مصباح خافت إلى جانب ضوء القمر أخذ يتبين أسماء الأباطرة الرومان : تبيريوس وكلاوديوس ونيرون على جدران المعبد .(٢)

---

(١) H. Hartleben, lettres et Journaux de Champollion, tome 2 : lettres et journaux écrits pendant le voyage d'Egypte, dans Bibliotheque égyptologique, tome 31, Paris, 1909 .

(٢) J. F. Champollion, L'Egypte de J. F. Champollion lettres et journaux du voyage (1828 – 1829), Paris 1989 .

وعلى الرغم من أنه أخذ يعانى وهو يهبط النيل من صداع ومن آلام مرض النقرس التى كانت تستدعى نقله محمولا فقد استمر فى رحلته ، ثم رحلت البعثة إلى مدينة هابو ووصلت إلى طيبة فى الرابع والعشرين من نوفمبر ، ويتعاظم انبهاره بمعابد الكرنك ، فيكتب " الكرنك ، أرى هنا كل العظمة الفرعونية ، كل ما تخيله وأبدعه المصرى القديم ، وما نحن فى أوروبا إلا أقزام " .

وفى ٢٦ نوفمبر ١٨٢٨ ، رحلت البعثة جنوبا إلى أرمنت ثم إسنا والكاب ثم إلى معبد ادفو الشهير ومحاجر جبال السلسلة .

وبلغت كوم امبو فى ليلة الأول من ديسمبر ، وفى الرابع منه وصلت إلى اسوان ، وفى اليوم التالى توجهت إلى جزيرة فيله حيث أمضت هناك بعض الوقت وعكف شامبوليون على تسجيل كل ما وقع عليه نظره . وذهب إلى ابو سمبل ومكث هناك أكثر من أسبوعين ، ولم يتوقف عن الاستكشاف الأثرى بدءا بمعبد أبو سمبل الذى عانى طويلا للوصول إلى قاعته الكبرى وسط الصعوبات البالغة ، ومكث أسبوعين لنسخ النقوش الغائرة على جدران القاعة بمقاييس كبيرة وبألوانها الحقيقية .

والحق أن شامبوليون كان قديرا وبارعا فى تكوين جماعات العمل بالتناوب احتملت آلام الجوع والعطش والتنقل وبعد المسافات وواصلت أعمالها فى صبر يدعو إلى الإعجاب .[١]

ومن وادى حلفا فى أول يناير من عام ١٨٢٩ كتب رسالة إلى صديقه داسيه : " كم أنا فخور بعد أن قطعت نهر النيل من مصبه إلى الجندل الثانى بأن أبلغك أنه ليس هناك ما يبرر إجراء تعديل فى بحثنا الذى أعددناه عن حروف الهجاء الهيّروغليفية لقد تأكد لى سلامة ما وصلنا إليه فقد طبقت أبجديتنا بنجاح فى كل موقع على الآثار المصرية من عهد البطالمة والرومان ثم على نقوش المعابد والقصور والمقابر للعصور الفرعونية وهو الأهم . وبهذا تكون كافة الجهود التى بذلتها لتشجيع أبحاثىّ الهيروغليفية مشروعة وعادلة فى وقت لم تكن فيه ظروفنا الدولية تسمح لنا

---

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

بمثل هذه الحماسة " .[١]

وأخذت الرسوم تزداد وتتكدس فى حوزة شامبوليون حتى أنه كتب إلى داسيه يقول :

" إنه ليسعدنى أن أضع تحت نظرك مصر القديمة كلها ديانتها وتاريخها وفنونها وحرفها وعاداتها وأعرافها ، وقد أنجزت الجانب الأكبر من رسومى الملونة ، ولست أخفى مغايرتها التامة لرسوم صاحبنا جومار لأنه تستنسخ الطراز الحقيقى للأصول بدقة وأمانة " .[٢]

ويعود شامبوليون مرة أخرى إلى طيبة ويتخذ لنفسه فى القرنة كوخا من اللبن سماه " القصر " . كما كان يعيش أحيانا أخرى فى مقبرة رمسيس الرابع الخالية والمحفورة بمدخل جبانة وادى الملوك فى الفترة من ٢٣ مارس إلى ٨ يونيه ١٨٢٩ . وكان سعيدا ان وجد مأوى كى يتفرغ لعمله على الرغم من دسائس القنصل دروفتى الذى لم يتوقف عن تأليب مساعديه عليه تارة وتعطيل بريده فى الإسكندرية تارة أخرى . وحث جومار على تحريض الملك شارل العاشر على إيقاف صرف العشرة آلاف فرنك اللازمة للإنفاق على أعمال بعثة شامبوليون .[٣] وزار بعض مقابر البر الغربى ومعبدى الدير البحرى والرمسيوم .

وكان ملحقا بالجدار الجنوبى لمعبد الأقصر " بيت فرنسا " أقيمت له واجهة مطلة على واجهة معبد الأقصر . وأقام فيه شامبوليون وروزلينى فترة من عام ١٨٢٩ وعملا معا خلال وجودهما فى طيبة ، وكان يجتمعان بالليل لتبادل ثمار جهودهما التى أنجزاها بالنهار ، وعلى حين عكف شامبوليون على نسخ ما قد يعينه على تحقيق تقدمه فى فهم قواعد اللغة المصرية القديمة ، كان روزلينى منكبا على المفردات الجديدة التى أثرى بها قاموسه ، وفى هذا البيت أيضا أقام ضباط البحرية

---

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

الذين أوفدتهم الحكومة الفرنسية عام ١٨٣١ لنقل المسلة التى كانت مقامة أمام معبد الأقصر والتى أقيمت الآن فى ميدان الكونكورد بباريس .[١]

وفى الرابع من سبتمبر من عام ١٨٢٨ غادرت البعثة طيبة لتصل القاهرة فى ١٠ سبتمبر . وعادت إلى الإسكندرية فى الرابع من نوفمبر ، وذهب شامبوليون لشكر محمد على فى مقر إقامته بالإسكندرية الذى قابله بترحاب كبير وأهداه شامبوليون بحثا موجزا عن تاريخ مصر ومذكرة تتضمن كيفية الحفاظ على الكنوز الأثرية وأرفق بها قائمة كاملة بكافة الآثار والمبانى التى تعرضت للسرقة وبيان بالآثار التى كانت لا تزال قائمة [٢] ، وأهداه محمد على سيفا ثمينا .

وذكر شامبوليون فى هذه المذكرة التفصيلية كيفية اختفاء مجموعات معمارية ضخمة من مناطق الشيخ عبادة والأشمونين وفاو الكبير قرب سوهاج وإسنا ، ولم يسجل شامبوليون التخريب الذى قام به الأهالى أنفسهم فحسب بل كذلك ما تم على أيدى المنقبين الجشعين غير الأكفاء . كما طالب بوضع اللوائح لتقنين أعمال التنقيب والحفر وتنظيمها ، الأمر الذى تحقق بعد ذلك على يد ماريت فى عام ١٨٥٨ بعد إنشاء مصلحة الآثار المصرية . وكان شامبوليون قد دهش عندما اكتشف اختفاء بعض الآثار بسبب تجارة القنصل الفرنسى فى مصر دروفتى . فاقنع محمد على بإيقاف ذلك .[٣]

وأصبح قادرا بعد هذه الرحلة إلى مصر على أن يقرأ أسماء أكثر من سبعين حاكما من الإسكندر الأكبر (٣٣٢ – ٢٣٢ ق. م) إلى الإمبراطور الرابع عشر : انطونيوس بيوس (١٣٨ – ١٦١ ميلادية) .[٤]

---

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ٣٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٤) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 37 .

وعن أسماء الـ ٤٠ إمبراطورا وتواريخ حكمهم راجع : ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٧ لعام ١٩٨٨م ، ص ٦٤ – ٦٥ .

وفى أول يناير عام ١٨٣٠ غادرت بعثة شامبوليون الإسكندرية وعقب وصوله فرنسا ألف كتابه القيم : " آثار من مصر ومن النوبة " وألحقه بمؤلف دون فيه بعض " الملاحظات الوصفية " وهى ملاحظات لها أهميتها ولم تظهر هذه المؤلفات إلا بعد وفاته .(١)

وعند عودته إلى فرنسا عين عضوا بـ " أكاديمية التسجيلات وعلم الأدب " عام ١٨٣٠ ثم أستاذا بالكوليج دى فرانس عام ١٨٣١ . وقبل وفاته فى ٤ مارس ١٨٣٢ كان يبلغ ٤٢ عاما كان لديه معرفة عميقة باللغة المصرية القديمة ، واستطاع أن يوضح بسهولة معنى العديد من النقوش والنصوص التى كتبت على البردى وغيره من الآثار ، واصبح تاريخ مصر القديم واضحا أمام عينيه .

وكان قد أعد قبل وفاته كتابين أحدهما عن " قواعد اللغة المصرية " والآخر عبارة عن " قاموس لمفردات اللغة المصرية . وقام أخوه الأكبر : جاك جوزيف شامبوليون فيجاك Jacques Joseph Champollion Figeac بنشر هذه المؤلفات وغيرها (٢) تكريما لذكراه واعترافا بحسن صنيعه . وقام بنفسه بمراجعة الأصول المكتوبة بخطشامبوليون نفسه (٣) ، وقام بنشر هذه المؤلفات بين أعوام ١٨٣٦ و ١٨٤٢ كدلائل على مدى تفانى شامبوليون فى عمله وإخلاصه فيه .(٤) وهو الذى

---

(١) Dewachter , Un Portrait inédit de Champollion en 1829 et trois nouveaux carnets relatifs a l'expedition francotoscane, RdE 38 (1969) , p. 198 – 201 .

(٢) Sauneron, L'Egyptologie, Paris, 1968, p. 11; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 44; lefebvre, Grammaire de l'Egyptien Classique, p. 49 .

(٣) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 16; Champollion- Figeac, les Deux Champollion, 1887 .

(٤) قام شامبوليون الكبير بنشر العديد من المؤلفات ، منها ما كتبه عن النقوش اليونانية فى معبد دندرة عام ١٨٠٦ ، والنقوش اليونانية المسجلة على تمثالى ممنون عام ١٨١٩ ، وما كتبه عن الملوك البطالمة خلفاء الإسكندر ===

أوصى بنقل إحدى مسلتى الأقصر إلى فرنسا ووضع الخطة التى تم بها نقلها فيما بعد بواسطة بعض المهندسين والبنائين الذين وضعوها فوق رمث يطفو على سطح النيل وتظل مياه الفيضان تدفعه صوب البحر حتى السفينة التى كانت معدة لنقل المسلة إلى فرنسا .

وكان شامبوليون يؤمن أن وضع أثر يمثل هذه العظمة أمام عيون مواطنيه سوف يثير فى نفوسهم عظمة مصر القديمة وكان يؤمن بأن المسلة جديرة بأن يقف أمامها فى خشوع الفنانون الفرنسيون والمهندسون العظماء لأنها من جليل الأعمال .(١)

وكان محمد على قد منح المسلتين أمام الصرح الأول فى معبد الأقصر لفرنسا عام ١٨٣١ ، ولكن تبين أن المسلة التى تقع إلى الغرب أكثر حفظا وبالفعل تم نقلها إلى باريس عام ١٨٣٣ وأقيمت فى ميدان الكونكورد فى ٢٥ أكتوبر ١٨٣٦ بواسطة المهندس " لبا Lebas " .

وبعد وفاة شامبوليون مبكرا حمل ماريت ابن أخيه الشعلة التى بقيت متقدة لم يخب لها أوار .(٢) وقبل وفاته أعد شامبوليون أربعة مؤلفات هى :

- Monuments de L'Egypte et de la Nubie d'apres les dessins exécutés sur les lieux, sous la direction de Champollion le jeune, 4 vols. 446 pls . Paris 1835 – 37 éd . Didot 1845 et

---

=== عام ١٨١٩ ، والمقاسات التى عثر عليها فى منف عام ١٨٢٨ ، وما كتبه عن مسلة الأقصر التى نقلت إلى باريس عام ١٨٣٣ ، وما كتبه عن مخطوطات كتب بخط شامبوليون الصغير وفقدت عام ١٨٣٢ وعثر عليها عام ١٨٤٠ ونشرها عام ١٨٤٢ ، وكتب عن مصر القديمة عام ١٨٥٨ ، راجع : . Dawson , op. cit., p. 60 – 61 .

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

- 1847 et les descriptions autographes qu'il a rédigées. publiées sous les auspices de M. Guizot et de M. Thiers .

وهى أربعة مجلدات كبيرة وصف فيها ألاثار التى شاهدها وأمـــر برســـمها تحت إشرافه .

- Grammaire égyptienne ou Principes généraux de l'écriture sacrée égyptienne appliquée `a la representation de la langue parlée publiée sur les mansucrits autographe 3 pts, Paris 1836 – 41 ed . Champollion figeac .
- Dictionnaire égyptien en écriture hiéroglyphique publie par Champollion – Figeac d'apres les manuscrits autographes, dissiné et écrit par Jules Feuquiers, Paris 1841 – 44 .
- Notices descriptives conformes aux manuscrits autographes redigés sur les lieux par Champollion le jeune, 2 vols, 1. 641 1, p. 1 – 600 puis, p. 601 – 97 publié sous la direction de E. de Rouge, Paris 1844 – 79 .

وقبل وفاة شامبوليون فى عام ١٨٣٢ حدث تقدم كبير فى فهم اللغة المصرية القديمة وفهم أحداث تاريخ مصر القديم وفهم العديد من مظاهر حضارتها ، وأصبحت مؤلفات شامبوليون عن اللغة المصرية القديمة وآثـــار مصـــر والنوبـــة وملاحظاتـــه الوصفية وما دونه من انطباعات وملاحظات أمام الآثار ، القـــاعدة الأساســـية التـــى يرتكز عليها علماء الدراسات المصرية القديمة فى أبحاثهم .(١)

ومع العثور على حجر رشيد وما أحدثه من دوى عـــالمى ونجـــاح شـــامبوليون فى قراءة علامات الكتابة الهيروغليفية ومجيئه إلــــى مصـــر شـــهدت الفـــترة مـــن بداية القرن التاسع عشر نشاط غير عادى لمجموعة كبيرة من الرحالـــة والمغـــامرين

---

(١) أنظر أيضا: د. رمضان عبده: حجر رشيد بين نسخه السبع ؟ وشامبوليون ، فى مجلة التاريخ والمستقبل ، التى يصدرها قسم التاريخ كلية الآداب جامعة المنيا ، العدد الأول ، يناير ٢٠٠٠ ، ص ٣-٤٩ .

وقناصل الدولة الأوروبية من فرنسا وإنجلترا والسويد وغيرها الذين قاموا بعمليات حفائر مشروعة أو غير مشروعة أى بطريقة خفية لنهب الآثار وتهريبها إلى الخارج . وكان على رأس هؤلاء القناصل :

" اناستاسى Anastasi " الذى كان تاجرا أمريكيا واستقر فى الإسكندرية وعمل بعد ذلك كقنصل للسويد والدانمارك فى الفترة من عام ١٨٢٨ إلى عام ١٨٥٧ م . [١]

و " اثاناسى Athanasi " وهو حفار يونانى وجامع للآثار وعمل كقنصل عام فى السفارة الإنجليزية ابتداء من عام ١٨٠٩ إلى عام ١٨١٥ .[٢]

و " باركر Barker " : وهو دبلوماسى إنجليزى عمل كقنصل لإنجلترا فى الإسكندرية وقنصل عام فى مصر عام ١٨٢٩ . وتولى هذه الوظيفة بعد وفاة سالت عام ١٨٢٧ وأحيل إلى المعاش عام ١٨٣٣ واستقر فى سوريا أثناء إقامته فى مصر جمع مجموعة كبيرة من الآثار وأرسلت إلى إنجلترا وبيعت إلى قاعة سوثبى Sotheby عام ١٨٣٣ وكانت حوالى ٢٥٨ قطعة وحصل المتحف البريطانى أثناء هذا البيع على مجموعة من البرديات واللوحات .[٣]

و " دروفتى Drovetti " وهو دبلوماسى إيطالى وجامع للآثار وعمل كقنصل عام لفرنسا فى مصر خلال حكم بونابرت حتى عام ١٨١٤ واستخدم أعوان كثيرين للحفر عن الآثار فى مصر وخاصة فى طيبة وباع أول مجموعة للآثار لملك

---

(١) ارتبط اسمه بمجموعة من البرديات يبلغ عددها سبع وتعرف باسم برديات اناستاسى وهى محفوظة بالمتحف البريطانى وتحوى معظمها مجموعة من الخطابات والمراسلات ، راجع : Drioton – Vandier, L'Egypte (éd.: 1952), p. 497, 509 (e); Dawson, Who was who in Egyptology, Oxford 1972, p. 8; James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 275 .

(٢) Dawson, op. cit., p. 13 .

(٣) Id, op. cit., p. 19 .

سردينيا عام ١٨٢٤ التى شكلت المجموعة الرئيسية لمتحف تورين .

وباع ثانى مجموعة للآثار لفرنسا تحت حكم الملك شارل العاشر التى شكلت المجموعة الرئيسية لمتحف اللوفر . وباع المجموعة الثالثة لمتحف برلين اشتراها لبسيوس عام ١٨٣٦ ، أى أن المجموعات الثلاث الكبرى فى أوروبا تكونت من آثار جمعها دروفتى . وقام برحلة إلى الواحات عام ١٨٢٠ وكان له تأثير قوى على محمد على استخدمه فى تجارة الآثار .[١]

و " سالت – Salt " وهو دبلوماسى إنجليزى وجامع للآثار وعمل كقنصل عام فى السفارة الإنجليزية فى مصر ابتداء من عام ١٨١٦ وقام بعدة حفائر فى مصر لتمويل المتحف البريطانى [٢] وعمل مع بلزونى وبوركهات ونقل التمثال النصفى لرمسيس الثانى من طيبة وقدمه للمتحف البريطانى عام ١٨١٧ .واستخدم بلزونى فى طيبة ومول عدة حفائر فى بلاد النوبة ومول أيضا حفائر كافيجليا فى منطقة الأهرام . وفى عام ١٨١٩ عمل اناستاسى فى طيبة لحسابه وباع أول مجموعة كبيرة من الآثار إلى المتحف البريطانى عام ١٨١٨ وكان من بينها تابوت سيتى الأول الذى اشتراه السير جون سوان لمتحفه . وباع مجموعته الثانية عام ١٨١٩ – ١٨٢٤ لملك فرنسا وباع مجموعته الثالثة لصالة سوثبى Sotheby عام ١٨٣٥ ونشر سالت :

Essay on Dr. Young's and M. Champollion's Phonetic system of Hieroglyphics , with some additional discoveries , 1825 .

وتوفى فى دسوق ودفن فى الإسكندرية فى ٣٠ أكتوبر ١٨٢٧ .

وتزايد وفود الرحالة من فرنسا [٣] وإنجلترا والسويد والدانمارك

---

(١) Dawson, op. cit., p. 90 ; Curto, Bernardino, Drovetti epistolario, 1800 – 1851, Milan 1985 .

(٢) Dawson, op. cit., p. 258 .

(٣) ج. فلوبرت G. Flaubert كاتب روائى فرنسى زار مصر وفلسطين وسوريا وتركيا بين أعوام ١٨٤٩ – ١٨٥١ وألف كتابه : ===

وسويسرا (١) ومن روسيا (٢) ومن اسبانيا (٣) ومن بلاد أخرى .

وفى هذه الفترة من ١٨٢٣ إلى ١٨٨٨ ظهر العديد من المؤلفات عن الآثار المصرية القديمة وأماكن تواجدها وعن جغرافية الأماكن واللغة المصرية والنصوص الكبرى والعمارة والفن ورحلات رجال الآثار وغيرهم فى طول البلاد وعرضها ومن هذه المؤلفات نذكر :

- J. B. Gail , Recherches sur les herons de l'Egypte , les monuments grecs , et le monument d'Osymondyas decrit par Diodore avec examen des opinions de divers savants : pouvant servir de suite `a la Description de L'Egypte, Paris 1823 .

=== Gustave Flauebert, Voyage en Egypte, 1949 – 1850, Paris, 1986 .

راجع : Dawson. Op. cit., p. 105

وأيضا " نرفال " : L. A. Christophe Gerard de Nerval au Caire, la Revue du Caire 189 (1956) p. 171 – 197 .

كاتب فرنسى ولد فى باريس وعاش فى الفترة ما بين ١٨٠٨ – ١٨٥٥ .

و " اوستر " راجع : M. Dewachter D. Oster, un Voyageur en Egypte 1850" le Nile " de Maxime du Champ éd. Sand Conti, Paris 1987 .

(١) L.A. Chritophe, Deux Voyageurs Suisses dans l'Egypte il y a cent ans, la Revue du Caire 1957, p. 199, 231 – 253 .

(٢) O. V. Volkoff, Voyageurs Rausses en Egypte, RAPH 32 1972 .

(٣) Don E. G. De Herreros, Quatre Voyageurs Espagnols `a Alexandrie 1923 .

- W. Abney, Thebes and its five greater temples, London 1870 .
- E. Bechard et A. Palmieri, L'Egypte et la Nubie grand album monumental , historique, architectural, Paris 1887 .
- Grand Bey, Rapport sur les temples égyptiens, le Caire 1888.

خامسا : المراحل التى مر بها علم الدراسات المصرية القديمة منذ عـــام ١٨٣١ حتى عام ١٩٨١ :

١ - مرحلة النشأة :

أدى نجاح شامبوليون فى قراءة علامات ورموز اللغة المصرية القديمـــة أن جعل مصر وآثارها القديمة تتصدر الأنباء العالمية وأدى ذلك إلى قلب الأوضاع بيـــن علماء العالم وأصبح من السهل فهم بعض النصـــوص التـــى وردت علـــى الآثـــار المتنوعة . وعلى الأسس التى أرساها شامبوليون بدأ الاهتمـــام بالآثـــار المصريـــة والرغبة فى دراستها دراسة علمية عملية . وبدأت البعثات الأجنبية تتوافد على أرض مصر للقيام بأعمال الحفائر والتنقيب فى مختلف المناطق الأثرية والقيام كذلك بتسجيل بعض الآثار القائمة ووصفها ونسخ نقوشها ورسمها . وشهدت الفترة ابتداء من عـــام ١٨٢٢ وما قبلها تكوين المجموعات الضخمة من الآثار المصريـــة فـــى المتـــاحف العالمية وأدى ذلك إلى زيادة وفود الرحالة الأجانب على مصر من جميع أنحاء العـــالم جاءوا ليحظوا بمشاهدة آثارها والكتابة عنها . كما ظهر العديد من المؤلفات العلميـــة عن الآثار المصرية القديمة وبرزت مجموعة من العلماء كان لهم الفضل فى تطـــور دراسة الآثار المصرية .

أنشأت فرنسا أول كرسى للدراسات المصرية القديمة فى " كوليج دى فرانس

Collège de France [١] (أى مجمع فرنسا) فى عام ١٨٣١ وشغله شامبوليون . فكانت أول دولة فى أوروبا وفى العالم تنشئ كرسى لهذا العلم فى أهـــم مؤسســـاتها العلمية .[٢]

ثم قامت جامعة جوتينجن بألمانيا بتعيين هنريش بروجـــش كـأول أســتاذ للدراسات المصرية القديمة فى عام ١٨٦١ ، وبعدها قامت إنجلترا بإنشـــاء كرســى للدراسات المصرية القديمة فى University Collège " أى الجامعة المجمع " فــى لندن وشغله بترى فى عام ١٨٩٤ وأطلق على هــذه العلــم الجديــد " اجيبتولوجــى Egyptology " وعرفت هذه التسمية فى الفرنسية والألمانية " أى علــم الدراســات المصرية القديمة " وأصبح هذا العلم يدرس كعلم مستقل عن العلوم الإنسانية فى جميع الجامعات والمعاهد الأوروبية .[٣]

وعقب ذلك بدأت بقية الجامعات والمعاهد والجمعيات العلمية فــى أوروبــا وأمريكا تهتم بالآثار المصرية ، وأوفدت عددا كبيرا من العلماء والباحثين الذين قـاموا بالتنقيب والبحث عن الآثار فى جميع أنحاء البلاد ، كمـــا قـــاموا بتســجيل النقــوش والرسوم الموجودة على أغلب الآثار . كما قاموا بوصفها وقراءة النصـــوص التـــى

---

(١) أنشأها فرانسوا الأول فى باريس عام ١٥٢٩ ، راجــع :,Petit larousse Paris, 1967 no. 1280 .

(٢) انظر فى هذا الصدد محاضرة د. طه حسين " بناء مصر الحديثة " بالفرنسية والتى ترجمها إلى العربية د. حامد طاهر فــى سلســلة دراســات عربيــة وإسلامية ج٤ سبتمبر ١٩٨٥ ، ص ٦٠ حيث يقول د. حامد طـــاهر فــى تعليقه على هذه المحاضرة وما جاء فيها بخصوص فضل فرنسا على العــالم فى إنشاء علم الدراسات المصرية القديمة : " لقد كان هذا النوع من المعرفة الإنسانية هو هدية فرنسا للعالم كله " .

(٣) Sauneron, L'Egyptologie, p. 7 – 11; Baines – Malek, op. cit., p. 26; Griffith, JEA 37, p. 38 – 45 .

عليها ثم قاموا بدراسة وتحليل ما نسخوه وسجلوه وكشفوه دراسة علميـــة تســتهدف استنباط أصول ومعالم تاريخ مصر القديم والتعرف على مظاهر حضارتها منذ أقـــدم العصور ، وجاء هؤلاء العلماء خلال القرنين التاسع عشر وبداية العشـــرين ونتيجـة لكل هذه المجهودات افتتحت أقسام دراسة الآثار المصرية فى الجامعـــات والمعـــاهد الأجنبية والمتاحف العالمية .

ويكفى أن نشير إلى أن هناك أكثر من عشرين دولة يدرس بجامعاتها علـــم الدراسات المصرية القديمة .[١] ويوجد أكثر من ست عشرة جامعـــة مـــن جامعـــات ألمانيا ألحق بكل منها قسما لتدريس علم الدراسات المصرية بكل فروعه .[٢] كمـــا أن هناك أكثر من ثلاثمائة عالم ومتخصص للدراسات المصرية القديمة فـــى جامعـــات أوروبا وأمريكا وفى مؤسساتها العلمية .[٣]

وتكونت البعثات الخاصة بالتنقيب ودراسة الآثار المصرية القديمة مثل بعثـة التنقيب الإنجليزية التى كانت تحمل اسم :

" تمويل استكشاف مصر " Egypt Exploration fund " التى تحولت إلى جمعية فيما بعد عام ١٨٨٢ وأصبحت تحمل اسم : " الجمعية المصريـــة – Egypt Society " .

ويرجع الفضل فى تأسيس هذه الجمعية الأثريـــة الإنجليزيـــة إلـــى العـــالم الإنجليزى جريفيث ، وقد وزعت نشاطها فى مصر فيما بعد إلى شـــعبتين . وتجلـــى نشاط " أعضاء الجمعية المصرية " التى كانت أول مظهر من مظاهر اهتمام إنجلـــترا بمصر فى هواية الفنون التى غلبت على أعضائها فى دراساتهم عن مصر .

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 29 .

(٢) د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية ، القـــاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢ .

(٣) Baines – Malek, op. cit., p. 29 .

وتكونت فى الفترة نفسها أى فى عام ١٨٨٠ " البعثة الأثرية الفرنسية فى القاهرة La Mission archéologique francaise au Caire والتى تحولت إلى معهد علمى بفضل مجهودات ماسبرو عام ١٨٨٠ وأصبح يحمل اسم المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .[١]

Institut Francais d'archéologie Orientale du Caire

وأنشأت بعد ذلك " جمعية الاستشراق الألمانية " .[٢]

Deutsche Orient Gesellschaft

وتأسس " بيت شيكاغو Chicago House " فى الأقصر عام ١٩٢٤ وهو جزء من المعهد الشرقى لجامعة شيكاغو ، ويرجع الفضل فى تأسيس المعهد الشرقى فى جامعة شيكاغو إلى هنرى برستد . وقامت بعثة بيت شيكاغو بتسجيل معظم نقوش معبد مدينة هابو من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٧٠ .[٣]

كما تأسس فى هولندا المعهد الهولندى لآثار وفقه لغات الشرق الأدنى القديم عام ١٩٣٩ م .

وفى الفترة من ١٨٢٣ إلى نهاية القرن التاسع عشر زاد نشاط الرحالة الأجانب وبذل العلماء الأجانب أيضا جهودا مضنية فى سبيل تسجيل الآثار فى كتالوجات لمجموعات المتاحف الكبرى كالمتحف المصرى والمتاحف الأوروبية وكذلك لمجموعات الآثار الخاصة ، وصدرت عدة مجلات علمية خاصة بالدراسات المصرية القديمة . وألفت الكتب وكتبت المقالات ، وكتبت تقارير الحفائر العلمية .

---

(١) نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ، الجزء الأول ١٩٨٠ ، ص ١٤١ .

(٢) نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٣) Baines – Malek, op. cit., p. 29 .

ففى خلال القرن التاسع عشر تكدست الآثار المصرية فى كل من المتحف البريطانى ومتحف اللوفر ومتحف برلين ، وكانت هذه الآثار من الكثرة بحيث تتطلب إنشاء متحف لها فى لندن ، فأنشئت القاعة المصرية عام ١٨١٢ فى حين كان المتحف البريطانى يغص بمجموعة الآثار التى حملها إليه الثراة ورعاة الفنون الموسرين والرحالة والمغامرون . وظهرت الكتب التى تتحدث عن الأزياء المصرية القديمة والأساطير الفرعونية . كما أخذت صور ورسوم الأهرام و أبو الهول وآثار طيبة ومنف وفيلة تصبح مشهدا مألوفا فى أكاديمية الفنون بلندن .[١]

فقبل عهد الخديوى إسماعيل كان بوسع كل من يتوق إلى حيازة قطع أثرية تختفى تحت رمال الصحراء أن يلتقطها على هواه . ولم يكن هناك أيسر من الحصول على تصريح بالحفر لاقتناء " الانتيكة " . وهذا هو سبب ثراء متاحف أوروبا بالآثار المصرية القديمة وسبب وجود العديد من المجموعات الخاصة المتناثرة فى أنحاء أوروبا . على أن إسماعيل باشا قد وضع نهاية لهذا النهب العالمى وبدأت مصر بذلك تشكل مجموعتها الخاصة بعد أن اكتشف الخديو إسماعيل بثاقب فكره فى شخص ماريت المسئول المساعد عن الآثار الشرقية فى متحف اللوفر أفضل مدير للمحافظة على الآثار القومية والتراث القومى .[٢]

وشهدت الفترة نفسها أو قبل ذلك تكوين المجموعات الضخمة من الآثار المصرية فى المتاحف العالمية . فهناك أكثر من ٢٨ دولة بها متاحف مستقلة للآثار المصرية .

وتأتى فى مقدمة هذه الدول من حيث الكم الولايات المتحدة وبها ٣٢ ، يليها فى أوروبا : إنجلترا وبها ١٩ وإيطاليا ١٥ وألمانيا الموحدة (الغربية والشرقية قديما) ١٥ وفرنسا ١٣ وسويسرا ٦ ، وبلجيكا ٥ ، والسويد ٤ وهولندا ٣ وروسيا ٣ ، وكندا ٣ . وهناك بعض الدول التى بها متحفان مثل الدانمارك وبولندا واستراليا . وأخرى

---

(١) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .

بها متحف واحد أو مجموعة آثار مصرية واحدة مثل : النمسا وتشكوسلوفاكيا (قبل انقسامها) والبرتغال واسبانيا ويوغسلافيا والمجر واليونان وايرلندا والبرازيل والمكسيك وكوبا واليابان ، وهناك أيضا مجموعة الآثار المصرية بمتحف الخرطوم بالسودان .[١]

هذا عن المجموعات الكبيرة ونستطيع أن نقول أنه لا يكاد يخلو أى متحف من متاحف العالم من قطعة من الآثار المصرية ولا تكاد تخلو مكتبة فى المؤسسات العلمية بالخارج أو متحف من متاحف العالم من بردية أو مخطوطة مصرية قديمة .

ولكى نضع شامبوليون فى موضع التقدير المناسب له ، يجب علينا أن نتساءل ما الذى كنا نعرفه عن علم الدراسات المصرية القديمة قبل توصله إلى قراءة علامات ورموز الكتابة الهيروغليفية وماذا كنا نعرف عن تاريخ مصر القديم وحضارتها قبل عام ١٨٢٢ .[٢] وماذا أصبحنا نعرف فى فترة المائة والخمسين عاما التى مرت من عام ١٨٣١ إلى ١٩٨١ فى مجال هذه الدراسة وهذا التخصص

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 224 – 25 .

(٢) انظر فى هذا الصدد محاضرة د. طه حسين " بناء مصر الحديثة " بالفرنسية والتى ترجمها إلى العربية د. حامد طاهر فى سلسلة دراسات عربية وإسلامية ج٤ ، سبتمبر ١٩٨٥ ، ص ٦٠٦ وفيها يقول :
" إن شامبوليون الفرنسى هو الذى عرفنا بمصر القديمة وهو الذى عرف العالم كله بمصر " أى بقيمة تاريخ مصر القديم وحضارتها . نذكر هنا ما كتبه شامبوليون نفسه لداسيه بعد دخوله قاعة معبد أبو سمبل الكبرى : " إنه ليسعدني أن أضع تحت نظرك مصر القديمة كلها : ديانتها وتاريخها وفنونها وحرفها وعاداتها وأعرافها ، راجع : د. ثروت عكاشة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء (القرن التاسع عشر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٧ .

الدقيق الذى أصبح من التخصصات التى تستوهى الكثيرين فى جميع أنحاء العالم .[١]

وتبدأ مرحلة النشأة من عام ١٨٣١ إلى عام ١٨٨١ تقريبا وظهر فى هذه الفترة علماء كثيرون من أوروبا منهم من أصاب ومنهم من اجتهد .

وظهرت أسماء للرواد الأوائل ممن اهتموا بدراسة هذا العلم . وكان لهذا الجيل الأول من الرواد الفضل الأكبر فى وضع أسس علم الدراسات المصرية القديمة . وكما زار مصر فى هذه الفترة أيضا وقبلها مجموعة من أشهر الزوار منهم الرحالة والضباط والمهندسين والدبلوماسيين والمبشرين والمستشرقين والأطباء وعلماء النبات والجغرافيا والروائيين والرسامين وبعض القساوسة الذين اجتذبتهم روح البحث العلمى وغامروا سعيا وراء شراء بعض الوثائق والمخطوطات ، وجاء إلى مصر إلينا تاجر الآثار الذى نجده فى كل عصر ، وحوت كتابات بضع هؤلاء معلومات قيمة عن آثار مصر القديمة وخاصة فى هذه الفترة من بداية ميلاد علم الدراسات المصرية القديمة .

فقد ظهر فى هذه الفترة أكثر من خمسين عالما أسهم كل منهم بمجهوداته للنهوض بدراسة الحضارة المصرية القديمة . وظهر ذلك واضحا فى دقة وعمق أبحاثهم ومؤلفاتهم . فقام كل منهم بتأليف كتاب أو أكثر فى مجال علم المصريات .

وعلى الرغم من أن بعض هذه المؤلفات حوت معلومات سبق ذكرها فى كثير من المؤلفات التى سبقت أبحاثهم ولم يتتبعوا ما طرأ على هذه المعلومات من جديد نظرا للاكتشافات الأثرية الجديدة والتى أثرت فى دراسة علم المصريات بعد

---

(١) W. Helck and E. Otto, Kleines Worterbuch der Agyptologie 2 nd. Ed., Wiesbaden 1970; W. Helck – W. Westendorf, lexikon der Agyptologie 6 vols., Wiesbaden 1972, 1977, Textes et langages de L'Egypte Pharaonique, cent cinquante années de recherches 1822 – 1972, Hommage `a Jean – Francois Champollion , 3 vols, BdE 64, le Caire 1974 .

ذلك وتقدم البحث العلمى فيه والكشف عن كثير من المعلومات الغامضة فى مجالاته المختلفة ، فإن هذه المؤلفات لا يزال البعض منها يستخدم كمصادر لتسجيل مجموعة كبيرة من الآثار التى فقدت وضاعت بعض معالمها واندثر جزء كبير منها . وممن تعمقوا وكتبوا فى هذا العلم كان يوجد أكثر من ثلاثين عالما من أوروبا [١] ، وسنذكر هنا أسماء واحد وثلاثين عالما من هؤلاء الرواد الأوائل الذين كان لهم الفضل الأكبر فى وضع أسس هذا العلم وسوف نذكرهم طبقا لتواريخ ميلادهم وليس حسب الترتيب الأبجدى لأسمائهم (حتى يتضح لنا أقدميتهم) وسنذكر بشئ من التفصيل أهم أعمال خمسة منهم كمثال لما قام به الآخرون ، وسنقصر الحديث عن هؤلاء الخمسة فقط نظرا لغزارة إنتاجهم لأن الحديث عن أعمال كل هؤلاء العلماء يحتاج إلى أكثر من مؤلف ، وهم :

- كاده Cadet (١٧٥١ – ١٨٣٥) .
- بلزونى Belzoni (١٧٧٨ – ١٨٢٣) .
- شامبوليون فيجاك Champollion Figeac (١٧٧٨ – ١٨٦٧) .
- بيرركهات Burckhardt (١٧٨٤ – ١٨١٧) .
- فيس Vyse (١٧٨٤ – ١٨٥٣) .

---

(١) بالنسبة لأسماء هؤلاء العلماء فقد رتبناهم طبقا لتواريخ ميلادهم وليس طبقا لأبجدية أسمائهم ، ورجعنا فى ذلك إلى : Dawson, who was who in Egyptology, Oxford, 1972, p. 1 – 315 .
وإلى كتاب : تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٨٢ ، ٩٠ ، ١٠١ – ١٠٣ ، ١٤٣ – ١٤٤ ، ١٤٧ – ١٤٨ ، ١٥٤ – ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ – ٢٨٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ – ٣٥٣ ، ٣٥٦ – ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٨١ ، ٣٩٦ ، ٤٢٠ ، ٤٣٢ – ٤٣٣ .

- ريفو Rifaud (١٧٨٦ – ١٨٤٥) .
- تاتام Tattam (١٧٨٩ – ١٨٦٨) .
- هنكس Hincks (١٧٩٢ – ١٨٦٦) .
- سيفارث Seyffarth (١٧٩٦ – ١٨٨٥) .
- ويلكينسون Wilkinson (١٧٩٧ – ١٨٧٥) .
- شارب Sharpe (١٧٩٩ – ١٨٨١) .
- روزلينى Rosellini (١٨٠٠ – ١٨٤٣) .
- امبير Ampere (١٨٠٠ – ١٨٦٤)(١) .
- بانكس Bankes (توفى عام ١٨٥٥) .
- ليمانس Leemans (١٨٠٩ – ١٨٩٣) .
- لبسيوس Lepsius (١٨١٠ – ١٨٨٤) .
- دى روجيه De Rouge (١٨١١ – ١٨٧٢) .
- ابوت Abbott (١٨١٢ – ١٨٥٩) .
- فاسالى Vassalli (١٨١٢ – ١٨٨٧) .
- برينج Perring (١٨١٣ – ١٨٦٩) .

---

(١)الذى جاء إلى مصر عام ١٩٤٤ وكان هدفه الأساسى هو دراسة الآثار المصرية ليتعرف على عالمها المفقود وزيارة الأماكن التى زارها شامبوليون ليستوثق بنفسه منها ، فراح يجوس بين أطلال المعابد والمقابر واكتشف فيها على حد تعبيره : " موسوعة عظيمة من الجمال كأنها بومبى بمقياس أوسع تنطوى على حياة المصريين القدماء مصورة أحسن تصوير " ، راجع : د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ – ٢٢٩ .

- بلان Blanc (١٨١٣ – ١٨٨٢) .
- بيرش Birch (١٨١٣ – ١٨٨٥) .
- شاباس Chabas (١٨١٧ – ١٨٨٢) .
- ماريت Mariette (١٨٢١ – ١٨٨١) .
- لايوث Lauth (١٨٢٢ – ١٨٩٠) .
- بروجش Brugsch (١٨٢٧ – ١٨٩٤) .
- دفريا Deveria (١٨٣١ – ١٨٧١) .
- اميليا – ادواردز Amelia Edwards (١٨٣١ – ١٨٩٢) .
- دوميشن Dumichen (١٨٣٣ – ١٨٩٤) .
- إيرز Ebers (١٨٣٧ – ١٨٩٨) .
- فون برجمان Von Bergmann (١٨٤٤ – ١٨٩٢) .

ويلكينسون Wilkinson (١٧٩٧ – ١٨٧٥) :

عالم مصريات إنجليزى – ورحالة جاء إلى مصر وهو صغير السن وكان يبلغ من العمر حوالى أربعة وعشرين عاما ، وحضر فى عام ١٨٢١ ومكث اثنا عشر عاما ، وقام بتسجيل ونسخ ورسم ووصف العديد من المناظر والنقوش فى سجلاته ، وخاصة المناظر الموجودة فى مقابر كبار الشخصيات فى البر الغربى فى طيبة والتى فقد بعضها الآن أو تهدم أو أصبح هناك صعوبة فى الوصول إليها . كما قام بنسخ المنظر الهام الموجود فى مقبرة تحوتى حتب فى البرشا والذى يبين لنا نقل التمثال إلى داخل المقبرة . وتحتوى سجلات ويلكينسون على معلومات هامة عن الآثار المصرية وخاصة الآثار التى كانت قائمة فى الفترة بين عامى ١٨٢١ و ١٨٥٦ وهو آخر عام أو آخر تاريخ لزيارته لمصر . وأفضل أعماله كتابه بعنوان

" سلوكيات وعادات المصريين القدماء " ونشر فى ثلاثة أجزاء فـــى عـــام ١٨٣٧ . وجميع ما بقى من سجلات ويلكينسون محفوظ الآن فى معهد جريفيـــث باكســفورد وبسبب أعماله منح لقب الفروسية عام ١٨٣٩ .[١]

وقد أدت خبرة ويلكينسون إلى الكشف عن عدد من أجمـــل مقـــابر طيبـــة وارتفعت باسمه إلى رأس قائمة الرواد الأثريين الذين كان من بينهم الثرى الإسكتلندى روبرت هاى ممول الكثير من هذه الحفائر والذى قضى أكثر من شتاء بيـــن عـــامى ١٨٢٨ ، ١٨٣٦ فى إحدى مقابر طيبة ، وهو لا يتوقف عن الكشف عن المزيد مـــن المقابر عاكفا على إعداد الرسوم وتصنيف المقتنيات فى سجلات وصفية ، واســـتخدم عددا من الرسامين المحترفين والفنانين لتنفيذ مشروعاته الطموحة . وفى عـــام ١٨٣٤ نشر ويلكنيسون كتابه " طوبوغرافية طيبة والمسح العام للقطر المصـــرى " ، وكـــان أول تنقيح لما ورد فى كتاب علماء الحملة الفرنسية الشهير " وصف مصـــر " وبعـــد ثلاث سنوات نشر كتابه الخالد " المصريون القدماء ، عاداتهم وتقاليدهم " ، وكـــانت معظم الرسوم فى كتاب ويلكنيسون من إنجاز بونومى الذى اشـــتهر بوصفـــه أبـــرع رسامى الخط الهيروغليفى . وهكذا أصبح كل من ويلكينسون وبونومى أهم ناشـــرى علم المصريات الجديد (ايجيتولوجى) .[٢]

وقام بآخر زيارة له لمصر عام ١٨٥٦ بذل ويلكينسون أثناءهـــا مجـــهودات مضنية لنسخ ورسم العديد من المناظر فى مقابر كبار الشخصيات فى البر الغربى فى طيبة . ونسخ العديد من المناظر التى تعرضت للتلف الآن أو حطمت كلية واختفـت .

---

(١) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, London (1958), p. 107, 126.
وأيضا : Dawson, op. cit., p. 305 – 307 ؛ د. ثـــروت عكاشـــة : مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء ، الهيئـــة المصريـــة العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩٩ .

(٢) د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

كما أن بعض هذه المناظر ينتظر النشر العلمى كما أصبح الدخول إلى بعض المقـابر التى دخلها والتى كانت تحتوى هذه المناظر تمثل صعوبة كبـيرة بالنسـبة للبـاحثين الآن .

ومن أهم المناظر التى رسمها لنا ونقلها ويلكينسـون : منـاظر أصحـاب الحرف من المقبرة رقم ٣٦ التى تخص " إيبى " الذى كان معاصرا للملك بسـماتيك الأول من الأسرة السادسة والعشرين .

فنرى فى الصف الأول صناع الجلود والأوانى الحجرية وتماثيل الأوشـبتى وأوانى الأحشاء وصناع المعادن ، وفى الصف الثانى نرى صناع العجلات الحربيـة والنحاتين وصناع الحلى . وفى الصف الرابع نرى صناع المعادن ، وعمال يحملـون لوح خشب وصناع المراكب . وفى الصـف الخـامس صنـاع المراكـب والكتبـة وتعرضت هذه المناظر القيمة للتلف الشديد .[١]

ومن المقبرة رقم ٨٨ التى تخص " بح سوخر ثنو " من عصـر تحوتمـس الثالث وأمنحتب الثانى ، نقل إلينا ويلكينسون منظر يمثل عـاملان يقومـان بتنظيـف ريش أوزتين وهناك ثلاث أوزات مذبوحة ملقاة على الأرض ونرى سبع أوزات معلقة على حامل بعد تنظيفها . ويبدو أن العاملين يجلسان فى كوخ . وتعرض هذا المنظـر الواقعى للتلف أيضا خاصة وجه الشخص الذى يجلس إلى اليسار فقد اختفى كليـة .[٢] فهل يمثل ذلك المنظر مكانا لبيع الطيور المذبوحة ؟ أو مكانا لتنظيف الطيـور بعـد شرائها ؟

ومن المقبرة رقم ٧٦ التى تخص حامل المروحة على يمين الملك " ثنونـا " من عصر تحوتمس الرابع نقل إلينا ويلكينسون منظرا يمثل كاتبين ومعهم رئيسـهم . نرى الكاتبين فى وضع القرفصاء يمسكان ببرديتين مطويتين فـوق شـكل مربـع . وبجوار أحدهما ما يشبه الجراب التـى تحفـظ فيـه البرديـات المطويـة وبجـوار

---

(١) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 107 .

(٢) Id., op. cit., p. 107 .

الآخر صندوق تحفظ فيه البرديات بعد الكتابة عليها . ويبدو أن الرجل الثالث رئيسهم هو رئيس الكتبة يوجه إليهما التعليمات بما يجب تحريره وأتلف هذا المنظر الهام لدرجة كبيرة الآن .(١)

ومن مقبرة " باسر " رقم ١٠٦ الذى كان وزيرا فى عصرى سيتى الأول ورمسيس الثانى ، نقل إلينا ويلكينسون منظرا يمثل باسر تتبعه زوجته وأقاربه من نساء ورجال يقومون بتطهير القرابين وحرق البخور وصب الماء المطهر ولم تنشر المقبرة بعد ومعظم أجزاء هذا المنظر قد حطمت كلية .(٢)

ومن مقبرة " كى نبو " رقم ١١٣ من عصر رمسيس الثامن نقل إلينا ويلكينسون منظرا يمثل راقصتين نوبيتين يصطحبهما عازفة على قيثارة صغيرة كالجنك وأخرى تنفخ فى مزمار مزدوج ويليهما عازف يعزف على آلة موسيقية وترية كبيرة كالقيثارة ومغنى يرفع يده اليسرى أمام فمه ينشد بطرب والمنظر تهدم كلية الآن .(٣) ومن أهم مؤلفاته :

- Materia Hieroglyphica, containing the Egyptian Pantheon and the Succession of the Pharaohs, from the earlient times to the conquest by Alexander, and other Hieroglyphical subjects, 2 vols., 1828 – 30 .
- Extracts from several Hieroglyphical subjects found at Thebes and other parts of Egypt, 1830 .
- Topographical survey of Thebes, Mape, Thaba of Diopolis Magna, 1830 .

---

(١) Id., op. cit., p. 107 .

(٢) Id., op. cit., p. 107 .

(٣) Id., op. cit., p 107 .

- Topography of Thebes, and general view of Egypt, 1835 .
- The Manners and Customs of the Ancient Egyptians , 3 vols., 1837 .
- The Architecture of Ancient Egypt, 1850 .
- The Fragments of the Hieratic papyrus at Turin, 2 vols ., 1851 .
- A Popular Account of the Ancient Egyptians 2 vols., 1854 .

لبسيوس Lepsius (١٨١٠ – ١٨٨٤) :

عالم ألمانى فى المصريات ، من أكبر علماء المصريات بعد شامبوليون نشر ١٤٢ بحثا .[١] بل والوحيد الذى يمكن وضعه فى مصاف شامبوليون بما قدمه لهذا العلم من أجل الخدمات .

وفى عام ١٨٣٤ نشر مؤلفه : " الببليوغرافيا كوسيلة للبحث اللغوى " وأرسل خطابه الشهير إلى روزلينى حدد نقطة التحول فى دراسة الهيروغليفية ، حيث أعلن فيه قبوله لنظام شامبوليون ، وشرح لأول مرة العلاقة بين بعض الصور الهيروغليفية واللهجة القبطية . وبعد أربع سنوات قضاها فى زيارة التحف والآثار المصرية فى كل من إيطاليا وهولندا وإنجلترا ، عاد إلى ألمانيا حيث أقنعه هومبولد ويانسن أن يجعل من زيارته المقترحة إلى مصر بعثة علمية بمعونة من البلاط الملكى وزار مصر ثلاث مرات : الأولى : عندما كان عمره اثنان وثلاثين عاما ورأس بعثة أثرية قامت بتسجيل الآثار فى مصر وبلاد النوبة من عام ١٨٤٢ حتى ١٨٤٥ واكتشفت معظم المناطق التى تحوى الآثار المصرية القديمة من جنوب

---

(١) Dawson, op. cit., p. 173 – 175 .

الخرطوم بالسودان حتى سواحل سوريا ، فقد ذهب لبسيوس حتى مروى عامى ١٨٤٢ ، ١٨٤٥ وكان من نتيجة هذه البعثة ظهور اثنى عشر مجلدا . ضخما عن " آثار مصر وأثيوبيا " وظهرت هذه المؤلفات ابتداء من عام ١٨٤٩ حتى ١٨٥٩ تحت عنوان :

Denkmaeler aus Aegypten und Aethiopion, Berlin, 1849- 1859 .

وهى تعد من أوثق وأهم المراجع الأثرية ، لأنها ملأى بالخرائط والرسوم والنقوش التى نقلها لبسيوس فى مصر وفى مروى وأضاف إليها ملحقا يشتمل على النصوص التى كان قد دونها أيام البعثة . وهو كتاب ضخم ، بل ربما كان أضخم كتاب عن الآثار المصرية ، إذ يغطيها من الناحية الأثرية واللغوية والتاريخية وأضاف إليها أربعة مجلدات أخرى فى وصف الآثار .

وقام لبسيوس بنقش نص فوق مدخل الهرم الأكبر (خوفو) بالجيزة بحروف هيروغليفية بمناسبة الذكرى السنوية لعيد جلوس ملك بروسيا فيلهلم الرابع .

وقد قلد لبسيوس الألقاب المصرية القديمة فسمى ملك بروسيا " ملك مصر العليا والوجه البحرى " .[١] كما اكتشف موقع المنطقة الأثرية بالفيوم وقسم الموقع إلى أقسام ضمن رسم وضعه لها . كما زار فلسطين وشبه جزيرة سيناء .

وفى نهاية عام ١٨٤٥ عادت البعثة إلى ألمانيا ومعها ١٥ ألف من القوالب الجصية وورق البردى ، علاوة على الرسوم والنقوش والخرائط والخطط التى جمعتها بمنتهى الدقة والعناية ، أى عادت بنتائج فاقت كل التوقعات .[٢] وقد أضافت

---

(١) د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، ص ١١٤ .

(٢) قام بتنفيذ الرسومات لمعظم اللوحات اللازمة لكتاب لبسيوس عن الآثار ، فيدنباخ Weidenbach ، وهو فنان ألمانى (رسام) رافق البعثة العلمية برئاسة لبسيوس إلى مصر فى عام ١٨٤٢ ، راجع : د. كمال رضوان : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

البعثة ما عادت به من تحف وبحوث إلى القسم المصرى فى متحف برلين ، فأضفت عليه طابعه النهائى ، حيث أن ما أحضره لبسيوس يعتبر كنزا أحسن اختيار قطعه . وبدأ لبسيوس فى ترتيب الجناح المصرى بمبنى المتحف الجديد فى برلين عام ١٨٥٠ ، فصارت طريقة ترتيبه فيه مثلا احتذته المتاحف الأخرى فى أقسامها المصرية بما فى ذلك المتحف المصرى بالقاهرة .

وزار مصر مرة ثانية عندما كان عمره ٥٣ سنة أى فى عام ١٨٦٦ حيث عثر فى هذه المرة على مرسوم كانوب بالقرب من أبى قير وهو مؤرخ بالعام ٢٣٧ ق. م . من عهد الملك بطلميوس الثالث . وهو مرسوم شبيه بحجر رشيد لأنه كتب بخطوط ثلاثة :

الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية .[1] وزار مصر مرة ثالثة علم ١٨٦٩ حينما حضر حفل افتتاح قناة السويس . وفى عام ١٨٧٣ تم تعيينه أمينا للمكتبة الملكية فى برلين وقام بنشر عدة مؤلفات منها :

- تقسيم العصور المصرية ، ١٨٤٩ .
- كتاب الموتى للمصريين ، ١٨٥٨ .
- كتاب الملوك المصريين ، ١٨٥٨ .

ورغم تعمقه العلمى فى علم اللغة فلم يترك لبسيوس إلا قليلا من الترجمات لنصوص قديمة زودها بتعليقات تاريخية وتوضيحية ، وهى نصوص عن الأبجدية ، علم القياس ، أسماء المعادن ، جدول التقسيم الزمنى والأسماء الملكية .

---

(١) أى العام التاسع من عهد بطلميوس الثالث وهو الذى تقرر فيه أن تنشأ فى كل طبقة خامسة إلى جانب الطبقات الأربع التقليدية التى كانت كهنة كل معبد يتألفون منها ، وتسمى هذه الطبقة طبقة المعبودين الخيرين (بطلميوس وزوجه) وأن إقامة شعار عبادة البطالمة فى المعابد المصرية كانت من اختصاص هذه الطبقة ، راجع د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، الجزء الثانى ، عصر البطالمة ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

ومن أواخر أعماله كتاب " النحو النوبى " ١٨٨٠ وهو تطوير للغة النوبيـــة التى لم تكن منتشرة آنذاك ، وفى مقدمته رسم يوزع اللغـــات القديمـــة فـــى القـــارة الأفريقية .(١)

- Lettre `a M. Le professeur H. Rosellini sur l'alphabet hiéroglyphique, 1837 .
- Auswahl der wichtigsten urkunden der agyptischen Alterthums, theils zum ersten Male, theils nach dem Denkmalern berichtigt .., 1842 .
- Lettre de M. le DR. R. lepsius a` M. Letronne, 1847 .
- Briefe aus Aegypten, Aethiopien und dër Halbinsel des Sinai, geshrieben, 1842 – 1845, 1852 .
- Konigliche Museen . Abtheilung der Aegyptischen Alterthumer . Die wandgemalde, 1855 .
- Verzeichnis der agyptischen Alterthumer und Gipsabgusse von R. Lepsius, 1871 .
- Das Todtenbuch der Aegypter, 1842 ;
- Denkmaler aus Aegypten und Aethiopen 6 pts in 12 vols, 1849 – 59 .
- Die Chronologie der Aegypter , 1849 .
- Das Bilingue Dekret von kanopus in der Original grosse mit Ubersetzug beider Texte, 1886 .

---

(١) د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، ص ١١٣ – ١١٦ .

- Konigsbuch der alten Aegypter, 2 pts., 1858 ;
- Alteste Texte des Todtenbuchs nach Sarcophagen des altagyplischen Reichs in Berliner Museum, 1867 .
- Nubische Grammatik mit einer Einleitung uber die Volker und Sprachen Afrikas, 1880 .

ماريت Mariette (١٨٢١ – ١٨٨١) :

عالم فرنسى جاء إلى مصر عام ١٨٥٠ لتسجيل وزيارة بعض الأديرة القبطية ، وشراء بعض المخطوطات القبطية القديمة لكى يكون مجموعة أثرية فى متحف اللوفر بباريس [١] ، ولكنه استطاع أن يوجه نشاطه إلى أعمال التنقيب ، وساقته الأقدار إلى عمل حفائر فى منطقة سقارة فكشف عن السرابيوم الذى عثر فيه على التوابيت الحجرية الضخمة التى تحتوى على مومياوات عجل أبيس ، وعثر على مجموعة كبيرة من اللوحات ، وكمية كبيرة من التماثيل من البرونز متعددة الأحجام ونراه بعد ذلك يتجول فى كل مكان فى مصر والسودان [٢] ، وكشف عن العديد من الآثار الهامة منها معبد الدير البحرى ونقوش رحلة بلاد بونت ، واكتشف حلى الملكة إعح حتب فى منطقة دراع أبى النجا ، واكتشف بعض الآثار فى معبدى مدينة هابو والكرنك ، حيث عثر على نقوش أنواع النباتات التى أمر بنقشها تحوتمس الثالث فى إحدى قاعات بهو الأعياد فى الكرنك ، وكشف أيضا عن بعض الآثار فى منطقة أبيدوس ودندرة وإدفو وتانيس وكشف فى هذه الأخيرة عن لوحة " أربع مائة العام " واكتشف أيضا تمثال شيخ البلد والكاتب الجالس فى سقارة ، وتمثال خفرع الشهير فى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣٥ حاشية (٢) .

(٢) Mariette, Voyage dans la Haute Egypte, Paris 1878 .

معبد الوادى الخاص بهذا الملك فى منطقة الجيزة ، ومجموعة رع حتب ونفرت فى دهشور . وكشف عن لوحات كبرى تخص ملوك كوش فى جبل برقل فى السودان ، وأرسل مجموعة كبيرة من مكتشفاته التى زادت على الخمسة آلاف قطعة إلى متحف اللوفر بفرنسا .

وكان وراء تنفيذ مشروع إنشاء مصلحة للآثار ومتحف للآثار المصرية . وكان محمد على قد أصدر قرارا بإنشاء إدارة للآثار ومتحف بالقرب من بركة الأزبكية فى عام ١٨٣٤ ، وبالفعل أنشئت إدارة للآثار المصرية فى عام ١٨٥٧ ، وفى ٤ يوليو عام ١٨٥٨ عين ماريت مأمورا لأشغال العاديات فى عهد الخديو سعيد ، وفى عام ١٨٦٣ شيد متحف للآثار على النيل فى بولاق ، وحضر حفل افتتاحه رسميا الخديوى إسماعيل وبقى فى مكانه حتى عام ١٨٩١ .(١)

ويذكر له أنه أصر على إرجاع مجموعة التحف النفيسة التى عرضت فى باريس عام ١٨٦٧ معارضا فى ذلك الملكة أوجينى فى استبقائها هناك ، معتمدة على علاقات الود بينها وبين الخديو إسماعيل . ففى عام ١٨٦٧ أقيم المعرض الدولى فى باريس ، واحتفظت مصر بجناح كبير فيه لكى يتعرف من خلاله الشعب الأوروبى على حضارة مصر القديمة وانتقل إلى هذا الجناح بعض من أجمل القطع الموجودة فى متحف بولاق وعلى الرغم من محاولات ماريت إلا أن بعض القطع لم تعد أبدا إلى موطنها الأصلى . ولم ير ماريت تحقيق أهم أحلامه وهو إنشاء أول متحف للآثار لأنه توفى فى ١٩ يناير من عام ١٨٨١ . وفى عام ١٨٩١ نقلت مجموعة الآثار المعروضة فى متحف بولاق إلى سراى الجيزة ، وكانت تشغل جزءا من حديقة الحيوانات الحالية ، وكانت تضم قصر الحرملك وقصر السلاملك وما يحيط بهما من بساتين لا مثيل لها ومكثت مقتنيات متحف بولاق فى هذه السراى منذ عام ١٨٩١ حتى عام ١٩٠٢ م .

---

(١) راجع فيما بعد ، ص ١٨١ .

وفى عام ١٩٠٢ تم بناء المتحف الحالى بميدان التحرير وتم افتتاحه فى العام نفسه وحضر حفل الافتتاح الخديوى عباس حلمى الثانى .(١) وتم عرض الآثار فيه طبقا للعصور التاريخية ، من عصور ما قبل التأريخ حتى العصر البطلمى الرومانى . وهى آثار متنوعة من لوحات منقوشة وعناصر معمارية من مقابر وتماثيل ضخمة وصغيرة الحجم للملوك والأفراد والمعبودات وتوابيت ومومياوات وأوانى وحلى وأدوات للزينة وبرديات وأدوات للكتابة والرسم وعملات وغيرها .

وتكريما لماريت باعتباره أول من حاول تنفيذ فكرة إنشاء متحف للآثار فقد دفن فى تابوت حجرى فى فناء المتحف وأقيم بجواره تمثال نصفى له . وقبل وفاته نشر جزءا من حفائره وأعماله منها .

دليل متحف بولاق، وبردية بولاق، وآثار متنوعة، ومؤلف عن السرابيوم، وأبيدوس ودندرة ومعبد الكرنك ، ومؤلف عن مصاطب الدولة القديمة فى سقارة وكل هذه المؤلفات باللغة الفرنسية :(٢)

- Memoire sur la mere d'Apis, 1856 .
- Choix de monuments et de dessins decouverts ou exécutés Pendant le deblaiement du Serapeum de Memphis, 1856 .

---

(١) فى أبريل من عام ١٨٩٧ وضع الخديو عباس حلمى الثانى حجر الأساس للمتحف الجديد . وأشرف على تنفيذه المهندس الفرنسى مارسل دورنو – Dourgnon. وافتتح المتحف رسميا عام ١٩٠٢ . ويضم أكثر من ١٢٠ ألف قطعة من مختلف العصور ، راجع : Saleh – Sourouzian Official Catlogue : The Egyptian Museum Cairo, p. 9 – 10 .

(٢) Sauneron, L'Egyptologie, p. 17- 70 ؛ وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧ ؛ Dawson, óp. cit., p. 194 – 196 .

- Le Serapeum de Memphis, 1857.
- Description des fouilles executées en Egypte, 1863.
- Denderah, 5 vols., 1870 – 75.
- Les Papyrus égyptiens du musée de Boulaq, 3 vols., 1871 – 88.
- Album du musée de Boulaq, 1871.
- Monuments divers recueillis en Egypte et en Nubie, 1881.
- Listes géographiques des pylones de Karnak, 1875.
- Deir el Bahari, 2 pts., 1877.
- Voyage de la Haute Egypte, 2 vols., 1878 – 80.
- Catalogue général des mouments d'Abydos decouverts pendant les fouilles de cette ville, 1880.
- Le Serapeum de Memphis, 1882.
- Les Mastabas de l'Ancien Empire, 1883.

(هينرش) بروجش Heinrich Brugsch (١٨٢٧ – ١٨٩٤) :

عالم ألمانى وكان عالما ودارسا ، جاء إلى مصر عام ١٨٥٣ وسجل رحلته ومشاهداته فى كتاب صدر فى برلين عام ١٨٥٥ بعنوان : " تقارير عن مصر " مثلما فعل شامبوليون ولبسيوس ومن ثمرات رحلته إلى مصر كتابه بعنوان " آثار مصر " (برلين عام ١٨٥٧) ، ثم مؤلفه الضخم بعنوان " النصوص الجغرافية فى الآثار المصرية القديمة " وهو من ثلاثة أجزاء صدر فى ليبزج (من ١٨٥٧ حتى ١٨٦٠)،

ويستعرض بروجش فيه أقاليم مصر القديمة وعواصم تلك الأقاليم ، محددا موقع كل منها ، والمعابد والقنوات والأرض الزراعية .

ثم زار مصر للمرة الثانية عامى ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ بناء على دعوة وجهها له ماريت . فقام بروجش بجمع المادة اللازمة لموسوعته عن اللغة المصرية بعنوان " القاموس الهيروغليفى الديموطيقى " .

وعندما عاد زميله الأثرى دوميشن عام ١٨٦٤ من مصر ومعه مجموعة كبيرة من النصوص ، وخصوصا نصوص المعابد التى تم اكتشافها آنذاك مثل معبد دندرة ومعبد ادفو ، اقترح عليه بروجش إصدار مجلدين يحتويان على نصوص جغرافية عن مصر تكملة للثلاثة أجزاء السابقة وفعلا أصدراهما سويا فى ليبزج فى عامى ١٨٦٥ ، ١٨٦٦ .

وجاء بروجش إلى مصر للمرة الثالثة ، عندما عينته حكومة بروسيا قنصلا لها فى مصر عام ١٨٦٤ . فأخذ ينشر مقالاته فى مجلة " اللغة المصرية " التى أسسها عام ١٨٦٣ والتى تولى تحريرها لبسيوس أثناء وجود بروجش فى مصر وعين أستاذا بجامعة جوتينجن عام ١٨٦٨ . وفى جوتينجن وجد بروجش الوقت لتحقيق عمله الكبير . وهو موسوعته عن اللغة المصرية بعنوان " القاموس الهيروغليفى الديموطيقى " الذى يتضمن أهم كلمات اللغة المصرية وشرحها بالفرنسية والألمانية والعربية ، وهو من سبعة أجزاء ، صور فى ليبزج ١٨٦٨ – ١٨٨٢ .

وإذا كان يانسن قد استطاع أن يحصى الكلمات المعروفة من اللغة المصرية حتى عام ١٨٤٥ ويقدرها بحوالى ٦٨٥ كلمة فإن قاموس بروجش يحتوي على شروح لعدد ٨٤٠٠ كلمة [1] جمعها بروجش من نقوش المعابد ومن المتاحف ومن أوراق البردى وهو عمل قال عنه لبسيوس أنه لا يضاهيه عمل آخر فى مجال علم الدراسات المصرية القديمة .

---

(١) د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية ، الطبعة الأولى ١٩٧٩ ، ص ٢٦ – ٣٢ ; Dawson , op. cit., p. 42 – 43

وقرر السفر إلى مصر للمرة الرابعة عام ١٨٦٨ م ، بناء على دعوة من الخديوى إسماعيل باشا ليتولى رئاسة معهد تعليم الآثار واللغة المصرية القديمة . وأخذ بروجش يدير المعهد لمدة عشر سنوات وساعده أخوه الأصغر إميل . وقد أنعم الخديوى عليهما بلقب البكوية ثم الباشوية .

وعاش بروجش فى مصر أحسن أيامه . فرافق الدوق أوجست فون أولدنبورج فى شتاء عام ١٨٧٥ فى رحلته إلى الواحة الخارجة ، ونقل نقوش معبدها ونشرها عام ١٨٧٨ م .

وكانت رحلته الأخيرة إلى مصر عام ١٨٩٢ ، حيث كلفته حكومته بشراء قطع أثرية لها .

وفى تقييمه لزميله بروجش ، كتب ماسبرو :

" علم المصريات مدين لثلاثة : أسسه شامبوليون ، ووضع له روجيه طريقة البحث ، وأمده بروجش بما يحتاج إليه حاليا ومستقبلا " .

ومن أهم مؤلفاته نذكر :

- " قواعد اللغة الديموطيقية " (١٨٥٥) ، وهو أول وأهم كتاب من نوعه ويمكن مقارنته بكتاب شامبوليون عن قواعد الهيروغليفية .
- تقارير عن رحلتى إلى مصر (١٨٥٣ – ١٨٥٥) .
- تاريخ مصر (١٨٥٩) .
- نصوص جغرافية ، خمسة أجزاء ، الأخيران منها بالاشتراك مع دوميشن (١٨٥٧ – ١٨٦٠ ، ١٨٦٥) .
- التقويم عند قدماء المصريين ، ليبزج (١٨٦٤) .
- عالم المقابر المصرية (١٨٦٨) .
- قواعد الهيروغليفية (١٨٧٢) .

- تاريخ مصر ايام الفراعنة ، جزءان ، ليبزج (١٨٧٧) .
- رحلة إلى الواحة الخارجة فى الصحراء الليبية ، ليبزج (١٨٧٨) .
- الموسوعة الجغرافية لمصر القديمة ، جزءان (١٨٧٩) .
- القاموس الهيروغليفى الديموطيقى سبعة أجزاء ، ليبزج (١٨٦٨ – ١٨٨٢) .
- الدين والميثولوجيا عند قدماء المصريين ١٨٨٥ .
- نقوش مصرية قديمة ، ستة أجزاء ، تقع مادتها العلمية فى ١٥٧٨ صفحة ، ويحوى نصوصا من علم الفلك ، والتقويم ، والجغرافيا ، والميثولوجيا ، والسير التاريخية ، والعمارة ، صدر من ١٨٨٣ حتى ١٨٩١ .
- المصريات ، ونتائج البحث فى مجال الكتابة المصرية واللغة والتاريخ ، ليبزج ١٨٩١ .

- Grammaire démotique , 1955 .
- Reiseberichte aus Aegypten .. in den Jahren 1853 und 1854, 1855 .
- Geographische Inschriften altagyptischer Dankmales 3 pts. 1853 – 60 .
- Histoire d'Egypte, 1859 .
- Recueil de monuments égyptiens dessinés sur lieux 6 pts. 1862 – 85 .
- Matériaux pour servir a la reconstruction du calendrier des anciens égyptiens, 1864 .
- A Henry Rhind's Zwei bilingue Papyri hieratisch und demotisch, 1865 .

- Dictionnaire hiéroglyphique et démotique 7 vols, 1867 – 82
- Thesaurus Inscriptionum Aegyptiacarum Altaegyptische Inschriften 6 pts. 1883 – 11 .
- Die agyptische Graberwelt, 1868 .
- Hieroglyphische Grammatik, 1872 .
- Index des hiéroglyphes phonétiques 1872 .
- Reise nach der grossen Oase El Khargeh , 1878 .
- Dictionnaire géographique de l'ancienne Egypte, 2 vols, 1879 .
- A History of Egypt under the Pharaohs 2 vols., 1879 .

ويقع هذا المؤلف فى ١٤٢٠ صفحة .

- Religion und Morphologie der alten Aegypter 1888 .

ويقع هذا المؤلف فى ٧٥٨ صفحة .

دوميشن Dumichen (١٨٣٣ – ١٨٩٤) :

عالم ألمانى تخصص فى علم الآثار المصرية فى جامعة ستراسبورج من عام ١٨٥٩ وعمل أستاذا للمصريات فى الجامعة نفسها من عام ١٨٧٢ حتى وفاته عام ١٨٩٤ ، وقد زار مصر مرات عديدة ، أولها عام ١٨٦٣ لمدة ثلاث سنوات حيث قام بنسخ الكثير من المخطوطات والنصوص . وقام برحلات استكشافية فى كل أنحاء وادى النيل حتى الخرطوم .

ثم قام برحلته الثانية إلى مصر عام ١٨٦٨ بتكليف من ملك بروسيا ثم كانت رحلته الثالثة إليها بمناسبة افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ حين رافق الأمير فريدريش فيلهلم .

وفى عام ١٨٧٥ قام برحلته الرابعة إلى مصر لتصوير النقوش بالمقابر الملكية فى البر الغربى بطيبة . وقد نجح فى قراءة النصوص التى سجلت تاريخ إنشاء معبد إدفو ومعبد دندرة . كما أثرى علمى الجغرافيا والفلك بإضافاته نشر أكثر من أربعين مؤلفا . ومن أهم مؤلفاته :

- أسطول إحدى ملكات مصر ، ١٨٦٨ .
- معبد أبو سمبل ١٨٦٩ .
- المعابد والمقابر فى مصر القديمة ١٨٧٢ .
- واحات الصحراء الليبية ١٨٧٧ .
- الواحات ١٨٧٨ .
- تاريخ مصر القديمة ١٨٧٨ – ١٨٨٣ .

- Bauurkunde der Tempelanlagen von Dendera, 1865 .
- Geographische Inschriften altagyptischer Dehkmaler, vols. 1865 – 85 .
- Altagyptische Kalenderinschriften , 1866 .
- Historische Inschriften altagyptischer Denkmales, 2 vols., 1866 .
- Altagyptische Tempelinschriften 2 vols, 1867 .
- Die Flotte einer agyptischen Koningin, 1868 .
- Der Felsentempel von Abu Simbel, 1869 .

- Eine vor 3000 Jahren abgefasste Getreiderechnung, 1870 .
- Resultate einer .. archaeologisch photogra – phischen Expedition, 2 pts., 1869 – 71 .
- Uber die Tempel und Grabes im Alten Aegypten 1872 .
- Die erste bis jetzt aufgefundene sichere Angabe uber die Regierungs zeit eines Aegyptischen konigs, 1874 .
- Geschichte des Alten Aegyptens , 1879 .
- Die Kalendarischen Opferfestlisten im Temple von Medinet – Habu, 1881 .
- Der Grabpalast der Patuamenap, 1884 .
- Zur Geographie der alten Agypten , 1894 .
- Baugeschichte des Dendera tempels , 1877 .
- Die Oasen der libyschen Wuste, 1877

مرحلة التطور :

ويدخل علم المصريات القديمة بعد ذلك فيما يسمى بمرحلة التطور والانطلاق وذلك منذ عام ١٨٨١ حتى عام ١٩٣١ تقريبا .

وظهر فى هذه الفترة كثير من العلماء الأجانب والمصريين ومجموعة من المستشرقين وعلماء فى تخصصات أخرى يمثلون الجيل الثانى الذين كان لهم الفضل فى تطور هذه الدراسة بفروعها المختلفة ، وحصرنا أكثرهم نشاطا واهتماما لعملية تطوير دراسة علم المصريات فظهر أكثر من مائة وخمسين عالما أسهم كل منهم فى تأليف العديد من المؤلفات العلمية التى كان لها أثر كبير فى تطوير علم الدراسات

المصرية القديمة فى مختلف جامعات أوروبا . وظهر فى هذه الفترة ما يسمى بمدارس التخصص أو علماء التخصص فى مجال المصريات القديمة سواء بالنسبة لدراسة تاريخ مصر القديم أو دراسة مجالات الحضارة المصرية القديمة بمظاهرها المختلفة وخاصة اللغة المصرية القديمة . وسوف نذكر هنا أسماء ما يقرب من مائة وستة وثلاثين عالما طبقا لتواريخ ميلادهم وليس حسب ترتيبهم الأبجدى حتى يتضح لنا من هم الأقدم ، وكما نذكر بشىء من التفصيل أعمال ستة عشر عالما منهم وفقا لأهمية ما قاموا به من كتابات عديدة ، وكمثال أيضا لما أسهم به الآخرون ، وهم :

- روسى Rossi (١٨٢٧ - ١٩١٢) .
- ايزنلور Eisenlohr (١٨٣٢ - ١٩٣٨) .
- لانزون Lanzone (١٨٣٤ - ١٩٠٧) .
- امهرست Amherst (١٨٣٥ - ١٩٠٩) .
- شميدت Schmidt (١٨٣٦ - ١٩٢٥) .
- (تيودور) ديفز Davies (١٨٣٧ - ١٩١٥) .
- ليفبور Lefebure (١٨٣٨ - ١٩٠٨) .
- دى روجيه De Rouge (١٨٤٢ - ١٩٢٣) .
- (اميل) بروجش Brugsch (١٨٤٢ - ١٩٣٠) .
- رفيو Revillout (١٨٤٣ - ١٩١٣) .
- نافيل Naville (١٨٤٤ - ١٩٢٦) .
- شترن Stern (١٨٤٦ - ١٩١١) .
- جريبو Grebaut (١٨٤٦ - ١٩١٥) .
- ماسبرو Maspero (١٨٤٦ - ١٩١٦) .
- بوريان Bouriant (١٨٤٩ - ١٩٠٣) .

- أحمد كمال A. Kamal (١٨٤٩ – ١٩٢٣) .
- املينو Amelineau (١٨٥٠ – ١٩١٥) .
- ايفانس Evans (١٨٥١ – ١٩٤١) .
- بورتر Porter (١٨٥٢ – ١٩٤١) .
- بيل Piell (١٨٥٣ – ١٩٠٤) .
- فيرى Virey (١٨٥٣ – ١٩٢٢) .
- بترى Petrie (١٨٥٣ – ١٩٤٢) .
- ارمان Erman (١٨٥٤ – ١٩٣٤) .
- ماير Mayer (١٨٥٥ – ١٩٣٠) .
- جايه Gayet (١٨٥٦ – ١٩١٦) .
- سكيابارللى Schiaparelli (١٨٥٦ – ١٩٢٨) .
- فيدمان Wiedemann (١٨٥٦ – ١٩٣٦) .
- جولنيشف Golenischeff (١٨٥٦ – ١٩٤٧) .
- دى مورجان De Morgan (١٨٥٧ – ١٩٢٤) .
- بندت Benedite (١٨٥٧ – ١٩٢٦) .
- بدج Budge (١٨٥٧ – ١٩٣٤) .
- بارزانتى Barsanti (١٨٥٨ – ١٩١٧) .
- لوريه Loret (١٨٥٩ – ١٩٤٦) .
- شتيندورف Steindorff (١٨٦١ – ١٩٥١) .
- جريفيث Griffith (١٨٦٢ – ١٩٣٤) .

- بورخارت Borchardt (١٨٦٣ - ١٩٣٨) .
- لانج Lange (١٨٦٣ - ١٩٤٣) .
- ميراى Murray (١٨٦٣ - ١٩٦٣) .
- بابيه Baillet (١٨٦٤ - ١٩٢٤) .
- دارسى Daressy (١٨٦٤ - ١٩٣٨) .
- لجران Legrain (١٨٦٥ - ١٩١٧) .
- برستد Breasted (١٨٦٥ - ١٩٣٥) .
- (فورمان) ديفز Davies (١٨٦٥ - ١٩٤١) .
- كرم Crum (١٨٦٥ - ١٩٤٤) .
- فوكار Foucart (١٨٦٥ - ١٩٤٦) .
- كويبل Quibell (١٨٦٧ - ١٩٣٥) .
- ريزنر Reisner (١٨٦٧ - ١٩٤٢) .
- لوكاس Lucas (١٨٦٧ - ١٩٤٥) .
- موريه Moret (١٨٦٨ - ١٩٣٨) .
- جكييه Jequier (١٨٦٨ - ١٩٤٦) .
- شاسينا Chassinat (١٨٦٨ - ١٩٤٨) .
- شافر Schafer (١٨٦٨ - ١٩٥٧) .
- هولشر Holscher (١٨٦٨ - ١٩٦٣) .
- زيته Sethe (١٨٦٩ - ١٩٣٤) .
- يوجيه Jouguet (١٨٦٩ - ١٩٤٩) .

- نيوبرى Newberry (١٨٦٩ – ١٩٤٩) .
- شبيجلبرج Spiegelberg (١٨٧٠ – ١٩٣٠) .
- ادجار Edgar (١٨٧٠ – ١٩٣٨) .
- هنت Hunt (١٨٧١ – ١٩٣٤) .
- (هيلدا) بترى Hilda Petrie (١٨٧١ – ١٩٥٦) .
- هال Hall (١٨٧٣ – ١٩٣٠) .
- ماكيفر Maciver (١٨٧٣ – ١٩٤٥) .
- بوفييه لابيير Bovier Lapierre (١٨٧٣ – ١٩٥٠) .
- لاكو Lacau (١٨٧٣ – ١٩٦٣) .
- ماسى Mace (١٨٧٤ – ١٩٢٨) .
- كارتر Carter (١٨٧٤ – ١٩٣٩) .
- بورو Boreaux (١٨٧٤ – ١٩٤٤) .
- فيل Weill (١٨٧٤ – ١٩٥٠) .
- باريز Baraize (١٨٧٤ – ١٩٥٢) .
- مالون Mallon (١٨٧٥ – ١٩٣٤) .
- لكسا Lexa (١٨٧٥ – ١٩٦٥) .
- بيتى Beatty (١٨٧٥ – ١٩٦٨) .
- موللر Moller (١٨٧٦ – ١٩٢١) .
- فيشر Fischer (١٨٧٦ – ١٩٤١) .
- جارستانج Garstang (١٨٧٦ – ١٩٥٦) .

- ريش Reich (١٨٧٧ – ١٩٤٣) .
- كابار Capart (١٨٧٧ – ١٩٤٧) .
- جوتييه Gauthier (١٨٧٧ – ١٩٥٠) .
- يونكر Junker (١٨٧٧ – ١٩٦٢) .
- دفو Devaud (١٨٧٨ – ١٩٢٩) .
- فيرث Firth (١٨٧٨ – ١٩٣١) .
- برنتون Brunton (١٨٧٨ – ١٩٣٤) .
- رانكه Ranke (١٨٧٨ – ١٩٥٣) .
- نلسون Nelson (١٨٧٨ – ١٩٥٤) .
- لفغر Lefebvre (١٨٧٩ – ١٩٥٧) .
- جاردنر Gardiner (١٨٧٩ – ١٩٦٣) .
- وين رايت Wainwright (١٨٧٩ – ١٩٦٤) .
- سوتاس Sottas (١٨٨٠ – ١٩٢٧) .
- ويجال Weigall (١٨٨٠ – ١٩٣٤) .
- ماكاى Mackay (١٨٨٠ – ١٩٤٣) .
- ديفز Davies (١٨٨١ – ١٩٦٥) .
- رودر Roeder (١٨٨١ – ١٩٦٦) .
- ايرتون Ayrton (١٨٨٢ – ١٩١٤) .
- بيت Peet (١٨٨٢ – ١٩٣٤) .
- سبيلرز Speelers (١٨٨٢ – ١٩٦٦) .

- روش Rosch (١٨٨٣ – ١٩١٤) .
- جن Gunn (١٨٨٣ – ١٩٥٠) .
- بيسينج Bissing (١٨٨٣ – ١٩٥٦) .
- آلت Alt (١٨٨٣ – ١٩٥٦) .
- بلاكمان Blackman (١٨٨٣ – ١٩٥٦) .
- ونلوك Winlock (١٨٨٤ – ١٩٥٠) .
- بيرخارت Burchardt (١٨٨٥ – ١٩١٤) .
- فرسينسكى Wreszinski (١٨٨٥ – ١٩٣٥) .
- بيسون دلاروك Bisson de la Roque (١٨٨٥ – ١٩٥٨) .
- مونتيه Montet (١٨٨٥ – ١٩٦٦) .
- جرابوف Grapow (١٨٨٥ – ١٩٦٧) .
- بول Bull (١٨٨٦ – ١٩٥٤) .
- سليم حسن S. Hassan (١٨٨٦ – ١٩٦١) .
- كليبس Klebs (١٨٨٦ – ١٩٦٤) .
- كيس Kees (١٨٨٦ – ١٩٦٤) .
- انجلباخ Engelbach (١٨٨٨ – ١٩٤٦) .
- داوسون Dawson (١٨٨٨ – ١٩٦٨) .
- فارينا Farina (١٨٨٩ – ١٩٤٧) .
- دريوتون Drioton (١٨٨٩ – ١٩٦١) .
- بوتى Botti (١٨٨٩ – ١٩٦٨) .

- اريكسن Erichsen (١٨٩٠ – ١٩٦٦) .
- رو Rowe (١٨٩١ – ١٩٦٨) .
- شارف Scharff (١٨٩٢ – ١٩٥٠) .
- دى بك De Buck (١٨٩٢ – ١٩٥٩) .
- كيمر Keimer (١٨٩٣ – ١٩٥٧) .
- تيل Till (١٨٩٤ – ١٩٦٣) .
- فولتن Volten (١٨٩٥ – ١٩٦٣) .
- فرانكفور Frankfort (١٨٩٧ – ١٩٥٤) .
- بيانكوف Piankoff (١٨٩٧ – ١٩٦٦) .
- شرنى Cerny (١٨٩٨ – ١٩٧٠) .
- جلانفيل Glanville (١٩٠٠ – ١٩٥٦) .
- اليو Alliot (١٩٠٣ – ١٩٦٠) .
- هايس Hayes (١٩٠٣ – ١٩٦٣) .
- هرمان Hermann (١٩٠٤ – ١٩٦٧) .
- يانسن Janssen (١٩٠٧ – ١٩٦٣) .
- جارنو Garnot (١٩٠٨ – ١٩٦٣) .
- شتوك Stock (١٩٠٨ – ١٩٦٦) .
- هكمان Hickmann (١٩٠٨ – ١٩٦٨) .
- فارى Varille (١٩٠٩ – ١٩٥١) .
- زكريا غنيم Goneim (١٩١١ – ١٩٥٩) .

- فيكنتيف Vikentiev (توفى عام ١٩٦٠) .

رفيو Revillout (١٨٤٣ – ١٩١٣) :

علم مصريات فرنسى كتب العديد من المؤلفات بلغت عام ١٩٠٠ ســـبعون كتابا و ٢٣٠ مقالة وتخصص فى الدراسات الديموطيقية (١) ، ومن مؤلفاته نذكر :

- Le Concile de Nicee d'aprés les textes Coptes, 2 vols.,1873- 1918 .
- Mémoire sur les Blemmyes, à propos d'une inscription Copte trouvée a Dandur, 1874 .
- Apocryphes coptes du Neauveau Testament : textes, 1876 .
- Actes et contrats des Musées Egyptiens de Boulaq et du louvre, 1876 .
- Le Roman de Setna : étude Philologique et critique, avec traduction mot a'mot du texte démotique, introduction historique et commentaire grammatical, 1877 .
- Nouvelle Chrestomathie Démotique : mission de 1878, contrats , 1878 .

---

(١) Dawson, op. cit., p. 246 – 47 .

- Rituel funéraire de Pamonth an demotique avec les textes hiéroglyphiques or hiératiques corespondants, 1880.
- Chrestomathie Démotique 4 vols., 1880.
- Cours de langue Démotique, lecon d'ouverture le proces d'Hermias .. 2 fasc., 1884 – 1883, 1903.
- Cours de droit Egyptien, 1884.
- Corpus Papyrorum Aegypti 3 vols., 1885 – 92.
- Un Poème satyrique, compose a l'occasion de la maladie du poete musicien herault d'insurrection, hor – Uta Papyrus de Vienne, 1885.
- Les obligations en droit égyptien compare aux autres droits de l'antiquite, 1886.
- Second mémoire sur les Blemmyes d'après les inscriptions démotiques des Nubiens, 1887.
- Musée de louvre : Catalogue de la Sculpture Egyptienne, 1889.
- Notice des papyrus démotiques archaiques et autres textes (sic) juridiques ou historiques traduits et commentés, 1896.
- Les drames de la conscience : études sur deux moralistes égyptiens inédits des deux premiers siècles du notre ere, 1901.

- Le Syllabaire demotique 2 fasc., 1912 – 13 .

ماسبرو **Maspero** (١٨٤٦ – ١٩١٦) :

عالم مصريات فرنسي وهو من أصل إيطالى ، وجاء إلى مصر عام ١٨٨١ على رأس بعثة فرنسية ، وقام برفع الأتربة والرديم عن معبد الأقصر . وارتبط اسمه بالكشف عن خبيئة الدير البحرى وعين مديرا لمتحف بولاق ومديرا لمصلحة الآثار خلفا لماريت عام ١٨٨١ وظل بها إلى عام ١٨٨٦ ثم عاد إلى فرنسا ، ثم عاد مرة أخرى مديرا لمصلحة الآثار من عام ١٨٨٩ إلى ١٩١٤ وانشأ المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، وكشف فى خبيئة الدير البحرى عن تسع وعشرين مومياء أهمها رمسيس الثانى عام ١٨٨١ . وقام بنشر العديد من المؤلفات العلمية باللغة الفرنسية التى غطت الفترة من ١٨٧١ حتى عام ١٩١٦ وألف العديد من المؤلفات فى مجال التاريخ والحضارة المصرية القديمة أهمها :

- " دراسات فى العقائد والآثار المصرية " .
- " ثلاث سنوات حفائر فى مقابر طيبة ومنف " .
- " التاريخ العام للفن " .
- " تعاليم أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول " .
- " القصص الشعبى فى مصر القديمة " .
- " التاريخ القديم لشعوب الشرق " .
- " المتحف المصرى " .
- " نصوص الأهرام " .

نشر حوالى ١٢٠٠ عمل علمى ما بين مقال وكتاب ودراسة .(١)

---

(١) Dawson, op. cit., p. 197 – 198; Eydoux, A La Recherche des Mondes Perdus, Paris (1967), p. 12-13. وأيضا نجيب العقيقى : المستشرقون ، الجزء الأول دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ٣٨٩ – ٣٩٠ .

ومن أشهر أعماله :

- L' Inscription de dedicatoire du temple d'Abydos, 1867.
- Hymne au Nil, 1868.
- Une Enquete judiciaire à Thèbes au temps de la XX eme dynastie (Papyrus Abbott), 1871.
- Des Formes de la conjugaison en égyptien antique, en démotique et en copte, 1871.
- Du genre epistolaire chez des Egyptiens de l'Epoque Pharaonique, 1872.
- Histoire ancienne des Peuples de l'Orient, 1875.
- La Trouvaille de Deir el Bahari (with Brugsch 1881).
- Les Pronoms personnels en égyptien, 1872.
- Le Conte d'Apopi et de Soknoure, 1881.
- La Trouvaille de Deir el Bahri, 1883.
- L'Archéologie égyptienne, 1887.
- Les Momies royales de Deir el Bahari, 1889.
- Trois années de fouilles dans les tombeaux de Thèbes et de Memphis, 1889.
- Sarcophages des époques persane et Ptolèmaiques CGC, 1908.
- Etudes de Mythologie et d'archéologie 8 vols. 1893, 1898, 1900, 1911, 1912, 1913, 1916.
- Essais sur l'art égyptien, 1912.

- Memoire sur quelques papyrus du louvre 1875 .
- Etudes Egyptiennes - Romans et poesies du Papyrus Harris no 500, 1879 ,
- Etudes Egyptiennes - Etudes sur quelques Textes relatifs aux funerailles .
- Les Contes populaires de l'Egypte ancienne, 1882 .
- Guide du visiteur au museé de Boulaq, 1883 .
- Catalogue du Museé Egyptien de Marseille, 1889 .
- Histoire ancienne Egypte, Assyrie, 1890 .
- Fragments de manuscrits coptes - thebains provenant de la Bibl . du Deir Amba Shenoudah, 1892 .
- Les Insciption des Pyramides de Saqqarah 1894 .
- Histoire ancienne des peuples de l'Orient classique, 3 vols 1895, 1897, 1899 .
- Fouilles autour de la Pyramide d'Ounas 1900 .
- Guide du visiteur au Museé du Caire 1902 .
- Causeries d'Egypte, 1907 .
- Les Memoires de Sinouhit 1908 .
- New light on Ancient Egypt, 1908 .
- Les Enseignements d'Amenemhait I er `a son fils Sanouasrit Ier, 1914 .

ومن بين هؤلاء المشاهير الأجانب برز فى مصر العالم المصرى :

أحمد كمال A. Kamal (١٨٤٩ – ١٩٢٣) :

الذى يعد أول أثرى وعالم مصريات مصرى . درس على يد بروجش وعمل بمصلحة الآثار والمتحف المصرى . عمل لمدة ثلاثين عاما فى حقل الآثار حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩١٤ . وعمل على نقل مجموعة الآثار من متحف بولاق إلى متحف الجيزة ثم إلى المتحف المصرى الحالى وقام بعدة حفائر فى مناطق عديدة فى دير البرشا وجبل الطير وطهنا وأطفيح والشيخ سعيد وأسيوط . وكتب تقارير علمية عن بعض المواقع الأثرية فى الدلتا وفى الصعيد .

ونشر عدة مقالات فى حوليات مصلحة الآثار ومن أهم أعماله :

- Steles Ptolémaiques et Romaines, CGC 2 vols., 1904 – 5 .
- Tables d'offrandes, CGC 2 vols ., 1906 – 9 .

وظل طيلة حياته العلمية يعد قاموسا عن اللغة المصرية القديمة ومقارنة بعض مفرداتها بما ورد فى اللغة العربية واللغات السامية الأخرى ، ولكنه لم يتمه أثناء حياته ولم يقم أحد بنشر ما تم منه . وسوف تتولى هيئة الآثار طباعته فى سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية تحت عنوان :

" دراسات فى اللغة المصرية القديمة "

وقام بالتدريس بجامعة القاهرة . وأنعم عليه الخديو بلقب بك وقبل وفاته أنعم عليه بلقب الباشا .(١)

---

(١) Dawson, op. cit., p. 3 .

بترى Petrie (١٨٥٣ - ١٩٤٢) :

عالم مصريات إنجليزى ، جاء لأول مرة إلى مصر بغرض دراسة فن بناء الأهرام أعوام ١٨٨٠ - ١٨٨٢ اختلف مع بعثة الحفائر الإنجليزية EEF وأسس فى عام ١٨٩٤ Egyptian Researeh Account وبعد ذلك تصالح مع بعثة الحفائر الإنجليزية EEF أعوام ١٨٩٦ - ١٩٠٦ . عين أول أستاذ للآثار فى إنجلترا فى جامعة الجوليج فى لندن University College London أعوام ١٨٩٢ - ١٩٣٣ . امضى حوالى اثنين وأربعين عاما فى الحفائر فى عدة أماكن مثل ماريت ، فنجد أنه حفر فى الأماكن الآتية : [1]

- تانيس عام ١٨٨٤ .
- نقراطيس ١٨٨٤ - ١٨٨٥ .
- دفنه ١٨٨٦ .
- نبشه ١٨٨٦ .
- هواره بياهمو وارسينوى ١٨٨٨ .
- هواره ١٩١٠ - ١٩١١ .
- اللاهون - كاهون ١٨٨٩ - ١٨٩٠ ، ١٩١٤ - ١٩١٩ .
- غراب ١٨٨٩ - ١٨٩٠ .
- ميدوم ١٨٩١ ، ١٩٠٩ .
- تل العمارنة ١٨٩١ - ١٨٩٢ .
- قفط ١٨٩٣ - ١٨٩٤ .

---

(١) Dawson, op. cit., p. 228 - 30 .

- نقاده وبلاص ١٨٩٥ .
- طيبة والرمسيوم ١٨٩٥ – ١٨٩٦ .
- القرنه ١٩٠٨ .
- دشاشه ١٨٩٧ .
- دندره ١٨٩٧ – ١٨٩٨ .
- هو (ديوسبوليس) ١٨٩٨ – ١٨٩٩ .
- أبيدوس ١٨٩٩ – ١٩٠٣ ، ١٩١٢ .
- اهناسيا ١٩٠٣ – ١٩٠٤ .
- بوتو ١٩٠٤ .
- سيناء ووادى المغارة وسرابية الخادم ١٩٠٤ – ١٩٠٥ .
- تل اليهودية ١٩٠٥ – ١٩٠٦ .
- تل الرتابة ١٩٠٥ – ١٩٠٦ .
- صفط الحنة ١٩٠٦ .
- جيزة وريفا ١٩٠٦ – ١٩٠٧ .
- اتريب ١٩٠٧ .
- منف ١٩٠٨ – ١٩١٣ .
- طرخان ١٩١١ – ١٩١٣ .
- سدمنت ١٩٢٠ – ١٩٢١ .
- حرجة والشرفا ١٩١١ .
- هليوبوليس ١٩١٢ .

- قاو ١٩٢٣ - ١٩٢٤ .
- الجيزة ١٩٢٧ – ١٩٣٤ .
- وحفر أيضا فى فلسطين عام ١٨٩٠ .

وفى عام ١٩٢٦ ترك مصر حتى عام ١٩٣٨ ليعمل فى مواقع الهكسوس فى فلسطين . وقد حقق نتائج هامة فى حفائره فى نقراطيس واللاهون وتل العمارنة وجبانة نقاده وأبيدوس . أسس بترى مجلة مصر القديمة Ancient Egypt فى عام ١٩١٤ . نشر بترى حوالى ألف كتاب ومقالة ، وله الفضل الأكبر فى وضع الأسس الصحيحة لعمل الحفائر المنظمة ، وتسجيل كل ما يظهر فيها من آثار صغيرة الحجم . وقام بعدة حفائر فى الوجه القبلى وحول الأهرام فى الجيزة ، وفى أطلال المدن الهامة القديمة ، ووجه عناية خاصة إلى جبانات عصر ما قبل الأسرات . وقد قسم حضارات عصر ما قبل الأسرات أو عصور ما قبل التاريخ إلى ثلاث مراحل ، وقد استخدم لذلك أرقاما متتابعة ، من ١ إلى ١٠٠ ، وهو ما عرف باسم النظام التتابعى . وترك ثورة ضخمة من المؤلفات والمقالات وأهم مؤلفاته نجدها فى التاريخ والديانة وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية .

وقد طبق الأثرى الأمريكى ريزنر Reisner (١٨٦٧ – ١٩٤٢) النظام التتابعى الذى اخترعه بترى .

- Inductive Metrology 1877 .
- The Pyramids and Temples of Gizeh, 1883 .
- Tanis , Part I, 1883 – 84, 1885 .
- Naukratis , Part I, 1884 – 85 (with Gardiner and others) 1886
- Racial Photographs from the Egyptian Monuments, 1887 .

Tanis . Part. 11. Nebesheh and Defenneh (Tahpanches) (with Murray and others)1888 .

- A Season in Egypt, 1888 .
- Two Hieroglyphic Paypri from Tanis . Part 11 .
- The Geographical Papyrus (An Almanack) (with Brugsch), 1889 .
- Hawara, Biahmu and Arsinoe 1889 .
- Historical Scarabs, 1889 .
- Kahun, Gurob and Hawara (with Griffith and others) 1890 .
- Il lahun, Kahun and Gurob . 1889 – 90 (with Sayce and Others), 1892 .
- Ten years Digging in Egypt. 1881 – 1891 , 1892 .
- Tell el Amarna(with Sayce and others) 1894 .
- A History of Egypt, 1 st ed. 3 vols . 1894 – 1905 .
- Egyptian Decorative Art 1895 .
- Egyptian Tales , 2 vols . 1895 .
- Koptos (with Hogouth) 1896 .
- Nagada and Ballas 1895 (with Quibell and others) 1896 .
- Six Temples at Thebes , 1896 (with Spiegelberg) 1897 .
- Deshasheh 1897 (with Griffith) 1898 .

- Religion and Conscience in Ancient Egypt, 1898 .
- Syria and Egypt from the Tell el Amarna letters, 1898 .
- Dendereh 1898, 2 pts. (with Griffith and others), 1900 .
- The Royal Tombs of the Frist Dynasty 1900 pt. I, 1900 .
- The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, 1901 pt. 11 (with Griffith) 1901 .
- Diopolis Parva , The cemeteries of Abadiyeh and Hu, 1898-99 (with Mace) 1901 .
- Abydos, pt. I (with Weigall) 1902 .
- Abydos, pt. II (with Griffith) 1903 .
- Ehnaysa, 1904 (with Currelly) 1904 .
- Methods and Aims in Archaeology, 1904 .
- Roman Ehnasya (Herakleopolis Magna) 1904, 1905 .
- Hyksos and Israelite Cities (with Duncon), 1906 .
- The Religion of Ancient Egypt, 1905 .
- Researches in Sinai (with Currelly), 1906 .
- Gizeh and Rifeh (with Thompson and Grum), 1907 .
- Athribis (with walker and others), 1908 .
- The Arts and Crafts of Ancient Egypt, 1909 .
- Memphis I (with walker), 1909 .
- The Palace of Apries (Memphis 11) (with walker), 1909 .

- Personal Religion in Egypt before Christianity, 1909 .
- Qurneh (with walker), 1909 .
- Meydum and Memphis 111, (with Mackay and others) 1910 .
- Historical Studies (with Knoble and others), 1911 .
- Roman Portraits and Memphis 1V, 1911 .
- Egypt and Israel, 1911 .
- The Revolutions of Civilisation, 1911 .
- The Formation of the Alphabet , 1912 .
- The labyrinth, Gerzeh and Mazghuneh, (with Wainwright and others) 1912 .
- The Hawara Portfolio, 1913 .
- Tarkhan and Memphis , (with Wainwright and others) 1913 .
- Tarkhan 11, 1914 .
- Amulets, 1914 .
- Handbook of Egyptian antiquities collected by F. Petrie, exhib, at University coll. Gower St. , 1915 .
- Heliopolis, kafr Amar and Shurafa (with Mackay and others) 1915 .
- Scarabs and Cylinders with names, 1917 .

- Tools and Weapons, 1917 .
- Eastern Exploration, Past and Future, 1918 .
- Some Sources of Human History, 1919 .
- Prehistoric Egypt, 1920 .
- Corpus of Prehistoric Pottery and Palettes, 1921 .
- Lahun 11, (with Brunton and others), 1923 .
- Social life in Ancient Egypt, 1923 .
- Sedment, 2 vols . 1924 .
- Religious life in Ancient Egypt, 1924 .
- Ancient Egyptians, no 11 of Descriptive Sociology fol., 1925 .
- Buttons and design scarabes, 1925 .
- Tombs of the Courtiers and Oxyrhynkhos, (with Gardiner and others) 1925 .
- Ancient weights and Measures, 1927 .
- Glass stamps and weights, 1926 .
- Objects of daily use, 1927 .
- Qau and Badari I, 1927 .
- Gesar, 1928 .
- Beth - Pelet I (Tell Fara) (with Tufnell), 1930 .
- Antaeopolis . The tombs of Qau, 1930 ,

- Decorative Patterns of the Ancient world, 1930 .
- Ancient Gaza , Tell. El Ajjul, 5 vols . 1931 – 52 .
- Seventy years in Archaeology , 1931 .
- Measures and weights , 1934 .
- Shabtis , 1955 .
- Anthedon , Sinai (with Ellis) 1937 .
- The Funeral Furniture of Egypt, 1937 .
- Egyptian Architecture, 1938 .
- The Making of Egypt, 1939 .
- Wisdom of the Egyptians, 1940

نشر بعد وفاته :

- Ceremonial Slate Palettes , Corpus of Proto – Dynastic Pottery (with Petrie and Murray)

ونستطيع أن نقول أنه كتب فى كل مجال

إرمان Erman (١٨٥٤ – ١٩٣٧) :

عالم ألمانى فى المصريات ، كان أستاذا بجامعة برلين من عام ١٨٩٢ حتى عام ١٩٢٣ . كان واسع الأفق والاطلاع فى مختلف فروع علم المصريات وغطت أبحاثه فى مجال الفقه ، بما فى ذلك فقه اللهجة القبطية ، كما اهتم بالتاريخ والآثار والديانة والفن ، وله مؤلفات فى كل هذه المجالات .

وقد ساعدت مؤلفاته على إخراج علم المصريات من حالة الجمود التـــى كــادت تصيبه ، فطور ذلك العلم تطورا ثوريا خصوصا مجال اللغة فيه . أخذ ارمان يبحـــث فى تركيب الجملة وبناء اللغة المصرية القديمة ، ويصنف الظواهر اللغوية التى طرأت على المصرية القديمة ، ويضع لها المراحل التاريخية التى تطورت فيها علـــى مـــدى ثلاثة آلاف عام ، فكان ارمان أول من اكتشف العلاقة بين اللغة المصريـــة واللغــات السامية القديمة ، وكان أول من قسم عصور اللغة المصرية إلى ثلاثة عصور ، وكــان أول من وضع أسس ما يمكن تسميته بالترجمة العلمية الدقيقة .

وبفضل تحليله للنصوص الأدبية والدينية والتاريخية وبفضل مشروعه الضخم بشـــأن عمل قاموس للغة المصرية ، فقد وضع لعلم اللغة أسسه الصالحة حتى اليـــوم . وإذا كان فك رموز الهيروغليفية – علـــى يـد شــامبوليون قـد سـاعد علـى قــراءة النصوص ، فإن مجهود ارمان ساعد على فهم تلك النصوص [١] ، نشـــر حوالـــى ٢٨٤ عملا ، ولم يترك جانبا من الدراسات المصرية القديمة إلا ووضع فيه المؤلفات العلمية والمقالات سواء فى اللغة [٢] ، أو التاريخ أو الأدب أو الديانة ، وتمتاز كتاباته بالأسلوب السهل ، وأهم مؤلفاته كتابه عن " قواعد اللغة المصرية فى عصر الدولـــة الحديثة " ، وكتاب آخر بالاشتراك مع هرمان رانكه عن " مصر والحياة المصريـــة " ومؤلف آخر عن " الأدب المصرى " . ومن أهم أعماله نذكر :

---

(١) د. كمال رضوان : المرجع السابق ، ص ٦١ – ٦٤ ؛ وأيضا : Dawson, op cit, p. 99 – 100.

(٢) وهو صاحب قاموس برلين الشهير للغة المصرية الذى يبلغ أكثر من مليون ونصف بطاقة ، ويوجد منه نسخة وحيدة فى أكاديمية مدينة برلين ، ومـــن مادته العلمية أمكن إصدار طبعة فى عام ١٩٢٦ – ١٩٣١ تعتبر من أهـــم ما وصل إليه علماء اللغة من مفردات ، راجع : د. محمد بكر : صفحـــات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٧ – ١٨ .

١-فى مجال النحو والصرف فى اللغة المصرية القديمة :

- طريقة الجمع فى اللغة المصرية ، ١٨٧٨ .
- لغة أوراق بردى وستكار ، ١٨٨٩ .
- القواعد الجديدة للغة المصرية ، ١٨٨٠ ، ثم طبعة ثانية عام ١٩٣٣ .
- قواعد اللغة المصرية ، ١٨٩٤ .
- قاموس اللغة المصرية ، ليبزج عام ١٩٢٦- ١٩٣١، بالاشتراك مع جرابوف، ويقع فى ٣١٠٠ صفحة .
- قاموس الجيب فى اللغة المصرية ، ١٩٢١ .
- قاموس المفردات المصرية ، ١٩٠٤ .
- رموز الهيروغليفية ١٩١٢ .

٢ - وفى مجال الدراسات القبطية :

- مقتطفات من ترجمة الصعيد للعهد القديم ، ١٨٨٠ .
- مقتطفات من الأدب الشعبى القبطى ، ١٨٩٧ .
- وثائق قبطية ١٩٠٤ .

٣ - وعن الآثار :

- المسلات الرومانية ، ١٩١٧ .
- لوحة أبى الهول ، ١٩٠٤ .

٤ - وعن الحياة اليومية والتاريخ :

- مصر وحياة شعبها فى العصور القديمة ١٨٨٥ ، ظهرت له الطبعة الثالثة بعد أن عدلها رانكه عام ١٩٢٣ .
- أدب المصريين ، ١٩٢٣ .

- عالم النيل ، ١٩٣٦ .

٥ – وعن الديانة :

- الديانة المصرية ، ١٩٠٥ ، صدرت الطبعة الثالثة عام ١٩٢٣ ، وظهرت له ترجمة إلى الإيطالية عام ١٩٠٨ . ومن مؤلفاته بالألمانية نذكر ما يلى :

- Die Plurabildung des Aegyptischen, 1878 .
- De forma pluralis in lingua aegyptiaca, 1878 .
- Die Sprache des papyrus Westcar, 1889 .
- Die flexion der agyptischen Verbums, 1902 .
- Liste der Wichtigsten hieratischen Zeichen, 1890 . Neuagyptische Grammatik, 1880 .
- Aegyptische Grammatik , 1912 .
- Die Hieroglyphen , 1912 .
- Worterbuch der agyptischen Sprache (with Grapow), 5 pts. Leipzig, 1926 – 31 with two further parts 1957 – 63, a total of over 3,100 pages, without counting the 5 vols of Belegstellen, 1935 – 53 .

وعمل على تحقيق هذا العمل أكثر من عشرين عالما من علماء العالم فى اللغة المصرية القديمة فى جميع عصورها .

- Agyptisches Handworterbuch, 1921 .
- Aegyptisches Glossar , 1904 .
- Zur agyptischen Wortforschung, 1907 – 28 .
- Koptische Urkunden , 1904 .

- Die Marchen des Papyrus Westear, 1890 .
- Gesprach eines lebenmuden mit seiner Seele, 1876
- Hymnen an das Diadem der Pharaonen , 1911 .
- Papyrus lansing , 1925
- Ein Denkmal memyhitischer Theologie , 1911 .
- Zauberspruche fur Mutter und kind, 1901 .
- Romische Obelisken, 1917 .
- Die Sphinxstele, 1904 .
- Agypten und agyptische, leben in Altertum 1885 .[1]
- Life in Ancient Egypt, 1895 .
- Die literature der Agypter, 1923 .
- Literature of the Ancient Egyptians , 1927 .
- Die agyptische Religion , 1905 .
- Die Welt am Nil, 1936 .

شتيندورف Steindorff (١٨٦١ – ١٩٥١) :

مستشرق ألمانى ، تخصص فى المصريات والدراسات القبطية أصبح أستاذا للمصريات فى جامعة ليبزج من عام ١٨٩٣ حتى ١٩٣٨ وأسس بها معهدا

---

(١) قام بترجمة هذا المؤلف إلى اللغة العربية د. عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال فى عام ١٩٥٣ ، وظهر تحت عنوان : " مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة " .

للمصريات ، ثم أودع فيه كل ما عثر عليه أثناء رحلاته الاستكشافية فى مصر وبلاد النوبة . وقد كرس جهدا خاصا لدراسة اللهجة القبطية ، فأصبح مرجعا كبيرا لها طيلة حياته . كما اهتم أيضا بالفن والديانة المصرية ، ونشر فيهما الكتب والمقالات . وقام بإجراء حفائر فى منطقة الجيزة ١٩٠٩ إلى ١٩١١ وفى النوبة من ١٩١٢ إلى ١٩١٤ ، ثم من ١٩٣٠ إلى ١٩٣١ . كما شارك فى تحرير مجلة اللغة المصرية لمدة أربعين عاما . وكانت دراسته للقبطية غاية الأهمية وما زال كتابه : " قواعد اللغة القبطية " مرجعا هاما . وقد بلغت مؤلفاته ٢٥٠ من الكتب والمقالات ، كان أولها عام ١٨٨٣ وآخرها عام وفاته ١٩٥١ ومن أهمها :

- قواعد اللغة القبطية ، ١٨٩٤ ، وظهرت له طبعة معدلة عام ١٩٠٤ ويعد هذا المرجع من أهم المراجع عن قواعد القبطية .(١)
- مكتشفات المقابر فى عصر الدولة الوسطى بالمتاحف الملكية فى برلين ١٨٩٦ .
- نصوص قبطية مع الترجمة ، ١٨٩٩ .
- عصر ازدهار الدولة الفرعونية ، ١٩٠٠ ثم طبعة معدلة فى ١٩٢٦ .
- عبر الصحراء الليبية حتى واحة آمون ، ١٩٠٤ .
- ديانة قدماء المصريين ، ١٩٠٥ .
- موجز قواعد اللغة القبطية مع قطع مختارة للمطالعة ١٩٢١ .
- الفن المصرى ، ١٩٢٨ .
- دنيا المقابر فى طيبة ١٩٣٦ .
- عندما حكمت مصر الشرق ، ١٩٤٣ .

---

(١) د. كمال رضوان : المرجع السابق ، ص ٢١٣ – ٢١٥ ؛
Dawson, op. cit., p. 280 – 281 .

- تعليم قواعد اللغة القبطية ، ١٩٥١ .
- قاموس أصول الكلمات القبطية والمصرية .
- أصل اللغة القبطية وآدابها .

قام بحفائر فى الصحراء الليبية أعوام ١٨٩٩ – ١٩٠٠ ، فى الجيزة أعوام ١٩٠٩ – ١٩١١ ، وفى بلاد النوبة ١٩١٢ – ١٩١٤ و ١٩٣٠ – ١٩٣١ . وأشرف على تحرير الـ ZAS لمدة أربعين عاما .

وتحمل مؤلفاته العناوين التالية :

- Steindorff, Short Grammar of Sacidic dialect, leipzig 1894 .
- Sassanidische Siegelsteine (with Horn) 1891 .
- Koptische Grammatik mit Chrestomathie,
- Woterverzeichnis und literatur, 1894 rev .ed . 1904 .
- Grabfunde des Mittleren Reiches in den koniglichen Museen zu Berlin, I. Das Grab des Mentuhotep, 1896 .
- Die Apokalypse des Elias, eine unbekannte Apokalypse und Bruchstucke de Sophonias – Apokalypse . Koptische Texte, Ubersetzung, Glossar, 1899 .
- Die Blutezeit des Pharaonenreiches, 1900, rev. ed. 1926 .
- Grabfunde des Mitt . Reiches in den Koniglichen Mus. Zu Berlin .11. Der Sarg des Sebk – O . Ein Grabfund aus Gebelen, 1901 .
- Durch die libysche Wuste zur Amonaose, 1904 .
- The Religion of the Ancient Egyptians, 1905 .

- Koptische Rechtsurkunden des Achten Jahr hunderts aus Djeme, Theben (with Grum), 1912 .
- Das Grab des Ti , Veroffent lichungen der Ernst von Sieglin Expedition in Agypten, vol. 2, 1913 .
- Aegypten in Vergangenheit und Gegenwart, 1915 .
- Kurzer, Abriss der koptischen Grammatik mit lesestucken und Worterverzeichnis, 1921 .
- Die kunst der Aegypter : Bauten, Plastik, Kunstgewerbe, 1928 .
- Aniba, I. (with Heidenreich, kretschmar, langsdorff, and Wolf) .
- Aniba II. (with Marcks, Schleif and wolf) 1935 – 37 .
- Die Thebanische Grabwelt (with wolf), 1936 .
- When Egypt Ruled the East (with Seele), 1942 .
- Egypt, text of Hoyningen – Huene, 1943 .
- Catalogue of the Egyptian Sculpture in the Waltars Art Gallery, 1946 .
- Lehrbuch der Koptischen Grammatik, 1951 .

وعندما كان فى أمريكا عام ١٩٣٩ بسبب هروبه من النازيين فى ألمانيا نشر :

- Coptic – Egyptian Etymological Dictionary the Origin of the coptic language and literature : Prolegomena to the Coptic Grammar .

- The Proverbs of Solomon in Akhmimic coptic according to a Papyrus in the State library in Berlin, with a Coptic – Greek Glossary compiled by Cail Schmidt.

جريفيث Griffith (١٨٦٢ – ١٩٣٤) :

عالم مصريات إنجليزى قام بعدة حفائر فى مصر وقام بقراءة العديـــد مـــن النصوص الهيراطيقية المكتوبة بخط مختصر والتى ترجع إلى عصر الدولة الوسـطى وبرز نبوغه فى الخط الديموطيقى ، وإليه يرجع الفضل فى وضع أســس الدراســات المروية ومن مؤلفاته التى بلغت أكثر من ٢٦٠ مؤلفا نذكر [١] :

- Tanis, 1889.
- Naukratis, 1888.
- The City of Onias and the Mound of the Jew, 1890.
- Two Hieroglyphic Papyri from Tanis, 1889.
- Inscriptions of Suit and Der Rifeh, 1889,
- Beni Hassan, pts. III and IV, 1896, 1900.
- Hieratic Papyri from Kahun and Gurob 2 vols., 1887, 1898.
- Hieroglyphs from the collections of the Egypt Exploration fund, 1898.
- Stories of the High Priests of Memphis, 1900.

---

(١) Dawson, op. cit., p. 126 – 127.

- Demotic Magical Papyrus of London and Leyden, 3 vols., 1904 – 9 .
- Catalogue of Demotic Papyri in the Rylands library at Manchester, 3 vols, 1909 .
- The Meroitic Inscriptions of Shablul and Karanog, 1911 .
- Meroitic Inscriptions, 2 pts . 1911, 1912 .
- The Nubian Texts of the Christian Period, Oxford, 1931 .
- Excavations in Nubia in liverpool Annals of Arch., 1921-8 .
- Christian Documents from Nubia, 1929 .
- Catalogue of the Demotic Graffiti of the Dodecaschaenus, 1945 .
- The Adler Papyri, 1939 .

بوخارت Borchardt (١٨٦٣ – ١٩٣٨) :

ترك ثروة كبيرة من المؤلفات وبخاصة عن العمارة المصرية . ونشر عدد كبير من المجلدات عن آثار المتحف المصرى فى مجموعة الكتالوج العام عن التماثيل الكبيرة والصغيرة وعن لوحات المقابر فى عصر الدولة القديمة .

زار مصر للمرة الأولى عام ١٨٩٥ . وفى زيارات أخرى لمصر قاد كثيرا من عمليات الحفائر والتنقيب عن الآثار وخاصة فى منطقة أبى صير وتل العمارنة . وبالتعاون مع ماسبرو قام بالإعداد للكتالوج العام للمتحف المصرى . وفى الفترة من ١٩٠٧ حتى ١٩٢٨ كان مديرا للمعهد الألمانى للتاريخ المصرى القديم بالقاهرة . كما أسهم بكثير من النصوص والمعلومات للقاموس الصادر فى برلين واكتشف معبد

الشمس للملك نى أوسررع فى أبو غـــراب عـــام ١٨٩٨ و ١٩٠١ وكذلــك المعبــد الجنائزى فى أهرام أبو صير . كما اكتشف تصميمات منازل " تل العمارنـــة " وقـــام بدراستها دراسة تفصيلية عام ١٩١٣ – ١٩١٤ . وكان أول عالم يركز فى دراســـته على فن العمارة المصرية .

واكتشف ورشة النحات تحوتمس فى منطقة تل العمارنة . وتوفى بوخـــارت فى باريس ولكنه دفن فى القاهرة .

ومن أهم مؤلفاته :

- " آثار الدولة القديمة فى المتحف المصرى ، ١٩٠١ "، ضمن كتـــالوج المتحـــف المصرى .
- " قصة تشييد معبد آمون بالكرنك ، ١٩٠٥ " .
- " مقياس النيل وعلاماته " ، ١٩٠٦ .
- " أعمال فنية من المتحف المصرى بالقاهرة " ، ١٩٠٨ .
- " طبيعة مصر ، والحياة الشعبية وفن العمارة " ، ١٩٣٠ (بالاشتراك مع زميله ريكه) . وظهرت هذه المؤلفات باللغة الألمانية :

- Die aegyptischenpflan zensaule, 1897 .
- Zur Baugeschichte des Amonstempels von Karnak, 1905 .
- Das Grab – denkmal des konigs Ne- User – Re, 1907 .
- Das Grabdentmal des konigs S'ahou – re 3 pts, 1910, 1913 .
- Das Grabdenkmal des konigs Nefer – Ir- ke – Re, 1909 .

- Statuen und statutlten von konigen und privat leuten im Museum von kairo, CGC, 1911 – 36 .
- Die Annalen und die Zeitliche Festlegung des Alten Reiches der agyptesch en Ceschichte, 1917 .
- Die altagyptische Zeit messung, 1920 .
- Altagyptische festungen and der Zweiten Nils nell, 1923 .
- Portrats der Konigin Nofret-ete aus den Grabungen, 1921/ 13 im Tell el – Amarna, 1923 .
- Agypten, Landschaft, volksleben, Baukunst, 1930 .
- Agyptische tempel mit umgang, 1938 .
- Dankmaler des alten Reiches (ausser den statuen) im Museum von kairo CGC, 1901
- Das Re – Heiligtum des konigs Ne- Woser- Re pt. I. Der Bau, 1905 .
- Works of Art from the Egyptian Museum et Cairo, 1908 .
- Nilmesser and Nilstands marken, 1906 .

برستد **Breasted** (١٨٦٥ – ١٩٣٥) :

ترك مؤلفات وبحوثا كثيرة أهمها مجموعة من المصادر المصرية القديمة حيث ترجم أهم النصوص التاريخية فى مختلف العصور . وكتب كتابا عن تاريخ

مصر القديم منذ أقدم العصور حتى الغزو الفارسى .[١] ونشر عدة كتب عن الديانــة ، كما ترجم البردية الطبية الشهيرة ادوين سميث .

- De Hymnas in Solemsub Rege Amenphide II Conceptis, 1894 .
- A New Chapter in the life of Thutmose II, 1900 .
- The Battle of Kadesh 1903 .
- A History of Egypt, 1905 .
- Ancient Records of Egypt, 5 vols, 1906 – 7 .
- The Temples of lower Nubia, 1906 .
- A History of Ancient Egyptians, 1908 .
- The Dawn of Consience, 1933 .
- The Edwin Smith Surgical Papyrus, 2 vols., 1930 .

وترجم مؤلف ارمان عن قواعد اللغة المصرية القديمة إلى الإنجليزية عـــام ١٨٩٤ .

- A History of Egypt from the Earlist times to the Persian Conquest 2 nd edition, 1927 .
- The Monuments of Sudanese Nubia 1908 . Repelopment of Religion and Thought in Ancient Egypt, 1912 .
- Short Ancient History 1914 .

---

(١) Dawson, op. cit., p. 38 – 39 .

لوكاس Lucas (١٨٦٧ - ١٩٤٥) :

كيمائى إنجليزى كان متخصصا فى تحليل المواد وعينات المعادن والأحجار ، وكان له فضل كبير فى تحليل كثير من هذه العينات التى كشف عنها فى الحفائر ، وبين طرق المحافظة على الآثار وحمايتها . ولعب دورا كبيرا فى تنظيف وترميم محتويات مقبرة توت عنخ آمون وكذلك محتويات تابوت ششنق الثالث من الفضة الذى كشف عنه مونتيه فى تانيس عام ١٩٣٩ . وقام بترميم عدة مقابر فى البر الغربى . وكتب ٦٥ عملا علميا فى مجال ترميم الآثار منها :

- Analyse de quelques specimens de gris pris dans les Colonnes de la Salle Hypostyle 1901
- The Blackened Rocks of the Nile Cataracts and the Egyptian deserts 1905
- The Chemistry of the River Nile 1908 .
- Preservative Materials used by the Ancient Egyptians in Embalming 1911
- Ancient Egyptian Materials and Industries Antiques 1926

قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية كل من زكريا غنيم وزكى سعد [١]

(١) Dawson, op. cit., p. 185 – 186 .

زيته Sethe (١٨٦٩ – ١٩٣٤) :

عالم ألمانى فى المصريات ، وهو عالم كبير وأديب لـه مؤلفاته اللغوية الكثيرة ، وقد غطى ببحوثه مجالات كثيرة منها : مجال اللغة والتاريخ والجغرافيا والديانة والرياضيات وتأريخ الأحداث وذلك من عصر الدولة القديمة حتى ظهور الديموطيقية والقبطية .

ومن أهم مؤلفاته كتابه بعنوان " الفعل " وهو من ثلاثة أجزاء كما جمع النصوص الخاصة بالأهرام وأعاد تحريرها بعد أن كان ماسبرو قد نشرها . وقد أسس سلسلة " بحوث فى تاريخ مصر وآثارها " وكتب فيها مقالات هامة ابتداء من عام ١٨٩٦ . وفى عام ١٩٠٤ – ١٩٠٥ قام بزيارة مصر وبنسخ مجموعة كبيرة من النصوص التاريخية التى نشرها بين أعوام ١٩٠٦ و ١٩٠٩ ومنها وثائق الأسرة الثامنة عشرة .

ومن أهم مؤلفاته :

- " الفعل فى عصر الدولة القديمة وفى الدولة الحديثة وفى القبطية "، ثلاثة أجزاء، ١٨٩٩ – ١٩٠٢ ، وما زال هذا الكتاب هو المرجع الرئيسى حتى اليوم فى قواعد اللغة المصرية القديمة لأنه يتناول أشكال الفعل فى الجملة فى عصر الدولة القديمة والدولة الحديثة وفى الكتابة واللهجة القبطية .
- مقالات عن تاريخ مصر فى أقدم العصور ، ١٩٠٥ .
- وثائق الدولة القديمة ، أربعة أجزاء ، ١٩٠٣ – ١٩٣٣ .
- وثائق الأسرة الثامنة عشرة ، ستة عشر جزءا ، ١٩٠٦ – ١٩٠٩ .
- الوثائق الهيروغليفية للعصر الإغريقى الرومانى ، ثلاثة أجزاء ، ١٩٠٤ – ١٩١٦ .

- نصوص الأهرام فى العصر المصرى القديم ، جزءان واتبعـــهما بجزأيـــن تعليقات ، ١٩٠٨ – ١٩٢٢ م .
- الجملة الاسمية فى اللغتين المصرية والقبطية ، ١٩١٦ .
- الأعداد وقيمها عند قدماء المصريين ، ١٩١٦ .
- حسابات الزمن عند قدماء المصريين وعلاقته بالشعوب الأخرى، جــزءان، ١٩١٩ – ١٩٢٠ .
- نصوص مصرية للقراءة ، جزءان ١٩٢٤ – ١٩٢٧ .
- نصوص المسرحيات المصرية القديمة ، ١٩٢٨ .
- الأصول التاريخية والدينية للمصريين ، ١٩٣٠ .
- مشكلة حتشبسوت مرة أخرى ، ١٩٣٢ .
- ترجمة نصوص الأهرام القديمة ، والتعليق عليها ، ستة أجـــزاء ١٩٣٥ – ١٩٦٢ وأصدر أيضا عدة مجلدات عن النصـــوص التاريخيـــة عندمـــا زار مصر فى شتاء عام ١٩٠٤ – ١٩٠٥ ، وبعدها ظهرت له عدة مؤلفـــات . وقد زار مصر مرة ثانية عام ١٩٢٥ .[١]

قام بعدة اكتشافات فى مجال اللغة والتاريخ والجغرافيـــا والديانـــة والرياضـــة والتاريخ وغطت دراساته الفترة من الأسرات الأولــــى حتـــى ظـــهور الديموطيقيـــة والقبطية ، وتحمل مؤلفاته الأسماء الآتية :

- Die Thronwirren unter den Nachfolgern Konigs Thutmosis I, etc., 1896 .

---

(١) د. كمال رضوان : ألمـــان فـــى مصـــر ، ص ٢٠٣ – ٢٠٥ ، وأيضـــا : Dawson, op. cit., p. 266 – 67 .

- Das Aegyptische Verbum in Altaegyptischen, Neuaegyptischen und Koptischen, 3 vols., 1899 – 1902.
- Dodekaschoinos : des Zwolfmeilenland an der Grenze von Aegypten und Nubien, (1901).
- Beitrage sur altesten Geschichte Agyptens, 1905.
- Urkunden des Alten Reichs, 4 pts., 1903 – 33.
- Urkunden der 18 Dynastie, 16 pts., 1906 – 9.
- Hieroglyphischen Urkunden des Griechisch – Romischen Zeit, 3 pts, 1904 – 116.
- Die Altaegyptischen Pyramidentexte 1 and 2, texte, vol. 3, Kritischen Apparat, 4 Epigraphik, 1908 – 1922.
- Die Einsetzung des Veziers unter der 18.
- Dynastie : Inschrift im Grabe des Rechmi – Re Zu Schech Abd El Gurna, 1909.
- Saraphis und die Sogenannten "Katochoi" des Serapis : zwei Probleme der Griechisch – Aegyptischen Religionsgeschichte, 1913.
- Der Nominalsatz im Agyptischen und Koptischen, 1916.
- Von Zahlen und Zahlworten bei den alten Agyptern und was fur andere volker und Sprachen daraus zu lernen ist .., 1916.

- Die Zeitrechnung der alten Aegypter im Verhaltnis zu der andern Volker 7 pts, 1919 – 1920
- Demotische Urkunden Zum agyptieschen
- Burgschaftsrechte, vorzuglich der Ptolemaerzeit etc., 1920.

وأكبر أعماله الذى بلغ ٨٠٠ صفحة هو :

- Aegyptische lesestucke .. Texte des Mittleren Reiches, 2 pts., 1924 – 27.
- Dramatische Texte zu Altaegyptischen Mysterien spielen pt I Memphite Theology, pt II
- Ramesseum Dramatic Papyrus, 1928
- Urgeschichte und alteste Religion der Agypter, 1930.
- Das Hatschepsut – Problem noch einmal untersucht, 1932.
- Historisch – biographische Urkunden des Mittleren Reiches (with Erichsen) 1935.
- Ubersetzung und Kommentar zu den Altagyptischen Pyramidentexten, 6 vols (with Erichsen) 1935 – 62.
- Thebanische Tempelinschriften aus Griechisch – Romischer Zeit, 1957. ظهر بعد وفاته
- Das Hieroglyphische Schriftsystem, 1935.

شبيجلبرج Spiegelberg (١٨٧٠ – ١٩٣٠) :

مستشرق ألمانى تخصص فى علم المصريات ، وكانت باكورة إنتاجه هـو كتاب عن البرديات الهيراطيقية ، كما عمل على دراسة النصوص القانونية ، الا انـه ركز فيما بعد على النصوص القبطية والديموطيقية وأصبح مرجعا فى ألمانيـا فـى الكتابة الديموطيقية حيث نشر كتابا عن قواعدها وحقق كثيرا من نصوصـها . وفـى عام ١٩٢١ نشر " القاموس القبطى " وهو عمل ظل محتفظا بقيمته العظيمة حتى حـل محله القاموس الكبير الذى وضعه كر م . وقد زار مصر عدة مرات وله بحوث قيمة فى الآثار واللغة . وكان أستاذا للمصريات فى كل من جامعة ستراسـبورج ١٨٩٨ ، وهايدلبرج ١٩١٨ وميونخ ١٩٢٣ .

ومن أهم مؤلفاته نذكر :

- دراسات حول نظام القضاء فى الدولة الفرعونية من الأسرة الثامنة عشرة حتـى الأسرة الحادية والعشرين ، ١٨٩٢ .
- مجموعة الآثار المصرية فى متحف هاج ، ١٨٩٦ .
- الأسماء المصرية واليونانية من العصر الرومانى ، ١٩٠١ .
- أوراق البردى الديموطيقى بمكتبة ستراسبورج ، الطبعة الرابعة ١٩٠٢ .
- شواهد المقابر المصرية بمتاحف جنوب ألمانيا ، ثلاثة أجزاء ١٩٠٢– ١٩٠٦ .
- تاريخ الفن المصرى حتى العصر الهيلينى ، ١٩٠٣ .
- إقامة الاسرائيليين فى مصر فى ضوء التماثيل المصرية ، ١٩٠٤ .
- الآثار الديموطيقية ، ثلاثة أجزاء ، ١٩٠٤ حتى ١٩٣٢ .
- أوراق البردى الديموطيقى فى جزيرة فيلة ، ١٩٠٨ .
- مختارات من الأعمال الفنية المصرية، ستراسبورج الطبعة الرابعة، ١٩٠٩ .

- الأسطورة المصرية عن عين الشمس ، ١٩١٧ .
- قواعد اللغة الديموطيقية ، ١٩٢٥ .[١]

وغير هذه المؤلفات الكثير . كما قام بتسجيل عدد كبير من النقوش الصخرية الهيروغليفية والهيراطيقية بجبانة طيبة على البر الغربى ، ونشرها فى مجلد كبير . وألف كتابا فى أصول الكتابة الديموطيقية . وفى عام ١٩٢١ نشر قاموسا فى اللهجة القبطية ، ونشر النص الخاص بالملك أمنحتب الثالث الذى وجد على لوحته التى عثر عليها فى معبده الجنائزى فى البر الغربى لطيبة . ونشر أيضا نصوص لوحة تف نخت المكتوبة بالخط الهيراطيقى ، وهى موجودة الآن فى متحف أثينا . وقمنا بنشرها فى رسالتنا عن مدينة سايس ومعبوداتها .

نشر المئات من المقالات الصغيرة وكتب فى ZAS وحدها حوالى ١٥٩ مقال أكثر من أى مؤلف آخر .

- Studien und Materialien zum Rechtswesen des Pharaonreiches des Dynast . XVIII – XXI, C. 1500 – 1000 v. chr., 1892 .
- Correspondance du temps des Rois – Prêtres ... , 1895.
- Hieratie Ostraka and Papyri found by Quibell , in Ramesseum , 1895 – 6 , 4^0 , 1898 .
- Rechnungen aus der Zeit Setis I., circa 1350 v. Chr., mit anderen Rechnungen des Neuen Reiches , Fol., 2 vols . 1896 .

---

(١) د. كمال رضوان : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ – ٢١١ ؛ وأيضا :
Dawson, op. cit., p. 278 – 279 .

- Die Aegyptische Sammlung des Museum – Mermanno Westreenianum in Haag, 1896 .
- Die Novelle in alten Aegypten : ein litterar- historischer Essay, 1898 .
- Aegyptische und Griechische Eigennamen aus Mumienetiketten der Romischen kaiser zeit, auf Grund von grossenteils unveroffentlichem Material .... 4⁰, 1901 .
- Demotische Papyrus aus den koniglichen Museen zu Berlin, Fol. 1902 .
- Die Demotischen Papyrus des Strassburger Bibliothek, 4⁰, 1902
- Aegyptische Grabsteine und Denksteine aus Suddeutschen Sammlungen, 3 pts; 4⁰, 1902 – 06 .
- Geschichte der Agyptischen kunst bis zum Hellenismus, 1903 .
- Aegyptologische Randglossen zum Alten Testament, 1904 .
- Der Aufenthalt Isreals in Aegypten im lichte der Aegyptischen Monumente, 1904 .
- Die Demotischen Denkmaler, 3 pts. in 4 vols. CGC,

I. Die Demotischen Inschriften 1904,

2. Die Demotischen Papyrus, 1906 – 08 .

3 Demotische Inschriften und Papyri . Fortsetzung , 1932 .

- Demotische Papyrus von der Insel Elephantine I Nr . 1 – 13 , 4^0 , 1908 .
- Ausgewahlte kunst – Denkmaler der Aegyptischen Sammlung der kaiser – Wilhelms – Universitat Strassburg , 4^0 , 1909 .
- Die Demotischen Papyrus der Musees Royaux du Cinquantenaire, 4^0 , 1909 .
- Der Sargen kreis des konigs Petubastes , 4^0 , 1910
- Demotische Texte auf krugen , 4^0 , 1912 .
- Die Demotischen Papyri Hauswaldt : Vertrage der ersten Halfte der Ptolemaerzeit .... aus Apollinopolis , 2 pts ., 4^0 , 1913 .
- Die Sogenannte Demotische Chronik des Pap . 215 der Bibl . Nationale zu Paris . , 4^0 , 1914 .
- Die Prinz - Joachim – Ostraka : Griechische und Demotische Beisetzungsurkunden Fur Ibis – und Falkenmumien aus Ombos (with Preisigke) 1914 .

- Agyptische und Griechische Inschriften und Graffiti aus den Steinbruchen des Gebel Silsile (Oberagypten), 4^0 (with Preisigke), 1915 .

- Der Agyptische Mythus vom Sonnenauge, du Papyrus der Tier Fabeln " kufi " , nach dem leidener Demotischen Papyrus I 384 , 4^0 , 1917 .

- Agyptische und andere Graffiti , Inschriften und Zeichnungen , aus der Thebanischen Nekropolis : Text – Atlas , Fol . 1921 .

- Koptisches Handworterbuch , 1921 .

- Demotische Grammatik , 1925 .

- Die Demotischen Urkunden des Zenon –Archivs , 4^0, 1929 .

- Die Demotischen Papyri loeb, 4^0 , 1931

كتب فصلا فى المؤلفات الآتية :

- Petrie , Six Temples at Thebes , 1896

- Quibell , Ramesseum , 1898

وملحقا فى المؤلفات الآتية :

- Sayce , Aramaie Papyri discovered at Assuan , 1906

- Lexa , Damotisches Totenbuch , 1910 Dumichen ,

- Geography .

١٧٣

جاردنر Gardiner (١٨٧٩ – ١٩٦٣) :

عالم مصريات إنجليزى أشهر مؤلفاته كتابه عن قواعد اللغة المصرية القديمة ، الذى ظهرت أول طبعاته عام ١٩٢٧ ، ونشر كثيرا من البرديات الأدبية وقام بترجمتها والتعليق عليها وأهمها بردية شستر بيتى رقم ١ الخاصة ببعض أغانى الغزل وبردية أمنمؤبى ، وآخر مؤلفاته كتاب عن تاريخ مصر الفراعنة ، توفى فى إفلى فى اكسفورد فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٣م ، وقائمة مؤلفاته طويلة ، فكتب ٢٢١ مقالا وعشرات الكتب .(١)

وأهم كتبه هو كتابه مع بيت عن الكتابات السينائية (٢) واهتم أيضا بترجمة نصوص مقبرة توت عنخ آمون .

أولى مقالاته الهامة كانت بعنوان :

- The Installation of a vizier, 1904 .
- The Inscription of Mes, 1905 .
- Die Klagen des Bauern, 1908 .
- The Admonitions of an Egyptian Sage, 1909 .

---

(١) Dawson, op. cit., p. 111 – 112 .

(٢) اكتشفها بترى ونشر عنها دراسة ١٩٠٦ ، اتضح من فحصها أن العمال الآسيويين الذين كانوا يعملون فى سيناء قد ابتكروا أول أبجدية عرفها التاريخ . وتتكون الأبجدية السينائية من اثنين وعشرين حرفا ، وهى عبارة عن اختزال للعلامات الهيروغليفية ، راجع : موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٢٥ – ٢٧ .

- Die Erzahlung des Sinuhe und die Hirtengeschichte, 1909.
- Egyptian Hieratic Texts, 1911
- Theban Ostraca (with Thompson and Milne), 1913
- The Tomb of Amenemhet (No. 82), with Nina de G. Davies, 1915.
- Notes on the story of Sunuhe, 1916.
- The Inscriptions of Sinai, (With Peet), 1917 (new ed. With Černy, 1952).
- The Tomb of Huy, Viceroy of Nubia in the Reign of Tutcankhamun, (With Nine de G Davies).
- Egyptian Grammar Oxford University press, London, Ist ed. 1927 ومن أشهر أعماله ولا يزال فى مجال اللغة المصرية

وظهرت الطبعة الثانية عام ١٩٥٠، والثالثة عام ١٩٥٧.

- Egyptian letters to the Dead, mainly from the old and Middle kingdoms, (with Sethe 1928).
- Description of a Hieratic Papyrus with Mythological story, love songs and other Miscellaneous Texts, 1931.
- Late Egyptian Stories, 1932.
- Le Papyrus leopold II et le Papyrus Amherst, 1933.
- Third Series of the Hieratic Papyri in the British Museum, 1953.

- The Attitude of the Ancient Egyptians to Death and the Dead, 1953 .
- Late Egyptian Miscellanies, 1937 .
- Ramesside Administrative Documents, 1940 .
- The Wilbour Papyrus, 3 vols , 1941 – 8 .
- Ancient Egyptian Onomastica, 3 vols., 1947 .
- The Ramesseum Papyri, 1955 .
- The Royal Canon of Turin, 1960
- Egypt of the Pharaohs " مصر الفراعنة "

ترجم بواسطة د. نجيب ميخائيل وراجعه د. عبد المنعم أبو بكر – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

وبرز فى مصر أيضاً :

سليم حسن S. Hassan (١٨٨٦ – ١٩٦١) :

درس على يد جولنيشف ويونكر . كان أول مصرى عين للتدريس فى جامعة القاهرة عام ١٩٣١ تعلم فى باريس وحصل على الدكتوراه من فيينا ، قام بتنظيف بعض مقابر الجيزة عام ١٩٢٩ واستمر اهتمامه بهذه الجبانة حتى عام ١٩٣٧ ، نشر عدة مقابر فى مؤلفه تحت عنوان Giza ، بلغت عشر مؤلفات وقام بحفائر حول منطقة أبو الهول ومعبده وكتب مؤلفاً عن معبد أمنحتب الثانى فى منطقته أبو الهول . وقام بالحفر فى مقبرة خنتكاوس ومدينة الكهنة الملحقة بهذه المقبرة . وعمل بالطريق الصاعد لهرم ونيس بسقارة ، ومعبد الوادى لهذا الملك وكشف عن بعض المقابر فى هذه المنطقة ترجع إلى تاريخ الأسرة الثانية . وآخر حفائر قام بها فى الجانبى الشرقى والجنوبى للهرم الأكبر والمعبد الجنائزى للملك خوفو عامى

١٩٣٨ – ١٩٣٩ . وساهم فى حملة إنقاذ آثار بلاد النوبة وكتب تقريرا عن هذا المشروع ، ونشر حوالى ٥٣ كتاب ومقال بالإنجليزية ، ونشر أيضا كتابا عن الأناشيد الدينية فى عصر الدولة الوسطى باللغة الفرنسية [١] ، ونشر كذلك كتابه بالعربية عن " مصر القديمة " فى خمسة عشر جزءا ، وقد صدر الجزء الأول فى عام ١٩٤٠ ونشر كتابا عن الأدب المصرى القديم كان يحمل عنوان " الأدب المصرى القديم " أو أدب الفراعنة ، الجزء الأول ، أعيد طباعته ضمن مطبوعات كتاب اليوم عام ١٩٩٠ . ومن مؤلفاته بالفرنسية والإنجليزية نذكر :

- Hymnes religieux du Moyen Empire, 1928.
- Le Poème dit de Pentaour et le rapport officiel sur la bataille de Qadesh, 1929.
- Excavations at Giza, 10 pts., 1929 – 60.
- The Sphinx, Its History in the light of Recent Excavations, 1949.

دريوتون Drioton (١٨٨٩ – ١٩٦١) :

عالم مصريات فرنسى كان غزير الإنتاج ، وله كتب عديدة فى التاريخ والحضارة المصرية القديمة ، وكتب عشرات المقالات الهامة فى مختلف النواحى اللغوية وخاصة فى طريقة كتابة بعض النصوص ، وأيضا فى مجال الآثار والفن ، وأهم كتبه هو كتابه الذى كتبه مع زميله فانديه عن " مصر " . عين مديرا عاما لمصلحة الآثار المصرية من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٥٢ ، وعمل دريوتون مع بورو فى متحف اللوفر عام ١٩٢٦ ، وعمل فى حفائر مدامود عام ١٩٢٩ لحساب المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة وعمل بمتحف اللوفر والكوليج دى فرانس عام

(١) Dawson, op. cit., p. 133 – 134.

١٩٥٧ ونشر حتى عام ١٩٥٥ حوالى ٢٨٧ عملا علميا ، بين كتب ودراسات ومقالات منها[١] :

- Essai sur la cryptographie privée de la fin de la XVIII eme dynastie, 1933 .
- Recueil de Cryptogrophie monumentale, 1940 .

وكانت له بعض الآراء بالنسبة لقراءة النصوص البطلمية ولكنها عدلت بواسطة فيرمان .

- Introduction `a l'étude des hiéroglyphes (with Sottas).
- Le Drame sacré dans l'antique Egypte, 1929 .
- Une Scène de mystères d'Horus, 1929. Ce que l'on sait du Theatre égyptien .
- Le Theatre égyptien, 1946 .
- Procede acrophonique et principe consonontal, 1943 .
- An Explanation of the enigmatical inscriptions on the Serapeum plaques of ptolemy IV, 1946 .
- L'Egypte with Vandier 1946 .[٢]
- La Religion égyptienne, 1955 . : ترجم إلى العربية
- Maximes Morales sur des scarabées égyptiens, 1957 .

---

(١) وأيضا Dawson, op. cit., p. 88 – 89؛ نجيب العقيقى : المستشرقون، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، الجزء الأول ، ص ٣٩٩ – ٤٠٠ .

(٢) ظهرت أول طبعه للأصل الفرنسى عام ١٩٣٨ ، وقام بترجمة الطبعة الثانية عباس بيومى عام ١٩٥٠ .

- Sur la Sagesse d'Amenemope, 1957.
- Egypte Pharaonique, 1959.
- Boiseries Coptes de style Pharaonique, 1960.

ونشر مؤلفين من مقابر النبلاء فى البر الغربى :

- Le Tombeau de Roy, 1928.
- Le Tombeau de Panehesy (with Baud), 1932.
- Le livre de proverbs et la Sagesse d'Amenemope, 1959.

كيمر Keimer (١٨٩٣ – ١٩٥٧) :

من مواليد إقليم الراين بألمانيا الغربية ، من أسرة غنية بأطيانها . وقد شعر بميل كبير إلى دراسة مصر القديمة وتاريخها ، وساعده على ذلك معرفته الجيدة باللغة العربية . شجع كابار كيمر على السفر إلى مصر ، ووضع له برنامج الدراسة والبحث فى مصر .

وفى نهاية عام ١٩٢٧ سافر كيمر إلى مصر ، وتأقلم بسرعة لدرجة أنه قرر الإقامة هناك . وقام ببحث الدلتا ومسح نباتاتها . ووضع دوسيهات ضخمة عن النبات والحيوان فى مصر قديما وحديثا . وأصبحت بحوثه معروفة لدى المجموعات العلمية الأخرى فى بروكسل ، روتردام ، بازيل .

وفى عام ١٩٢٩ – ١٩٣١ أصبح أستاذا فى مدرسة المترجمين والمرشدين السياحيين آنذاك بالقاهرة . وقام بوضع الكتالوج المتحفى العام للآثار بالقاهرة .

كما عمل أمينا لمتحف فؤاد الأول الزراعى . وفى عام ١٩٣١ أصبح رئيسا للقسم التاريخى بذلك المتحف . ثم عين أستاذا بمعهد الآثار المصرى بجامعة القاهرة

ثم أستاذ كرسى بجامعة الإسكندرية بعد إنشائها عام ١٩٤٢ . حصل على الجنسية المصرية عام ١٩٥١ .

ومنذ أن نشر كتابه الأول عن نباتات الحدائق توالت مؤلفاته ومقالاته ، وهى تشتمل على علوم الآثار والعلوم الطبيعية والانثروبولوجيا الوصفية والفنون الشعبية .

ومن أهم مؤلفاته :

- باقات الورد المصرية ، ١٩٢٥ .
- دراسات عن مصر ، ١٩٤٠ – ١٩٤٥ .
- تاريخ الثعابين فى مصر القديمة والحديثة ، ١٩٤٧ .
- حديقة الحيوان فى مصر ، ١٩٥٤ .[١]

- Etudes d'Egypte, fasc. I – V II, 1940 – 45 .
- Notes prises chez les Bisiarin et les Nubiens d'Assouan, 1951 – 53 .
- Jardins Zoologique d'Egypte, 1954 .
- Egyptian Formal bouquets, 1925 .
- Histoire de serpents dans l'Egypte Ancienne et moderne, 1947 .
- Interpretation de quelques passages d'Horapollon 1947 .
- Remarques sur le tatouage dans l'Egypte Ancienne, 1948 .
- À propos de ânes sauvages abattus par Amenophis II près de Qadesh 1956 .

---

(١) د. كمال رضوان : المرجع السابق ، ص ١٠١ – ١٠٤ ، وأيضا :
Dawson, op. cit., p. 156 – 157 .

وهناك آخرون بذلوا أيضا جهودا مشكورة فى سبيل دراسة تاريخ مصـــر القديـــم وحضارتها ودراسة الآثار وجمعها والمحافظة عليها وتصويرها ورسمها وترميمها ثم قيامهم بإعداد المادة العلمية من الآثار التى عثروا عليها أثناء عمليات الحفائر التى قـام البعض منهم بها ، وتصنيف تلك المادة حسب نوعيـــة الأثـــر ونوعيـــة المعرفـــة أو المعلومة التى يمدنا بها هذا الأثر أو هذه الوثيقة فى كتالوجات [١] ، كما قام البعـــض الآخر بإعادة نشر ما يكون قد نشر من قبل على وجه السرعة وبدون الدقة اللازمـــة لمثل هذه النوعية من الأبحاث . كما قام البعض أيضا بنشر الآثار والوثائق الموجـودة فى مجموعات خاصة فى أوروبا .

أما بالنسبة لمجهودات المسئولين المصريين والأجانب للحفاظ علـــى الآثـــار بوجه عام فنجد أنه تم إنشاء دار للعاديات المصرية (مصلحة الآثار) عـــام ١٨٣٤ . وجمعت أول مجموعة للآثار المصرية فى مبنى صغير بحديقة الأزبكية نقلت بعدهـــا إلى مبنى آخر فى القلعة . وعندما زار الأرشيدوق النمساوى ماكيسميليان مصر عـــام ١٨٥٥ أعطيت مجموعة الآثار كلها كهدية له من قبل عباس باشا حاكم مصر . وفـــى

---

(١) فهناك أكثر من ٧٥ كتالوج لمجموعات آثار المتحف المصرى تتناول هـــذه الكتالوجات تماثيل الملوك والملكات وكبـــار الشـــخصيات والمعبـــودات ، اللوحات ، التوابيت بأنواعها ، المومياوات الملكيـــة ، النواويـــس ، موائـــد القرابين ، المسلات ، الأوانى والأدوات الحجرية ، نصـــوص ورســـومات سحرية ، تمائم ، أوانى الأحشاء الاوستراكا بأنواعها ، البرديات بأنواعـــها : الهيراطيقية ، البرديات الديموطيقية واليونانية، الأوزان والمكاييل، الأقنعـــة. وأشكال النحت اليونانى ، المرايات ، أدوات الزينة ، الحلـــى والمشـــغولات الذهبية ، أدوات الموسيقى ، وأنواع أخرى من الآثار منها مجموعات عـــثر عليها فى مقابر أو فى مناطق أثرية معينة نشرت فى مجموعة الكتـــالوج ، راجـــع: Saleh – Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Musuem Cairo, p. 35 – 36 .

عام ١٨٥٨ أعد ماريت مجموعة أخرى للآثار وأسس أول متحف للآثار المصرية وهو متحف بولاق فى عام ١٨٦٣ . وفى عام ١٨٩٠ نقلت مجموعة متحف بولاق إلى سراى إسماعيل باشا بالجيزة وظلت هناك حتى تم افتتاح المتحف المصرى فى عهد عباس حلمى الثانى فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٠٢ وصممه المعمارى الفرنسى مارسل دورنون- Dourgnon .[١] وكان متحف الفن اليونانى الرومانى بالإسكندرية قد أسس فى بادئ الأمر فى شارع رشيد (الحرية حاليا) عام ١٨٩١ ثم نقل إلى مبناه الحالى عام ١٨٩٥ .[٢] وفى عام ١٨٩٣ كان مرقس باشا سميكه قد طالب بإنشاء دار للآثار القبطية وأسس المتحف عام ١٩٠٨ وكان يقع فى قصر الشمع وافتتح رسميا عام ١٩١٠ وانضم رسميا إلى مصلحة الآثار عام ١٩٣١ .[٣] وكان قد صدر أمرا عاليا بإنشاء دار للآثار العربية فى عهد إسماعيل عام ١٨٦٩ .[٤] وفى عام ١٨٨٠ جمعت أعمال الفنون الإسلامية فى جامع الحاكم بأمر الله ، وفى عام ١٨٩٥ صدر أول دليل لذلك المتحف وبعدها خطط لبناء متحف للفن الإسلامى الذى افتتح فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٠٣ . وفى عام ١٩٥٢ تغير اسم المتحف من دار الآثار العربية إلى متحف الفن الإسلامى .[٥]

---

(١) راجع فيما سبق ، ص ١٤١ وأيضا : Saleh – Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, p. 9 – 10 ; les Guides Bleus : Egypte, p. 81 .

(٢) les Guides Bleus : Egypte, p 43; Guide aux monuments Alexandrins, p. 66 .
د. على رضوان : المتاحف والحفائر ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٥ – ٣١ .

(٣) les Guides Bleus : Egypte, p. 102 .

(٤) عرفه عبده : القاهرة فى عصر إسماعيل ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٨ ، ص ٩٢ .

(٥) د. على رضوان : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

وبالنسبة لدراسة الآثار أنشأ الخديو إسماعيل فى عام ١٨٦٩ مدرسة اللسان المصرى القديم [١] وذلك بمساعدة الألمانى هنريش بروجش وكانت أول مدرسة للدراسات المصرية القديمة تخرج منها الجيل الأول من الأثريين المصريين وفى مقدمتهم أحمد كمال[٢] وأحمد نجيب ومحمد شعبان .[٣] وبعدها نجح أحمد كمال فى إعداد مجموعة لدراسة علم الآثار المصرية بمدرسة المعلمين الخديوية تخرج منها سليم حسن[٤] ومحمود حمزه وسامى جبره[٥] وعباس بيومى[٦] الذين أرسلوا إلى أوروبا لدراسة الآثار المصرية هناك . وعندما صدر المرسوم الملكى عام ١٩٢٥ بإنشاء الجامعة المصرية تضمن هذا المرسوم إنشاء قسم للآثار بكلية الآداب ، وهكذا تم افتتاح قسم للآثار المصرية والإسلامية بجامعة القاهرة عام ١٩٢٥م [٧] تخرج منه الجيل الثالث

---

(١) عرفه عبده : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٢) تحدثنا عن أهم أعماله فيما سبق ، ص ١٤٢ .

(٣) قام بنشر عدة مقالات فى ASAE عن حفائر قام بها فى بعض المناطق الأثرية .

(٤) عن أعمال سليم حسن ، راجع فيما سبق ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

(٥) عن أعمال سامى جبره العلمية ابتداء من عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٧١ ، راجع ما كتبناه عنه فى :
Vies et Travaux II : Sami Gabra , Dar Al Maaref , le Caire 1984 , p. 18 – 22 .

(٦) من أشهر أعماله : A. Bayoumi , Autour du Champs des Souchets .
كما قام بترجمة كتاب : Drioton – Vandier, L'Egypte , Paris : 1946 .

(٧) وبدأ حينذاك بدراسات الليسانس ، ثم حدث تعديل اعتبارا من عام ١٩٣٣ بإنشاء معهد للآثار يكون تابعا لكلية الآداب ويمنح دبلوما فى الآثار المصرية أو الآثار الإسلامية (معادلا لدرجة الماجستير) بعد دراسة مسائية مدتها ثلاث سنوات لمن كان حاصلا على درجة الليسانس فى الآداب .
وفى عام ١٩٥٤ تم تطبيق نظام الدراسة الصباحية ولمدة أربع سنوات للحصول على درجة الليسانس من كلية الآداب فى أى من المجالين : الآثار المصرية أو الآثار الإسلامية . وظل الحال هكذا إلى أن تم فى ====

من الأثريين المصريين كان من بينهم أحمد بدوى[١] وعبـــد المنعـم أبــو بكــر [٢]

العام الجامعى ١٩٧١ – ١٩٧٢ تحويل قسم الآثار المصرية وقسـم الآثـار الإسلامية إلى " معهد الآثار " المستقل والمنسلخ عن كليـة الآداب والتـابع لجامعة القاهرة . واستمر الحال هكذا حتى كانت الخطـوة الأخيرة وهـى تحويل " معهد الآثار " إلى كلية الآثار ، وتم ذلك فى عام ١٩٧٤ .

أما عن إنشاء القسم الثالث وهو " ترميم الآثار " فكانت بدايته فى عـام ١٩٧٥ بإنشاء دبلوم الدراسات العليا فى ترميـم الآثـار المعـادل لدرجـة الماجستير كدراسة مسائية لمدة ثلاث سنوات مع تقديم بحث تطبيقـى فـى شكل رسالة علمية . وفى عام ١٩٧٧ صدر قرار وزارى بإنشـاء " قسـم ترميم الآثار " بدراسة صباحية لأربع سنوات يحصل الطالب بعدهـا علـى درجة الليسانس . واعتبارا من عام ١٩٧٨ تقرر وقف القيد بدبلوم الـترميم المعادل لدرجة الماجستير ، بعدها صدر القرار الوزارى فـى عـام ١٩٨٣ بإنشاء درجتى الماجستير والدكتوراه بقسم الترميم . بالإضافة إلى ذلك فـإن كلية الآثار تمنح درجة الدبلوم فى أحد التخصصات التالية بعد دراسة سنتين جامعيتين : الآثار المصرية (وبدء فيه عام ١٩٧١) ، الآثـار الإسـلامية (١٩٧١) ، آثار ما قبل التاريخ (١٩٩٠) ، الآثـار الشـرقية القديمـة (١٩٩٣)(الذى يقوم بالتدريس فيه نخبة من الأساتذة الأجانب من أصحاب التخصـص) ، ترميـم الآثـار (١٩٩٣) ، تـاريخ الفـن (١٩٩٣) (راجع : دليل كلية الآثار ، مطبعة جامعة القـاهرة ١٩٩٣ ، ص ٥ – ٧) وأخيرا الدراسات المتحفية (١٩٩٩) هذا بالإضافة إلى أقسام الآثار التى تم افتتاحها بكليات الآداب ، لعل من أقدمها قسم الآثار اليونانيـة والرومانيـة بجامعة الإسكندرية ، وقسم الآثار بسوهاج، والمنصورة ، وطنطا، والمنيـا ، وحلوان ، وأحدثها قسم الآثار بآداب عين شمس .

(١) عن أهم أعماله العلمية ابتداء من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٨٤ ، راجـع : Vies et Travaux IV : Ahmed Badawi, Dar Al –Maaref, le Caire 1984, p. 21 – 23 .

(٢) من أهم أعماله : Abd el Moneim Abubakr, Excavations at Giza 1949 – 1950, Cairo 1953 .

ومحرم كمال[١] وعبد الهادى حماده وباهور لبيب[٢] ولبيب حبشى[٣] وأحمد فخرى[٤]

---

(١) من أهم أعماله : محرم كمال : تاريخ الفن المصرى القديم ، القاهرة ١٩٣٧ .

(٢) من أهم أعماله : P. Labib, Die Herrscheft der Hyksos in Ag. Und ihrsturz, Gluckstadt 1936 .

(٣) من أعماله : L Habachi, Tell Basta, le Caire 1957; Id., The Obelisks of Egypt, New York 1977 ; Id., with Anus, le tombeau de Nay `a Gournat Marcei (no. 271) : le Caire, Id., Tavole d'offerta, are ebacili de libagione. Cat. Del Museo de Torina, vol. II, Turin .

وله العديد من المقالات بلغات أجنبية فى الدوريات المتخصصة .

(٤) من أعماله : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧١ ؛ المؤلف نفسه : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية،مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣؛ اشترك مع نخبة من العلماء المصريين فى تأليف كتاب : تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ . وباللغات الأجنبية المؤلفات التالية : Fakhry, Sept tombeaux a' l'est de la Grande Pyramide , le Caire 1935; Id., Bahria Oasis, 2 vols . Cairo 1942 – 1950, Id., Siwa Oasis, Cairo 1944 ; Id., The Monuments of Sneferu at Dahshur, t. 1 Cairo 1959; t. II Cairo 1961; Id., The Pyramids, University of Chicago Press 1961 .

وأنور شكرى[١] وجرجس متى[٢] وزكريا غنيم[٣] وزكى سعد[٤] ومصطفى الأمـير[٥] ورائد علم ترميم وصيانة الآثار ، زكى اسكندر وغيرهم .

وقد بذل كل واحد من هؤلاء العلماء وغيرهم جهودا كبيرة عندمـا تنـاولوا تاريخ مصر القديم بالتحليل وألفوا فيـه ، وناقشـوا مشـكلاته [٦] ، عـلاوة علـى ترجمتهم لبعض المؤلفات الأجنبية التى تتناول تـاريخ مصـر القديـم [٧] أو بعـض

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ١٩٧٠ ؛ المؤلف نفسه : الفـن المصرى القديم منذ أقدم عصوره حتى نهايـة الدولـة القديمـة ، القـاهرة ١٩٦٥ .

(٢) G. Mattha, Demotic Ostraka from the collections at Oxford, Paris, Berlin, Vienna and Cairo, le Caire 1945; Id., The demotic legal code of Hermopolis West, BdE 45, le Caire 1975 .

(٣) Z. Goneim, The Buried Pyramid, Cairo 1956 ; Id., Horus Sekhem – Khet, Cairo 1957 .

(٤) Z. Saad, Fouilles de Helouan, les grandes decouvertes archeologique de 1954 .

(٥) El Amir, A Family Archive from Thebes , Cairo 1959
ونشر عدة مقالات فى : BIFAO 62, 68 ; JEA 34

(٦) يعطينا د. أحمد فخرى فى مؤلفه : مصر الفرعونية ، طبعـة ١٩٨١ ، ص ٤٥٣ – ٤٧٠ ، قائمة بأهم المراجع التى كتبت عن تـاريخ مصـر القديـم باللغة العربية واللغات الأجنبية ؛ وأيضا د. نجيب ميخائيل : مصر والشـرق الأدنى القديم ، ستة أجزاء ، الجزء الأول والثـانى ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٦ ، ص ٣٦٣ .

(٧) دريوتون – فانديبه : مصر ، ترجمة عباس بيومى عام ١٩٥٠ .

مظاهر حضارتها [١] ، كما ساهم البعض منهم بنشاط كبير فى مجال الحفائر وارتبط اسمه بالكشف عن آثار هامة [٢] ، أو قام البعض الآخر بالتخصص فى مجال اللغة [٣] أو فى شكل من أشكال خطوطها .[٤]

وبفضل مجهودات هؤلاء العلماء المصريين الذين وضعوا الأسس الأولى لعلم الدراسات المصرية القديمة ، ومجهودات غيرهم ممن جاءوا بعدهم ألفوا فى مجال تاريخ مصر القديم والآثار المصرية من أمثال أستاذنا د. عبد العزيز صالح [٥]، ود. عبد المحسن بكير [٦] ، ود. محمد عبد القادر [٧] ، ود. عبد الحميد زايد [٨]،

---

(١) يعطينا د. سيد توفيق فى مؤلفه : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ ؛ ص ٤٤٩ قائمة ببعض المراجع المعربة عن بعض مظاهر الحضارة المصرية مرتبة ترتيبا أبجديا .

(٢) د. سامى جبره : فى رحاب المعبود توت رسول العلم والمعرفة : مذكرات أثرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

(٣) مثال ذلك ما قام به كل من أحمد كمال باشا و د. أحمد بدوى ود. عبد المحسن بكير (انظر فيما بعد ص ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٤) مثال ذلك ما قام به كل من د. جرجس متى ود. مصطفى الأمير فى دراستهم للاوستراكا والبرديات الديموطيقية ، راجع فيما سبق ، ص ١٨٥ حاشية (٢) (٥) .

(٥) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٧٦ ؛ حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول القاهرة ١٩٦٢ ؛ الفن المصرى القديم ، ١٩٦٢ ؛ التربية والتعليم فى مصر القديمة ؛ ١٩٦٦ .

(٦) Bakir, Slavery in Pharaonic Egypt (Suppl. ASAE 18), Cairo 1952 ; Id.,The Cairo Calendar No 86637,Cairo 1966

(٧) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ .

(٨) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ . القاهرة ١٩٦٦ ، المؤلف نفسه : الشرق الخالد ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٦ .

ود . جمال مختار [١] وغيرهم . والمجهودات المستمرة للباحثين والدارسين من أجانب ومصريين ، وبفضل الحفائر التى تنفذ بصفة دائمة كل عام ، والتى تعد المصدر الذى لا ينضب للآثار والوثائق والنصوص الجديدة ، وبفضل ما يكشف عنه من آثار ووثائق بطريق الصدفة من حين لآخر ، وتنشر دراستها أولا بأول فى المجلات العلمية المتخصصة ، وبفضل ما تقوم به كلية الآثار بجامعة القاهرة وأقسام الآثار الأخرى بكليات الآداب بالجامعات الأخرى من مجهودات فى مجال تدريس الآثار المصرية واليونانية والرومانية والإسلامية وعلم الترميم طبقا لأحدث النظريات وأفضل الطرق ، وما تقوم به الكلية فى مجال الحفائر العلمية فى أكثر من منطقة أثرية ، وبفضل ما تقوم به بعض أقسام الآثار من حفائر مستهدفة البحث الأكاديمى والتطبيق العملى وإعداد المتخصصين فى مجالات الآثار المصرية والإسلامية فى عصورها المتعاقبة ، وبفضل مجهودات المجلس الأعلى للآثار الذى يضم مركز تسجيل الآثار والمتحف المصرى والمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية والمتحف القبطى والمتاحف الإقليمية فى بعض المحافظات ، فى مجال الحفائر وأعمال الترميم التى تقوم بها وأعمال النشر العلمى هذا بالإضافة إلى أنه يقع على عاتقها مسئولية الحفاظ على هذا التراث الأثرى الهائل فى جميع أنحاء البلاد ، واستصدار القوانين المتعددة والمعدلة لحماية الآثار [٢] ، كان أولها رقم ١٤ لعام ١٩١٢ وعدل برقم ٢١٥ لعام ١٩٥١ ، وأخيرا عدل برقم ١١٧ لعام ١٩٨٣ الذى حرم الاتجار فى الآثار .

وأخيرا يجب ألا ننسى فضل الأجيال من أبناء الشعب المصرى فى كل مكان وزمان فى مساعدة البعثات الأجنبية والمصرية فى أعمال التنقيب عن الآثار ودراستها وخاصة أبناء قفط الذين ساهموا بخبرتهم المتوارثة فى مجال الحفائر فى

---

(١) G. Mokhtar, General History of Africa 11, California 1981, Id., Ihnasya el Medina, BdE 40, le Caire 1983 .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٣٣ – ٣٣٧ .

الكشف عن آلاف الآثار وذلك باعتراف علماء الآثار المصرية الأجانب أنفسهم[١] ، ويفضل كل هذا أصبح علم الدراسات المصرية القديمة من العلوم الهامة التى تدرس الآن بطريقة علمية لأن الأمر لا يقتصر على تحليل النص الذى جاء على الأثر وفهم ترجمته وفهم ما يعكس من أحداث ، ولكن لابد من دراسة الأثر نفسه دراسة كاملة من ناحية الظروف التى وجد فيها الأثر ، وعلاقة الأثر بالمكان الذى عثر عليه فيه ، ونوعية المادة المصنوع منها الأثر ، وأسلوب الكتابة أو النقش على الأثر ، والطراز الفنى له ، هذا إلى جانب استخدام الأساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة فى دراسة الآثار ، فكل ذلك له نتائجه من ناحية دراسة الآثار ، فكل ذلك له نتائجه من ناحية دراسة التاريخ أو معرفة مظهر من مظاهر الحضارة .

٣ - الازدهار وتنوع الدراسات من عام ١٩٣١ إلى ١٩٨١ تقريبا :

أصبح لعلم الدراسات المصرية القديمة أكثر من متخصص فى مجالاته العديدة ، فهناك أكثر من متخصص ومؤلف فى الببليوجرافيا[٢] ، وفى جيولوجيا الأرض المصرية وبعض خاماتها [٣] ، ومصادر البيئة القديمة مثل نباتات البيئة [٤] وبعض حيواناتها وطيورها ، وفى الجغرافيا القديمة مثل الدراسات التى قام بها بعض

---

(١) نذكر هنا المثال الذى يدعى "التمساح" وكان من أبناء الأقصر (١٧٨٨ - ١٨٦٥) وأدى خدمات جليلة للقنصل دروفتى ولشامبوليون وتقابل مع بروجش فى طيبة عام ١٨٥٤ ، راجع : Dawson, op. cit., p.: 288 .

(٢) W. Hovestreydt, Preliminary Egyptological Bibliography No. 11, Leiden, 1992 .

(٣) J. Harris, Lexicographical Studies in Ancient Egyptian Minerals, Berlin, 1961 .

(٤) G. Charpentier, Recueil du materiaux épigraphique relatifs `a la botanique de L'Égypte antique, Paris, 1986 .

العلماء فى مجال كتابة قواميس جغرافية عن أسماء المدن والأقاليم والأنهار وأماكن المعابد القديمة ، وأسماء البلاد الأجنبية (١) ، ومنهم من ركز على دراسة طوبوغرافية مصر القديمة ووضع لها الخرائط بأسماء المدن والأقاليم ، وفى مجال التاريخ هناك المتخصص فى عصور ما قبل التأريخ ، وفى العصور التاريخية بوجه عام أو فى عصر من عصوره ، أو فى العصور الوسيطة الغامضة أو عصور الثورات والضعف السياسى ، وعصور الغزوات الأجنبية ، ومن العلماء من يكتب فى مشكلات التاريخ بالنسبة لترتيب الملوك ومدد حكمهم وأحقية البعض منهم فى العرش أو النزاعات التى نشأت بين بعضهم البعض ، ومنهم من يكتب عن شخصية ملك معين ، أو يكتب عن نشاطه الحربى ، أو عن الأدوار السياسية لبعض ملكات مصر أو يكتب عن اسم ملك غير معروف ، أو عن مومياوات الملوك .(٢)

وفى مجال الحضارة المصرية القديمة نجد أيضا أكثر من متخصص فى الديانة المصرية القديمة والمعتقدات ، وفى نظم الحكم والإدارة والقوانين ، وفى الحياة الاجتماعية ومنهم بالطبع من بحث فى حياة الإنسان المصرى القديم وعاداته وتقاليده ، وفى الحياة الاقتصادية والحياة اليومية ، وفى الزراعة والصناعات والحرف ومنهم من اهتم بالنبات أو بالحيوان فى مصر القديمة . وفى مجال الحياة الثقافية منهم من اهتم باللغة والكتابة فى عصورها المختلفة (٣) ، ومفردات اللغة المصرية وتعبيراتها المختلفة وقواعد اللغة وتركيباتها ، وأشكال كتاباتها ونجد أكثر من متخصص فى الكتابة الهيراطيقية بنصوصها الأدبية وغيرها ، وفى الكتابة الديموطيقية ونصوصها القانونية والإدارية والدينية والأدبية وغيرها .

---

(١) H. Gauthier, Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques, 7 vols. IFAO, le Caire, 1925 – 1931 .

(٢) M. Bucaille, les momies des Pharaons et la medicine, Ramses II `a Paris, éd. Seguier, 1987 .

(٣) Faulkner, A Concise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1966 .

وفى الكتابة القبطية بلهجاتها ونصوصها الأدبية . كما أننا نجد المتخصص فى مجال علاقة اللغة المصرية بغيرها من اللغات السامية واللهجات الأفريقية القديمة . كما أن بعض هؤلاء الباحثين اتجه إلى الكتابة عن التربية والتعليم والأدب بفروعه ، وفى مجال العلوم مثل الطب والرياضة والفلك والسحر ، وفى مجال الفنون المختلفة : الموسيقى والغناء والرقص والعمارة بأشكالها ، وفى مجال الرياضة البدنية ، وفى مجال وسائل التسلية ، وفى مجال العلاقات الخارجية والشعوب والعناصر الأجنبية التى تعيش فى مصر وفى مجال أسماء الأشخاص وألقابهم . كما نجد المتخصص فى دراسة المعتقدات الدينية المسجلة على جدران المعابد الكبرى فى العصر البطلمى – الرومانى .(١)

وإذا عدنا إلى الوراء قليلا لنرى مدى التقدم الذى حدث فى مجال دراسة ومعرفة اللغة المصرية القديمة على اعتبار أن معرفة اللغة المصرية معرفة جيدة هو الأساس فى معرفة الكثير عن تاريخ مصر القديم وحضارتها . فإننا نجد أن حماس العلماء الأجانب لم يتوقف بعد وفاة شامبوليون بل زاد لمعرفة المزيد عن اللغة المصرية القديمة وذلك ابتداء من ١٨٣٧ حتى عام ١٩٤٠ م ، فقد أعطيت قوة دفع جديدة لدراسة الهيروغليفية بواسطة الخطاب الذى أرسله لبسيوس Lepsius إلى روزلينى Lettre `a M. le Professeur H, Rosellini الذى نشر فى روما عام

---

(١) Drioton, le Texte dramatique d'Edfou, Suppl. ASAE, Cahier No. II le Caire 1948; Alliot, le Culte d'Horus `a Edfou au temps des Ptolemées, BdE 20, fasc. I, 1949; II, 1954, Chassinat, le Mystère d'Osiris au mois de khoiak IFAO 2 vols., 1966 – 1968; Sauneron, les Fêtes Religieuses `a Esna aux derniers temps du paganisme publ . de l'IFAO, Esna V, le Caire, 1962; Gutbub, Textes Fondamentaux de la Théologie de Kom- Ombo, BdE 47,le Caire 1973; Cauville, Essai sur la Theologie du temple d'Horus `a Edfou, BdE 102/ 1, le Caire 1987; Daumas, les Mammisis des temples egyptiens, Paris 1958 .

١٨٣٧ . وفى هذا الخطاب تعرض لقراءة علامات ورمــوز الهيروغليفيــة واقترح أسس جديدة بالنسبة لنطق بعض العلامات .[١]

وقام صمويل بيرش Samuel Birch عام ١٨٣٨ بترجمة ونشــر بعــض النصوص الهيروغليفية ، ونشر قاموسه الصغير عن الهيروغليفية عام ١٨٦٧ ، نشــر فى خمسة أجزاء تحت عنوان :

Dictionary of Hieroglphics, printed in the fifth volume of Bunsen's work entitled Egypt's place in Universal History .

وبعدها نشر هــنريش بروجــش Heinrich Brugsch قاموســه عــام ١٨٦٧ – ١٨٦٨ تحت عنوان [٢] :

- Hierolyphisch – Demotisches Worterbuch vols . 1 – 1 IV, 1867 – 8 .

- Supplement , vols, v – v 11, 1880 – 2 .

ويعتبر بروجش من أوائل الباحثين فى الدراسات الديموطيقية وهو أول مــن ألف كتابا عن قواعد الديموطيقية : Grammaire démotique, 1855

وتقدمت الدراسات الهيراطيقية على يد جودوين Goodwin فــى إنجلــترا وشاباس – Chabas فى فرنسا . كما برز فى فرنسا دى روجيــه E. de Rouge الذى قام بترجمة عدة نصوص هيروغليفيــة وألــف كتابــا هامــا لقواعــد اللغــة المصرية .[٣]

كما ظهرت المؤلفات العلمية القيمة فى قواعد اللغة وخطوطــها ومفرداتــها فشهد عام ١٨٨٠ ظهور كتاب شترن فى قواعد اللهجة القبطية :

---

(١) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 16 .

(٢) Gardiner, op. cit., p. 16 .

(٣) Id., op. cit., p. 16 .

Stern, Koptische Grammatik, leipzig, 1880 .

ومؤلف لإرمان فى قواعد المصرية فى عصر الدولة الحديثة [١] :

Erman, Neuagyptische Grammatik, Leipzig 1889 .

وظهر فى عام ١٨٩٤ كتاب صغير عن قواعد المصرية القديمة ألفه أرمـــان (ترجم إلى اللغة الإنجليزية بواسطة برستد عام ١٨٩٤) وظهرت الطبعـــة الرابعـــة منه بالألمانية عام ١٩٢٨ .

كما تقدمت الدراسات فى اللهجة القبطية على يد ستيندورف الذى قام بتـــأليف مؤلف مختصر عـــن قواعـــد اللهجـــة الصعيديـــة للقبطيـــة Steindorlf, Short Grammar of Sacidic dialect, leipzig 1814 .

وظهرت أول طبعة عام ١٨٩٤ والطبعة الثانية عام ١٩٠٤م .[٢]

وتعتبر مساهمة العالم الألمانى كورت زيته من أهم الإسهامات فى علم اللغة حيث نشر فى أعوام ١٨٩٩ و ١٩٠٢ مؤلفه الهام عن الفعل فـــى اللغـــة المصريـــة القديمة :

- Sethe, Das agyptische Verbum im altagyptischen, neuagyptischen, und koptischen, 3 vols., Leipzig, 1899 – 1902 .

الذى يعتبر من المؤلفات الأساسية لأشكال الفعل فى الجملة فى عصر الدولة القديمة والدولة الحديثة وفى الكتابة واللهجة القبطية . كمـــا درس زيتـــه نصـــوص الأهرام فى مؤلف ضخم ظهر تحت عنوان :

- Sethe, Die Altagyptischen Pyramiden Texten, 4 vols; Leipzig, 1908 – 1922 .

---

(١) Gardiner, op. cit., p. 16 .

(٢) Id., op. cit., p. 17 .

ونجح جريفيث Griffith في مجال الخط الهيراطيقى فقام بقراءة العديد من النصوص الهيراطيقية المكتوبة بخط مختصر والتى ترجع إلى عصر الدولة الوسطى كما برز نبوغه فى معرفة الخط الديموطيقى ، وإليه يرجع الفضل فى وضع أسس الدراسات السروية .

وفى مجال الخط الديموطيقى قام شبيجلبرج Spiegelberg بنشر العديد من النصوص ، وتعاون السير هربرت طومسون Thompson مع جريفيث ف نشر العديد من البرديات الهامة المكتوبة بالديموطيقية وفى عام ١٩٢١ نشر قاموسا فى اللهجة القبطية .

وفى عام ١٩٢٤ قام جن Gunn بنشر مؤلف هام عن إعراب الجملة فى المصرية ، وذلك تحت عنوان :

Gunn, Studies in Egyptian Syntax, Paris, 1924 .

وفى مجال مفردات اللغة قام إرمان وزملاؤه بإعداد مؤلف عن مفردات المصرية القديمة بدأ فيه عام ١٨٩٧ وهو يحمل اسم :

Worterbuch der agyptischen Sprach, 5 vols., Leipzig, 1926 – 1931 .

سجلت فيه جميع المفردات المعروفة فى النقوش والمخطوطات حتى هذا التاريخ . ونجح علماء هذا القاموس فى إعداد حوالى مليون ونصف شريحة أو بطاقة لآلاف المفردات المصرية القديمة .[1] وساهم فى إعداد هذا العمل وإنجازه علماء اللغة فى جميع أنحاء العالم الذين عملوا تحت إشراف كل من ارمان وزيته وجرابوف . وقد أصاب الكبر كل من ارمان وزيته فوقعت مسئولية إنجاز هذا العمل على عاتق جرابوف ولحسن الحظ قام بمساعدته الدانماركى اريكسن الذى قام بكتابة خمسة أجزاء من الستة أعوام ١٩٢٦ – ١٩٥٠ م.

---

(١) Gardiner, Egyptian Grammar, p 17 .

ظهر آخر جزء من هذا المؤلف الهام عام ١٩٥٣ وهـو الجـزء الخـاص بالمصادر وأمـاكن نشـرها وأمـاكن وجودهـا . وهـو مـا يطلـق عليـه اسـم Belegstellen . (١)

كما ظهرت المؤلفات العديدة فى قراءة النصوص أو القطـع النموذجيـة . وشاهد علم اللغة المصرية بعض التقدم مع ظهور أول طبعـة مـن كتـاب العـالم الإنجليزى جاردنر فى قواعد اللغة المصرية القديمة وذلك فى عام ١٩٢٧ .

A. Gardiner, Egyptian Grammar, Oxford, 1927.

وتوالت الطبعات بعد ذلك عام ١٩٥٠ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٩ .

وفى عام ١٩٣٩ نشر كرم قاموسه عـن القبطيـة : Crum, Coptic Dictionary . وعن قواعد اللغة فى عصر الدولة الوسـطى لا يجـب أن ننسـى مجهودات العالم الفرنسى لففر الذى قام بنشر كتابه القيم عام ١٩٤٠ .

Lefebvre, Grammaire de L'Egyptien Classique, Le Caire, 1940.

وهنا يجب ألا ننسى أيضا ما قام به شرنى Cerny الذى نشر عدة مجلدات عن اللخاف الموجودة بالمتحف المصرى والمكتوب بالهيراطيقية . وكان مـن علمـاء اللغة المصرية المشهود لهم وبخاصة فى خطها الهيراطيقى فى عصر الدولة الحديثـة الذى كتب على اوستراكا من دير المدينة . كما ألف قاموسا فى اللهجة القبطية ارجـع فيه المفردات القبطية إلى أصولها المصرية القديمة :

- Černy, Coptic etymological Dictionary, Cambridge, 1976.

كما قام بعض العلماء بنشر بعض النصوص المختـارة كقطـع نموذجيـة للقراءة مثل كتابى :

- Sethe, Agyptische lesestucke (Texte der Mittlleren Reiches), 1924.

---

(١) Gardiner, op. cit., p. 17.

- De Buck, Egyptian Reading book vol. I, Leyden 1940.

وهناك الكثيرون الذين لم يتسع المجال لذكر أعمالهم ومجهوداتهم فى مجال نشر النصوص وخاصة النصوص البطلمية من أمثال :

شاسينا Chassinat . يونكر Junker ، بندت Benedite ، دى مورجان De Morgan ، فيرمان – Fairman ، اليوت Alliot ، دوما Daumas . سنرون Sauneron ، جوتبوب Gutbub، جويون – Goyon، ديونان Dunand، دى وت de Wit ، زيجلر Siegler ، ياريتز ,Jarits ، يانكون Jankuhn ، كوفيل Cauville . مكس Meeks ، وريتر Ryhiner وآخرون .

ومن المؤلفات الهامة فى مجال معانى مفردات اللغة المصرية القديمة فى عصر الدولة الوسطى ، ما قام به فولكنر ، وجمع فى هذا القاموس أكثر من ٥٠ ألف كلمة [١] :

Faulkner, A Concise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1966

ومن المؤلفات الهامة الحديثة ذلك القاموس عن المفردات المصرية فى جميع العصور الذى قام بتأليفه الباحث الفرنسى مكس Meeks وصدر منه حتى الآن ثلاثة أجزاء كان أولها عام ١٩٨٠ وذلك تحت عنوان :

Meeks, Année lexicographique t I (1977) Paris, 1980; t II (1978), 1981; t. III (1979), 1982 .

وأشار مكس فى كل عدد من أعداده إلى المفردات المصرية ومعانيها مع بيان المراجع التى اعتمد عليها لتفسير معانيها وما اقترحه العلماء من معانى لها . هذا بالإضافة إلى ذكره لكلمات جديدة لم تذكر فى Wb أو بمعنى أصح لم تضاف إليه منذ ظهور آخر نسخة له عام ١٩٥٠ .

---

(١) Faulkner, A Concise Dictionary, p. IX (Introd.)

وبلغ مجموع ما جمعه مكس فى الثلاثة أجزاء حوالى ٥٠ ألف كلمة ، منها ٤٨,٥٠٠ كلمة ذكرت فى Wb ومنها ١,٥٠٠ كلمة جديدة لم تذكر فى Wb .(١)

وتعتبر السنوات ابتداء من عام ١٨٨٠ من أهم السنوات لدراسة النصوص الهيروغليفية الكبرى التى لا تزال فى مرحلة البداية على الرغم من ظهور المؤلفات العلمية لبعض النصوص الكبرى فى سقارة وميدوم وبنى حسن ومير (٢) ، ومن هذه المؤلفات نذكر :

- Petrie, Medum, London, 1892 .
- Griffith, Beni – Hasan, Part III, London, 1896 .
  - Id., A Collection of Hieroglyphs, London, 1896 .
- Davies, The Mastaba of Ptahhotep, and A khethetep at Saqqara, Part I, London, 1900 .
- Murray, Saqqara Mastabas, Part I, London, 1905.
- Blackman, The Rock Tombs of Meir, Part II, London, 1915 .
- Petrie, Egyptian Hieroglyphs of the First and Second Dynasties, London, 1927 .

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات العلمية القديمة نجد أن دراسة اللغة المصرية القديمة قد تطورت ، وأصبح لكل عصر من عصور تطور اللغة المصرية القديمة وأشكال كتاباتها متخصص أو أكثر من متخصص فنجد المتخصص فى قواعد اللغة والمتخصص فى فرع معين من فروع فقه اللغة والمتخصص فى خط أو كتابة من

---

(١) Meeks, Année Lexicographique, t. II, p. 1 (introduction)

(٢) Gardiner, Egyptian Grammar, p. 441 .

كتابات اللغة الأربع .

وأصبحنا نجد الآن مؤلفات عديدة من قواعد اللغة بوجه عام مثل مؤلفات :

- De Buck, Egyptische Grammatica, 2 vols; Leiden, 1944.
- Johnson, Remarks on Egyptian Verbal Sentences, Malibu
- Westendorf, Der Gebrauch des Passivs im der klassischen literatur der Agyptens, Berlin, 1953 .
  Osing, Die Nominalbildung der Agyptischen 2 vols., Mainz, 1976

ومؤلفات لكل عصر :

فلعصر الدولة القديمة نجد مؤلفى :

- Edel , Altagyptische Grammtik I, in Analecta Orientalia 34, Rome 1955 , 1964 .
- Faulkner, The plural and dual in Old Egyptian, Bruxelles 1929 .

ولعصر الدولة الوسطى نجد أكثر من مؤلف :

- De Buck, Grammaire Elementaire du Moyen Egyptien, Leiden, 1952 (traduit par Van de Walle et J. Vergote).
- Du Bourguet, Grammaire Egyptienne du Moyen Empire Pharaonique, Louvain, 1971 .
- Callendar, Middle Egyptian, Malibu, 1975 .

- Baunner, An outline of Middle Egyptian Grammar, Graz – Austria, 1979

ولعصر الدولة الحديثة نجد أكثر من مؤلف :

- Erman, Neuagyptische Grammatik, 2 nd. Edition, Berlin, 1933 .
- Korostovtsev, Grammaire du Neo – égyptien, Moscou, 1972 .
- Satzinger, Neuagyptische Studien, Wien, 1976 .

وللعصر المتأخر نجد أكثر من مؤلف :

- Groll, Non – Verbal Sentence patterns in late Egyptian, London, 1967 .
- Groll, Negative Verbal System of late Egyptian, London, New – York, 1970 .
- Frandsen, An outline of the late Egyptian Verbal System, Copenhagen, 1974 .
- Černy – Groll, A late Egyptian Grammar, Rome, 1975 .
- Leonard – lesko, A Dictionary of late Egyptian, Povidence, 1990 .

وللعصر البطلمى نجد المؤلف الهام :

- Junker, Grammatik der Dendera-texte, leipzig, 1906 .

كما أن هناك أكثر من مؤلف علمى له قيمته عن خطوط اللغة ، فعن الخط الهيراطيقى نجد :

- Moller, Hieratische Palaographie, 3 vols., Leipzig, 1909 – 1912 .

وعن القطع النموذجية للقراءة بالخط الهيراطيقية نجد :

- Moller, Hieratische lesestucke, 3 vols., Leipzig, 1909 – 1910 .

وعن أشكال بعض الكلمات فى الهيراطيقية نجد :

– Devaud, l'Age des Papyrus Egyptiens Hiératiques d'apres les graphies de certains mots, Paris, 1924

وعن قواعد الديموطيقية نجد العديد من المؤلفات منها :

- Spiegelberg, Demotische Grammatik, Heidelberg, 1925 .
- Lexa, Grammaire Démotique Egyptienne, 2 vols. Prague, 1939 – 1940 .
- Luddeckens, Grammata Demotika, Wurzburg, 1984 .

وعن مفردات الديموطيقية نجد :

– Erichsen, Demotisches Classar, Copenhague, 1954 .

وعن أسماء الأشخاص فى الديموطيقية نجد :

– Luddeckens, Demotisches Namenbuch, Wiesbaden, 1983 .

وعن القطع النموذجية للقراءة بالخط الديموطيقى نجد :

– Erichsen, Demotische lesestucke, 2 vols., Leipzig, 1937 – 1939 .

كما أن هناك العديد من المؤلفات فى قواعد اللهجة القبطية نجد منها :

- Polotsky, Etudes de Syntaxe Copte, Cairo, 1949 .
- Till, koptische Grammatik, Leipzig, 1961 .
- Vergote, Grammaire Copte, 2 vols., louvain 1973 – 1983 .

وعن مفردات القبطية وأصولها المصرية القديمة نجد :

- Spiegelberg, Koptisches Handworterbuch, Heidelberg, 1921 .
- Kasser, Complements au dictionnaire Copte de Crum, publ. BdE Coptes VII, Le Caire, 1964 .
- Kasser, Complements morphologiques au dictionnaire du Crum BIFAO 64, le Caire, 1966 .
- Westendorf, Koptisches Handworterbuch, Hieldelberg, 1965 – 1977 .
- Vycichl, Dictionnaire etymologique de la langue Copte, Leuven, 1983

كما ظهرت مؤلفات عن مقارنة القبطية بالمصرية القديمة والديموطيقية :

- Sethe, Die Nominalsatz im Agyptischen und koptischen, Leipzig, 1916 .
- Luddeckens, Demotische und Koptische Texte, Koln 1968 .

وأخيرا فى مجال العلاقة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية وغيرها من اللغات واللهجات للشعوب والقبائل والبلاد المحيطة بمصر ، وعوامل

التأثير والتأثر نجد أن هناك أكثر من متخصص ، وظهرت عدة مؤلفات في هذا المجال منها :

- Ember, Egypto-Semitic Studies, Leipzig 1930 .
- Thacker, Semitic and Egyptian Verbel Systems, Oxford, 1954 .
- Carrez – Maratray, les Relations entre l'epigraphie Pelusienne et le Nord Sinai in the Archeology, Geography and History of Delta, p. 53 – 60 .

Mascati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic languages, Wiesbaden, 1964

وهناك مؤلف هام لعالم اللغة النمساوى رينيش Reinisch الذى قام بعدة سفريات إلى مصر فى الثلاثين سنة الأخيرة من حياته ، وهو :

Die Aegyptischen Denkmaler in Miramar, 1865
Aegyptische Chrestomathie 2 vols , 1873 – 75 .

" وحدة أصول لغات العالم القديم " ، ١٨٧٣ ويحاول فيه رد لغات مصر القديمة وشمال أفريقيا ووسطها إلى جذورها .(١)

كما أصدر مؤلفين آخرين هامين هما :

- " لغات من شمال شرقى أفريقيا – اللغة النوبية " ، ١٨٧٩ .

---

(١) د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية . القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٥٧ .

" لغة البدو فى شمال شرقى أفريقيا " ثلاثة مجلدات ، ١٨٩٣ – ١٨٩٤ .[١]

وإذا كنا قد ذكرنا مجهودات بعض العلماء الأجانب فى مجال اللغة المصرية القديمة فلا يجب أن ننسى جهود بعض العلماء المصريين من أمثال :

أحمد كمال باشا الذى تحدثنا عنه من قبل (ص١٤٢) وذكرنا أنه نشر مؤلفين عن اللوحات من العصر البطلمى الرومانى فى مجموعة الكتالوج العام للمتحف المصرى . كما أعطانا وصفا وسجلا لنصوص مجموعة من موائد القرابين يرجع تاريخها من بداية الأسرة الحادية عشرة حتى الأسرة الثلاثين وذلك ضمن مجموعة الكتالوج العام للمتحف المصرى . وذلك فى مؤلفين منفصلين . وظل طيلة حياته يعد قاموسا عن اللغة المصرية القديمة ومقارنة بعض مفرداتها بما ورد فى اللغة العربية واللغات السامية الأخرى . ولكنه لم يكمله أثناء حياته ولم يقم أحد بنشر ما كتب منه وسوف يتولى المجلس الأعلى للآثار طباعته تحت عنوان " دراسات فى اللغة المصرية القديمة " .

ويجئ بعده د. أحمد بدوى الذى كان فذا فى الدراسات اللغوية والكتابة المصرية القديمة . وقد برزت كتابته فى هذا المجال عندما قام مع أستاذه كيس بتأليف معجما عن مفردات اللغة المصرية القديمة . وهو أول معجم من نوعه يعطى معنى الكلمة بالألمانية والعربية ونشر تحت عنوان :

Kees – Badawi, Handworterbuch der aegyptischen Sprache, Koiro 1958 .

كما قام بإعداد دراسة هامة عن : " اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية ، الدورة السابعة والعشرون ، المجمع اللغوى . البحوث والمحاضرات ، ص ٢٦٣ – ٢٨٦ وألقى هذا البحث فى عام ١٩٦٢ .

---

(١) د. كمال رضوان : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

ويجئ بعد ذلك كل من د. جرجس متى ود. مصطفى الأمير وما بذلوه من مجهود فى دراسة الاوستراكا والبرديات الديموطيقية (راجع فيما سبق ، ص ١٨٥ حاشية (٢) و (٥)) .

ويجئ بعدهم د. عبد المحسن بكير الذى قام بإعداد أول كتاب عن قواعد اللغة المصرية القديمة باللغة العربية ونشر تحت عنوان : " قواعد اللغة المصرية فى عصرها الذهبى " ، مطبعة مصطفى الحلبى ، القاهرة ١٩٥٤ ، ثم ظهرت الطبعة الثانية والثالثة منه عامى ١٩٥٥ ، ١٩٧٧ .

ولا ننسى مجهودات د. بكير فى مجال دراسة الأسلوب الكتابى أو الرسائلى فى الهيراطيقية فى مؤلفه الهام : Egyptian Epistolography, BdE 48, le Caire 1970 أو مؤلفه الذى نشر ضمن مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهو عبارة عن " مقدمة فى اللغة المصرية وقربها من السامية " :

An Introduction to the Study of the Egyptian Language, " A Samitic approach ", publ of general Egyptian Book Organization, Cairo 1978 .

وإذا فحصنا الكتيب الذى ألفه حديثا عام ١٩٩٢ " هوفستريدت " بعنوان " بيبلوغرافيا تمهيدية لعلم الدراسات المصرية " ويشير فيه إلى أحدث المؤلفات والكتب والمقالات التى ظهرت فى علم الدراسات المصرية نجد العديد من المؤلفات الهامة ،[1] وهى تتناول :

---

(١) ولا ننسى ما قام به عالم المصريات الهولندى يانسن (١٩٠٧ - ١٩٦٣) الذى تخصص فى علم الفهرسة بالنسبة للمؤلفات العلمية فى مجال الدراسات المصرية القديمة :

Janssen , Annual Egyptological Bibliography .

- علم الدراسات المصرية القديمة اليوم : وما حدث به من تطور .[١]
- الكتابة واللغة .[٢]
- القواعد .[٣]
- المفردات وترابطها .[٤]
- فقه اللغة ودراسة النصوص .[٥]
- النصوص الادبية والتاريخية والسير الذاتية .[٦]
- الديانة والسحر .[٧]
- نصوص تتناول الاقتصاد الاجتماعى والقانونى والإدارى والمراسلات الرسمية .[٨]
- دراسات فى النصوص الديموطيقية .[٩]
- دراسات فى التاريخ وعصوره . [١٠]
- دراسات فى الفن والآثار .[١١]

---

(١) W. Hovestrydt, Preliminary Egyptological Bibliography No. II, leiden, 1992, p. 5 – 6 .

(٢) Id , op. cit., p. 7 – 8 .

(٣) Hovestrydt, op. cit., p. 8 – 10 .

(٤) Id , op. cit., p. 10 – 12 .

(٥) Id., op cit , p. 12 – 13 .

(٦) Id., op. cit., p. 13 – 15 .

(٧) Id, op. cit , p. 15 – 16 .

(٨) Id., op. cit., p 16 – 17 .

(٩) Id., op. cit., p 17 – 18 .

(١٠) Id , op. cit., p. 19.

(١١) Id., op. cit., p. 20.

- دراسات عن المناطق الأثرية ونتائج الحفائر بها .(١)
- دراسات عن مجموعات المتاحف والمعارض .(٢)
- دراسات فى الآثار المتنوعة .(٣)
- العمارة المصرية القديمة .(٤)
- التماثيل .(٥)
- النقوش والرسومات .(٦)
- المتاع الجنائزى وأدوات الطقوس الجنائزية .(٧)
- التحف الصغيرة ، والأدوات الصغيرة ، والأدوات المنزلية ، والأثاث ، والملابس ، والأدوات المتنوعة .(٨)
- الجعارين والأختام .(٩)
- الفخار والأوانى الفخارية .(١٠)
- الديانة بوجه عام .(١١)
- معتقدات المعبودات ، الأوضاع الدينية ، الآداب الدينية .(١٢)

---

(١) Id., op. cit., p. 21 – 23 .
(٢) Id., op. cit., p. 23 – 24.
(٣) Hovestrydt, op. cit., p. 24 – 25
(٤) Id., op. cit., p. 25 .
(٥) Id., op. cit., p. 25 - 27 .
(٦) Id., op. cit., p. 27 – 28
(٧) Id., op. cit., p. 28 – 29.
(٨) Id., op. cit., p. 29 – 30.
(٩) Id., op. cit., p. 30.
(١٠) Id., op. cit., p. 30 – 31.
(١١) Id., op. cit., p. 31 – 32.
(١٢) Id., op. cit., p. 32 – 33.

- المعتقدات الجنائزية والطقوس الجنائزية .[١]
- المعابد والكهنة والشعائر والطقوس .[٢]
- الملكية ودورها .[٣]
- المجتمع والثقافة .[٤]
- الاقتصاد والقانون ، والأنشطة الاقتصادية والحياة اليومية .[٥]
- دراسة حياة الأشخاص والأنساب .[٦]
- العلاقات الثقافية مع الخارج .[٧]
- حضارات عصور ما قبل التأريخ .[٨]
- العلوم وعلم الصنائع والعلوم والطب .[٩]
- البيئة الطبيعية .[١٠]
- رسم الأماكن ووصف حالتها الطبيعية ، ودراسة لغوية أو تاريخية لأصل أسماء المواقع الجغرافية .[١١]

---

(١) Hovestrydt, op. cit., p. 33.
(٢) Id., op. cit., p. 33 – 34 .
(٣) Id., op. cit., p. 34.
(٤) Id., op. cit., p. 34 .
(٥) Id., op. cit., p. 34 – 35 .
(٦) Id., op. cit., p. 35 - 36 .
(٧) Id., op cit., p. 36 .
(٨) Id., op. cit., p. 36 – 37 .
(٩) Id., op. cit., p. 36 – 38 .
(١٠) Id., op. cit., p. 8, 37 - 38 .
(١١) Id., op. cit., p. 39 .

- أصـــل الجنـــس البشـــرى المصـــرى القديـــم وخصائصـــه الجسـمانية والمومياوات .[١]
- وأخيرا دراسات عن تاريخ وحضارة بلاد النوبة . [٢]

وبفضل كل هذه الدراسات والتخصصات نستطيع أن نقول فـــى النهايـــة أن تاريخ مصر القديم بكل عصوره وما يشمله من أحداث ، وحضارة مصر القديمة بكـــل ما تحتويه من مظاهر ، اصبحا يحظيان اليوم بنصيب وافر من الوضوح فى معالمـــها وتوافر مجالات البحث فيهما أكثر من تاريخ وحضارة أى بلد آخر ، ومنذ العثور على حجر رشيد وحل رموز الكتابة المصرية القديمة وحتى الآن ، جذب علـــم الدراســـات المصرية القديمة ، وسيظل يجذب الكثير من المتخصصين وغيرهم ، لأنهم يجدون فيه باستمرار الجديد بفضل الاكتشافات الأثرية وما تكشف عنه فى مجال معرفة الإنســـان المصرى وما توصل إليه من مظاهر حضارية ومـــا حققـــه مـــن عظيـــم الأعمـــال والمنجزات فى ماضيه البعيد . ذلك الإنسان الذى تركنا على الرغم مـــن كـــل هـــذه الدراسات المتنوعة ، فى حيرة من أمرنا عند السؤال عن طبيعـــة الوســـائل والأدوات والمعدات التى استخدمها لتحقيق كل هذه المنجزات الحضارية فـــى مجـــال العمـــارة والتلوين والإضاءة وما توصل إليه فى مجال التحنيط والجيولوجيا والفلك وغيرها مـــن معارف عجز العلم الحديث عن التوصل إلى معرفة أسرارها .

---

(١) Hovestrydt, op. cit , p. 32, 39 – 40 .

(٢) Id., op cit., p. 40 .

الفصل الثانى

مصادر دراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها

إن كل من يرغب فى دراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها ، يريد أن يعرف أولا ما هى المصادر التى اعتمدنا عليها والتى أمدتنا بالمعلومات المتنوعة التى نملكها الآن عن تلك العصور التى مضت منذ زمن بعيد وكذلك معرفة الطرق التى اتبعها علماء الدراسات المصرية القديمة لكى يتعرفوا لى تواريخ حكم الملوك الذين تتابعوا على عرش مصر القديمة ، ثم أخيرا معرفة القيمة التاريخية لهذه المصادر وما تعكسه من مظاهر حضارية . وتنقسم هذه المصادر إلى أربعة أنواع وكل نوع ينقسم إلى عدة أصول .

أولا : المصادر المصرية القديمة الخالصة :

وتنقسم إلى أربعة أصول :

١- الآثار بأنواعها :

أهمية المادة الأثرية

تعد آثار المصريين القدماء المصدر الأول لدراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها . وتشمل جميع أنواع البقايا الأثرية القائمة والمكتشفة والتى يتم العثور عليها أثناء الحفائر والاكتشافات الأثرية التى تتم من حين لآخر فى المناطق الأثرية . فالمادة التاريخية تأتى بوجه خاص من نصوص هذه الآثار . وتعد الآثار كذلك من أهم المصادر التى تصور لنا حضارة مصر القديمة فى مظاهرها المختلفة . وبفضل هذه المادة الأثرية استطاع العلماء أن يعيدوا كتابة تاريخ مصر القديم الذى اختفى ، وأن يظهروا معالم حضارتها وذلك بفضل دراسة هذه الآثار وما عليها من نقوش وبفضل ما تضيفه إلى معلوماتنا نتائج الحفائر المستمرة فى أرض مصر وما يضيفه

النشر العلمى الدائم للآثار المكتشف حديثا . ولعل أهم ما يميز تلك الآثار عن غيرها من المصادر هو ما يأتى :

- أنها جزء من هذه الأرض .
- أنها المصدر الأكثر صدقا والأقرب إلى الصحة بالنسبة لكتابة تاريخ مصر القديم وحضارتها .
- أنها المصدر الوحيد الذى عاصر كل الأحداث التى تمر بها تاريخ مصر القديم[1] ، وعاصرت كل التجارب التى مر بها الإنسان المصرى القديم فى سبيل بناء حضارته والتطور بها والازدهار بها .
- أنها من تفكير وصنع وإنتاج وتنفيذ المصريين القدماء أنفسهم ، وتعبر عن الكثير من معارفهم .
- أنها خير شاهد على تاريخهم المجيد وخير متحدث عما قام به الأبناء البعيدون لهذا الوطن من خير الأعمال . وتظهر جهد الإنسان المصرى القديم وتفوقه الحضارى فى أكثر من مجال . وتثبت للعالم المعاصر أن المصريين القدماء هم صانعوا أصول حضارة عريقة على هذه الأرض .
- أنها مازالت باقية وتقاوم عوامل التعرية والطبيعة والزمن على الرغم من مرور آلاف السنين على أقامتها وذلك لما تتميز به من دقة وإتقان فى الصنع وأن بعضها نحت فى أشد أنواع الأحجار صلابة .
- أنها مازالت تجذب أنظار المتخصصين وغير المتخصصين ، وتجذب الناظر إليها ، فتشير فى نفسه الإعجاب والتقدير والدهشة لضخامتها

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد (الأول) والذى أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومى عام ١٩٧٢ ، ومكتبة النهضة المصرية ، ص ٨٣ .

على الرغم من أنه أسدل عليها الصمت والسكون من آلاف السنين .

- أنها كثيرة ومتنوعة تتضاءل بجانبها آثار أى بلد آخر . فتنفرد مصر - دون سائر بلاد العالم - بثروتها الضخمة من الآثار التى لا تزال أغلبها قائما فى المناطق الأثرية المتعددة والمنتشرة فى جميع أنحاء البلاد ، كما يزخر المتحف المصرى والمتاحف الإقليمية فى مصر بكثير من آثار المصريين القدماء كالمتحف اليونانى الرومانى فى الإسكندرية ومتحف أسوان ومتحف الأقصر ومتحف ملوى ومتحف المنيا ، كما تحتفظ جميع المتاحف فى الخارج بالعديد من هذه الآثار . هذا بالإضافة إلى الآثار الموجودة فى مجموعات خاصة ، والآثار التى لا تزال دفينة فى أرض مصر ولم تكشف عنها أعمال الحفائر حتى الآن . ويرجع السبب فى وفرة تلك الآثار وقيام هذا الكم الهائل من الآثار الضخمة إلى عقائد المصريين القدماء الدينية التى قضت أن يقيموا مختلف الأشكال المعمارية من دنيوية ودينية وجنائزية . ويرجع هذا أيضا إلى تطورهم فى العلوم والمعارف المختلفة التى لها صلة بفن العمارة ، مما أتاح لهم إقامة وصنع ذلك التراث الأثرى الهائل ، ثم إلى جفاف مناخ مصر الذى ساعد على حفظ الآثار سليمة بقدر الإمكان .[1]

نوعية المادة الأثرية : وتتكون من آثار مختلفة منها ما يدخل فى باب فن العمارة وفن النحت وفن النقش وفن الرسم ومنها ما يدخل فى باب الفنون الصغيرة .

تنقسم المادة الأثرية إلى نوعين :

منها ما هو غير منقوش أو مكتوب :

مثل الأدوات والآلات المصنوعة والمعدة من أنواع الحجارة المتعددة والتى تختلف نوعية صلابتها ، ومن الفخار ، والتى كان يستخدمها المصرى القديم فى

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص٨٣ .

عصوره الحجرية وعصور ما قبل التاريخ وقبل توصله إلى معرفة الكتابة . وهى لا تحمل أى نوع من الكتابة أو النقوش ، وكذلك الأدوات المصنوعة من عصم الديوانات ، ومن العاج ومن الأبنوس ، ومن المعادن بأنواعها ، وكذلك الأوانى المتعددة والمعدات الأخرى وأدوات الزينة والحلى والملابس والأزياء وقطع الأثاث أى كل ما كان يستخدمه الإنسان المصرى القديم فى حياته اليومية ، وكذلك جميع الأدوات والآلات المتعددة التى استخدمها فى المجالات المختلفة فى الصناعة والحرف والمهن وفى مجال الزراعة والجراحة والتحنيط والفلك ، والآلات الأخرى ابتداء من وسائل التسلية والترفيه إلى المعدات والأسلحة الحربية ، تلك الأدوات التى توصل الإنسان المصرى إلى معرفة صناعتها واستخدام البعض منها فى عصور ما قبل التأريخ وتطور بصناعة البعض الآخر واستخدمها خلال عصوره التاريخية الطويلة . وقد اعتمد الأثريون والمؤرخون على هذا النوع من المادة الأثرية فى دراسة المظاهر الحضارية المختلفة ونشاط الإنسان المصرى فى كافة المجالات خلال العصور التاريخية ، وأغلب هذه المادة الأثرية لا تحمل أى نوع من أنواع الكتابات المعروفة للغة المصرية القديمة .

ويدخل ضمن هذا النوع من المادة الأثرية مجموعة المقابر البسيطة والتى تتكون من دفنات فقيرة فى حفر فى باطن الأرض تطورت بعد ذلك إلى مقابر مبطنة بالحجارة . وكان يوسد فيها المتوفى ، ويوضع معه بعض المؤن التى كان ينتفع بها ويعيش عليها فى حياته الدنيا والتى سوف ينتفع بها فى حياته الأخرة . وأعتمد المؤرخون على هذا النوع من المقابر لدراسة معتقدات الإنسان المصرى فى العصور التى سبقت عصر التوصل إلى معرفة الكتابة ، وحتى فى عصر التوصل إلى اختراع الكتابة كان هناك بعض المقابر التى لا تحمل أية نقوش ولكن لها دلالاتها التاريخية والحضارية كذلك مثل مقابر الهكسوس التى شيدت من الطوب اللبن فى انشاص .

ويدخل ضمن هذه النوعية من الآثار أيضا ذلك العدد الضخم من المومياوات الملكية التى عثر عليها فى أواخر القرن الماضى فى خبيئة الدير البحرى ، والتى سمحت دراستها بالحصول على بعض الحقائق التاريخية ، فرأس الملك سقننرع من الأسرة السابعة عشرة تحمل أثار جراح عميقة هى خير شاهد على شجاعة صاحبها

واستماتته فى مقاتلة الهكسوس واستشهاده أثناء معركة تحرير الوطن . ومن فحص أغلب المومياوات أمكن معرفة بعض الأمراض التى تعرضوا لها فى حياتهم مثل مومياء رمسيس الثانى ، ومعرفة أوصافهم الجسمانية ، ومعرفة أعمارهم بالتقريب عند وفاتهم ، وأيضا جثث الستين محاربا فى جيش الملك منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة والتى عثر عليها فى قبر بجبانة طيبة ، قد دل فحص بعضها على أن أصحابها قد أصابتهم نبال العدو وأسلحتهم حتى قضت عليهم .[١]

منها ما هو منقوش أو مكتوب :

وذلك نتيجة للتطور الحضارة والتقدم فى معرفة اللغة المصرية القديمة بخطوطها المختلفة ، وعثر على كم هائل من هذه النوعية من الآثار ، فنجد النقوش والكتابات والخطوط المتعددة سجلت على الصخور وجدران المعابد والمقاصير ، والمقابر ، والتوابيت ، والتماثيل الكبيرة أو الصغيرة ، والكاملة أو النصفية واللوحات والمسلات وبقايا القصور والمنازل والحصون والأسوار وعلى ما هو منقوش أو مكتوب على أنواع أخرى من الآثار أقل حجما مثل الآلات والأدوات الصغيرة والأوانى والتحف الصغيرة والتمائم والتعاويذ والأختام الأسطوانية ، وكسر الفخار والحجارة (الاوستراكا) والألواح الصغيرة من الطين المحروق ، وأوراق البردى . وكتب على هذه الآثار أما بالكتابة الهيروغليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية أو القبطية وأيضا بكتابات ولغات أخرى مثل المروية ، الكارية [٢] اليونانية ، الآرامية[٣]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٢) مثال ذلك النقوش التى سجلها الجنود الكاريون على ساق أحد تماثيل رمسيس الثانى أمام معبد أبى سمبل وهم الذين اشتركوا فى الحملة التى أرسلها بسماتيك الثانى إلى الجنوب ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٢٦ .

(٣) هناك البرديات الآرامية التى عثر عليها فى الفنتين ، وهى تخص الجالية اليهودية التى عاشت هناك ، وبعضها مؤرخ من السنة الخامسة لحكم الملك آمون حر ، راجع : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

والمسمارية [١] .

٢- الكتابات التاريخية :

فمن الآثار التى تمدنا بمعلومة أو أكثر فى مجال الأحداث التاريخية وأسماء بعض الملوك ومدد حكمهم هى :

أ- اللوحات الصغيرة والصلايات ومقامع القتال :

فقد اهتم المصريون القدماء منذ عصور ما قبل التأريخ بتسجيل بعض الأحداث والعمال على لوحات صغيرة من الحجارة ومن العاج والأبنوس والأخشاب[٢] وعلى ما يمسى بالصلايات ورؤوس مقامع القتال ، ومقابض السكاكين . وأوضح ما يستشهد به من نقوش مقبض سكين جبل العركى . ونقش فنانها على أحد وجهى مقبضها معركة جرت على البر والماء بين فريقين ، ويغلب على الظن أن صاحبها أراد أن يعبر بها عن أحداث قديمة وأفكار معينة ، ربما تمثل

---

(١) لنا أن نذكر هنا الألواح الصغيرة من الطين المحروق والتى عثر عليها فى تل العمارنة من عصر الملك أمنحتب الرابع ، وكتبت بالخط المسمارى ، وكتب أغلبها آسيويون أو مصريون يعرفون هذا الخط ، راجع : المرجع السابق ، ص ٣٢ . كما عثر فى مقربة بسوسينس على عقد من الذهب وقد نقش على أحد أجزائه كتابة بالخط المسمارى تخص أحد ملوك البلاد المجاورة لعيلام ، راجع : بيير مونتبه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة(ترجمة عزيز مرقس) ؛ ١٩٦٥ ، ص ٤٨٩ حاشية (٤١) .

(٢) Petrie , Royol Tombs II, P . 21 , pl x . Z ; Vandier , Manuel d'archéologie I, Paris (1952) . p . 837 Fig . 560 ; Weill , Recherches sur la I ere Dynastie (BdE38 , Le Caire (1961) . p . 62 – 63 , Kaplony , Die Inscriften der agypt . Frühzeit, 3vol.(Ag. Abh.8) , Wiesbaden (1962 – 1964) , p 287 – 288 .

هذه المعركة دفاع المصريين ضد غزو أجنبى فى هذه الفترة البعيدة من عصور ما قبل التأريخ . والواقع أن سطوح الصلايات الكبيرة الحجم قد استخدمت لنقش مناظر أسطورية وتاريخية ، مثل صلاية العقبان ، صلاية الجزية الليبية ، صلاية الأسود .

ومنذ عصر الأسرة الأولى ، بدأ المصريون يتوصلون إلى معرفة الكتابة ، وكتابة بعض أسماء الملوك ، ولكنهم ظلوا يسجلون أيضا بالصورة أو النقش ما يرغبون فى التعبير عنه من أحداث تاريخهم أو مشاريع معينة تنسب إلى ملوكهم الأوائل ، مثل رأس مقمعة القتال الخاصة بالملك العقرب ، ونرى فيها هذا الملك مصورا وهو يمسك الفأس ويضرب بها الأرض وذلك تسجيلا لاهتمامه بمشاريع الرى ، وصلاية الملك نعرمر التى تعبر نقوشها على إتمام عملية الوحدة السياسية التى بدأها الملك العقرب ، فقد صور الملك على وجه الصلاية بتاج الوجه القلبى ، وهو يقوم بتأديب عدو راكع بمقمعة قتاله ، وهذا المنظر سوف يصبح من المناظر التقليدية التى تبين انتصار الملك على أعدائه ، وعلى أثر آخر لهذا الملك عبارة عن رأس مقمعة قتال سجلت نقوشها إسهام نعرمر فى احتفال كبير وقد صورته وهو يجلس فوق منصة مرتفعة تحميه مظلة عالية . وقد توج بالتاج الأحمر تأكيدا لشرعية سلطانه على الوجه البحرى .

ب — القوائم الملكية :

وفيما بعد أى فى عصر الدولة القديمة ، عندما أتقن المصريون معرفتهم للكتابة بدءوا يسجلون أحداثهم التاريخية على آثار أكبر حجما مثل الجدران للمعابد وبعض الأهرام والمقابر والتوابيت والتماثيل واللوحات الحجرية وأوراق البردى .[١]

وكان المصريون كبقية الشعوب القديمة لا يعرفون التواريخ المطلق ، ولم

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارية المصرية ، ص ٩١ .

يتفقوا على بداية زمنية ثابتة يردون إليها الأحداث كما نفعل اليوم حين نتخذ التـــاريخ الميلادى والهجرى بداية للتقويم ، ولكن جعلوا من مدة حكم كل ملـــك ، منـــذ بدايـــة الأسرة الأولى ، تقويما قائما بذاته ، مستقلا عن غيره من الملوك الذين جـــاءوا مـــن بعده ، أرخوا الأحداث التى وقعت خلال كل حكم وفقا لسنى حدوثها ، فيقال مثـــلا : " العام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليـــوم الثـــالث ، تحـــت (حكـــم جلالة ... حدث ...) . ويقول د. فخرى فى هذا الصدد : " أن المصريين القدماء أن لم يفهموا التاريخ كما نراه الآن فانهم كانوا يمتلكون ما يمكـــن تسـميته بالإحســـاس بالتاريخ "[1] . ويمكن أضافه أن المصرى القديم كان لديه نوع من الـــولاء لماضيـــه ويعتز بما هو قديم ويفخر بأمجاده القومية ، فقد نسخ أحد التلاميذ فى كراسته التعليمية أحداث معارك التحرير التى كان قادها الملك كامس ضد الهكســـوس ، ومـــن هـــذه النسخة كتب نص اللوحة التى تعرف الآن باسم " لوحة كارنارفون "[2] .

ولعل أهم ما تقدمه المادة الأثرية بالنسبة لأحداث تاريخ مصر القديم ، هـــى تلك القوائم أو مسارد الملوك التى دونوا عليها أسماء ملوكهم مرتبة ترتيبا زمنيا مـــع ذكر مدد حكمهم وأهم أحداث عصرهم ، ومن حسن الحظ أن بعـــض هـــذه القوائـــم الملكية وصلت إلينا سليمة إلى حد ما ، وبعض آخر إصابة التخريب والتدمير ، وقـــد ساعدت تلك القوائم العلماء فى توضيح ما لديهم من أسماء ملـــوك وتواريـــخ ومـــدد حكمهم . ولم تقتصر بعض هذه القوائم على ذكر أسماء ملوك العصـــور التاريخيـــة المختلفة فحسب ، بل عمدت إلى التاريخ لمجموعة ملوك عصور فجر التاريخ مثل ما جاء على بردية تورين ، وكان الغرض الأساسى من ذلك هو تخليد ماضى الملكيـــة المقدسة وربط أنساب الملك بالملوك الأقدمين الذين ورثوا العرش عن المعبـودات [3]. ومن أقدم تلك القوائم وأكثرها دقة بالنسبة لترتيب الملوك هو :

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٦١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

حجر بالرمو :

وهو عبارة عن لوحة كبيرة من حجر الديوريت السود ، حطمت إلى سبعة أجزاء ، والكتلة الرئيسية منها موجودة بالرمو بإيطاليا منذ عام ١٨٧٧ ، وهذه الكتلة ذات حجم كبيرة بما فيه الكفاية ، وهناك أربع قطع صغيرة من هذا الحجر موجودة بالمتحف المصرى ، أما القطعة السادسة فهى موجودة الآن فى متحف الجامعة بلندن ، أما القطعة السابعة فقد عثر عليها حديثا فى مخازن متحف اللوفر [١] . ولذلك أمكن تجميع أجزاء اللوحة كلها بشىء من التأكيد وعمل دراسة عليها .

ويبدوا أن هذه اللوحة قد أقيمت فى معبد من معابد مدينة منف ، وكانت مقامة فى مكان ظاهر حتى يستطيع كل من يراها أن يقرأها من الأمام والخلف حيث أنها نقشت على كل وجهيها . ويبدأ النص على الوجه الأمامى ويستمر على الوجه الخلفى .[٢]

ويرجع تاريخ هذه اللوحة إلى الأسرة الخامسة (عهد الملك جد كارع – اسيسى) وتحتوى على تلخيص لأهم أعمال ملوك الأسرات الأولى ، ابتداء من عهد الملك نعرمر – منى حتى حكم الملك جد كارع اسيسى فى نهاية الأسرة الخامسة . وكان كل وجه مقسما إلى أقسام مختلفة ، أى إلى مربعات أو مستطيلات أفقية

---

(١) J. L . De Cenival , Un Nouveau Fragment de la Pierre de Palerme , BSFA 44 (1965), p . 13 – 17 .

(٢) Drioton - Vandier , L'Egypte , Paris (e'd . 1952) , p . 138 ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs , London (1961) , p . 62 – 63 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , Paris (1959) , p . 5; Helck, LA 1V, p. 652- 653 .

د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٦٢ – ٦٣ حاشية (١) ، ص ٩٩١ شكل ١٢ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٨ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول ، شكل ٦٦ .

ورأسية . وفى كل خانة يوجد نقش صغير يعبر عن اسم الملك ، اسم أمه ، ارتفــاع فيضان النيل فى عهده عاما بعام ، وهذا الارتفاع كان يسجل فى سنوات حكم الملــك الذى كان يحكم فى ذلك الوقت ، وأيضا تعداد الماشية ، وكميات الذهــب ، وتعــداد الحقول ، والأعياد الدينية الهامة أو الرسمية ، بالإضافة إلى ذلك كان النقش يشير إلى أحداث كل عام .(١)

وفى كثير من المرات يذكر لنا النقش ، مراسم احتفالات تتويــج الملــك ، وأحيانا نجد سطرا واحدا من النصوص فى كل خانة وفى بعض الأحيان أكــثر مــن سطر . ونجد هذا التقسيم على الوجه الخلفى أكثر اتساعا نظرا لوجود أحداث كثــيرة يجب تسجيلها (ربما لن الأحداث المعاصرة نفسها كانت متعددة) .

وتعتبر هذه اللوحة وثيقة هامة لحوليات الملوك حتى نهاية الأسرة الخامسة . ومع الأسف الشديد فإنه لم يعثر على اللوحة سليمة حتى يمكننا معرفة أغلب أحــداث الدولة القديمة وبخاصة من الأسرة الثالثة حتى نهاية الخامسة .

وهناك قوائم أخرى من الأسرة الثامنة عشــرة والأســرة التاسـعة عشــرة والأسرة الثانية والعشرين ، وهى تعطينا أسماء الملوك فقط الذين حكموا فى فــترات سابقة دون أية بيانات تفصيلية ، وهى :

قائمة الكرنك:

وجدت منقوشة فى معبد الكرنك فى قاعة الأعياد ، ومؤرخة من عهد الملـك تحوتمس الثالث . وكانت تحتوى على واحد وستين اسما كتبت فى ثلاثة صفــوف . ولم يبق منها ظاهرا أو يمكن قراءته إلا ثمانية وأربعين اسما فى حالة سليمة . وقــد كشف عنها فى عام ١٨٥٢ . وتعد هذه القائمة من المصادر الهامة لأنها تعطى أسماء

---

(١) Schafer , dans Abh . d . kgi . preus . Akad . Wissen – schaften (1902) , p . 17 ; Gauthier , Quatre Fragments nouveaux de la Pierre de Palerme au Musée du Caire , Paris (1914) , p . 489 – 496 .

ملوك لم يذكروا على القوائم الأخرى . ولكنها لا تعطى للأسف قائمة بأسماء الملوك فى ترتيب أفضل . وجزء كبير من هذه القائمة موجود الآن فى متحف اللوفر بباريس وقام بنقله إلى هناك الفرنسى بريس – دافن عام ١٨٤٤ .[١]

وقد عثر على صف رابع كان يحتوى على ستة عشر اسما ، على حائط فى القائمة نفسها ، ولهذا فقد كان مجموع الأسماء فى الأصل حوالى سبعة وسبعين اسما ، وهى تبدأ بأسماء ملوك الدولة القديمة [٢] . وقد تحطم أول اسم فى القائمة ولكن الذى يليه هو اسم الملك سنفرو ثم يليه أسماء بعض ملوك هذه الأسرة ثم الأسرتين الخامسة والسادسة . وأسقط كاتب القائمة أسماء ملوك العصر الوسيط الأول وعاد إلى ذكر بعض أسماء ملوك الأسرتين الحادية عشرة ثم الثانية عشرة ، ويذكر أيضا اثنى عشر اسما من ملوك الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، ويذكر كذلك أسماء ملوك الأسرة السابعة عشرة .[٣]

قائمتا أبيدوس :

هناك قائمتان عثر عليهما فى معبد سيتى الأول ورمسيس الثانى فى أبيدوس . كانت الأولى منقوشة على لوحة عثر عليها " بانكس Bankes " فى داخل المعبد . وهو الذى قام بنشرها ، وهى تعتبر غير كاملة وهى معروفة لدى كثير من العلماء وهى التى استخدمت أيضا كأساس لأعمال شامبوليون الأولية بالنسبة لقراءة أسماء الملوك . ونقل الأصل بعد ذلك إلى فرنسا ومنها إلى إنجلترا وهو موجود الآن بالمتحف البريطانى .

أما القائمة الثانية فهى عبارة عن قائمة ملكية منقوشة على جدران الداخلية

---

(١) يذكر ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٧ لعام ١٩٩٨، ص ٢٧ أن قائمة الكرنك وهى الآن فى باريس كانت تعطى أصلا أسماء ٦٢ ملكا من أسلاف تحوتمس الثالث الأقدميين من ملوك الأسرات الثانية (؟) والثالثة، والخامسة والسادسة . والحادية عشرة، والثانية عشرة، والثالثة عشرة .

(٢) Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 50 ; PM , Theban Temples , p . 42 (7) .

(٣) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٦٦ ؛ ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٨ .

المعبد فى الممر الذى يلى مقصورة المعبود بتاح – سوكر . وقد كشف عنها ماريت فى عام ١٨٦٤ ، وفى أثناء حفائره أبيدوس ، وهى تعتبر كاملة إلى حد ما ، ونرى المنظر فى هذا الممر يمثل الملك سيتى الأول ويصطحبه ابنه الأكبر رمسيس ، ويقومان بتقديم القرابين وحرق البخور إلى ستة وسبعين ملكا من أجدادهم الممثلين بخراتيهم الملكية التى تحتوى على أسمائهم ، وعلى رأس هذه القائمة اسم الملك منى [١] ، ونذكر بعده أسماء سبعة ملوك من الأسرة الأولى ، وسبعة ملوك من الأسرة الثانية ، فإذا ما وصلنا إلى الأسرة الثالثة تذكر القائمة خمسة من ملوكها ثم تذكر بعد ذلك ستة من ملوك الأسرة الرابعة ، ثم ثمانية من ملوك الأسرة الخامسة ، ويليهم ملوك الأسرة السادسة . وتذكر القائمة بعد ذلك خمسة عشر ملكا من الأسرتين السابعة والثامنة .[٢]

ونلاحظ أنها أسقطت أسماء ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة ، ولم تذكر إلا ملكين فقط من ملوك الأسرة الحادية عشرة ولكنها ذكرت جميع أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة ماعدا الملكة سبك نفرو آخر حكام هذه الأسرة . ولم تذكر القائمة أى ملك من ملوك العصر الوسيط الثانى بما فيهم الهكسوس وتذكر لنا جميع أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة ما عدا أسماء حتشبسوت وإخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآى . وفى النهاية تذكر القائمة اسم مؤسس الأسرة التاسعة عشرة رمسيس الأول .[٣]

---

(١) الذى كتب mni: ، راجع : Gardiner , op .cit ., p . 49 ; PM VI , P . 25 (230 – 229) ؛ وأيضا : تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، شكل ٦٨ ؛ ر. انجلباخ : المرجع السابق، ص ٢٧،٣٣، ٨٣، شكل ٢.

(٢) يذكر ر. انجلباخ : المرجع السابق ، ص٢٧ أن قائمة أبيدوس تعطى أسماء ٧٦ ملكا ، مبتدئة من مينا (مينى) ، مؤسس الأسرة الأولى، ومنتهية باسم بيبى الأول ؛ ونحن لا نتفق مع هذا الرأى .

(٣) Gardiner , op .cit ., p . 48 Fig . 8 ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٦٧ – ٦٨ حاشية (١) ؛ ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٩ .

لوحة سقارة :

عثر عليها ماريت فى سقارة عام ١٨٦١ ، وفى مقبرة أحد المشرفين على الأعمال المعمارية للملك رمسيس الثانى ، وكان يدعى تنرى . وكانت تحتوى فى الأصل على قائمة ذكر فيها أسماء حوالى ثمانية وخمسين ملكا[١]، وضع كل اسم فى خانة ملكية ، وكانوا محل تكريم من قبل الملك رمسيس الثانى وقد تحطمت هذه اللوحة وفقدت بعض أجزائها ولم يبق من الأسماء اليوم إلا خمسون اسما فقط ، وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى ، وهى مكتوبة على الوجهين ، وتبدأ اللوحة بذكر أسماء ثلاثة ملوك من الأسرة الأولى ، وثمانية من ملوك الأسرة الثانية ، وأربعة من ملوك الأسرة الثالثة ، وتسعة من ملوك الأسرة الرابعة ، وثمانية من ملوك الأسرة الخامسة ، وأربعة فقط من ملوك الأسرة السادسة ، ولم تذكر اللوحة أسماء ملوك الأسرة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ، وتذكر اسم ملكين فقط من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وتذكر أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة كاملة ، وأسقط كاتب القائمة أسماء ملوك العصر الوسيط الثانى ، كما أسقط كذلك أسماء حتشبسوت وإخناتون ومن تلاه من أفراد عائلته ، ثم تذكر بعد ذلك اسمى رمسيس الأول وسيتى الأول وتنتهى باسم رمسيس الثانى .[٢]

بردية تورين :

كتبت بالهيراطيقية فى عهد الملك رمسيس الثانى [٣] . وهى تحتوى على

---

(١) يذكر ر. انجلباخ : المرجع السابق ، ص ٢٧ أن لوحة سقارة هى رقم ٦٦٠ بالمتحف المصرى وأنها تعطى أسماء ٤٧ ملكا مبتدئة من عج – ايب؛ سادس ملوك الأسرة الأولى ومنتهية باسم رمسيس الثانى .

(٢) Gardiner, op.cit., p. 49 – 50 Fig . 8; PM III . p. 192 :
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ؛ ص ٦٨ – ٦٩ حاشية (١) ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، شكل ٦٧ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٦٤ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٢٥ .

قائمة كاملة للموك مع عدد حكمهم ، وكانت فـى حالـة سـليمة عندمـا اشـتراها " دورفتى " عام ١٨١٨ فى طيبة وهى أصلا مـن الـبر الغربـى فـى طيبـة [١] وأصبحت بعد ذلك ملكا لمتحف تورين منذ عام ١٨٢٠ . ولكن فى عام ١٨٢٤ عندما بدأ شامبوليون يهتم بالتواريخ التى جاءت على هذه البردية وبدأ فـى فحصـها فـى متحف تورين ، وجدها ممزقة إلى اكثر من خمسين قطعة . وحاول بعد عناء شـديد ترميمها وجمعها . وفى عام ١٨٢٦ حاول أحد العلماء الألمان " سـيفارث " تحسـين عمل شامبوليون فأطلع على البردية من الوجه ومن الظهر ، وليس مـن المؤكـد أن البقايا الصغيرة التى أعيد ترميمها قد رممـت بطريقـة سـليمة [٢] . وهـى تمدنـا بمعلومات هامة عن مدد حكم الملوك من أقدم العصور حتى الفترة التى تنتـهى فـى حوالى الأسرة السابعة عشرة .

ويبدأ التاريخ على هـذه البرديـة بفـترات حكـم المعبـودات وأنصـاف المعبودات ، ونسب إلى هذه الفترات مدد حكم طويلة جدا[٣] . وتعتبر بردية توريـن ذات قيمة كبيرة من الناحية التاريخية ، ولكنها مع الأسف لا تشمل كل عصور تـاريخ مصر القديم ، ومما يدل على أن كاتب البردية كان لديه مصادر المعلومات غاية فـى الدقة ، لأن البردية لا تذكر فقط سنوات الحكم ولكن الشهر واليوم أيضا ، وقد جعلت

---

(١) يذكر لنا د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٦٤ حاشية (١) ، أن هذه البردية عثر عليها فى منف ، وهذا أمر مشكوك فيه ، ويبدو أن مصدر هذه البردية هو أحد المعابد الكبرى فى البر الغربى فى طيبة ، حيث أنها كتبـت فـى " بيـت الحيـاة " الخـاص بمعبـد الرمسـيوم أو مدينـة هـابو ، راجع: Roccati , BSFE 99 (Mars 1984) , p . 22:

(٢) Roccati , op . cit . , p . 12 – 13 p I . 2 ; Mokhtar, General History of Africa II , p . 26 pI . 5 ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 49 . Fig ., 8 .

(٣) انظر فيما بعد الفصل الثالث تقسيم عصور تاريخ مصر القديم .

البردية من الملك منى مؤسسا للملكية المصرية ، وبعد ذلك نجد قوائم بأسماء ملكية ، كل اسم يتبعه بيان عن مدة الحكم وعمر كل ملك ، وفى بعض الأحيان تذكر البردية عدد سنوات الحكم فى مجموع " كلى " أو تقسمها إلى أسرات .

ونلاحظ أن بردية تورين تذكر بالنسبة للأسرات الست الأولى حوالى اثنين وخمسين ملكا ، وبالنسبة للأسرة الثانية عشرة تعطى أسماء سبعة ملوك ، ثم يأتى بعد ذلك ذكر أسماء عدد كبير من الملوك حكموا فترات قصيرة جدا ، ثم تذكر بعدها مجموعة من الأسماء تضم أسماء بعض ملوك الهكسوس وأيضا أسماء خيالية ، لا يبدو أنها كانت تخص أى ملك .(١)

لوحة الأنساب :

عثر على هذه اللوحة فى منف وهى من الحجر الجيرى ، وهى موجودة الآن بمتحف برلين تحت رقم ٣٣٦٧٣ وتعرف باسم " لوحة الأنساب " لأنها تحتوى على قائمة طويلة بأسماء كبار كهنة منف (ذكر عليها ستون كاهنا) الذين كانوا ينتمون إلى أسرة واحدة هى عائلة " عنخ إف إن سخمت " كاهن المعبود بتاح والمعبودة سخمت ، وقد عاش هذا الكاهن فى عصر الأسرة الثانية والعشرين ، ويذكر النص أربعة أسماء لأجداد عاشوا فى عهود ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وقد فقد اسما أقدم جدين ، ولكن اسم الجد الثالث عاش فى عصر الملك منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة . ويذكر أسماء أجداد له عاشوا فى عصر ملوك الهكسوس

---

(١) Gardiner, op . cit . , p . 47 – 48; Maspero, Histoire Ancienne I, p . 226 .

وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٦٤ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية شكل ٦٩ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٩ .

وعصرالأسرة الثامنة عشرة . وعصر الأسرة التاسعة عشـــرة والعشـــرين والحاديـــة والعشرين والثانية والعشرين أى عهد الملك شتنق .[١]

وقد أتاحت طريقة المصريين القدماء فى كتابة أسماء ملوكهم فى قوائـــم أن أصبحت تلك القوائم مادة للتعليم ، وكان التلاميذ يكتبون فى كراساتهم قوائم بأســـماء العديد من الملوك كما دونوا الكثير مما سجله الملوك أنفسهم على جدران أو المعـــابد اللوحات أو على ملفات البردى .[٢]

٣- المصادر الأدبية :

الأساطير والقصص :

وهى نوعية أخرى من المادة الأثرية كتبت على جدران حجـــرات الأرض فى نهاية الأسرة الخامسة والسادسة وجدران المعابد وعلى صفحات البردى وهى مـــن الوثائق التى تعطينا صورة عن أوضاع سياسية عامة ، مثل أسطورة الصـــراع بيـــن أوزيروست من ناحية وبين حورس وست من ناحية أخرى التى تناولت أحداثا سياسية فى عصور لم تكن مصر قد عرفت فيها الكتابة بعـــد ، وربطـــت تـــاريخ الملـــوك بالمعبودات الكبرى [٣] . وتحدثنا نصوص الأهرام عن الأوضاع السياسية التى كـــانت سائدة فى البلاد قبل الوحدة بين أقاليم الوجه القبلة والبحرى ، وأن مصر العليا كـــانت تمثل مملكة المعبود ست ، بينما كان يوجد فى الدلتا تجمعات لأقاليم الغرب وأخـــرى

---

(١) د. أحمد فحرى : المرجع السابق . ص ٦٩ – ١٠ حاشية (١) : وأيضا .
Gardiner, op cit ., p 50

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٩

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٠ ، ص ٣٧٨ – ٣٨٢ .

لأقاليم الشرق ، وكان المعبود أوزير هو ملك الشمال ، وهو الذى قام بتوحيد الأقـاليم الشرقية والغربية ثم قام ابنه وخليفته حورس بمهاجمة وغزو مملكة ست فى الجنـوب وهكذا قامت مملكة متحدة فى كل مصر .

وقصص أبناء الملك خوفو التى هى عبارة عن مجموعـة مـن القصص وخاصة القصة التى حكاها جدف حور وما تنبأ به الساحر جدى عن أن الذى سيتولى عرش البلاد فى بداية الأسرة الخامسة هم ثلاثة ملوك كانوا أبناء أحد كهنة المعبـود رع فى ايونو [١] .

وبردية ايبوور التى تعتبر من النصوص التاريخية الهامة لأنها تصـف لنـا حالة البلاد وما أصابها من فوضى وثورة اجتماعية فى نهايـة الدولـة القديمـة[٢] . وقصة القروى الفصيح التى تعبر عن أوضاع الضيق التى كانت سائدة فى البلاد قبـل عصر الدولة الوسطى [٣] . وقصة سنوهى التى تصور الوضع السياسى فـى بدايـة الأسرة الثانية عشرة ومحاولة اغتيال الملك امنمحات الأول .

٤- ما وصل إلينا من مقتطفات مما كتبه مانيتون عن تاريخ مصر القديم:

وهو يعد أول مؤرخ مصرى قديم حاول كتابة تاريخ مصر ، وهو يختلـف عن مؤرخى اليونان الذين زاروا مصر وكتبوا عن تاريخها بأنه كان على علم باللغـة المصرية القديمة وكتاباتها المختلفة ، وعلى معرفة جيدة باللغة اليونانية المتداولة فـى العصر الذى عاش فيه . ولقد عاش مانيتون فى عهد اثنين من ملوك البطالمة الأوائـل (بطلميوس الأول والثانى) فى الفترة من ٣٢٣ إلى ٢٤٥ ق.م ولسوء الحظ لا نعلـم عنه الكثير ، فأصله غير معروف وبعض الصادر ترجع أصله إلى مدينـة منـدس ،

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٩٠ ،٣٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٩ – ٤٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٠ ، ص ٣٩٣ – ٣٩٦ .

وأخرى تجعلنا نعتقد أنه كان يتردد على معبد ايونو . وكان يعد أحد الكهنة العلمـــاء المشهورين الذى لم تخرجه أية مدرسة دينية ويقترح شـــرنى ان اســـمه بالمصريـــة القديمة كان mnjw- ḥtr[1]، وقد خدم مانيتون فى معبد سبننيتوس فى بدايـــة القـــرن الثالث ق.م . وكان هذا المعبد يقع على حدود مدينة سمنود الحالية فى دلتا مصـــر . ولم يبق سوى كتلة كبيرة من الجرانيت الأحمر والكوارتز الضخم المنقوش .

وكان على دراية بتاريخ مصر وعقائدها الدينية [2] وحاول كتابة هذا التاريخ معتمدا على معرفته لقراءة النقوش والبرديات التى كانت موجودة فـــى عـــهده فـــى أرشيف ومكتبات المعابد والإدارات الرسمية [3] . ويبدو أن مانيتون كان قـــد كلـــف بواسطة بطلميوس الأول(سوتر) بالعمل على نشر عبادة جديدة هى عبادة ســـرابيس التى تؤدى إلى الربط بين العقائد المصرية واليونانية . وقام بكتابة تاريخ مصر بنـــاء على آمر بطلميوس الثانى [4] .

وقد قام بكتابة هذا التاريخ فى حوالى عام ٢٨٠ ق.م باللغـــة اليونانيـــة . وهناك بعض الروايات تنسب إليه أنه قام بكتابة ثمانية كتـــب عـــن النظـــم الدينيـــة والطقوس والأعياد ، ومؤلف عن صناعة البخور ، ولكن أهـــم أعمالـــه هـــو كتابـــة " تاريخ مصر Aeyptiaca " الذى يعتبر اختصارا لنتائج كل أبحاثـــه . وكـــان مـــن

---

(١) Thissen, LA 111, p. 1180.

(٢) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 161 – 162.
وأيضا : د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٨ .

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونيـــة ، ١٩٨١ ، ص ٦٥ – ٦ ؛ وأيضـــا د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصـــر (الجـــزء الثـــانى – عصر البطالمة) ص ٢١١ – ٢١٢ .

(٤) Wabbell, Manethon, The Loeb Classical Library, london 1937; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p 46; Helck, Untersuchungen zu Manetho und den agyptischen konigslisten, UGAA 18, 1956.

الممكن أن يصبح بدون شك من أهم المصادر عن تاريخ مصر القديم لو وصل إلينا سليما . ولكن للأسف فقد معظمه فى حريق مكتبة الإسكندرية فى حوالى عام ٤٧ ق.م . وذلك عندما أحرق يوليوس قيصر الأسطول المصرى خلال معركة بحرية وارتفع اللهب بشدة حتى أمتد إلى رصيف الميناء واتلف حوض صناعة السفن . وأحرق المبانى المجاورة له ومن بينها المكتبة الكبرى أو دار الكتب [1] . ولذلك فقدنا هذا المصدر التاريخى الأكثر صدقا والى اعتمد أساسا على النقوش والكتابات المصرية .ولم يصل إلينا من هذا التاريخ إلا بعض المقتطفات والفقرات التى نقلها الكاتب اليهودى " يوسيفوس – فلافيوس " و" جوليوس الأفريقى " و" أوسب ".وآخر

---

(١) أسسها بطلميوس الأول ، وبلغت محتوياتها فى عام ٢٨٥ ق.م . على ذمة الرواة ٢٠٠ ألف مجلد أى لفة من البردى ، و٧٠٠ ألف حتى عام ٤٨ ق.م . وكان هناك بالإضافة إلى هذا العدد ، حوالى ٥٠ ألف مجلد فى دار كتب ثانية، كانت منذ عهد بطلميوس الثانى ملحقة بمعبد سيرابيس، راجع : اندريه ايمار – جانبين أو بواية : الشرق واليونان القديمة (نقله إلى العربية فريد واغر – فؤاد أبو ريحان) بيروت ١٩٦٤ ، ص ٦١٩ ؛ د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى ، عصر البطالمة) ١٩٧٥ ، ص ١٤٧ – ١٤٨ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، جزء ٤ ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٠ – ٢١٢ ؛ د. مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص ١٠٣ ؛ د. سيد الناصرى : تاريخ الرومان ، ١٩٧٦ ، ص ٣٦٧ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٨ . قيلت اراء كثيرة عن وقت احتراق مكتبة الإسكندرية الأولى ، وقد نسب الكثير من الكتاب إلى عمرو بن العاص حرقها ، إلا أن بتلر قد شرح ناقش كل تلك الأراء بدقة شديدة وأشار لما كتبه بلوتارخ عن احتراقها حينما احرق قيصر الأسطول المصرى فى ميناء الإسكندرية نحو عام ٤٧ ق.م ، راجع :Butlar , The Arab Conqust , p . 401 – 410 .

صدى لكتابات مانيتون نجده فى كتاب الكاتب " جورج الراهب " المعروف باسم " سينسلوس "[١] .

وعلى الرغم من وجود هذه المقتطفات فإن الصورة الفعلية للعمل الأصلى لمانيتون لم تتضح بأكملها . ولم يبق منه سوى قوائم ملكية بأسماء ملوك مرتبة فى أسرات مصحوبة غالبا بإشارات عن مدد حكمهم ، وبها أحيانا بعض القصص المشكوك فيها .

ومن الصعوبات الهامة التى خلفها لنا مانيتون هو أنه أعطانا أسماء الملوك فى صيغة يونانية ، فكان من الصعب فى بعض الأحيان مطابقة هذه الأسماء بالنقوش المصرية القديمة [٢] .

ويرجع إليه الفضل فى تقسيم الملوك إلى عدة أسرات ، وأطلق على المجموعة الأكثر قدما – الأسرة الأولى – ويذكر بعد ذلك السلالات الملكية المختلفة التى توالت حتى الفترة التى عاش فيها أى العصر البطلمى . ولا نعرف لماذا أتبع مانيتون هذا التقسيم ؟ ومن الذى أشار عليه به ؟

ومن الملاحظة أن كل الأسرات التى ذكرها قد حكمت على التوالى وكان الاعتقاد السائد فى مصر هو أن المعبودات هى التى كانت تمارس السلطة مباشرة على الأرض حتى أصبح البشر أكثر تحضرا وإدراكا بما فيه الكفاية ، لذلك صعدت المعبودات إلى السماء وتركت وراءها مباشرة الأحياء على الأرض . وطبقا لرأى مانيتون كان منى هو أول هؤلاء الأحياء . ويبدو أن مانيتون قد نقل هذا الاعتقاد من سجلات كانت موجودة فى معابد منف أو غيرها [٣] .ويبدو أنه كانت هناك قوائم كاملة لتتابع الملوك وذلك من بعد منى ولذا كان المصريون ينسخون هذه القوائم على أوراق البردى ابتداء من الدولة الحديثة ، وللأسف لا نملك إلا بردية واحدة لهذه

---

(١) سوف نتحدث عن هؤلاء الكتاب فيما بعد ، ص ٢٤٦- ٢٦٣ .

(٢) Posener , op . cit . , p . 161 ; Gardiner , op . cit . , p . 64; Thissen, LA 111, p. 1180 – 11811 .

(٣) Maspero , Histoire Ancienne I , p . 25 .

القوائم هى بردية تورين التى ذكرناها من قبل [١] .

وقد تناول مانيتون فى تقسيم تاريخ مصر القديم إلى أسرات أسماء الملــــوك وسنوات حكمهم وأهم أعمالهم . ونجد أن تاريخ مصر كتــب كــاملا ، فبعــد حكــم المعبودات وأنصاف المعبودات ، قسم التاريخ إلى إحدى وثلاثين أسرة ، مبتدئا بالملك منى وينتهى بفترة غزو الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م

وقد أعطى مانيتون كمجموع لسنوات حكم الأسرات العوام الآتية :

- من الأسرة الأولى حتى الأسرة الحادية عشرة ٢٣٠٠ عام .
- من الأسرة الثانية عشرة حتى التاسعة عشرة ٢١٢١ عام .
- من الأسرة العشرين حتى وفاة دارا ١٠٥٠ عام .

وهكذا فإن تقسيم تاريخ مصر القديم إلى أسرات ملكية أصبح قاعدة عامـــة لعلماء علم الدراسات المصرية القديمة فى العصر الحديث الذين اتبعوا هــذا التقســيم وساروا عليه ولم يتخلوا عنه حتى الآن . وسيظل على الدوام تقسيما صحيحا يعتمــد عليه كل مؤرخ فى تقسيم ملوك مصر القديمة إلى أسر .

ويبدو أن الكتاب الإغريق لم يهتموا كثيرا بكتابات مانيتون نظـــرا لطابعــها القومى والوطنى .[٢] لذلك لم ينتقلوا أو يقتبسوا منه الكثير .

وعلى الرغم من وجود بعض الأخطاء البسيطة فى كتابات مانيتون فإنــــها تعتبر ذات أهمية كبرى بالنسبة لنا ولا زالت هذه الكتابات تحتفظ لنا بمفاجآت مثل مـــا ذكره مانيتون عن ملك غير معروف يســـمى " نفرشـــرس Nefercheres " الــذى وضعه بين ملوك الأسرة الحادية والعشرين . فقد حدث منذ بضع سنوات أنه أمكـــن

---

(١) راجع ، ص ٢٢٠ – ٢٢٢ ؛ وأيضا : Maspero , op . cit ., p 225 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١١٥ .

التعرف على شخصية هذا الملك بفضل أثر صغير عليه فى تانيس .(١)

وقد بين لنا شامبوليون فى كتابة الذى نشر عام ١٨٢٨ " موجز Precis " أنه تعرف على حقيقة بعض أسماء الملوك الذين ذكروا بواسطة مانيتون منهم :

أمنحتب ، تحوتمس ، رمسيس ، ششنق ، اوسركون ، بسماتيك ، نفرتيس ، آخوريس وقد ادرجوا الآن ضمن تاريخ أسرهم بطريقة صحيحة .

المادة العلمية التى تمدنا بها الآثار ونقوشها " :(٢)

أن المادة الأثرية المتنوعة والتى اكتشفت منذ أكثر من قرن ونصف مضى سواء أكانت مكتوبة أو غير مكتوبة ، وتعكس لنا أو تعبر عن الكثير من أحداث تاريخهم وما كانوا يقومون به من أنشطة مختلفة وما حققوه فى شتى المجالات الحضارية .

بالنسبة للآثار التى تحدثنا عن حياة وأعمال الملوك وأحداث عهودهم : نقول أن هناك نوعية أخرى من الآثار التى تعطينا صورة أكثر تفصيلا من اللوحات الصغيرة والصلايات ومقامع القتال والقوائم الملكية والأساطير والقصص وتحدثنا نقوشها بإسهاب عن نشأة الملوك وتربيتهم ، مثل النصوص والمناظر التى تحدثنا عن

أن هناك نوعية أخرى من الآثار التى تعطينا صورة أكثر تفصيلا من اللوحات الصغيرة والصلايات ومقامع القتال والقوائم الملكية والأساطير والقصص وتحدثنا نقوشها بإسهاب عن نشأة الملوك وتربيتهم ، مثل النصوص والمناظر التى تحدثنا عن

---

(١) Montet , Tanis , Douze anneés de Fouilles dans une capitale oublieé du Delta Egyptien ,Paris (1942) , p. 164;Černy, Egypt From the death of Ramesses III(CAH), Cambridge (1965) , p. 42 – 4

(٢) تلك المادة العلمية التى أصبحت مجالا للدراسات وبفضلها تكون ما يسمى بالمصادر الحديثة أى المراجع العامة عن تاريخ مصر القديم وحضارتها التى هى كثيرة وذكر بعضها فى كتاب د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٥٣ – ٤٧٠ وفى مؤلفات أخرى ، راجع فيما سبق ، ص ١٨٣ – ١٨٧ .

الميلاد المقدس لحتشبسوت وأمنحتب الثالث ، والتى تحدثنا عن التربيـــة العســكرية لأمنحتب الثانى عندما كان أميرا على يد أحد كبار القواد وهو المدعو " ميـــن " ، أو تحدثنا عن تتويجهم مثل مناظر تتويج حتشبسوت فـــى معبـد الديـر البحـــرى ، أو المراسيم الخاصة بتتويج حور محب والتى جاءت فى نقوش تمثال لـــه فـــى متحـف تورين . ومنها ما يتناول حياتهم خاصة ، مثل زواجهم مثل تلك النقوش التى ســجلها أمنحتب الثالث على جعارين كبيرة الحجم بمناسبة زواجه من الملكة تـــى ، واللوحـــة التى كانت موضوعة أمام معبد أبو سمبل الكبير ، وتقص علينا حضور ملك الحيثييـن إلى مصر وبصحبته ابنته لتصبح زوجة لرمسيس الثانى ، أو أحلامهم ، مثل لوحـــة تحوتمس الرابع التى تركها لنا بين قدمى أبو الهول ، أو التى تبين أو تعكس مظـــاهر حياتهم الأسرية ، مثل المنظر المنقوش على ظهر كرسى العرش الخاص بالملك توت عنخ آمون ، وتتجلى فيه الحياة الأسرية فى أروع صورها ، يرى فيه الملك جالســا ، والملكة مائلة أمامه تقوم بتعطيره ، وتلك المناظر فى مقابر تل العمارنة التـــى نـرى فيها إخناتون وزوجته جالسين ، يدللان بناتهما[١] ، أو المنظر الذى يمثـــل رمســيس الثالث فى معبد مدينة هابو وهو يداعب إحدى زوجاته أو التى تبين قوه الملك ، وحبه لرياضة التجديف والرماية وهوايته لركوب الخيل مثل ما جاء على اللوحـــة الكبـيرة التى تركها لنا أمنحتب الثانى بالقرب من أبى الهول ويحدثنا فيها عـــن حبـــه لجيـاده وركوب العجلات الحربية ، وأنه كان يقوم باختيار أحسن الأقواس لإصابة الـــهدف ، أو أنه أخذ يجدف فى إحدى الممرات فى مؤخرة قاربه الملكى مـــع بقيـــة البحـــارة ، وذلك لمسافات طويلة ضد التيار أو التى تصور لنا بصورة مبالغ فيـــها قـــوة الملـــك الجسمانية ، مثل ذلك المنظر على خاتم يوجد ألان فى متحف اللوفر . ويمثل أمنحتـب الثانى واقفا يمسك بيده اليسرى ذيل سبع وقد رفعه من الأرض ، والمنظر نفسه تجـده مصورا على درع توت عنخ آمون[٢] . أو المنظر الذى نراه على كتلة من الجرانيـت

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

موجودة الآن أمام مدخل متحف الأقصر الإقليمى ، تمثل أمنحتب الثانى فوق عربتــه قابضا بيسراه على قوس كبير ، وقد شد بيمينه القوس ووضع أمامه هدف من النحاس اخترقته خمسة أسهم .

هناك نصوص ومناظر تحدثنا بإسهاب عما كان يقوم الملوك من أعمال فــى مجال السياسية الداخلية للبلاد ، مما قاموا من نشاط فى مجال العبادة بتشييدهم المعــابد والمقاصير والهياكل للمعبودات ، وما قاموا بترميمه فى هذه المعابد لإصلاح ما تــهدم فيها ، وما قاموا بإضافته فيها وما قاموا بإضافته فيها وما قاموا بتزينه ، وما قـــاموا بتشييده من معابد جنائزية تشمل فى طقوسها عبادة المعبودات الرئيسية ، مثل النــص الخاص بأمنحتب الثالث والموجود على لوحة عثر عليها فى معبده الجنائزى (تلـــك اللوحة التى اغتصبها مرنبتاح وسجل نصا آخر علـــى ظـــهرها) ، ويقــص علينــا أمنحتب الثالث فى السطر ٣ أن ما قام به ، كآثار لأبيه أمون سيد عرش الأرضييــن ، أن شيد له معبدا ضخما على الضفة الغربية لطيبة (وجعـــل منــه) حصنــا لكــل الأبدية ... وزين جميع أجزائه ، بالذهب وأصبحت أرضيته نقية بفضل الفضة .

وفى السطر ٤ يقول أيضا : " كانت كل أبوابـــه (مغطـــاة بصفــائح مــن الذهب .. وزين هذا الأثر الضخم العظيم بالإكثار من تماثيل السيد (أى آمون) مــن جرانيت أسوان ، ومن الحجر الرملى الصلد ومن جميع (أنواع) الأحجار الصلـــده " ويذكر فى السطر ٩ كيف أنه شيد صرحا مرتفعا فى معبد الكرنك ، وفــى الســطر ١٦ يقول أنه صنع قاربا مقدسا كبيرا فى المرسى تسمى " آمون رع أم وســـرحات " من خشب الأرز .

ويتضح منه هذا النص أن من بين أعمال الملـــوك هــو أقامـــه المعـــابد ، وتزويدها بتماثيل المعبودات ، وإعداد القارب المقدس فيها ، أو إقامة المسلات فيــها ، مثل النص الذى تذكر فيه حتشبسوت إقامتها لمسلتين للمعبود آمون بيـــن الصرحيــن الرابع والخامس فى الكرنك ، ولازالت إحداهما باقية ، وكل هذه النصوص تبين مدى ورع الملك وتقربه للمعبودات ، ولا يخلو معبد من المعابد الكبرى أو الصغـــرى ، أو حتى المعابد الموجودة فى مناطق بعيدة مثل بلاد النوبة ، من مناظر تمثــل الملــك ،

الذى يقوم بتقديم القرابين لمعبودات المعبد أو حرق البخور أمامها والتقـرب إليـها ، وذلك بصفته ابنا للمعبودات وهو بالتالى المسئول عن تكريمها ويحل محله فـى هـذا الدور الكاهن الأكبر . ونرى الملك أيضا فى جميع المناظر وهو يفتتـح المراسـيم والطقوس الدينية فى المعابد ، وكذلك نجده ممثلا فى بدايـة بالاحتفـالات بالأعيـاد الدينية ، مثل الاحتفالات بعيد اوبت المسجل على جدران بهو الأعمدة الكبير فى معبد الأقصر .

وبالإضافة إلى ذلك هناك نصوص تبين ما كان يقدمه الملك للمعبودات مـن مآثر وهبات وأراضى ، مثل المراسيم التى أصدرها الملك بيبى الثانى لحماية معبـد المعبود مين وكهنته من التعرض لأزمات وكذلك عدم قيامهم ومـن معـهم بأعمـال السخرة ، والهبات التى منحها الملك رمسيس الثالث للمعابد فى الوجه القبلى والوجـه البحرى طبقا لما جاء فى بردية هاريس .[١] وهناك لوحة تف نخت المحفوظـة فـى متحف أثينا .[٢] وتقص نقوشها بالهيراطيقية أن الملك خصص وقفا مـن الأراضـى لصالح معبد المعبودة نيت فى سايس .

وتقص علينا نقوش لوحة نقراطيس من عهد الملك نختنبو الثانى ، أن الملـك أصدر مرسوما بفرض ضريبة العشر على كـل المنتجـات المحليـة والصـادرات والواردات والمواد الخام التى تصل إلى منطقة نقراطيس الجمركية لصالح معبد نيـت فى سايس .[٣]

---

(١) Kruchten , la Section Historique du Papyrus Harris I , Ann . IPHOS 25 (1981) , p . 51 - 64 .

(٢) R .el Sayed , Documents relatifs à Sais et ses divinites , BdE 69 (1975) , p . 37 – 53 doc . 3 .

(٣) R. el Sayed , la Deésse Neith de Sais t . 11 , BdE 86 (1982) , p . 417 - 419 (doc . 481) .

وفى مجال الحكم والإدارة ، لدينا نقوش تخص الملوك أو تخص بعض كبار موظفيهم وقوادهم ، ممن كانوا يعيشون فى عهد ويتولون وظائف عديدة ويقومون بتنفيذ كل ما يوكل إليهم من مهام سواء فى الداخل أو الخارج ، واتجه أغلب ملوك مصر القديمة إلى استغلال ثروات البلاد ، فأرسلوا البعثات لاستغلال المناجم والمحاجر وذلك منذ أقدم العصور .

فعثر على اسم أول ملوك الأسرة الأولى نعرمر – منى منقوش على الصخور بين قفط والقصير مما يدل على إرساله بعثات التعدين إلى محاجر الصحراء الشرقية . وكذلك عثر على اسم الملك واجى فى المنطقة نفسها وعثر فى النقوش الصخرية فى وادى المغارة على أسماء العديد من ملوك الدولة القديمة الذين أرسلوا بعثات التعدين إلى هناك لاستغلال مناجم النحاس منهم : جسر ، سخم خت ، سانخت ، سنفرو ، نى اوسر رع – آنى ، جد كارع اسيسى ، ببيى الأول . ومن الدولة الوسطى قام الملك منتوحتب الثانى بإعداد طريق وادى الحمامات ، وأرسل منتوحتب الرابع وزيرة امنمحات إلى محاجر وادى الحمامات ، وعثر على اسم هذا الملك فى مناجم الاماتيست فى وادى الهودى جنوب شرقى أسوان ، وأرسل الملك سنوسرت الأول البعثات إلى المنطقة نفسها وإلى وادى الحمامات ، كما أرسل امنمحات الثانى البعثات لاستخراج المعادن من شبه جزيرة سيناء ، وامنمحات الرابع أرسل البعثات إلى محاجر وادى الهودى .

ومن الأسرة التاسعة عشرة ، أرسل سيتى الأول البعثات إلى مناجم الذهب ، وكان هذا الذهب مخصصا لمنشآت الملك فى العرابة المدفونة وتسجل نقوش لوحة كوبان اهتمام الملك رمسيس الثانى بمناجم الذهب فى وادى العلاقى .

وبالنسبة لزيادة ثروات البلاد من التجارة ، فهناك نصوص خمس لوحات كبرى كان قد أقامها دارا الأول تخليدا لذكرى إعادة فتح قناة بين البحر الأحمر والنيل ، وذلك المشروع الذى بدأه من قبل الملك نكاو وفكر فيه أحد ملوك الدولة الوسطى (سنوسرت الأول أو الثالث ؟)

وهناك نصوص تحدد اختصاصات الوظائف الكبرى ومـــن يعملـون فيـها وألقابهم الإدارية ، والإدارات التى يعملون بها ، فهناك نص قيل على لسان تحوتمـس الثالث عند تعيينه لرخمى رع وزيرا ، ويبين له فى هذا النص ما هى الأعباء الحقيقية لهذه الوظيفة وما يجب عليه أن يقوم به . وهناك القوانين التى يصدرها الملـك مـن وقت لآخر للقضاء على فساد بعض موظفى الإدارات وحماية ممتلكات الدولة ، مثـل قوانين حور محب التى أصدرها لحماية طبقة المزارعين من اسـتغلال الموظفيـن ، وهناك نوع من النصوص الأدبية فى شكل النصائح يوجهـها الملـوك إلـى أوليـاء عهودهم ، وينقولن إليهم عبر هذه النصوص خبرتهم فى السياسـة والحكـم ، مثـل نصائح الملك خيتى الثالث (أو الرابع) لأبنه مريكارع ، ونصـائح امنمحـات الأول لأبنه سنوسرت الأول .

وهناك نصوص تحدثنا عما كان يقوم به الملوك فى مجال السياسة الخارجية فكان عليهم التنبيه لما يحدث من تحركات لقبائل البدو على الحدود الشرقية والغربيـة والجنوبية ، والتى كانت تطمع فى التسرب عبر الحدود للاستقرار فى البلاد أو تقـوم بالاعتداء على الحملات بأنفسهم أو أنهم يرسلون قوادهم بدلا منهم ، الذين يـتركون نقوشا تحدثنا عما قاموا به .

فمنذ الأسرة الأولى عثر على اسم الملك جر منقوشا علـى الصخـر عنـد مدخل الجندل الثانى يقص علينا حملته إلى بلاد النوبة ، وجاء على حجر بالرمو أنـه حارب جماعة من الآسيويين . وعثر فى مقبرته على لوحة من المرمر عليها منظـر يمثله وهو يؤدب أحد الأسرى الليبيين . ويشير حجر بالرمو أن دن قام بتأديب بـدو سيناء ، كما تقابل سمرخت معهم أيضا .

ومن الأسرة الثانية ، عثر على اسم الملك نب رع منقوش على صخرة فـى واحات الصحراء الغربية ، ومن نقوش الدولة القديمة نعلم أن جسر أرسل حملة إلـى بلاد النوبة ، وأرسل سنفرو حملة تأديبية إلى بلاد النوبة ، وحملة إلى ليبيا ، ونـرى فى معبد ساحورع أسرى ليبيين ، ونعلم أن هذا الملك أرسل حملة إلى سيناء لتـأديب البدو ، وأرسل حملـة ثانيـة إلـى بـلاد النوبـة السـفلى . وفـى نقـوش معبـد

نى - أوسررع – آنى نرى خضوع الأعداء من الليبيين والآسيويين . وأرسل الملك بيبى الأول حملة إلى بلاد النوبة ، وصور فى نقوش وادى المغارة وهو يضرب البدو فى سيناء ، وأرسل هذا الملك القائد ونى خمس مرات إلى فلسطين على رأس جيش منظم ، كما يخبرنا بذلك ونى على لوحته التى تركها فى مقبرته فى أبيدوس .

وفى عصر الدولة الوسطى ، أرسل منتوحتب الثانى حملة لمحاربة البدو فى الصحراء الشرقية ، وقام امنمحات الأول بطرد البدو على الحدود الشرقية وأقام حائطا لحماية الحدود . وأرسل الملك سنوسرت الأول ثلاث حملات إلى الجنوب والشرق والغرب . وأرسل سنوسرت الثالث الحملات إلى الجنوب لتأديب البدو وإقامة الحصون هناك ، كما قام بحملة أرسل فيها أحد قواده سبك خو الذى وصل فيها إلى رتنو فى سوريا .

وعندما تعرضت مصر للاحتلال الأجنبى فى نهاية العصر الوسيط الثانى ، تولى سقنن رع وكامس وأحمس مراحل حرب التحرير فى الأسرة السابعة عشرة ، ولدينا نص بردية سالييه رقم ١ الذى يقص علينا بداية الصراع بين الهكسوس وحكام الجنوب فى طيبة . ولوحة كارنارفون ولوحة الكرنك المكملة لها والتى تحدثنا عن كامس ودوره فى حرب التحرير .

وكذلك نصوص قواد أحمس : أحمس بن أبانا والتى يحدثنا فيها عن اشتراكه مع الملك أحمس فى تعقبه للهكسوس حتى جنوب فلسطين ، وأحمس بن نخبت الذى يحدثنا كيف تغلغل مع أحمس فى عمق فلسطين .

وفى عصر الدولة الحديثة ، زاد الطابع العسكرى للسياسة الخارجية ، نتيجة لرد الفعل ضد غزو الهكسوس والاحتلال الأجنبى . فعمل ملوك الدولة الحديثة على تأمين الحدود فى الشرق والغرب والجنوب وإيجاد مناطق للنفوذ المصرى بالإضافة إلى مجهودات أحمس فى آسيا فقد أرسل ثلاث حملات إلى بلاد النوبة السفلى . وقام أمنحتب الأول بحملة أو اثنتين إلى بلاد النوبة ، وحملة ضد قدمى وميتانى فى آسيا . وقام تحوتمس الأول بحملة إلى الجنوب ، وحملى أخرى فى آسيا ، وأيضا تحوتمس الثانى الذى قام بحملة إلى الجنوب ، وحملة ضد بدو سيناء . وهناك تحوتمس الثالث

الذى قام بمعركته الشهيرة فى مجدو وقام بعدها بست عشرة حملة عن طريق البر والبحر إلى آسيا ، ووصل فيها حتى نهر الفرات ، بالإضافة إلى ذلك قام بحملة إلى الجنوب ، وهناك قصة لأحد قواده الذى يدعى تحوتى الذى لجأ إلى حيلة للاستيلاء على مدينة يافا ، بعد أن فشل فى الاستيلاء عليها بالقوة .[1] وقام أمنحتب الثانى بحملة إلى آسيا وتحوتمس الرابع بحملة تفتيشية إلى آسيا ، وحملة أخرى إلى الجنوب ، وأرسل أمنحتب الثالث حملة تفتيشية إلى الجنوب طبقا لما جاء فى نقوش اللوحة التى أقامها فى معبده الجنازى فى البر الغربى . وقام حور محب بحملة إلى آسيا . وحملة أخرى إلى الجنوب . كما قام سيتى الأول بحملة إلى آسيا ضد قبائل الشاسو ، سجل نصوصها على جدران معبد الكرنك ، كما قام بحملة أخرى فى الجنوب فى العام الثامن من حكمه طبقا لنقوش اللوحة التى عثر عليها حديثا بالقرب من مدينة ساى فى عام ١٩٧٠ ، وكان قد ذهب إلى هناك للقضاء على تمرد قامت به بلاد إرم . وقام بحملة أخرى ضد التحنو على الحدود الغربية وقام رمسيس الثانى بحملته الشهيرة ضد الحيثيين ، وتقابله مع ملك الحيثيين مواتللى فى معركة قادش ، ثم توقيع معاهدة الصلح بينهما . وذهب رمسيس بعدها إلى آسيا أكثر من مرة ، وقام بحملة فى الجنوب ضد بلاد إرم وكان معه أربعة من أبنائه ؟. وبالنسبة للحدود الغربية أقام سلسلة من التحصينات لمنع تسربات قبائل البدو قبائل البدو وهجرات الشعوب الهندو أوروبية التى إستقرت فى ليبيا . وقام مرنبتاح بثلاث حملات على الحدود الغربية ضد شعوب البحر والليبيين ، وضد البدو وبعض المدن الفلسطينية ، وحملة فى الجنوب للقضاء على تمرد قبائل كوش . وقام رمسيس الثالث بحملة ضد الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر على حدود مصر الغربية فى العام الخامس من حكمه ، وقام بحملة أخرى ضد الشعوب الهندو أوروبية (شعوب البحر) فى العام

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٠٨ .

الثامن من حكمه ، تلك الشعوب التى جاءت عن طريق البر والبحر لمهاجمة حدود مصر . وقام رمسيس الثالث بحملة بعدها إلى آسيا . وقبل العام الخامس قام بحملة فى الجنوب لتهدئة الأوضاع الداخلية هناك .

وسجل الملك شِشنق الأول من الأسرة الثانية والعشرين ، قصة انتصاره فى الحملة التى أرسلها إلى فلسطين وذلك فى نقوش الجدران الجنوبية الخارجية لبهو الأعمدة الكبير فى معبد الكرنك ، والحملة التى أرسلها بسماتيك الثانى إلى بلاد كوش ، وسجلت أخبارها على لوحتين عثر عليهما فى تانيس وفى الكرنك ، والحلمة التى أرسلها أبريس بقيادة أمازيس لتهدئة الأمور فى ليبيا وقامت علاقات من نوع أخر غير الطابع العسكرى ، فهناك آثار ونصوص وتدل على أنه كان هناك علاقات تجارية منذ الدولة القديمة مع بلاد الشرق القديم والمناطق الجنوبية من حدود مصر ، فنعلم من حجر بالرمو أن سنفرو أرسل بعثة بحرية لإحضار أخشاب الأرز من الشاطئ الفينيقى .وفى مناظر المعبد الجنائزى للملك ساحورع نرى وصول اسطول كان قد ذهب للغرض نفسه . وأرسل جد كارع – إسيسى حملة تجارية إلى بلاد بونت . ومع مرى رع عنتى أم سا إف بدأت رحلات الرحالة من حكام أسوان إلى الجنوب ، بغرض إحضار منتجات هذه البلاد البعيدة من بخور وعاج وابنوس ، ويذكر لنا حرخوف أنه ذهب إلى هناك ثلاث مرات ، أما حملته الرابعة فكانت فى عهد الملك بيبى الثانى وأحضر من هناك قزما . وفى عهد بيبى الثانى أرسل بيبى نخت إلى بلاد بونت ، وكما أرسل ميخو وسابنى إلى الجنوب أرسلت البعثات التجارية إلى ببيلوس .

وتوقفت هذه العلاقات التجارية فى عصور الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة ، واستؤنفت بعد ذلك هذه العلاقات مع الشاطئ السورى وعاد استيراد الأرز كما تخبرنا بدلك بردية تعاليم خيتى الثالث (أو الرابع).

وفى عهد الدولة الوسطى أصبح هناك إلى جانب العلاقات التجارية علاقات ود وصداقة وعلاقات دبلوماسية بين ملوك مصر وحكام بلاد الشرق القديم فأرسل منتوحتب الثالث حملة إلى بلاد بونت بقيادة حننو ، وكانت هناك علاقات

دبلوماسية بين أمنمحات الأول وبعض أمراء سوريا العليا . وتأكد هذا النوع من العلاقة بالعثور على آثار تحمل اسم الملك سنوسرت الأول هناك . كما أنشأ سنوسرت الأول طريقا تجاريا يؤدى إلى كرما تحميه الحصون ، ومن عهده كان هناك مندوب تجارى مصرى فى هذه المنطقة لتسهيل عملية التبادل التجارى . واستمرت علاقات الود هذه بين امنمحات الثانى وبين حكام آسيا وذلك بسبب العثور فى منطقة الطود على آثار فى ودائع الأساس تحمل طابع فنى غريب عن الفن المصرى .

وفى عصر الدولة الحديثة زادت العلاقات التجارية مع الشاطئ السورى ومناطق الجنوب ، فأرسلت حتشبسوت فى العام التاسع من حكمها حملتها إلى بلاد بونت لإحضار منتجات هذه البلاد ، وسجلت كل ذلك فى نقوش معبدها بالدير البحرى . وفى نص لوحة أمنحتب الثالث التى عثر عليها فى معبده الجنائزى ، يخبرنا الملك أنه قام بإعداد قارب مقدس لآمون من أخشاب الأرز التى قطعت له من هناك ونقلت إلى الشاطئ على زحافات وزاد على علاقات الود علاقات المصاهرة ، مثل المعاهدة التى عقدها تحوتمس الرابع مع ميتانى وتزوجه من أميرة ميتانية هى موت أم ويا. وتزوج أمنحتب الثالث من الأميرة الميتانية جيلوهيبا ابنة شوتارنا ، وتزوج امنحتب الرابع من أميرة ميتانية أيضا هى تادوهيبا . وهناك رسائل تل العمارنة التى كتبت على لوحات من الطين المجفف بالخط المسمارى ، وكان يرسلها الأمراء المحليون فى آسيا والموالون لملك مصر أمنحتب الرابع ، وكان هؤلاء الأمراء يستنجدون فى خطاباتهم بالملك ضد ما يقوم به الحيثيون ، شاكين طالبين حماية الملك ، وهناك معاهدة السلام التى وقعها رمسيس الثانى مع خاتوسيل ، وتوج هذا السلام بالزواج من الأميرة الحيثية والتى أطلق عليها اسم ماعت نفروع والتى جاءت إلى مصر بصحبة أبيها ، واستمر هذا السلام لمدة ستة وأربعين عاما حتى أيام ولده مرنبتاح الذى أرسل حبوبا إلى الحيثيين الذين واجهتهم مجاعة نتيجة هجمات الشعوب الهندو أوربية عليهم . وعندما قام سيتى الأول بحملته على آسيا . وصل إلى فينيقيا ، ونشاهد على الجدران الخارجية لصالة الأعمدة الكبرى فى معبد الكرنك مناظر الأمراء وهم يقومون بقطع أخشاب أشجار الأرز له .

وهناك بردية ون – أمون من بداية الأسرة الحادية والعشرين الذى ذهب إلى ميناء بيبلوس لإحضار خشب الأرز لترميم القارب المقدس لآمون ، وما لاقى من متاعب نتيجة تدهور نفوذ مصر الخارجى فى هذه الفترة .

واهتم بسماتيك الأول أساسا بعلاقاته مع اليونان ، ونشطت التجارة مع المدن اليونانية . وأصبح المرتزقة اليونانيون يمثلون القاعدة الرئيسية فى جيشه وتركزت القوات اليونانية فى دفنه ونقراطيس . وكان المرتزقة اليونانيون يعودون إلى بلادهم حاملين معهم منتجات مصر وقصصا عن رخاء مصر ويروجون لفنها وصناعتها وديانتها ومعارف كهنتها . وبدأ الرحالة اليونانيون يتوافدون على مصر . وبدأ الطلبة اليونانيون فى الاختلاط بدور العلم المصرية الملحقة بالمعابد الكبرى فى إيونو ومنف وأبيدوس . وأرسل الملك نكاو بعثة للاكتشافات البحرية حول الشواطئ الأفريقية وربما أيضا بغرض التجارة ، وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة أعوام .

وأخيرا هناك نصوص هامة تشير إلى تغلغل النفوذ الأجنبى أو دخول الأجانب مصر ، منها ما يطلق عليه اسم " نصوص اللعنة " ، وهى نصوص سحرية عبارة عن قوائم بأسماء أعداء مصر . وهى اسماء أمراء وحكام القبائل والمدن فى فلسطين وفى فينيقيا ، وعدد من حكام المناطق الجنوبية وبعض حكام الصحراء الغربية لمصر ، كانت تكتب أسماءهم على أوانى من الفخار أو على تماثيل صغيرة من الطين تمثل أسرى مقيدى الأيدى . وكان الكهنة يجمعون هذه الأوانى والتماثيل ويتلون عليها قراءات سحرية معينة ثم يحطمونها فى حفل خاص ، أملا فى أن يؤدى تحطيمها إلى تحطيم عزائم المذكورين عليها[1] ، أو يقومون بدفن التماثيل فى توابيت صغيرة رمزية ، وفى اعتقادهم أيضا أن الأعداء يصبحون بذلك محاصرين ويكتب عليهم الفناء والموت .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق . طبعة ١٩٨٢ . ص ١٩٣ .

وكذلك النص الذى نقله الكاتب " يوسيفوس " عن مانيتون فى وصفه لغـــزو الهكسوس وبردية سالبيه رقم ١ التى تتحدث فى بدايتها عن حكم الهكسوس للبـــلاد . والنقش الموجود فى معبد منحوت جنوبى بنى حسن (اصطبل عنتر) ويرجع تاريخه إلى عهد حتشبسوت وتتحدث فيه الملكة عن الهكسوس وتخريبهم للبلاد . وهناك نـوع آخر من النصوص مثل النص الكبير الذى يقص علينا دخول جيــش بعنخــى البــلاد ونزول الجيش الكوشى النيل فوق أسطول ضخم ، ووصوله إلى طيبة وبعد ذلك اتجـه إلى مصر الوسطى لمقابلة قوات تف نخت، واضطر تف نخت للانسحاب إلى الدلتــا، وحضور بعنخى بنفسه وتتبع تف نخت الذى لجأ إلى مستنقعات الدلتا ، ولكنه اضطـر للخضوع له فى النهاية . كما أن هناك بعض النصوص التى تحدثنا[١] عن الغـــزوات الأشورية الثلاث لمصر فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين . والنص الوحيد الـــذى نملكه عن دخول الفرس مصر ، هو النص الخاص بقائد الأسطول وجاحر رســـنت الذى جاء على تمثال له محفوظ فى متحف الفاتيكان .

وجميع هذه المادة الأثرية وما تحمله من نقوش أو كتابات أو لا تحمـــل أى كتابات ، تعتبر أيضا المصدر الرئيسى لدراسة مظاهر حضارة مصر القديمة .

فدراسة كل أثر من هذه الآثار دراسة علمية دقيقة مع ترجمة ما قد يوجـــد عليه من نقوش أو كتابات ترجمة سليمة دقيقة ، ويجعلنا نتعرف على حقيقة مظـــاهر حضارة مصر القديمة كنظم الحكم والإدارة والحياة الاجتماعية والحيـــاة الاقتصاديـــة والحياة الدينية والحياة الثقافية (الكتابة واللغـــة وفنـــون الأدب) ، والحيـــاة العلميـــة والحياة الفنية وأساليب التربية ونظم التعليم والعلاقات الخارجية ومظاهرها .

والفضل فى ذلك يرجع إلى المعمارى المصرى القديم الذى أقام كـــل هـــذه البقايا والعناصر الأثرية بإتقان شديد ، وإلى الفنان المصـــرى الـــذى حـــرص علـــى تصوير ورسم كل شئ بعناية مع إظهار التفاصيل الدقيقة ، وإلى الكـــاتب المصـــرى الذى نجح فى تسجيل الأحداث التاريخية المتعددة والمظاهر الحضاريـــة المتنوعـــة . وهذه البقايا والعناصر الأثرية التى يتخذها الأثريون ومادة علمية لاســـتنتاجاتهم قـــد يجدونها فى قليل من الأحوال فوق الأرض مباشرة ، ولكنهـــم فى أغلـــب الأحـــوال

---

(١) راجع : Dietrich,LAI (1975), p. 496 – 499

يحصلون عليها نتيجة للتنقيب[١] فى حفائر يقومون بها .

فكل نوع من هذه البقايا الأثرية يسهم إسهامه الخاص فى دراسة جانب أو أكثر من جانب الصورة التى نحاول أن نرسمها للمجتمع المصرى القديم الذى نكتب عنه ؛ فإذا نظرنا إلى العناصر المعمارية على سبيل المثال نستطيع أن نستنتج منها معلومات كثيرة عن الحياة اليومية فمن بقايا القصور يمكن معرفة مساحة القصر واعداد الغرف والقاعات التى بداخله وعدد الممرات التى تصل بينها ويمكن معرفة بقية أجزاء القصر . وهل كان يستخدم فقط كمقر للسكن الملكى أم كان يستخدم أيضا كمركز للحكومة والإدارة . وكذلك دراسة بقايا المنازل يمكن معرفة عدد ما كانت تحتويه من غرف وملحقات ، وبقايا الحصون والأسوار تبين لنا نظم الدفاع عن المدن وحمايتها .

وما نستطيع أن نستنتجه من مخلفات القصور والمنازل والحصون والاسوار ؛ نستطيع أن نستنتج مثله ، بتفاصيل مختلفة من الآثار المعمارية الأخرى ، كالمعابد التى تعرفنا بنقوشها الكثير عن الحياة الدينية ، كذلك نقوش المقابر تعكس لنا الكثير عن العقائد الدينية والدنيوية وعقائد الآخرة .[٢]

---

(١) عن تحليل المادة الأثرية وطريقة تفسيرها ، راجع د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ؛ مقدمة فى التاريخ الحضارى ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(٢) يجب الإشارة هنا إلى أهمية المعابد البطلمية وخاصة ادفو ودندرة وكوم أمبو وفيلة واسنا لأن جدرانها مغطاة بنقوش تتضمن مختلف العقائد الدينية المصرية مفصلة تفصيلا شاملا دقيقا على نحو لم يسبق له مثيل فى النقوش التى وصلت إلينا من العصر السابق لعصر البطالمة . ولا شك فى أن إنجاز مثل هذه النقوش اقتضى قدرا كبيرا من البحث والدرس من قبل الكهنة المصريين الذين وجهوا عنايتهم إلى صيانة هذا التراث الفكرى لذلك سجلوه بإسهاب وبإتقان شديدين لأنهم كانوا حماة الثقافة المصرية ويعتبرون ـــ

ودون أن نتعرض بشكل تفصيلة لكل أنواع الآثار نستطيع أن نقول بأن مـا نستنتجه من قطع العملة لا يقل عما مستنتجه من المخلفات المعمارية . فقطعة العملـة الصغيرة تستطيع أن تخبرنا بالمعلومات القيمة فيما يخص الوزن والقيمـة الشـرائية ومستوى تكاليف المعيشة والعلاقات التجارية . وهذا هام بالنسـبة لدراسـة الحيـاة الاقتصادية . والشيء ذاته ينطبق على الأوانى الفخارية البسيطة فهذه الأوانى كـانت تشكل فى العصور القديمة سلعة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها فى الحيـاة اليوميـة وفيها توضع الأطعمة وتعبأ الزيوت والعطور والنبيذ والجعة للتخزين أو للاسـتخدام اليومى أو للتصدير . ومن دراسة هذه الأوانـى نعـرف أنـواع السـوائل والمـواد وصناعتها وطريقة خزنها .

ودراسة النقوش والكتابات المختلفة على هذة المادة الأثرية تفيدنا كثيرا فـى معرفة مظاهر الحياة الاجتماعية التى كانت سائدة ، ومظاهر الحياة الثقافية والعلميـة وأساليب التربية ونظم التعليم ومظاهر العلاقات الخارجية فى مجال الحياة السياسـية . أما بالنسبة للحياة الفنية فكل هذه المادة الأثرية . خـير مصـدر لدراسـتها ، فبقايـا القصور والمنازل والحصون والأسوار والمعابد والمقابر يدخل فـى بـاب دراسـة العمارة بأنواعها دنيوية أو دينية أو جنائزية . وكذلك التماثيل الكبيرة أو الصغـيرة ، كاملة أو نصفية تدخل فى باب فن النحت وأيضا المناظر المحفورة فى داخل المعـابد والمقابر والقصور وعلى اللوحات تدخل فى باب فن النقش ، وبالمثل الرسوم المتعددة في داخل المعابد والقصور والمقابر أو على أوراق البردى تدخل فى باب فن الرسـم ، ولا ننسى الأوانى والقدور والمسارج والأدوات المنزلية من الفخار ومن أنواع متعددة من الأحجار أو المعادن وتدخل فى باب الفنـون الصغـيرة وأيضـا أدوات الزينـة بأنواعها ، هذا بالإضافة إلى المواد التى يمكن التدوين عليها كالبردى وكسر الأحجـار

=== تراث الماضى أمانة فى أعناقهم وهم أقدر الناس على تسـجيله ، راجـع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصـر (الجـزء الثـانى – عصر البطالمة) ، ص ٢٠٨ ، ٢١٣ – ٢١٤ .

والفخار واللوحات من الأحجار أو من الخشب والرق وبقايا ما يمكن أن نسميه بالمتاع الجنائزى من مومياوات وتوابيت وتمائم وتعاويذ وأدوات متنوعة كل ذلك يفيدنا ويعطينا صورة صادقة عن مظاهر الحضارة المصرية القديمة وبخاصة إذا تجمع لدينا عدد وافر منها لكل طبقات المجتمع .

ثانيا : الآثار والنقوش القديمة وغير المصرية المتعلقة بمصر وتاريخها القديم

ويتمثل ذلك فى ثلاثة أصول :

١- ما ورد فى بعض الآثار والنقوش القديمة والمصادر الأخرى فى بلاد الشرق القديم من إشارات لها صلة بتاريخ مصر القديم ، وعاصرت بعض فتراته ، وارتبطت تواريخها بتاريخ مصر القديم بسبب اتصال حكامها بمصر والحروب والعلاقات التجارية الثقافية والسياسية التى كانت قائمة بين ملوك مصر وحكام هذه البلاد . فتحدثنا المصادر الحيثية عن طبيعة العلاقات بين مصر وحيثا فى عصر الدولة الحديثة والتدخل الحيثى فى سوريا لمناوأة النفوذ المصرى فيها كما تحدثنا عن مشروع معاهدة السلام الذى تم بين خاتوسيل ورمسيس الثانى ، كان هذا المشروع مسجلا بالخط المسمارى على لوحة من الفضة باسم خاتوسيل ، وعندما قبله رمسيس الثانى من حيث المبدأ كتب كتبه نصا آخر بالخط الهيروغليفى على لوح من الفضة أيضا (١) .

كما تحدثنا المصادر البابلية والآشورية فى بلاد النهرين عن الغزوات الآشورية لمصر فى أعوام ٦٧١ ق.م . و٦٦٤ ق.م . كما تحدثنا عن التنافس بين ملوك بابل وآشور وملوك مصر على السيطرة على الطرق والمراكز التجارية فى بلاد الشام . فقد قام الملك نكاو الثانى بحملة إلى سوريا مكونة من قوات مصرية ويونانية وذلك لاستعادة نفوذ مصر من جديد على هذه المناطق ، وتصدى له

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٣٧ .

نابوخد نصر بالقرب من حماة فى قرقميش واستطاع الانتصار عليه فـى عـام ٦٠٥ ق.م[١]. واستغل الملك المصرى الاضطرابات الداخلية فى بابل وأخذ يتدخـل مـرة أخرى فى شئون فلسطين ضد نابوخذ نصر ، لذلك قرر هذا الأخير أن ينتهى من كـل هذا ولكن المعركة بين الملكين لم تنته بنصر حاسم لصالح أى من الطرفيـن بعـد أن فقد نابوخذ نصر الكثير من رجاله فى محـاول الـهجوم علـى مصـر فـى عـام ٦٠١ ق.م [٢] . واستمرت محاولات مصر بعد ذلك للتدخـل فـى شـئون فلسـطين وتحريض الدويلات التابعة لبابل على التمرد فى عهد بسماتيك الثانى وابريس .[٣]

وقد جاء فى الأخبار التى كتبت بالخط المسـمارى والمحفوظـة بـالمتحف البريطانى وصف لعمل عسكرى قام به الملك نابوخذنصر ضد امازيس فـى السـنة السابعة والثلاثين .[٤]

كما تحدثنا مصادر بلاد فارس عن الغزو الفرس لمصر عـام ٥٢٥ ق.م . وتكوينهم للأسرة السابعة والعشرين (من عام ٥٢٥ إلى عام ٤٠٤ ق.م) . وقد عـثر فى عام ١٩٧٢ على تمثال للملك دارا فى سوس مغطى بنقوش بالخط الـهيروغليفى تحدثنا عن حكم الملك دارا لمصر وتذكر لنا شـعوب الإمـبراطور الفارسـية التـى أخضعـها وضمها لملكه [٥] . ويوجد هذا التمثال الآن فى متحف طهران ، وحـرص الفنان على أن يكتب أسم كل بلد داخل خرطوس ملكى ، ومثل كل شعب من شـعوب

---

(١) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٦٠١ – ٦٠٢ .

(٢) حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثانى ، المؤسسة العامـة للآثـار والـتراث ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٦٢ – ٦٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٤) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ د. عبد الحميد زايـد : مصـر الخالدة ، ص ٩٢٩ حاشية (٣١)

(٥) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦٢٣ .

هذه البلاد بشخص راكع يرفع يديه إلى أعلى فوق كل خرطوش ويلاحظ أن كل شخص اتخذ ملامح الشعب الذى يمثله .[١]

وفى نهاية الأسرة الثلاثين دخل الفرس مصر مرة ثانية وكونوا أسرة فارسية ولم تستمر أكثر من احد عشر عاما (من عام ٣٤٣ إلى عام ٣٣٢ ق.م) .

٢- ما ورد من كتابات تاريخية قديمة عند الرحالة والمؤرخين الجغرافيين وأهل الفكر والعلم والفلسفة القدماء من بلاد اليونان وروما وغيرهم ممن زاروا مصر أو استقروا فيها :

وهم الذين زاروا مصر فيما بين القرنين السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد وكتبو وصفا لما شاهدوه وسمعوه[٢] . ونحن لا نقلل من قيمة تلك الكتابات ولكنها تكمل بعض الجوانب ، وهى تعد من المصادر الأدبية الهامة لأنها تمدنا بمعلومات قيمة بالنسبة للتاريخ ولجوانب مختلفة من الحضارة المصرية . فمن اليونان هيكاتيه الملتى ، وهيرودوت ، وهيكاتيه الأبديرى ، وديودور الصقلى ، وسترابون . بلوتارخ ومن الرومان بلينى .

وبالإضافة إلى هؤلاء الرحالة والمؤرخين نجد أن بعض الكتاب والفلاسفة اليونان قد تعرضوا لبعض أحداث تاريخ مصر القديم ولبعض مظاهر حضارتها ومظاهر البيئة ومواردها والآثار والمعالم التى كانت قائمة فى عهودهم من قصور ومعابد ومقابر وأهرام وتماثيل فى بعض المدن التى قاموا بزيارتها واعجبوا بمعالمها وتأثروا أيضا بالديانة المصرية القديمة والثقافة المصرية فى كتاباتهم ومقتطفاتهم .

---

(١) Vernus - Yoyotte , Les Pharaons , Paris (1988) , p. 112.

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٠ .

هومبروس :

قام فى القرن التاسع ق.م بوصف مدينة طيبة بأنها خزانة ثراء لا يحصى ، وأنها ذات مائة باب ، ينطلق من كل باب مائتا فارس شاهرين السلاح بخيولهم ومركباتهم . ويظن أن الأبواب المائة التى وصف بها هيرميروس طيبة لم تكن سوى أبواب المعابد بصروحها العديدة التى كانت قائمة على أرضها .(١)

هيكاتيه - الملتى :

مؤرخ وجغرافى يونانى من بلدة ملتية ، زار مصر فى القرن السادس قبل الميلاد (عام ٥٢٠ ق.م) . كما زار غيرها من بلاد العالم وألف كتابا عن مشاهداته وأسماه " رحلة حول العالم " من جزئين الأول خاص بأوربا والثانى بآسيا وفيه ذكر رحلته إلى مصر وليبيا (٢) . ويحتوى كتابه على الكثير من المعلومات التاريخية التى أمده بها الكهنة المصريون ، وقد أهتم أيضا بجغرافية البلاد وعناصر البيئة أكثر من اهتمامه بسكان البلاد وتاريخيهم(٣) .

هيرودوت الهاليكارناسى :

مؤرخ يونانى وأطلق عليه الخطيب الرومانى شيشرون لقب " أبو التاريخ ".

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ص ٦٣١ ، وأيضا : . Petitt Larousse (1967) no 1418

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١١٢ .

ولد عام ٤٨٩ ق.م فى هاليكارناس إحدى المدن اليونانية فى جنوب غـرب آسيا الصغرى (كارى) ، وتوفى عام ٤٢٠ ق.م . وقد قام بعمل بحث عن العلاقـة بين اليونانيين والفرس فى كتابة الأسماء كما كتب عن تاريخ إيران[1] . وزار العديـد من بلاد الشرق القديم ، وقد جاء إلى مصر فى حوالى عام ٤٤٨ ق.م . فـى نهايـة الغزو الفارسى[2] . وفى هذه الفترة التى أعقبت نهاية الأسرة السادسـة والعشـرين ، كان الكثير من العمائر قد تعرض للتخريب نتيجة الغزو الفارسى وبعضها الآخر كـان لا يزال قائما[3] . وقد قام هيرودوت بتدوين كل ما سمعه وسجل كل ما رآه . وربمـا استعان أيضا باليونانيين الذى كان يقيمون فى مصر لمعرفة بعض مظاهر الحضـارة المصرية . وربما وصل إلى مصر على ظهر إحدى السفن التجارية اليونانيـة التـى حملته إلى نقراطيس فى غرب الدلتا . وقد قام بتأليف كتابه الذى أسـماه " تمحيصـا لأخبار – Euterpe " . وفى حوالى عام ٤٤٤ ق.م ، قسم هذا الكتاب إلـى تسـعة أجزاء .

---

(١) حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ١٩٧٩ (ترجمة د. محمد نـور الديـن – د. السباعى محمد) ص ٥٦ حاشية (١) ، وأيضا: Petitt Larousse (1967) no 1423 .

(٢) J. Schwartz , Herodote et L'Egypte , Revue Archeologique 37 (1951) , p . 143 – 150 ; Lloyd , Herodotus , Book I I , Leyde , 1975 – 1976 ; luddeckens, 11, p. 1147 – 1152 .

وعن بعض مشاهدات هيرودوت فى مصر ، راجع

Edwards , RdE 27 (175) , p . 117 - 124 ; Herodote – Thucydide , Oeuvres Completes , texte Presenté , traduit par A. Barguet , Paris 1964 , p . 149 – 217 .

(٣) Herodote I I . 28 – 29 , 62 = Trad . Ph . le Grand , Paris , (1936) , p . 83 – 190 ; Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 604 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 128 – 124 .

وخصص الجزء الثانى من كتابه لمصر والذى يعد من أفضل المصادر عن تاريخ مصر القديم وحضارتها[١] . وهو يعتبر بالنسبة للدارس مصدرا هاما للمعلومات على الرغم مما جاء فى بعض فقراته التى تستدعى الحذر . فتحدث عن جغرافية مصر وأهم مدنها والأحداث التى تعرضت لها . وأهم أعمال ملوكها وبعض العمائر والمعابد والأعياد الدينية التى كانت تقام لبعض المعبودات ويقول فى مقدمة كتابه :

" وسوف أتحدث بإسهاب عما يخص مصر لأنها تحتوى على الكثير من العجائب أكثر من أى بلد آخر ، وليس هناك بلد على الإطلاق نرى فيها المنشآت الرائعة والتى تفوق كل تعبير "[٢]

ويبدو أنه وصل حتى أسوان ووصف أكثر من ظاهرة تدل على معرفة شخصية بالأماكن التى زارها . فقد شرح بتفصيل التكوين الطبيعى لأرض مصر ، التى تكونت نتيجة لطمى النيل ، ووصف أيضا بعض ظواهرها الجغرافية : النيل ، مصادره ، فيضانه ، المناظر الطبيعية المختلفة ، خصائص الدلتا ، والحياة فى منطقة البحيرات ، وخصص فصولا طويلة عن حيوانات البيئة ، مشيرا إلى أشكال كل منها فتحدث مثلا عن : التمساح ، سبع البحر ، أبى منجل ، وطائر الفنكس . وتحدث أيضا عن المعتقدات الدينية التى ارتبطت بها وكانت مصدر حيرة له ، وتحدث عن الثعابين المجنحة كأنها مخلوقات لها حقيقة واقعية[٣] . ولكن حدث بعد هذه التفصيلات

---

(١) Sourdille, la Dureé et l'etendue du voyage d'Herodote en Egypte, p. 2; Mallet, le Culte de Neit, p., 30; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 3؛ وأيضا : د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ٧ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الثانى ، ص ٦٣٢ .

(٣) Trad. Ph. le Grand, Paris (1936), p.90 ؛د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ،ص ٣.

الدقيقة ، أن ذهب حب استطلاع هيرودوت إلى أبعد من ذلك ، فـهو يصـف بدقـة عادات المصريين ، ويذكر أنهم :

" وقد اعتنقوا عادات تختلف عن عادات الشعوب الأخرى ، فالنساء يذهبـن إلى السوق على حين يمكث الرجال فى المنازل للغزل ، وكان الكهنة الذين تعودوا أن يضعوا فى الأماكن الأخرى الشعور الطويلة على رؤوسهم كانوا فى مصـر حـالقى الرؤوس ، وكان الأشخاص العاديون يكتبون من الشمال إلى اليميـن وكـان الكهنـة يكتبون من اليمين إلى الشمال ، ويعتقدوا أنهم على صواب"[١].

وإذا حللنا العرض الذى ذكره هيرودوت عن تاريخ مصر ، كما استطاع أن يفهمه من أفواه الكهنة ، نجد أنه يتحدث عن الملوك الذين توالوا على عرش مصـر منذ عهد الملك منى ، وكان يذكر مع كل عهد بعض القصص التى حدثت فى عـهد أحد الملوك ، وأحيانا كان يحب سماع القصص الشعبى الذى يقصه عليه مرافقوه فـى جولاته . ومكث هيرودوت فى مصر حوالى أربعة أشهر . وقد أغنى تاريخه بوصفه للمعالم التى زارها وشاهدها فقد تحدث بإعجاب عن :

الأهرام ، وذكر أن بناء الأجزاء السفلى والممرات الصـاعدة فـى الـهرم الأكبر قد استغرق عشر سنوات وأن بناء الهرم نفسه استغرق عشـرين عامـا . وأن الهرم مبنى من حجر مصقول ملصق بعضه ببعض بدقة فائقة . وتحدث أيضا عـن الطريق الموصل بين المعبدين الجنائزى والوادى للملك خوفو وأنه كان مسـقوفا وأن جدرانه كانت مغطاة بالنقوش .[٢]

---

(١) Trad . Ph . le Grand , Paris (1936) ,p.95؛ وأيضـا : د. أبـو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشـرق الأدنـى القديـم ، ١٩٧٩ ، ص ٥ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للتـأليف والنشـر ، القـاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٣١١ ؛ د. أحمـد فخـرى : مصـر الفرعونية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ١١٢ ، ١٢٠ ، حاشية (١) .

وقد ذكر هيرودوت أن الهرم الأكبر بنى أولا على سلالم ، يسميها البعض دراجات والبعض الآخر هياكل . وأن الأحجار الأخرى رفعت بواسطة آلات من ألواح خشب قصيرة ، وأن هذه الآلات كانت بعدد الدرجات أو أنها كانت آلة واحدة يسهل نقلها من درجة إلى أخرى ، وأن الجزء الأعلى من الهرم أكمل أولا ثم أكملت بعد ذلك الأجزاء التالية حتى الأجزاء السفلى القريبة من الأرض . وذكر أيضا أن مائة ألف عامل عملوا باستمرار فى بنائه ، وانهم كانوا يستبدلون بغيرهم كل ثلاثة شهور ، وأن الطريق الصاعد بنى فى عشر سنين ، ووصفه بأنه عمل لا يقل كثيرا عن بناء الهرم .(١)

وأشار هيرودوت إلى نقل الأحجار من محاجر طره فقال أن من المصريين من كان يجر الحجر المستخرج من المحاجر فى الصحراء الشرقية إلى النيل ، وكانت طوائف أخرى تتلقى هذه الأحجار وتنقلها فى مراكب عبر النهر إلى الهضبة الليبية .(٢)

ووصف هيرودوت معبد المعبود بتاح فى منف وذكر أنه معبد ضخم وتحدث عن التماثيل وبهو الأعمدة فيه .(٣)

ووصف كذلك معبد أمنمحات الثالث الجنائزى (اللابيرانت) فى هوارة وذكر أنه يجل عن الوصف ، وأنه يفضل الهرم ، وأنه اثنى عشر بهوا مسقوفا ، أبوابها متقابلة ، وأن به ثلاثة آلاف غرفة نصفها تحت الأرض ، ونصفها الآخر فوقها ، وأن الغرف العليا تفوق ما أخرجه الإنسان من آثار ، وسقوفها كلها من الحجر مثل الأسوار المحلاة بالصور المحفورة ، وتحيط بكل بهو أعمدة من حجر أبيض متسقة أشد الاتساق . وتقوم على جوانبها أعمد وتماثيل ، وأقام خلف

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٦ ، ٣١٩ – ٣٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٤ ، حاشية (١) .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

المبنى هرما ضخما ، وأحاط به هو والهرم وسور كبير . واعترف هيرودوت بأن آثار الإغريق لو تجمعت كلها فى صعيد واحد لما طاولته فى فخامته [١] . وأضاف أن الكهنة سمحوا له بزيارة الأجزاء العلوية من المعبد دون أجزائه السفلى التى أخبروه أنها تضمنت رفات اثنى عشر ملكا ورفات التماسيح المقدسة .[٢]

كما حدثنا عن بحيرة موريس وتمثالى امنمحات عند مدخل هذه البحيرة .

وفى الدلتا وصف لنا مدينة بوبسطة بأنها كانت من أبهج ما رأى من مدن مصر كلها ، وأن أرضها مرتفعة وأن معبد المعبودة باستت فى وسطها حيث يرى من جميع الجهات ، وأنه لم يرتفع عن المستوى الذى كان عليه يوم أنشئ أولا بينما ارتفعت أرض المدينة ، وكان يؤدى أليه طريق مرصوف بالحجارة لأكثر من نصف كيلو متر وعرضه أربعمائة قدم ، وتكتنفه أشجار عالية .[٣]

وتحدث هيرودوت عن مقابر ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، التى لم يكشف عنها بعد ، وأنها كانت تقع فى ساحة المعبد فى سايس (صا الحجر) وأنها فى رواق كبير من الحجر مزدان باساطين تحاكى التخيل وبضروب أخرى من الزينة باهظة التكاليف ، وبداخل هذا الرواق بابان بينهما التابوت .[٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٨١ حاشية (١) .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛ وأيضا R.el Sayed . les Activite's des Rois de la XXV1 eme dynastie a'Sais فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،المجلد ٢١ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧- ٢٦.

ونلمس فى كتاباته أن المعتقدات الدينية قد أثرت فى كثيرا وجذبت انتباهـه ، وقد أراد أن يرى فى بعض المعبودات المصرية صورة طبق الأصل من المعبـودات اليونانية ، وقد أشار إلى الأعياد التى كان يحتفل بها فى المدن الكبرى ، مثـل عيد القناديل الموقدة فى سايس[١] ، كما أشار إلى وحـى بعـض المعبـودات والعـادات الجنائزية . وكان يتحدث عن المعبود اوزير باحترام بالغ ، وكان يمتنع غالبا عن ذكر بعض التفاصيل التى من شأنها أن تكشف أسرارا قد تعتبر انتهاكا للحرمات .

ويمكن القول بأن كتاب هيرودوت هو أكثر من بحث تاريخيى بل هو أيضـا تحقيق مشوق قام به رحاله لديه حب استطلاع جارف وعلى درجة كبيرة من الإدراك والفهم ودائما على استعداد للإعجاب بكل ما زاره وشاهده .[٢]

افلاطون :

فيلسوف يونانى عاش فى الفترة ٤٢٨ . ٣٤٧ أو ٣٨٤ ق.م[٣] . ويقال أنـه زار مصر ما بين عامى ٣٩٨ – ٣٩٠ ق.م (أى فى نهاية الأسرة التاسعة والعشرين فى عهد الملك آخوريس) وقضى ثلاثة عشر عاما [٤] فى مصر . وقد تأثر فى آخـر مؤلفاته " Le Timee" بالديانة المصرية وشبه معبودة سايس " نيـت " بـالمعبودة

---

(١) R. el Sayed , Documents relatifs a'Sais (BdE 69) , le Caire (1975) . p . 216 .

(٢) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 128 – 129 .

(٣) Petit Larousse (1967) , no 1615 .

(٤) Platon , 21 – 25 , trad . Rivaud , Paris (1925) ; Chambry (1969) , Paris . أيضا : ألفه نخبة مـن العلمـاء : تـاريخ الحضـارة المصرية ، ص ٦٠٠ .

اليونانية اثينا (خاصة فى الفقرة ٢٣)[١] . ويقال أنه عمل كتاجر فى هيوبوليس التى كان يسكنها العلماء والكهنة وأهل الفكر وأنه نال بإقامته فى مصر معارف فى الرياضيات والفلك والتقويم .

هيكاتيه -الأبديرى :

مؤرخ يونانى من أبديرا فى بلاد اليونان ، زار مصر فى أوائل حكم البطالمة فى حوالى عام ٣٠٠ ق.م ، وكان معاصرا لبطلميوس الأول ، وكان صديقا له ويعرف البلاد جيدا . وقد كتب كتبا فقد اليوم بعنوان " دراسات مصرية " (Aegyptiaca) وتحدث فيه عن العقائد والأساطير المصرية .[٢]

اراتوسثينيس :

عالم رياضة وفلك وفلسفة يونانى[٣] . ولد فى قورينة (مستعمرة يونانية غرب مصر) فى حوالى عام ٢٨٤ ق.م . وعاش فى الإسكندرية فترة من حياته ونوفى فى حوالى عام ١٩٢ ق.م . وشغل منصب أمين مكتبة الإسكندرية الكبرى فى عهد بطلميوس الثالث وبطلميوس الرابع . وكان له مؤلفات عديدة فى الجغرافيا والتاريخ السياسى والفلسفة وتاريخ الأدب والفلك . وأهم مؤلفاته كتابه فى تسعة أجزاء يسمى " عالم التاريخ " وكتابان فى الجغرافيا [٤] . وقد أعطانا فى كتابه التاريخى

---

(١) Philonenko , Joseph et Aseneth , Paris (1969) . p . 69 .
Mathieu , le Voyage de Platon en Egypte , dans ASAE71 (1987) , p . 153 – 167.

(٢) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 549 ؛ وأيضا : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٢ .

(٣) Petit larousse (1967) no 1338 .

(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٤٧٢ .

قائمة تحتوى على ثمانية وثلاثين اسما للملوك الطيبيين فى مكتوبه باللغة اليونانية وقد أضاف أبو للودور " Apollodore" إلى هذه القائمة ثلاثة وخمسين اسما[١] . وقد نقلها وأضاف إليها " جورج الراهب " (سينسلوس) . وهناك عدة آراء حول حقيقة وجود هذه الأسماء فى القوائم الملكية .[٢]

ديودور الصقلى :

مؤرخ يونانى ولد فى اجيريون فى صقلية . عاش فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد[٣] أى قبل زوال دلوة البطالمة بحوالى ربع قرن . صنف مجلدا فى التاريخ العالمى بعنوان (Bibliotheke) " المكتبة التاريخية " وتقع هذه المكتبة التاريخية فى ٤٠ كتابا لم تصلنا منها كاملة سوى الكتب ١ – ٥ – ١١ – ٢٠ وشذرات من بقية الكتب ٢١– ٤٠ وردت ضمن مؤلفات المؤرخ الكنسى يوسيبيوس وكتاب العصر البيزنطى . وقام بنسخ هذه المكتبة عام ٣٠ ق.م .

ويتناول ديودور فى الكتب الأولى تاريخ الفترة السابقة على الحروب الطروادية . مستعرضا أحوال الأقطار غير اليونانية : مصر وبلاد النهرين والهند وسكيثيا وبلاد العرب وأثيوبيا وشمال أفريقيا[٤] . وفى الكتاب الأول يستعرض تاريخ

---

(١) كان عالما ضليعا كتب فى علوم كثيرة وعاش فى الإسكندرية واشتهر فى عام ١٤٤ ق.م ، راجع : المرجع السابق ٤٦١ .

(٢) Drioton - Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 159

(٣) Petit Larousse (1967) , no 1316 .

يرى البعض الآخر انه عاش فى الفترة من ٦٠ إلى ٣٠ ق.م ، راجع : د. محمود السعدنى : قبر الاسكندر الأكبر ، احتمالات موقعه وشكله ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٢ ؛ وأيضا : Poethke, LA I, p. 1095-1096

(٤) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٥٥ .

مصر القديم (الأساطير والملوك والعادات) وقد زار مصر فى عام ٥٩ ق.م وهو عام قنصلية قيصر الأولى وقرار إعادة الزمار إلى عرشه فى الإسكندرية وروى المؤرخ بعض مشاهداته الطريفة منها ، أما عن مدة إقامته فى مصر فلا تزال غير معروفة . وفى الحقيقة ماكتبه عن مصر وإن كان معظمه منقولا من غيره فإنه يلى وصف هيرودوت فى الأهمية فقد أعتمد فى كتاباته على مؤلفات هيكاتيه الأبديرى.[١]

وتحدث ديودور عن الأهرام فقال :

" اتفقت الآراء على أن الأهرام لم تحظ فى مصر بذلك المركز الممتاز لضخامة بنائها وباهظ تكاليفها فحسب ، بل ولدقة بنائها أيضا ، ومهندسو المشروع أولى بالإعجاب فيما يقال من الملوك الذين دبروا المال لإنجازه ، لأن المهندسين استنفذوا فى إنجاز المشروع أرواحهم وهممهم بينما استغل الملوك الأموال التى ورثوها ومجهودات الآخرين "[٢]

وذكر أيضا أن بناء الهرم كان يتم بإقامة تلال من التراب[٣] . وزار منف وحدثنا عن معابد المعبودات الأجنبية بها ومنها معبد للمعبودة عشترت جنوبى معبد بتاح ، وذكر أن محيط هذه المعابد فى أيامه ١٥٠ إستادا ، أى أكثر من سبعة

---

(١) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٦٠ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ،ص ٩٩ ؛ وأيضا : Diodore de Sicile I, 28 = Trad . Hoefer , Paris (1865) p . 30 ; Oldfather , London (1946) p . 91 ; Goukowsky , Paris (1976) , (28)

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٤ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

وعشرين كيلو متر ونصف .[١]

وتحدث عن معبد امنمحات الثالث (اللابيرانث) فى هوارة ووصفه بأنــه لا يدعو للعجب بسبب اتساعه وإنما لدقة صناعته التى لا تحاكى ، وأن من يلجه لا يجـد طريقه إلى الخارج فى سهولة . وأنه مربع الشكل طول كل ضلع فيه ســـتاد واحـد (١٨٥,٣ مترا) ومزين بالزخارف وسائر الأعمال الفنية ، وأن به بهوا تحيــط بــه الأعمدة ، وأربعون منها فى كل جانب ، وسقفه منحوت من حجر واحـــد مزخــرف بصور ورسوم مختلفة .[٢]

سترابون – اليونانى:

كاتب يونانى ولد فى اماسيا فى كابا دوس حوالى عام ٥٨ ق.م وتوفى بيــن عامى ٢١ – ٢٥ ميلادية [٣] وزار هذا الجغرافى الشهير مصر ما بين عامــى ٢٥ – ٢٤ ق.م . أى بعد استيلاء الرومان عليها بخمسة أعوام ، عاش أكـــثر مــن خمس سنوات فى الإسكندرية[٤] . وقد ألف كتابا عن جغرافيا العالم القديم وحدثنا فى الجـــزء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ .

(٣) Petit Larousse (1967), no 1716 .
يرى البعض الآخر انه عاش فى الفترة من ٦٤ أو ٦٣ – ٢١ ق.م ، راجـــع : د. محمود السعدنى : المرجع السابق ، ص ٥ و ١٢ .

(٤) Strabon XV11 , 18 – 47 = Trad . Jones , London (1049) . p . 67 – 109 ; The Geography of Strabo , Trad . by Hamilton and Falconer Loeb Classical library , London (1889); Bianchi, LA V1, p. 67 -68 . قضى أغلبها فـــى الـــتردد على مكتبتها للاطلاع على ما كتبه السابقون عليه فى مجـــال تخصصــه ، راجع : د.محمود السعدنى : المرجع السابق، ص ٥٥ – ٥٦ حاشية (٤٦) .

الخاص بمصر (الكتاب السابع عشر) عن المدن المصرية وعواصمها وعادات سكانها [١] .

فتحدث عن مدينة ايونو (عين شمس) وذكر أنه شاهد أطلال دور الكهنة [٢] . وتحدث عن مدينة منف والأجناس المختلطة التى كانت تسكنها.[٣]

وتحدث كذلك عن معبد امنمحات الثالث فى هواره وذكر أنه يضارع هرم صاحبه الذى يجاوره ، وذكر أنه قصر كبير مؤلف من قصور كثيرة ، بعدد أقاليم مصر فى الزمن القديم . واتصلت القصور والأبهاء بعضها ببعض بممرات واقية يضل الغريب فيها ويصعب عليه أن يتلمس طريقه بينها دون دليل يرشده . وذكر أيضا أن هناك عدد من الأبهاء المحاطة بالأعمدة ، ولكها فى صف واحد ؛ وأمام المداخل أقبية طويلة متعددة يتصل أحدها بالآخر بطرق متعرجة ، وأن كهنة كل إقليم وكاهناته كانوا يوجهون إلى البهو المخصص لأقاليمهم لتقديم القرابين للمعبودات وإقامة العدل فى المسائل الهامة .[٤]

كما جذبت ضخامة تمثالى ممنون فى البر الغربى فى طيبة انتباه سترابون[٥] .

---

(١) Jones , op . cit ., p . xx (introd.) .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٨٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨١ حاشية (٢) .

(٥) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤١٦ حاشية (١) .

بلينى الكبير :

كاتب رومانى من اتباع مذهب الطبيعة ، ولد فى كوم فى ايطاليا عـــام ٢٣ ميلادية وتوفى عام ٧٩ ميلادية[١] وزار خلالها مصر وغيرها من البلدان ، وترك لنـا كثيرا من المؤلفات ، منها مؤلف عن التاريخ الطبيعى وقد أظهر إعجابه بهندسة بنـاء الأهرام .[٢]

على الرغم من انه وصفها بأنها " عرض أحمق للثراء الملكى"[٣] ووصـف إحدى مسلات معبد الكرنك وقال عنها بأنها " أشعة متحجرة للشمس" .[٤]

وذكر أن رمسيس أقام مسلة طولها ١٢٠ ذراعا (٦٣ مـترا) وأن مائـة وعشرين ألف رجل عملوا فيها ، وأنه عند أقامتـها خشـى عـدم كفـاءة الوسـائل المستخدمة وقلة احتياط العمال ، فشد ابنه إلى ذروتها كى يكفل حرص العمال علـى سلامة الابن وسلامة المسلة .[٥]

وساق بلينى الوصف نفسه الذى وصف به ديودور الصقلى وسترابون معبـد امنمحات الثالث فى هوارة .[٦]

---

(١) Petit Larousse (1067), no 1616 .

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ١٧ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨١ حاشية (١) .

بلوتارخ - الخايرونى :

مؤرخ يونانى ولد فى خيرونا بإقليم بويوتيا فى بلاد اليونان وعاش بين أعوام ٥٠ و ١٢٥ ميلادية [١] ودرس الفلسفة ولا سيما الفلسفة الأخلاقية والعلوم الطبيعية والبلاغة فى اثينا ، التى اكتسب حق المواطنة فيها ورحل إلى روما وزار بلاد كثيرة من بينها الإسكندرية وتنقسم مؤلفاته تبعا لذلك إلى قسمين كبيرين :

(١) **الأخلاقيات** : وهى على الرغم من عنوانها لا تقتصر على دراسات فى الأخلاق ، بل تشمل أيضا دراسات فى الديانة والطبيعة والسياسة والأدب وهى بحوث مكتوبة فى شكل محاور أو رسائل نقدية هجائية لاذعة . وتشمل كذلك أساليب الفضيلة والتربية وأسطورة إيزيس وأوزير .

(٢) **التراجم** : وهى أهم كتاباته من الناحية التاريخية ، وتشمل سير بعض القواد والساسة اليونان والرومان بعنوان [٢] : " الموازنة بين مشاهير اليونان والرومان " .

---

(١) Petit Larousse (1967), no 1616 – 1617; Griffiths, LA 1V, p. 1065 – 1067 . يرى البعض الآخر انه عاش فى الفترة من ٥٠ إلى ١٢٠ ميلادية ، راجع : د. محمود السعدنى : المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٢) د. عبد اللطيف على : المرجع السابق ص ٦٢ ؛ ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٢ ، ٢١٤ ؛ دائرة المعارف طبعة دار المعرفة بيروت ، مادة " بلوتر خوس " ص ٥٨٥ – ٥٨٦ ؛ حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم (ترجمة د. محمد نور الدين – د. السباعى محمد) ١٩٧٩ ، ص ٥٧ ؛ وأيضا :

Plutarque , Isis et Osiris , ch . g . 32 = Trad. Meunier , Paris (1924) , p . 434 ; Hopfner , Prague (1941) , p . 83 ; Griffiths , Cambridge , (1970) , p . 16 ; Hani , Isis et Osiris du Plutarque, Paris (1971) ;Id ., la Religion Egyptienne dans la Penseé de Plutarque , Lille , 1972 .

وغير هؤلاء هناك بعض الكتاب وأهل الفكر من اليونان والرومان الذين أقاموا فى مصر أو الإسكندرية وأصبحوا مواطنين فيها وكتبوا عن تاريخها بنقلهم مقتطفات من كتابات مانيتون أو زاروا معابدها أو اهتموا بعقائدها ولغتها وكتابتها ، ومن أمثال هؤلاء :

يوسيفوس - فلافيوس Josephus :

كاتب يهودى ولد فى القدس ، عاش بين أعوام ٣٧ - ٩٥ ميلادية فى منطقة الجليل فى فلسطين مع بداية ثورة اليهود الكبرى ضد الحكم الرومانى ، ثم آسرته قوات تيتوس ابن فسباسيانوس عام ٦٧ ميلادية ولكنه نجح فى الإفراج عن نفسه عندما زعم أن فسباسيانوس سيصبح إمبراطورا . وظل بجوار تيتوس حتى سقطت أورشليم عام ٧٠ ميلادية وذهب إلى روما وعاش بها وألف تاريخه عن الحرب اليهودية فى سبعة كتب فى الفترة ما بين عامى ٧٥ و ٧٩ ميلادية . كما ألف كتابا آخر عن آثار اليهود فى عشرين جزءا ، ظهرت فى عام ٩٤ أو ٩٣ ميلادية [١] وقد نقل هذا الكاتب مقتطعات من كتابات مانيتون ، وقد ألف كتابا فى تاريخ حروب اليهود . وهو يتضمن أنباء هامة عن العرب وخاصة الأنباط[٢] . وكتب كتابا آخر يحمل اسم " الرد على ابيون " مدافعا فيه عن بنى جنسه ضد ما كتبه ايون الكاتب السكندرى" الذى اتهم اليهود بكل الضغائن والأحقاد ، فحاول يوسيفوس أن يمحو ذلك

(١) د. محمد السعدنى : قبر الاسكندر الأكبر ، احتمالات موقعه وشكله ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٤٨ حاشية (٨) ؛ Ebach, LA 111, p. 270 – 272 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ١٩٨١ ، ص ٢٣٤ . وأيضا: Petit Larousse (1967) , no 1462

عن بنى جنسه فادعى أن الهكسوس هم اليهود .[١]

القس كلمنت السكندرى Clement d' Alexandrie :

كاتب وطبيب مسيحى ولد فى أثينا أو الإسكندرية وعاش بين أعوام ١٥٠ و ٢١١ أو ٢١٦ ميلادية . واهتم بالكتابة الهيروغليفية ومعرفة معنى حروفها ورموزها[٢] .

جوليوس الأفريقى :

الذى عاش فى حوالى عام ٢٣٠ ميلادية ، ونقل مقتطفات من كتابات مانيتون .[٣]

اوسب (أويوسيبيوس) :

أسقف القيصرية وكاتب مسيحى عاش فى حوالى ٢٦٥ – ٣٤٠ ميلادية ،

---

(١) Mayani , les Hyksos et le Monde de la Bible , p . 108 ; Drioton - Vandier , l'Egypte (éd . 1952) , p . 150 ; R . el Sayed . Quelques personnages célèbres فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٤ – ٤٧ ؛ Josephus , Complete Work : The Antiquities of the Jews and the Wars of Jews , trad Whiston , new edition , london (1981) , p . 50 .

(٢) Clement d'Alexandrie , Stromates V, p . 239 ; Mallet , La Deesse Neit , p . 228 ; Petit larousse (1967) no 1277

(٣) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 162 ؛ د. عبد الحميد زايد ، مصر الخالدة ، ص ١١٤ – ١١٥ .

ونقل بعض الفقرات من كتابات مانيتون .[١]

جامبليك Jamblique :

ولد هذا الفيلسوف اليونانى فى شالسيس فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى [٢] أى فى حوالى عام ٣٥٠ وتوفى عام ٣٣٠ ميلادية [٣] وكتب كتابا عن أسرار مصر . وقام بالتدريس فى مدرسة الإسكندرية .

ارنوبيوس Arnobius :

كاتب لاتينى عاش فى القرن الثالث الميلادى وتوفى عام ٣٢٧[٤] ميلادية . واهتم بالديانة المصرية .[٥]

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الثانى ، ص ٥٥٦ ، Petit Larousse (1967), no 1348 .

(٢) Jamblique , Les Mystères d' Egypte , Ch .VIII , 5 = trad . Des Places , Paris (1966) , p . 199 .

(٣) Petit larousse (1967), no 1454 ; Des Places , op . cit . , p .5

(٤) Petit larousse (1967), no 1163.

(٥) Arnobius (Adv . Nat .) = Trad . Hopfner , Fontes Hist . Rel . Agypt., p . 463 (texte Latin) ; Bonneau , la Crue du Nil , Paris (1964) , p . 236 , p . 257 – 258 .

هورابوللون Horapollon :

الذى عاش فى منتصف القرن الرابع الميلادى وقام بكتابة بعض الفصول شارحا بنوع من الدقة أصول الكتابة الهيروغليفية .[١]

جورج الراهب Georges le Moine :

الذى عرف أيضا باسم " سينسلوس – Syncellus " وعاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى .

وكان يعمل فى الإسكندرية ونقل عن الأفريقى واوسب فى كتابه ، وذكر أن مانيتون قد قسم كتابه إلى ثلاثة [٢] . وكان آخر من نقل بعض المقتطفات عن مانيتون فى كتابة " تاريخ العالم ".

٣- ما ورد فى روايات تاريخية فى بعض الكتب المقدسة : مثل ما جاء فى بعض كتابات العهد القديم ، فالمعلومات التى احتواها سفر الملوك الأول والثانى وأسفار أرميا ودنيال حزقيال وخاصة سفر الخروج [٣] ، تشير كلها إلى أحداث وقعت فى مصر أو تشير إلى طبيعة العلاقات التى كانت سائدة بين مصر وفلسطين فى عصور الأسرات الثانية والعشرين[٤] والخامسة والعشرين [٥] والسادسة والعشرين[٦].

---

(١) Horapollon , Hieroglyphica = Trad . Van de Walle et Vergote , CdE 18 (1943) , p . 50 – 55 ; Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p. 22 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١١٥ ؛ Posener , op . cit . , p . 162

(٣) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ – ٥٥٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٨١ – ٥٨٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٠١ – ٦٠٣ ، ٦٠٦ – ٦٠٨ .

فقد جاء فى كتاب العهد القديم بعض الإشارات عن الحملة التى قام بها الملك ششنق الأول فى عهد الأسرة الثانية والعشرين وغزا خلالها فلسطين ، وجاء ذكرها فى سفر الملوك الأول ، الفصل الرابع عشر . وهناك إشارات أيضا عن الحملة التى أرسلها شابا كا فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين بقيادة ابن أخيه طهرقا إلى فلسطين أيضا ، وجاء ذكرها فى سفر الملوك ، الجزء الثانى ، ١٩ : ٩ . وكذلك خروج بنى إسرائيل من مصر وجاء ذكره فى سفر الخروج ، ١٢ : ٣٧ .

ونستقرئ فى كتابات العهد القديم ، حقيقة هامة وهى أن ما جاء بها يسوده عدم الترتيب الزمنى بالنسبة للأحداث ، ثم التناقض الواضح فى أخبارها ، والتكرار المستمر . واعتمدت على الأخبار الأسطورية فى سرد الحوادث التاريخية . هذا بالإضافة إلى أنها تمثل وجهة نظر معينة يشوبها التعصب العنصرى العرقى ولا تعتمد على نص تاريخى مكتوب أو مؤكد .(١) .

وترجع هذه المعلومات إلى فترات متأخرة من تاريخ مصر القديم . فسفر الملوك الثانى دون فى القرن السادس ق.م . وكذلك سفر أرميا ودانيال وحزقيال وجريمى دونوا فى الفترة نفسها .(٢)

وما جاء أيضا فى بعض آيات القرآن الكريم الذى بدأ نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أول بعثته واستمر نزوله ثلاثا وعشرين عاما ، هى بدء بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فيها ثلاث عشرة بمكة ، وعشرة بالمدينة أستشهد خلالها عدد من حفظه القرآن فى حروب الردة فاقترح سيدنا عمر بن الخطاب على الخليفة أبى بكر الصديق (١١- ١٣هـ) أن يأمر بجمع القرآن فى مصحف واحد خوفا عليه من الضياع . ثم دعا زيد بن ثابت وأمره بجمع القرآن . ومن جوانب الإعجاز فى القرآن الكريم هو الدقة المتناهية والأحكام البالغ فى نقل وقائع حدثت

---

(١) حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثانى ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣ – ٢٥ .

منذ زمن بعيد جدا عن فترة الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء فى سورة سـيدنا يوسف التى وقعت معظم أحداثها على أرض مصر والآيات التى تذكر لنا قصة سيدنا موسى منذ نشأته وتبليغه الرسالة وحواره مع فرعـون حتـى الخـروج مـن أرض مصر .

ثالثا : ماورد فى مؤلفات الرحالة والإخباريين والكتاب العرب فى العصور الوسطى وما بعدها عن تاريخ مصر وأخبار ملوكها القدماء آثارها القديمة :

وهى مصادر ذات أصول متشابه . فكـان هنـاك العديـد مـن الرحالـة والإخباريين العرب الذين شجعهم ازدهار الحضارة الإسلامية ، وسيادة المسلمين فـى البر والبحر وطبيعة الدين الإسلامى ، والحج ، على الأسفار والرحالات .

وكان من أسباب الرحلة عند الإخباريين العرب السباب الآتية : الرحلة من أجل الحج ، ونقل أخبار الأقاليم – التابعة للدولة الإسلامية للخليفة وذلك عن طريـق البريد ، وايفاد السفراء من الأسباب الهامة للرحلة أيضا ، إذ كـان بعـض الحكـام يوفدون الرسل والسفراء إلى غيرهم من أمراء المسلمين ، وأيضا الرحلة طلبا للعلـم كانت من أهم دوافع المسلمين على الانتقال . وكان طلب العلم والمعرفة يشمل كذلـك السفر لجمع الحديث من أفواه أولى الثقة فى كافة أنحاء الدولة الإسلامية ، مثل ابـن بطوطة الذى اهتم بمقابلة جل علماء الدين فى طريق رحلته بدءا من المغـرب حتـى بلاد الصين ، ومن الرحالة من اهتم بدراسة علم البلدان فذكر الأطـوال والعـروض وكور الأرض وأقاليمها مثل اليعقوبى ، ومنهم من اهتم بدراسة المسالك والممالك وما بها من غرائب مثل ابن حوقل .

وقد نشأ من تلك الدراسات الكثير من فروع العلـم مثـل علـم الجغرافيـا الرياضية والجغرافيا الوصفية . وأخيرا كان السفر والارتحال بسـبب التجارة وطلب

الرزق دافعا قويا للرحلة .[١]

وقد بدأ المسلمون فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) يؤلفون فى تقويم البلدان ، ويصفون أجزاء إمبراطوريتهم وما يجاورها من أقاليم . وامتاز الجغرافيون فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) بأن معظمهم كانوا رحالة جمعوا كثيرا مما كتبوه بواسطة المشاهدة والاختبار والأسفار .[٢] وألفوا كتبا فى الرحلات والطبقات وأخبار الأمم والملوك والأدب والأنساب والجغرافيا .

وبدأ الرحالة والأخباريون العرب يتحدثون عن ملوك مصر القديمة وآثارها القديمة فى كتاباتهم ابتداء من القرن الرابع إلى الثامن الهجرى (أى من العاشر إلى الرابع عشر الميلادى) .

كما دخل مصر العديد من الزهاد والفقهاء والعلماء والشعراء .[٣] وقد تحدث بعضهم عن الآثار المصرية التى شاهدها وتاريخ مصر القديم عند حديثهم عن عجائب مصر وما بها من طلمسات وبرابى وقد اختلط ما جاء عندهم من وصف بالقصص والأساطير وأعمال السحر والطرائف .

وعلى الرغم من ذلك فقد أوجد ما كتبه الاخباريون العرب نوع من الرغبة الملحة وحب الاستطلاع والبحث لمعرفة حقيقة الآثار المصرية . ويعد ما وصفوه بمثابة المصدر الوحيد للتعرف على أثر بعينه فى عصر معين ، أو للتعرف على معالم أثر قد اندثر وضاعت معالمه ، من ذلك على سبيل المثال :

---

(١) جيلان عباس : آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٢ ، ص ٣٢ – ٣٧ .

(٢) د. زكى حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٦ – ٧ ، ٣٥ .

(٣) الكندى : فضائل مصر ، تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ودار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ ص ٤٠ – ٤٤ .

وصف الرحالة للكساء الخارجى للهرم الأكبر وما كان مشتملا عليه من كتابات حتى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .[١]

اليعقوبى : (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)

مؤرخ جغرافى كثير الأسفار من أهل بغداد وتحدث فى كتابه " كتاب البلدان " عن بعض الآثار المصرية القديمة مثل : منف وأبى الهول وبعض الآثار الإغريقية الرومانية بالإسكندرية ،[٢] كما تحدث عن ملوك مصر من القبط وغيرهم [٣] مما يجعل كتابه هذا من المصادر الهامة وخاصة انه يعتبر أقدم رحالة عربى قدم إلى مصر ودونها فى رحلته .

ابن رسته : (المتوفى فى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع – العاشر الميلادى)

عالم عربى من اصل فارسى : وكتب كتاب " الأعلاق النفسية " وفيه وصف باختصار شديد لكل ما شاهده من البلدان بما فى ذلك مصر التى كتب عن آثارها المصرية القديمة بما فيها الأهرام ، وعن الإسكندرية وآثارها الإغريقية الرومانية مثل المنارة ، وعمود السوارى .[٤]

---

(١) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، المجلد الأول ، دار صادر – بيروت ، ص ١٨٥ – ١٨٩ ؛ وأيضا : جيلان عباس : آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٢ ، ص ٢٢١ حاشية (١) .

(٣) من القبط وغيرهم أى من القدماء وغيرهم من الغزاة الأجانب .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢١ حاشية (٢) .

ابن الفقيه : (المتوفى فى أواخر القرن الثالث الهجرى / العاشر الميلادى)

كتب كتاب " مختصر البلدان " كتبه حوالى سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م والذى ضمنه ما رآه فى بلاد العرب والحجاز والصين والهند ومصر حيث تحدث عن الأهرام وذكر أطوالها كما أشار أيضا إلى مسلات عين شمس ، وتحدث أيضا عن الإسكندرية وسجل رؤيته لمنارة الإسكندرية .[١]

المسعودى : (المتوفى فى مصر سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

مؤرخ ورحالة باحث من أهل بغداد ، أقام بمصر حتى توفى بها كتب كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر " الذى ضمنه وصفا لما شاهده فيها حيث وصف الأهرام وأشار إلى مقاييسها وما ورد عليها من كتابات ، ووضح عدم معرفة الناس بطريقة قراءتها . وهو يقصد هنا الكتابة بالخط الهيروغليفى وحاول أن يشرح كيفية بنائها واستخدامها . كذلك تحدث عن الإسكندرية وعمود السوارى والمنارة التى وصفها كما رآها . كما تحدث عن أماكن البرابى أى المعابد القديمة .[٢]

كما تحدث فى كتابه الثانى " أخبار الزمان " عن عجائب مصر وأخبار ملوكها وكهانها وأول من بنى الأهرام .[٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢١ حاشية (١) وص ٢٢٢ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر فى نخب الأشراف والملوك وأسماء القرابات ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، المجلد الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣٥٠- ٣٦٨ ؛ جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ حاشية (٤) .

(٣) المسعودى : أخبار الزمان (ومن إبادة الحدثان) وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٣، ص ١٢٦-١٧٢ ، ١٧٩-١٩٨٤ ، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١١، ٢٢٨، ٢٥١ .

الاصطخرى : (المتوفى عام ٣٤٦هـ / ٩٥٧ م)

جغرافى ورحالة من العلماء العرب ، كتب كتاب : " مسالك الممالك " الذى ضمنه لبعض ما شاهده فى مصر من آثار مثل الأهرام التى ذكر موضعها ، وممراتها الداخلية واستخدامها وإن كان قد أشار إلى أن الكتابة عليها كانت يونانية بسبب عدم معرفة كثير من الرحالة باللغة المصرية القديمة التى لم تكن رموزها قد حلت بعد . كما تحدث عن الإسكندرية وما بها من الأبنية والمنارة والعمد .[١]

الكندى : (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

ألف كتابا بعنوان " فضائل مصر " وتحدث فيه عن كنوز مصر والخواص والعجائب التى بمصر .[٢]

ابن حوقل : (المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى)

كتب كتابه " صورة الأرض أو المسالك والممالك " وقد ولد ونشأ ببغداد . وضمن كتابه وصفا مختصرا جدا للأهرام وذكر طولها بأربعمائة ذراع كما ذكر معظم رحالة عصره ، وذكر استخدامها ، وبعض ما سمع عمن بنوها ، كذلك أشار إلى تغطيتها ببعض الكتابات ، كما أشار إلى مدينتى منف وعين شمس والإسكندرية ، وتحدث عن منارتها الشهيرة وبعض ما قيل عنها .[٣]

---

(١) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ حاشية (٥) .

(٢) الكندى : فضائل مصر ، تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه (القاهرة) ودار الفكر (بيروت) ١٩٧١ ، ص ٤٨ – ٥٢ ، ٦٦ .

(٣) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ حاشية (٦) .

المقدسى : (المتوفى فى سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م)

كتب كتاب " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " وقد تضمن كتابه بعض المعلومات عن مصر وما بها من آثار إذا أشار إلى الأهرام وما يحيط بها من أساطير واستخدامها كقبور ، وحكى عن تمثال أبى الهول ومسلتى عين شمس وتحدث أيضا عن الإسكندرية ومنارتها الشهيرة ، كما تحدث عن قصر الشمع بمصر القديمة .[١]

ابن النديم : (المتوفى سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م)

كتب كتاب " الفهرست " وتحدث فيه عن حكاية الهرمين وهرمس والبرابى بأرض مصر .[٢]

البيرونى : (المتوفى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)

كتب كتاب " الآثار الباقية من القرون الخالية " ذكر فيه أسماء ملوك القبط الذين حكموا مصر .[٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ حاشية (٨) .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق د. ناهد عباس ، دار قطرى بن الفجاءة الطبعة الأولى ، الدوحة ، ١٩٨٥ ، ص ٦٧٧ – ٩٨٧ .

(٣) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزج ، ١٩٢٣ ، ص ٩٠ – ٩١ .

ناصر خسرو : (المتوفى فى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٠٨ م)

زار مصر ومكث بها نحو ثلاث سنوات مما أعطاه الفرصة لمشاهدة الكثير من جوانب الحياة بها وذكر كل العادات والتقاليد كما تعرض لذكر مسلة عين شمس وأشار إلى مدينة الإسكندرية فى كتابه " سفر نامة ".[١]

أبو الصلت أمية : (المتوفى عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٢ م)

كتب كتاب " الرسالة المصرية " وهو يشتمل على نتائج رحلته ، وتجاربه ، ومنها مصر التى زارها عام ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ – ١٠٩٦ م) وأشار إلى حدودها وأقاليمها وعاداتها وتقاليدها ومن ذلك الأهرام التى أرجع إتقانها إلى مهارة أهلها فى علم الهندسة والفلك ، وأشار إلى دقة بناء الأهرام وإلى فتح الخليفة العباسى المأمون لها ، وذكر أيضا ما سمعه من استخدامها وما ورد بصددها من أساطير ، وتحدث كذلك عن الكتابة الهيروغليفية وكذلك البرابى وتعرض أيضا لمنف عاصمة الحكم الأولى وما تلاها من عواصم أخرى . وتحدث عن الإسكندرية باعتبارها عاصمة مصر قبل الفتح الإسلامى .[٢]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ حاشية (٩) .

(٢) أبو الصلت : الرسالة المصرية ، نشرها الأستاذ عبد السلام هارون من مخطوط رقم ٦٠١ أدب بمكتبة أحمد تيمور مطبعة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١ ونقل أجزاء مما جاء فى هذه الرسالة د. عبد الرحمن زكى : القاهرة وتاريخها وآثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ٤٧ – ٤٨ .

الادريسى : (المتوفى سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)

ويشتمل كتابه " نزهة المشتاق " على وصف شامل لجغرافية مصر وأقاليمها وبلدانها وثروتها النباتية والحيوانية .[1]

الهروى السائح : (المتوفى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م)

موصلى المولد ، كتب كتاب " الإشارات فى معرفة الزيارات " وهو من المصادر الهامة فى مجال وصف الآثار المصرية القديمة التى حققها تحقيقا رائعا ، خاصة ذكره للأهرام وعدد ما رآه منها ومواقعها كما وصف أطوالها وعروضها ورسمها وما شاهده بداخلها بدقة شديدة ، وأشار أيضا إلى بعض الآثار بمصر القديمة . وأمدنا بوصف لمدينة الإسكندرية والمنارة وعمود السوارى .[2] كما تحدث عن آثار الأقصر والمقابر الأثرية فى صعيد مصر .[3]

ابن جبير : (المتوفى فى الإسكندرية سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

زار مصر عام ١١٨٣ م وكتب كتاب عن رحلته أسماه " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " وصف فيه الأهرام كما رآها من حيث الشكل والمنظر والمدخل والممرات وطرق استخدامها كمقابر ، وذلك على غير عادة رحالة هذا العصر الذين اهتموا بما يحيط بها من خرافات وأساطير . وتحدث عن أبى الهول وعن الإسكندرية ، وذكر عمود السوارى والمنارة حيث أشار إلى وجود جامع بأعلاها وهو ما لم يذكره رحالة من قبل . وتعد رحلة ابن جبير من المصادر الهامة لما تتصف به

---

(١) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ ، حاشية (١٠٠) .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ، حاشية (١٣) .
(٣) د. زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٩١ – ٩٢ .

من دقة يفتقد إليها العديد من كتابات الرحالة السابقين ، حتى أصبحت رحلة ابن جبير فيما بعد مصدرا للكثير من الرحالة .(١)

ياقوت الحموى : (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)

كتب كتاب " معجم البلدان " وهو من المصادر الهامة لما يشتمل عليه من معلومات وفيرة عن مصر وما بها من آثار مصرية قديمة مثل الأهرام وسبب إنشائها وكيفية بنائها والأساطير التى رويت عنها وما شاهده بعينه من جثث بالية وموميا وات ، كما تحدث عن منف والأقصر . كما يمدنا بمعلومات قيمة عن مدينة الإسكندرية ، وما بها من آثار هامة مثل عمود السوارى والمنارة التى شرحها بالتفصيل مع التوضيح بالرسم ، وزود كتابه أيضا بأسماء بعض الكنائس والأديرة كل فى مكانه .(٢)

كما تحدث عن أسماء مصر ، ومن هاجر إليها من جماعة الأنبياء ، ومن ولدوا ودفنوا بها وكور مصر وملوكها القدماء ومشاهد ومزارات مصر .(٣)

---

(١) جيلان عباس: المرجع السابق، ص ٢٢٤ حاشية (١٢)؛ وأيضا ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، نشرها المستشرق رايت سنة ١٨٥٢ ، ودى خويه بليدن عام ١٩٠٧ ، دار الفكر العربى ، القاهرة (حققها حسين نصار) وجاءت مقتطفات منها عند د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٥٨ ؛ د. زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، دار الرائد العربى ، بيروت – لبنان ، ١٩٨١ ، ص ٧٧ .

(٢) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ حاشية (١٤) .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، المجلد الخامس ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٧ – ١٤٣ .

عبد اللطيف البغدادى : (توفى سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م)

كان عالما جليلا فى كافة فروع العلم من الطب والتاريخ والبلدان والأدب ، وكتب كتاب " الإفادة والاعتبار " الذى اشار فيه إلى العديد من الآثار التى شاهدها فى مصر من آثار قديمة ، حيث اهتم بوصفها وتحليل الأساليب التى يمكن أن تكون قد استخدمت فى البناء ، ففى حديثه عن الأهرام يذكر كل أنواعها ، مثل الأملس والمدرج ويذكر أيضا مادة البناء المستخدمة فى كل منهما مثل الحجر أو الطين ، كما ذكر الأعداد التى رآها وأماكنها بالتحديد ونوعية الكتابة المنقوشة عليها .(١) وأشار كذلك إلى بعض المحاولات لهدم أحد الأهرام الصغيرة . وتحدث عن أبى الهول كما حدثنا أيضا عن مسلة سنوسرت الأول المطرية .(٢) لذا يعد وصفه للآثار المصرية من أحسن ما وصلنا على الإطلاق فى كتب الرحالة العرب . وتحدث البغدادى أيضا عن مدينة الإسكندرية وعمود السوارى والمنطقة المحيطة به والمنارة .

القزوينى : (المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

مؤرخ وجغرافى من القضاه ولد بقزوين سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م . كتب كتاب " آثار البلاد وأخبار العباد " الذى ضمنه وصفا لأهم الآثار المصرية القديمة

---

(١) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ حاشية (١٥) .

(٢) عبد اللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبع فى أوروبا ، وهناك طبعة موجزة (المجلة الجديدة) القاهرة ، راجع : د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٩٠ ، ٩١ ؛ د. زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص ١١١ – ١١٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الجزء الأول ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١١٤ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٠٥ ، ٣١١ .

مثل الأهرام التى أشار إليها وإلى أطوالها وعروضها وما رآه بداخل الهرم الأكبر ، وتمثال أبى الهول ، وأشار أيضا إلى أهم المدن ذات الآثار القديمة مثل منف التى شاهد بها الكثير من البقايا وتحدث عن البرابى التى هى من عجائب مصر وعن بعض الآثار فى صعيد مصر وتحدث عن عين شمس ومسلتها وتحدث عن منف ، وضمن كتابه أيضا بعضا من المعلومات عن مدينة الإسكندرية وعن عمود السوارى والمنارة . وتحدث عن أصل اسم مصر ومن أين جاء .[١]

ابن سعيد المغربى : (المتوفى فى سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)

وصل الإسكندرية سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م ليلحق بأبيه فى رحلته للحج فتخلف ابن سعيد بالقاهرة وبقى بها حتى سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، كتب مخطوطة بعنوان " المغرب فى حلى المغرب " وقد قسمه إلى كتب أعطاها أسماء طريفة مثل كتاب " منية النفس فى حلى مدينة عين شمس " وكتاب " الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاس " وكتاب " النجوم الزاهرة فى حلى مدينة القاهرة " وكتاب " رشف القبل فى حلى قلعة الجبل " وقد ضمن كل تلك الكتب بعض المعلومات عن الآثار المصرية القديمة مثل " الأعمدة المنيعة الرفيعة " أى المسلات بعين شمس . وكذلك آثار مدينة الإسكندرية التى لم يمض فيها إلا مدة قصيرة . ولا يزال مخطوطه محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٣ تاريخ تيمور .[٢]

---

(١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر – بيروت ، ص ١٣٦ – ١٤٠ ، ١٨٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ – ٢٢٥ ، ٢٦٣ – ٢٦٤ ، ٢٦٨ – ٢٦٩ ، ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٢) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ حاشية (١٧) (١٨) .

العبدرى :(المتوفى فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى)

قام برحلة تتضمن وصفا لبعض الآثار المصرية القديمة مثل الأهرام ، وقد حظيت مدينة الإسكندرية باهتمام هذا الرحالة الذى تحدث عن عمود السوارى والمنارة فيها .[١]

أبو الفدا : (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

تحدث فى كتابه " المختصر فى أخبار البشر " عن ذكر الفراعنة وذكر أمة القبط .[٢]

صفى الدين البغدادى : (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) :

ألف كتاب " مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع " وهو مختصر لمعجم البلدان لياقوت الحموى ، وتحدث فيه باختصار شديد عن هرمس (أى تحوتى) والأقصر والأهرام ومنف وأصل تسمية مصر .[٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ، حاشية (١٩) .

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، المجلد الأول ، ص ٥٦ – ٥٩ ، ٨٢ .

(٣) صفى الدين البغدادى : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر لمعجم البلدان لياقوت ، تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، الجزء الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ٢٣ ، ١٠٥، ١٣٤ ، الجزء الثالث ، ١٩٥٥ ، ص ١٢٧٧ ، ١٣٢٣ ، ١٤٥٧ .

البلوى : (المتوفى بعد ٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م) :

كتب كتاب " تاج المفرق فى تحلية أهل المشرق " . وأمدنا فيه ببعض المعلومات عن مدينة الإسكندرية ، ومنارتها بمرآتها الشهيرة وعمود السوارى ، وما بها من آبار شهيرة للمياه سبق أن حدثنا عنها أغلب الرحالة العرب .[1] جاء إلى مصر فى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

ابن بطوطة : (المتوفى سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

كتب " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " المعروفة برحلة ابن بطوطة . وهى على درجة كبيرة من الأهمية ، إذ تتضمن وصفا لأهم المدن ، وما بها من آثار مصرية مثل الأهرام وما قيل بصددها من أساطير حول بنائها واستعمالها ، وطريقة فتحها أيام الخليفة العباسى المأمون ، كما تشمل وصفا لبعض البرابى ومدينة الإسكندرية وما بها من آثار إغريقية مثل المنارة ، وعمود السوارى من الآثار الرومانية .[2]

---

(١) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ حاشية (٢٠) .

(٢) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ حاشية (٢١) . وابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ٣ مجلدات ، طبع فى باريس ١٨٥٣ ، المطبعة الخيرية بالقاهرة ، ١٩٠٤ ، المطبعة الأزهرية ١٩٢٦ ، ذكرت مقتطفات منه فى د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ١٤٥ ؛ د. زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص ١٤١ ، ١٥٠ .

ابن خلدون : (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ – ١٤٠٦ م) :

ألف كتابه الرائع " مقدمة " تحدث فيه باختصار عن بناء المدن العظيمة والهياكل المرتفعة والدفائن والكنوز وما قيل عن السحر والطلمسات .[١]

ابن دقماق : (المتوفى سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :

كتب كتاب " الانتصار لواسطة عقد الأمصار " تحدث فيه بوضوح عن الإسكندرية وأهم آثارها .[٢]

القلقشندى : (المتوفى سنة ٨٢٣ هـ / ١٤١٨ م) :

نشر كتابه الشهير " صبح الأعشى فى صناعة الانشا " فى عام ٨١٥ هـ ووصف فيه نظم مصر وآثارها القديمة . وتعتبر الأهرام فى نظره من أعظم أبنية الفراعنة والهرامان اللذان بالجيزة من أعظم الآثار وأقدمها وأجل المبانى وأدومها .[٣]

المقريزى : (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) :

ولد بمصر ولكنه من أصل بعلبكى ألف كتاب " المواعظ والاعتبار بذكر

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ، المجلد الأول (٢) ، دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، بيروت ، ص ٦١٣ – ٦١٧ ، ٦٥٨ ، ٦٨٨ ، ٦٩٢ ، ٧٧٨ ، ٨٩٠ – ٨٩١ ، ٩٢٤ ، ٩٢٧ ، ٩٣٣ .

(٢) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

(٣) د. حسن باشا وآخرون : القاهرة تاريخها فنونها وآثارها ، مؤسسة الأهرام ، ص ١٥٩ .

الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) وتحدث فيه عن العجائب التى كانت بمصر من الطلسمات والبرابى ونحو ذلك وذكر الأهرام وأبى الهول وذكر مدائن أرض مصر وديانة القبط قبل تنصرهم .[١]

ابن ظهيرة : (توفى سنة ٨٨٥ هـ (أو ٨٩١ هـ) :

كتب كتاب " الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة " وتحدث فيه عما اشتمل عليه إقليم مصر من مبتدأ أمره ، وأسماء ملوكه ، وفضائله وعجائبه ، ومحاسنه وغرائبه ، وما أختص به هو وأهله من سائر بلاد الله . وتحدث عن منف وما قيل فيها كما تحدث عن كور مصر المشهورة [٢] .

السيوطى : (توفى سنة ٩١١ هـ) :

تحدث فى مؤلفه عن فضائل مصر ، وأهرامها وتحدث عن الإسكندرية ، ومن دخل مصر من الصحابة والتابعين .[٣]

---

(١) المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) ، الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣١ — ٤١ ، ١١١ — ١٢٣ ، ١٢٨ — ١٤٤ ، ٢٩٩ — ٣٤٠ ، ٤٨١ .

(٢) أبن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعات دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٣ — ١٨ ، ٥٣— ٥٦ ، ٦٩ — ٧٠ ، ٨٩ — ٩٣ ، ١٤٨ — ١٥٧ ، ١٦٧ — ٢٠٠ .

(٣) د. محمد أحمد : مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٣١١ .

أبن اياس : (توفى سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) :

تحدث فى مؤلفاته " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " عن عجائب مصر وما بها من طلسمات وبرابى وغير ذلك وكورها وما خصت به مصر من المحاسن . وتحدث عن ملوك الديار المصرية فى أول الزمان ، وتحدث عن الأهرام وما قيل فيها ، وتحدث عن ملك أو حكم مصر القدماء حتى سنة ٩٢٨ هـ/ ١٥٢٢م .

كما تحدث عن موقف بعض الولاة المسلمين من الآثار المصرية .(١)

أبن الوزان : (المتوفى سنة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٦ م) :

هو الحسن أبن الوزان المعروف بجون ليون الأفريقى . كتب كتاب رحلته الذى يتضمن معلومات موجزة عن بعض الآثار والمدن المصرية القديمة ثم ذكر الإسكندرية وما بها من آثار .(٢)

القرمانى : (توفى سنة ١٠١٩ هـ / ١٦٠١ م) :

كتب كتاب " أخبار الدول وآثار الدول فى التاريخ " . وتحدث فيه عن ملوك

---

(١) أبن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى ، الجزء الأول ، القسم الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٣ – ١٧ ، ٢٢ – ٢٣ ، ٤٤ – ٤٥ ، ٥٧ – ٧٥ ، ٧٧ – ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦٢ – ١٦٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ، حاشية (٢٣) .

مصر قبل الطوفان وما لهم من الآثار والبنيان وما قيل فى الهرمين .[١]

رابعا : المصادر الأوربية الحديثة :

وتتمثل فى أصلين :

الأصل الأول ويتمثل فى الكتابات والإشـارات التـى وردت عـن الآثـار المصرية وتاريخ مصر القديم فى كتابات الرحالة الأجانب والذين تحدثنا عن بعضـهم فى الفصل الأول .

ومن رحلات الرحالة الأجانب نذكر :

- رحلة بنجامان دوتيوديلا المعروف ببنيامين التطيلى Benjamin de Tudele الذى بدأ رحلته فى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م من جنوب فرنسا وإيطاليـا واليونـان وأفريقيا ثم الأراضى المقدسة وبلاد العرب وإيران والهند والصين ثم قفل راجعا فـى سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٣م عن طريق مصر وإيطاليا ، أى زار مصـر فـى القـرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى [٢] ، وضمن رحلته بعضا من المعلومـات عن الآثار المصرية القديمة مثل الأهرام وطرق استخدامها كصوامع للغـلال ، كمـا أشار إلى الإسكندرية ووجود المنارة القائمة بها ، إلا أن معظم اهتمامه قـد انصـب على الحياة الاجتماعية لليهود فى مصر .[٣]

- رحلة غليوم Guillaume أسقف صور الذى زار مصر فـى القـرن السـادس

---

(١) انقرمانى : كتاب أخبار الدول وآثار الدول فى التـاريخ ، عـالم الكتـب ، بيروت ، مكتبة المتنبى – القاهرة ، مكتبة سـعد الديـن – دمشـق ، ص ٣٧٧ – ٣٩٥ .

(٢) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ وحاشية (٢٤) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ حاشية (٢٤) .

الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ٥٢٦ هـ / ١١٦٧م وذلك فى رحلة سياسية . وسوف يكون من أكبر المحرضين على الحرب الصليبية الثالثة بعد أن أستولى صلاح الدين على بيت المقدس عام ١١٨٧م .[١]

- رحلة بارون انجليور Baron d' Anglure الذى زار مصر فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، وقد تحدث فيها عن أهم الآثار المصرية القديمة فذكر الأهرام .[٢]

- رحلة بيلوتى E . Pilolti الذى عاش فى مصر فيما بين ٧٩٩ هـ - ٨٤٢ هـ (١٣٩٦ - ١٤٣٨ م) وأمدنا فيها ببعض أسماء الكنائس الهامة .[٣]

- رحلة طافور P . Tafur الذى زار مصر ما بين ٨٣٩ هـ - ٨٤٣ هـ (١٤٣٥ - ١٤٣٩م) . وقد أشار فيها باختصار إلى الأهرام باعتبارها صوامع غلال سيدنا يوسف عليه السلام ، كما تحدث عن بعض المزارات المسيحية وحدثنا عن العاصمة منف [٤] .

- رحلة فون جيستل J . Von Ghistle الذى زار مصر فى سنة ٨٨٧ هـ - ١٤٨٢ م فى عصر السلطان المملوكى قايتباى وضمن رحلته شرحا رائعا مركزا غير ممل لآثار مصر فى كافة العصور ، فوصف منف وما رآه فيها من جدران مغطاة بالكتابة الهيروغليفية والأساطير المحيطة بها . وشرح الأهرام بدقة وطرق استخداماتها كما أشار إلى أبى الهول وقصة لوحة الحلم والنبوءات الخاصة بها . وتحدث أيضا عن الإسكندرية وما بها من آثار . وشرح باستفاضة أغلب كنائس

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ حاشية (٢٥) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ حاشية (٢٦) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ حاشية (٢٧) .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ حاشية (٢٩) .

منطقة مصر القديمة .[١]

- رحلة فليكس فـابرى Felix Fabri الـذى زار مصـر سـنة ٨٨٨ هـــ - ١٤٨٣م .وضمن رحلته كل مشاهداته يوما بيوم كما عقد مقارنات بين ما شاهده بعينه وما قرأه فى كتابات الرحالة الأوائل مثل سترابون وبلينى .

وضمن رحلته بعض المعلومات المفضلة عن أهم الآثار المصرية القديمـة مثل الأهرام ومدى فخامتها واستخدامها كمقابر للملوك ووجودها وسط جبانة لقبـور المصريين القدماء ، وأشار كذلك إلى خطأ اعتبارها كصوامع للغلال فى أيام سـيدنا يوسف عليه السلام ، ووصف ممراتها وحجراتها ، وتحدث أيضـا عـن المسـلات المصرية وتصوره لكيفية قطعها ونقلها ، وحظيت مدينة الإسكندرية باهتمامه فوصفها ووصف عمود السوارى والمنارة ، وتحدث عن أهم المزارات المسـيحية بالقـاهرة وكنائس مصر القديمة .[٢]

- رحلة فون هارف A . Von Harff الذى زار مصر مـا بيـن سـنة ١٤٩٦ م ١٤٩٩ م . وضمن رحلته وصفا لكل ما شاهده ولمسه كما حدثنا عن بعض آثارهـا مثل الأهرام باختصار شديد وكذلك حدثنا عن مدينة الإسكندرية .[٣]

- رحلة دومينيكو ترافيزان D . Trevisan الذى زار مصر سـنة ٩١٨ هـــ - ١٥١٢ م . وهى تشتمل على وصف الأهرام وشكلها الخارجى ، وممراتها الداخليـة بالمقارنة مع ما كتبه بلينى عنها ووصف التماثيل التى رآها فـى المنطقـة ، وكـذا مشاهداته بمدينة الإسكندرية مثل عمود السوارى .[٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ حاشية (٣٠) .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ حاشية (٣٢) .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ حاشية (٣٣) .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣١ ، حاشية (٣٤) .

رحلة جون ثينو J . Thenaud الذى زار مصر فى سنة ٩١٨ هـ – ١٥١٢ م مبتدئا بالأهرام التى وصفها فى اختصار شديد وذكر اسم من بنى الهرم الأكبر ، والعدد التقريبى للعاملين فى بنائه ، كما أشار إلى أبى الهول وأخطأ فى نسبته إلى المعبودة ايزيس . كما حدثنا عن مدينة الإسكندرية ومنارتها الشهيرة بالرغم من أنها لم تكن قائمة فى عهده . وأشار إلى أهم كنائس منطقة مصر القديمة .(١)

أما الأصل الثانى من المصادر فيتمثل فى الجهود العلمية التى بذلت عقب اكتشاف الحملة الفرنسية لحجر رشيد وما أعقبه من جهود لفك رموز نقوشه وما توصل أليه شامبوليون وما تبع ذلك من جهود لعلماء آخرين وما قاموا بنشره وتحقيقه من نصوص مصرية قديمة وترجمتها إلى اللغات الأوربية الحديثه وما تلى ذلك من جهود خالصة للعلماء المصريين أنفسهم مما ساعد على إعداد المادة العلمية لكتابة تاريخ مصر القديم وحضارتها على نحو ما بينا فى الفصل الأول .

نظرة تحليلية لهذه المصادر بأنواعها :

والسؤال الآن : هل أكملت هذه المصادر بأنواعها وأصولها الثغرات التى لا تزال موجودة فى معرفتنا لتاريخ مصر القديم وحضارتها ؟

على الرغم من كثر المصادر الأثرية والمتنوعة والباقية حتى الآن ، وعلى الرغم مما بذله علماء الدراسات المصرية القديمة من جهوده ، فى مجال الحفائر العلمية ، وتسجيل بعض الآثار وتناولها بالوصف والتحليل وقراءة وترجمة ما دونه الإنسان المصرى القديم على هذه الآثار والوثائق بلغته وكتاباته المتعددة ، وما توصلوا إليه من معارف ومعلومات فى مجال الأحداث التاريخية والمظاهر الحضارية المختلفة ، وعلى الرغم مما ورد فى القوائم الملكية وما وصلنا مما كتبه مانيتون وما ورد فى بعض مصادر الشرق الأدنى القديم وما جاء فى كتابات الرحالة والمؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان وما جاء فى إشارات فى بعض الكتب المقدسة وما جاء فى المصادر العربية فى العصور الوسطى ، إلا أن هذه المصادر لا تعطينا صورة كاملة عن تاريخ مصر القديم وحضارتها وبالتالى فإننا لا نستطيع

---

(١) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٣١ حاشية (٣٥) .

القول بأننا نعرف تاريخ مصر القديم وحضارتها معرفة جيدة لأن هـذه المعرفـة لا تزال تعانى من افتراضات مشكوك فيها وتفسيرات بعيدة عن الحقيقـة . وإذا ألقينا نظرة تحليلية على كل مصدر من هذه المصادر نلاحظ أن كل مصادر يعانى من عدة ثغرات وذلك لأسباب عديدة .

أولا : عن المصادر المصرية القديمة الخالصة وأصولها الأربعة نقول :

أ-انه بالنسبة للمادة الأثرية نفسها نلاحظ ما يأتى :

١- إن كثرة الآثار وتنوعها وتشتتها فى المناطق الصحراوية وفى مناطق المحاجر القديمة ، لم تساعد العلماء على تسجيل كل هذه الثورة التى أمدتنا بها أرض مصر . وحتى الآن لم يتم تسجيل أغلب النقوش فى المناطق المتطرقة .

٢- أنه على الرغم من كثرة الآثار وتنوعها والباقية فى بعض المناطق الأثرية والموجودة فى مختلف المتاحف فى الداخل والخارج ، إلا أن أرض مصر لا تزال تحتفظ فى باطنها بالكثير من آثارها من جميع العصور ، فمثلا اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون وكشف آخر أحدث منه وهو مقابر ملوك الأسرة الحادية والعشرين فى تانيس والاكتشافات الأخرى العديدة فى تونة الجبل وشمال سقارة ، يبين لنا أن أرض مصر مازالت تحتفظ بالعديد من الأسرار والمفاجآت ، لنكمل بها هذا المصدر الرئيسى لدراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها .

٣- أنه على الرغم من كثرتها وأنها تغطى جميع العصور تقريبا ، إلا أنها تختلف بالنسبة لما خلفه لنا كل عصر . فقد نجد وفرة فى الآثار بالنسبة لعصر معين دون آخر ، ووفرة فى الآثار فى منطقة معينة دون الأخرى . ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى الأوضاع السياسية التى كانت سائدة فى البلاد . ففى فترات القوة واستقرار الأوضاع السياسية فى الداخل وزيادة الرخاء نجد الكثرة فيما أقيم من عمائر ومنشآت مثال ذلك آثار الدولة القديمة والوسطى والحديثة . أما فى فترات الضعف السياسى عندما فقدت الملكية هيبتها وسادت الاضطرابات فى الداخل فلا نجد إلا آثارا قليلة أو

نادرة مثال ذلك ما بقى من آثار العصر الوسيط الأول والثانى وعهود الغزوات الأجنبية والاحتلال الأجنبى .

٤- أنه على الرغم من توافد العديد من البعثات الأجنبية التى تجئ كل عام إلى مصر أو تعمل منذ عدة سنوات وبعثات المعاهد الأثرية الأجنبية الموجودة بمصر ، هذا إلى جانب البعثات المصرية التابعة للمجلس الأعلى للآثار وكلية الآثار وبعض أقسام الآثار بالجامعات المصرية ، إلا أن نتائج الاكتشافات الأثرية لا تكمل فى مجموعها الكلى الثغرات التى تعانى منها فى معرفتنا لتاريخ مصر القديم وحضارتها .

٥- أن أغلب هذه الآثار القائمة والمكتشفة تمثل ما نسميه بالعمائر الدينية والجنائزية وذلك لأن أغلب ما يتم من حفائر يحدث فى مناطق صحراوية حيث أقام المصريون القدماء ومعابدهم فيها ، وقد ساعد جفاف المناخ على حفظ ما بها فى وسط الرمال الجافة ، ومن هنا نرى أن الاكتشافات الأثرية يغلب عليها الطابع الجنائزى . أما الحفائر التى تتم فى مناطق مساكن قديمة من قرى ومدن ، وهى التى شيدت بالقرب من الأراضى الزراعية ، فهى حفائر لا تعطى نتائج إيجابية لأن بقايا هذه القرى والمدن توجد الآن فى مستوى منخفض جدا . ومن الصعب العثور على بقاياها سليمة بسبب رطوبة الأرض وخاصة فى وسط الدلتا . وأيضا بسبب أن كثير من القرى والمدن الحديثة أقيمت فوق بقايا قرى ومدن قديمة [١] ، فمحت معالمها تمام عدا الحفائر التى تتم فى المناطق المرتفعة قليلا مثل تل بسطة وتانيس [٢] لهذا نجد أن الآثار التى تمثل العمارة الدنيوية من قصور ومنازل وإدارات قليلة جدا .

٦- أن النوعية الغالبة على هذه الآثار ، هى الآثار المصنوعة من أنواع مختلفة من الحجارة ، أو من مواد صلبة أو معادن ، أما نوعية الآثار الوثائقية من البردى فهى نادرة ، وذلك لأن رطوبة التربة هى السبب الرئيسى فى ضياع وتحلل معظم أوراق البردى بما تحمل من كتابات ومعلومات .

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥٣ .

(٢) Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 56 .

٧- قلة وجود النصوص التاريخية الطويلة على هذه الآثار ، فأهمية ملك معين ، من الممكن الإحساس بها فقط عن طريق ما تركه لنا من أعداد كبيرة من الآثار تحمل أسمه . فنرى من بين الآثار مثلا ، لوحة تقص علينا أعمال الملك الداخلية أو الخارجية ، وليس لدينا على الإطلاق قصة تاريخية بالمعنى المفهوم ، تقص علينا تاريخ حياة الملوك وتصرفاتهم اليومية داخل قصورهم ، مثلا في عصر الدولة القديمة ترك الملوك آثارا ضخمة ، ونجد أن الروايات الخاصة بإحداث عصرهم تكاد تكون غائبة تماما . فقد كان الملوك محل تقديس ، والأهرام التى شيدوها تعتبر شاهدا على عظمتهم ، أما رعاياهم فليسوا فى حاجة إلى أية معلومات أخرى عنهم ، وبدرجة أقل نجد الاتجاه نفسه هو السائد فى عصر الأسرة الثانية عشرة ، التى لا تذكر إلا بناء معبد سنوسرت الأول فى ايونو .(١)

٨- إن فهم التاريخ الحقيقى لا يمكن أن يتحقق بدون معرفة العلاقات بين الملوك أنفسهم ، الذين هم أولا وقبل كل شئ بشر مثلنا وأشخاص عاديون لهم ميولهم ومشاعرهم , ولقد حدثت صراعات مختلفة بينهم عبر التاريخ ربما قد نجد لها بعض الإشارات فى نصوص بعض الآثار ، وربما لا نجد ونلجأ لمعرفتها عن طريق الافتراضات وذلك لأنه ليس لدينا نص يفسر لنا أو يوضح لنا طبيعة هذا الصراع ، فمثلا الصراع بين حتشبسوت وتحوتمس الثالث ومشكلة الوراثة أو كيفية انتقال تقاليد الحكم من الأسرة الحادية عشرة إلى الأسرة الثانية عشرة ومن الأسرة الحادية والعشرين إلى الأسرة الثانية والعشرين . ولا توجد أيضا معلومات واضحة على الإطلاق عن المؤامرات التى أدت إلى وفاة امنمحات الأول والدسائس التى هددت حياة رمسيس الثالث .(٢)

٩- وبوجع عام فإن كل ما كان يعبر عن الفشل أو المصائب فى حياة الملوك نجده قد أنتزع من النصوص أو أشير إليه بطريقة غير ملموسة ، وهكذا حرمنا من تكوين

---

(١) Gardiner, Egypt of the Pharaohs , p. 54

(٢) Gardiner , op cit., p. 55.

فكرة عميقة عما يسمى بالتاريخ الحقيقى بكل ألوانه ، ومن المؤسف حقا أننا نمتلك مومياوات بعض الملوك ونجهل فى أغلب الأحوال ما يخص حياتهم الشخصية وأعمالهم وعاداتهم وتصرفاتهم ، وما تعرضوا له من أمراض أدت إلى وفاة بعضهم . و لكن هناك حالة واحدة شذت عن بقية الحالات ، وهى حياة اخناتون فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة ، فالنقوش والنصوص من عهده تمدنا بصورة حقيقية واضحة عن حياة هذا الملك ، وهى صورة تختلف عن الآخرين ممن سبقوه على العرش .

١٠- على الرغم من تنوع المادة الأثرية ، فإن هناك بعض النصوص صعبة الترجمة ، عسيرة التأويل ، لم ينشر الكثير منها ، أو لم تترجم ترجمة دقيقة ، ومن الصعب تفسيرها وفهمها وخاصة بالنسبة للنصوص الدينية [١] مثل متون التوابيت ، والنصوص الأخرى من الدولة الحديثة التى تخص معتقدات المصريين عن العالم السفلى أو عالم الآخرة ، والنصوص السحرية المتعددة . وهناك النصوص المتنوعة والمنقوشة فى المعابد الكبرى والصغرى من العصر البطلمى الرومانى مثل معابد كلابشة ، فيلة ، كوم امبو ، إدفو ، إسنا ، دندرة ، دوش (فى الواحات الخارجة) وغيرها من المعابد البطلمية فى مواقع : اتريب ، بهبيت الحجر ، سمنود، مدامود ، ارمنت، قصر العجوز، طود، دير الشلويط ، الكاب، دكه، دابود، بيجه، دندور. وبالكرنك : معبد خونسو، بتاح، الصرحين الثانى والرابع، بوابة السور الخارجى لمعبد موت، معبد اوبت ، وأجزاء من معبد الدير البحرى ، والمعبد البطلمى بدير المدينة ، التى تعد بحق مصدرا من المصادر الهامة لدراسة العقائد والطقوس الدينية فى العصر المتآخر ، وهى نصوص أخذت من مصادر أخرى ترجع إلى عصور سابقة على العصر البطلمى – الرومانى . ونظرا لصعوبة قراءة وترجمة هذه النصوص فأنها لم تجذب الكثيرين من علماء الدراسات المصرية القديمة على الرغم من أهميتها . وحاول بعض العلماء أمثال : بييل Piehl– ، يونكر – Junker ، اليوت – Alliot ، دوما – Daumas، جوتبوت – Gutbub،

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٩١ .

فيرمان – Fairman ، وسنرون – Sauneron وغيرهم ، نشر أجزاء من نصوص هذه المعابد أو نشر فقرات منها تحدثنا عن الميلاد المقدس ، الأعياد الدينية العقائد ، والطقوس اليومية لبعض المعبودات ، ولكن هناك نصوص أخرى تعبر عن الكثير من الحياة الدينية فى مختلف مظاهرها ، وكذلك مجالات الحضارة المختلفة مثل إعداد العطور والزيوت التى كانت تستخدم فى الطقوس ، والحلى والزينة والشارات ، والرموز وأزياء الكهنة وأشكال القوارب المقدسة وما تحمله من زينات ، وما كان يوجد فى كل إقليم من أقاليم مصر من معبودات وكهنة وثروات طبيعية ، ولا تمتاز هذه المعابد بنقوشها فقط أو بنصوصها الفنية ولكن أيضا بالمناظر المتعددة التى تحملها جدرانها والتى تعتبر بديلا عن ما فقدناه من نقوش ومناظر فى المعابد المصرية الأخرى التى ترجع إلى عصور سابقة ، ولهذا يمكن القول بأن هذه المعابد كتاب مفتوح لأنواع المعرفة للحضارة المصرية ولا ينتظر إلا قارئيه من بين الذين يفهمون لغته وكتابته ، لأنها مصدر غنى لدراسة الحياة الدينية وما كان سائدا من عقائد وطقوس فى العصور المتأخرة وخاصة فى العصر البطلمى – الرومانى .

١١- هناك العديد من الآثار والوثائق التى لم تنشر حتى الآن ، ولم تمتد إليها أيدى العلماء على الإطلاق ولا زالت مجهولة المضمون والمعنى والغرض . منها العديد من البرديات الديموطيقية ولوحات كتبت بالخط المروى ومحفوظة الآن بالمتحف المصرى لعدم وجود المتخصص، ومنها أيضا مئات التماثيل التى كشف عنها لجران – Legrain فى خبيئة الكرنك عام ١٩٠٤[١] ، ولا يزال أغلب هذه التماثيل غير معروف ولم تترجم النصوص التى عليها ، على الرغم من أن لجران قام بنشر بعض تماثيل الملوك وكبار الشخصيات فى الكتالوج العام للمتحف المصرى ، ولا شك فى أن التوسع فى نشر مثل هذه الآثار وغيرها من الوثائق ، وما أكثرها ، سوف يلقى الضوء أكثر فأكثر على تاريخ مصر القديم وحضارتها .

١٢- عدم وجود المتخصصين فى مصر ، فى جميع فترات تاريخ مصر القديم وفى مجال اللغة المصرية القديمة فى جميع عصورها وفى مختلف كتاباتها الهيراطيقية والديموطيقية وخاصة النصوص البطلمية مما أدى إلى اعتمدنا الكلى على ما ينشره العلماء الأجانب من دراسات وبحوث فى مجال اللغة وترجمة النصوص البطلمية .

---

(١) Gardiner , op . cit ., p . 53 .

١٣- هناك صعوبة الإدلاء برأى قاطع فى كثير من كتابات علماء الدراسات المصربة القديمة وذلك عند مناقشة مشكلة ما ، ولهذا يلجأ العلماء إلى طرح فروض وآراء عديدة ، لأن ما يظهر كل يوم من وثائق جديدة فى الحفائر ، قد يجعل بعضهم يعيد النظر فيما كتبه من معلومات ووجهات نظر سابقة أو يؤدى إلى تغير أو تعديل فى بعض آرائهم .[١]

١٤- أنه على الرغم مما يبدو من وجود ثروة أثرية ضخمة ، إلا أن هذه الآثار لا تتعدى إلا القليل وذلك بالنسبة لتاريخ طويل عاصر آلاف السنين . فإذا قبلنا بأن العصور التاريخية لمصر القديمة قد بدأت من القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد ، وأن تاريخ البلاد قد مر بفترة طويلة خلال ما إصطلح على تسميته بعصور ما قبل التأريخ ، وهى فترة استمرت حوالى ثلاثة آلاف عام أو أكثر .[٢] كما سنرى فيما بعد ، فإن عمر تاريخ مصر القديم وحضارتها ، يبلغان أكثر من ستة آلاف عام إن لم يكن أكثر من ذلك بكثير .

ومن ناحية أخرى فهناك حوالى مائة وستة وسبعين قد مضت منذ أن توصل شامبوليون إلى حل رموز الكتابة الهيروغليفية أى منذ عام ١٨٢٢ حتى عامنا هذا ١٩٩٨ . وأثناء هذه الفترة الطويلة نمت كل هذه الحفائر وكل هذه الاكتشافات وكل هذه المؤلفات والأبحاث ولا زالت مستمرة إلا أن كل هذه الأبحاث فى مجال علم الدراسات المصرية القديمة لا تزال عاجزة عن سد الثغرات التى نعانى منها فى معرفتنا لتاريخ مصر القديم وحضارتها .كما أننا لا نستطيع أن نزعم أن ذلك الحصاد العلمى الذى تم خلال هذه الفترة (المائة وستة وسبعين عاما) كان كافيا لكى نعرف أو نميط اللثام عن كل أحداث هذه التاريخ وكل مظاهر تلك الحضارة التى يبلغ عمرها أكثر من ستة آلاف عام ، فالمعادلة صعبة ، ولهذا فنحن نأمل فى المزيد من النشر العلمى والمزيد من الاكتشافات الأثرية الجديدة بواسطة الأجيال القادمة حتى

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٩١ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٧ .

يماط اللثام تدريجيا عن الوجه الحقيقى لتاريخ مصر القديم وحضارتها .

١٥- أن بعض عناصر هذه المادة الأثرية عرضة للضياع بسبب عوامل التخريب والتعديات والسرقات والإهمال وعدم المحافظة عليها وسوء ترميمها وصيانتها وعدم حمايتها مما قد يؤثر فيها ويهدد بقائها من تلوث للبيئة وارتفاع منسوب المياه الجوفية ومشروعات الصرف الصحى والرى والتخطيط العمرانى ومشروعات التنمية والتوسع فيها .

ففى غياب الوعى بقيمة ما تمثله هذه الآثار من تراث حضارى ، فقد تعرضت الآثار المصرية للتخريب ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى حتى بداية القرن التاسع عشر .

فقد استخدمت أحجار المقابر والمعابد فى الجيزة وعين شمس ومنف ودهشور فى بناء أسوار القاهرة وبعض مساجدها وقصور عظمائها وانتزع الكساء الخارجى من الأحجار الجيرية من النوع الممتاز للهرم الأكبر . ولكى يشيد صلاح الدين القلعة فى عام ١١٧٧ ميلادية قام بهدم عددا كبيرا من الأهرام الصغيرة التى كانت بالجيزة وكانت كثيرة العدد ، ونقل ما وجد بها من الحجارة وبنى السور والقلعة ما يحيط بها .(١)

كما حطم عمال محمد بك الدفتر دار صهر الوالى محمد على باشا عام ١٨٢١ ميلادية كساء الهرم المنكسر الأضلاع للملك سنفرو فى دهشور وكذلك معبد الوادى للملك نفسه للحصول على الأحجار اللازمة لبناء قصره فى القاهرة .(٢)

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ١٩٩ حاشية (١) .

وعلى الرغم مما قام به اليونسكو والبعثات الأجنبية ومصلحة الآثار من عمليات ومجهودات لإنقاذ آثار بلاد النوبة من الغرق وخاصة الموجودة منها فوق سطح الأرض ، إلا أن معظم الآثار الموجودة في باطن الأرض لم يتم إنقاذها ، وأصبحت الآن في قاع بحيرة ناصر .

وفي الواقع كان يوجد ببلاد النوبة ١٦ معبدا تم إنقاذ الغالبية منها بعد فكها وإعادة تركيبها وأعطى بعضها الآخر كهدايا للدول التي ساهمت في إنقاذ آثار بلاد النوبة .

دابور : شيدوزين بواسطة حاكم مروى هو إدى خالاماني في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد . وكان مخصصا لعبادة آمون . وأضيف إليه في العصر البطلمي في عهود بطلميوس السادس والثامن والثاني عشر كما زين صالة المعبد الأباطرة الرومان أغسطس وتيبريوس .

وفك هذا المعبد في عامة ١٩٦٠ و ١٩٦١ وأعطى هدية لأسبانيا عام ١٩٦٨ ومنذ عام ١٩٧٠ وهو زين إحدى حدائق مدريد .[١]

طافا : هما مقصورتان من العصر الروماني ، كانتا مخصصتين لعبادة ايزيس ، ويقال لإحداهما المعبد الشمالي والأخرى المعبد الجنوبي . وقد فك المعبد الشمالي عام ١٩٦٠ وأعطى لمتحف ليدن بهولندا ، أما الجنوبي فقد فقد في نهاية القرن الماضي .[٢]

بيت الوالي : معبد صغير في الصخر شيده رمسيس الثاني وخصصه لعبادة آمون رع ومعبودات أخرى . فك وأعيد تركيبه في موقع كلابشة الجديدة بالقرب من السد العالي .[٣]

---

(١) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford 1984 , p -180 .

(٢) Baines – Malek , op . cit ., p . 180 .

(٣) Id ., op . cit ., p 180 .

كلابشة : أضخم المعابد المشيدة فى بلاد النوبة من عصر الإمبراطور أغسطس ، وكان مخصصا لعبادة معبود النوبة ماندوليس مصطحبا معه اوزيريس وايزيس . وهناك مقصورة فى المعبد شيدها بطلميوس التاسع وفك المعبد فى عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٣ إلى ١٣ آلف كتلة حجرية وأعيد تركيبه بالقرب من السد العالى .[١]

دندور : شيده الإمبراطور أغسطس لشخصيتين محليتين كانتا محل تقديس هما بادى ايزيس وباحور بن كابر ولم تذكر أسباب عبادتهما فى دندور . وهناك أجزاء من المعبد ترجع إلى عصر الأسرة السادسة والعشرين . وتبين النقوش أغسطس أمام معبودى النوبة أرسنوفيس وماندوليس . وفك المعبد فى عام ١٩٦٣ إلى ٦٤٢ كتلة وأعطى هدية للولايات المتحدة وأعيد تركيبه فى متحف المتروبوليتان للفن فى عام ١٩٧٨ .[٢]

جرف حسين : شيده رمسيس الثانى لعبادة بتاح ورمسيس الثانى المقدس وبتاح تاتن برأس صقر وحتحور أشرف على شيده نائب الملك لكوش ستو بين عامى ٣٥ و ٥٠ من حكم رمسيس الثانى . ونظرا لأنه كان منحوتا فى الصخر فقد اختفت معظم أجزاؤه تحت مياه بحيرة ناصر ولم ينقذ منه سوى الواجهة بتماثيلها الأمامية.[٣]

دكة : ساهم فى بنائه العديد من الملوك خاصة بطلميوس الرابع والثامن والملك المروى اركامانى والأباطرة الرومان أغسطس وتيبريوس . وفك المعبد بين عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٨ وشيد فى موقع جديد بالقرب من وادى السبوع . وقد شيد المعبد الأصلى فى عهدى حتشبسوت وتحوتمس الثالث لعبادة حورس باكى (كوبان).[٤]

---

(١) Id ., op . cit . , p 180

(٢) Id ., op . cit . , p 180 – 181.

(٣) Id ., op . cit . , p . 181 .

(٤) Id ., op . cit . , p . 181 .

كوبان : شيد فى بداية الأسرة الثانية عشرة ربما فى عصر سنوسرت الأول وأكتسب أهمية خلال الدولة الحديثة لأن كوبان أصبحت أهم حصن فى بلاد النوبة شمال عنيبه وتشرف على الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب فى وادى العلاقى .[١]

عمدا : شيده فى الأصل تحوتمس الثالث وأمنحتب الثانى وخصصاه لآمون رع ورع حور آختى . وأضيف إليه فناء فى عصر تحوتمس وقام العديد من ملوك الأسرة التاسعة عشرة وخاصة سيتى الأول ورمسيس الثانى بالإضافة إلى مناظره .

وخلال شهر ديسمبر ١٩٦٤ وفبراير ١٩٦٥ تم تحريك المعبد إلى موقع جديد على ارتفاع ٦٥ مترا وعلى بعد ٢ كيلومتر ونصف من موقعه الأصلى .[٢]

وادى السبوع : شيده أمنحتب الثالث وجزء من قدس الأقداس كان محفورا فى الصخر . رممه رمسيس الثانى وأضاف إلى الصرح الأول وكان مخصصا لعبادة آمون رع ورع حور آختى ورمسيس الثانى نفسه وحرك المعبد إلى موقع جديد على بعد ٤ كيلومتر إلى الغرب من موقعه القديم .[٣]

الدر : شيده رمسيس الثانى وهو فى تخطيطه يشبه تخطيط معبد أبو سمبل الكبير بدون تماثيل الوجهة . وكان مخصصا لعبادة رع حور آختى ورمسيس نفسه وآمون رع وبتاح . وفك المعبد عام ١٩٦٤ وشيد فى موقع جديد بالقرب من عمدا .[٤]

اللسيية : وهو عبارة عن مقصورة صغيرة نحتت فى الصخر من عصر تحوتمس الثالث وتبين مناظره الملك أمام عدة معبودات منها ددون النوبى وسنوسرت

---

(١) Id , op . cit . , p . 181.

(٢) Id ., op . cit . , p . 182 .

(٣) Id ., op . cit . , p . 182 – 183.

(٤) Id ., op . cit . , p . 183.

الثالث المقدس . وفى قدس الأقداس كان يوجد تمثال لتحوتمس الثالث بين حورس عنيبه وساتيت . وأحل رمسيس الثانى تمثاله بدلا من تمثال تحوتمس الثالث بين آمون رع وحورس عنيبه (ميام) . وقدمت هذه المقصورة هدية إلى إيطاليا عام ١٩٦٦ وهى معروضة الآن فى متحف تورين .[١]

قصر ابريم : عبارة عن حصن من عصر أمنحتب الأول . ومعبد من عصر طهرقا . ورسم جزء من الحصن نظرا لإقامة حامية رومانية به فى عصر الإمبراطور أغسطس . وحفرت المقاصير فى الصخر وكانت مخصصة لعدة ملوك ومعبودات شيدها نواب الملك لكوش خلال الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . وقطعت هذه النقوش وأعيد تركيبها فى مكان بالقرب من وادى السبوع . وتم نقل لوحة كبيرة صخرية من عصر الملك سيتى الأول ونائب الملك لكوش امنوؤبت ونقلت اللوحة بالقرب من معبد كلابشة فى موقعه الجديد .[٢]

عنيبه : كان معبد مخصصا لعبادة حورس (ميام) ويرجع إلى بداية الأسرة الثانية عشرة (عصر سنوسرت الأول) ولكن أضاف إليه ملوك الأسرة الثامنة عشرة وخاصة تحوتمس الثالث وكان يوجد بجوار المعبد جبانة تحتوى على مقابر من مختلف العصور منها مقابر من الدولة الحديثة وخاصة المقبرة الصخرية لبننوت حاكم واوات فى عصر الملك رمسيس السادس التى نقلت إلى موقع جديد بالقرب من عمدا وعلى جدرانها نرى منظرا من الفصل ١٢٥ من فصول كتاب الموتى والخاص بوزن القلب .[٣]

قام رمسيس الثانى بتشييد سبع معابد فى بلاد النوبة (بيت الوالى) جرف حسين ، وادى السبوع ، الدر ، معبدى أبو سمبل ، أقشا .[٤]

---

(١) Id ., op . cit . , p 183.

(٢) Id ., op . cit . , p 183.

(٣) Id ., op . cit . , p 183.

(٤) Id ., op . cit . , p 184.

معبدى أبو سمبل : أول من أشار إلى المعبد الكبير بوركهارت فى Burckhardt عام ١٨١٣ ز ودخله بلزونى عام ١٨١٧ . وشيده رمسيس الثانى لعبادة رع حور آختى وآمون رع وبتاح ورمسيس الثانى نفسه . أما المعبد الصغير فكان مخصصا لحتحور ابشك والملكة نفرتارى . وفى الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٨ تم قطع المعبدين ونقلا على بعد ٢١٠ مترا من النيل على ارتفاع ٦٥ مترا فى المرقع نفسه . وأفتتح المعبدان رسميا فى ٢٢ سبتمبر ١٩٦٨ .[١]

أبو عوده : معبد منحوت فى الصخر عند جبل عدا ، حفره حور محب تكريما للمعبودين آمون رع ، وتحوتى [٢] ، وغرق معظمه .

دوشا : عبارة عن مقصورة صغيرة منحوتة فى الصخر ، حفرها تحوتمس الثالث .[٣] وتعرضت للغرق أيضا .

وعلى الرغم من أن معظم هذه المعابد والمقاصير قد تعرض للغرق أو لعملية التقطيع والنقل أو فقدت بعض عناصرها المعمارية إلى أن " فانديه " قام بوصف معابد عصور الدولة الوسطى والحديثة والرعامسة فى بلاد النوبة . وقام

---

(١) Id ., op cit ., p 184 ففى ٨ مارس من عام ١٩٦٠ دعت هيئة اليونسكو بباريس إلى إنقاذ معبدى ابو سمبل . وقد بدأت عملية الإنقاذ والتقطيع فى يونيو ١٩٦٤ وأنتهى منها فى سبتمبر ١٩٦٨ وقطعت أحجار المعبد الكبير إلى ١٠٣٥ كتلة والمعبد الصغير إلى ٤٦٥ كتلة وتم تجميع أجزاء المعبدين وعددها ١٥٠٠ قطعة وأعيد تركيبها وأصبح المعبد محفوظا فيما يشبه الصندوق الخرسانى مع المحافظة على شكله الأصلى (راجع أيضا : المؤلف نفسه : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، ص ٢٥١) .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ وأيضا :. Vandier , Manuel d'Archéologie 11 , p . 958 – 960

(٣) Vandier , op . cit ., p . 960 .

بدارسة كل معبد على حده ووصف مناظره وقام بعمل تخطيط لكل معبد . وقسم هذه المعابد إلى نوعين : معابد منحوتة فى الصخر مثل : بيت الوالى ، جرف حسين ، وادى السبوع ، اللسييه ، الدر ، ابوسمبل ، ابو عوده ، دوشا .(١) ومبنية أو مشيدة مثل : عمدا ، عنيبه ، كوبان ، فرس ، اقشا ، بوهن ، سمنه ، عمارة ، صولب ، سسبى ، كوا ، سانام ، جبل برقل .(٢)

وثمة خطر آخر يهدد المناطق الأثرية وهو الزحف السكانى والتعدى على أرض الآثار . فهناك على سبيل المثال ٣٥٠٠ أسرة يعيشون داخل الآثار وفرقها وحولها فى المنطقة الأثرية بالبر الغربى بالأقصر ويتطلب الأمر ضرورة تهجير هؤلاء السكان لخطورة الأمر على الآثار على المدى البعيد .

وفى دراسة حديثة قدمها د. ياسين السيد بعنوان " البيئة والآثار فى مدينة القاهرة " (٣) وأوضح أن العوامل المسببة للتلوث عديدة منها تلوث الهواء بغازات ثانى أكسيد الكبريت وهو غاز حمضى مهلك للمواد الأثرية فيسبب تلق الأنسجة وابيضاضا فى الأصباغ بالإضافة لتلف المواد الأثرية من الجلود والورق والمخطوطات علاوة على أنه يتسبب فى تآكل القطع الأثرية من الحديد والنحاس والبرونز والفضة .

وكذلك أكاسيد النتروجين وغاز أكسيد النتريك المتسبب فى إزالة ألوان الجلود والأقمشة وغيرها من الأصباغ المصبوغة .

كما أن هذه الأحماض فى ظل رطوبة عالية تتساقط فى شكل أمطار حمضية تعرض الآثار الثابتة والمكشوفة مثل منطقة الأهرام وأبو الهول والمبانى الأثرية الأخرى كالمعابد إلى تفتيت أحجار مبانيها .

---

(١) Vandier , op . cit . , p . 949 – 960 Fig 443 – 451 .

(٢) Id ., op . cit . , p . 949 – 960 Fig 452 – 458 .

(٣) نشر مختصر لها فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٩٣ فى باب " البيئة ".

ولمنع خطر التلوث الذى يحاصر الكنوز الأثرية لابد من وضع المرشحات على فتحات الهواء الداخل للمتاحف . وتركيب مرشحات أو مرسبات على مداخن المصانع وإصلاح وصيانة وإحلال شبكات الصرف الصحى ومياه الشرب لتقليل الفاقد والذى يشكل خطورة على المناطق الأثرية . وأخيرا التركيز على الدراسات التى تمكننا من الاستفادة بالمياه الجوفية حول المدن والمناطق الأثرية وسوف يؤدى ذلك إلى انخفاض مستوى المياه السطحية .

٣- وبالنسبة للكتابات التاريخية نلاحظ ما يأتى :

أ - أن سطوح اللوحات والصلايات ومقامع القتال قد استخدمت لنقش مناظر تاريخية وأسطورية عبر الفنان بالصورة دون الكتابة المعرفة الجيدة فى هذه العصور السحيقة فى القدم . ولذا فمن الصعب تفسير حقيقة أو معنى ما صور على هذه اللوحات أو الصلايات أو مقامع القتال بنوع من الدقة .

ب - وعن القوائم الملكية نقول :

١- إن أغلب هذه القوائم والحوليات الملكية التى وصلت إلينا ليست سليمة ، فقد تعرض أغلبها للتلف والكسر والتهشم ، مما أدى إلى ضياع بعض الأسماء الملكية وعدم التأكد من بعضها الآخر .

٢- إن أغلب القوائم تمدنا بأسماء الملوك بالتتابع من أقدمهم حتى عهد الملك الذى أمر بإعداد هذه القائمة أو تلك . وكان مانيتون أول من وزع هذه الأسماء على أسرات متعددة .

٣- إن القوائم الملكية بتكوينها هذا ، تبدو جافة . وفى أغلب الأحيان نجد ذكر أسماء وتواريخ مجردة ، وإذا نظرنا إلى هذه التواريخ نجدها غير كافية لأنها لا تذكر أحداث كل عام بالتفصيل من حكم كل ملك ولكنها تذكر أهم أحداث عهده .

٤- أن هذه القوائم لا تعطينا بداية زمنية ثابتة ، ابتداء من حكم أول ملك شرعى فى بادية الأسرة الأولى . ولكن تعطينا الفترة الزمنية التى استمرت فيها حكم كل ملك

على حده ، ولهذا نجد أن لكلك ملك فترته الزمنية التى حكم فيها سواء أكانت طويلة أو قصيرة ، ومع بادية حكم كل ملك يبدأ تاريخ جديد ، وقد أدى ذلك إلى انعدام التسلسل التاريخى بالنسبة لنوالى الملوك على العرش ووجود ما يسمى بالتواريخ المستقلة .

٥- إن هذه القوائم لا تمدنا بأسماء ملوك عصر الأسرات الملكية والحاكمة .ولكنها اقتصرت على أسماء ملوك عصر الأسرات المبكر والدولة القديمة والوسطى والحديثة وعصر الرعامسة وعصر الأسرة الثانية والعشرين . أى الأسرات التى وجدها أسماؤها مذكورة هى فقط تلك التى كان يطلق عليها أسرات أو عائلات شرعية .[١] لذلك نجدهم قد استبعدوا ذكر أسماء ملوك الهكسوس فى الأسرة الخامسة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة ، استبعدوا أيضا أسم الملك الخارج على عقيدة آمون وهو اخناتون وكذلك ثلاثة من خلفائه . فنلاحظ مثلا أن قائمة أبيدوس تذكر أسماء الملوك الصغار فى الأسرة الثامنة على حين رأى مانيتون أنه ليس من الضرورى ذكر أسمائهم لضآلة دورهم ، وعلى العكس نجد أنه أعطى العدد الإجمالى لهؤلاء الملوك وهو ثمانية عشر ملكا .[٢] وأعطى كذلك كما رأينا عند الحديث عن مانيتون ، مجموع سنوات حكم الأسرات من الأسرة الأولى حتى وفاة دارا . ونلاحظ أيضا أن لوحة سقارة حذفت الخمسة الملوك الأوائل فى الأسرة وبدأت الملك ميبس Meibis (؟) وتنتهى القائمة على اللوحة عند اسم رمسيس الثانى .

ونلاحظ كذلك أن قائمة أبيدوس أسقطت ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة ، ولم تذكر إلا أسم ملكين من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وأسقطت اسم الملكة سبك نفرو وآخر حكام الأسرة الثانية عشرة . ولم تذكر القائمة أى ملك من ملوك العصر الوسيط الثانى وعصر الهكسوس وتذكر لنا جميع أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة ماعدا أسماء حتشبسوت واخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآى .

---

(١) Maspero , Histoire Ancienne , p . 288 .

(٢) Vercoutter , L'Egypte Ancienne ,Paris (1963) , p . 66-71.

٦- بمقارنة القوائم الملكية بقائمة مانيتون للتعرف على الأسماء التى ذكرها هذا الأخير ، نجد أنه يوجد اختلاف أحيانا ، فنلاحظ أن بردية تورين تذكر بالنسبة للأسرات الست الأولى حوالى اثنين وخمسين ملكا على حين يذكر مانيتون تسعة وأربعين . وبالنسبة للأسرة الثانية عشرة فكلا المصدرين يعطى أسماء سبعة ملوك ، ثم يأتى بعد ذلك كر أسماء عدد كبير من ملوك حكموا فترات قصيرة جدا لم يذكرهم مانيتون وذكرتهم البردية . ورأى شامبوليون أن هذا الاختلاف ناتج أحيانا من آن كثيرا من الملوك كانت لهم خانتان بأسمائهم وليس خانة واحدة يكتب بداخلها الاسم ، وهكذا كانت قائمة أبيدوس تعطى غالبا الاسم الملكى على حين يعطى مانينون الاسم الحقيقى . ولكن هذه الصعوبة بدأت تختفى شيئا فشيئا بفضل اكتشاف النصوص الجديدة حيث أننا نجد على بعض الآثار أن الخانتين الملكيتين قد ذكرتا مه بعضهما .

٧- لاشك أن هذه القوائم تساعدنا على فهم تتابغ الملوك والأسرات التى حكمت على عرش مصر القديمة ولكنها لا تساعدنا على فهم ما كان عليه الشعب أو ما كان يحدث من تطورات فى المجتمع وفى مختلف المجالات الحضارية فى الفكر والمعتقدات والعلوم والمعارف والفنون المختلفة .

٣- وبالنسبة للأساطير والقصص نلاحظ ما يأتى :

أن بعضها كان يغلب عليه الطابع الأسطورى عندما يتعرض للأوضاع السياسية والتى كانت سائدة فى البلاد قبل قيام الأسرة الأولى وتحقيق وحدة البلاد السياسية . والبعض الآخر يشوبه الغموض عندما يتعرض للحديث عن الأخطار التى هددت حياة بعض الملوك . والقلة من هذه القصص ما نجده واضحا .

٤- وبالنسبة لما وصل ألينا من كتابات مانيتون ومن جاءوا من بعده نلاحظ ما يأتى :

١- مما يؤسف له أن التاريخ الذى كتبه مانيتون فقد فى حريق مكتبة الإسكندرية ولم يصلنا منه إلا بعض مقتطفات ولم يصل إلينا كاملا حتى نستطيع دراسة وتحليل مادته التاريخية وفهم الكثير من الحقائق التى يصعب الوصول إليها الآن .

٢- أن مانيتون أعطانا أسماء الملوك المصريين باليونانية ، فكان من الصعب قـــراءة بعض الأسماء الموجودة على الآثار والوثائق لاختلاف النطق .

٣- نجد فى النسخ أو المقتطفات التى وصلت إلينا عن كتابات مانيتون بعض الأخطاء الواضحة ، خاصة بالنسبة لملوك الأسرة الثامنة عشرة التى نعلم عنها الكثير بفضـــل المصادر الأثرية الأخرى ونصوص تلك الفترة المتعددة . ونلاحظ أيضا أن كلا مـــن جوليوس الأفريقى واوسب لم يتفقا على الإطلاق على ما جاء عند مـــانيتون . فنجـد مثلا أن الأفريقى يعطى للأسرة الثانية والعشرين أسماء تسعة ملوك على حين يعطـى أوسب ثلاثة ملوك فقط . ويعطينا مانيتون أحيانا عدد الملوك فقط دون أسمائهم ومثال ذلك عدد ملوك الأسرة السابعة والعاشرة والعشرين ، وأحيانا يعطى أصل مدنهم التـى خرجوا منها ، وأحيانا أخرى نجد أسماء مختلطة إلى حد كبير ، فمثلا أســم الملـك سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة كان ينشابه فى طريقه الكتابه مع اسم ششنق الذى حكم فيما بعد بحوالى ألف عام تقريبا .[١]

٤- نجد أحيانا أن طول مدة حكم كل ملك كما جاء عند مانيتون تختلف عما جاء فـــى القوائم الملكية الأخرى .

٥- أن فقدان المصدر الأصلى لما كتبه مانيتون أعطى أهمية خاصة لما كتبـــه مـــن جاءوا من بعده .

---

(١) Gardiner , op . cit ., p 46

ثانيا : وعن الآثار والنقوش القديمة غير المصرية والمتعلقة بمصر وتاريخها القديم وأصولها الثلاثة نقول :

١- انه بالنسبة لمصادر بلاد الشرق الأدنى القديم نلاحظ ما يأتى :

تتمثل الصعوبة بالنسبة لهذا المصدر في عدم وجود متخصصين فى مصر وفى الجامعات المصرية فى الكتابات المسمارية والحيثية والفينيقية والآرامية القديمة الذين يستطيعون الإطلاع على الوثائق المكتوبة بهذه الكتابات فى الداخل والخارج ، والقيام بعمل دراسات تحليلية لما جاء فيها عن تاريخ مصر القديم والوقوف على بعض الحقائق ربما يكون قد أغفلها العلماء الأجانب الذين قاموا بدراسة هذه المصادر من قبل . وفى الواقع نحن نفتقر إلى التعاون العلمى غى هذا المجال بين علماء التخصص فى الوطن العربى .

٢- ونلاحظ فيما كتبه الرحالة والكتاب اليونان الرومان ما يأتى :

١- إن الروايات والشواهد التى نقلها إلينا هؤلاء الرحالة والكتاب لا تمثل إلا الشىء القليل من معالم تاريخ وحضارة طويلة الزمن لذلك فمن الصعب القول أنها تغطى كل المظاهر الحضارية . وعند الاستشهاد بها يجب فحصها فحصا دقيقا .

٢- إن هؤلاء المؤرخين زاروا مصر فى نهاية ما يسمى بحكم الأسرات الوطنية أى زاروها فى أيام ضعفها ، وفى عصورها المتأخرة مثل هيرودوت الذى زار مصر فى نهاية الحكم الفارسى لمصر . ولو أتاحت الظروف لبعض هؤلاء الرحالة زيارة مصر خلال عصور نهضتها ، وفى أيام مجدها وقوتها لتغير الكثير من أراءهم وانطباعاتهم .(١)

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٢ .

٣- أننا لا نجد أحدا من هؤلاء المؤرخين أو الفلاسفة على دراية ولو بقدر يسير باللغة المصرية القديمة وكتاباتها المختلفة . ولم يعتمد أحد منهم على المصدر الرئيسى إلا وهو الوثائق العديدة التى كانت موجودة فى دور السجلات العامة والمعابد ، ولكنهم رددوا وسجلوا أقوالا نقولها عن غيرهم ممن قابلوهم من المصريين وبخاصة صغار الكهنة ، ولا نعرف مدى درجة علم ومعرفة الذين لجأوا إليهم وأمدوهم بالمعلومات المختلفة ، كما أدى عدم معرفتهم باللغة المصرية القديمة إلى سوء فهمهم للكثير مما ذكره هؤلاء المصريين ونقلوه عنهم بسوء فهم أيضا .

٤- أنهم لم يعاصروا أكثر الأحداث التى نقلوا أخبارها إلينا فى كتاباتهم ، كما أن المصريين بدورهم كانوا يحدثونهم عن عصور مضت منذ آلاف السنين ، فأختلط بذكرياتها الكثير من الخرافات والأساطير .[1] مما أدى إلى شيوع بعض الأخطاء عن تاريخ مصر القديم وحضارتها .

٥- لم يحدثنا أى من هؤلاء الرحالة أو الكتاب عن مقابلتهم لأهل الفكر والأدب فى مصر القديمة ، أو أية شخصية من الشخصيات صاحبة الفكر والهامة التى عاشت فى المجتمع لمصرى فى العصور التى جاءوا فيها إلى مصر .

٦- إن إقامة الرحالة والكتاب كانت فى أغلب الأحيان فى مدن الوجه البحرى أو عواصم المدن حيث اتخذت المظاهر الحضارية طابعا خاصا ، فلم يتبينوا أوجه نشاط الحياة اليومية والتقاليد والعقائد فى كل الأقاليم ، وخاصة أقاليم الوجه القبلى ، ولهذا فقد أخطئوا فى بعض ما صوروه عن مظاهر الحضارة المصرية .

٧- أن هؤلاء الرحالة والكتاب لم يتجهوا فى كتاباتهم اتجاها علميا سليما ، ولم يهتموا باستقصاء الحقائق بقدر ما حرصوا على الإفاضة فى المبالغات والإغراق فى القصص الخيالية حتى يثيروا فى نفوس قراءهم غريزة حب الاستطلاع . ونلاحظ أن هيرودوت كان يستعين فى بعض الأحيان بقصص شعبى لا يعتمد على الواقع أو

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٢ - ٨٣ .

الحقائق التاريخية ، أو يذكر بعض القصص الخيالية التى تنسب إلى بعض الملوك .[١]

٣- وبالنسبة لبعض الإشارات التى جاءت فى الكتب المقدسة نقول :

أنها إشارات لها أهميتها ، فالنسبة لما جاء فى كتاب العهد القديم من إشارات لأحداث وقعت فى مصر وفلسطين ، فهى أحداث تؤكدها بعض نقوش المصادر الأثرية . أما بالنسبة لما جاء فى آيات القرآن الكريم من أحداث فإننا لم نعثر فى المصادر الأثرية المختلفة بما عليها من نقوش وكتابات على أية معلومات أو إشارة عن فترات وجود سيدنا إبراهيم وسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف وسيدنا موسى وهارون مع فرعون . ومن المحتمل أن يكون ذكرهم موجودا فى بعض الوثائق التى لم يكشف عنها حتى الآن ، والتى مازالت مطمورة فى طى الكتمان ، أو أن ذكرهم . وذكر عاديون فى العصور القديمة لأنه تاريخ مقدس .

ثالثا : أما بالنسبة للإشارات التى جاءت فى كتابات الإخباريين العرب فهى :

إشارات لها أهميتها أيضا بالنسبة لوصف الدقيق لبعض الآثار القديمة التى كانت قائمة فى عهود زيارتهم لمصر والتى أندثر بعضها الآن .

ولكن كل ما دونوه من روايات عن الآثار المصرية وتاريخ مصر القديم عند حديثهم عن عجائب مصر وما بها من برابى يخلو من الاعتماد على المصادر الأثرية والتاريخية ويعتمد فقط على الرواية الشفهية . كما أن معظم هذه الكتابات مشبعة بقصص السحر والأساطير وخاصة بالنسبة لأسماء الملوك القدماء وأعمالهم . ولهذا فمعظمهم ما جاء عندهم بحاجة إلى تعديل وتفسير على أساس علمى سليم نظرا لتطور علم الدراسات المصرية القديمة والتوصل إلى معرفة العديد من الحقائق

---

(١) Gardiner , op . cit . , p 47 .

التاريخية والمظاهر الحضارية. وهذا لا يمنع أن وصف القلة منهم لا يخلو من بعض الحقائق وخاصة عند وصفهم للآثار القائمة فى منطقة الجيزة .

رابعا : وبالنسبة للمصادر الأوربية الحديثة بشقيها نجد :

أنه على الرغم من قيمتها العلمية الكبيرة فإن بعض المؤرخين ممن كتبوا عن تاريخ مصر القديم قد أساءوا فهم أحداثه ونظروا إليه نظرة غير محايدة ، ولم ينهجوا فى كتاباتهم نظرة محايدة التى يجب أن يتحلى عليهم كل مؤلف أو كاتب . فبعض تفسيراتهم تتسم أحيانا بالعنصرية ، والبعض الآخر يخضع لعدة افتراضات هى من نسج خيال فأدى إلى وقوعهم فى عدة أخطاء .

وإذا تغاضينا عن كل هذه الثغرات فى المصادر التى ذكرناها فيما يخص تاريخ مصر القديم وحضارتها ، نقول أن هذه المصادر تبين لنا ما يأتى :

١- إن فترات الاستقرار فى هذا التاريخ فى الفترات الأكثر طولا ، على حين أن فترات الفوضى والاضطرابات والثورات وعدم الاستقرار هى الفترات الأكثر قصرا .

٢- على الرغم من كثرة الآثار التى تمدنا الآن فإنه لا يزال هناك بعض الفترات التى يسودها الغموض والشك خاصة العصر الوسيط الأول والعصر الوسيط الثانى ثم الفترة بين الأسرة الحادية والعشرين والرابعة والعشرين .

٣- إن الفترات المعروفة جيدا تمثل فى التاريخ المصرى القديم الثلث من مجمل هذا التاريخ ، أما الفترات المعروفة قليلا أو غير المعروفة فهى تمثل الثلثين ، فمن الثلاثين أسرة التى حددها لنا مانيتون ، نعرف فقط ، بطريقة واضحة تاريخ إحدى عشرة أسرة .

٤- منذ تقسيم مانيتون وحتى الآن يقوم علماء الدراسات المصرية القديمة بتقسيم المائة والتسعين ملكا (بعض العلماء يعطى ٢٥٠ ملكا) الذين حكموا مصر على ثلاثين أسرة . ولكن لفظ أسرة يجب أن يؤخذ هنا بمعناه المحدد ، وذلك لأن عددا

معينا من الملوك كانوا ينتمون إلى أسرة واحدة ، وغالبا ما تنقصنا معرفـة الروابـط التى كانت تربط بين الملك وخليفته ، ولهذا فإن تتابع الملوك ليس مؤكـدا ، وأحيانـا نرى بعض الشخصيات القوية التى تنجح فى الظهور وتستولى على تقاليد الحكم .

٥- نجد أن جميع الأسرات ليس لها نفس الأهمية ، فبعضها غـير حقيقـى (مثـل الأسرة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة) والبعـض الآخر لا يحتوى إلا على عدد قليل من الملوك ، مثل الأسرة الرابعة والعشرين التـى كان بها ملكان والثامنة والعشرين وبها ملك واحد فقط ، والبعض الآخر كان يحتـوى على أكثر من عشرة ملوك مثل الأسرة الثامنة عشرة التى كانت تشمل أربعة عشـر ملكا .

٦- يمكن القول أيضا أم من بين هؤلاء الذيـن تذكرهـم القوائـم الملكيـة والآثـار المختلفة ، من كان غير معروف ، والكثير منهم لم يساهم إلا بدور بسيط فى السياسة الداخلية أو الخارجية ولم يكن لهم أى دور يذكر أو أى تأثير فى مجريات الأحداث .

٧- على الرغم من الثغرات الموجودة ، والاختلاف الواضـح بيـن قوائـم الملـوك المختلفة وما يعطيه مانيتون ، فإن هذا الترتيب المستمر يغطى فترة خمسة وثلاثيـن قرنا ، وهو ما يمكن أن نسميه تاريخا موحدا ، وذلك مما يعطى معالم تاريخ مصـر القديم أهمية كبرى ، لأننا لا نملك فى أى مكان آخر ، قوائم ممتدة ومستمرة مثل مـا نجده فى تاريخ هذا البلد العريق ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن هذا التـاريخ ، المفصـل لمصر القديمة قد بدأ فى فترة بعيدة جدا وغاية فى القدم وفى هذا المركـب المتسـع لتتابع السنوات والقرون ، وسوف نرى وفود مئات الملـوك علـى عـرش مصـر القديمة .

٨- إن هذه القوائم ليست نهائية ، ولكن مع استمرار الاكتشافات الأثرية الحديثة نـأمل فى المزيد م الكشف عن القوائم الملكية أو أى أثر أو وثيقة تزود من معلوماتنا عـن ترتيب ملوك تاريخ مصر القديم . مثل الدراسة الحديثة التى قام بها " يويوت " ,أثبـت فبها أن هناك ملكا غير معروف يدعى أوسر كون بن مهيت أونشى كان والدا لتشنق

الأول فى الأسرة الثانية والعشرين .[١] وهكذا فإن مجال الكشف لا يـــزال مفتوحـــا ، ومجال البحث لا يزال يتطلب المزيد من الجهود والمزيد من التأليف والنشر .

الحفائر كمصدر مجدد للمادة الأثرية :

أهم الحفائر العلمية والاكتشافات الأثرية التى تمت من عام ١٨٦٢حتى عام ١٩٨٩ :

تعتبر الحفائر العلمية والاكتشافات الأثرية مصـــدر هــام ومـجـدد للمـــادة الأثرية . لم تبدأ الحفائر العلمية بالمعنى الصحيح فى مصر إلا عام ١٨٦٢ على يـــد الإسكندر رند . ولكنها لم تحقق النجاح المطلوب إلا على يد بترى ومجموعة أخـــرى من الأثريين الأجانب ابتداء من عام ١٨٨٠ إلى ١٩١٤ .[٢]

وحتى عام ١٨٧٠ كانت معرفتنا بالدراسات المصرية تقتصر على الفـــترات الأخيرة من تاريخ مصر القديم .[٣]

وتوالت الاكتشافات الأثرية الكبرى فى النصف الثانى مـــن القـــرن التاســـع عشر وحتى قرب نهاية القرن العشرين .

فقد بدأ ماريت Mariette حفائره فى عام ١٨٥٠ حيث كشف بعدها بعــــام عن سرابيوم سقارة عام ١٨٥١ واستمرت أعماله حتى نهاية عام ١٨٥٣ [٤] وما عثر عليه بداخل السرابيوم واستخراجه يعتبر من أعظم لحظات الاكتشافات الأثريـــة فـــى مصر . فقد قدرها ماريت بحوالى سبعة آلاف أثر ، لا يرجع أغلبها إلى فـــترة حفـــر السرابيوم ولكن من بينها آثار ترجع إلى عصر الدولة القديمة منـــها تمثـــال الكـــاتب الجالس الذى نقل إلى متحف اللوفر . وعثر على هذه الآثار أثنـــاء تنظيـــف المقـــابر والآبار الجنائزية أعلى السرابيوم . وهناك أكثر من ثلاثة آلاف أثر عثر عليـــها فـــى

---

(١) Yoyotte, BSFE 77 – 78 (1977), p. 48 – 49.

(٢) Baines - Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 27.

(٣) Id., op. cit., p. 27.

(٤) Guides Bleus : Egypte, Paris 1956, p. 202 – 204.

المعبد الجنائزى للعجل ابيس وفى المبانى الملحقة بالسرابيوم . ومن بين ما عثر عليه داخل السرابيوم أكثر من ١٢٠٠ لوحة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية العصر البطلمى ، وتشمل لوحات كتبت بالهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية .(١) ومن بينها لوحات خصصت للعجل ابيس وأقامها كهنة المعبود بتاح . وأمكن لماريت أن يعد قائمة بـ٦٤ عجل ابيس (٢) كانت مدفونة فى توابيتها فى ٣١ حجرة جنائزية . وأول عجل دفن ومن أجله حفرت السراديب الكبرى كان فى العام ٥٢ من حكم الملك بسماتيك الأول .(٣) وكان يبلغ وزن بعض التوابيت فارغة حوالى ٧٠ طن .(٤) وبعد ذلك بعام واحد ١٨٥٢ أكتشف ماريت معبد الوادى للملك خفرع .(٥) وفى عام ١٨٥٨ عثر ماريت على خبيئة مومياوات كهنة المعبود مونتو بالقرب من الدير البحرى .(٦)

وفى العام نفسه كان ماريت أول من قام بتنظيف معبد مدينة هابو (وبعدها تولى العمل بنشاط كبير جريبو Grebaut عام ١٨٩٥) .(٧)

وبعد ذلك بعام ١٨٥٩ اكتشف ماريت فى دراع أبو النجا بالبر الغربى فى طيبة مقبرة أو خبيئة بها التابوت الفخم ومومياء الملكة إعح حتب زوجة الملك كامس وأم الملك أحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . وعثر فى هذه الخبيئة على كمية

---

(١) Vercoutter , Textes Biographiques du Serapeum de Memphis , Paris 1962 , p . IX – XV (preface) .

(٢) Id ., op . cit ., p . XI .

(٣) Id ., op . cit ., p . X11.

(٤) Id ., op . cit ., p . X111 .

(٥) Guides Bleus : Egypte , p . 167 .

(٦) Baines – Malek , op . cit ., p . 103 .

(٧) Guides Bleus : Egypte , p . 411 .

كبيرة من الحلى وأدوات الزينة .[١]

وفى عام ١٨٨١ أكتشف ماسبرو Maspero خبيئة المومياوات الملكية فإلى الجنوب من معبد الدير البحرى وبالقرب من الطريق المؤدى إلى هضبة شيخ عبد القرنة عثر على مقبرة رقم ٣٢٠ عبارة عن بئر عمقه ١١,٥٠ مترا وعرضه ٢ متر ، ويوجد فتحة فى جداره الغربى تؤدى إلى ممر عرضه ١,٤٠ متر وارتفاعه ١,٨٠ متر ويتجه نحو الشمال بطول ٦٠ مترا . وفى المنتصف يوجد ممر يؤدى إلى حجرة طولها ٨ أمتار . وكانت تحتوى على ١٣ مومياء ملكية [٢] . واحدة من الأسرة السابعة عشرة . وخمسة من الأسرة الثامنة عشرة ، وثلاثة من الأسرة التاسعة عشرة ، واثنتان من الأسرة العشرين ، واثنتان من الأسرة الحادية والعشرين ، بالإضافة إلى عدد من مومياوات ملكات وأميرات من مختلف الأسرات مع بقايا متاعهم الجنائزى .[٣]

وفى عام ١٨٨٤ أدخل بترى Petrie النظام التتابعى فى تأريخه لفخار عصور ما قبل التأريخ الذى أكتشفه في نقادة . وسار على منواله الأمريكيان ريزنرReisner ووينلوك Winlock .

وفى عام ١٨٨٧ عثرت إحدى الفلاحات فى تل العمارنة على لوحات صغيرة من الطين المحروق وكتبت بالخط المسمارى . عثر عليها فى الجزء الذىيقع بين القصر الملكى والمعبد الكبير . وكانت عبارة عن الرسائل المتداولة بين أمنحتب الثالث والرابع وملوك وأمراء بلدان الشرق القديم .

---

(١) Guides Bleus : Egypte , p . 367 .

(٢) Guides - Bleus : Egypte , p . 382 ; Baines - Malek , op . cit . , p . 103 .

(٣) Guides- Bleus : Egypte , p . 382 .

وفى عام ١٨٩١ عثر جريبو ودارسى Grebaut - Daressy على خبيئة مومياوات كهنة آمون وخونسو وذلك فى بئر يقع على بعد ١٥٠ مترا من معبد الديرو البحرى إلى الشمال من الطريق الصاعد . ويبلغ عمق هذا البئر ١٥ مترا وغطى ببقايا صخرية من نفس نوع الصخر المحيط بالبئر . ويؤدى البئر إلى ممر طويل ارتفاعه ١,٨٠ متر وعرضه ١,٨٠ متر كان مكدس بها توابيت خشبية مرصوصة على امتداد ١٢٠ مترا . وكان عدد هذه التوابيت ١٦٣ منها ٦٥ تخص كهنة وكاهنات آمون . هذا بالإضافة إلى ١١٠ صندوق للأوشبتى و٧٧ صندوق على شكل الهيئة الأوزيرية ومنها ٧٥ صندوقا تحتوى على برديات [١] وقام Bouriant بعد هذا الكشف بالعمل فى تل العمارنة وألف كتابا بعنوان مثير :

Two days Excavation at Tell el Amarna

" يومان حفائر فى تل العمارنة "[٢]

وتبعه بترى الذى عمل لمدة موسمين خلال عامى ١٨٩١ و١٨٩٢ ونجح فى الكشف عن بعض الآثار الهامة . منها جزء من قصر إخناتون ، واكتشف بارزانتى Barsanti عام ١٨٩٢ مقبرة أى غير الكاملة فى البر الغربى فى طيبة والتى تحمل الآن رقم ٢٥ .[٣]

وفى عام ١٨٩٥ إلى ١٨٩٧ اكتشف املينو Amelineau جبانة أم الجعاب إلى الغرب من معبد ابيدوس على بعد ٣ كيلو متر . وعثر بها على ٣٥٠ مقبرة منها ستة مقابر ملكية من العصر الثينى وهى تخص واجى وديمو وسمرخت وقاع وخع سخموى وبرايب سن .

---

(١) Guides Bleus : Egypte , p . 383.

(٢) Baines - Malek , op . cit ., p . 28 .

(٣) Guides Bleus : Egypte , p . 280 .

وعلى آلاف من قطع المتاع الجنائزى . وأكمل هذه الحفائر بعد ذلك بـــترى من عام ١٨٩٩ إلى ١٩٠١ وأكتشف خلالهما مقبرتين ملكيتين تخصان الملك عج ايب والملكة مريت نيت .[١]

وفى عام ١٨٩٨ أكتشف الأثرى الفرنسى لوريه Loret – مقبرة أمنحتـــب الثانى فى وادى الملوك وهى تحمل الآن رقم ٣٥ . واكتشف بها خبيئة مكونـــة مــن تسع مومياوات ملكية .[٢]

ومع بداية عام ١٩٠٢ و١٩٠٣ أكتشف بترى أقدم اساسات بها معبد اوزيــر فى ابيدوس .[٣]

وكشف لجران Legrain خبيئة تماثيل الكرنك على عمــق ١٤ مــترا فــى الفترة من ١٩٠٤ و ١٩٠٥ . وكتـــب ماســبرو عــن هــذا الكشــف الــهام فــى ٥ / ٢ / ١٩٠٥ أن هناك ٧٠٠ تمثال خرج من هذه الخبيئة .[٤] ولكن أتضـــح بعــد ذلك كما سجل بارجيه أم هناك ٧٥١ تمثال اكتشفت عام ١٩٠٥ و١٧ ألف تمثال مــن البرونز (٥) . ويبدو أن هذه الحفرة قد حفرت فى عصر البطالمة فــى الفنــاء شــمال الصرح السابع وجمعوا فيها كل هذه التماثيل مع تأدية الطقوس الدينية لها .[٦]

---

(١) Guides Bleus : Egypte , p 303 - 304 .

(٢) Guides Bleus : Egypte , p . 423 ; Baines – Malek . op . cit ., p . 28 .

(٣) Guides Bleus : Egypte , p . 302 .

(٤) Maspero , Ruines et Paysages de L'Egypte , p . 168.

(٥) Barguet , le Temple d' Amon – Rê a'Karnak , P . 276.

(٦) Maspero , Etude de Mythologie Egyptienne V111 , p . 218 – 219 ; Id ., Ruines et Paysages de L'Egypte , p . 174 .

وترجع هذه التماثيل إلى الفترة من الأسرة العشرين إلى العصر البطلمـــى[١] وكما يذكر بوتمر أن معظم هذه التماثيل من العصر المتأخر وأن هناك أكثر من ٣٠٠ تمثال التى عثر عليها فى الخبيئة صنعت بعد فترة الإسكندر الأكـــبر وأغلبـــها غـــير منشور[٢] وذكر أيضا أن هناك ٥٠٠ تمثال تم حصرها والباقى غـــير معـــروف [٣] ويذكر باينز أنه كان هناك آلاف التماثيل الصغيرة .[٤] وقمنا بنشر نصوص وترجمـــة عشرة تماثيل من هذه التماثيل المعروضة بالمتحف المصرى ، وهى نصوص مـــن العصر المتأخر وتترجم لأول مرة وتلقى لنا الضوء عن الحياة الدينية ودور الكهنـــة فى معبد الكرنك .[٥]

وإذا عدنا إلى تل العمارنة فنجد أنه كانت هناك بعثة ألمانية وصلت إليها بين عامى ١٩١٣ – ١٩١٤ برئاسة لودفيج بورخارت Borchardt وكشفت عن مـــنزل النحات تحوتمس وعثر فى هذا المنزل على الرأس الجميلة للملكة نفرتيتى والتى تزين الآن متحف برلين (رقم ٢١٣٠٠)[٦] وكذلك رأس لأميرة من الحجر البللورى البنـــى

---

(١) Maspero , Etude de Mythologie Egyptienne , p . 218 .

(٢) Bothmer ,Egyptian Sculpture of the Late Period , p . 151.

(٣) Id . , op . cit . , p . 152 .

(٤) Baines – Malek , op . cit . , p 91.

(٥) R. el Sayed , BIFAO 83 (1983) , p . 144 – 148 ; t. 84 (1984) , p . 127 – 146 ; t. 88 (1988),p. 171 – 184 ;ASAE 69 (1983) , p . 219 – 239 ; t . 70 (1984) , p . 323 – 349 ; t. 74 (1999), p. 137 – 158 pl. 1-8

(٦) Baines – Malek , op . cit . , p . 28 , 225 .

حاليا بمتحف برلين الشرقية (رقم ٢١٢٢٣)[١] . وتوالت الحفائر فى البر الغربى فى طيبة دون توقف حتى عام ١٩٣٢ .

وهنا لا يجب أن ننسى موقع دير المدينة الذى كان مصدرا لعدة اكتشافات خلال القرن التاسع عشر واكتشفته بعثة إيطالية فى نهاية القرن التاسع عشر وعملت به بعثة ألمانية برئاسة جورج موللر Moller فى عامى ١٩١١ و ١٩١٣ . وفى عام ١٩١٧ بدأ المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة حفائره فى هذا الموقع دون انقطاع حتى الآن وتم الكشف عن معظم قرية العمال والجبانة والمعابد الملحقة [٢]وكشف لففر Lefebvre عام ١٩٢٠ الذى كان يعمل لحساب مصلحة الآثار عن مقبرة بيتو ـ زيريس فى تونا الجبل .[٣]

ونجح هوارد كارتر Carter فى العثور على مقبرة توت عنخ آمون فى نوفمبر ١٩٢٢ وظل يعمل على نقل محتويات المقبرة لمدة عشر سنوات . وقد أحدث هذا الكشف دويا عالميا كبيرا . وفى كتاب صدر حديثا عن هوارد كارتر من تأليف هـ . ف . وينستون جاء فى المقدمة التى كتبها بينيلوب مشاهدته هذه الفترة من رواج لتجارة الآثار المصرية والتعدى عليها . وقد أصاب أوروبا بعد اكتشاف هذه المقبرة نوع من الجنون سمى " بجنون توت Tut – Mania " والذى كان يدل على انبهارهم وإعجابهم بالحضارة المصرية القديمة . وأدى ذلك إلى تدفقهم بالآلاف على مصر إلى ازدهار سرقة الآثار والتجارة فيها .[٤]

وفى عام ١٩٢٥ – ١٩٢٧ عثرت بعثة متحف المتروبوليتان على محجر إلى الشمال من معبد الدير البحرى كانت به مجموعة من تماثيل حتشبسوت التى ألقيت فى

---

(١) Baines – Malek , op . cit . , p . 224 .

(٢) Id., op . cit . , p . 28 .

(٣) Guides Bleus : Egypte , p . 254 – 255 .

(٤) الأهرام فى ٢٦ / ٤ / ١٩٩١ باب " فكر ثقافى " .

هذا المحجر بعد تحطيمها بناء على أوامر تحوتمس الثالث .[١]

وتوالى الكشف عن المقابر الملكية فى هـــذا القــرن . واكتشــف ريزنــر Reisner مقبرة الملكة حتب حرس فى الجيزة عام ١٩٢٥ وعثر فيها علـــى معظــم حلى الملكة ومتاعها .

وفى عام ١٩٢٨ قام فيرث Firth الذى كان يعمل لحساب مصلحة الآثـــار بالكشف عن أهم أجزاء المجموعة المعمارية للملك جسر فى سقارة .[٢]

وقام الأثرى المصرى د. سامى جبره بحفائره فى تونا الجبل وكان يـــرأس بعثة الحفائر الخاصة بجامعة القاهرة فى المنطقة وظل يعمل بها من ١٩٣٠ حتى عـام ١٩٣٨ عن السراديب الثلاثة التى كانت تحتوى على مومياوات طائر الأيبس والقـردة المحنطة . كما كشف عن المدينة الجنائزية خلف مقبرة بيتوزيريس وكذلـــك المعبـد البطلمى والساقية من العصر الرومانى .[٣]

وكشف مونتيه Montet فى عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ عـــن مقـــابر ملـــوك الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين فى تانيس [٤] والذى كان يعمل فى ذلك الوقت أستاذا بجامعة ستراسبورج .

---

(١) Guides Bleus : Egypte . p . 381 .

(٢) Guides Bleus : Egypte . p . 184 .

(٣) Guides Bleus : Egypte . p . 255 .
R. el Sayed , Tounah el Gebel , bilan et projets de trauvaux , Collogues Internationaux du CNRS no 595 t. I (1982) , p . 275 - 278 .

(٤) Baines - Malek , op . cit . , p . 28 , 177 ; Guides Bleus : Egypte , p . 226 .

وفى عام ١٩٥٠ اكتشف عالم الآثار زكريا غنيم الهرم غير الكامل للملك سخم خت .[١]

كما كشف د. أحمد فخرى أعوام ١٩٥١ – ١٩٥٥ عن معبد الوادى للملك سنفرو فى دهشور [٢] وارتبط باسم هذا العالم المصرى كشف آخر هام وهو الكشف عن مقابر الدولة القديمة فى الواحات عام ١٩٧٠ .

وفى عام ١٩٥٤ كشف الأثرى زكى سعد عن مئات المقابر التى تخص كبار الشخصيات فى منطقة حلوان من عصر بدايات الأسرات . وعثر فيها على العديد من التوابيت الحجرية وآلاف القطع من المتاع الجنائزى .[٣]

كما كشف إمرى Emery الذى كان يعمل لحساب جمعية استكشاف مصر الإنجليزية فى الشمال الغربى من سقارة عن جبانات " أم العجل ابيس " عام ١٩٦٤ وعثر فيها على مومياوات للأبقار والصقور وطيور الأيبس والقردة .[٤]

---

(١) Buides - Malek , op . cit . , p . 144 (2).

(٢) Id . , op . cit . , p . 137 .

(٣) Z. Saad , Fouilles de Helauon , Les grandes decouvertes archéologique , 1954 .

(٤) Baines - Malek , op . cit . , p . 151 ; Emery , JEA 56 (1970) , p . 1-5 ; Id . , JEA 57 (1971) , p . 9-13 , pl . 13- 14 ; Smith , A Visit to ancient Egypt , Sacred animal necropolis at north Saqqara , Royal Asiatic Society 2 th May 1972 , p . 21 – 35 ; Id . , RdE 24 (1972) , p . 11-22 ; Martin , The Sacred animal necropolis at north Saqqara , Egypt Exploration Society, 1981 ; Green , The Temple Furniture From Sacred animal necropolis at north Saqqara 1964 – 1976 ,(1987) ; Leclant , Orientalia 40 (1971), p . 230 .

كما كشفت بعثة الحفائر المشتركة المكونة من بعثة إنجليزية وهولندية وهما بعثتا جمعية استكشاف مصر الإنجليزية والمتحف القومى للآثار فى ليدن برئاسة الأثرى الإنجليزى مارتين Martin فى يناير عام ١٩٧٥ عن مقبرة الملك حور محب فى سقارة . وكان الأثرى الهولندى كبار Capart قد حدد مكانها عام ١٩٢١.[١]

وتشير أحدث الحفائر الهامة التى تقوم بها هذه البعثة الإنجليزية أن موقع إنب حدج (الجدار الأبيض) فى الأسرة الأولى والثانية كان شمال سقارة وليس منف كما تذكر أغلب الأبحاث السابقة .[٢]

وفى عام ١٩٨٨ – ١٩٨٩ كشف زيفى عن حجرة الدفن الخاصة بالوزير " عبريا" وزوجته تاورت وأبنه حوى فى الموقع المعروف باسم " أبواب القطط " ويقع هذا الموقع أسفل استراحة كبار الزوار بمنطقة سقارة . وأطلق هذا الاسم على المنطقة نظرا لانتشار مومياوات القطة" باستت " فى هذا الموقع . وكان عبريا الوزير الأول فى عهد أمنحتب الثالث وأبنه أمنحتب الرابع.[٣] وهذه أول مرة يتم الكشف فيها عن مقبرة أحد الموظفين الكبار الذين عاشوا فى عصر هذا الملك ودفنوا فى سقارة .

---

(١) Baines – Malek , op . cit . , p . 151 .

(٢) الآن زيفى : مقبرة عبريا ، كشف فى سقارة ، ترجمة عماد عدلى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤- ٥٠ ، Zivie , ASAE 68 (1982) , p . 63 – 69 pl . 1 – 11 ; Id . , le Courrier du CNRS 49 Janvier 1983 , p . 37 –44 ; Id . , ASAE 70 (1984 – 1985) , p . 219 – 232 ; leclant , Orentalia 49 (1980) , p . 362- 363 .

الفصل الثالث

تقسيم عصور تاريخ مصر القديم والتقويم عند المصريين القدماء

التأريخ :

إن أول مشكلة يتعرض لها دارس تاريخ مصر القديم وحضارتها ، هى مشكلة التأريخ والتقويم . فإلى أى تاريخ يمكن أن نرجع بداية عصور ما قبل التأريخ ، وبداية العصور التاريخية ، وبداية ونشأة الحضارة المصرية القديمة ؟

للإجابة على مثل هذا السؤال الصعب ، نقول أنه بالنسبة لتحديد بداية التواريخ البعيدة جدا لعصور ما قبل التأريخ وبالتالى لعصور حضارات ما قبل التأريخ ونشأة الحضارة المصرية القديمة ، لجأ علماء الدراسات المصرية القديمة إلى طريقتين :

أولهما : الاعتماد على ما جاء فى بردية تورين وكتابات مانيتون عن هذه العصور البعيدة ، فتعطينا بردية تورين قائمة بأسماء من يسمون بأنصاف المعبودات (١) ، الذين حكموا البلاد قبل الملك نعرمر – منى ومعهم مدد حكمهم . والعلامات الباقية من الكتابة تسمح لنا بقراءة أسماء تسع أسر من بينها ذكر اسم (نبلاء) منف ، ونبلاء الوجه البحرى ، وأخيرا أتباع المعبود حورس ، ومن حسن الحظ أن السطرين الأخريين وجدا فى حالة سليمة ويمكن قراءة العدد التالى من

---

(١) ويقصد بهم الملوك الأوائل فى تاريخ مصر القديم ، والذى رفعهم المصريون إلى أنصاف المعبودات ، راجع : د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٣١ .

السنوات لهؤلاء الحكام :

- حكام حتى حكم أتباع حورس ٢٣٢٠٠ عام

- حكام اتباع حورس ١٣٤٢٠ عام

وهكذا يرجع المصريون القدماء أنفسهم عصور ما قبل التأريخ (فجر التاريخ) إلى حوالى ٣٦٦٢٠ عام قبل حكم الملك نعرمر – منى أى قبل اتحاد الوجهين وتأسيس الأسرات ، وهذا يعنى – مع بعض التجاوز – أن أصول الحضارة المصرية ترجع إلى أكثر من ٣٦ ألف عام قبل الميلاد .

وإذا رجعنا إلى قائمة مانيتون ، نجد أنه يعطى لأسرات المعبودات تاريخ ١٥١٥٠ عام وإلى الملوك الذين حكموا قبل منى ٩٧٧٧ عام ، أى أنه يعطى العصور ما قبل التأريخ (أو فجر التاريخ) ما مجموعة ٢٤٩٢٧ عام .

ولم يأخذ أغلب العلماء بهذه التواريخ ورأوا أن فيها الكثير من المبالغة ، بل أن بعض المؤرخين يرجع تاريخ تلك الفترة إلى حوالى ستة آلاف عام ق.م [١] .

وفى رأينا أنه إذا ربطنا تاريخ مصر القديم بتاريخ الرسل والأنبياء ابتداء من عصر سيدنا آدم عليه السلام فأنه سيتضح لنا أن أصول حضارة مصر القديمة ترجع إلى أكثر من ٣٦ ألف عام قبل الميلاد . وأنه ليس هناك أى نوع من المبالغة فى هذه التواريخ القديمة ، وكل هذه التواريخ الحديثة هى نوع من الاجتهاد من قبل العلماء الأجانب الذين سجلوا كل هذا فى مؤلفاتهم العلمية وأخذنا عنهم ما كتبوه دون تفكير وإعادة النظر فيما اقترحوه من تواريخ .

ثانيهما : الطريقة العلمية الحديثة التى يطلق عليها أسم " راديو كربون ١٤ " أو كربون ١٤ " وذلك لتحديد بداية تقريبية لهذه العصور البعيدة وقد قامت هذه

---

(١) Gradiner , Egypt of the Pharaohs , p . 16 – 62 .

الطريقة على أساس أن البقايا العضوية [١] ، تحتوى على كمية محدودة من النشـــاط الإشعاعى ، وتقل قوة ذبذبات هذا النشاط حسب خـــط منحـــدر طبقـــا لقـــدم البقايـــا العضوية ، وطالما أنه فى الإمكان تقدير كمية النشاط الإشعاعى التى تحملـــها البقايـــا العضوية ، فإنه يمكن للعلماء تبعا لذلك تحديد طول عمر هذه البقايا العضوية بنـــوع من التقريب ومن هذه البقايا العضوية التى نخضع للفحص ، ما يأتى :

بقايا الأخشاب ، النباتات ، القواقع والأصداف ، العظام المتفحمة ، الأجســاد

---

(١) أى أن كل مادة عضوية وكل شئ حى لابد أن يمتص الكربون ١٤ وعنـــد موت الكائن الحى يتوقف دخول الكربون ١٤ إلى جسمه ويبـــدأ الكربـــون المشع الموجود فعلا فى جسمه يتفكك إشعاعيا إلـــى الخـــارج ، ويســـتطيع العلماء قياس الكمية التى تفككت منه والكمية التى بقيـــت دون تفكـــك فـــى الجسم ، وتم هذا الاكتشاف فى عام ١٩٤٧ وقد قام العلماء بقياس إشـــعاعات كربون ١٤ المتبقية فى الأجسام العضوية ، مثل قطع الأخشاب ، أو الجبـــال أو الجلد .... الخ ، وبذلك يعرف الزمن الذى انقضى منذ أن انقطع تقبلـــها للكربون ١٤ أى منذ موتها أى يصبح نصف المادة مشعا والنصف الآخـــر غير مشع ، وقدر العلماء نصف الحياة للكربون ١٤ هو ٥٥٦٨ عاما .فـــإذا كان لدينا مقدرا أوقية كربون ١٤ داخل قطعة خشب ، فهذه تطلق إشـــعاعات ثابتة ، ولكن بعد ٥٥٦٨ عاما يصبح المقدار نصف أوقية كربون ١٤ وبعـــد ٥٥٦٨ سنة أخرى تصبح ربع أوقية وهكذا . ويستطيع العلماء الآن تقديـــر عمر الأشياء العضوية خلال الأربعين ألف سنة الماضية مع ضرورة وضع احتمال الخطأ فى حدود معقولة ، راجع : د. يسرى غـــلاب – د. يســـرى الجوهرى : الجغرافيا التاريخية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانيـــة ١٩٧٥ ، ص ٣٥ – ٣٦ حاشية (١) .

المتفحمة ، الشعر ... الخ ، ويعثر على بعض هذه المواد أو البقايا العضوية فى المناطق الأثرية المتفرقة وأثناء عملية الحفائر . وأعتمد علماء الدراسات المصرية القديمة على هذه البقايا والمواد التى يتم العثور عليها فى بعض المواقع والمحلات الأثرية التى ترجع إلى عصور ما قبل التأريخ (أو فجر التاريخ) ، وذلك لإعطاء تواريخ تقريبية لهذه المواقع الأثرية أو المحلات أو المركز السكانية التى سكنتها أقدم سلالات الإنسان المصرى وتركت فيها بقايا الأدوات التى استخدمتها (١) . وأعطى العلماء لبعض هذه المواقع أو المحلات أو المراكز السكانية بما فيها من معالم أثرية

---

(١) عثر فريق علمى مصرى – أمريكى – بولندى – على هيكل عظمى كامل متحجر لإنسان مصرى عاش فى منطقة وادى الكوبانية غرب نهر النيل فى كوم أمبو يرجع إلى عشرين ألف عام قبل الميلاد . ونشرت أخبار هذا الكشف الأثرى الهام فى جريدة الأهرام ١٧ / ١ / ١٩٨٧ . وكانت البعثة الأمريكية تابعة لجامعة دالاس وتم العثور على هذا الكشف بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٨٣ . كما نجحت بعثة جامعة الينوى الأمريكية بشيكاغو فى العثور على هيكل عظمى آخر لإنسان مصرى بمنطقة وادى فيران بسيناء وذلك بعد أبحاث ودراسات علمية استمرت خمس سنوات وقدر العلماء عمره بثلاثة وثلاثين ألف سنة . وتمكنت البعثة من استخلاص الهيكل من الصخور الكلسية التى تحجرت حوله من آلاف السنين . وذكر د. البهى عيسوى عالم الجيولوجيا المصرى الذى شارك البعثة أعمالها أن بقايا هذا الإنسان تعتبر أقدم من إنسان وادى الكوبانية . كما ذكر أن الدراسات الجيولوجية والأثرية بالمنطقة أشارت إلى أن الإنسان المصرى القديم كسن مناطق عديدة فى سيناء منذ أكثر من ٦٠ ألف سنة وذلك بسبب العثور على بقايا عظمية لحيوانات منها الماعز ورواسب بحيرات كانت مملوءة بالماء العذب أهمها بحيرتان : الأولى كانت تمتد من جنوب سانت كاترين بطول ٣٠ كم والثانية حول وادى فيران بطول ٢٥ كم وأن الأمطار كانت تسقط بغزارة فى المنطقة مما دفع الإنسان المصرى لسكنى هذه المناطق إلى---

بسيطة والتى ترجع إلى العصر الحجرى الحديث ، والتواريخ التقريبية الآتية [1]

--- أن توقف المطر وحل الجفاف بالمنطقة من نحو ١٢ ألف سنة . وأكد د. عيسوى أن الاهتمام بدراسة منطقة وادى فيران بواسطة علماء الجيولوجيا وعصور ما قبل التأريخ سوف يضيف الكثير من المعلومات عن الإنسان المصرى القديم ، ونشرت تفاصيل هذا الكشف الأثرى الهام فى جريدة الأهرام فى ٢٠ / ٩ / ١٩٩٢ . وقام د . بهى عيسوى ود.السيد زغلول بنشر أبحاثهما عن المحلات السكانية فى وادى فيران فى مجلة الجمعية الجغرافية المصرية :

Bulletin de la Societe géographique de l'Egypte, vol. LXIX (1996) , p . 97 – 112 .

(وقد أمدنا د. بهى عيسوى بهذا المرجع) . وفى نزلة خاطر بمحافظة قنا تم العثور على مدفن لعامل فى محجر ويرجع تاريخ الدفن إلى ثلاثة وثلاثين ألف سنة ، ونشرت أخبار هذا الكشف فى جريدة الأخبار ١٥ / ١٢ / ١٩٩٣ . وكل ذلك يثبت قدم عمر الإنسان المصرى الأول الذى عاش فى طول البلاد وعرضها فى عصور ما قبل التأريخ . كما أننا نأمل فى المزيد من الكشوف الأثرية للعثور على بقايا هذا الإنسان التى ترجع إلى هذا الزمن السحيق . وفى ضوء التواريخ المقترحة التى أمدتنا بها الكشوف الأثرية الحديثة فعلى علماء عصور ما قبل التاريخ مراجعة التواريخ التى أعطونا إياها لهذه العصور البعيدة فى مصر . وبالتأكيد سوف يعيدون النظر أيضا فى آرائهم بالنسبة لفترات أنصاف المعبودات وأتباع حورس التى ذكرتها بردية تورين ، وهى فترات تعادل عصور ما قبل التأريخ والتى تعطيها البردية تواريخ ترجع إلى حوالى ٣٦,٦٢٠ سنة ، كما ذكرنا فيما قبل ص ٣١٤ .

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤٨ .

- حضارة العمرى حوالى ٥٠٠ عام ق.م
- حضارة ديرتاسا حوالى ٤٨٠٠ عام ق.م
- حضارة البدارى حوالى ٤٥٠٠ عام ق.م
- حضارة مرمدة بنى سلامة حوالى ٤٤٠٠ عام ق.م
- حضارة الفيوم[1] حوالى ٤٢٠٠ عام ق.م
- حضارة العمرة (وهى معاصرة لحضارة نقادة الأولى ما بين ٤٤٠٠ و ٣٨٥٠ عام ق.م .
- حضارة جرزة (وهى معاصرة لحضارة المعادى) ما بين ٣٩٥٠ و ٣٤٠٠ عام ق.م .

وكما نعلم أنه سبق العصر الحجرى الحديث ، ثلاثة عصور أقدم هى : فجر العصور الحجرية ، العصر الحجرى القديم ، العصر الحجرى الوسيط ، ومن المحتمل أن هذه العصور قد استمرت أكثر من ألف عام ، وطالما أن أقدم حضارة العصر الحجرى الحديث يرجعها العلماء إلى حوالى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، فإن بادية عصور ما قبل التأريخ (أو فجر التاريخ) بما فيها من عصور حجرية أربعة ، يمكن أن ترجع إلى حوالى ستة آلاف عام ق.م ، كما يميل بعض المؤرخين إلى هذا التاريخ .[2]

ويمكن القول بأنه خلال هذه الفترة الطويلة ، شهدت أرض مصر القديمة أول استقرار للإنسان عليها ، ومحاولة التجاوب مع عناصر البيئة ، كيف تغلب على الصعاب التى واجهته ، وكيف استغل الموارد الطبيعية فى البيئة ، وكيف أثرت

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ١٩٦٦ ، ص ٣٨ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٩ ، ص ٢١ ؛ Gardiner , Egypt of the Pharaohs, p . 61 – 62 .

عناصر البيئة على حياة الإنسان ، فهى فترة طويلة من التجارب والتطور أرسى فيها الإنسان المصرى الأسس الأولى لحضارته فى مجال الديانة والمعتقدات ، والزراعة ، والصناعات البسيطة ، والفنون المختلفة ، وتطوره بنظمه الاجتماعية الأولية ، كما تحددت فى هذه الفترة أيضا معالم تاريخه الذى مر بمراحل التكوين السياسى حتى انتهى بتحقيق الوحدة السياسية للبلاد . أما بالنسبة لتحديد بداية العصور التاريخية والتطور الحضارى . فنقول أن المصريين لم يتبعوا فى نقوشهم أو كتاباتهم على الآثار المختلفة طريقة تاريخ موحدة لعصور مستمرة ودائمة تتوالى وراء ، بعضها البعض ، وكما ذكرنا سابقا عند الحديث عن القوائم الملكية ، أن ما نجده على هذه القوائم هى مجرد أسماء ملوك مع مدد حكمهم ، ولم يستخدموا فى هذه القوائم بداية زمنية ثابتة لعصورهم التاريخية أو عصور حكم ملوكهم ، ولكن جعلوا حكم كل ملك كأنه تقويم قائم بذاته ، ومع بداية حكم كل ملك جديد يبدأ تاريخ جديد بذكر السنة الأولى من تولى الحكم ، وهكذا فليس أمامنا تاريخ ثابت متوالى منذ صعود أول ملك معروف على عرش مصر القديمة ، حتى مانيتون لا يعطينا فى كتاباته تاريخا ثابتا من البداية بل أعطانا المجموع الكلى لسنوات الأسرات .

ولهذا لجأ العلماء إلى طريقة كربون ١٤ ، التى طبقت على بقايا أثرية تحمل علامات كتابية ، ورأوا أن أو ظهور لأثر يحمل علامات كتابية يرجع إلى تاريخ ٣٠٠٠ عام ق.م ، وهو تاريخ تقريبى ، ولهذا لم يقبله بعض العلماء ، ويرى البعض الآخر أن بدء الأسرة الأولى ، وظهور بعض علامات الكتابة المتقنة على صلاية نعرمر ، إنما يرجع إلى حوالى ٣٢٠٠ عام ق.م[(١)] أى أن القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد هو الذى يحدد بداية العصور التاريخية وهى الفترة التى ارتقى فيها نعرمر – منى عرش البلاد وتولى مقاليد الحكم وحقق وحدة البلاد السياسية ، كأول ملك فى الأسرات المصرية وأول ملك تذكره القوائم الملكية ولكنها تذكر الجزء

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ حاشية (١) .

الثانى من اسمه فقط : منى [1].

تقسيم عصور تاريخ مصر :

لما كان من الصعب إعطاء تواريخ ثابتة أو مؤكدة لعصور ما قبل التأريخ (أو فجر التاريخ) ، ولما كان من الصعب أيضا حصر الأعداد الكبيرة من الملوك الذين توالوا على عرش البلاد طوال عصورها التاريخية ، والذين تعرفنا على أسماء أغلبهم عن طريق القوائم الملكية ، والآثار المتعددة التى تركوها لنا ، أو عن طريق النصوص المختلفة . لذلك لم يجد علماء الدراسات المصرية القديمة أفضل من التقسيم الذى طبقه مانيتون فى تقسيمه لتاريخ عصور تاريخ مصر القديم ، ورأوا بأنه يمكن جمع هذه الأسرات مع بعضها بعضا تحت مسميات معينة طبقا لما شهدته البلاد من أحداث أو طبقا لبعض المظاهر الحضارية التى كانت سائدة فى عصرها . ورأوا بأنه يمكن تقسيم عصور هذه الأسرات إلى تسع فترات محددة ، تختلف كل منها عن الأخرى من حيث العوامل التى أدت إلى بدايتها واستمرارها وتطور مظاهر حضارتها ثم العوامل التى عجلت بانتهائها [2] . وبعد انتهاء فترات الحكم المقدونى والبطالمة والرومان .

١- عصور ما قبل التأريخ (أو فجر التاريخ) :

(من الصعب تحديد بداية زمنية لها وربما استمرت أكثر من أربعة آلاف عام) .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٢٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : الجزء الأول ، مصر والعراق ، ص ٩٩- ١٠٠ ؛ وأيضا :. Vercoutter , L'Egypte Ancienne, p. 34 – 35

(٢) يقسم د. عبد العزيز صالح : فترات تاريخ مصر القديم إلى ثمان فترات اعتبارية كبيرة ، راجع : المرجع السابق ، ص ٣١ – ٣٣ .

وتسمى أيضا العصور الحجرية [١] أو عصر فجر التاريخ [٢] ، أو عصـــور ما قبل التأريخ[٣] وهى من أطول الفترات فى تاريخ مصر القديم من حيــث الامتــداد الزمنى ، وبسبب قدمها وبعدها الساحق لا يمكن تحديــد تــاريخ معيــن لطولـــها أو لاستمرارها ، أن فترة الأربعة آلاف عام هذه ، تعتبر فـــترة قصــيرة فــى بعدهــا الزمنى . وهى تعتبر كذلك من الفترات الأكثر غموضا غى تاريخ مصـــر القديــم . وهى فترة معروفة عن طريق بعض المخلفات الأثرية من أدوات عديدة فـــى بعـــض الواقع أو المحلات أو المراكز السكانية . وأحداثها معروفة عن طريق بعض النقــوش المختصرة ، التى تحملها الآثار والتى تخص بعض الشخصيات ، وهى تمدنا ببعــض المعلومات الهامة عن وظائفهم وألقابهم وأسمائهم ، وأخيرا عن طريق بعض البطاقات الصغيرة من العاج ، التى تسجل بعض الأعمال والمشاريع الهامـــة التـــى قـــام بـــها الحكام ، والأحداث التى تخص الصراع بين الممالك والبيـــوت المختلفـــة ، والمـــدن الهامة التى تكونت فى تلك الفترة فى الوجه القلبى والوجه البحرى ، والتى تشير إليـــها بعض نقوش الصلايات ومقامع القتال .

٢- عصر بداية الأسرات (٣٢٠٠ – ٢٧٨٠ ق.م) :

وهو العصر الذى يحدد بداية التأريخ المتفق عليه ، ويســـمى أيضـــا بدايـــة العصور التاريخية [٤] ، والعصر العتيق ، والعصر الثينى نسبة إلى مدينة ثينى والتـــى تقع بالقرب من أبيدوس ، ويسمى أيضا عصر التأسيس أو عصر الأسرات المبكـــوة[٥] ويشتمل الأسرتين الأولى والثانية ، وقد أرتبط به عاملان : عامل سياســـــى ، وهـــو تحقيق وحدة البلاد ووضع أسس نظم الحكم والإدارة واختيار عاصمة إدارية للبـــلاد ،

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢ .
(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢ .
(٥) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

وعامل حضارى هام وهو اختراع الكتابة وما ترتب عليه من عوامل تطور فى مختلف المجالات الحضارية .

٣- **عصر الدولة القديمة** (٢٧٨٠ - ٢٢٦٣ ق.م) :

ويسمى أيضا عصر بناة الأهرام، أو العصر المنفى، نسبة إلى مدينة منف . ويبدأ من الأسرة الثالثة حتى السادسة ، وقد ارتبط بهذا العصر الكثير من المظاهر الحضارية وخاصة فى فن العمارة ، وتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية وخاصة هى فن العمارة ، وتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية فى الداخل ، وتأمين الحدود فى الشرق والغرب والجنوب ، وتطور العلاقات والاتصالات ببعض بلدان الشرق القديم وخاصة بلاد الشام .

٤- **العصر الوسيط الأول** (٢٢٦٣ - ٢٠٥٢ ق.م) :

أطلق المؤرخون على هذا العصر أسماء عديدة منها :

عصر اللامركزية الأولى . عصر الانتقال الأول [١] . العصر المتوسط الأول[٢] ، عصر الفترة الأولى [٣] . ولكننا نفضل تسميته بالعصر الوسيط الأول نظرا ، لوقوعه بين عصريين كبيرين وهامين أو بين دورتين تاريخيتين كما يذكر

---

(١) . د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص د ، ص ٣٢ . ١٤١ . وهى نفس التسمية التى نجدها فى المرجع الأجنبية : "First intermediate Period " = Gardiner , Egypt of the Pharaohs , Oxford 1966 , p 437 .
" La Premiere Periode intemediaire " = Drioton – Vandier , L'Egypte (ed . 1946) , p 668

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٥٧ ، ص ١٢٩ ؛ وأيضا د. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية (ترجمة : د. أحمد موسى و د. أحمد يوسف) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٧ عام ١٩٩٨، ص ٤٠، ٢٧١ ولكنه لا يعطى بداية تاريخية لهذا العصر ولكنه يذكر أنه يغطى الفترة من الأسرة السابعة إلى الأسرة العاشرة (؟ إلى ٢٠٦٠ ق . م).

د. صالح[١] هما عصر الدولة القديمة الذى رأينا فيه عدة شواهد معمارية تمتاز بروعة البنيان ، وما كان ذلك إلا نتيجة استقرار نظم الحكم والإدارة وما صاحب ذلك من تطور فى النظم الاجتماعية والاقتصادية وفى المعتقدات والعقائد وفى مختلف أنواع الفنون والاتصالات الخارجية وتأمين حدود البلاد . وعصر الدولة الوسطى وسوف نرى فيه عودة وحدة البلاد السياسية وحسن التخطيط فى السياسة الداخلية للبلاد وما صاحب ذلك من نشاط فى مشروعات الحياة الاقتصادية والتطور والازدهار فى الأساليب الفنية فى النحت والنقش والرسم والتلوين وفى كافة المظاهر المعماربة وفى الأدب بفروعه والتوسع فى الاتصالات الخارجية .

ويبدأ العصر الوسيط الأول[٢] من نهاية الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة. وهى ضعف سباسى وثورة اجتماعية فى الداخل ، ظهر فبها ضعف السلطة المركزية وازدياد نفوذ حكام الأقاليم، وقيام أول ثورة اجتماعية فى تاريخ البلاد من جراء تردى الأوضاع الاجتماعية وسوء الحالة الافتصادية. وعقب تلك الثورة، جاءت فترة أصبح فيها العرش محل نزاع بين بيوت وعائلات وأسرات قوية من بينها

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص د ، ص ١٥٢ .

(٢) نلاحظ أن هذه التسمية " العصر الوسيط الأول " (عصر الإقطاع) و" العصر الوسيط الثانى " (عصر الاحتلال الأجنبى) جاءت فى مؤلف " ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى – المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٦٢ ـ ص ٩٨ ، ١٠١ ،٦٢٣ . وجاءت التسمية نفسها : العصر الوسيط الأول ، العصر الوسيط الثانى ، فى مؤلف رندل كلارك : الرمز والأسطورة فى مصر القديمة (ترجمة أحمد صليحه) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ ، ص ١٢ ؛ د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٤٠ ، ٤٦ ؛ وأيضا : د. عبد الحميد زايد : أبيدوس ، الهيئة العامة لشئون مطابع الأميرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢-٣ .

أدعياء للحكم وطامعون فيه . وتوقفت نتيجة لذلك عجلة البناء والتطور الحضارى .

٥- عصر الدولة الوسطى (٢٠٥٢ – ١٧٨٥ ق.م) :

ويشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وفى هذه الفترة استعادت مصر وحدتها السياسية وتابعت التطور الحضارى فى كافة المجالات . وقام الملوك خلالها بتأمين الحدود الشرقية والجنوبية . وتنفيذ العديد من المشروعات العمرانية فى الداخل . وخاصة مشاريع الرى وتخزين مياه الفيضان فى بحيرة الفيوم .

٦- العصر الوسيط الثانى (١٧٨٥ – ١٦٠٤ ق.م) :

أطلق المؤرخون عليه أسماء عديدة منها :

عصر اللامركزية الثانية ؛ عصر الانتقال الثانى[1] العصر المتوسط الثانى[2] ؛ عصر الفترة الثانية [3] . ويقع بين عصرين كبيرين هما عصر الدولة الوسطى الذى رأينا فيه عودة وحدة البلاد السياسية وما تم إنجازه فى مجال السياسة الداخلية والخارجية. وعصر الدولة الحديثة وسوف نرى فيه ظهور مجموعة من الملوك الكبار وما سوف يتحقق على أيديهم فى مجال السياسة الداخلية وفى نظم الحكم والإدارة والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية والحياة الدينية والعقائدية والحياة الفنية وخاصة فى مجال العمارة. وما سوف يتحقق على أيديهم أيضاً فى السياسة الخارجية وما صاحب ذلك من تطور فى مجالات العلاقات الخارجية وتكوين مناطق نفوذ خاضعة للحكم المصرى فى بعض بلاد الشرق القديم. ويبدأ العصر الوسيط

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص هـ ، ص ٣٢ ، ١٨٣ ، وهى نفس التسمية التى نجدها فى المراجع الأجنبية ، راجع :, Gardiner op cit ., p . 440 ; Drioton – Vandier , op . cit ., p . 669 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٩٢ ؛ وأيضا ر. الحلباخ : المرجع السابق ، ص ٤٣، ٢٧٨ ويذكر أن هذا العصر يشمل الأسرات ١٣ – ١٦ .

الثانى من الأسرة الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة . وهى فترة شهدت فيها البلاد فى نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، شدة الصراع على السلطة وما ترتب عليه من تمزق لوحدة البلاد وضعفها سياسيا ، وأدى ذلك إلى تعرضها للغزو والاحتلال الأجنبى وحكم ملوك الهكسوس لها لأول مرة تاريخها . وللمرة الثانية تتوقف عجلة التطور الحضارى وتفقد الفنون أصالتها وجمالها المعهود .

٧- **عصر الدولة الحديثة** (١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق.م) :

ويسمى أيضا عصر التوسعات المصرية ، وتكوين الإمبراطورية ، ولكن نفضل القول ، عصر تكوين مناطق النفوذ المصرى فى الخارج وخاصة فى بلاد الشام وفلسطين وكسب ود أمراء وحكام هذه البلاد . ويبدأ من الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين ، وهى الفترة التى بدأت بانتهاء حرب التحرير ، واستعادت الملكية لهيبتها وقوتها . وبدأ ملوك تلك الفترة يفكرون فى أنه لا أمان لهم من غزو أجنبى جديد إلا إذا خرجوا حدود مصر وسيطروا بأنفسهم على مداخل الهجرات والغزوات فى شمال سوريا وأطراف بلاد النهرين . وكان من نتيجة ذلك إتباع سياسة الغزو وما ترتب عليه من تكوين مناطق نفوذ للحكم المصرى فى تلك البلاد ، وازدياد ثراء الحياة الاقتصادية والاجتماعية وانعكس كل ذلك على المظاهر الحضارية فى الداخل . ولم يكن من السهل دائما المحافظة على ذلك النفوذ والتأثير فى الخارج لأنه كان يخضع لقوة شخصية الملك الجالس على العرش .

٨- **العصر الوسيط الثالث** (١٠٨٥ - ٦٦٤ ق.م) :

ويسميه بعض المؤرخين العصر المتوسط الثالث [١] . أو عصر الانتقال الثالث [٢] . ويقع بين عصرين كبيرين هما عصر الدولة الحديثة وما رأينا فيه من

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٨٢٥ .

(٢) Kitchen , The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 BC) , London , 1973 .

أحداث وتطورات فى كافة مجالات الحضارة . والعصر المتأخر وسوف تـرى فيـه البلاد فترات قوة ومجد وفترات ضعف وانكسار وحكم أسرات من أصـل أجنبـى ، وهو يعتبر من أطول الفترات فى تاريخ مصر القديم ، ويبدأ العصر الوسيط الثـالث من الأسرة الحادية والعشرين حتى الأسرة الخامسة والعشرين . وقد شهدت البلاد فـى هذا العصر مظاهر القوة والضعف . فقد حكمتها أسرات وطنية صغيرة لـم تسـتمر طويلا فى الحكم . ولم يلعب ملوكها أدوار هامة على مسرح الأحـداث السياسـية ، وأسرات أخرى من أصول وعائلات أجنبية استقرت فى مصر منذ فترة حتى أتيح لها بسبب نفوذها وثرائها أن تتولى حكم البلاد . ولكن لم يحققوا ما حققه الملوك السـابقين من إنجازات ضخمة أو مؤثرة على الصعيد الداخلى . وتعرضت البلاد فـى نهايـة الأسرة الخامسة والعشرين للغزو الآشورى أكثر من مرة . ويشـمل هـذا العصـر الأسرات الآتية :

- الأسرة الحادية والعشرين (حكم فيها ملوك كانوا أصلا كبارا لكهنة آمـون) مـن حوالى ١٠٨٥ – ٩٥٠ ق.م .

- الأسرة الحادية والعشرين والثالثة والعشرين (حكم فيها ملوك من أصـل ليبـى) حوالى ٩٥٠ – ٧٣٠ ق.م .

- الأسرة الرابعة والعشرين (حكم فيها ملكان من مدينة سايس (ساو) فى غـرب الدلتا) من حوالى ٧٣٠ إلى ٧١١ ق.م .

- الأسرة الخامسة والعشرين (حكم فيها ملوك من نبتا) ثم حدث الغزو الآشـورى الأول والثانى والثالث حوالى ٧٤٨ – ٦٦٤ ق.م .

٩- **العصر المتأخر** (٦٦٣ –٣٣٢ ق.م) :

وسوف نرى كيف عاشت البلاد فى هذه الفترة الطويلة فترات يقظة وتحـرر وقوة ومجد وضعف ونهضة وازدهار وانهيار وتصدع وأفول وغروب فـى الحيـاة السياسية والإدارية العمران والفن والأدب . وتتمثل فترات القوة والمجد والعودة إلـى القديم فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ، والضعف فى عصر الأسـرة السـابعة

والعشرين ، والنهضة والازدهار فى عصور الأسرتين الثامنة والعشرين حتى الأسرة الثلاثين ، والانهيار والتصدع فى عصر الأسرة الحادية والثلاثين ، والأفول والغروب مع دخول الإسكندر الأكبر مصر .

وفى رأينا أن فترة العصر المتأخر تبدأ من الأسرة السادسة والعشرين حتى الحادية والثلاثين [1] فنجد اليقظة والتحرر والقوة والمجد على أيدى أسرات وطنية حكمت البلاد بقوة واعتزت بماضيها وتراثها وبما هو قديم . ويتمثل الأفول والضعف فى الاحتلال الفارسى وتمزق وحدة البلاد السياسية وقيام بعض الأمراء الوطنيين المحليين بقيادة المقاومة ضد هذا الاحتلال ولكنهم لم يكونوا فى قوة أمراء طيبة السابقين الذين نجحوا فى طرد الهكسوس وتحرير البلاد . وبانتهاء عصر الأسرة الثلاثين تنتهى عصور التاريخ القومى المصرى القديم .

ويشمل هذا العصر المتأخر الأسرات الآتية :

- الأسرة السادسة والعشرين (حكم فيها ملوك من مدينة سايس (ساو) فى غرب الدلتا مرة أخرى) ٦٦٣ – ٥٢٥ ق.م .
- الأسرة السابعة والعشرين (حكم فيها ملوك من بلاد فارس بعد الغزو الفارسى الأول) حوالى ٥٢٥ – ٤٠٤ ق.م .

----

(١) هناك بعض المؤرخين الذين يطلقون التسمية " العصر المتأخر " على الفترة من الأسرة الحادية والعشرين حتى الأسرة الثلاثين ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ ، أما د. صالح فيطلق هذه التسمية على الفترة من الأسرة الثانية والعشرين حتى الأسرة الثلاثين ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص هـ ، ص ٣٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٥ ، ٢٢ ، ٢٩٠ ؛ أما ر. انجلباخ: المرجع السابق ، ص ٥٥. ٢٩١ فيسمى هذه الفترة " العصر المتأخر المصرى " ويبدأ من الأسرة الخامسة أو السادسة والعشرين إلى الأسرة الثلاثين ، وكذلك بعض المؤرخين الأجانب يطلقون نفس التسمية := " Late Dynastie Period " Gardiner, op . cit ., p 447 ; " Basse Epoque " = Drioton – Vandier, op cit . (ed . 1952) , p . 631 .

- الأسرة الثامنة والعشرين حتى الثلاثين (آخر الأسرات الوطنية المصرية) حوالى ٤٠٤– ٣٤١ ق.م .

- الأسرة الحادية والثلاثين (الغزو الفارسى الثانى ثم دخول الإسكندر الأكبر مصر) حوالى ٣٤١ – ٣٣٢ ق.م .

وبعد هذا العصر تعرضت البلاد لأكثر من غزوة أجنبية وحكمت بواسطة أكثر من أسرة أجنبية .

١٠– الحكم المقدونى وحكم البطالمة والرومان (٣٢٣ق.م إلى ٣٩٥ ميلادية) :

وهو عصر آخر وأطول احتلال أجنبى استمر مئات السنين . وذلك بدخول الإسكندر مصر وتكوين الأسرة المقدونية من عام ٣٣٢ إلى ٣٢٣ ق.م . وبعد رحيله وانتهاء حكم هذه الأسرة المقدونية حكمت مصر أسرة جديدة هى أسرة الملوك البطالمة التى استمر حكمها حوالى ثلاثة قرون من عام ٣٢٣ إلى ٣٠ ق.م [١] . وبعد ذلك دخل الرومان مصر وحكمها الأباطرة الرومان وأستمر حكمهم من عام ٣٠ ق.م إلى ٣٩٥ ميلادية .[٢]

وما يهمنا فى هذا التقسيم هى فترات التاريخ القومى المصرى القديم بما فيها من تسميات لعصورها التسعة ، أما عصر البطالمة والرومان[٣] فله أكثر من متخصص ومؤلف وعالم فى عصوره المختلفة فى مصر وخارجها .

هذا هو التقسيم الذى قام به علماء الدراسات المصرية القديمة بالنسبة لتاريخ مصر القومى القديم . وهو فى الواقع التقسيم نفسه الذى قام به مانيتون من قبل فيما

---

(١) ويبدأ من عصر بطلميوس الأول حتى عصر كليوباترا السابعة. راجع: ر. انجلباخ : المرجع السابق ، ص ٦٠ – ٦٢ .

(٢) ويبدأ من عصر أوغسطس حتى عصر ديوكليتيان، راجع : ر. انجلباخ : المرجع السابق ، ص ٦٢–٦٥ (٤٠ اسما)

(٣) نقول عصر البطالمة أو الفترة البطلمية وليس " الفترة اليونانية " وأيضا " العصر البطلمى – الرومانى " كما يذكر د. محمود السعدنى : قبر الإسكندر الأكبر ، احتمالات موقعه وشكله ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٩٠ حاشية (٢ب).

عدا تسميات العصور التسعة أو العشرة فهى من تفكير علماء الدراسات المصرية القديمة والتاريخ القديم الأجانب .

والواقع أنه خلال العصور الطويلة من تاريخ مصر القديم كان هناك أنبياء ورسل يبلغون رسالات ربهم ، وبعضهم وفد إلى مصر ونشأت علاقات بينهم وبين بعض ملوك مصر القديمة ، وأثر ما نادوا به من رسالات فى بعض عناصر أو جماعات من الشعب المصرى ، وجاء فى مقدمة بعض الكتب المقدسة أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يستقر فى البداية فى أرض كنعان (فينيقيا) بل رحل إلى مصر وأستقر فيها فترة ، ثم عاد ثانية إلى أرض كنعان وأستقر فى أرض تسمى " حبرون " ثم أنجب سيدنا يعقوب الذى رحل إلى مصر فى قصة تمر أحداثها من الآلام والمتاعب يسببها له أولاده لكراهيتهم لأخيهم يوسف عليه السلام ، وتجبرهم على أبيهم النبى ، ثم يصابون بالقحط ويبحثون عن مأوى فى مصر إذ تولى يوسف عليه السلام أمر وزارتها بعد أن مكث فترة فى غياهب السجون ، ويكتب الله على بنى إسرائيل هجرة جوع من أرض كنعان إلى مصر ، ويظلون بها حتى يذوقوا ظلم فرعون وبطشه ، حتى يبعث الله سيدنا موسى عليه السلام ، ويكتب على يديه خلاصهم وخروجهم من مصر . وتذكر لنا آيات القرآن الكريم الظروف التى مر بها سيدنا يوسف وسيدنا موسى فى مصر .(١)

ومن المعروف أن آيات القرآن الكريم لم تذكر لنا أسم الملك أو الحاكم الذى عاصر هؤلاء الرسل والأنبياء . وكما ذكرنا من قبل أننا لم نعثر حتى الآن فى المصادر الأثرية المختلفة على نص دينى أو نقش ما يشير إلى الفترة الزمنية التى كان يعيش فيها سيدنا إبراهيم ، وسيدنا يعقوب ، وسيدنا يوسف ، وسيدنا موسى وهارون فى مصر ومن عاصرهم من ملوكها القدماء . فما زال موضوع تحديد وقتهم أمرا غامضا ، ولهذا فمن الصعب تحديد عهود هؤلاء الرسل والأنبياء داخل

---

(١) د. رؤوف شلبى : عودة القدس الشريف ، فى مجلة من ثمار الفكر ، جامعة قطر الموسم الثقافى العاشر ، ١٩٨٥ ، ص ٥٣ – ٥٤ .

الفترات المختلفة لهذا التقسيم التاريخى الطويل ، ولا شك أن أغلبهم قد عاصر أحداث بعض عهود هذا التاريخ وساهموا هم أنفسهم فى مجريات الكثير من الأحداث بما نادوا به من مبادئ سماوية أثرت بدون شك فى عقيدة مجموعة من المصريين القدماء . وسيظل هذا الأمر غير معروف إلى أن تظهر الكشوف الأثرية أو النصوص التى لا تزال غير معروفة ، الوقت الذى كان فيه هؤلاء الرسل يباركون أرض مصر الطيبة . فقد سار على ترابها سيدنا يوسف عليه السلام الذى حمى مصر من المجاعة [١] . وعاش عليه كذلك سيدنا موسى عليه السلام .[٢] ومشت فوقه أطهر نساء الخلق السيدة مريم العذراء تحمل فوق صدرها سيدنا عيسى عليه السلام . ولا أحد يعرف كم من الزمن مكث سيدنا عيسى على أرض مصر ولكن يكفى أن مصر كانت ملاذا لنبى الله ولأمه الطاهرة من بطش الرومان .

وعاشت فوق أرض مصر السيدة ماريا القبطية وزوجة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أهداها أليه المقوقس كبير قبط مصر ، فأتخذ منها زوجة وأنجب منها ولد اسمه ابراهيم ، بكاه سيدنا رسول الله يوم رحل صغيرا .

وفوق هذا التراب المقدس عاش ومشى ودفن العديد من القديسين والأنبياء والرسل وأولياء الله الصالحين والمتعبدين والنساك والمتصوفين ورجال صالحون مخلصون لدينهم ولربهم ، منهم من نشأ على هذه الأرض الطيبة أو جاء مهاجرا من بلاد الشرق أو شمال أفريقيا وخاصة المغرب الشقيق .

وهذا من فضل الله على أرض مصر وعلى المصريين بوصفهم أول من عبدوا الله على هذه الأرض التى هى " كنانة الله فى أرضه " وبوصفهم حماة الأنبياء والرسل والمدافعين عن دين الله فى أرض الله الواسعة .

---

(١) سورة يوسف : آيات ٢٠ – ٣٥ ، ٤٣ – ٤٩ ؛ وأيضا د. رؤوف الطويل : بنو إسرائيل فى القرآن ، ١٩٨٠ ، ١٩ – ٢٠ ؛ د. عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القرآن ١٩٨٠ ، ص ١١ .

(٢) سورة طه : آيات ٣٨ – ٧٩ ؛ القصص : ايات ٧ – ٢٠ .

وبما أن ذكرهم وذكر تاريخهم المجيد اسمى من أن يقوم بتسجيله أشخاص أو كتبه عاديون أو رواة في العصور القديمة لأن تاريخهم تاريخ مقدس . فربما نجد بعض المقتطفات عن سير هؤلاء الأنبياء والرسل تناولها بعض الكتبة في عصور لاحقة على العصور التي تواجد فيها هؤلاء الأنبياء . ولذا نحن فى حاجة ماسة إلى إعادة تقسيم عصور تاريخ مصر القديم بوجه عام متضمنا عصور هؤلاء الأنبياء بداية من عصر سيدنا آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى . ولاسيما أننا نعلم من آيات القرآن الكريم أن سيدنا نوح وحده ظل يدعو قومه للهداية مدة آلف سنة إلا خمسين عاما .[١]

التقويم:

نعلم من بردية تورين أن مدة حكم كل ملك قد أعطيت بالسنة والشهر واليوم ونحن نعلم من المصادر الأثرية الأخرى أن المصريين لجأوا منذ بداية الأسرات إلى تقسيم السنة إلى ثلاثة فصول :

الفيضان وأطلقوا عليه اسم آخت (ويبدأ من منتصف شهر يوليو حتى منتصف نوفمبر) ويتم فيه بذر الحبوب أى أن هناك ربط بين كلمة آخت " بمعنى " أفق" وفصل آخت على أساس أن بذور الزرع يشبه بزوغ الشمس من الأفق .

الشتاء وأطلقوا عليه اسم برت (يبدأ من منتصف شهر نوفمبر حتى منتصف مارس) ويظهر فيه خروج الزرع بالكامل من الأرض أى فصل الإنبات .

الصيف وأطلقوا عليه اسم شمو (يبدأ من منتصف شهر مارس حتى منتصف يوليو) ويتم فيه نضج النبات وحصاده وتصاب فيه الأرض بالجفاف .

---

(١) سورة العنكبوت : آية ١٤ " ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون " .

وكان كل فصل مقسما إلى أربعة أشهر ، والشهر إلى ثلاثين يوما . ولكل يوم اسمه الخاص . وقسم اليوم إلى أربع وعشرين ساعة . اثنتا عشرة ساعة للنهار واثنتا عشرة لليل . وتحمل كل ساعة اسما معينا يحدد تأثيرها فى عامل الوقت .(١) وكانوا يعرفون أن النهار أو الليل قد يطول فتتأخر الشمس أو تتقدم فى شروقها أو غروبها .

وقد قاس المصريون ساعات النهار بساعات النهار بساعات شمسية ، كانت عبارة عن صفحات مستديرة من الحجارة أو الخشب عليها مؤشر ، كانوا يقيسون الوقت بمدى امتداد الظل عليها . أما ساعات الليل فقاسوها بساعات مائية ، كانت عبارة عن آنية كبيرة تملأ بالماء حسب الذى يقطر ببطىء وبالتدريج من خلال ثقب فى قاعها ، ويحدد الوقت حسب نزول مستوى سطح الماء .(٢)

استخدموا السنة الشمسية وليست السنة القمرية كبقية شعوب العالم القديم . وأضافوا إلى السنة خمسة أيام إضافية .(٣) سماها اليونانيون باسم " أيام النسى " Epagomenal . وكانوا يحددون بادية العام الجديد باليوم الأول من الشهر الأول لفصل الفيضان (٤)وقاموا أيضا بتحرير نتائج بتواريخ الأعياد الدينية والرسمية (٥)

---

(١) Gardiner , Egypt of Pharaohs . p . 65 ; Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 7-8 .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٨٨ وشكل ١٠ – ١١ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٤) Gardiner , Egypt Grammar , London (1954) , p . 203 .

(٥) Pap . Sallier IV =Hawkins , Select . Pap . in the Hier . Character , pI .151-162; Gauthier,les Fêtes du dieu Min ,p.8(1); Sauneron , Esna V, p.11.

وأيضا لأيام التفاؤل وأيام التشاؤم خلال أيام السنة .[١]

وهكذا كانت السنة تحتوى على ثلاثمائة وخمسة وستين يوما . ونجد أن المصريين القدماء الذين كانوا شعبا زراعيا . قد فضلوا بالطبع أن تبدأ سنتهم في الفترة التى يبدأ فيها فيضان النيل السنوى فى الارتفاع . ومن المحتمل أن ارتفاع مستوى مياه الفيضان ، هو الذى كان يستخدم فى أول الأمر كقاعدة لتحديد بداية السنة المصرية . ولكن سرعان ما لاحظ المصريون[٢] ، أن اليوم الذى يبدأ فيه الفيضان كان مصحوبا أيضا بظاهرة فلكية ، ألا وهو ظهور نجم الشعرى اليمانية – وهو أشد النجوم لمعانا– فقد لاحظ المصريون القدماء أن هذا النجم يظهر فى أفق منف قبل شروق الشمس بربع ساعة . فأطلقوا عليه " سوبدت Sopet " وسماه الإغريق " سوتيس Sothis" ويعرف الآن فى علم الفلك الحديث باسم " سيريوس Sírius" أى المبشر [٣] ويقول علماء الفلك أن هذا النجم يظهر مرة فى السنة . ولهذا جعل المصريون القدماء يوم ظهوره بداية للسنة الزراعية وهو المعروفة بالسنة القبطية . ولا يزال هذا التقويم هو الطريقة الوحيدة المستخدمة بواسطة المزارع المصرى وخاصة فى مصر العليا لحساب الشهور والفصول .

وقد اعتبر كهنة ايونو العلماء أن هذا الحدث يحدد بداية العام كذلك . وقد اتخذت هذه الظاهرة كبداية للتقويم المدنى مثل بادية فصل الفيضان ، ومن الآن فصاعدا أصبح بداية التقويم المدنى مرتبطا بظاهرتين واضحتين ، إحداهما طبيعية وغير محددة بيوم معين وهو بداية الفيضان ، والأخرى فلكية وهو ظهور نجم الشعرى اليمانية فى الأفق .[٤]

---

(١) Bakir , The Cairo Calendars ,Cairo(1966) , p . 15-44 . pl . 5-34 .

(٢) ربما منذ عصور ما قبل التأريخ .

(٣) أى المبشر بموسم الزراعة وبداية السنة الزراعية .

(٤) بيير مونتيه : الحياة فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس)، ١٩٦٥ ، ص ٤٣ .

ونحن نعلم أن السنة الشمسية الفعلية تحتوى على ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع . ولذلك نجد انه كلما مرت أربع سنوات حدث تأخير فى تقويم السنة المصرية بحوالى يوم كامل ولم يكن أمام علماء الفلك الحاليين إلا تحديد بداية ظهور الشعرى اليمانية ، الذى يتفق مع بداية شهر يوليو (حيث يبدأ الفيضان) لمعرفة إلى أى تاريخ لجأ المصريون القدماء لمعرفة حساباتهم وتقويمهم . وقد حدث هذا التوافق أكثر من مرة أثناء الخمسة الآلاف عام التى سبقت التاريخ الميلادى . وسجل الكتبة المصريون ظهور النجم سوتيس فى أكثر من وثيقة ترجع إلى عصور مختلفة :

(١) فى بردية اللاهون الأدبية (وهناك برديات أخرى متنوعة : طبية ورياضية وإدارية) المحفوظة بمتحف برلين ، وهى بردية من عهد الملك سنوسرت الثانى ، وقد أمكن تحديد تاريخها بعام ١٨٧٢ ق.م .[١]

(٢) فى بردية إيرس المحفوظة بمتحف مدينة ليبزج ، وهى بردية من عهد الملك أمنحتب الأول ، وقد أمكن تحديد تاريخها ما بين ١٥٦٢ و ١٥١٩ ق.م .[٢]

(٣) فى بردية شيستربيتى رقم (١) (وهى حوالى ١٩ بردية تحمل هذا الاسم) المحفوظة بالمتحف البريطانى ، وهى بردية من عصر الرعامسة ، وتحتوى على أغنية عاطفية يقارن المحب فيها حبيبته بالنجمة (سوبدت) التى تظهر فى بدء السنة الجديدة[٣] (رنبت ما اوت) .

(٤) فى نقش حفر على جدران السور الخرجى لمعبد مدينة هابو ، جاء فيه ذكر أن عيد المعبودة سوبدت الذى يحتفل به عند بزوغ هذا النجم يتفق مع أول يوم من أيام السنة الجديدة [٤] .

(٥) فى مرسوم إصلاح التقويم ، وهو المعروف باسم مرسوم " كانوب " من عهد الملك بطلميوس الثالث ، وقد أمكن تحديد تاريخه بسنة ٢٣٨ ق.م . فقد اجتمع مجمع

---

(١) Simpson, LA IV, p. 712 (A) .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٢٤ ؛ Rossler-Kohler, LA IV, p. 704

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٤٤ ، ٤٦٢ حاشية (٥) ؛ De Meulenaere, LA IV, p. 681 – 682 .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤ ، ٤٦٢ حاشية (٦) .

الكهنة سنة ٢٣٩ ق.م . فى معبد مدينة كانوب (أبو قير الحالية) وأصدروا مرسوما من أهم بنوده هو إضافة يوم كل أربع سنوات للشهر القصير أى يضاف للخمسة أيام النسيء[١] . وكانت تقع ما بين ٢٤ إلى ٢٩ من أغسطس .[٢]

وقد ظن بعض العلماء أن هناك إشارات إلى السنة الشمسية فى نصوص الأهرام ، ولكن لسوء الحظ أن هذه النصوص ليست مؤرخة بنوع من الدقة وهى ترجع إلى عصور غاية فى القدم ، وكما نعلم أن هذه النصوص لم تعرف إلا بواسطة فقرات مؤرخة على الأقل من العام ٢٤٠٠ ق.م . ولهذا فمن المحتمل أيضا أن السنة الشمسية التى تشير إليها النصوص قد طبقت منذ ثلاثة قرون سابقة ، لأى فى عام ٢٧٨٥ ق.م . وكان من المقبول بوجه عام أن التقويم الشمسى قد طبق فى مصر القديمة بين عامى ٤٢٤٥ – ٤٢٤٢ ق.م ، وما لبث هذه النظرية أن وجدت سبيلها إلى التعديل فى عصرنا الحاضر وأصبحت الفكرة السائدة أن التقويم قد طبق بالفعل حوالى عام ٢٧٨٥ ق.م .

وإذا كان للتقويم المدنى خصائصه المفيدة بالنسبة لنا ، فإنه بمرور الوقت كان هناك اختلاف كبير بين التقويم بين التقويم المدنى والسنة الفلكية الصحيحة . فاختلاف أسبوع ، أدى إلى فارق شهر وشهرين حتى وصل الأمر إلى فصل بأكمله ، وأصبح هذا الفارق واضحا . فنجد أن فصل الصيف فى التقويم المدنى يقع فى وسط الشتاء ، ومن المفهوم أن مثل هذه الظواهر كانت تعوق عمل الكتبة المصريين ، والنصوص التى وصلت إلينا لا تسجل لنا الفارق بين بداية ظهور النجم الشعرى

---

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٢٤ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٤٤ ، ٤٦٢ حاشية (٤) .

(٢) كما جاء فى بردية هنت رقم ٢١٤ (Hunt no 214) والتى ذكرتها د. زبيدة عطا فى دراستها عن : الفلاح المصرى فى القرنين السادس والسابع الميلاديين ، ١٩٧٨ ، ص ٩٧ .

اليمانية ، وبداية السنة الرسمية (التى استخدمت بوجه خاص لتحديد تواريخ الأعياد الدينية المتعارف عليها) .[١]

وقد حاول بطلميوس الثالث فى مرسوم كانوب الصادر فى عام ٢٣٨ ق.م ، كما ذكرنا من قبل إضافة يوم على الخمسة الأيام التكميلية لتصبح سنة كبيسة حتى يتجنب أن تأتى الأعياد الدينية المقررة فى فصل الشتاء ، من مجيئها فى فصل الصيف وبالعكس [٢] . ولكن الوضع استمر كما هو حتى عصر الإمبراطور أغسطس الذى حاول فى عام ٣٠ ق.م . وتطبيق التقويم المكون من ثلاثمائة الذى حاول فى عام ٣٠ ق.م . وتطبيق التقويم المكون من ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع ، وهذه الاختلافات التى سجلها الكتبة المصريون سمحت لعلماء الفلك فى العصر الحديث ، بتحديد تواريخ معينة بنوع من الدقة ، وبهذه الطريقة أمكن معرفة تواريخ حكم بعض الملوك بنوع من التأكيد ، مثل حكم الملك سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة وحكم أمنحتب الأول وتحوتمس الأول من الأسرة الثامنة عشرة .

وهكذا بفضل التاريخ الفلكى أمكن التعرف على ثلاثة تواريخ شبه مؤكدة لحكم ثلاثة ملوك فى تاريخ مصر القديم ، وأمكن أيضا معرفة التاريخ المحتمل لتطبيق التقويم المدنى فى مصر .

وبمقارنة التواريخ التى حصلنا عليها من الفلك ، والتواريخ التى أمدتنا بها القوائم الملكية ، وتلك التى وجدت مدونة على الوثائق المصرية ، ونصوص الأنسلب

---

(١) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 39 .

(٢) Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 64 . ومرسوم كانوب عبارة عن لوحة كتبت بكتابات أو خطوط ثلاثة :
الخط الهيروغليفى والخط الديموطيقى والخط اليونانى عثر عليها فى كوم الحصن ، وهى بالمتحف المصرى تحت رقم CG22186 ، راجع :
Gauthier , LRIV . p . 257 (L) , p . 261 (L) ; Kamal, Stèles Ptolémaiques et Romaines , p . 12 – 183 ,pl . LIX – LXI ; Sethe , Hierogl . Urk . der griech – rom . Zeit , p . 121- 122; Thissen, LA 111, p. 321 .

والتواريخ التى سجلها مانيتون ، وبفضل الأحداث المعاصرة فى تاريخ شعوب الشرق القديم والمجاورة لمصر ، وأمكن التوصل إلى تحديد بداية تاريخ مصر القديم فى بداية القرن الثانى والثلاثين ق.م .

وهكذا كان للمصريين القدماء الفضل فى أنهم قدموا للبشرية التقويم الشمسى ، وهذا التقويم لا يزال مستعملا حتى الآن فيما يعرف بالتقويم القبطى . فالسنة القبطية [1] هى سنة شمسية مكونة من ٣٦٥ يوما ، أسماء الشهور القبطية التى لا زالت مستعملة حتى الآن خاصة فى شئون الزراعة وحساب الفصول ما هى إلا أسماء معبودات وأعياد [2] مصرية قديمة وهى :

شهور فصل الفيضان (آخت) :

١- تحوتى : (قديما تخى) : (توت) نسبة إلى المعبود تحوتى معبود الحكمة والمعرفة وحامى الكتابة والكتبة [3] (وكان يقع فى الفترة من ٢٩ إلى ٣٠ أغسطس تقريبا) .[4]

٢- با إن ابات (قديما منخت) : (بابه) نسبة إلى عيد معبد الحريم (إيبت) أى

---

(١) حدد المصريون المسيحيون بدء تاريخهم بيوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ ميلادية الذى استشهد فيه الكثير منهم على يد الإمبراطور الرومانى ديوكلينيان راجع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى – الرومانى ، المجلد الثانى) ١٩٦٣ ، ص ٣٠٣ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ص ٣٠٤ . ويرى البعض أن الشهور المصرية القديمة قد حددت منذ الأسرة السادسة والعشرين ونقلت هذه الأسماء بعد ذلك إلى اللهجة القبطية . راجع : جيلان عباس . اثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب . الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢ ، ص ١٦٦ حاشية (٩) .

(٣) Wb I, 606 , 3 , Meeks , Alex I, p . 452 .

(٤) بالنسبة لما يقابل هذه الشهور القديمة من الأيام والشهور الميلادية. راجع: د. زبيدة عطا : الفلاح المصرى فى القرنين السادس والسابع الميلاديين . طبعة دار نشر الثقافة ١٩٧٨ ، ص ٩٧ .

الأقصر[١] (وكان يقع فى الفترة من ٢٨ إلى ٢٩ سبتمبر) .

٣- حوت حر : (هاتو) نسبة إلى عيد معبودة الحب والجمال ورمز الأمومة والعطاء حتحور[١] (وكان يقع فى الفترة من ٢٨ إلى ٢٩ أكتوبر)

٤- كا - حر - كا (قديما نحب كاو) : (كهياك (نسبة إلى عيد " كا - حر - كا " عيد روح على روح [٢] (آى الأرواح مجتمعة (ويقع فى الفترة من ٢٧ إلى ٢٨نوفمبر)

شهور فصل خروج الزرع (برت) :

١- تا عابت (قديما شف بدت) : (طوبة) نسبة إلى عيد حصاد محصول الحبوب (الشعير)[٣] (ويقع فى الفترة من ٢٧ إلى ٢٨ ديسمبر) .

٢- (با - إن) مخر (قديما ركح - ور) : (أمشير) نسبة إلى عيد الخزين (أى خزن موارد القوت)[٤] (ويقع فى حوالى ٢٦ يناير) .

٣- با - إن - امن حتبو (قديما ركح - نجس) : (برمهات) نسبة إلى عيد خروج تمثال الملك أمنحتب الأول الذى قدس بعد وفاته [٥] (ويقع فى حوالى ٢٥ فبراير) .

---

(١) .. Wb III , 5 , II ; Meeks , op . cit . , p . 233 لأسماء هذه الشهور وتوزيعها فى الفصول ، راجع : LA III , p . 299

(٢) Wb111 , 131 ; V , 86 , 11, 93 ; Meeks , op . cit . , p . 394 .
" عيد كل الأرواح " هو عيد مسيحى يعقد فى اليوم الثانى من شهر نوفمبر . وفيه يعقد احتفال مهيب بالكنيسة الكاثوليكية ليتضرعوا إلى الله لأرواح الأموات المخلصين ، راجع : هنرى بريستد : فجر الضمير (ترجمة د. سليم حسن) ، مكتبة مصر ١٩٥٦ ، ص ٢٤٥ حاشية (١) .

(٣) Wb IV , 454, 17 ; 455 , I ; Meeks , op . cit . , p . 368 .

(٤) Wb I, 493 ; 11 , 131 , 13 - 14 ; Meeks . , op . cit . , p . 170

(٥) Wb , I, 493.

٤- (با إن) رنوتت : (برمودة) نسبة إلى عيد معبودة الحصاد رننوتت[١] (ويقع فى حوالى ٢٦ مارس) .

شهور فصل الصيف (شمو) :

١- (با – إن) خنسو : (بشنس) نسبة إلى عيد المعبود (خونسو) معبود القمر وكان فى طيبة وما جاورها [٢] (ويقع فى حوالى ٢٦ أبريل) .

٢- با – إن – آنت (قديما خنت ختى) : (بؤنة) نسبة إلى عيد الوادى فى طيبة [٣] (ويقع فى حوالى ٢٦ مايو) .

٣- أبيب (قديما ايبت حمت) : (أبيب) نسبة إلى عيد المعبودة ايبت ، معبودة الولادة [٤] (ويقع فى حوالى ٢٥ يونيو) .

٤- مست رع (قديما وبت رنبت) : (مسرى) نسبة إلى عيد ميلاد المعبود الكبير رع [٥] ، وهو عيد العام الجديد [٦] (ويقع فى الفترة من ٢٥ يوليو حتى ٢٤ أغسطس) .

وارتبط بكل شهر من هذه الشهور أمثلة شعبية يرددها الفلاحون عن أحوال

---

(١) Wb 11 , 437 , 16 ; Meeks , op . cit . , p . 218 .

عن الأعياد الدينية فى كل شهر ، راجع : Altenmuller, LA 11, p. 174- 180 .

(٢) Wb 111, 300 , 15 ; Meeks , op . cit . , p . 281.

(٣) Wb 1 , 93 , 9 ; Meeks , op . cit . , p . 32 .

يعطينا د. عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه : اللغة المصرية القديمة ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ (٣) أسماء الشهور القبطية وأصلها المصرى القديم .

(٤) Wb 1 , 68, 11 ; Meeks , op cit . , p. 24.

(٥) Wb 11 , 141, 13; Meeks , op cit . , p. 172 .

(٦) يبدأ فصل الفيضان من توت إلى كهياك ، وفصل بذر الحبوب من طوبة إلى برمودة ، وفصل جنى المحصول من بشنس إلى مسرى . وعن عيد العام الجديد ، راجع : Altenmuller, LA 11, p. 172 , Daumas, LA 1V, p. 466 – 472 .

الطقس والجو فيقولون فى الأمثال الشعبية " كياك صباحك مساك " إشارة إلى قصــر النهار ، و " طوبة تخلى العجوزة كركوبة " إشارة إلى شدة البرد ، و" أمشــير أبــو الزعابير " إشارة إلى الزوابع والرياح . أما الأيام التى تكبس فهى خمسة وتبـدأ مــن ٢٤ إلى ٢٩ أغسطس وتسمى بالمصرية القديمة : حريو – رنبــت أى الفائضــة أو الزائدة على السنة .(١)

وأطلقوا على السنة الجديدة أسم : رنبت ما آوت(٢) .

وآخر العام رنبت إسوت(٣) وعام الخير والوفرة رنبــت نفــرت (٤) وعــام المجاعة والقحط إيادت رنبت .(٥)

---

(١) Wb 11, 430, 3; Meeks, op. cit., p 253; Altenmuller, LA 11, p. 171.

(٢) Wb 11, 430, 13 .

(٣) Wb 11, 430, 13 .

(٤) Wb 11, 340, 15 .

(٥) Wb 11, 431, 1.

الفصل الرابع

طبيعة البلاد التي شهدت وقوع أحداث هذا التاريخ ونشأة وتطور مظاهر هذه الحضارة

بعد الحديث عن مصادر هذا التاريخ ، والمشاكل الخاصة بالتقويم ، وتتبع وتقسيم الفترات المختلفة لذلك التاريخ ، يجب أن نعرف أولا ما هى طبيعة الأرض التى عاصرت هذا التاريخ ، وعاشت معه فى كل فتراته ، والتى أثرت فيه ، وأثرت فى مجالات الحضارة المختلفة ، وتقوم الأبحاث العلمية الحديثة بالكشف عن تأثير محيط البيئة على المجتمع الإنسانى وما يحيط به . وقد أعتقد اليونانيون فى ذلك التأثير . وقام عالم الطب الشهير[1] " هيبرقراط Hippocrate " بتقسيم سكان المناطق المرتفعة إلى : طوال القامة ذوى شجاعة وطابع هادئ ، وسكان البلاد قليلة الأشجار بدون مياه إلى : عصبين ، شديدى الرأس .

ويظهر تأثير البيئة فى مصر ، ليس فقط فى الخطوط الطويلة الموحدة لتكوينها الطبيعى – وكان لهذا تأثير فى التنظيم الاقتصادى وفى التطور السياسى – بل أن البيئة كان لهذا تأثير أيضا على العمارة المصرية القديمة .

وترجع أصالة الحضارة المصرية بدون شك ، إلى العامل الجغرافى ، وذلك لأن مصر بلد متميز عن غيره من البلاد الأخرى ، فقد كانت هناك أربع ظواهر جغرافية أثرت فى المجتمع المصرى القديم : الواحات ، الصحراء الجافة المترامية شرقا وغربا ، أن مصر تبلغ فى الطول عشرة أضعاف العرض ، وأخيرا النيل .

---

(١) أكبر علماء الطب ولد فى جزيرة كوس فى اليونان فى حوالى ٤٥٠ – ٣٧٧ ق.م واهتم بدراسة بعض الأعضاء الداخلية فى جسم الإنسان ، أنظر :
Petit Larousse , Paris(1967) , no (1423) .

ومنذ وقت طويل أكد بعض علماء الجغرافيا ، أن مصر تعتبر واحة (وفى الواقع أن كلمة واحة ، كلمة لها أصل مصرى قديم)[١] . ولنا أن نضيف أنها واحة صحراوية . والواحة لا تعتبر فقط نقطة خضراء فوق سطح صحراوى . كما جرت العادة على تعريفها ، ولكن الذى ساهم فى خلق واحة بمصر وبصورة مباشر مجموعة من العوامل الطبيعية والنشاط البشرى أيضا . وهذان العاملان متلازمان بصفة أساسية ، بحيث إذا لم يتواجد إحداهما ، فإن طابع الواحة لا يصبح له أى وجود وفى ظل هذا المناخ الصحراوى لمصر كان لابد من ثلاثة عوامل لخلق هذه الواحة : المياه ، الأرض الصالحة للزراعة ، والمجهود البشرى . ولابد من وجود هذه العوامل متكاملة ، فالمياه بدون الأرض الصالحة للزراعة تصبح مستنقعات ، والأرض الصالحة للزراعة بدون مياه تصبح جرداء ، ثم الأرض والمياه دون المجهود البشرى لا قيمة لهما . والمعجزة الحقيقية الوحيدة التى حدثت فى مصر ، هى النيل ، الذى أعطى لمصر المياه والأرض الصالحة للزراعة . أما ما حدث من استغلال فهو من صنع الإنسان المصرى . ويقال أن أرض مصر الزراعية أو الصالحة للزراعة بدأت فى التكوين فى نهاية ما يسمى بالعصر " البليستوسين " أو ما قبل ذلك .[٢]

وقد تحدث بعض العلماء عن العوامل الفريدة للحياة على شواطئ النيل ، وقد نسوا أن هذه العوامل ليست إلا من عمل الإنسان الذى روى الأرض للزراعة [٣] وعلى الرغم من ذلك فقد ظل بعض آخر يردد ما قاله هيرودوت بأن مصر " هبة

---

(١) بالمصرية " واهيت " Wb I, 258, 5 – 6.

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ، ص ٦ .

(٣) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 14 – 15.

النيل " ولكن إذا كان النيل قد أعطاها الأرض الخصبة . فهى أولا وقبل كل شئ من إعداد الإنسان . وقد تأثر الإطار الجغرافى منذ البداية بمجهود الإنسان الذى بدونه يصبح هذا الإطار غير متكامل ، ولكن المحيط الجغرافى قد أثر بدوره فى الإنسان . وسوف نرى أولا كيف أن العوامل البيئية الثلاثة : المياه ، الأرض ، والإنسان قد تواجدت فى مصر ، ثم نرى بعد ذلك التأثير الذى أحدثته تلك العوامل على المجتمع الإنسانى المصرى .

مصادر المياه : ترتبط حياة الواحات ارتباطا وثيقا بمشكلة المياه . وهذه المشكلة وجد لها حل فى مصر بفضل النيل وفيضانه . وفى ملف للدكتور رشدى سعيد عالم الجيولوجيا عن " النيل " (مطبوعات دار الهلال) يتحدث عن نشأة النيل منذ ستة ملايين عام وكان المجرى غير ما نعرفه فى هذا الزمان وقد أتخذ أشكالا شتى أنه انقطع عن أفريقيا مدة ثم عاد ينحت مجراه والذى لم يستقر على شكله الحالى إلا منذ عشرة آلاف عام .

ويذكر أيضا أن الإنسان المصرى الأول الذى سكن على ضفافه كان منذ أربعمائة ألف عام .

وتبلغ أعمق نقطة فى رواسب النيل أربعة كيلومترات تحت السطح حتى الأرض الصحراوية الرملية التى كانت تكون أرض مصر فى الأساس مما يدل على قدم الوادى بعدة ملايين من السنين . ويكفى أن نعلم أن ذلك النهر الذى ينبع من البحيرات الكبرى عند خط الاستواء ، خاصة بحيرة " فيكتوريا – نياتزا " على ارتفاع ١٢٠٠ مترا ، ويبلغ طوله نحو ٦٤٠٠ كم ، ويكون بين منطقة جبل جرى (عند مروى القديمة) وأسوان ستة جنادل.[١] وكان يصل إلى البحر المتوسط عن طريق سبعة فروع . ونتيجة للأمطار الاستوائية التى لها صفة الدوام طوال العام ، فهو يمتلك مصدرا لا ينقطع من المياه . ولكن المياه التى تأتى من البحيرات الكبرى ، لاتصل بكميات وفيرة إلى مصر لأنها عرضه لعوامل التبخر فى الأحواض السودانية للنيل ، وكما يضاف إلى كمية تلك المياه بعض الزيادات من المناطق الاستوائية أو من منطقة الحبشة ، وهذه الزيادات لها أهمية كبيرة بفضل الأمطار التى تتساقط على

---

(١) Dreyer, LA 111, p. 356 – 358 .

هضبة الحبشة المرتفعة ، وبفضل ذلك العامل الأخير تحدث تلك الظاهرة التى جذبت أنظار العالم القديم ألا وهى : فيضان النيل[١] . وبسبب طوله المسافة التى يجرى فيها مياه النيل فهذا النهر الوحيد الذى استطاع أن يحمل جزءا من مياه أفريقية الاستوائية إلى البحر المتوسط بعد أن يقطع رحلة طويلة شاقة عبر الصحراء الكبرى ينساب فيها لمسافة ٢٧٠٠ كيلومتر فيما بين العطبرة والبحر دون أن يلتقى رافدا واحدا أو كمية تذكر من المياه . واستطاع أن يجرى عبر الصحارى والقفار دون أن تتبدد مياهه . وتتساقط الرواسب التى يحملها فى دلتا داخلية قبل أن يصل إلى البحر ، فإن الفيضان الذى يبدأ فى المناطق الحارة فى شهرى مايو ويونيو لا يصل فى مصر إلا فى شهر يوليو ، وابتداء من هذا التاريخ فإن الفيضان يزداد بفضل مياه أمطار الحبشة (حيث يصل أعلى منسوب للأمطار فى شهر يونيو إلى أكتوبر) لذلك فإن فيضان النيل يعتبر فيضانا صيفيا وهذا هام بالنسبة لبلد ذى جو صحراوى ، حيث تبلغ درجة الحرارة أعلى مستواها بين شهرى يوليو وأغسطس ، وتصبح الأرض المصرية مغطاة بالمياه فترة قد تؤدى فيها حرارة الشمس إلى الجفاف الكامل . وفى أثناء فصل الشتاء عندما ينخفض منسوب مياه النهر ، فهناك الوسائل البسيطة التى يمكن استخدامها لإمداد الأرض الزراعية بالمياه عن طريق الرى وذلك بواسطة الوسائل المختلفة لرفع المياه.

وكان يطلق على النيل فى اللغة المصرية القديمة أسم Iterou أى النهر

---

(١) يقول الرحالة الفرنسى جوانفيل الذى زار مصر فى السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر : " النيل يختلف عن جميع الأنهار الأخرى ، أنه يسكب فيضانه النافع الذى لا يمكن أن يأتى إلا بمشيئة الله ولا أحد يعرف منبعه فهو ينحدر من جبل كبير يوجد فيه أسود وأفاعى وأفيال وعجائب عديدة " من مقال كتبه الصحفى نبيل زكى فى جريدة الأخبار " يوميات الأخبار " بتاريخ ١٠ / ٢ / ٩٩ .

وذلك ابتداء من الدولة الوسطى[١] . أما عن الاسم نيل فأننا فى الحقيقة لا نعلم مصدر كلمة نيل Neilos التى وردت فى كتابات اليونان [٢] ، وإن كان بعضهم يرجعها إلى أصل فينيقى أو عبرى [٣] ولكنها ذات أصل مصرى قديم .[٤]

---

(١) وكان يطلق على النيل أيضا كلمتى " ايترو عا " أو وايترو ور بمعنى النهر العظيم " فى عصر الدولة الوسطى أيضا فروعه " نا ايترو " أو ايترو فقط، راجع : Meeks , Alex . I , p 50 ; t. II , p . 56 ; t . III p . 38 ; Wb I , 146 , 10 , 17 .

(٢) وعرفت هذه التسمية كاسم لرجل يدعى نيلوس – Neilos على بردية بالمتحف المصرى تحمل رقم ٥٧٨٧٥ من العصر الرومانى ، وهى عبارة عن عقد بيع بين رجل يدعى نيلوس وآخر يدعى اسيدوروس ، راجع : د. سيد توفيق – د. سيد الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتى الفتح العربى ، دار النهضة العربية ١٩٧٧ ، ص ٣٠٦ حاشية (١) .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ،ص ٩٧١ (٤) .
يذكر د. بدوى " أننا لا نعرف مصدر ذلك الاسم ، فهو عند الإغريق نيلوس وعند الرومان نفس التسمية ، وربما أشتق الاسم من كلمة نهل أو نخل بمعنى " النهر " أو " المجرى " فى الفينيقية والعبرية ، راجع " د. أحمد بدوى : النيل عند الفراعنة ، نشر فى حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٩٦ .

(٤) هى كلمة مصرية مشتقة من " نا ايترو " أى " الفروع " ويعنى معناها الإجمالى " النهر ذو الفروع " راجع : Meeks, Alex. III, p. 38. أو نا ايترو عاو أى " النهر ذو الفروع الكبيرة " ، راجع Kurth, LA 1V, p. 480 . ويطلقون اسم " حبت إنت ايترو " على " مجرى النهر " واسم " ايترو نوكمت " " فروع الأرض السوداء " راجع : Meeks, op. Cit. I, p. 50 . ويرى شرنى أنه أطلق على النيل لفظ : itrw c3 حرفيا " النهر العظيم " أى " النيل " ومنه اشتق لفظ آخر : ycr c3 أى " النيل " ، راجع : Cerny, Coptic Etymological Dictionary, p. 48.

الأرض : لا يجلب النيل المياه فقط ، فالفيضان يصل محملا بالطمى المستخلص من الأراضى البركانية فى أراضى الحبشة العليا ، ونظرا لبطأ تيار النهر عندما يصل إلى مصر ، فإن ذلك يساعد على ترسيب الطمى فى الحقول التى تغطيها مياه الفيضان التى أطلقوا عليها اسم حعبى[١] . وهذا الطمى الذى تكمله عناصر أخرى نباتية خصبة هو الذى كون أرض مصر الخصبة ، التى تسمح بزراعة محصولين أو ثلاثة سنويا . ولنا أن نفهم جيدا لماذا جعل المصريون القدماء من ذلك النهر ، الذى يجلب لهم المياه ويمد الأرض أو التربة بالخصوبة اللازمة ، معبودا ، هو المعبود " حعبى " وقاموا بترتيل الأناشيد الدينية تكريما له :

" تحية لك ، يا حعبى ، الذى يخرج من الأرض ، ويصل لكى يعطى الحياة

---

(١) وتعتبر هذه الكلمة عن الفيضان عامة ، راجع :

Meeks , Alex . I , p . 239 ; t.11 , p . 241 ; t.111 , p . 187 .

وكان هذا الاسم يطلق أحيانا على النيل وذلك فى نصوص الأهرام من الدولة القديمة . راجع :, Meeks , Alex . I , p. 239 ; Wb 111, 42 , 11 .

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة أطلق على النيل اسم رابع هو غنو بمعنى " مجرى " راجع : Wb 111 , 373 , 5 . وفى عصر البطالمة أطلق اسم خامس هو " ععم " بمعنى " خزان متسع للمياه " راجع : Wb I , 169 , 16 ; Wb VII , p . 111. وعن كلمة حعبى بمعنى " النيل أو فيضان النيل " راجع : Vikentiev , la Haute Crue du Nil , le Caire(1930), p . 32 , 95 . وفى الواقع هناك أربعة كلمات تعبر عن الفيضان : حعبى ، الفيضان ، الماء الذى يخرج من الفنتين ، ماء المحيط الأزلى ، راجع : Traunecker , BIFAO 72 (1972) , p . 211 et n. (3) .

لمصر ، أنت الذى خفى مصادره فى الظلمات [١] ... (أنت) الفيضان الذى ينساب على الأرض الخضراء ... لكى يعطى الحياة إلى جميع هؤلاء الظمأى ، وعندما ترتفع تشدو الأرض (كلها) فرحا " .[٢]

ونقرأ على بردية فى نيويورك على لسان تحوتى : " اننى أجعل الفيضان يأتى فأخصب الحقول واجعل المعبودات والناس يعيشون ".[٣] وعلى لوحتى المطاعنة وقفط من عصر الملك طهرقا ، ونقرأ فى السطر ١٠ ما يلى :

" طلب جلالتى نيلا (مرتفعا) (Ḥcpy) من والده آمون رع ، سيد عروش الأرضين حتى لا يسمح بحوث مجاعة [٤] فى عصره . وكل الكلمات التى خرجت من فم جلالته عمل والده آمون على تحقيقها على التو "[٥] وفى أكثر من نص من العصر البطلمى – الرومانى نجد أن الكاتب أو مسجل النقش يؤكد هذه الحقيقة ويبرز أهمية النيل أو فيضانه لأرض مصر .

- ففى نص فى معبد مدامود يقال للمعبود مونتو :[٦] " (الملك بطلميوس) يأتى إليك يا مونتو –رع، سيد طيبة، انتور فى وسط مدامود، ويحضر لك نيل الجنوب

---

(١) يقصد بها منابع النيل البعيدة .

(٢) Vercoutter , op . cit ., p . 18 .

(٣) Goyon , BIFAO 75 (1975), p. 67

(٤) تقرأ sw3 عن معنى هذه الكلمة راجع: Vandier , la Famine dans l'Egypte ancienne , Paris (1936) p . 28 (1V) , p . 29 – 30, p. 67 (b), p . 68 , p . 124 , l. 9-10 , p. 155, p. 174.

(٥) Vikentiev , la Haute Crue du Nil, publ . IFAO (1930) .

(٦) Drioton , Fouilles du Medamoud (1926) , p . 18 – 19(315)

(Hcpy Šmc)[١] مع كل ثرواته الطيبة ، الذى يأتى فى موسمه كل عـــام ويـــزود مائدة قرابينك بالأغذية والمؤن لكى يعيش قلبك أبديا " .

- وفى نص آخر يقال للمعبود حورس فى معبد ادفو : " أنه (أى ملك) يحضر لـك الفيضان (Nwjt) مع مائه الأزلى والطمى الذى يحمله ماؤه "[٢] .

- وفى نشيد إلى خنوم من العصر البطلمى يقال له : " أنه آتى مثل الفيضان (nwn) (لكى) يخصب الأرض الزراعية " .[٣]

- وفى ادفو يقال لحورس : " أنه يحضر لك الماء (Crty) لكـــى يغمـــر(Crcr) بلدك (cd) ولن يخلف ورائه سنة مجاعة .[٤]

- وفى نص خامس يقال للمعبود " حقا " فى اسنا :

" فليأتى الفيضان لكى يغذى الأرضين " [٥]

- وفى نص يقال للمعبود " اوزير " فى اسنا :

---

(١) لهذه العلامة راجع : Wb 11 , 402 , 5 .

(٢) Vernus , Athribis , publ . IFAO , le Caire (1978) , p . 243 .

(٣) Vikentiev , op . cit . , p . 46 n . (2) .

(٤) Vandier , op . cit . , p . 92-93 (d)

وقام فاندية بتجميع عدد كبير من الجمل التى تعبر عن الأمل فـــى وصـــول الفيضان فى ميعاده وعدم تجاوزه المقاييس المتعارف عليه فينتـــج الخـــير وتعم البهجة كما تعبر بعض الجمل الأخرى عن الخوف عـــن انخفاضـــه وتعرض البلاد للمجاعة ويحل البؤس ، راجع : Vandier , op . cit . , p . 139-149 وجمع أكثر من ٣٥ كلمة تعبر عن المجاعة ، راجع ., Id op . cit . , p . 151 – 158 .

(٥) Sauneron , Esna V , p . 34 (340 , 7) .

" إلى اوزير ، الماء الذى يجدد الحياة ويضمن غذاء البلاد "[١]

- وفى نص سابع يخاطب الملك فى معبد دير الشلويط [٢]

" فليعيش المعبود الطيب ، نيل – مصر ، رع [٣] الأرضين والشواطئ " . وفى هذا النص نرى الكاتب جمع بين النيل وأرض مصر فى التسمية " نيل – مصر " (Ḥcpy n Kmt)

– وفى نص ثامن يقال للمعبود " اوزير " فى اسنا : " إلى اوزير الذى يأتى فى شكل فيضان لكى يغمر الأرض الزراعية " .[٤]

وكانت الأرض الزراعية مقسمة إلى مساحات مربعة – تبعا لنظام الرى – ومع تطور نظم الحكم والإدارة ، تكونت ما يسمى بالأقاليم . وهناك قوائم بأسماء تلك الأقاليم ، تبين لنا القنوات التى كانت تروى الأرضى الزراعية ، والتقسيم الإدارى لكل إقليم ، وطبيعة الأرض وحدودها ومساحتها بالذراع ، ومن هذه الأقاليم ظهرت مدن كعواصم [٥] سوف نرى أسماءها تترجد طوال فترات التاريخ المختلفة .

الإنسان : إلى جانب وجود المياه والطمى والأرض كان لابد من الاستعانة بالأيدى البشرية لاستغلال ما فى البيئة المصرية من ثروات . فقد ساهم الإنسان المصرى بمجهوده منذ أن أصبح وادى النيل صالحا للسكنى . ولم يحدث أن جفت الصحراء مرة واحدة ولكن حدث ذلك على مراحل متتالية وبدأ جزء من السكان الذين

---

(١) Sauneron , Esna VIII , p . 42(208 , l.25) (62) .

(٢) Chr . Zivie , le Temple de Deir Chelout , publ . IFAO (1981) , p . I , p . 68 (texte , 26 , 1 . 1) .

(٣) لهذه العلامة راجع : Wb 11 , 402 , 15 .

(٤) Sauneron , Esna VIII , p . 40(217 , l.21) (12) .

(٥) See , Grandes Villes de l'Egypte antique , Paris (1947) , p . 16 .

يعيشون على الهضبة الصحراوية ، يستقر حول مناطق المياه وخاصة بالقرب من وادى النيل . وقد ساهم هؤلاء فى استيطان الوادى بصفة مستمرة ، وإلى هذه المجموعة البشرية الأولى ، ينتمى أصل الشعب المصرى فى العصور التاريخية . وهكذا كانت مصر تملك منذ أقدم العصور ، العناصر الضرورية لإعداد الأرض الصالحة للزراعة ، وهذه العناصر ذات الملامح المحددة قد أثرت بدورها فى المجتمع البشرى .[١]

ويتعجب بعض المؤرخين من استقرار شعب مصر وهدوئه والذى " يعتبر أقل الشعوب ثورة " ، وهذه الخاصية ليست مجرد وهم [٢] ولكن عوامل الاستقرار قد تواجدت أيضا بفضل وجود حكومة قوية من الناحية السياسية لكى تستطيع أن ترعى شئون الرى وتنظيم توزيعه .

وللاستفادة من فيضان النيل ، يشترط ألا يكون مرتفعا جدا أو منخفضا جدا ، ويجب أن يوزع بطريقة سليمة ، فمشكلة توزيع المياه تعتبر المشكلة الرئيسية ، فهى تحتم وجود سدود وخاصة قنوات للرى ، وخزانات يمكن الإشراف عليها . هذا الأشراف لا يمكن أن يتحقق إلا بسلطة مركزية قوية تستطيع أن تتحكم فى هذا الإشراف فى كل الأقاليم . ولهذا نرى أن النظام السياسى فى مصر يقوم على ضرورة طبيعية وجغرافية ليس لها نظير فى المجتمعات الأخرى . هذه الضرورة شعر بها المصريون أنفسهم ، فلدينا على سبيل المثال أقدم نقش على أثر ملكا مصريا وهو يشق ترعة.[٣]

---

(١) See, Naissance d'Urbanisme dans la Vallée du Nil,Paris, 1973

(٢) لنا أن نتذكر مثلا كيفية استمرار النظام السياسى المصرى القديم ، أكثر من أربعة آلاف عام ، مع وجود فترات القوة والضعف معا .

(٣) يوجد هذا المنظر فى نقوش رأس مقمعة القتال من العاج الخاصة بالملك العقرب ، راجع: Vandier , Manuel d'archéologie I,p.600-602: Fig , 393 .
Quibell , Hierakonpolis I (1900) , p . 24, pI .26 (e) (4).

وعلى أقدم قوائم المملوك ، حجر بالرمو ، نجد مع ذكر أسماء الملوك ، نوعا من الترتيب التاريخي للأحداث الهامة التى وقعت أثناء حكم كل منهم لمصر ، مع مراعاة العامل الأساسى فى كل عام ، إلا وهو تسجيل ارتفاع مياه النيل . فالحياة الزراعية ترتبط فى كل عام بمدى ارتفاع الفيضان [١] ويعتمد فرض الضرائب أيضا على حالة الفيضان . ويعتبر هذا الأمر ، فى حد ذاته ، مثلا لمدى تأثير العامل الجغرافى على الحياة الإدارية فى المجتمع الإنسانى .

ولكن العامل الجغرافى لا يقف عند هذا الحد ، بل إن عنصر المياه والخوف من قلته نجد له صدى فى النصوص المصرية القديمة ، فالماء هو القربان الأساسى الذى يقدم للمتوفى ، وينثر تحية لذكراه [٢] . ونجد فى تلك الخطابات الغريبة التى يرسلها الأحياء إلى الموتى ، صيغة تهديد بالنسبة لهؤلاء الذين لم يطيعوا الأوامر الموجهة إليهم ، فلن " يصب إليهم الماء المطهر " . ومن هنا نرى أن الماء أعتبر عنصرا حيويا وأساسيا بالنسبة لتأدية القرابين .

ونرى أيضا فى نص جغرافى أن تمييز طبقة السكان فى مختلف أنحاء البلاد ، تم طبقا لمصدر شرب الماء ، فهناك من يشربون من ماء النيل أو مياه الآبار ومياه الترع أو مياه الأمطار المخزونة . ومما يدل على أهمية هذا العنصر ، وجود أكثر من سبعين لفظا فى اللغة المصرية للتعبير عن المياه وعن كيفية انسياب مياه النيل [٣] . وقد عرف المصريون قيمة الأرض الزراعية ، ولكى يعبروا عن بلادهم أطلقوا عليها " تاكمت " أى " الأرض السوداء " على عكس الصحراء جرداء التى تتميز باللون الأحمر .

---

(١) D.Bonneau , Le Fisc de Nil , Paris , 1971 .

(٢) Garnot , L'Appel aux Vivants dans Les textes Funeraires Egyptiens , 1932 , p . 25 n .(2) .

(٣) Wb VII , p . 160 – 181 (Wasser) .

تأثير البيئة على السكان : مصر بلد تقوم أساسا على تجمعات السكان ، يلاحظ ذلك بوضوح فى الطابع العام ، وتجمع السكان هذا نتج عن ضرورة جغرافية إلا وهى البحث عن مأوى بعيد عن تأثير الفيضان مع عدم فقدان الكثير من الأراضى الصالحة للزراعة . فقد شيد المصريون قراءهم على أطراف الأراضى الزراعية المتاخمة للصحراء ، وذلك لعدم نجاحهم فى إقامتها فوق هضبة مرتفعة أو تل مرتفع فى مأمن من الفيضان . وقد تأثر أهل الحضارة المصرية بعوامل الطقس . فجو مصر له طابع متميز : فهو طقس صحراوى فى الأصل (فيما عدا المناطق الساحلية فى شمال الدلتا) فالأمطار نادرة جدا (تبلغ فى المتوسط ٢٣ ملليمترا فى العام) . ونجد أيضا الرياح جافة (تبلغ فى المتوسط ٣٣ ملليمترا فى العام) . ونجد أيضا الرياح جافة (باستثناء الرياح الشمالية) .ودرجة الحرارة اليومية تختلف بفارق كبير فى النهار عنها فى الليل . وتصل هذه الفوارق فى الشتاء بين ١٥ – ١٦ درجة . ونتيجة لهذا الطقس ، فى بلد عديم الأمطار ، تبلغ فيه درجة الحرارة السنوية أ:ر من ٢٠ درجة ، كان لابد من امتلاك مسكن .ومن هنا ظهرت أهمية البناء منذ فجر عصور الحضارة المصرية .

وكان من الأفضل لنا ، أن نتعرف على مدى تأثير الطقس الصحراوى على الإنسان المصرى نفسه ، وللأسف الشديد أن مثل هذه الدراسة الخاصة بتأثير الطقس على جسم الإنسان المصرى ، لازالت فى مرحلة بدائية[١] . وقد أدت بعض الدراسات الحديثة عن مدى تأثير الرياح والرطوبة والرعد على تكوين الإنسان ، إلى إظهار أن الطقس قد أدى دورا هاما وضروريا فى تكوين وتطور أهل المجتمع الإنسانى .

ويقول مكسمليان سور[٢] أنه ليس هناك أية مجموعة من البشر ، قادرة على

---

(١) Vercoutter , op . cit . , p . 22 .

(٢) كان يشغل وظيفة أستاذ الجغرافيا بجامعة السربون ما بين ١٩٣٠ – ١٩٤٠ .

الاستقرار فى مكان ما مع المحافظة كلية على صفاتها العامة وتكوين سائر أعضاء أجسامها ، ويناقش سور الدور الذى تؤثر فيه بعض المظاهر الجغرافية على تكوين جسد الإنسان مثل " شدة الضوء ، انخفاض الضغط ، جفاف الهواء فى المناطق المرتفعة ، شدة الرياح فى المناطق الساحلية " .

وعلى ذلك فإن التأثير الذى أحدثه الطقس المصرى الفريد ، على إنسان وادى النيل ، من الأفضل أن يدرس بمزيد من الاستفاضة والاهتمام بواسطة عالم طبيعة ، أجدى مما لو تدارسه مؤرخ ، وقد تركت المعالم الجغرافية أثرها الملموس على صورة أرض مصر ، فهى عبارة عن خط مستطيل فى أغلب الأحوال ، ومتعرج أحيانا ، ينتهى فى النهاية بما يشبه الرقم " سبعة " أى أن الخط المستقيم هو الوجه القبلى ، وينتهى بالمثلث المقلوب الذى يمثل الدلتا ، وهى تسمية إغريقية لأن شكل يشبه حرف الدلتا باليونانية وقد ظل هذا الاسم يطلق عليها حتى الآن ، وكان هذا المثلث مكونا من الأراضى المنخفضة ، وتبلغ قاعدته على شاطئ البحر المتوسط ٢٤٠ كم طولا ، هاهى صورة مصر نفسها التى هى عليها الآن ، وهى نفس الصورة التى كونتها الطبيعة والسكان منذ القدم . ونجد أن الأرض المزروعة أكثر اتساعا فى الدلتا ، وفى أماكن أخرى نجد أن الوادى لا يتسع إلا لعدة كيلومترات ولنا أن نفكر أيضا أن مصر بامتدادها الذى يبلغ مساحة بلجيكا أو ضعف طول فرنسا لا تبلغ المساحة المزروعة منها سوى ٣٠ ألف كم^{2} .

هذا الوضع الغريب ، كان له تأثير على الحياة السياسية والإدارية للبلاد ، فهذا الشريط الطويل الذى يمثل أرض مصر والذى ليس له طريق غير النيل ، كان يعمل فى الاتجاه المضاد ، ويساعد على الانفصال ، وتفتت السلطة المركزية ومن الصعب على أى حاكم أن يمارس بنشاط أية سلطة محلية فى مناطق تبعد أكثر من ١٠٠٠ كم عن العاصمة . فالوصول إلى تلك الأقاليم البعيدة ، كان يتطلب الإبحار فى النهر لعدة أيام . ولهذا السبب فعندما تصاب السلطة المركزية بنوع من الضعف ، رى حكام الأقاليم يتحولون على الفور إلى ملوك صغار ، لهذا نرى منذ البداية ، أن تاريخ مصر القديم كان يتأرجح بين الاتجاه التجمع السياسى الذى تتطلبه الاحتياجات الضرورية للبلاد ، والاتجاه إلى الانفصال الذى يؤدى إليه امتداد البلاد طولا . ومن

هنا نشأت أيضا ، أهمية الأقاليم فى الحياة المصرية ، فقد كان لزاما على لك إقليم أن يعيش ويتمتع بنوع من الحكم الذاتى نظرا لبعده الكبير عن السلطة المركزية والإدارية فى العاصمة .

ونظرا للضروريات أصبحت مصر بمرور الوقت دولة ذات تجمع سياسى قوى متماسك ، وفى نفس الوقت ذات تجمع إدارى منظم . ونتيجة لذلك كان لابد من إحراز تقدم سريع فى فن الملاحة . فمصر ليس لديها طريق آخر غير النهر ، الذى كانت تعبره الكثير من المراكب الشراعية : فالرياح الشمالية الغربية تهب بدون انقطاع ، مما ساعد على سهولة وسرعة صعود المراكب لمجرى النيل . ولكن لنزول مجرى النهر ، كان لابد من استخدام المراكب لمجرد عبور الشاطئ الغربى إلى الشرقى وبالعكس . ويبدو أن الديانة نفسها قد تأثرت بهذه الضرورة الطبيعية ، لدرجة أن المصريين كانوا يعتقدون فى أن الشمس تعبر السماء فى قارب مقدس أثناء رحلتها الليلية فى العالم السفلى . وحتى على مستوى الصناعة كان لهذه الضرورة تأثيرها أيضا ، فقد توصل المصريون إلى اختراع الدفة .

هكذا رأينا مدى مساهمة عناصر البيئة وأهمها النيل فى توفير عوامل الاستقرار لأهل الحضارة المصرية ، كما مهدت لها هذه العناصر سبل التطور والازدهار بفضل الدور الفعال الذى قام به السكان الأوائل الذين كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة الظروف البيئية والمناخية ولا يوجد شبر واحد فى ثرى هذه الأرض إلى وامتزج بعرق أولئك الأجداد جيلا بعد جيل وكما كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة هذا النهر العظيم ، لذا كان النيل معلمهم الأول .[١]

فهو الذى علمهم معنى الترابط الاجتماعى ومعنى الوحدة السياسية وأنه لابد لهم من حكومة ونظام للإدارة والأمن يسهران على الاستفادة من مياه النيل وتوزيع مياهه بعدالة بين الناس ومواجهة أخطار فيضانه . كما علمهم أهمية الزراعة وأهمية

---

(١) مختار السويفى : مصر والنيل (فى أربعة كتب عالمية) ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧ – ٢٨ ، ٦٥ – ٧٠ .

الارتباط بالأرض والانتظام فى مراقبة النهر وأحواله . فمن أجل الزراعة تعلم المصريون القدماء تقسيم وشق القنوات والمصارف [١] ، علمهم تسجيل ارتفاع منسوب المياه وإقامة الجسور وبناء السدود ، وعلمهم اختراع وسائل الرى والزراعة لرفع مياهه لرى الأراضى البعيدة عن مجرى النيل ومجرى الترع ، وعلمهم التقدم فى صناعة المراكب الشراعية لنقل الإنسان والبضائع فكان لهم طريقا للمواصلات ، ومن طميه شيدوا بيوتهم وقراهم على روابى عالية فى الريف ، وعن طريق النيل نقلوا الكتل الحجرية الصلبة من أماكن المحاجر على الضفة الشرقية ومن أسوان ليشيدوا آثارهم الضخمة ، ومن نبات البردى الذى ينمو على ضفافه وفى مستنقعاته صنع المصريون القدماء الورق الذى سجلوا عليه معارفهم وعلومهم وآدابهم ومعتقداتهم بعد أن توصلوا إلى معرفة اللغة والكتابة . وفى مواجهة فيضانه الزائد علمهم كيفية مواجهة المحن والأخطار فى حياتهم .

ولهذا كان النيل محل تقديس لدى المصريين القدماء ، ومنحوه صفات القداسة وسموه " حعبى " الذى يعنى " الفيضان " ويتخذ المعبود حعبى صورة رجل ذو جسم ممتلئ له بطن كبير وثديان كبيران تنبثق المياه من حلمتيهما رمزا للخصوبة والعطاء لأرض مصر الطيبة وللناس . فيأتى النيل بالمياه التى تروى ظمأ الأرض وظمأ الناس ، وبالطمى الذى يخصب الأرض ، ويمنحها المزيد من القوة والقدرة على العطاء لنشر الخير الوفير فى ربوع الوادى . ومن هنا جاءت صفة العطاء التى أسبغها النيل على طبيعة المصريين القدماء .

كما تعلموا من نيلهم معنى الوفاء ، فكان ذلك من اعظم الدروس المستفادة

---

(١) يحتفظ متحف ليل فى فرنسا ببردية من العصر البطلمى تعطينا صورة عن تخطيط الأرض لشق القنوات والمصارف فى إحدى ضياع الفيوم ، راجع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٦ حاشية (١٩) .

من معلمهم الأول .[1] . وهناك يوم يحتفل فيه بـ " وفاء النيل " [2] ويقع فى النصف الثانى من شهر أغسطس ، وهو يوم عيد لا تعطل فيه وزارت وهيئات ومصالح الحكومة .

وكان لكل هذا أثره الفعال فى طابع الاستقرار والعمران بالنسبة للإنسان المصرى القديم وأدى إلى ارتباط بأرضه وعدم التفكير فى الهجرة منها . كما استطاع الإنسان المصرى بفضل موارد البيئة وسواعده القوية وأرضه الطيبة أن يحقق لنفسه نوع من الأمن الغذائى ومصدر دائم ومستمر للرزق والطعام . وبفضل ذلك حقق الكثير فى حياته الاقتصادية . وعندما ضمن مصدر غذائه فى الأرض وفى النهر انطلق إلى البناء الحضارى لكى يحافظ على تدفق واستمرارية عطاء هذا المصدر .

ومن هنا برزت شخصيته القومية . فقد ترتب على العمل بالزراعة وفلاحة الأرض زيادة التماسك والترابط بين الأفراد وزيادة عوامل الاستقرار المعيشى بينهم للتحكم فى محاصيل أراضيهم واستغلال الفائض منها على المعيشة فى غير فصول الإنبات وفى مواسم الجفاف .

وحتى فى أوقات الجفاف والقحط نتيجة لانخفاض مستوى مياه النيل وعدم فيضانه فى بعض السنوات ، نجد أن المصرى لم يترك أرضه ووطنه ويهاجر إلى

---

(١) وفى هذا قال الشيخ صدر الدين بن عبد الحق :

" لا تعجبوا من أهل مصر وإن وفوا بعهودهم ما فى الوفا منهم خفا. وفى لهم فى كل عام نيلهم فتعلموا من نيلهم ذاك الوفاء " . جاء ذلك عند ابن اياس فى كتابه : بدائع الزهور وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى ، الجزء الأول ، القسم الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، ص ٥١ .

(٢) D. Bonneou , Les Fêtes de La Crue du Nil, RdE 23 (1971) , p . 49 – 65 .

البلاد المجاورة أو يحاول أن يقوم بغزوه للاستيلاء على خيرات الآخرين لأنه كان يعرف أن مثل هذه الكوارث هى كوارث عرضية ، على الرغم من أن بعض هذه كان يمتد أحيانا إلى عدة سنوات . وخير دليل على ارتباطهم بالأرض هو أنهم كانوا يستخدمون بصفة دائمة فى صيغ الدعوات كلمة " جد " بمعنى " الاستقرار والثبات والدوام " (١) أى الثبات والدوام على هذه الأرض الطيبة أثناء حياتهم أو على أرض العالم الآخر عند وفاتهم ، لأنهم تخيلوا أن العالم الآخر ما هو إلا صورة أخرى للبيئة المصرية بنيلها وأراضيها الخصبة وصحاريها .

وأخيرا نظرا لموقع مصر فى أقصى الشرق للقارة الأفريقية ، فهى بذلك كانت تعتبر نقطة الاتصال بين العالم الآسيوى والشاطئ الغربى للبحر المتوسط والعالم الأفريقى . وأثر هذا الموقع فى تطور إمكانيات أهل الحضارة المصرية ، وكان لكل ذلك أثره على الحياة السياسية فى مصر نفسها فى العصور التاريخية .

وكما ذكرنا إن طول البلاد ، كان يتطلب من الناحية السياسية والإدارية وجود عاصمة ويجب أن تكون فى مكان متوسط من البلاد إلى حد ما ، حتى يستطيع الملك القوى أن يبسط نفوذه على جميع أنحاء الوادى والأقاليم دون عائق ما . ومنذ العصر الثينى . وبدون شك منذ عصور ما قبل التأريخ ، كان هذا الموقع المتوسط الحيوى يتمثل فى إقليم منف (الذى لا يبعد كثيرا عن جنوب القاهرة) ومن هذا المكان فى الواقع ، استطاعت الإدارة الملكية أن تتحكم فى الدلتا وفى أعالى الوادى . وسوف نرى فيما بعد ، أن ذلك الموقع ظل يلعب دور العاصمة خلال الدولة القديمة ، ولكن لسبب عاطفى ودينى أكثر منه سياسيا أتجه ملوك الدولة الحديثة إلى إقرار عاصمتهم فى طيبة ، التى وإن كانت تمتاز بأنها أكثر قربا إلى بلاد النوبة التى اتسعت حدود مصر وتجاهها إلى أقصى درجة ، إلا أنها لا تمثل العاصمة المثالية ، نظرا لبعدها الشاسع عن الدلتا .

---

(١) استخدموا أكثر من خمسة عشر لفظا للتعبير عن الاستقرار ، راجع : Wb . VII , p . 34 . (Dauern)

وكانت مصر محمية بذلك الموقع الجغرافى فالصحراء تحيط بها من الشرق والغرب وفى الشمال يحدها البحر ، وفى الجنوب توجد الصحراء أيضا ومجرى النهر السريع ، وقد ساعدت تلك الموانع الجغرافية على تطور الحياة وعلى تطور الحضارة التى كانت تنعم بفترة هدوء إلى حد ما ، لم تعرفه الكثير من حضارات العالم القديم . ولكن هذا الموقع لم يمنع تعرضها للغزو فى بعض الأحيان . وابتداء من الدولة الحديثة بدأت مصر تشعر فى الواقع ، بالمتاعب الناتجة عن موقعها فى ملتقى العالم القديم . ونرى أنه منذ بداية الأسرة التاسعة عشرة ، اتجهت مصر إلى نقل مركز الثقل إلى الدلتا . فقد كانت هناك الإمبراطوريات الآسيوية التى أصبحت فى قمة قوتها والتى بدأت تتوسع نحو الغرب ، فكان من الضرورى أن تصطدم بمصر ، وفيما بعد نجد بعض الموجات الهند وأوربية الثانية تتجه نحو شمال الدلتا وتصل إلى الشواطئ المصرية . ونقل العاصمة ، كان نتيجة مباشرة لزيادة أهمية الموقع الجغرافى للبلاد . ولكن الحضارة المصرية أصابها بدون شك نوع من الضعف لكى تتأقلم مع الظروف السياسية الجديدة . ويمكن القول بأن فترة الضعف الطويلة التى تعرضت لها مصر والتى بدأت فى نهاية هذه الفترة ، ترجع إلى أنها لم تستطع التغلب على مشاكلها الداخلية . وعلى الرغم من أن الظروف الجديدة ، كانت تحتم وجود العاصمة السياسية بالقرب من البحر المتوسط ، الذى أصبح مجالا لاحتكاك العالم القديم ، فإن هذه الظروف كانت تتطلب أيضا ، أن تكون مصر مستعدة عسكريا بكامل قوتها ، وإذا كان الملوك المصريون قد فهموا ضرورة وأهمية – نقل العاصمة فى الدلتا – إلا أنهم لم يستطيعوا مع ذلك المحافظة على وحدة البلاد ، التى تسمح لهم بالقيام بدور فعال فى مواجهة الإمبراطوريات الجديدة التى ظهرت أمامهم .

وقد أدى نقل العاصمة بالقرب من الشمال الشرقى ، وهى ضرورة سياسية جديدة ، إلى إبراز الوجود المصرى فى عالم البحر المتوسط . ونظرا لأن مصر ليس لها إلا نافذة واحدة على البحر المتوسط ، فهى تبعا لذلك لم تستطع أن تؤدى إلا دورا ثانويا ، حتى الوجود المصرى لم يكن له أى تأثير فى تغيير مجرى الأحداث فى تاريخ العالم القديم .

وهذا الطابع المصرى الغنى بالمتناقضات ، حيث الصحراء الوعرة التى أبرزت غنى الوادى ، حيث الامتداد الطويل للبلاد ، الذى يتعارض مع الوحدة التى تتطلبها ظروف الحياة ، كل ذلك كان من مميزات البيئة المصرية . وقد شعر هيرودوت بذلك وقد كتب فى بداية تاريخه :

" إن المصريين الذين يعيشون فى جو فريد ، على حافة نهر يمتاز عن بقية الأنهار الأخرى ، كانت لهم معتقدات فى كل الأشياء والمجالات تقريبا وعادات وتقاليد على اختلاف الشعوب الأخرى " .[١]

وهكذا كان من الضرورى إظهار أصالة أرض مصر وطبيعة هذا البلد لكى يسهل علينا – فيما بعد – فهم المجتمع الذى عاش عليها وتأثر بها وأخيرا لنا أن نسأل ما هى التسميات والصفات التى أطلقها المصريون القدماء أنفسهم على هذه الأرض وهذه البلاد .

أطلق المصريون القدماء على بلادهم وأرضهم أسماء وصفات عديدة ذكروها فى نصوصهم المختلفة منذ عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى – الرومانى . وفى هذا العصر الأخير بالذات زاد إحساس المصريون القدماء بقيمة أرضهم وما تمثله لهم من معانى ، فحاولوا إظهار ذلك فى الصفات والأسماء التى أطلقوها على أرضهم على الرغم من وجودهم تحت حكم أجنبى . فقد أطلقوا على أرضهم أكثر من عشرين اسما وصفه ، وهى كالآتى :

(١) ايا وت بمعنى " الأماكن المرتفعة أو التلال المرتفعة " ، وذلك فى العصر البطلمى .[٢]

(٢) إرت رع " عين المعبود رع " معبود الشمس أى تحت رعايته وحمايته الدائمة ، من العصر المتأخر .[٣]

---

(١) Herodote – Thcydide, Oeuvres Completes, texte presenté, traduit et annoté par A. Barguet, Paris 1964, p. 155 (35) .

(٢) Wb. 1, 26, 13 .

(٣) Wb. 1, 107, 11 .

(٣) وجات إنت رع لها المعنى نفسه .[١]

(٤) إستى بمعنى " أرض المنتجات (الزراعية) " أو " بلاد البوصتين " من العصر البطلمى .[٢]

(٥) إترتى بمعنى " (بلاد) المقصورتين للوجه القبلى والبحرى " من عصر الدولة الوسطى .[٣]

(٦) إدبوى أرض الضفتين أى ضفتى النيل ، من الدولة القديمة فى نصوص الأهرام .[٤]

(٧) إدبوى – حر ضفتى المعبود حورس من عصر الدولة الوسطى وعصر الأسرة الثامنة عشرة .[٥] وفى العصر البطلمى يقال" ادبو – حر " " ضفاف حورس " .[٦]

(٨) وجات أى " العين " عين المعبود حورس الحامية من العصر المتأخر والعصر البطلمى .[٧]

(٩) باكت أى " المضيئة بنور شمسها الساطعة دائما ، من العصر المتأخر والعصر البطلمى .[٨]

(١٠) بيا " أرض منتجات (المناجم والمحاجر) " من العصر البطلمى .[٩]

---

(١) Meeks, Alex. 11, p. 113 .

(٢) Wb. I, 127, 10; Sauneron, la Porte Ptolemaique de l'enceinte de Mout `a Karnak, le Caire (1983), pl. 8 texte 3, 1. 4.

(٣) Wb I, 148, 1.

(٤) Wb I, 153, 3.

(٥) Wb I, 153, 7.

(٦) Sauneron, op. cit., pl. 7 texte 4, 1.5 .

(٧) Wb I, 402 .

(٨) Meeks, Alex. 11, p. 20; Wb. I, 425, 18; Sauneron, op. cit.,pl. 9 texte 6, 1. 42.

(٩) Wb. I, 442, 5 .

(١١) با تا — " الأرض " أو " البلد " أى أرض مصر كلها ، وكانت تكتب بعلامة الأرض المنبسطة والمسطحة ، من عصر الدولة الوسطى .[١]

(١٢) تا بن — " هذه الأرض " منذ عصر الدولة القديمة .[٢]

(١٣) تا — " الأرض " بدون أداة تعريف ، وذلك فى بعض نصوص الأسرة التاسعة عشرة .[٣]

(١٤) با تا إن كمت — " أرض السواد " بالنسبة للون طينها وطميها ، من عصر الأسرة الثامنة عشرة .[٤]

(١٥) خبشوت — أى " أرض القوة " أى القوة فى سواعد أبنائها وقوة عزيمتهم فى كل ما حققوه على هذه الأرض ، من عصر الدولة الوسطى .[٥]

(١٦) سنوت — أى " أرض عيد اليوم السادس (من كل شهر) وهو عيد معروف منذ عصر الدولة القديمة .[٦] وأصبح اسم هذا العيد صفة تعبر عما كان يسود بين أفراد المجتمع الواحد من احتفالات وبهجة فى العصر البطلمى .[٧]

(١٧) كمت — وهى أكثر التسميات تعبيرا عن طبيعة أرض الوادى

---

(١) Meeks, Alex. I, p. 410 .
(٢) Meeks, Alex. I, p. 410; t. 111, 318 .
(٣) Meeks, Alex . 111, p. 318 .
(٤) Meeks, Alex . 111, p. 318 ; Wb, V, 126, 15; 216, 1 .
(٥) Wb. 111, 270 .
(٦) ويقرأ أيضا " نت " ونعرف أن بعض أيام الشهر كان لها صلة بالدورة القمرية، وارتبط هذا العيد بعدة معبودات وهى حورس وتحوتى واوزير ونيت ، راجع : R el Sayed, Documents relatifs `a Sais, p. 66 n (c) .
(٧) وهناك أعياد اليوم الرابع واليوم السابع واليوم الخامس عشر والثالث والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر ، راجع : Altenmuller, LA 11, p. 173 ; Wb. 11, 198, 1 – 2 ; 1V, 153 , 7.

الزراعية فهى تعنى الأرض السوداء . وعرفت هذه التسمية فى عصر الدولة القديمة .[١]

وعرفت هذه التسمية عند اليونانيين تحت اسم " خميا " والتى تعبر عن الأرض الزراعية الخصبة[٢] ومنها جاءت التسمية كيمياء . وأطلق العرب فيما بعد على أرض مصر التسمية نفسها " أرض السواد " . وقد استخدم هذا الاسم بكثرة فى النصوص المصرية منذ عصر الدولة القديمة حتى نهاية العصر الرومانى .

(١٨) تاو كمت " أراضى السود " من عصر الدولة الحديثة .[٣]

(١٩) تاوى " الأرضين " أى أرض الوجهين القبلى والبحرى من عصر الدولة القديمة (نصوص الأهرام) .[٤]
أو تامحو " الدلتا " وتاشمعو " الوجه القبلى " ، من العصر المتأخر والعصر البطلمى .[٥]

(٢٠) تامرى أى " الأرض المحبوبة أو المفضلة " وهى تسمية تعبر فى الواقع عن ارتباطهم بهذه الأرض الخيرة بفضل نيلها ومنتجات أرضها الوفيرة . وقد استخدم هذا الاسم بكثرة فى النصوص . وعرف ابتداء من الأسرة الحادية عشرة وبكثرة خلال الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها .[٦]

---

(١) Wb. V, 126, 7.

(٢) Meeks, Alex. I,p. 398; t. 111, p. 310 .

(٣) Wb. V, 126, 17; 221, 2 .

(٤) Meeks, Alex. I,p. 411; t. 11, p. 406; Wb. V, 217,1.

(٥) Wb. V, 224, 10; 227, 4 .

(٦) Meeks, Alex. I,p. 411; t. 11, p. 407; Wb. V, 223,3.

(٢١) مكى " المحمية " وهى من أجمل الصفات المعبرة ؛ أى المحمية بفضل رعاية المعبودات لها ، والمحمية بفضل سواعد أبناءها وقوة جندها ، والمحمية بفضل المواقع الجغرافية التى تحيط بأرض الوادى من الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وعرفت هذه التسمية من عصر الأسرة التاسعة عشرة .(١)

ونعلم من النصوص أن مدينة منف كانت تسمى بوجه عام " حوت – كا – بتاح " " مقر قرين بتاح " وهو الاسم الذى كان يطلق على معبد المعبود بتاح فى منف . وطبقا لنظرية مقبولة حرف الإغريق هذا الاسم إلى Aegyptos ومنها جاءت التسمية Egypt فى اللغات الأوروبية .(٢) ويرى بعض العلماء أن هذه التسمية

---

(١) Meeks, Alex. 111, p. 134; Wb 11, 160, 16.
عن بعض هذه التسميات التى أطلقت على أرض مصر ، راجع : Otto, LA I, p. 76 – 78 . ؛ عن هذه الأسماء ، راجع : د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، ص ١٣٩– ١٤٤ . وناقش د. عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه : اللغة المصرية القديمة ، ص ٢٥١–٢٥٣ ملحق (٧) الأسماء التى عرفت بها مصر . ويرى البعض ان اسم مصر اشتق من الكلمة المصرية mḏr التى تعنى الحائط أو الجدران (راجع : د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ٢٥٣) ولكن فى رأينا ان هذا الاشتقاق غير صحيح لأن المصريين القدماء استخدموا هذه الكلمة فى نصوصهم منذ عصر الدولة الوسطى والأسرة الثامنة عشرة بمعنى حائط ولم يستخدموها للتعبير عن بلادهم أو أرضهم . (راجع : Wb 11, 189, 6 – 7) .

(٢) Gauthier, DGI, p. 12 et, p.111; Naville, JEA9 (1917), p.229- 30 .

الأوروبية ربما كانت مشتقة أساسا من الكلمة المصرية القديمة " آجب " [١] التى تعبر عن مياه النيل أو فيضانه . وهو احتمال مقبول أيضا . وهذا يعنى أن التسمية إيجيبت كلمة ذات أصل مصرى قديم .

أما عن التسمية مصر فيبدو أنها ذات أصل قديم أيضا ومعروفة منذ القرن الثالث عشر ق. م . فى بعض مصادر الشرق الأدنى القديم ، ففى أرشيف بوغاز كوى (التى تقع شرق أنقره) والذى كشف عنه أعوام ١٩٠٦ – ١٩٠٧ ، ١٩١١ – ١٩١٢ نجد أن معظم الخطابات كتبت بالخط المسمارى البابلى ، وهو خط اللغة الدبلوماسية التى كانت شائعة ومتداولة فى بلاد الشرق القديم ، وقد ورد فيها اسم الملك رمسيس الثانى (١٢٩٠ – ١٢٢٣ ق. م) مرتين . وكان يلقب بلقب " لوجال كور ميسرى (Misri) أى الملك الكبير ملك أرض مصر " [٢] وهذا يعد فى رأينا أقدم ذكر لاسم مصر فى النصوص القديمة .

وورد فى المصادر الآشورية فى القرن الثامن ق. م . فى نصوص من عصر الملك تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٨ ق. م. وسرجون الثانى (٧٢٢- ٧٠٥ ق. م) اسمين أثارا مشكلة بين العلماء . فتذكر هذه المصادر أن ملك آشور تلقى جزى من " برعو ملك مصرو " كما ذكرت أيضا أنه تلقى اثنى عشر جوادا كبيرا لا مثيل لها هدية من " اوشلكانى ملك مصرى " كما أشارت إلى مدينة اسمتها " نخل مصر ". ويرى د. صالح أن هذه الأسماء لم تكن لها صلة باسم مصر . وأن النصوص الآشورية ذكرت اسم " برعو ملك مصرو " مع رؤساء البادية مثل سمسى ملكة أريبى ، ويثع امر السبئ ، مما يعنى أن بلاد مصرو كانت من مناطق البادية أو أنها كانت قريبة من البحر الأحمر ومن الحدود المصرية . أما عن " اوشلكانى ملك مصرى " فيرى د. صالح أيضا أنه اسم محرف لاسم عربى مثل سلحان وليس اسما لملك مصرى لأن مصر لم تشتهر بالخيول الكبيرة التى أشارت إليها نصوص

---

(١) R. el Sayed, BIFAO 76 (1976), p. 96 .

(٢) Edel, LA 111, p. 483 .

سرجون الثانى .[١] أما عن المدينة التى تحمل اسم مدينة " نخـــل مصـــر " فيمكـــن ترجمتها بمعناها الآشورى بمعنى " قناة مصر ، أو سيل مصر أو نهر مصر " فـيرى د. صالح كذلك أنها كانت جزءا من وادى العريش أو جزءا من خليـــج الســـويس أو جزءا من واد قريب من رفح أو اسم له صلة بقرية النخل فى شبه جزيرة ســيناء .[٢] وفى رأينا أن كل هذه الأسماء أو التسميات ما هى إلا صدى لاسم ميسرى الـذى ورد فى مصادر بوغازى كوى .

وكما نعرف فإن الآشوريين قد غزوا مصر ثلاث مرات ، وقد جاء اســـمها فى النصوص الآشورية . فيذكر اسرحدون (٦٧١ ق. م) فى أحـــد نصوصـــه[٣] : " لقد تغلبت على أرض " موسرى " (الوجـــه البحـــرى) وأرض " بانورســـى "[٤] (مصر العليا) وأرض كوش " .

كما حدثنا آشور بانيبال عن الغزوة الآشورية الثالثة (٦٦٤ ق. م) فيقول : " وفى حملتى الثانية توجهت إلى " مصور " (مصر) وكـــوش (النوبـــة) وســـمع تاندامانى (تانوت آمون) عن حملاتى واننى وطئت أرض مصـــر . فـترك منـف وهرب إلى طيبة لينقذ حياته " .[٥]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـــى القديـــم ، الجـــزء الأول : مصـــر والعراق ، ص ٥٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢١ .

(٣) راجع الترجمة فى وولتر إمرى : مصر وبـــلاد النوبـــة (ترجمـــة تحفـــه حندوسة) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشـــر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢٨ ؛ د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة : الجزء الأول ، ص ١٤٥ حاشية ١ – ٤ .

(٤) ربما يقصد بهذا الاسم اسم مدينة طيبة الجنوبية (niwt rsyt = Wb 11, 212, 4) .

(٥) راجع الترجمة فى المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

كما ذكر اسم مصر فى نصوص نابو بلاصر الثالث (٦٠١ ق. م) ونابوخذ نصر (٥٦٨ – ٥٦٧ ق. م) وكتب : مو – صرى ، مو – سرو ، مى – سير (مرتين) .[١]

وهناك نص هام جاء فيه ذكر اسم مصر ، وهو نص كتب على تابوت من الخشب بالخط المعينى ويخص أحد التجار المعينيين زيد ايل ، الذى عاش فى عصر بطلميوس الثانى (٢٨٥ ق. م) أو بطلميوس السادس (١٧٢ ق. م) وقد دفن هذا التاجر فى سقارة ، وعثر على تابوته هناك وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى تحت رقم SS 27/B4 ويُتحدث فى هذا النقش عن معاملات تجارية بينه وبين كهنة المعابد المصرية وكيف انه كان يمد هذه المعابد بمقادير من المر وقصب الطيب مقابل أقمشة مصرية وذكر اسم مصر مرتين وكتب بالخط المعينى " م ص ر " .[٢]

وذكر اسم " مصرايم " حوالى ٦٨٠ مرة فى كتابات العهد القديم .[٣] ويعنى

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢٣٠ ؛ آلن جاردنر : عصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د.عبد المنعم أبو بكر) ، ص ٣٧٣ حاشية (٤) ؛ حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثانى ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ١٩٨٣، ص ٦٤ حاشية (١٤)، ص ٧٦ حاشية (٧٦) .

(٢) أمل بيومى مهران : دراسة تاريخية للعلاقات بين الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة دكتوراة غير منشورة – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ١٩٩٦ ، ص ٦١ – ٦٣ .

(٣) Posener, Dictionnaire de La Civilisation Egyptienne, p. 108 – 109 ; Fontinoy, CdE 64 no 127 – 128 (1989), p. 90 – 97 .

هذا الاسم " الحد أو الحاجز أو المكان الحصين أى المكان المحمى أو البلد المتمدين ".[١] وهذا ما يتفق تماما مع الأسم الأخير الذى أطلقه المصريون القدماء على بلادهم . وأشير إلى مصر وأرضها عدة مرات فى آيات القرآن الكريم ، فقد ذكرت التسمية : مصر خمس مرات[٢] ، وذكرت باسم " الأرض " خمسة عشر مرة .[٣] وهو اللفظ نفسه الذى أطلقه المصريون القدماء على أرضهم بمعنى " بانا " (التسمية رقم ١١) .

وعندما تعرض أغلب المفسرين والمؤرخين والأخباريين العرب لأسم مصر ، فالبعض ذكرها بالتسمية نفسها ، التى جاءت فى آيات القرآن والبعض الآخر أعطى تفسيرات مختلفة لأصل التسمية مصر من الأسم مصرايم بن بيصر بن حام بن سيدنا نوح فقد جاء عند القرمانى مثلا (٩٣٩ – ١٠١٩ هـ) (١٥٣٢ – ١٦١٠ م) . فى الفصل العاشر فى ذكر ملوك مصر قبل الطوفان وما لهم من الآثار والبنيان نقرأ[٤] : " ذكر أهل التاريخ ان بنى آدم عليه السلام لما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحول (نقراوش الجبار) بن مصرايم بن مركاييل بن روابيل بن عرياب بن آدم عليه السلام فى نيف وسبعين رجلا جبابرة يطلبون موضعا ينقطعون فيه عن بنى آدم عليه السلام فلما نزلوا على النيل ورأوا وسعة البلد وحسنه وحسن مائه أقاموا فيه وعمر مدينة مصر وسماها باسم أبيه مصرايم " .

وفى الفصل الحادى عشر فى ذكر ملوك مصر بعد الطوفان نقرأ[٥] : " أجمع أهل الأثر على ان أول من ملك الديار المصرية بعد الطوفان مصرايم بن بيصر بن حام

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ٣١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى – المجلد الثانى) ، ص ٢٢٧ ؛ وأيضا : Posener, op. cit., p. 97 – 98 .

(٢) البقرة : آية ٦١ ؛ يونس : آية ٨٧ ؛ يوسف : آية ٢١ ، ٩٩ ، الزخرف : آية ٥١ ؛ د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، ص ١٤٨ – ١٥٠ .

(٣) الأعراف : الآيات : ١٢٧ ، ١٢٩؛ يونس : الآيات : ٧٨ ، ٨٣ ، يوسف : الآيات : ٢١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ٨٠؛ الشعراء : الآية : ٣٥ . القصص: الآيات : ٤، ٥ ، ٦ ، ١٩ ، ٣٩.

(٤) القرمانى : كتاب أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، عالم الكتب ببروت ، ص ٣٧٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .

ابن نوح عليه السلام وذلك بدعوة سبقت له من نوح جده لولده حام .[١] وجاء ذكر اسم مصر فى أكثر من حديث لسيدنا رسول الله :

" ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمة " ، " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة " ، " مصر أطيب الأرضين ترابا وعجمها أكرم العجم أنسابا "[٢] ، " مصر كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصمه الله " .[٣]

وأخيرا جاء فى لسان العرب : " والمصر : الحاجز والحد بين الشيئين والجمع مصور " .[٤]

إلى أى جنس كان ينتمى الإنسان المصرى الأول (؟) :

منذ العصر الحجرى القديم ، أى منذ أقدم العصور التى ترجع إليها بالنسبة لعصور ما قبل التأريخ بوجه عام، كان الإنسان يسكن وادى النيل، ولكن ليس من السهل معرفة أو التأكد من أى جنس كان ينتمى هذا الإنسان الأول – (لم نعثر حتى الآن على بقايا آدمية مؤرخة من هذا العصر) . ولا نستطيع أيضا معرفة – هل هذا العنصر من السكان ، استمر في حياته بين هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى وادى النيل فى بداية العصر الحجرى الحديث . ولكن من المحتمل على اية حال ، أنه إذا وجدت بعض هذه العناصر الإنسانية فى بداية العصر الحجرى الحديث ، فلابد أنها قد اندمجت مع عناصر المهاجرين الجدد .

---

(١) نجد التفسير نفسه عند اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، المجلد الأول ، دار صادر بيروت ، ص ١٨٥؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر بيروت، المجلد الخامس، ص ١٣٧، ١٣٩؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت ص ٢٦٣؛ أبو الغدا : المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، المجلد الأول، ص ٥٧؛ ابن ظهيره : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية القاهرة ، ص ٦ – ٧، ١٤–١٥؛ ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ص ٩–١٠، ٧٤–٧٥.

(٢) الكندى : فضائل مصر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ودار الفكر بيروت ١٩٧١، ص ٢٦، ٢٧، ٣١؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت ، المجلد الخامس ١٩٨٤، ص ١٣٨ .

(٣) وذكر أهل العلم أنه مكتوب فى التوراة : بلد مصر خزانة الله ، فمن أرادها بسوء قصمه الله، راجع الكندى : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٤) أبو منظور الأفريقى : لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر – دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد الخامس، بيروت ١٩٦٨، ص ١٧٥– ١٧٧ .

وفى الواقع، أن بداية العصر الحجرى تقابل فترة جفاف الطبيعة فى شمال أفريقيا وشرقها، وقد بدأت الأجناس التى كانت تنتقل فوق الهضبة الصحراوية فى العصر الحجرى القديم الأعلى ، تميل إلى الهجرة والتجمع حول نقاط المياه. ويرجع إلى هذه الفترة – بدون شك – أول استيطان حقيقى للسكان فى مصر. ولنا أن نتخيل ما حدث، فليس هناك وحدة متجانسة، ولا نستطيع القول بأن سكان مصر الأصليين قد انتموا فى أى فترة من الفترات إلى جنس نقى موحد. ولكن يمكن القول بأن العنصر الأساسى والرئيسى المسيطر على هؤلاء السكان، كان بالضرورة من (أصل أفريقى) وكان العنصر الغالب بصفة دائمة هو العنصر الحامى ، أى العنصر القريب من سكان شمال أفريقيا وشرقها مثل البربر من ليبيا، الذين ينتمون إليهم حاليا قبائل " التوراج Touarges "، وقبائل " القبيل– Kabyles " وقبائل " البجاء Bedjas " من شرق أفريقيا .

ويبدو أن هذا العنصر الحامى، لم يحافظ على نقائه أو على الأقل بقى نقيا، فلابد أن عناصر سامية قد اختلطت به منذ البداية، وقد جاءت تلك العناصر من الشمال عن طريق شبه جزيرة سيناء، ومن الجنوب وهذا من المحتمل جدا، عن طريق البحر الأحمر، وصحراء الجزيرة العربية ويذكر " د. أحمد فخرى " قائلا : " روى قدماء المصريين فى العصر المتأخر لبعض الرحالة أنهم جاءوا من الشرق والجنوب ، وأنهم علموا الحضارة لمن كانوا فى البلاد وأخضعوها لسلطانهم ". وفى الواقع أن هذه الأقوال قائمة على ما تذكره الأساطير المصرية من أن المصريين كانوا ينتمون إلى أتباع المعبود حورس. وأن هؤلاء الأتباع جاءوا من الشرق والجنوب وعلموا المصريين الأصليين الحضارة وأخضعوا البلاد لسيطرتهم.[١] وقد

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ١٩٥٨، ص ١٣٩–١٤١. ويقول د. علاب ود. ى. الجوهرى فى كتبهما : الجغرافيا التاريخية، ١٩٧٠، ص ٣٦٣–٣٦٤. " إن السكان الأوائل فى مصر كانوا ينتمون إلى نفس المجموعة التى ينتمى إليها سكان شرق أفريقية وشمالها أى سلالة البحر المتوسط الذين انحدر منهم أيضا البجاء الصوماليون الحاليون، ومن ثم كانت نشأة المصريين فى عصر ما قبل الأسرات نشأة محلية، غير أن الوادى بسبب خصبه اجتذب كثيرا من الهجرات على مدى التاريخ الطويل، تقدم الليبيون من الشمال الغربى، وتسرب الساميون من الشرق، بالإضافة إلى ذلك جاءت هجرات متعددة إلى مصر من الجنوب والجنوب الغربى حيث حملت إلى الوادى العناصر النوبية وأيضا الليبية .

===

بالغ بعض المؤرخين فى الهجرة السامية ، ولكنها فى الواقع سرعان ما اختلطت بالعناصر الحامية ، ويمكن إضافة بعض العناصر النوبية التى كانت قليلة العدد ولكن كان لها وجود وتأثير أيضا . ومنذ عصر الدولة القديمة ، كان سكان مصر يمثلون أجناسا حامية اختلطت بها بعض العناصر السامية والنوبية . ولم يتغير هؤلاء السكان قط على مر آلاف السنين ، وليس من النادر أن نجد اليوم عند بعض مزارعى مصر العليا ، ذلك العنصر المصرى القديم .

وبناء على ذلك يمكن القول بأن غالبية سكان مصر ، كانت من أصل أفريقى ، وإن كانت ذات بشرة بيضاء . أما العناصر السامية من ناحية والعناصر الزنجية من ناحية أخرى، التى استطاعت أن تختلط بالسكان، فلم تكن كثيرة العدد، بحيث يصبح فى مقدورها تغيير المظهر العام والسمات الخاصة بالسكان .

وليس من السهل ، بل ومن الصعب تحديد تعداد سكان مصر القديمة ، ولكن إذا اعتمدنا على الوثائق المكتوبة من العصر البطلمى – الرومانى ، يمكن القول بأن سكان مصر كانوا يبلغون حوالى سبعة مليون نسمة .(١) ويمكن اعتبار هذا الرقم

=== وفى النصف الثانى من الألف الرابعة ق. م . وفدت موجة جديدة من الهجرات الحامية سكنت بادئ الأمر صعيد مصر فى عصر استخدام المعادن ، غير أنها استمرت بعد ذلك فى الوجه البحرى ، وهكذا بدأ المصريون كجماعة مولدة يكونون وحدة جنسية أو صفات جنسية خاصة بهم " .

(١) Valbelle, les Recensements dans L'Egypte Pharaonique des troisieme et deuxieme millenaires, CRIPEL 9 (1987), p. 33- 52; Vercoutter, op. cit., p. 26 .
ويذكر محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القسم الأول ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠ " وكان المصريون من الفراعنة يتراوحون من ٦ إلى ١٢ مليونا من الأنفس " .

كحد أقصى ، ونعلم من ناحية أخرى أن مصر عرفت طوال عصورها التاريخية ، فترات زاد فيها عدد السكان نتيجة لإقامة مدن جديدة . أو تعرضت لنقص فى عدد السكان كما تحدثنا عنه بعض النصوص .

ومهما يكن من أمر ، فإذا كان عدد سكان مصر يبدو ضعيفا إلى حد ما ، إلا أنها تتشابه فى ذلك مع الحضارات الأخرى فى العالم القديم . وسوف نرى فيما بعد أن هذا النقص فى عدد السكان ، سوف يمثل عامل ضعف كبير بالنسبة لمصر ، عندما كان عليها أن تواجه الكتل البشرية الضخمة فى الإمبراطوريات الآسيوية المتحدة .

وأطلق المصريون القدماء على أنفسهم الأسماء الآتية :

- رمث " الناس أو العامة " ، من عصر الدولة القديمة (نصوص الأهرام)[١] وكان هذا اللفظ يعبر عن " المصريين أنفسهم " أو عن " المواطنين بوجه عام " وأحيانا كان يطلق على طبقة النبلاء اسم رمث عاو أى " الناس العظماء " .[٢]
- رمثوإن باتا " أهل الأرض " من الأسرة العشرين .[٣]
- كمت " ذوى البشرة السوداء " من الدولة الوسطى .[٤]
- كمتيو نفس المعنى السابق من العصر البطلمى .[٥]
- رمت إن كمت " أهل الأرض السوداء " من الدولة الوسطى .[٦]

---

(١) Wb. 11, 421, 9; Meeks, Alex. I, p. 216 .

(٢) Meeks, op. cit., I, p. 216 .

(٣) Wb. 11, 423, 10 .

(٤) Wb. V, 127, 20 .

(٥) Wb. V, 128, 1 .

(٦) Wb. 11, 423, 9; V, 127, 14 .

- إمى تامرى " الذين على الأرض المحبوبة " من العصر البطلمى .[١]
- عنخو نب نوتا ان تامرى " كل أحياء الأرض من الأرض المحبوبة " من عصر الدولة الحديثة .[٢]
- تابر عا " أرض فرعون (الملك أو الحاكم) " من عصر الأسرة التاسعة عشرة .[٣]
- با تا إن برعا نفس المعنى السابق .[٤]
- هنممت نو بكات " شعب أو أهل مصر " من العصر البطلمى .[٥]

وكان المصريون القدماء يعبرون عن اللغة أو اللهجة التى يتحدثون ويكتبون بها بثلاث تعبيرات أقدمها :

- را إن كمت ، ويعنون بهذا التعبير " لسان (أو حديث أو لغة) أهل الأرض السوداء " من عصر الدولة الوسطى .[٦]
- مدت إن كمت " كلام (أو كتابة) أهل الأرض السوداء " من عصر الدولة الحديثة .[٧]

---

(١) Wb. V, 223, 12 .

(٢) Wb. V, 223, 11 .

(٣) Meeks, Alex. 111, p. 318 .

(٤) Meeks, Alex. 111, p. 318 .

(٥) Wb. 111, 114, 13.
راجع أيضا : د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة ، الجزء الثانى ، ص ٢٦٢ .

(٦) Wb. 111, 391, 25; V, 127, 15 .

(٧) Wb. V, 127, 16 .

- مدت رمث إن كمت " كلام (أو كتابة) أهل الأرض السوداء " من عصر الدولة الحديثة أيضا .[١]

وكانوا يطلقون على ما نعرفه الآن بالكتابة الهيروغليفية ، التسمية :

- مدونثر بمعنى " الكلام المقدس أو الأقوال المقدسة " إشارة إلى قداسة أصلها وإكبارا لأصحاب الفضل فى اختراعها والتسطير بها لأول مرة [٢] ، وقد عرفت هذه التسمية منذ عصر الدولة القديمة فى نصوص الأهرام .[٣]

- سش إن مدو نثر بمعنى " كتابة الكلام المقدس " ، وقد عرفت هذه التسمية فى العصر المتأخر .[٤]

وكان كلمنت السكندرى الذى عاش بين أعوام ١٥٠ و ٢١١ ميلادية هو أول من استخدم لفظ هيروغليفية ، وهو لفظ مكون من كلمتين hiero بمعنى مقدس ، وglypho بمعنى كتابة نقش أو حفر ، أى النقش المقدس أو الكتابة المقدسة .

وعلى ذلك فإن القدسية هنا فى وصف الكتابة الهيروغليفية ليست من وحى كلمنت السكندرى ، ولكنها كانت نابعة من عقيدة المصريين القدماء أنفسهم من التسمية المصرية الأصل مدو نثر .

ونود أن نشير هنا إلى الاستخدام السائد إلى كلمة قبط أو قبطى فى الكتابات والأحاديث المختلفة والتى تستخدم عادة للإشارة إلى المسيحيين المصريين أو إلى دور

---

(١) Wb. V, 127, 17 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٢ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٩٨ حاشية (١) .

(٣) Wb. 11, 180, 13 .

(٤) Wb. 11, 181, 1 .

العبادة الخاصة بهم . لأن كلمة قبطى لا تعنى " المسيحى " لأن الأقبــاط هــم ســكان مصر الأصليين منذ آلاف السنين . كان اليونانيون هم أول من اطلق لفظ " ايجبتيــوس Aigyptios " على سكان البلاد الأصليين ومنها جاءت كلمة "جيبتيوس- Gyptios " التى حرفت إلى " كوبتوس – Coptos " أى قبط .

وشهدت بداية القرن الرابع الميلادى الاعتراف بالمسيحية وذلك فى عصــر الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٣ – ٣٢٤ ميلادية .(١)

ثم أصبحت المسيحية دينا رسميا فى عصر ثيو دروســيوس عــام ٣٩٢ – ٣٩٤ ميلادية .(٢) ولم يكن هناك عصر مستقل يمكن أن يسمى بالعصر القبطى حكــم فيه المسيحيون مصر مستقلين . فالمسيحية دخلت على جميع سكان مصر من ســلالة المصريين القدماء . وقد اعتنق سكان مصر كلهم تقريبا الديانة المسيحية . فقد عــاش المسيحيون أولا تحت الحكم الرومانى والبيزنطى ما بين النصف الثــانى مــن القــرن الأول حتى منتصف القرن السابع الميلادى . وحين فتح العــرب مصــر عــام ٦٤٠م وجدوا أن الرومان يطلقون التسمية نفسها " كوبتوس " (أى قبط) على كــل ســكان البلاد الأصليين وعلى كل مصرى . واعتقد العــرب أن الكلمــة إنمــا تشــير إلــى المسيحيين .

وحين دخل الإسلام مصر اعتنق العديد من الأقباط الإسلام وظــل البعــض الآخر على دينه المسيحى . أما الجيش الإسلامى العربى الأصيل الذى فتح مصر فــى ذلك الوقت فلم يكن يمثل إلا أقلية ، حيث تراوح عددهم ما بين الثمانية آلاف والأثنــى عشر ألف مقاتل .

ولم يبق منهم فى مصر الكثير بل اشترك معظمهم فى الفتوحات الإســلامية التى توالت على البلدان الأخرى المجاورة مما يعنى أن المصريــين حــافظوا علــى

---

(١) جيلان عباس : آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجــانب ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٢٢ ، ص ١٦٦ حاشية (١٠) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٦ حاشية (١١) .

أصالتهم بما فيهم من ظل على مسيحيته ومن دخل الإسلام .

وأصبح لفظ قبطى يشير فى العصر الحديث إلى معنى دينى أكثر من معناه الجغرافى ويشير إلى المسيحى ومعتقداته ومنشآته .

ولكن من أين جاءت كلمة ايجبتيوس أو جبتيوس أو كوبتوس أو قبط التى أطلقها اليونانيون القدماء على سكان مصر الأصليين ، هناك احتمالان : الأول أما أن تكون كلمة جبتيوس هى اختصار للكلمة المصرية القديمة : " حوت – كا – بتاح " والتى تعنى " بيت – كا – بتاح " وهم اسم المقصورة الرئيسية لمعبد المعبود بتاح بمنف التى كانت العاصمة . وقد وردت الكلمة على لسان اليونانيين محورة حيث أصبحت " كا – يبتوس " ومنها جاءت كلمة ايجبتيوس بمعنى : مصرى – Egyptian[1] أى المصرى ساكن العاصمة واختصرت ايجبتيوس إلى كوبتوس بمعنى مصر Egypt- [2] أى فى كلا التسميتين خفف حرف E .[3]

والاحتمال الثانى هو أن التسمية ايجبتيوس هو اسم أطلقه الإغريق على النيل وأرض النيل معا منذ عصر هوميروس على أقل تقدير ثم أصبح فيما بعد يشير إلى مصر كلها . وبعد ذلك كتبه الرومان " ايجبتيوس " وأن أقرب المسميات المحتملة للاسم " ايجبتيوس " هو الاسم المصرى القديم " آجب " أو " آجبى " والذى يعنى فى اللغة المصرية القديمة " الفيضان ، سيل ، فيض " أو " فيض فى الخيرات " .[4]

---

(١) عن كلمة قبطى بمعنى " مصرى " قديما ، راجع : منير شكرى : قواعد اللغة القبطية ، الإسكندرية ، ١٩٦٩ ، ص ١٣ ؛ Du Bourg, The Art of the Copts, p. 9 – 10 ؛ جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ١٦٨ حاشية (١٢) .

(٢) جيلانى عباس : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) يوجد فى اللغة المصرية القديمة الاسم " جبتيو " الذى يقابله فى القبطية كوبتوس ويقصد به مدينة فقط فى مصر العليا ، راجع : Černy, Coptic Etymological Dictionary, Cambridge, 1976, p. 345 .

(٤) Meeks, Alex. I,p. 10 ; t. 11, p. 11; Wb I, 22, 10-15 .

ثم شاع هذا اللفظ فى اللغات الأوروبية الحديثة منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها بمعنى " ايجبيت – Egypt " .

وهناك رأى ثالث يرى أن كلمة ايجيبتوس – Aigyptios هى كلمة يونانية يرجع اصلها إلى كلمة كريتيه تنطق كوبيتيو ظهرت فى النصوص الكريتيه المعروفة وترجع إلى حوالى عام ١٥٠٠ ق. م. أى قبل أن يظهر الإغريق بعدة قرون وكلمة كوبيتيو ترجع فى اصلها إلى الاسم المصرى القديم حوت – كا – بتاح الاسم الذى يعبر عن معبد مدينة منف عاصمة مصر ، وكان سكان جزيرة كريت يترددون على هذه المدينة فى ذلك الوقت للتجارة . ومن كلمة ايجيبتوس اليونانية اشتقت كلمة كبتى أى قبطى التى أطلقها العرب على الشعب المصرى . ومن هذا يتضح الخطأ بأن كلمة قبط تعنى سكان مصر المسيحيين فقط ، لأن كبتى كانت تطلق على كل مصرى قبل دخول الإسلام مصر .[١]

---

(١) جيلان عباس : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

الفصل الخامس

عصور ما قبل التأريخ (أو فجر التاريخ)

العصور الحجرية وظهور المحلات والمراكز السكانية

وبداية التاريخ وميلاد الحضارة

(من الصعب تحديد بداية زمنية لها وربما استمرت أكثر من أربعة آلاف عام)

العصور الحجرية :

فجر العصور الحجرية :

ساعد جفاف أرض مصر وخاصة فى الأماكن البعيدة والمرتفعة عن الفيضان ، على حفظ ما فى باطنها من آثار فى حالة جيدة وقد اعتمدنا كثيرا على تلك المصادر الأثرية لدراسة الجانب المادى للحضارة النيلية حتى فجر عصر الأسرات . وقد قام بعض العلماء بعدة أبحاث علمية عملية فى أماكن متعددة وخاصة فى صعيد مصر ، جعلتنا نتعرف على الأدوات الحجرية التى كان يستخدمها الإنسان الأول ، الذى سبق الإنسان المصرى الذى عاش فى العصور التى تعاقبت ، أى العصور التاريخية . وقد بدأ الاهتمام بعصور ما قبل التأريخ فى منتصف القرن التاسع عشر ، وصدر هذا الاهتمام عن فرنسا بوجه خاص ، لذلك أصبحت أغلب المصطلحات العلمية المستخدمة للتعبير عن مراحل هذه العصور ، مصطلحات فرنسية .

وقد قسم العلماء العصور الحجرية إلى ثلاث وحدات زمنية كبيرة تنسب جميعها إلى لفظ الحجر اليونانية " ليتوس " دلالة على غلبة الأدوات والآلات الحجرية طوال هذه العصور والتى تركها الإنسان فى مقابره وقراه .

وأول هذه الفترات ، هى فجر العصور الحجرية ، وظهرت خلالها محاولات بدائية للإنسان ، عثر فيها على بعض القطع الحجرية الضخمة ليس عليها أى أثر لتشكيل أو تهذيب ، وعثر على الكثير منها فى مرتفعات طيبة . وقد اعترض

بعض العلماء على وجود هذا العصر ، وأن تلك الأحجار بشكلها الحالى لم تتكون إلا بفعل عوامل الطبيعة والتعرية .

العصور الحجرية القديمة :

بذل الإنسان خلالها مجهودات معترفا بها ، وتنقسم هذه العصور إلى ثلاث مراحل حتى عصر ظهور المعادن :

أ – العصر الحجرى القديم (العصر الباليوليثى) : Paléolithique Periode

إن الجفاف المستمر الذى حول الغابات الكبرى فى شمال أفريقيا إلى مدرجات صخرية ثم إلى صحراء واسعة خلال العصور البعيدة فيما قبل التأريخ . قد قضى – فيما عدا بعض نقاط نادرة للمياه – على كل أثر للحياة النباتية والحيوانية والإنسانية ، ولا نعرف أى شئ عن العصر الحجرى القديم إلا من بعض المراكز الحضارية الصحراوية . وحتى عهد قريب اعتقد بعض العلماء أن مصر لم تعرف " العصور الحجرية " . كما كشف عنها فى أوروبا . وهذا بالطبع ليس له أساس من الصحة .[1] ففى مصر لا يوجد فقط عصر حجرى حديث بل قديم أيضا . ومن الصعب – فى حدود معرفتنا الحالية – أن نتعرف جيدا على مدى الصلة بين سكان وادى النيل فى العصر الحجرى القديم والسكان فى العصور التالية ، لأن شروط وطبيعة الحياة – أيضا – كانت مختلفة تماما . فالطقس أولا لم يكن مثل حالته الراهنة ، بل كان أكثر برودة ورطوبة ، وكان النيل يغطى وقتئذ جميع مناطق الوادى . فى حين أنه لا يغطى حاليا سوى النصف ، وتبعا لذلك كانت أماكن إقامة السكان محدودة . وخلال نهاية العصر الحجرى القديم بدأ الطقس يميل إلى الاعتدال تدريجيا حتى وصل فى العصر الحجرى الحديث إلى مستوى قريب جدا للطقس فى

---

(١) Vignard, BIFAO 22 (1923), p. 1-76 ; Bovier – Lapierre, la Pale'olithique stratifié des environs du Caire (dans L'Anthropologie), Paris, Vol. 25 (1925), p. 37 – 46 ,
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٧ .

العصور التاريخية .[١]

وقد عرفت مصر كل مراحل العصر الحجرى القديم الذى يمثل أولى خطوات الإنسان الحضارية وهى :

- **العصر الحجرى القديم الأسفل : Pale'olithique Inferieur**

استخدم فيه الإنسان أدوات من الحجر منحوتة نحتا بسيطا وجعل لها حدا قاطعا أو نصلا مدببا . واستخدم أنواعا من الأسلحة التى تصنع من الشظايا المشذبة المنفصلة عن حجر الصوان مثل أطراف الرماح .[٢] وتتميز معظم أدواته الحجرية ، بأنها من نوع النواة . وينقسم هذا العصر فى أوروبا إلى ثلاث مراحل :

ما قبل الشيلى Prochelleen ، العصر الشيلى Chelleen [٣] وأخيرا العصر الأشولى Acheuleen . وقد عثر على بقايا أدوات هذا العصر فى مصر فى منطقة العباسية بالقرب من القاهرة ، وفى الصحراء بين النيل والخارجة . وفى أبيدوس ، ونجع حمادى ، وأخيرا فى أسوان .[٤]

العصر الحجرى القديم الأوسط : Paléolithique Moyen

استخدم فيه الإنسان أيضا أدوات مصنوعة من الشظايا الدقيقة ، المشذبة الصنع ، المدببة الأطراف ، ويعرف هذا العصر فى أوروبا باسم الحضارة

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 42 – 43 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣) نسب إلى مدينة Chelles فى ضواحى باريس، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٥ .

(٤) Bovier – Lapierre, L'Egypte Pre'historique, Paris (1931), p. 6 ; Montet, L'Egypte Pre'historique (e'xtrait de L'homme avant L'ecriture), Paris (1959), p. 234 – 235 .

الموستيرية Mousterian [١] ، ويطلــق عليــه بعــض العلمــاء اســم الحضــارة اللفوازية [٢] Levalloisien ، وعثر على أدوات هذا العصر فى منطقـــة العباســية أيضا ، وبالقرب من نجع حمادى وأسوان ، وعثر على كسر من الظـــران تســتخدم كسكاكين ، ومحكات ومكاشط . وعثر على بقايا هذا العصر فى قرية سبيل بكوم أمبو ولهذا تسمى أحيانا باسم الحضارة السبيلية أو يسميها بعضهم " محلـة الســبيل " [٣] ، وقد عثر فيها على ثلاثة مستويات استخدم فيها الإنســـان الظـــران لتـــهذيب أدواتـــه الحجرية .[٤]

العصر الحجرى القديم الأعلى : Paléolithique Superieur

تعددت فيه المواد التى صنعت منها الأدوات ، وتحولت الشظايا إلـــى أدوات دقيقة منها المكاشط والسكاكين والمثاقب . ويمثل هذا العصر فى أوروبا الحضارات : الأوريناســية [٥] Aurignacien والســولتيرية [٦] Solutreen والمجدالينيـــــه [٧] Magdalenien ، وتتشبه أدوات هذا العصر ، أدوات الحضارة القفصية أو الكبســية

---

(١) نسبة إلى قرية Moustiers فى جنوب فرنسا، راجع أيضا: د. عبد العزيـز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٢) نسبة إلى مدينة Levallois بالقرب من باريس ، راجع : د. السيد غلاب- د. يسرى الجوهرى : الجغرافيا التاريخية ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٥ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣١ – ٣٢ .

(٤) Vignard, op. cit., p. 65; Id., Mel. Maspero I (1936), p. 165-175 .

(٥) نسبة إلى مدينة Aurignac فى جنوب غرب فرنسا وعثر على جمجمة فى كهف هناك .

(٦) منطقة تقع فى الجنوب الشرقى من باريس .

(٧) قرية تقع فى جنوب فرنسا .

فى شمال أفريقيا .(١) وعثر على أدوات هذه الفترة فى منطقة حلوان ونجع حمادى وأسوان .

وهكذا كان وادى النيل فى تلك العصور ، معمورا ومسكونا بواسطة الإنسان المصرى الأول ، وعلى الرغم من عدم وجود فاصل بين العصر الحجرى القديم والحديث ، إلا أن بعض العلماء قد تساءل ما إذا كان العصر الحجرى الحديث قد جاء إلى مصر من آسيا ، بناء على معلومات ناتجة عن دراسة لبقايا نباتية وحيوانية ، مما يؤيد هذا الاتجاه فى رأيهم . ولكن أثبتت الحفائر فى السنوات الأخيرة ، وجود عصر حجرى حديث دائم فى مصر كان نتيجة لتفاعل الإنسان المصرى القديم مع عناصر البيئة المحيطة به .

ب – العصر الحجرى الوسيط (العصر الميزيوليثى) :

Meseolithique Periode

ظهر هذا العصر ضمن العصور الحجرية فى الحضارات الأوروبية ، وكانت معظم أدواته من الظران وكسر من الشقافة ، وهو قريب من العصر الحجرى الحديث . ولم يعثر على مراكز كثيرة لهذا العصر فى مصر . وقد عثر بعض العلماء على بعض بقاياه فى وادى الشيخ فضل ، الذى يقع إلى الشرق من بنى مزار ، وفى بعض الأودية الجافة فى الصحراء الشرقية .(٢)

ج – العصر الحجرى الحديث (العصر النيوليثى) :

Neolithique Periode

مع بداية العصر الحجرى الحديث ، بدأ شكل الوادى فى التغيير كلية من جميع النواحى ، فالطقس اصبح أكثر دفئا ، وقلت الرطوبة ، وقل مدى اتساع النيل ، ولم يعد يشغل كل الوادى ، وأخيرا بدا السكان يقيمون فى أرض مصر إلى الأبد ، وبدأ الجفاف يظهر على الحواف وتتحول إلى صحراء ، وربما كان هذا هو السبب

---

(١) Vandier, Manuel d'Arche'ologie I, p. 53 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

الذى دعا السكان إلى التجمع حول الشريط الطويل من الأرض ، الذى اصبح خصبا بفضل ما تجلبه مياه النيل . ويمكن اعتبار تلك الشعوب أو المجموعات الصغيرة التى عاشت فى وادى النيل فى العصر الحجرى الحديث ، من الأجداد المباشرين للمصريين الذين عاشوا فى العصور اللاحقة .

وهؤلاء السكان لا ينتمون إلى جنس واحد بالتأكيد ، ولكن يبدو أنهم كانوا من سلالة لها طابع أهل البحر المتوسط (الحاميين) وطابع الجنس الزنجى (الكوشيين) الذين جاءوا هم أنفسهم من أجناس مختلطة من العصر الحجرى القديم الأعلى [١] وأصبحت تلك الشعوب ، وبفضل عامل الاستقرار ، وابتداء من اللحظة التى بدوا فيها يحتلون وادى النيل ، مصرية بالفعل . وللأسف لم تخضع تلك الشعوب لكثير من البحث من جانب العلماء ، وذلك لأن الأرض التى عاشوا عليها أصبحت بعد ذلك مغمورة تحت طبقة سميكة من طمى النيل الذى تراكم خلال آلاف السنين . وعرف بالتجارب الصحيحة أن علو أرض النيل بالطمى يبلغ فى كل ألف سنة ١,٢٦ متر ، وفى كل قرن ١٢,٢٦ سم .[٢]

وارتفاع مستوى المياه بصفة دائمة بالإضافة إلى وجود هذه التراكمات جعل من الصعب تقريبا القيام بحفائر إلى مستوى العصر الحجرى الحديث .[٣] ويوجد هذا العصر مغمورا فى باطن الأرض المسطحة التى بنيت عليها المدن المصرية ، وهى

---

(١) Vercoutter, op.cit., p. 43; De Morgan, La Pre'histoire Orientale 11, p. 54 – 68 ; Petrie, Prehistoric Egypt, London (1920), p. 20 ; Brunton, The Beginnings of Egyptian Civilisation, in Antiquity vol. 3 (1939), p. 458 – 467 .

(٢) عن التطور الفزيوغرافى للدلتا فى العصور الحجرية القديمة ، راجع : د. محمد صفى الدين : مرفولوجية الأراضى المصرية ، ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

(٣) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث ، دراسة وتحقيق د. محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ص ١٤١ – ١٤٢ ، ١٥١ .

مدن يرجع أصلها أحيانا إلى هذه الفترة ، ولحسن الحظ أن هناك بعض الاستثناءات ، وهى وجود عدد من المواقع جعلتنا نتعرف على حضارة العصر الحجرى الحديث . وتوجد هذه المواقع فى غالبيتها على حواف الصحراء ، حيث يتعرف عليها أحيانا بواسطة " مقابرها " وأحيانا أخرى عن طريق بقايا أفرانها . وهى تتكون فى الغالب من أكوام كبيرة والقيام بفحص هذه البقايا له دلائل علمية قيمة .

واستغلال أرض الوادى بواسطة الإنسان هو الذى يمثل فى رأينا ، أولى مراحل التطور فى الحضارة المصرية القديمة ، وسوف نرى فيما بعد أن من أهم الأدوار التى قام بها الملوك ، هو محاولة تجميع الأقاليم فى البداية تحت سلطة حكومتين مستقلتين ، إحداهما فى الشمال وفى مصر الوسطى والأخرى فى الجنوب فى أعالى الوادى ، ثم بعد ذلك تحت سلطة حكومة واحدة فى أعقاب اندماج الجنوب والشمال فى مملكة واحدة .

ولكن الأسس نفسها التى قامت عليها الاتحادات المحلية الأولى أى فكرة الأقاليم ، كانت أولا وقبل كل شئ ، هى تجميع الأراضى الزراعية حول عاصمة صغيرة . ومن المعروف أن التعمير هو أساس كل بناء اجتماعى وأول تعمير قام به المزارع المصرى القديم حدث فى العصر الحجرى الحديث ، أى فى حوالى الألف الخامسة قبل الميلاد تقريبا (ونحن نعطى هذا التاريخ ، فقط لتحديد الأحداث الأولى ، لأن التواريخ الوحيدة المؤكدة إلى حد ما هى التى حصلنا عليها بواسطة راديو كربون ١٤) . وكانت الأدوات التى استخدمها هؤلاء المصريون الأوائل ، مصنوعة فقط من الحجارة ، ويمتاز حجر الظران فى هذه الفترة بجمال صقله وتحديده ، وهنا نجد الملامح التى سوف تميز دائما صقل الأحجار فى مصر . ومهارة الصناع المصريين منذ بداية التاريخ المكتوب فى هذا المجال ، لا يمكن أن يعلل إلا بواسطة الخبرة الطويلة التى اكتسبوها من صاقلى حجر الظران الأوائل وما هم إلا خلفاء لهم فى نفس المجال وعلى نفس المنوال ، لدرجة أنهم استمروا فى إنتاج نفس الأشكال . وكان هؤلاء السكان الأوائل لوادى النيل يسكنون فى أكواخ تتركز فى منطقة واحدة . وقد عثر فيها على بقايا عظام حيوانية ، وهى التى سمحت لنا بالتعرف على الحيوانات التى كانت تعيش فى تلك الفترة ، وهى حيوانات أليفة مثل الخراف والماعز والثيران

والتى تدلنا على أن تربية الحيوان واستئناسه [١] كانا معروفين أيضا ، فحتى الكلب كان مستأنسا ، وربما كان يساعد فى حماية القطيع وكانوا يعرفون صيد الحيوانات وصيد الأسماك اللذين يكونان دائما مصدرا غذائيا رئيسيا غاية فى الأهمية بالنسبة للجماعات ، وكان هؤلاء السكان يعرفون أيضا بالزراعة . فقد عرفوا زراعة الحنطة والشعير . وقد عثر على بعض أدواتهم التى استخدموها فى الزراعة منها المحراث من الحجر ، والمناجل من الصوان وكانت الحبوب تحفظ فى مطامير من الطين ، ومن المؤكد أن أهل العصر الحجرى الحديث قد عرفوا كيفية تحويل هذه الحبوب إلى دقيق ، وذلك لأنه عثر على طواحين مسطحة كانت تستخدم فى سحقها ، وقد عثر على مطامير الغلال على بقايا حبوب الحنطة والشعير ، والتى وضعت تحت اختبار راديو كربون ، لتحديد تاريخها ، فأرجعها إلى عام ٤٦٠٠ أو ٤٢٠٠ ق.م تقريبا مما يدل على أن أصل زراعة هذه الحبوب ترجع إلى عصر سابق على هذا التاريخ ، ومما هو جدير بالذكر هنا ، هو أن المناجل والطواحين كانت من نفس النوع الذى سنراه مستخدما فى العصور التاريخية . وأخيرا عرف المصرى ، ابتداء من هذه الفترة . إعداد الجلود ، وغزل الأغطية والأقمشة ، والتطريز ، وإعداد السلال ، وعرف أيضا صناعة الفخار ، ولو أنه لم يكن على درجة كبيرة من الدقة ، وعرف كذلك تشذيب العظام لصناعة الحراب والأساور والمثاقب ، والحلى المصنوعة من العاج . ومن أهم الأدوات التى عثر عليها فى المراكز الحضارية لهذا العصر ، هو الأوانى من البازلت التى تدل على تقدم فى صناعة صقل الأحجار الصلبة ، وقد عثر على ألواح صغيرة ، كانت تستخدم لإعداد الكحل وتحمل بقايا آثار اللون الأحمر والأخضر ، مما يدل على استخدامها فى الزينة .

---

(١) Krzyzaniak, Les debuts de La domestication des animaux et des plantes dans Les Pays du Nil, dans BSFE 96 (1983), p. 4 – 13 .

وأخيرا كان المتوفى يدفن بالقرب من القرية فى حفرة بيضاوية الشكل ، ويوضع على جانبه الأيمن ، فى وضع القرفصاء مثل وضع الجنين فى بطن أمه ، والرأس إلى الجنوب والوجه متجها ناحية الشرق ، وكانت توضع بجانبهم أشياء أو مؤن مختلفة ، وهذه العادة تتفق وفكرة أهل البلاد عما وراء المقبرة ، فهى تدل على الاعتقاد فى حياة أخرى بعد الموت ولكن دون إبراز لفكرة الثواب والعقاب فى هذه الفترة ، وكل ذلك يدل على أن دفن الموتى كان يتم طبقا لنوع من الطقوس التى كانت تزخر بها عباداتهم الأولى .

وهكذا يمكن القول بأن حضارة العصر الحجرى الحديث بكل ما تقدمه من عناصر مادية ، تعد اللبنة الأولى فى صرح الحضارة المصرية ، فهى التى أظهرت لنا النشاط الحضارى لإنسان وادى النيل الأول ، الذى قام بتأسيس المواقع الأولى الدائمة للسكنى وبإعداد الأرض للزراعة .

وقد عثر على عدة مراكز حضارية للعصر الحجرى الحديث فى الجنوب والشمال وكيفية توزيع تلك المراكز فى الجنوب والشمال منذ هذا العصر البعيد ، ربما يفسر السر فى بقاء المصريين فترة طويلة مخلصين لتقسيم بلادهم إلى قسمين وربما رجع هذا التقسيم إلى أصل وطبيعة الجنس البشرى أو إلى أصل تاريخى .

د – العصر الحجرى الحديث الأعلى (أو عصر المعادن) :

Eneolithique Periode

نستطيع أن نميز بوضوح العصر الحجرى الحديث فى أوروبا عن العصر الحجرى الحديث الأعلى أو عصر المعادن بواسطة ما استخرجه الإنسان من أدوات من الأحجار المشذبة المصقولة . ويمتاز عصر المعادن بظهور مختلف المعادن ، الذهب أولا ، ثم النحاس وأخيرا البرونز ، أما فى بلاد الشرق وخاصة فى مصر ، فهذا التمييز غير واضح ، لأن معظم المواقع التى ترجع بالتأكيد إلى العصر الحجرى الحديث الأعلى ينقصها وجود المعادن ولم يعثر على أدوات مصنوعة من المعادن فى مراكز حضارية معينة .

وقد افترض بعض العلماء حدوث ثورة مفاجئة فصلت بين الفترتين . أو وصول غزاه أجانب عن طريق الفتح استخدموا أسلحة أكثر تقدما بفضل اكتشاف المعادن وذلك لإخضاع السكان الأصليين . ولكن الإجابة على ذلك ، هى أن التحول من فترة إلى أخرى لا يستلزم بالضرورة أن يحدث بتأثير عوامل خارجية ، فهناك بعض المعادن فى أرض مصر ومن المحتمل أن المعادن قد استجلبت من الخارج ، وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذا كان مصحوبا بفكرة غزو واحتلال . ويمكن القول بأن ظهور النحاس لم يغير أى شئ فى طرق تشذيب وصقل حجر الصوان الذى كان وما يزال الأداة الأساسية ، وقد سارت الأمور على منوال هادئ مما يدل على أن اختراع المعادن قد انتشر بطريقة سليمة . فحضارة العصر الحجرى الحديث الأعلى ، ما هى إلا انعكاس مباشر للتقدم الحضارى الذى شهده العصر الحجرى الحديث كما أنها تمثل دلالة على التتابع الزمنى والتطور الصناعى والفنى خلال العصر الحجرى الحديث . ويمكننا بالإضافة إلى ذلك مقارنة العصر الحجرى الحديث الأعلى بالعصر الحجرى الحديث الأعلى العالمى فقد كان لمصر أصالتها وطابعها الأكثر تميزا عن الحضارات المحيطة بها فى العصر الحجرى الحديث الأعلى ، وحضارة العصور التاريخية الحقيقية ما هى إلا نتيجة لعناصر التقدم التى برزت فى العصر الحجرى الحديث الأعلى .

ولم يكن هذا العصر معروفا قبل اتحاد الجنوب والشمال ، إلا بواسطة بعض المواقع فى مصر العليا [1] ، كما حدث فى العصر الحجرى الحديث ، فقد عرف العصر الحجرى الحديث الأعلى مركزين للحضارة أحدهما فى الشمال (المعادى) والآخر فى الجنوب (البدارى) ولكن من أهم ما يميز العصر الحجرى الأعلى ، هو أنه بعد مرور وقت ما ، أصبح المركزان الشمالى والجنوبى ، عنصرا واحدا ومن هذا الاندماج الحضارى الحضارى تكونت على أمد بعيد أصول الحضارة المصرية القديمة .

---

(١) Vercouter, L'Egypte Ancienne, p. 45 .

وسوف نذكر أهم هذه المواقع أو المحلات أو المراكز التى شـهدت مـيلاد حضارة الإنسان المصرى القديم ، وهى ترجع جميعها إلى العصر الحجرى الحديث ما عدا المعادى والبدارى فهما ترجعان إلى العصر الحجرى الحديث الأعلـى أو عصـر المعادن ، وذلك طبقا للترتيب التاريخى الذى أخذ به بعض علماء الدراسات المصريـة القديمة .[١] وقد أرخت هذه المواقع أو المحلات أو المراكز بطريقة تقريبيـة بفضـل العلماء الذين قاموا بالكشف عنها ونشروا مؤلفاتهم العلمية عنها ، وأطلق علـى هـذه المواقع كلمة " حضارات " نظرا لأنها مناطق سكانية والبقايا الأثرية التى عثر عليـها فيها تعبر عن فكر الإنسان ومعارفه التى توصل إليها . وكان الإنسان المصرى القديـم فى اختياره للمواقع التى يسكنها مدفوعا بعدة عوامـل . فكـان يتجنـب الأراضـى المنخفضة البعيدة عن خطر الفيضان السنوى ، وأن يكون قريبا من مـوارد المـاء ، ومن طرق المواصلات البرية والنهرية السهلة ، كما كان يحرص على الاستفادة مـن المواقع الطبيعية ، ومن خطوط الدفـاع البـارزة ، لكـى يضمـن مراقبـة الطـرق والمسالك ، ويستطيع الدفاع عنها بسهولة .[٢]

<u>أقدم المواقع أو المحلات أو المراكز السكانية وما اكتشف فيها من بقايا أثرية لها دلالاتها الحضارية</u> :

وقد سميت هذه المواقع أو المحلات السكانية أو الحضارات بأسماء المدن أو القرى الحديثة القريبة منها ، أو بأسماء من كشفوا عنها من العلماء .[٣] وأهـم هـذه المواقع وأقدمها هى :

العمرى :

ترجع هذه الحضارة إلى حوالى عام ٥٠٠٠ ق. م. وتقع شـمال حلـوان ، عثر عليها الأثرى المصرى أمين العمرى الذى لم يكمل الحفائر فـى جميـع أنحـاء

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضـارة المصريـة القديمـة ، العصـر الفرعونى – المجلد الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

المنطقة ، وقام بالتنقيب فيها بعد ذلك " بوفيه لابيير " [١] و " ديبونو " وعثر فيها على مساكن ومقابر بيضاوية الشكل . وقد استطاع ديبونو إثبات أن أهل العمرى دفنوا موتاهم داخل أكواخ بالقرب من هذه المساكن مباشرة ، وكان المتوفى يدفن وكأنه جالس القرفصاء .[٢]

وقد استخدموا رؤوس السهام والمناجل من الصوان والمناشير من الصوان أيضا والأوانى البيضاوية وعرفوا صناعة الفخار . واستطاع ديبونو أن يميز حوالى سبعة عشر نوعا من الفخار ، وعثر على مثاقب ومخارز مما يدل على أن أهل العمرى عرفوا صناعة الحصر والأقمشة ، وعرفوا حيوان الخنزير وفرس النهر والتمساح والسلحفاة والماعز والنعام كما عثر على حبوب الشعير وبعض القواقع .

دير تاسا :

ترجع هذه الحضارة إلى حوالى عام ٤٨٠٠ ق. م.[٣] وتقع شمال البدارى فى محافظة أسيوط ، وكشف عنها " برنتون "[٤] عام ١٩٢٧ ، وكشف عن منطقة المقابر ، وكان المتوفى يوضع على الجانب الأيسر ، ويتجه بوجهه إلى جهة الغرب . وعرفوا خمسة أنواع من الفخار ، وعثر على فؤوس من الحجر الجيرى ، وأدوات للزينة مثل العقود من القواقع ومن الخرز المصنوع من العظم ، وصلايات لسحق مواد الزينة ، وعرف أهل دير تاسا الكتان ونسجه ، ومارسوا تربية الحيوان مثل الأبقار وعرفوا الزراعة ، وعثر على رحى كثيرة لطحن الحبوب وتحويلها إلى

---

(١) Bovier -- Lapierre, CdE 41 (1946), p. 50 -- 54 ; Id., ASAE 48 (1948), p. 561 -- 569 ; LA IV, p. 567 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٤ -- ٥٦ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٤٠ -- ٤١ .

(٤) Brunton, Mostagadda and The Tasien Culture, London (1937), p. 5 -- 15 ; Chr. StrauB, LA VI, p. 236 -- 237 .

دقيق .[١]

البداري :

ترجع هذه الحضارة إلى حوالى عام ٤٥٠٠ ق.م .[٢] وذلك طبقا لراديو كربون ١٤ ، وكشف عنها مجموعة من العلماء برنتون وجاردنر وبترى وطومبسون ، وتقع بالقرب من قاو ، محافظة أسيوط .[٣] . وهى تعد من الحضارات المتقدمة لعصرها ، فالأكواخ التى عثر عليها هناك ، كانت بيضاوية الشكل ، مصنوعة من مواد خفيفة ، وكان الأثاث البسيط يشمل بعض الأغطية ، ووسائد من الجلد ، وأسرة من الخشب . وكانت مقابر البدارى مثل أغلب مقابر العصر الحجرى الحديث تقع على مقربة من القرية . وكانت المقابر مثل الأكواخ ، بيضاوية الشكل ، ويوضع فيها المتوفى على هيئة الجنين ، وتحيط به أوانى كانت تحتوى بدون شك على قرابين ، وكان المتوفى يغطى أولا بجلد حيوان ثم يوضع فوق ذلك الجلد قماش من الكتان ، ولم يعثر على أثر لتابوت من خشب أو صلصال .[٤]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٨ – ٦٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) Brunton, Gardiner and Petrie, Qau and Badari I, London (1927), p. 1- 77, t. 11 (1928), p. 1-25, t. 111 (1930), p. 1-33; Brunton –Thompson, The Badarien Civilisation and Predynastic Remains near Badari, London (1928), p. 1-5; Baumgartel, Predynastic Egypt, in CAH (1965), p. 7-13; Kaiser, LA I, p. 599 - 600 .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٧- ٢٧٧ ؛ د. أحمد فخرى: المرجع السابق ، ص ٤٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٢-٤٣ ؛ د. أنور شكرى : الفن المصرى القديم ، ١٩٦٥ ، ص ١٢ – ١٣ .

وعثر على صناديق من البوص كانت تضم جثث الموتى وكانت تغطى عادة بحصير وهى تشبه السلال الكبيرة . ويبدو أن هذه السلال كانت بمثابة غلاف للمحافظة على الجثة من الرديم . والجديد هنا يتمثل فى ظهور تماثيل صغيرة لنساء من العاج والطين ، وبقيت الصناعة البدارية مميزة باستخدام حجر الصوان بطريقة شائعة . واقتصر استخدام النحاس على القطع الصغيرة التى يحصل عليها بواسطة الطرق . واستخدم أهل البدارى الملابس من الكتان ، وكان استخدام الجلد شائعا بصفة دائمة . وقد عرفوا إعداد الخشب وصناعته ، وصناعة الفخار بطريقة أكثر تقدما من فخار العصر الحجرى الحديث . وعلى الرغم من أن الأشكال كانت قليلة العدد عن تلك التى كانت سائدة فى هذه الفترة فى الشمال ، إلا أنها كانت أكثر جمالا ، وهى لذلك تعتبر من أهم عصور صناعة الفخار فى مصر . وقد عثر على أكثر من ستة أنواع من الفخار ، وهناك تجديد فى صناعة الفخار ظهر منذ بداية العصر الحجرى الحديث الأعلى إلا وهو الطلاء بالمينا ، ذى اللون الأزرق المائل إلى الخضرة ، ولكن استخدامه كان لا يزال محدودا ، وسوف يظل طوال عصر المعادن بأكمله أحد مميزات الفن المصرى فى ذلك العصر . ومن الملاحظ أنه لم يعثر على أوانى من الأحجار الصلبة فى البدارى . فى حين أن استخدامها كان معروفا فيما سبق فى بعض حضارات العصر الحجرى الحديث فى الوجه البحرى ، وعلى العكس من هذا نجد أن الألواح الصغيرة من حجر الصوان ، والتى كانت موجودة من قبل ، أصبحت أكثر تطورا ، وقد عثر فى بعض المقابر على أدوات للزينة من العاج مثل الأمشطة المزدانة برؤوس الطيور وخواتم وأقراط ، وتماثيل صغيرة جميلة ، تشهد لهم بالذوق فى الزينة . وقد استخدموا الكحل المحفوظ فى أوانى أو فى قرون من العاج ، وقد عثر فى إحدى المقابر على خمسة أو ستة آلاف خرزة مطلية بالمينا ، وهذا الخرز يشبه ذلك الذى استخدم فيما بعد فى العصور التاريخية فى العقود والأحزمة والأقراط . وأخيرا عثر فى البدارى على حيوانات مكفنة فى أغطية أو أقمشة [1] وهى ابن آوى ، وثيران، وخراف، وغزلان ، وقطط .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٤١ .

ومن المنطقى أن نتساءل عما إذا كانت هناك فى تلك الحقبة عبادة للحيوانات المقدسة ، عبادة سوف تظهر فيما بعد فى العصور التاريخية كعنصر أو كرمز أساسى فى المعتقدات المصرية . وقد عثر على أدوات وأسلحة ورؤوس حراب ، وهى تعد أول حضارة استخدم فيها الإنسان النحاس .

مرمدة بنى سلامة :

ترجع هذه الحضارة إلى حوالى عام ٤٤٠٠ ق. م .[١] وهى فى قرية تبعد عن القاهرة بحوالى ٥٠ كم من الناحية الشرقية الغربية بين وردان والخطاطبة . وكشف عنها الأثرى الألمانى " يونكر "[٢] عام ١٩٢٨ ، وعثر على مقابرهم بين المساكن ، وهى أقدم مقابر عرفت فى دلتا النيل ، وكان المتوفى يوضع على هيئة القرفصاء ، كالجنين فى بطن أمه ، وعثر بالقرب من بعض البقايا البشرية على قرابين ، فمثلا وضعت حبوب بالقرب من فم المتوفى . وكانت المقابر عبارة عن حفر بسيطة بيضاوية الشكل، وقد سكنوا الأكواخ واستخدموا المواقد ووجد بالقرب منها بعض قطع الخشب المتفحم كانت تستخدم بدون شك كوقود.[٣]وكانت الأكواخ بيضاوية الشكل وهى لم تكن كمساكن بالمعنى المفهوم ولكنها كانت نوعا من المأوى.[٤] وكانت المساكن متجاورة بشكل منتظم[٥] ، وقد استخدموا مطامير الغلال من السلال والجرار

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٢) Junker, Merimde Benisalame, Wien (1930), p. 28 – 29; Id., op. cit., cinq comptes rendus ont de'ja paru dans Anzeiger der Akademic der Wissen schaften in wien, phil – Hist. Klasse (1929), no. XVI- XVIII, p. 156-250; Eiwanger, LA IV, p. 94 – 96 .
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٨؛ د. عبد الحميد زايد: المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) د. عبد الحميد زايد: المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٥) Eiwanger, Merimde Beni Salme, 2 Vols., in AV 47 et 51 (1984), (1988).

الكبيرة مما يدل على أنهم عرفوا الزراعة ، وعثر على بقايا حيوانات مستأنسة مثل الخنزير ، والأغنام والماعز والأبقار والكلاب ، كما عثر أيضا على أدوات مثل رؤوس المقامع ورؤوس السهام وفؤوس من الأحجار الصلبة ، وعثر على نوعين من الفخار ذى اللون الأحمر أو الأسود وكانت الحلى الخرزية من الأحجار السوداء ، وأساور من العاج والعظم واستخدموا الجلود وأدوات لإعداد الجلد . كما عثر على نماذج لتشكيل التماثيل ، وعثر على نموذج صغير من الفخار لقارب ، وآنية صغيرة نحتها صانعها من حجر البازلت ، وتعد من أقدم الأوانى الحجرية المعروفة .[١]
وعثر على هذه الحضارة فى مساحة قدرها ٦٠٠ × ٤٠٠ مترا .

ومن فحص البقايا العظمية لهؤلاء السكان يرى بعض العلماء أنهم كانوا من سلالة جنس سكان البحر المتوسط .[٢]

فيوم أ :

قام بالتنقيب عن هذه الحضارة عالمتان إنجليزيتان إحداهما مسز جاردنر والأخرى مسز كيتون طومبسون .

وتنقسم هذه الحضارة إلى مجموعتين فيوم أ ، فيوم ب[٣] ، وعثر فى الحضارة الأولى على أدوات كبيرة منها : المواقد لطهى الطعام ، وبقايا عظام أسماك وحيوانات وهى آثار للمطبخ وفؤوس من الصوان والظران والحجر الجيرى ، ومجموعة من الصلايات (وعاء مسطح لصحن الكحل) من الحجر الجيرى ، وعثر أيضا على فخار مصنوع باليد من الطين المخلوط بالتبن ، ومطامير للغلال يبلغ مجموعها ١٦٥ مخزنا ، منها ما كان مصنوعا من سلال من القش ، وعثر على أنواع من الحبوب منها الحنطة والشعير ، كذلك بعض أغصان من شجر الأثل ،

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣) Arnold, LA 11, p. 88 – 91 .

وفحم نباتى وقواقع وقرون غزال .[١]

فيوم ب :

أقل مستوى من الحضارة السابقة وعثر فيها على أسلحة صغيرة جدا ومثاقب ورؤوس سهام ، وقد عثر فى واحة سيوة والخارجة على أدوات من العصر الحجرى الحديث تشبه أدوات حضارة الفيوم منها مكاشط ورؤوس سهام مما يدل على أنها كانت متصلة اتصالا وثيقا بالفيوم .[٢] وتذهب طومبسون إلى توقيت حضارة الفيوم بحوالى ٤٢٠٠ ق.م .

نقادة :

كشف عنها الأثريان الإنجليزيان " بترى " و " كوبيل " فى منطقة نقادة وفى " هو " فى محافظة قنا ، ومعظم آثار تلك المنطقة تنم عن تطورات نسبية شهدها ذلك العصر . حيث بدأت نقادة نشاطها الحضارى بطابع محلى خاص خلال عهد عرف اصطلاحا باسم عصر نقادة الأولى ، ثم واصلت نشاطها المحلى هذا ولكن بصورة حضارية أكثر رقيا . وفى عهد آخر سمى بعصر نقادة الثانية . وتشمل هذه الحضارة جبانات أرمنت ، خزام ، نقادة ، بلاص[٣] ، ديسبوليس بارفا ، وهى تقع فى المنطقة

---

(١) Caton Thompson and Gardiner, Journal of the Royal Antheropoid Inst. 56 (1926), p. 301; Id , The Desert of Fayoum, 2 vol., London (1934), p. 3- 94, pl. 9 – 15; Arnold, LA 11, p. 88 – 91 (D). وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨ – ٤٠ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق (١٩٧٩) ، ص ٤٠-٤١ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤١ ، ٩٧٦ .

(٣) Petrie – Quibell, Nagada and Ballas, London (1895), p.1 – 70 ; Baumgartel, Predynastic Egypt, in CAH (1965), p. 13 – 36; Vandier, Manuel d'Arche'ologie 1, p. 234 – 235; Helck, 1V, p. 344 – 346 . وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

المرتفعة من مدينة نجع حمادى ، وامتازت حضـــارة نقـادة الأولـى بفخارهـا ذى الخطوط البيضاء المتقاطعة ، وقد شاع هذا النوع فى مناطق الصعيد وربما فى الوجه البحرى ، ويتميز برسومه التى ترسم بمسحوق الطفل أو معجون الطفل واستطاع أهل الفن فى نقادة الأولى أن يستخدموا خطوطهم فى تصوير أشكال شبه هندسية وكـانت أغلب هذه الرسوم تعتمد زخارفها على ما يشبه المثلثات والنجـوم ، ونجـد أيضـا رسوما كمناظر طبيعية وكائنات حية منها مناظر تجمع بين الإنسان والحيـوان فـى مجال الصيد ، ومجال الرقص ، إلى جانب هذا صور فنان نقادة رسـوم المراكـب ، التى كانت تستخدم فى أغراض النقل .[١]

وقد قام بترى بعمل تاريخ تتابعى لهذه الأوانى الفخارية حسب تدرج التطـور فى صناعتها . ولجأ إلى تقسيم هذه الأوانى الفخارية إلى أنواع يمثل كل منها مرحلـة حضارية معينة من عصر ما قبل الأسرات الذى رمز لمدته بأرقام تشمل الأعداد مـن ١ إلى ١٠٠ . وبدأ أقدم أنواع الفخار التى اكتشفها بالرقم ٢٠ تاركا الأرقام من ١ إلى رقم ١٩ خالية ، لما يستجد من اكتشافات ، كما ترك أيضا الأرقام من ٨٠ إلـى ١٠٠ للغرض نفسه .[٢]

واستخدم أهل نقادة مقامع الفتال وشكلوا رؤوسـها علـى هيئـة القـرص والمخروط وقاموا أيضا بصناعة التماثيل .

أما فخار نقادة الثانية ، فقد امتاز بأنه كان يصنع من صلصال نقـى وكـان أملس ، ويدل هذا على مرحلة من التطور النسبى ، وكان يرسم بالمغرة ذات اللـون

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٩ – ٥٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية (١٩٨١) ، ص ٤٧ ؛ د. عبد العزيـز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٥ ؛ د. أبو المحاسـن عصفـور : معـالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ١٩٨١ ، ص ٧٢ – ٧٩ ؛ ألفـه نخبـة مـن العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى ، المجلـد الأول) ، ص ٦٠ .

الأحمر الضارب إلى السمرة . وتقل فى رسوم نقادة الثانية الحمراء الأشـكال شـبه الهندسية وتكثر صور الكائنات الحية أى الإنسان والحيوان على خلاف رسوم نقـادة الأولى البيضاء . ولعل خير ما يدل على تطور أهل نقـادة الثانيـة هـو تطورهـم بمساكنهم [١] ، فقد ظهرت لهم مساكن مستطيلة كانوا يشيدونها من الطوب اللبـن ذات أحجام كبيرة نسبيا تفوق أحجام الأكواخ القديمة ، وإلى جانب التماثيل الصغيرة استمر الرقى فى صناعة الظران ، وبناء المساكن والمقابر ، وظهرت وسائل عديدة لشـغل أوقات الفراغ ومن هذه الوسائل ابتكار لعبه تشبه لعبة الضامة (أو السـيجة) التـى كانت تلعب بمكعبات صغيرة من الطمى وبقطع صغيرة من الحجر الجـيرى تشـكل على هيئة الحيوانات .[٢] ويرجع بعض العلماء حضارة نقادة الأولـى إلـى حوالـى ٤٥٠٠ ق. م. ونقادة الثانية إلى حوالى ٤٠٠٠ ق. م .[٣]

ولكن ما هى العوامل التى جعلت نقادة ذات أهمية وجعلتها موطنا للحضـارة الأولى ومنطلقا للحضارة الثانية ؟

الواقع أن بلدة نقادة التى أطلق اسمها اصطلاحا على الحضارتين لم تكن فـى حد ذاتها هى المركز الحضارى فى المنطقة وإنما كانت جبانـة لمركـز حضـارى وسياسى ودينى يبعد عنها شمالا بنحو ٧ كم ويتمثل فى مدينة نوبت وهى التى أطلـق عليها اليونان اسم " امبوس " وتقوم على أطلالها بلدة بلدة طوخ الحالية فى محافظـة قنا .[٤]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـى القديـم ، الجـزء الأول : مصـر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨٠ .

(٤) Gomaa, LA 1V, p. 567 – 568 .

العمرة :

ترجع حضارة العمرة إلى عام ٤٤٠٠ أو ٣٩٥٠ ق.م .[١] وهى تقع بالقرب من أبيدوس ، وهى حضارة معاصرة لحضارة نقادة الأولى ، وكشف عنها الأثريان راندال - ماكيفروماس[٢] . ونلاحظ فى هذه الحضارة ، تقدما ملموسا فى صناعة الطلاء بالمنيا ، واستخدام ألواح لصحن الكحل من الأحجار الصلبة ، وكانت على هيئة أشكال حيوانية مثل فرس النهر ، والماعز والسلحفاة ، ومن بينها نلاحظ وجود رمز المعبودة " حتحور " وعثر أيضا على مخارز ودبابيس وأدوات أخرى صغيرة مصنوعة من النحاس ، وأخرى من الذهب والفضة ، وعثر كذلك على تماثيل صغيرة عديدة الأشكال ، ويرجع غطاء بعض الأوانى التى ظهرت فى هذا الموقع ، طبقا لفحص راديو كربون ١٤ إلى حوالى عام ٣٩٥٠ - ٣٧٠٠ ق. م .

وكان المتوفى يوضع على هيئة القرفصاء ، وشيدت المقابر من الطوب ، وعثر فى أحد المقابر على جرة كبيرة استخدمت كتابوت . وتنقسم المقابر إلى تسع مجموعات مختلفة .

جـوزة :

ترجع هذه الحضارة إلى ما بين عام ٣٩٥٠ و ٣٤٠٠ ق. م.[٣] وكشف عنها " بترى ووابن رايت وماكاى " .[٤] وذلك فى بلدة تقع عند مدخل الفيوم وهى حضارة كانت معاصرة أيضا لحضارة نقادة الثانية . ظهرت فيها بعض التطورات فى

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٨ .

(٢) Randel – Maciver and Mace, El Amrah Abydos, London (1889 – 1901), p. 1-80; Otto, L A I, p. 225 – 226 .
وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٤) Petrie – Wainwright and Mackay, The Labyrinth, Gerzeh and Mazghuneh, London (1912), p. 1 –55; Gomaa, L A 11, p. 556 .

بعض الصناعات البسيطة ، فنجد أن الأدوات المصنوعة من الظران بلغت درجة كبيرة من الدقة لا يمكن أن نجدها فى أى مكان آخر فى مصر من هذا العصر ، ويجب أن نشير هنا إلى دقة صناعة الآلات الحادة ذات المقابض التى يبلغ طول بعضها أكثر من ٤٠ سم ، وعثر فى هذا الموقع على أول عينة للنحاس المصهور ، وأول عينة لاستخدام القصدير والحديد ، وقد عثر على صورة لصقر مرسومة على لوحة رقيقة من القصدير موضوعة على نموذج من الخشب ، وقد عثر أيضا على أدوات عديدة مصنوعة من الذهب والفضة مزينة بطريقة فنية وخاصة مقابض السكاكين من الظران المغطاة بصفائح الذهب أو بخيوط رفيعة من الذهب ، منقوش عليها مناظر أسطورية وتاريخية مختلفة مثل مقبض سكين جبل العركى ، وهو جبل يقع فى مواجهة نجع حمادى ، وعثر أيضا على بعض الأوانى التى تشهد لفنانيها بالذكاء فى النحت والدقة فى التعبير .[١]

وتنقسم مقابر هذه الحضارة إلى نوعين : بيضاوى الشكل ، وآخر أصغر حجما ويكفن المتوفى فى حصير من أعواد البوص .

المعادى :

ترجع هذه الحضارة إلى تاريخ الحضارة السابقة .[٢] وكانت مناطق الوجه البحرى أقل حظا من مناطق الوجه القبلى فيما بقى من آثارها الحضارية من هذا العصر ، وتعتبر حضارة المعادى ثالث مركز بعد الكشف عن مرمدة بنى سلامة والعمرى وقام بالكشف عن آثارها بعثة جامعة القاهرة برئاسة منجهين ومصطفى عامر .[٣]

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 48, Fig. 14 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) Menghin – Amer, The Excavations of Egyptian University in the Neolitic site at Maadi (First preliminarv renort) (1930 – 1931), 2 vol. (1932) – 1936), p. 1 – 50 ; Kaiser, L A 111, p. 1110 . وأيضا : مصطفى عامر : حفائر الجامعة المصرية فى المعادى ، ١٩٣٦ ، ص ١٥ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية، ١٩٨١ ، ص ٤٦ .

وعثر فى هذه المنطقة على ثلاثة أنواع من المساكن :

مساكن بيضاوية الشكل ، مساكن ذات قباب ، ومساكن مستطيلة الشكل ، وإلى جانب المساكن وجدت حفر كثيرة بعضها متسع كان يستخدم للتخزين وبعضها متوسط يستخدم للمواقد ، وبعضها صغير تستخدم كأماكن لسحق الحبوب بواسطة مدقات . وعثر فى حضارة المعادى على نوع من الفخار لا يمتاز عن غيره من فخار العصر الحجرى الحديث إلا من حيث الشكل فهو عبارة عن أوانى ذات قواعد تشبه السلاطين . ومرسوم عليها رسوم باللون الأحمر .

وتقع حضارة المعادى فى عصر متوسط بين حضارة مرمدة بنى سلامة وحضارة نقادة الثانية . وهى تقع أيضا فى عصر بداية المعادن ويؤيد ذلك العثور على أدوات نحاسية كبيرة .

وقد يسر عليها موقعها المتوسط شرقى رأس الدلتا الاتصال بجيرانها فى الجنوب والشمال وخاصة الشمال الشرقى لاستيراد النحاس والمنجنيز من شبه جزيرة سيناء . وقد عثر أيضا على أجزاء من دبابيس من النحاس وأدوات من الظران وحبوب وصدف ، أما عن الأوانى الحجرية فلم يستخدم أهل المعادى إلا الحجر الجيرى والبازلت .(١)

مواقع أخرى :

إلى جانب هذه المراكز الحضارية الشهيرة ، ظهرت مراكز أخرى من الفترة نفسها فى أماكن متفرقة أيضا وخاصة فى الجنوب :

الهمامية :

بالتنقيب فى قرية الهمامية بالقرب من البدارى تم الكشف عن مركز حضارى هام عثر فيه على بعض الأكواخ .(٢)

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٣ .

(٢) عن هذه الجبانة ، راجع ما كتبه : Beinlich, LA 11, p. 1116

المحاسنة :

بمركز جرجاو عثر بها على ثلاثة أنواع من المقابر كان بها توابيـــت مـــن الصلصال . وغطيت حوائط مقابرها من الداخل بالخشب .[١] وعثر أيضا على نموذج من الصلصال لمسكن مربع .[٢]

الحرجة :

وتبعد عن جرزة بحوالى ٢٠ كم وكشف عنها " انجلباخ جن " [٣] فى عـــام ١٩١٢ وعثر فيها على عدد من المقابر ، يرجع أقدمها إلى حضارة جرزة .

أبو صير الملق :

وتقع بين الحرجة وجرزة وكشف عنها " شارف " فى عـــام ١٩١٤ وعـــثر فيها على ثلاثة أنواع من المقابر .[٤] النوع الأول عبارة عن حفر قليلة العمق ، تتخـــذ شكلا دائريا ، والثانى حفر مستطيلة ، والثـــالث حفـــر مســـتطيلة كسـيت جدرانـــها بالطوب .

سماينة :

وهى إحدى القرى القريبة من نجع حمادى ، وتتميز بزيادة استخدام النحـــاس وقلة الفخار ذو الحافة السوداء والفخار الأحمر المصقول .[٥]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٢ ؛ Kessler, LA 1V, p. 398 (46)

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧٣ شكل ١٤ .

(٣) Engelbach – Gunn, Harageh, London (1928), p. 1-7 ; Kessler, op. cit., p. 401 (102) .

(٤) Scharff, Das Vorgeschicbt Liche Graberfeld von Abusir El – Meleq, Leipzig (1926), p. 6 – 67; Von Beckerath, LA I, p. 28 . وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٥) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ١٩٨١ ، ص ٧٧ – ٧٨ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠ .

نجع الدير :

تقع على الشاطىء الشرقى للنيل فى مواجهة جرجا ، عثر بها علـــى أقــدم الدفنات من عصور ما قبل الأسرات ، وترجع إلى فترة حضارة العمرة . وعمل بــهذا الموقع الهام كل من ريزنر وليثجو .[١]

منشاة أبو عمر :

إحدى القرى التابعة لمركز فاقوس – محافظة الشرقية وهى واقعة فى زمـلم المناجاة . وقامت بالتنقيب فى هذا الموقع البعثة الألمانية التابعة لجامعة ميونــخ فــى مواسم أعوام ١٩٦٦ ، ١٩٨١ – ١٩٨٣ وعثر على فخار مرسوم عليــه بــالخطوط الحمراء من عصر نقادة الثانية وهناك عينة من الآثار التـــى كشـفت هـذه البعثـة معروضة الآن بالمتحف المصرى بإحدى فاترينات الدور الأول ونرى من بينها آنيـــة عليها رسوم ومراكب .[٢]

ويثبت هذا الكشف الأثرى الحديث أن هناك مواقع أخرى فى الوجه البحـرى والوجه القبلى وبلاد النوبة[٢] من عصور ما قبل التاريخ لم تكتشف بعد . ويثبت أيضا

---

(١) Brovarski, LA 1V, p. 299 – 301 .

(٢) نحن فى انتظار المؤلف العلمى عن هذا الموقع الهام نظرا لوجوده فى شرق الدلتا . وأوضح تقرير موللر – Muller عام ١٩٦٦ الذى قام بالحفــائر أن منطقة شرق الدلتا (منشاة أبو عمر) قد خضعت فى عصورهـــا الأولــى لثقافة مصر العليا (نقادة) وأكدت الحفائر الحالية ذلــك . وتنــاقش مقالــة موللر ما تثيره هذه الحفائر من تساؤلات عما إذا كانت هذه الثقافة قد غـزت الدلتا بأكملها أم كانت قاصرة على بعض مناطق الحدود الشـــرقية لمصــر بغرض خدمة التعامل التجارى مع مناطق آسيا . ومن جانب آخــر تنــاقش الدور الذى لعبته هذه الحضارة فى تكوين المرحلة السياسية الســابقة علــى اتحاد القطرين ، راجع : Kaiser, ASAE 71 (1987), p. 119 – 125;
Id., LA 1V, p. 404 (155) .

أن هذه المواقع قد تأثر ببعضها فى مجال المعارف فنجد بعض عناصر حضارة المعادى مستمدة من حضارة مرمدة بنى سلامة ، وحضارة البدارى أثرت فى حضارة العمرة . وهناك وجوه شبه كثيرة بين حضارة جرزة وحضارة المعادى . وكان هنلك صلات قوية بين حضارة البدارى وحضارة الفيوم ودير تاسا .

مواقع فى بلاد النوبة :

بهان ، توشكا ، نبطه ، وواحة دنقل :

فقد عثر فى بهان جنوبى الجندل الأول على جبانة من هذه الفترة ، [١]
وعثرت بعثة أمريكية برئاسة وندورف – Wendorf على بعد ١٧٠ كم شمال غوب أبو سمبل فى منطقة توشكا (التى تعنى موطن نبات الغبيرة) على أكثر من ٣٠٠ موقع أثرى تشغل مساحة قدرها ٣٦ كيلو مترا مربعا ، وذلك بعد عدة سنوات من العمل المتواصل . وقد بدأت البعثة أعمالها منذ عام ١٩٦٤ ولا زالت تعمل حتى الآن . وأثبتت البعثة أن هذه المواقع كانت عامرة بالإنسان المصرى الأول الذى علش فى أقصى الجنوب ، وكان يعيش على حصد الحبوب البرية ، وذلك ما تؤكده تحاليل بقايا البذور والنباتات التى عثر عليها بالمنطقة ، مما يدل على أن هذا الإنسان عرف – فيما بعد – زراعة بعض الحبوب كالقمح والشعير . كما عثر فى الموقع على بئر لاستخراج المياه ترجع إلى حوالى ٧٨٠٠ ق. م. وكانت تستخدم لسقاية الإنسان والحيوان ، مما يؤكد وجود مجتمعات عمرانية صغيرة فى هذه المنطقة الهامة .

كما كشفت الحفائر عن مراكز حضارية أخرى فى منطقتى نبطة وواحة دنقل . وعثر فى منطقة نبطة على فخار يرجع تاريخه إلى حوالى ٧٨٠٠ ق. م. كما كشف عن أقدم حجر منحوت ونظرا لأهميته الأثرية نقل إلى متحف النوبة بأسوان .[٢]
وعلى بعد حوالى ٨٠ كم غربى توشكا توجد محاجر الديوريت التى كانت تستخدم منذ الأسرة الرابعة .[٣]

---

(١) راجع وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفه حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ١٢٧ .

(٢) نشرت أخبار هذه الكشوف فى جريدتى الجمهورية فى ٧ / ٣ / ٩٨ والأخبار فى ١٦ / ٣ / ٩٨ .

(٣) وعن توشكا بوجه عام ، راجع : Simpson, LA VI, p. 637 – 639

كما قام كسلر بحصر الجبانات التى ترجع إلى عصور ما قبل الأسرات والدولة القديمة وحددها بحوالى ١٦١ جبانة موزعة بين الفنتين فى أقصى الجنوب وسيناء فى الشمال الشرقى ، فبالإضافة إلى ١٧ موقعا التى ذكرناها وذكرها كسلر ، حدد هذا الأخير ٣٧ موقعا آخر بها جبانات من عصور ما قبل الأسرات تحتوى هذه الجبانات على دفنة أو أكثر من هذه العصور البعيدة، وهى : جبل السلسلة ، تل ادفو ، الكاب ، هيراقونبوليس ، نجع القرعه (بقوص) ، العضايمة (جنوب اسنا) ، الكلابية (باسنا) ، ارمنت ، خزام (بقوص) ، دير البلاص (بقنا) ، نجع العرب طوخ (بقوص) ، دندرة ، سهل البقلية (بمنفلوط) ، نجع العمره (بنجع حمادى) ، أم الجعاب (بأبيدوس) ، نجع المساعيد (بجرجا) ، العرابة (بأبيدوس) ، الاحايوه (شرق) (بأخميم) ، الشيخ عباده (بملوى) ، نزلة المستجدة (بالبدارى) ، زاوية الأموات (بالمنيا) ، نازلة أولاد الشيخ (بمغاغة) ، كفر طرخان (بالعياط) ، الصف ، التبين ، عزبة الوالده (بحلوان) ، أبو صير ، المعصرة ، طره ، زاوية العريان (جنوب الجيزة) ، نزلة البطران) ، أثر النبى ، جزيرة سنجها (بكفر صقو شرقية) ، تل سماره (بالسنبلاوين) ، تل الجن (بين الفرما والغاضرة) ، مرسى مطروح .[١]

المعارف التى توصل إليها الإنسان المصرى القديم من خلال دراسة بقايا المحلات أو المراكز السكانية :

إذا نظرنا إلى البقايا الأثرية فى هذه المواقع التى ذكرناها ، نجد أن الإنسان المصرى القديم توصل إلى عدة معارف منها الزراعة واستئناس الحيوان وتربيته ، والتطور فى تشييد المساكن من مساكن مشيدة من أغصان الأشجار والطين إلى مساكن تتوافر فيها جميع عناصر البناء ، والتطور فى طريقة حفر وبناء المقبرة بعيدا عن منطقة المساكن ، والتطور بعادات الدفن . كما توصل الإنسان المصرى إلى معرفة بعض الصناعات وإعداد المواد الأولية منها صناعة الفخار والآلات والأسلحة الحجرية والأوانى الحجرية[٢] والآلات والأدوات من النحاس . وصناعة أدوات الزينة

---

(١) Kessler, op. cit., 1V, p. 396 – 402 (no.3, 9, 10, 11, 13, 15, 16, 18, 23, 26, 29, 30, 32, 38, 41, 43, 51, 54, 57, 68, 84, 89, 97, 113, 116, 122, 125, 126, 128, 129, 130, 132, 134, 152, 153, 156, 160) .

(٢) عن خصائص وأشكال الأوانى الحجرية فى حضارتى مرمدة بنى سلامة ونقادة الثانية وفى العصر الثينى والدولة القديمة والوسطى والحديثة والعصر المتأخر، راجع الدراسة التى قامت بها . Do. Arnold, LA 11, p. 483 – 498

والخواتم والأمشاط والدبابيس والتمائم والمساحيق الحمراء والخضـــراء والســوداء ، وبعض أدوات الزينة صنع من الحجر والعض الآخر من الصدف والعاج وقشر بيض النعام . وصناعة أدوات التسلية التى وجدت بين الآثار التى عثر عليها فى حضــــارة جرزة . والتطور الفنى ويتمثل ذلك فى إخراج فنان البدارى لتماثيل صغـــيرة تمثــل أشخاصا وحيوانات . وأخذ الفنان يصور على بعض الأدوات مـــن الحجــر والعــاج الحيوانات التى لا وجود لها الآن فى مصر ، مثل فرس النهر والفيل والخنزير الـبرى والسلحفاة المائية والتمساح .[١] ويصل فن الرسم ذروته فى الرسوم التى تزدان فخــار نقادة الأولى والثانية التى تمثل أشكالا هندســية ، ونباتــات وحيوانـــات ، ومراكــب مختلفة ، واشكالا بشرية فى أوضاع مختلفة . ولا شك أن الكثير من الرسوم الملونـــة أو المنقوشة على الصخور فى جنوبى مصر وصحاريها ، يرجع إلى ذلك العصـــر ، كذلك الرسوم الملونة التى تمثل مناظر صيد على جدران مقــبرة هــيراقونبوليس .[٢] وهناك تطور آخر وهو التوصل إلى اخـــتراع بعــض علامــات ورمــوز الكتابــة الهيروغليفية ، فقد عثر على علامات مرسومة على أوانى فخارية من حضارة نقــادة الأولى وعددها حوالى ثلاثين علامة .[٣]

وأخيرا فى مجال الصلات الداخلية والعلاقات الخارجية ، كان أهل البــدارى على اتصال بجيرانهم فى الوادى وفى المنطقة الممتدة إلى البحر الأحمر ، حيث يوجد معدن النحاس وتكثر الأصداف والأحجار الثمينة . وقــد كشــف فــى منطقــة وادى الحمامات على آثار مختلفة ترجع إلى حضارة البدارى ، والذهب الذى عثر عليه فــى بعض الحضارات كان يجلب من بلاد النوبة ، والنحاس والمنجنيز من شــبه جزيــرة سيناء ، والفضة من بلاد غرب آسيا ، ومما يدل على التوسع فـــى العلاقــات مــع

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٢ – ٧٠ ، ٧٣ – ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧٦ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـــى القديـــم ، الجـــزء الأول : مصـــر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٥٣ – ٧٢ .

الخارج هو العثور فى الجزء الغربى من شمال أفريقيا على بعض البقايا الأثرية التى تشبه ما عثر عليه فى حضارة العمرة سواء فى الآلات من الصوان أو الأدوات الحجرية أو الأوانى الفخارية . والأوانى الفخارية الحمراء المزدانة برسوم بيضاء والتى عثر عليها فى نقادة . نجد أوانى شبيهة لها فى بعض الجهات الجبلية بالجزائر .[١] وبعض المكاشط التى عثر عليها فى المعادى تشبه تلك التى عثر عليها فى تليلات غسول فى فلسطين ، وبعض الأوانى الفخارية ذات المقابض المموجة ، والتى تعد من أهم ما تمتاز به حضارة جرزة ، لها ما يماثلها فى سوريا ، ومن ناحية أخرى قد عرفت فى مصر ، منذ حضارة جرزة مؤثرات فنية يقال أنها عراقية الأصل وتدل كل هذه الشواهد على أن هناك نوع من الاتصال كان قائما بين مصر والبلاد المجاورة لها .[٢]

الاندماج الحضارى فى عصر ما قبل الأسرات :

بدأت تظهر فى حوالى الألف الخامسة ق. م. ، بعض التغييرات فى المراكز الحضارية فى الجنوب [٣] ، فالأكواخ أصبحت مستطيلة الشكل وتعرضت المقابر لبعض التطورات ، مما يعنى أنها شيدت لكى تصبح مساكن دائمة لجسد الإنسان ، أما عن استخدام النحاس الذى ظل استعماله حتى هذا الوقت محدودا فقد أخذ فى الانتشار وظهرت أيضا الأوانى الحجرية . أما عن الفخار الذى كان ذا شكل موحد ، فقد أصبح يقلد الأوانى الحجرية ويحلى جدرانه مناظر طبيعية .

وكانت هذه التغييرات نتيجة لاندماج المراكز الحضارية فى الجنوب والشمال فبعض العناصر الحضارية الجديدة التى ظهرت فى الواقع فى أعالى الوادى ، لابد وأنها كانت موجودة من قبل بصورة ما فى المراكز الحضارية للعصر

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٣) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 47 – 48 .

الحجرى الحديث فى الشمال (وخاصة مرمدة بنى سلامة) . وإذا كشفت لنا الحفائر فى يوم ما عن موقع حضارى ما فى مصر أو فى الوجه البحرى معاصر لحضارة البدارى فسوف نعثر بالتأكيد على أصل كل هذه العناصر الجديدة . فرؤوس مقامع القتال التى كانت على شكل كمثرى والتى عثر عليها فى مرمدة بنى سلامة فى العصر الحجرى الحديث ، ظهرت أيضا فى الجنوب فى الألف الخامسة ق. م. لكنها استبدلت بشكل مستدير . ونجد أن الأوانى الحجرية التى لم تعرف عن حضارة البدارى كانت معروفة على الأرجح لدى سكان العصر الحجرى الحديث فى الوجه البحرى . وقد يرفض بعض العلماء فكرة أن أصل هذه التغييرات التى أشرنا إليها فى المراكز الحضارية فى الجنوب – قد جاء فى الواقع من الشمال ، ولكن ما يهمنا هو نقطة واحدة وهى : أن المراكز الحضارية فى الجنوب والشمال إذا ما كانت مختلفة إلى حد ما قبل الاندماج فإن هذا لا يعنى على الإطلاق انها كانت غريبة بعضها عن بعض . فالمركز الحضارى فى الشمال الذى كان مختفيا فى الحواف الجنوبية للدلتا وفى الفيوم ، كان من أصل أفريقى ، مثله فى ذلك ، مثل المركز الجنوبى . ولعل أهم ميزة جغرافية فريدة ، كان يتمتع بها المركز الشمالى هو إمكانية التبادل مع الغرب عن طريق واحة سيوة ومع الشرق عن طريق شبه جزيرة سيناء وربما قد جاء استخدام النحاس من الناحية الشرقية .

ورأى بعض العلماء تفسيرا للاندماج بين المراكز الحضارية فى الجنوب والشمال أنه إنما حدث نوع من الغزو الأجنبى . ويرجع ذلك بسبب العثور على بقايا عناصر أجنبية فى مقابر مصر العليا ترجع إلى فترة ما بعد الاندماج وهذه البقايا عبارة عن جماجم مستديرة . وليس من المستبعد أن تكون هذه الجماجم لعناصر حامية أيضا ، وأخيرا فإنه وإن كانت هناك عناصر أجنبية فهى لم تكن بالكثرة الكافية التى تسمح بالحديث عن غزو أو فتح .

وهكذا تسمح لنا العناصر الأثرية بالكشف عن مدى التأثير العميق لحضارة الشمال على الجنوب ، وليس من المؤكد أن التطور كان يرجع إلى تدخل أجنبى ، ولا نستبعد فى الحقيقة أن اتصالا قد حدث بين الشرق والغرب وذلك مع عناصر آسيوية

وليبية وغيرها وقد تأثرت مصر فى عصور ما قبل الأسرات بحضـــارات آســـيوية ، ويتمثل ذلك فى أثرين :

مقبض سكين جبل العركى :

وهو جبل يقع فى مواجهة نجع حمادى . وهذا المقبض موجـــــود بمتحـــف اللوفر بباريس .[١] وتمثل النقوش على أحد وجهى المقبض معركة وقعت فى البحـــر والبر ، ففى البر حدثت معركة أو قتال بين فريقين بالأيدى ، ولا يختلف أفراد هذيـــن الفريقين عن بعضهما ، إلا أن بعضهم صور بشعر قصير واتخذ هيئـــة المصرييـــن على حين صور الآخرون بجدائل من الشعر على الطريقة الليبية . ولكن النصر كـــان من نصيب الفريق الأول ولا سيما وأن أفراده كانوا مسلحين بالعصى . وأما المعركـــة التى حدثت فى البحر فقد صورت بثلاثة مراكب تجمعت فى أوضاع مختلفة . وهـــذه المراكب تشبه تلك التى صورت على حائط مقبرة هيراقونبوليس . أما الوجه الثـــانى للمقبض فصور فى أعلاه رجل يشبه الآسيويين وظهرت له لحية كثيفة ورداء طويـــل وصور وهو يفصل بين أسدين وفى أسفله أربعة صفـــوف مـــن الحيوانـــات الأليفـــة والمتوحشة .

أما الدلالة التاريخية لهذا الأثر . فقد اختلف حولها العلماء ، فـــهناك فريـــق يرى بوضوح التأثير الليبى أو غزاة أجانب حاولوا أن يتقدموا نحـــو الجنـــوب [٢] ، وهناك فريق آخر رأى أصحابه ظهور تأثير بلاد النهرين . وهل هذا يعنى أن بعـــض الآسيويين قد استقروا فى الدلتا . وبعدها صعدوا النيل حتى منطقة نجع حمادى فـــى

---

(١) Frankfort, La Royaute'et les dieux, p. 22; Id., JNES 3 (1944), p. 119 – 124 ; Mokhtar, General History of Africa 11 (1981), p. 57 p. 19; Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 48 fig. 15 ; Decker, LA 11, p. 434 . وأيضـــا :
د. عبـــد العزيـــز صـــــالح : المرجـــــع الســـــابق ، ص ٦٣ – ٦٤ ؛
د. أنور شكرى ، الفن المصرى القديم ، ص ٢٤ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٩ .

مراكبهم ؟ والواقع أن موضوعات مقبض هذا السكين تدل على أن اصحابــها أرادوا أن يعبروا بها عن معارك حربية لها دلالة تاريخية معينة .

صلاية العقبان :

يوجد جزء منها محفوظ فى المتحــف البريطــانى والآخــر فــى متحــف الأشمولين Ashmolean بأكسفورد .[1] وتشير النقوش إلى حادث معين نرى فيــه الملك ممثلا برمز الأسد ينهش عــدو ملقــى علــى الأرض ، والواقــع أن ســطوح الصلايات الكبيرة الحجم قد استخدمت لنقش مناظر أسطورية وتاريخية ، وقــد رأى بعض منهم فى المنظر السابق ، أنه يرمز إلى أحد الليبيين واحتمـــال غــارة ليبيــة وانتصار الملك عليهم .

ويحتفظ المتحف المصرى بجزء من صلاية يطلق عليها صلايـــة الجزيــة الليبية على أحد وجهيها بعض الحيوانات التى تقوم بهدم حصون صورت على هيئــة أسوار مرتفعة[2] مستطيلة الشكل . ولوحظ فى داخل كل حصن بعض المربعات لابـد أنها تمثل مبانى المدينة ، وعلامة هيروغليفية هى فى الواقع اسم الحصن أو ســكانه . ويرى " شوت " فى هذا المنظر أن الملك العقرب قد انتصر على مدينة بوتو . وكــان من جراء هذا الانتصار ورود جزية ليبية إلى الملك . ومن بين الرموز التى صــورت تعلو الحصن الصقر والعقرب والأسد .

وعلى الوجه الآخر من الصلاية ثلاثة صفوف تمثل جزية الليبيين (الثــيران والحمير والكباش) وصور اسفل المنظر أشجار الزيتون .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع الســابق ، ص ٦٥ – ٦٦ ، وأيضا : Vandier, Manuel d'Arche'ologie I, p. 584

(٢) د. عبد الحميد زايــد : المرجــع الســابق ، ص ٩١ – ٩٢ ؛ Saleh – Sourouzian, Officiel Catalogue : The Egyptian Museum Cairo,no. 7.

وهناك مجموعة أخرى من الصلايات فى المتاحف العالمية منها صلاية من بلدة الكاب ، فى متحف الأشموليان بأكسفورد وعليها مجموعة من الأسود تهاجم حيوانات أخرى مثل الغزلان والثيران والزراف وكلها فى حالة فزع .[١] ومنها أيضا صلاية الأسود التى آل الجزء الأكبر منها إلى المتحف البريطانى والآخر إلى متحف اللوفر . وصور على أحد وجهيها بعض المحاربين الذين اتخذوا أسلحة مختلفة مثل الحراب والمقامع والعصى المعكوفة . واندفع رجال من الفريقين إلى صيد حيوانات صحراوية من بينها ثلاثة أسود [٢] ويحمل بعض الرجال رموز بعض أقاليم شرق وغرب الدلتا . وقد رأى بعض العلماء فى هذا المنظر أن رؤساء إقليمى الدلتا تعودوا بعد اتحادهما أن يخرجوا كل عام فى رحلة صيد مشتركة يحيون فيها ذكرى حادث تاريخى قديم له صلة بمعبد بدائى قديم هو معبد مدينة بوتو .[٣] ومنها أخيرا صلاية الفحل التى صور عليها فحل كبير وهو يهجم بقرنيه على عدوه فألقاه على وجهه وضغط بحافره على فخذه .[٤]

---

(١) Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 48 Fig. 18 . وأيضا : تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، شكل ٢٨٧ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦٥ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، شكل ٢٥٨ ؛ وأيضا Vandier, op. cit., I, 574 ; Daumas , op. cit., p. 49 fig.. 18 .

(٣) محاضرات د. عبد العزيز صالح : كلية الآداب – قسم الآثار المصرية عام ١٩٥٨ – ١٩٥٩ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٩ ، ص ٦٨ ؛ وأيضا : Daumas, op. cit., p. 48 fig. 17.، عن نقوش الصلايات ودلالاتها ، راجع حديثا : Monnet – Saleh, BIFAO 86 (1986), p. 227 – 238 .

وفى نهاية عصر ما قبل الأسرات ، ساد هذه المراكز الحضارية فى الشمال والجنوب طابع حضارى واحد ، وكما أشرنا كانت المواقع أو المحلات السكانية فى الشمال فى تقدم ظاهر على مثيلتها التى توجد فى الوجه القبلى فى بداية العصر الحجرى الحديث الأعلى . فقد ظهر الطوب اللبن فى البناء وأصبحت مطامير الغلال تصنع من الفخار حتى لا تتسرب إليها المياه ، وتطورت المقبرة فلم تصبح الحفرة مستطيلة تقليدا للمساكن فقط ، بل تعدت ذلك إلى ما يسمى ببداية العمارة الحقيقية : فأصبحت الحفرة مكسوة بالطوب الجاف يعلوها سقف وتتكون من حجرات صغيرة على الجانبين ، أعدت لكى تستخدم كمخازن للمواد الجنائزية . وكان المتوفى يوضع أولا فى صندوق من السلال ثم الفخار ، ثم يدفن بعد ذلك فى تابوت حقيقى من الخشب . ويبدو أيضا أن الجبانات قد أقيمت على الشاطئ الغربى للنيل خاصة وكانت رؤوس الموتى متجهة نحو الشمال والوجه مائل إلى الشرق ، وربما رجع ذلك إلى بداية ظهور الشعائر الجنائزية فى الديانة المصرية ، على الأقل من الناحية المادية البحتة . وتقدمت صناعة وإعداد الظران ، وظهر على الفخار ذى اللون البنى ، مناظر تعبر عن أحداثا تاريخية معينة . وظهرت صناعة التماثيل للرجال والنساء من العاج والطين . وتعد هذه الفترة من أكبر العصور لصناعة الأوانى من الأحجار الصلبة التى أعدت وصقلت بطريقة فنية مقبولة . وأصبح التقدم الفنى يلقى بضوئه على الحياة الاجتماعية لأولئك الذين عاشوا فى العصر الحجرى الحديث الأعلى . ونرى بصفة مستمرة على الآثار المنقوشة ، وخاصة على الألواح الصغيرة من الشست ، مناظر لبعض الأبنية وأشخاص يحملون الصوارى والأعلام التى كان يعلوها رمز معين . وظهر من تلك الرموز على اللوحات الصغيرة ما يمثل الصقر ورأس البقرة ، مما يدل فيما يبدو على أن عناصر الديانة المصرية قد بدأت فى التكوين فى تلك الفترة (عبادة المعبودة حتحور والمعبود حورس) .

وهكذا يمكن القول بأن سكان وادى النيل ، كانوا يملكون فى أيديهم كل عناصر الحضارة التى سوف تبدأ منذ هذا الحين فى الازدهار بأسلوب متطور . وكل ما نملكه حتى الآن لكى نتتبع مراحل تطور حضارة العصر الحجرى الحديث الأعلى

لا يتعدى إلا بعض المصادر الأثرية التى عثر عليها فى المواقع المختلفة ، كما رأينا .[١]

وهكذا نجد فى العصور التاريخية أنه قد حدث ما يسمى بعملية التجميع لكل التقاليد والأحداث التى مر بها المصرى قبل التاريخ المكتوب وأيضا قبل اتحاد القطرين ، هذا التجميع نجده فى صورة نصوص ، أطلق عليها " نصوص الأهرام " وهى التى وجدت منقوشة على الجدران الداخلية لأهرام ملوك السرة الخامسة والسادسة فى سقارة . وتشير هذه النصوص إلى أحداث وقعت فى بداية العصر الحجرى الحديث الأعلى . ولسوء الحظ أن هذه النصوص كان لها صلة واضحة بأحداث وقعت فى المراكز الحضارية فى الشمال التى لا نملك عنها أى دليل أثرى ،[٢] ولا يمكننا تبعا لذلك أن نقارن الأحداث المأخوذة من نصوص الأهرام بالمصادر الأثرية . فالنصوص بوضعها الحالى تحدثنا عن الحالة السياسية قبل الوحدة بين الشمال والجنوب ، وأن مصر العليا كانت تمثل مملكة المعبود ست ، على حين كان يوجد فى الدلتا تجمعات لأقاليم الغرب وأخرى لأقاليم الشرق وكان المعبود أوزيرو هو ملك (الشمال) وهو الذى قام بتوحيد الأقاليم الشرقية والغربية ثم قام ابنه وخليفته المعبود حورس بمهاجمة وغزو مملكة المعبود ست فى الجنوب ، وهكذا قامت مملكة متحدة فى كل مصر . ولكنها لم تستمر فترة طويلة وسرعان ما انقسمت إلى قسمين : ملك يحكم فى مصر العليا فى الكاب ، وآخر فى الوجه البحرى فى بوتو . ولذلك تعتبر تلك النصوص أكثر صعوبة فى تحليلها بالنسبة لأحداث العصر الحجرى الأعلى . ويرى عالم البصريات " زيته Sethe " أن تطبيق التقويم الشمسى قد حدث فى الفترة الأولى من الاتحاد أى فى حوالى عام ٤٢٠٠ ق. م. وأن العاصمة كانت قائمة فى ايونو وإذا صحت هذه النظرية – وما هى إلا إحدى النظريات المتعددة التى ترددت بخصوص هذا الأمر فإن بداية تاريخ الحضارة المصرية فى عصر ما قبل الأسرات يمكن أن يرجع إلى الألف السادسة ق. م. وأما التاريخ الفعلى لمصر فهو

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٧ ؛ وأيضا : Vercoutter, op. cit., p. 51 – 58 .

(٢) عن هذه النصوص ، راجع : Altenmuller, LA V, p. 14-23

يبدأ عام ٣٠٠٠ ق. م. عندما نجح ملوك الجنوب الصغار أو الحكام الصغار في هزيمة حكام الشمال الصغار وكونوا أول مملكة متحدة .[1] وقبل هذا التاريخ الأخير مرت البلاد بعدة مراحل في تكوينها السياسي .

مراحل التكوين السياسي قبل اتحاد القطرين وتكوين أول مملكة متحدة :

بدأت التجمعات السكانية الكبيرة نسبيا تستقر على ضفاف النيل ابتداء من العصر الحجري الحديث ، واقترنت عوامل الاستقرار هذه بعامل الزراعة والري والتعاون في استصلاح الأراضي ، وبدأ يربط بينهم عامل المصالح المشتركة وأخذت تلك الجماعات في التوسع ولإقامة المساكن في المناطق البعيدة في الفيضان ، وبدأت تتجمع في قرى صغيرة وبعد ذلك اندمجت تلك القرى مع بعضها بعضا وأدى ذلك إلى تكوين الأقاليم ، ثم أخذت تلك القرى الكبرى تتحول إلى ما يشبه المدن ، وظهرت بعض المدن التي كانت تتمتع بنوع من القداسة الدينية ، ومرت هذه الأقاليم والمدن بأوضاع شتى من ناحية التكوين السياسي حتى انتهى الأمر بتوحيد البلاد كلها وساد حضارتها طابع واحد متجانس .

ففي فجر العصور التاريخية ، أصبحت مصر مقسمة فيما يبدو إلى عدة أقاليم . فقد ظهر على الألواح الصغيرة من الشست ، مناظر لبعض الأشخاص يحملون الصواري والأعلام التي كان يعلوها رمز ، وهذه العلامات والدلالات سوف نجدها فيما بعد في العصور التاريخية كرموز للأقاليم المختلفة . ونستنتج من ظهور هذه الرموز . أن مصر في نهاية العصر الحجري الحديث الأعلى أو عصر المعادن ، كانت تعرف في تلك العصور القديمة البعيدة نوعا من النظام الإداري .

قامت في بعض الأقاليم إمارات هامة وبيوت قوية ، وكانت لها عواصم أو

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne , p. 51 - 58 ؛ وأيضا :
د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

مدن رئيسية ، ففى الدلتا يبدو أن عددا من الأمراء أو الحكام قد حكموا قبل تأسيس الأسرة الأولى ، وعن هؤلاء الحكام الذين لم يعثر لهم على أى أثر حتى الآن ولا نعرف إلا أسماء بعض منهم فقط وحتى هذه الأسماء ما زالت محل جدل بين العلماء .

وقد حاول هؤلاء الحكام بدافع عامل الطمع والرغبة فى بسط النفوذ ، إلى ضم الأقاليم الأخرى الضعيفة تحت لوائها ، وكانت مراحل التوحيد السياسى لأقاليم مصر فيما قبل الأسرات عديدة ومتنوعة . ونعتمد فى تحليلنا لتلك المراحل على نقوش الصلايات ومقامع القتال وما جاء فى متون الأهرام من صدى لأحداث قديمة .[١] وتبلغ ثمان مراحل :

١- ففى أول الأمر تجمعت أقاليم الوجه البحرى فى مملكتين . إحداهما فى الشرق وعاصمتها مدينة جدو وهى مدينة بوزوريس وتقوم على أطلالها حاليا بلدة " أبى صير بنا " قرب سمنود الحالية ، وكان معبودها الأكبر عنجتى ، والأخرى فى الغرب واتخذت عاصمتها فى مدينة دمنهور ، وكان معبودها الرسمى هو المعبود حورس ، على حين يرى بعض آخر أن العاصمة كانت بحدت Behedet فى غرب الدلتا التى تسمى حاليا تل البلامون .[٢]

٢- بعد ذلك اتحدت المملكتان فى ظروف غير واضحة وأصبحت مملكة واحدة واتخذت عاصمتها فى مدينة سايس وتقوم على أطلالها مدينة صا الحجر الحالية فى غرب الدلتا ، وكانت معبودتها هى المعبودة نيت [٣] ، وتقص

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٨ – ٦١ ؛ ومحاضرات ، كلية الآداب ، قسم الآثار المصرية عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 37 .

(٣) R. el Sayed, La Déesse Neith de Sais, BdE 86 (1982), p. 31-39.

النقوش أنه قبل أن تتكون مملكة سايس فى الدلتا بثلاثة قرون ، نشأت مملكة أخرى فى مصر الوسطى فى مدينة " هنن نسوت Henen Nesout " على بعد ١١٠ كم من طرف الدلتا ، وهى التى عرفت فيما بعد باسم هيراقليوبوليس (اهناسيا المدينة جنوب بنى سويف) . ولا نعرف عن هؤلاء الحكام الجنوبيين ، سوى بقايا أسماء تسعة ملوك أو عشرة ، ويبدو أنهم حكموا لمدة خمسين عاما على رأس هذه المملكة ، وكانت أراضيهم تمتد جنوبا على مسافة ٤٠٠ كم تقريبا . ويبدو أنهم هم الذين أقاموا حصنا أو أسوارا للدفاع عن حدودهم الشمالية ضد أى غزو يأتى الدلتا ، وهو الذى قامت عليه فيما بعد مدينة منف التى كانت تسمى الجدار الأبيض أو القلعة البيضاء أو السوار البيضاء ، وقد انتقل إليها النشاط الإدارى منذ بداية الأسرة الأولى .

٣- تجمعت أقاليم الصعيد فى تلك الأثناء واتحدت فى مملكة واحدة واتخذت عاصمة لها فى مدينة نوبت ، وهى بلدة أطلق عليها الإغريق اسم أمبوس وتقوم على أطلالها بلدة طوخ الحالية فى محافظة قنا وكان معبودها الأكبر المعبود ست .

٤- حاولت مملكة الشمال تكوين مملكة متحدة تضم الصعيد تحت لوائها ونجحت فى ذلك ثم اتخذت عاصمة ملكها مدينة جدو أيضا ولكنها تعبدت لمعبود آخر بدلا من عنجتى هو المعبود أوزير .

٥- حاول الصعيد الانفصال عن هذه المملكة المتحدة ، وعاد إلى الاستقلال وأرجع مجد عاصمته القديمة نوبت ومعبودها ست .

٦- حاولت مملكة الشمال توحيد البلاد مرة أخرى ونجحت فى ذلك وضمت غليها مملكة الصعيد ولكنها لم تتخذ عاصمتها فى الشرق أو الغرب بل اتخذتها فى مدينة تتوسط الوجهين وهى مدينة إيونو ، ويعتقد زيته أن المفكرين فى هذه المدينة كانوا أول من ابتدع التقويم الشمسى . وكانت هذه المدينة مشهورة بنشاطها فى مجالات الدين والعقائد والعلوم والمعارف

واشتهر كهنتها بأنهم أكثر كهنة مصر علما وثقافة فى مجال الديانة والعلـوم والآداب المتنوعة .[١]

٧- عمل الصعيد على الانفصال مرة أخرى ، وعادت مصـر إلـى مملكتيـن إحداهما فى الشمال واتخذت عاصمتها فيما يبدو فى مدينة " ب " أو بوتـو ، وهى تل أبطو أو تل الفراعين الحالية شمال شرقى دسوق ، وقد اتخذ البيـت الحاكم الذى تاسس فى هذه العاصمة ، المعبودة واجيت حامية لهم وهى التى كان يرمز إليها بالحية ، وكانت تعبد فى مدينة مجاورة لمدينة " ب " . وظل الملوك يضعون هذا الرمز فوق جباههم طوال العصور التاريخية فيما بعد ، وأكثر من هذا ، أصبح اسم هذه المعبودة ، يدخل ضمن الأسماء أو الألقـاب التى يحملها الملك ، وأصبح نبات البردى الذى ينمو بكثرة فى المسـتنقعات المجاورة هو الرمز العام للوجه البحرى واتخذ حكام المملكة الجديدة النحلـة شعارا ملكيا لهم . وإلى هذا الرمز كان الملوك ينتسبون عادة فيتلقبون بلقـب بيتى (أى المنتسب إلى رمز النحلة) . وإلى جانب هـذا ، اتخـذ هـؤلاء الملوك التاج الأحمر تاجا ملكيا لهم . وظلوا أوفياء لمعبـود مدينـة " ب " الأكبر حورس .

قامت مملكة فى الجنوب فى الفترة نفسها ، فى المنطقة التى يسـكنها عبدة المعبود حورس واتخذت عاصمتها فى مدينة نخن التى أطلـق عليـها الإغريق اسم هيراقونبوليس بمعنى مدينة الصقر[٢]، وتقع الآن شمال مدينـة إدفو الحالية بحوالى ٢٠ كم ، وأصبحت نخن مركزا مـن مراكـز الحكـم الرئيسية لحكام الصعيد قبل توحيد البلاد واتخذ حكامها التاج الأبيض تاجـا لهم واتخذوا المعبودة نخبت التى كان يرمز إليهـا بأنثى العقـاب حاميـة

---

(١) Jequier, Considerations sur les Religions Egyptiennes, Neuchatel, (1946), p. 16; Sethe, ZAS 78 (1942- 1943), p. 1-27.

(٢) عن نخن ، راجع : Adams, LA 11, p. 1182 -1186

لمملكتهم وكانت تعبد فى مدينة نخب على الضفة الشرقية للنيل فى مدينة الكاب الحالية . واتخذ ملوك هذه العاصمة ، نبات البوص أو الخيرزان أو الأثل [١] الذى كان يطلق عليه اسم " سوت " رمزا ملكيا لهم ، واتخذوا زهرة اللوتس رمزا عاما لأراضى الوجه القبلى ، أما عن معبودهم الرئيسى أو الرسمى فهو المعبود حورس الذى وفد عليهم أصلا من الشمال فقدسوه واعتبروا أنفسهم اتباعا له . ويبدو أن هذه المملكة كانت تقتصر على الجزء الذى ينحصر بين الأقصر وإدفو ، ويرى بعض العلماء أن هذه المملكة قد استمرت فترة طويلة ولكننا للأسف نجهل عدد هؤلاء الملوك الصغار أو الحكام الصغار وأسماءهم .

٨- قبل قيام الأسرة الأولى بثلاثة قرون ونصف ، قامت سلالة ملكية أو بيت حاكم جديد فى مدينة ثينى (طينة) التى تقوم على أطلالها حاليا أو تقع بالقرب منها مدينة جرجا . وقد انتقل إليها حكام الصعيد بعد نخن وذلك قبل قيامهم بتوحيد البلاد مباشرة نظرا لموقعها الذى يتوسط أراضى الصعيد ، وقربها من جبانتها أبيدوس وهى العرابة المدفونة حاليا ، ذات الشهرة الدينية والتى اعتبرت من مناطق المزارات الرسمية لأنها كانت مقرا لضريح المعبود أوزير المهيمن على عالم الآخرة . ومن المحتمل أن هذه السلالة قد هزمت سلالة البيت المالك فى نخن ، وحلت محلها . ومن المحتمل أيضا أن أسرة " ثينى " كانت فرعا من البيت الحاكم فى " نخن " ، وكان حكام ثينى يدينون بالولاء للمعبود حورس . ويقال أنه قبل الأسرة الأولى قامت أسرات حاكمة يتراوح عدد حكامها ما بين اثنى عشر إلى خمسة عشر حاكما[٢] تتابعوا

---

(١) الأثل : شجرة يصل ارتفاعها إلى عدة أمتار وتعطى فروعا خشبية طويلة وليس لها ورق عريض ، وإنما خراشف صغيرة . وهى تنمو فى الصحارى والأراضى الملحية الرطبة. وفروعها تحمل على سطوحها الأملاح التى يفرزها النبات ، وهى شجرة معمرة، راجع: المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، ص ٦ .

(٢) يضع فون بكرات اسماء : العقرب ، كا ، نعرمر كملوك حكموا فى عصر ما قبل الأسرات ، راجع : Von Beckerath, LA 111, p. 542-543

فى خلال هذه الفترة والتى تبلغ ثلثمائة وخمسين عاما .[١] وحكموا على الأقل فى مصر العليا وربما أجزاء من الدلتا . ولكن لم يصل إلينا لا أسماء الحكام الأربعة الأواخر فقط .

وربما كان أقدمهم يسمى رو " Ro " وهو أول حاكم مصرى وجد اسمه منقوشا على أدوات تلك الفترة . وقد كتب هذا الاسم أيضا على الأوانى التى عثر عليها فى مقبرته فى ثينى .[٢]

ويرى بعض العلماء أن هذا الحاكم قد قام بغزو أراضى جيرانه فى الشمال ، ويبدو أنه هو وشعبه قد نقلوا عن شعوب الدلتا فن الكتابة التى توصل إليها أهل الشمال فى تاريخ سابق بقليل . وبعد هذا الحاكم جاء حاكم اخر يسمى " كت Ket " وكان يدين بالولاء لحورس أيضا وقد ظهر اسمه على الأدوات التى عثر عليها فى مقبرته فى ثينى وأيضا فى نقش قديم عثر عليه بالقرب من " هنن – نسوت " عاصمة حكام وأمراء مصر الوسطى . ويبدو أنه كان معترفا به كحاكم رئيسى حتى طرف الدلتا فى الشمال . وجاء بعد ذلك الملكان الشهيران العقرب ونعرمر وقد تحدث بعض العلماء عن ملوك الوحدة فى شخص العقرب ونعرمر وأنه كان يوجد قبلهما أسرات حاكمة .

وشملت مراحل التطور السياسى والإدارى أيضا تأسيس بعض المدن ذات الأهمية السياسية والإدارية أو التى تمتعت بقداسة دينية أو التى تمتعت بموقع متوسط مثل مدينة منف ، وكان يحيط بالملك بعض كبار رجال الدولة والنبلاء ، وتطورت تبعا لذلك نظم الحكم والإدارة ، وأنشئت بعض الإدارات ، مثل بيت المال الأبيض ويختص بضرائب الوجه القبلى ودخله وبيت المال الأحمر ويختص بضرائب الوجه

---

(١) Kaiser, ZAS 86 (1961), p. 39 – 61 ؛ وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٥١ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 19 .

البحرى ، ولهذا لم تخطئ التقاليد عندما تؤكد أنه مر على ممالك مصر العليا والوجه البحرى فترة تقرب من ألف عام ، كانت أغلبها فترة تكوين حضارى في مختلف المجالات وعندما تم توحيد البلاد ، لم يكن ذلك إلا نتيجة طبيعية لتلك القرون الطويلة من التطور والإعداد ، سادها الكفاح المستمر والقدرة والتصميم والفكر المنظم البناء .[١]

هكذا رأينا بإيجاز ، كيف أن تاريخ مصر فى أول الأمر قبل اتحاد القطرين وتكوين المملكة المتحدة عاصر عدة مراحل من التطور والتقدم الحضارى . وقد عثر على عدد كبير من الأوانى من الفخار المحروق وعلى بعض الأدوات الأخرى مثل رؤوس المقامع ، ورؤوس السهام والحراب . والفؤوس والسكاكين والخناجر والمطارق ، والصلايات ، وبعض أدوات الزينة ، ترجع كلها إلى عصور ما قبل التأريخ أو عصر ما قبل الأسرات ، أى ترجع إلى الفترة التى كانت فيها مصر مقسمة إلى ممالك صغيرة مميزة ، وثبت أن الفن كان متقدما فى هذه الفترة ، وهذه الأدوات التى عثر على أغلبها فى مقابر على حواف الصحراء قد احتفظت بها رمال الصحراء سليمة ، ولكن المقابر التى حفرت فى الدلتا ، قد حفرت فى أرض رطبة ولم يبق منها أى أثر يدلنا على تقدم الصناعة فى الوجه البحرى فى تلك الفترة . وعلى الرغم من هذا ، فإن أول علامات الكتابة ظهرت فى مصر العليا بالذات فى الفترة التى كان فيها ملوك نخن يحاولون إخضاع ملوك الشمال ، مما يدل على أن الحضارة كانت متقدمة فى الدلتا أكثر منها فى الوجه القبلى ، وأن أهل الجنوب قد تعلموا الكتابة من أهل الشمال ، ويبدو أنه حدث فى تلك الفترة نوع من تشابه الفنون

---

(١) عن هذا العصر بوجه عام انظر : Sethe, Beitrage Zur Altesten Geschichte Agyptens (Unters. 111), p. 17 ; Petrie, Royal Tombs 1, p. 3 – 45, pl. 4-37, t, 11, p. 2-47, pl. 7 – 22 ; Kaplony, Die Inschriften der Agyptischen Frühzeit, t. 1, p. 3 ; Baumgartel, Predynastic Egypt, dans CAH (1965), p. 3 – 63 .

Baumgartel, The Cultures of Prehistoric Egypt, London 1955 .

وخاصة فى فن البناء بالمشكاوات بين العراق ومصر ، وفى تصوير لبعض الأشكال الحيوانية ، ولكن يمكن تفسير ذلك على أساس التبادل التجارى الذى ينشأ عنه عادة تبادل فى الأفكار بين البلدين . ولا يدل ذلك قطعيا على أن طائفة من الحكام فى الوجه البحرى قد جاءوا من آسيا أو العراق أو من أى مكان آخر ، أو يدل على أنه قد حدث نوع من الغزو .

وهناك نص كشف عنه حديثا فى معبد حتحور بدندرة ، حفظ فى سجلات الأرشيف ، يحدثنا عن طقس دينى كان يحدث فى شهر إبيبى الذى تزور فيه المعبودة حتحور معبد إدفو لكى ترى زوجها المعبود حورس ، ويرجع تاريخ هذه الطقوس إلى ما قبل الأسرتين الأولى والثانية .(١)

---

(١) Daumas , op. cit , p. 40 ; Id., LA 111, p. 1060 – 1063 .

الفصل السادس

عصر بداية الأسرات

الأسرتان الأولى والثانية

تحقيق وحدة البلاد السياسية وبداية عصر التأسيس والبناء

(٣٢٠٠ – ٢٧٨٠ ق. م)

الأسرة الأولى (٢٩٢٠ – ٢٧٧٠ ق. م . تقريبا) [١]

هناك اختلاف كبير من أسماء ملوك الأسرة الأولى التى أعطانا اياها مانيتون واراتو سثينيس فى قائمتهما ، وما تمدنا به القوائم الملكية الأخرى التى تحدثنا عنها سابقا ، وأيضا ما أكدته الآثار بالنسبة لأسماء هؤلاء الملوك ، وقد نشأ هذا الاختلاف بسبب أن مانيتون ذكر أسماء ثمانية ملوك باليونانية ومدد حكمهم التى يبلغ مجموعها ٢٥٣ عاما ، على حين تذكر القوائم الملكية أسماء أخرى مختلفة ، وتعطينا الآثار التى تركوها الأسماء والألقاب التى أطلقت على هؤلاء الملوك ولذلك فهى ، تعد – بالنسبة لنا – أقرب المصادر إلى الواقع والتى يمكن أن نعتمد عليها أكثر من غيرها .

وهذه الاختلافات والمقارنات ليست موضع بحثنا واهتمامنا الآن ، ولحسن الحظ أننا لدينا الكثير من الآثار والوثائق عن الفترة التى سبقت اتحاد القطرين مباشرة . ففى إحدى مراحل النزاع المتكررة بين الجنوب والشمال ، يبدو أن الجنوب قد تغلب على الشمال فى هذه الفترة ، وعثر فى هيراقونبوليس التى كانت فيما يبدو العاصمة السياسية لملوك الصعيد قبل اتحاد القطرين على بعض الآثار للملك العقرب ، لأن اسمه كتب فى الواقع برمز العقرب ، منها إناء أسطوانى الشكل ،

---

(١) اعتمدنا فى هذه التواريخ على القائمة التى أعطاها :
Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford 1984, p. 36 .
ويقترح فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة الأعوام من ٣٠٥٠ أو ٢٩٦٠ حتى ٢٨٦٠ أو ٢٧٨٠ ق. م ، راجع : LA I, p. 970

وعلى السطح الخارجي يوجد نقش بارز يمثل مجموعة من الصقور وضع كل منها على ما يشبه الحامل ، ونقش اسم الملك العقرب تحت اسم هذه الطيور ، وهناك زخارف تمثل قوسا مزدوجا وطائرا من فصيلة الهدهد ، وقد رأى بعضهم في هذا المنظر أن الملك العقرب حارب أهل الدلتا وانتصر عليهم .[١] والاثر الآخر عبارة عن رأس مقمعة قتال من العاج – كمثرية الشكل ، يبدو أن الملك كان قد أهداها إلى معبد نخن ، وقد قسمت إلى عدة مناظر ، في الوسط نرى الملك العقرب ممثلا مرتديا التاج الأبيض وهو يمسك فأسا يضرب بها الأرض ويتصدر مراسيم احتفال ما ، ربما كان افتتاح قناة وظهر أمامه أحد أفراد الجنوب يقدم إليه سلة ويتبع الملك رجلان يحمل كل منهما مظلة . ونرى في أعلى رأس المقمعة صواري وضعت عليها رموز بعض أقاليم الوجه القبلي وتتدلى من بعضها طيور الزقزاق ، ويتدلى من البعض الآخر أقواس .[٢]

وكلا الأثرين يشير إلى أهل الدلتا ، الذين حاربهم الملك العقرب وانتصر عليهم ، ولكن يلاحظ على الأثر الثاني أنه لم يضع على مفرقة التاج الأحمر ، مما يدل على أنه لم ينجح في إخضاع الدلتا كلية وأن انتصاره لم يكن حاسما ولو أنه قد تحقق له ذلك لوضع التاج الأحمر أيضا .[٣]

---

(١) Quibell, Hierakonopolis I (1900), pl. 19 ؛ وأيضا د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٥ ؛ د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٥٥ ، ٧٥ .

(٢) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦؛ د. أنور شكري : الفن المصري القديم، ١٩٦٥، ص ٣ ؛ وأيضا : Quibell, op. cit., I, pl. 25 et 26 (C) (4); Capart, Debuts de L'Art, Fig 170 – 172 ; Smith, A History, fig. 30 ; Schott, Hieroglyphen, p. 25 et pl. 4 ; Vandier, Manuel d'Archéologie I, p. 600 – 602 fig. 393; Monnet-Saleh, BIFAO 90 (1990), p. 264.

(٣) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

ومن المحتمل أن المملكتين قد بقيتا منفصلتين ، وكما سجلت مقمعة القتال نشاطه الحربى ، فقد صورته وهو يهتم ببعض مشاريع الرى أو الزراعة . ويبدو أن سلطان هذا الملك كان قد امتد حتى شمال منف ، وعلى ذلك يمكننا أن نستنتج أن مراحل الوحدة الحقيقية قد بدأت بالفعل أبان عهده .

كما عثر أيضا على آثار باسمه فى أبيدوس ، كما وجد اسمه مكتوبا على بقيا آنية من الفخار عثر عليها فى طره .[١]

ومما لاشك فيه أنه قد سبق الملك العقرب الكثير من الحكام دعاة تحقيق الوحدة السياسية ، ولذا يمكننا القول بأن العقرب يختلف عن غيره فى أن أعماله قد أصابها بعض النجاح . والجدير بالذكر أن الملك العقرب عرف كمحارب قوى ، فربما نجح بعد انتصاره على جزء من الدلتا ، فى إخضاع بعض قبائل البدو فى الصحراء الشرقية .[٢]

نعرمر : يبدو أن الموحد الحقيقى للبلاد كان خليفة العقرب ، نعرمر والذى كان أصلا من هيراقونبوليس .[٣]

وقد عثر لهذا الملك على أثرين فى معبد المعبود حورس فى نخن .[٤]

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٣) Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 23 .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٩٥ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢ – ٣٣ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٨٨ – ٢٨٩ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ٦٨ – ٧١ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٩ ، ص ٦٨ – ١٧١ ؛ وأيضا : =====

أولهما صلاية من الشست وهي محفوظة الآن بالمتحف المصرى تحت رقم ٣٢١٦٩ ، وقد عثر عليها " كويبل Quibell " فى الكوم الأحمر عام ١٨٩٤ وهى تسجل نجاحه فى إتمام عملية الوحدة السياسية التى بدأها الملك العقرب .

ففى أعلى الصلاية على الوجهين الأمامى والخلفى نرى فى الوسط اسم نعرمر مكتوبا داخل مستطيل يمثل واجهة القصر الملكى وعلى اليمين واليسار من الاسم نقش يمثل رأس المعبودة حتحور بوجه إنسانى وأذنى وقرنى البقرة . مما يدل على أهمية عبادة حتحور فى هذه الفترة ، وعلى الوجه الخلفى نرى الملك واقفا بحجم

==== Quibell, op. cit., 1, pl. 29 , Frankfort, La Ryoauté et les Dieux, (1948), p. 22 fig. 2-3 ; Mokhtar, General History of Africa 11, p. 25 pl 3; Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 49 fig. 21 ; Saleh – Sourouzian, op. cit., no. 8 . وعن جهود كل من العقرب ونعرمر فى سبيل تحقيق وحدة البلاد السياسية راجع الدراسة الحديثة والمفصلة التى قامت بها : – Monnet Saleh, BIFAO 90 (1990), p. 259 – 279 . ويبدو أن اتخاذ هذين الاسمين يعبران عن الشدة والقوة التى كانت تتطلبها مراحل إتمام وحدة البلاد . فالعقرب يعبر عما نعرفه عن هذه الحشرة من شدة الأذى . أما الاسم نعرمر فهو يتكون من جزئين : نعر وتعنى " سمكة بلا حراشف " . (Wb. 11, 209, 1 =) ومر وتعنى " مؤلم ، مؤذى " (Wb. 11, 96, 5 =) وعلى ذلك فإن الاسم نعرمر يعنى " السمكة المؤلمة أو التى تسبب الأذى " كناية عن شدة بطشه بالأعداء . ويذكر د. صالح : المرجع السابق ، ص ٧٤ انه " كان لكل اسم (ملكى) تعبيره الذى يدل به على شخصية صاحبه وعلى روح عصره " .

يذكر د. عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه : اللغة المصرية القديمة ، ١٩٩٨ ، ص ١٨٤ (٢) ان اسم نعرمر مشتق من نعر وتمثل سمكة القرموط وعلامة مر وتمثل الوتد . ويذكر أن معنى هذا الاسم لا يزال مثار جدل بين العلماء .

وعن معانى بعض أسماء ملوك هذه الأسرة ، راجع : المرجع السابق ، ص ١٨٤ – ١٥ (١–٨) .

كبير وعلى رأسه تاج الوجه القبلى ، وهو يقوم بتأديب أسير راكع بمقمعة قتاله " حدج " ، وإلى جوار رأس الأسير كتب اسمه " و ع ش " . وأمام الملك نرى المعبود حورس على شكل صقر يقبض بيده على حبل يجر به رأس عدو يعلوه ستة أعواد من نبات البردى يمثل كل منها عدد ألف . ويسير خلف الملك أحد اتباعه وقد حمل فى يده اليمنى إناء ، وفى يديه اليسرى يحمل خفى الملك ، وفى اسفل المنظر نرى اثنين من أعدائه بشعر طويل وجسد عارى وفوق كل منهما اسمه .

وتعد نقوش الوجه الأمامى للصلاية مكملة لتسجيل انتصارات نعرمر فعلى الثلث الأعلى للصلاية نرى منظرا آخر لنعرمر متوجا بتاج الوجه البحرى ويمسك بيده اليمنى على صدره بعلامة تشبه " الحقا والنخخ " ، وفى يده اليسرى علامة ممثلة بعرض الجسم وتشبه " الحدج " وأمام وجه الملك كتب اسمه . وصور خلف الملك الموظف نفسه حامل خفى الملك وشاراته ورموزه الذى نراه على الوجه الآخر . ويسبق الملك إدارى كبير ، متوج بشعر مستعار وهو يحمل لقب " ثت Thet " .[١] وقد تقدم هذا الموظف أربعة من الأتباع يحملون أعلام أربعة من المعبودات ، وأمام تلك الأعلام أو الصوارى عشرة أشخاص موثقين بالحبال وقطعت رؤوسهم ووضعت رأس كل منهم بين ساقيه .

ويحتل الجزء الأوسط من هذا الوجه للصلاية حيوانين استطالت أعناقهما والتفت حول بعضهما فتركت ما يشبه دائرة بينهما ، وقد أمسك بمقود كل من الحيوانين أحد الأتباع ليجذبه بعيدا عن الآخر . وفى الجزء السفل من الصلاية نرى ثورا وهو يرمز إلى الملك – يحطم بقرنيه أسوار أحد الحصون وقد ارتمى شخص

---

(١) من المرجح أن وظيفة الوزير عرفت منذ الأسرة الأولى وأن هذا الموظف الذى يحمل لقب ثت هو اللقب نفسه الذى عرف بعد ذلك بالنسبة للوزير : ثاتى . راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٩٣ حاشية (٢) ؛ وعن تفسير وتحليل مناظر وجه اللوحة ، راجع : Monnet – Saleh, op. cit., p. 261 .

ربما يمثل أحد سكان هذا الحصن تحت قدمى الثور خارج السور .

إلى جانب ما تمدنا به نقوش هذه الصلاية من معلومات تاريخية ، فإن وجود اسم الملك منقوشا على الصلاية وكذلك ألقاب بعض موظفيه وأسماء بعض الأعداء يدل على أنه كان هناك فى عصور ما قبل الأسرات محاولات لوضع أسس لطريقة التعبير والكتابة ، وأن هذه المحاولات نجحت فى اختيار بعض الحروف الهجائية فى بداية الأسرة الأولى .

والأثر الثانى عبارة عن راس مقمعة قتال عثر عليها أيضا فى معبد نخن [١] وسجلت نقوشها اسهام نعرمر فى احتفال كبير ربما احتفال بتتويجه وقد صور وهو يجلس فوق منصه مرتفعة تحميه مظلة عالية . وقد اصطف وراءه كبار الموظفين ، وتحلق فوق رأسه أنثى العقاب المعبودة نخبت ، معبودة الكاب ، ووقف أمامه حملة أعلام المعبودات الأربعة ، كما نقرأ أعداد مئات الآلاف التى استولى عليها من الأسرى والماشية ، ونلاحظ هنا أن الملك توج بالتاج الأحمر تأكيدا لشرعية سلطانه على الدلتا ، وهو أراد بذلك أن يؤكد انتصاره على أهل الدلتا .

وعثر على آثار أخرى لهذا الملك فى أبيدوس ، وعثر على اسمه مكتوبا على بقايا آنية من الفخار فى منطقة طره ، وعثر على مقبرته فى أبيدوس .[٢] وهكذا يمكن القول بأن وحدة البلاد قد تمت فى عهده ، ولهذا السبب تساءل بعضهم عما إذا كان هذا الملك هو نفسه الذى عرف فى القوائم الملكية فى العصور التالية تحت اسم منى [٣] (الذى ورد خطأ فى أغلب المراجع العربية باسم مينا) .

---

(١) Quibell, op cit., I, pl 26 A – B ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٥٥ . ٧٥ . ٧٨ .

(٣) كتب اسمه منى على أغلب الآثار منها قائمة أبيدوس ، وبردية تورين ، ونقوش معبد الرمسيوم وتابوت من العصر المتأخر ، ومجموعة من العجارين من العصر المتأخر ، راجع : Gauthier, Livre des Rois I, p. 1-3 (1 – X) .

ومن الغريب أننا لم نعثر حتى الآن على اية آثار تؤكد لنا وجود هذا الملك الشهير " منى " ، كمؤسس للأسرة الأولى ، إلا أن حجر بالرمو وبردية تورين وقوائم أبيدوس ومانيتون وهيردودوت كلها تعتبره أول ملوك الأسرة الأولى .[١] ونجد على العكس أن اسم نعرمر لم يرد فى بداية تلك القوائم الملكية كأول ملوك الأسرة الأولى ولكن عثر له على آثار تؤكد بأنه أول من حقق وحدة البلاد . وتنسب بعض الروايات إلى منى أنه رأس الأسرة الأولى ، وبه تبدأ القوائم الملكية .[٢]

ويقص علينا هيرودوت وديودور الصقلى [٣] أن أحد فروع النيل كان يطفى على منطقة منف فيجعلها كالمستنقع الكبير [٤] ويجعل أرضها أشبه بالأرض الناهضة التى سميت " تا ثنن " [٥] على النصوص المصرية فعمد منى ، أو عمد مهندسوه إلى تحويل فرع النيل عنها ناحية الغرب ، ثم قاموا بشق قناة أخرى عن قرب منها ناحية الشمال ، وبذلك جفت منطقتها ولم يكتف منشئ المدينة بذلك ، بل سورها بأسوار عالية أحاطتها من كل جانب .[٦] وكان يجئ لكى يستقر فيها من آن لآخر ، لأنه فهم أن استقراره فى الجنوب لن يساعده على حكم الدلتا ، ولذلك أقام فى منف . وهى تعد

---

(١) Daumas, op. cit., p. 27 ; Albright, JEA 6 (1920), p. 89 – 98
وقد ذكر اسم منى على بردية تورين مرتين ، راجع :
Gauthier, Livre des Rois I, p. 1 (11) .

(٢) Derchain " Menes ", Le roi, " Quelqu un " .
dans RdE 18, p. 31 – 36 ; Brunner, LA 1V, p. 46 – 48 .

(٣) Foti, " Menes in Diodorus . I, 89 " Oikumene 2 (1978), p. 113 – 126 .

(٤) نعلم من ناحية أخرى أن الوادى حتى منطقة انخفاض مجرى النيل عند الفيوم كان لا يزال قبل الأسرة الأولى عبارة عن مستنقعات ، راجع : د. محمد صفى الدين: مرفولوجية الأراضى المصرية، ص ٣٠٦ – ٣١٣.

(٥) Wb V, 227, 16 – 17 .

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

نقطة تلاقى المملكتين القديمتين . ولكن مثل هذه الرواية بها بعض الأخطاء ، ذلك لأن الوادى كان لا يزال قبل الأسرة الأولى وحتى انخفاض مجرى النيل عند الفيوم عبارة عن مستنقعات . وقصة هيرودوت تخلط بين التاريخ والعقيدة ، التى تنسب إلى منى على أنه قام بدور المخطط الذى أظهر المدينة الأصلية .

وعلى أية حال فقد اتخذت سلالة نعرمر عاصمة لها على مقربة من أبيدوس فى منطقة ثينى أو طينة .[١] والتى كان ينتسب إليها منى حسب ما أورده مانيتون .[٢] وأصبحت العاصمة القديمة نخن (هيراقونبوليس) عاصمة دينية فقط .

وأصبحت ثينى هى أولى العواصم المصرية ، وظلت طيلة أيام حكم ملوك الأسرتين الأولى والثانية عاصمة للبلاد والمقر الرسمى لملوكها ولو أن بعض ملوك هاتين الأسرتين كانوا يقيمون أحيانا فى مدينة الجدار الأبيض . وهكذا تركز النشاط السياسى والدينى فى عصر بداية الأسرات ، فى ثلاث مدن كبيرة هى نخن وثينى والجدار الأبيض .[٣]

ووصف منى على أنه أول ملك يحكم مصر بعد أنصاف المعبودات ويستخدم المؤرخون الحاليون اسم منى بصفة رمزية لكى يعبروا عن الملك الذى جمع ووحد بين مملكتى الجنوب والشمال حوالى عام ٣٢٠٠ ق. م.[٤]

---

(١) والتى لم يعرف مكانها بالتحديد حتى الآن والتى يعتقد أنها توجد بالقرب من جرجا الحالية ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٦ حاشية (١) ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٩٥ حاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥ حاشية (١) .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٠ – ٨٢ .

(٤) Posener, Dictionnaire de La Civilisation Egyptienne, p. 170; Frankfort, op. cit., p. 43, 49, 63 .

وفى الواقع أن الآراء تعددت حول أسماء الثلاثة ملوك الأوائل : نعرمر ، منى ، عحا . فقد رأى فريق من العلماء أنهم ثلاثة ملوك مختلفين ، وأن منى هو أول الملوك ثم خلفه نعرمر وتلاه عحا . ورأى فريق آخر أن نعرمر هو أول ملك وما منى وعحا إلا شخصية واحدة . ورأى فريق ثالث أن منى هو شخصية ليست لها وجود على أساس إن الاسم " منى " لم يظهر فى النصوص المصرية إلا فى عصر الأسرة التاسعة عشرة .[١] وفريق رابع ، يرى أن نعرمر هو منى فعلا وأن عحا هو الذى بدأ حروبه لتحقيق وحدة البلاد . ورأى فريق خامس ، أن نعرمر هو مؤسس الأسرة الأولى وأن منى وعحا ما هما إلا صفتان له ، أى أنه اتخذ اسم عحا أى " المحارب " اعتزازا بانتصاراته التى استطاع بها أن يوحد كلمة البلاد ، ولما تم له ذلك لقب نفسه باسم منى وهو الذى يعنى المثبت أو المدعم ، تنويها بنجاحه فى تثبيت دعائم ملكه ، ويبدو أن الاسم " منى " قد أعطى له لحظة تتويجه ملكا على عرش البلاد .[٢]

ويميل الكثير من الباحثين إلى الاعتقاد بأن نعرمر هو منى ، وأن عحا . كما يغلب على الظن – كان ابنا لنعرمر ، خاصة وأنه عثر فى المقبرة المنسوبة إلى نعرمر فى أبيدوس على غطاء إناء عليه الاسم الحورى لنعرمر يتبعه الاسم أو اللقب " منى " .[٣]

ونحن لا نعرف إلا القليل عن الأسرتين الأولى والثانية التى بدأهما نعرمر – منى ، وكل ما نعرفه أنهما استمرتا حوالى خمسة قرون ولسنا على بينة أيضا من الظروف التى سادت العاصمة القديمة ثينى حين انتقلت إليها زعامة الصعيد قبيل عصر بداية الأسرات وفى أوائله ، غير أن جبانتها " أبيدوس " اكتسبت نوعا من الأهمية بعد أن شيد فيها ملوك الأسرة الأولى مقابرهم ، وقد عثر لبعض ملوك الأسرة الأولى على مقابر ضخمة فى سقارة (أكثر من ٨٠ مترا طولا و٥٠ مترا عرضا) وعثر فيها على أسماء ملوك ، عثر لهم فيما سبق على مقابر فى أبيدوس ، مما أثار

---

(١) Gauthier, livre des Rois I, p. 1 (1 – 111) .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .

مشكلة معرفة أى المقبرتين استخدمت فعلا للدفن والأخرى التى استخدمت كمقبرة رمزية أو ضريح للذكرى ، ولم نعثر حتى الآن على بقايا لمومياء أى ملك من ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس أو سقارة ، ولهذا فإن مشكلة تحديد مكان الدفن الحقيقى لا تزال قائمة . وعلى الرغم من أن هذه المقابر قد تعرضت للسلب والنهب والحريق إلا أنها امتدنا بعدد كبير من سدادات الأوانى المصنوعة من الطين يحمل كل منها اسم ملك وبعض ألقابه ، وهكذا أمكننا عن طريق الاستعانة ببعض الآثار الأخرى معرفة عدد ملوك الأسرة الأولى ، فهى تتكون من ثمانية ملوك (إذا أعددنا نعرمر – منى كاسم واحد لمؤسس الأسرة الأولى) وذكر لنا مانيتون ، ثمانية ملوك ، ذكر أسماءهم باليونانية ومدد حكمهم التى تبلغ فى مجموعها ٢٥٣ عاما .[١]

وقد ذكرت حول شخصية الملك فى تلك الفترة مختلف المظاهر لسلطانه عن طريق الألقاب التى اتخذها ، فهو الممثل للمعبود حورس ، وملك مصر العليا والوجه البحرى وتحت حماية المعبودتين .

والواقع أن الثمانية الملوك الذين تتكون منهم الأسرة ، قد ذكروا على الآثار بأسمائهم الحورية ، أما قوائم الملوك فهى تعطى أسماء تختلف بعض الشىء فى نطقها ، وهؤلاء الملوك هم :[٢]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٢) أعطى ولف أحدث قائمة لملوك مصر القديمة معتمدا على الآثار وقوائم الملوك ومانيتون : ,Wolf, Das Alte Egypten, Munchen (1971) ؛ p. 231; Gauthier, op. cit., I, p. 32 – 41. وأيضا د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٧؛ د. عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٧٤ – ٧٥. قام فون بكرات بإعداد قائمة بأسماء ملوك مصر القديمة منذ الأسرة الأولى حتى نهاية الأسرة الحادية والثلاثين، راجع : Von Beckerath, LA 111, p. 542 – 556 وعن ملوك الأسرة الأولى فيعطينا أسماء ثمانية ملوك ، راجع : Id., op. cit., 1V, p. 542 – 543; Helck, LA V1, p. 489 .

١- نعرمر [١] (منى)[٢]

٢- عحا (ـــــ)

٣- جر (إتيى)

٤- واجى أوجت (إتا)

٥- وديمو أودن (سبتى)

٦- عج ايب (مر بابن)

٧- سمرخت (سمسو)

---

(١) نلاحظ أن هناك اسمين لكل ملك وجدا على الآثار : الأول هو الاسم الحورى أى الاسم الذى كان يكتب داخل المستطيل الذى يمثل واجهة القصر الملكى ويسمى السرخ . الثانى هو الاسم الملكى وكان يكتب داخل الخرطوش الملكى أى الخانة الملكية . ولهذا نضعه هنا بين قوسين إشارة إلى كتابته داخل خانة ملكية على الآثار .

ونلاحظ أحيانا أن كلا الاسمين كتبا داخل خانة ملكية وأحيانا أخرى كتب الاسم الحورى فقط دون الاسم الملكى أو العكس أى كتب الاسم الملكى دون الحورى ، راجع : Gauthier, livre des Rois I, p. 1 – 40 .

يضع جوتييه الاسم الحورى نعرمر طبقا لمانيتون كأول ملوك الأسرة الثانية ، ويذكر أنه حكم لمدة ثمانية وثلاثين عاما ، راجع : Gauthier, op. cit., p. 17-18 (1) (I – V) n. (2) .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٧ . ٥٤ . ٥٥ . ٧٨ ، الذى يذكره تحت اسم (الملك) –منا (حورس) نعرمر أو " نعرمر – منا " .

كما يذكره جيمس فى قائمته تحت اسم : نعرمر – (منا) ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 263 .

٨- قاع (قبحو) (١)

ويمكن القول بأن فترة الأسرة الأولى تعد مرحلة تطور سريع ، ومما يؤسف له تلك الندرة الواضحة فى المصادر الأصلية (الآثار والوثائق) والتى تعوقنا من تحليل هذا التطور ، فهي الفترة التى تكاملت فيها – إلى حد ما – مظاهر الحضارة فى مصر ، وسوف تظهر لنا صورة هذا التكامل واضحة فى عصر الدولة القديمة .

وبالنسبة لنشاط أول ملوكها(٢)، نجد أن " بترى " عثر على مقبرة صغيرة فى أبيدوس ، تنسب إليه نظرا للعثور فيها على بعض الآثار التى تحمل اسمه ، وقد

---

(١) يعطينا جوتييه أسماء ثمانية ملوك حكموا فى الأسرة الأولى وهم : (منى) ، (تيتى) الأول ، (آتى) الأول ، (آتى) الثانى ، دن (سبتى) ، عج ايب (مر بابن) ، سمرخت (سمسو) (قبحو) ، راجع : Gauthier, Livre des Rois I, p. 1 – 15 ويعطى بعد ذلك خمسة أسماء لملوك الأسرة الأولى لم يجد ما يقابلها فى قائمة مانيتون باليونانية ، وهم : عحا ، جر ، جت ، كع ، وحع ، راجع : Gauthier, op. cit., p. 29-33 يلاحظ فى أغلب أسماء ملوك الأسرة الأولى أنها أسماء لها معان ودلالات تعبر عن القوة والبطش ، ذكرنا ما يعنيه اسم نعرمر ، وعحا يعنى المحارب ، وجر يعنى " الذى يضرب أو يدق " (Wb V, 595, 10) وواجى أوجت يعنى " الحية " (Wb V, 253, 1) ودن يعنى " الذى يرد أو يدفع " (Wb V, 464, 13) وعج ايب " القلب المدمر أو المحطم " (Wb 1, 238) وسمرخت " الجسد الذى يسبب الألم أو الأذى " (Wb 1V, 139, 9) وأخيرا قع الذى اشتق من قاع ويعنى " الذراع الطويلة " (Wb V, 1, 2) يعطينا د. عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه : اللغة المصرية القديمة ، ص ١٨٤ – ١٩٩ ملحق (٤) معانى أسماء بعض الملوك فى الأسرات المصرية وبعض ملوك البطالمة والأباطرة الرومان ، ويعطينا اسم الميلاد واسم التتويج لكل ملك .

(٢) عن هذا الملك ونشاطه ، راجع : Helck, LA 1V, p. 348 - 350

وجد اسم هذا الملك منقوشا على الصخور بين قفط والقصير مما يدل على إرسـاله البعثات إلى محاجر الصحراء الشرقية .

وذكرنا من قبل ما ذكره هيرودوت من أن نعرمر – منى كان أول من فكـر فى تخطيط مدينة أو قلعة محصنة فى الجدار الأبيض [1] ، تلك القلعة التـى سـوف تصبح النواة لعاصمة مصر ، وقد احتفظت بتلك التسـمية حتـى عصـر الأسـرة السادسة ، حيث أطلق عليها الاسم الشائع " من – نفر " الذى يعنى " ثابت أو دائـم هو الجمال " أى جمال آثار املك .[2] وقد أسماها الإغريـق " ممفيـس " ، ومنـها جاءت التسمية " منف " .

وقد تحدثنا قبل ذلك عن الأثرين اللذين تركهما لنا : رأس مقمعـة القتـال ، والصلاية التى صور عليها وهو يؤدب أهل الشمال ، وعثر حديثا فى حفائر حلـوان على قطعة مستطيلة الشكل من القيشانى (الفيانس) الأخضر ، وعلى وجهيها نقـش اسم الملك نعرمر مكتوبا بطريقة التطعيم بمادة سوداء .[3]

---

(١) أصبحت تسمى " الجدران " فقط بدلا من " الجدار أو الجدران البيضاء " فـى العصر المتأخر ، راجع : Berlandini, BSFE 99 (Mars 1984), p. 39 .

(٢) هذا الاسم هو فى الواقع اسم " مدينة هرم الملك بيبى الأول " ومن الأسـماء التى أطلقت على منف أيضـا ، اسـماء " حيـاة الأرضيـن " و " مـيزان الأرضين "، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجـع السـابق، ص ٨٠ – ٨٢ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمـة ، ص ٦٩ حاشـية (٤) بيير مونتيه :الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمـة عزيـز مرقس)، ١٩٦٥ ، ص ١٤ ؛ Chr. Zivie, LA 1V, p. 24 - 42

(٣) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ١٩٥٢ ، ص ٣٣ – ٣٤ .

وقد حكم " نعرمر – منى " حوالى اثنين وستين عاما[١] ، وقد أصيب فى أثناء رحلة صيد وذلك بواسطة فرس النهر الذى كان يتبعه . وقد تزوج " نعرمر – منى " من " نيت – حتب " التى عثر لها على مقبرة ضخمة فى نقادة عام ١٨٩٦ ، وعثر فيها على آثار تحمل اسم نعرمر وعحا . وعثر فى حفائر حلوان على قطعة من سن الفيل عليها اسم الملكة نيت حتب [٢] وربما تخص هذه القطعة الملكة نفسها أو إحدى الأميرات التى تحمل الاسم نفسه ؟

ويعتقد بعض العلماء أن هذه الملكة كانت أما لعحا [٣] . ويبدو من طبيعة اسمها أنها كانت أصلا من الدلتا[٤] وربما من سلالة الملوك الذين حكموا قبل اتحاد القطرين فى سايس مركز عبادة المعبودة نيت .

وعثر للملك " عحا "[٥] على مقبرتين فى سقارة وأبيدوس ، وتعد مقبرته فى سقارة أقدم أثر ملكى عثر عليه فى تلك الجبانة .[٦] ونرى إشارات إلى حروبه ضد الليبيين ، وتدل نقوش صلاية عحا على كثرة واردات واحات الصحراء الغربية التى

---

(١) يذكر أوسب نقلا عن مانيتون أنه حكم ستين عاما ويذكر الأفريقى أنه حكم اثنين وستين عاما ، وتذكر بردية تورين أنه حكم اثنين وستين عاما وشهرا وعشرة أيام ، راجع : Gauthier, Livre des Rois I, p. 1 n. (2)
وإذا كنا نميل إلى ترجيح الرأى القائل بأن نعرمر هو منى فإن الستين أو الاثنين والستين عاما التى يعطيها مانيتون لحكم منى تشمل ، الواقع الثمانية والثلاثين عاما التى قضاها نعرمر فى كفاحه لتوحيد البلاد . وعندما تم له تحقيق وحدة البلاد واتخذ لقب منى قضى حوالى أربعة وعشرين عاما لتدعيم أركان هذه المملكة الموحدة كأول ملك لها .

(٢) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٨٠ شكل ١٤ ، صورة ٩٣ ؛ وعن هذه الملكة ، راجع : Helck, LA 1V, p. 394 - 395

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٣٧ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Keplony, LA I, p. 94 - 96

(٦) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

كانت حينذاك وفيرة الأنعام والخيرات .[١] وهناك أيضا إشارات إلى احتفالات دينيه واحتفالات مراسيم تتويجه . وعثر فى حفائر حلوان على قطعة من إناء مصنوع من حجر الألبستر عليها اسم حور – عحا .[٢]

وكانت البلاد فى أقصى مراحل التطور والتقدم الحضارى ، وتجدها من ذلك الحين فصاعدا تصطدم بأعدائها من العناصر النوبية فى الجنوب والذين حاربهم عحا وبسط حدوده حتى الجندل الأول .

أما جر فقد عثر له على بطاقة صغيرة من العاج تسجل زيارة قام بها لمعبد مدينة سايس . وقد عثر على نقش محفور فى قمة جبل الشيخ سليمان عند مدخل الجندل الثانى (١٥ كم جنوبى وادى حلفا) يقص علينا حملته إلى بلاد النوبة والتى وصل فيها إلى الجندل الثانى .[٣] وقد جاء على حجر بالرمو أنه حارب جماعة من الآسيويين ، وعثر له على مقبرتين إحداهما فى سقارة والأخرى فى أبيدوس ، وقد عثر فى مقبرة سقارة على لوحة من المرمر عليها منظر وهو يقوم بتأديب أحد الأسرى الليبيين .[٤]

وعثر فى مقبرته فى أبيدوس على أربع أساور حباتها من الذهب والفيروز واللازورد على أنماط وفى أشكال مختلفة ، تدل على حسن ذوق صانعها .[٥] وعثر في حفائر حلوان على قطعة من القيشانى الأخضر وعلى وجهيها اسم الملك جر وقد اعتلاه رسم الصقر رمز الملكية مطعما بمادة سوداء . وعثر أيضا على اسم الملك على سدادة إحدى الأوانى الفخارية .[٦] وهكذا نجح الملك جر فيما يبدو فى الحد من

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٢) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٧٩ صورة ٩١ .
(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ؛ وأيضا :
Weill, RT 29 (1907), p. 35 .
(٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .
(٦) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٢٤ (٢) ، صورة ٩٤ .
وعن أعمال هذا الملك ، راجع : Kaplony , LA I, p. 1109 - 1111

هجمات الليبيين فى الغرب والآسيويين فى الشرق والنوبيين فى الجنوب .

أما واجى (أوجت) فقد عثر على اسمه على صخرة فى الصحراء الشرقية جنوب إدفو ، مما يدل على أنه أرسل البعثات إلى مناجم الصحراء الشرقية وعثر على لوحة فى مقبرته فى أبيدوس وهى الآن بمتحف اللوفر بباريس .[1] كذلك عثر على اسمه فى مقبرة بنزلة البطران بالجيزة ، وربما كانت هذه المقبرة تخص زوجته التى لم تعرف شخصيتها حتى الآن أو تخص أحد كبار موظفيه .

أما دن فهو أشهر ملوك الأسرة الأولى ، فقد ظهر فى عصره لقب " ملك مصر العليا والوجه البحرى " .[2] وقد عثر على آنية فخارية أسفل هرم سقارة المدرج منقوش عليها اسمه وأسماء الثلاثة الملوك الذين خلفوه ، وسجل حجر بالرمو والبطاقات الصغيرة أحداث عصره [3] ، ومنها حروبه واحتفاله بعيد سد ثم إعطائه الأوامر بعمل إحصاء شامل فى البلاد كان يحدث كل عامين .[4] ونعلم أنه قام بتأديب بدو سيناء ، فقد عثر على لوحة له تمثله وهو يقوم بتأديب آسيوى يحتمل أنه كان من

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 49 fig. 22; Muller – Winkler, LA V1, p. 1126 – 1127 .
وأيضا : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ، ص ٤٩٧ شكل ٣٧ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ١٩٨١ ، ص ٧٩ ؛ د. أنور شكرى : الفن المصرى ، ص ٣٥ – ٣٧ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٤١ ؛ Kaplony, LA I, p. 1071 – 1072

(٣) Daumas, op. cit., p. 37 ويبدو أن الاسم (دن) مشتق أساسا من الفعل dnj بمعنى (الذى يدفع أو يبعد العدو) راجع : Wb V, 464, 13 وأيضا : د. عبد الحليم نور الدين : اللغة المصرية القديمة ١٩٩٨ ، ص ١٨٥ (٥) الذى يذكر أنه من الصعب تحديد معنى اسم هذا الملك .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨١ .

سكان صحراء شبه جزيرة سيناء .[١] كما سجل كاتب من عهده على بطاقته أخبار انتصار الملك على أهل الشرق لأول مرة .[٢]

وقام بالاحتفال بعيد سد وبأعياد المعبودة واجيت معبودة بوتو وغيرها من المعبودات . وكان أول ملك استخدم الحجر فى البناء فغطى أرضية مقبرته فى أبيدوس بقطع من كتل الجرانيت . أما التقدم الفنى فى عصره فتشهد به ثلاثة تماثيل من الذهب ، أحدهما يمثله بتاج الوجه القبلى ، والثانى وهو يقوم بصيد فرس النهر ، والثالث وهو يضرب الأعداء . وعثر على مقبرة زوجته مريت – نيت فى أبيدوس أيضا .[٣] ومن أشهر الشخصيات فى عهده هو حماكا الذى عثر على مقبرته فى سقارة وعثر فيها على العديد من الآثار الموجودة الآن بالمتحف المصرى من حجر الشست والمرمر وغيره .[٤]

أما عن عج – ايب فإننا نعلم أن قائمة سقارة تبدأ باسمه . وكانت له مقبرتان إحداهما فى أبيدوس والأخرى فى سقارة . وسجلت بطاقة من عهد هذا الملك نشاطا له ضد قوم أطلقت عليهم اسم " الأونتيو " .[٥]

أما عن آخر ملكين فى الأسرة الأولى : سمرخت وقاعفقد فقد عثر على اسم الأول منقوشا على كثير من الأوانى الحجرية فى أبيدوس ولم يعثر على مقبرة له فى سقارة .[٦] وفى حفائر حلوان عثر على إناءين من الفخار ، نقش عليهما اسم الملك سمرخت وأيضا على طبق من البللور الصخرى عليه اسم صاحب المقبرة ، ويعنى ذلك أن صاحب المقبرة كان معاصرا لهذا الملك .[٧]

---

(١) Emery – Saad, The Excavations of Saqqara, The Tomb of Hemaka (1932), p. 1 – 9 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨١ ؛ Helck, LA IV, p.93

(٤) عن هذه الشخصية ، راجع : Behrens, LA II, p. 1115 -1116

(٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٧ ؛ Kaplony, LA I, p. 62 – 64 .

(٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٧ ؛ Kaplony, LA V, p. 841 – 843 .

(٧) زكى سعد : المرجع السابق ، صورة رقم ٢١ و ٣٢ .

أما الثانى فقد عثر على مقبرة له فى سقارة أكبر كثيرا من مقبرته فى أبيدوس .[١] وكتب اسمه على كثير مما بقى من محتوياتها وتمدنا نقوش الآثار بأسماء بعض موظفيه والألقاب التى كانوا يحملونها .[٢] وقد عثر من داخل سور مقبرة "قاع" على بناء من الطوب اللبن ربما كان معبدا جنائزيا للملك وهو يحتوى على دهاليز وغرف عديدة .[٣] وعثر فى حفائر حلوان على قطعة من الاردواز عليها اسم هذا الملك داخل المستطيل الذى يمثل واجهة القصر الملكى .[٤]

وشهد أواخر عهد هذا الملك بدء المنازعات بين أفراد البيت المالك انتهت باعتلاء أسرة أخرى العرش .[٥]

وهكذا يتضح أن ملوك الأسرة الأولى قد تابعوا سياسة الدفاع عن الحدود ضد الخطر الأجنبى مع الاستمرار فى المحافظة على استتباب الأمن فى الداخل ، لأن أهل الشمال لا يبدو أنهم قد قبلوا بسهولة سيطرة ملوك الجنوب عليهم .

وأخيرا نجد أن الدفنات التى ترجع إلى حضارة المجموعة الأولى فى السودان كانت معاصرة للأسرة الأولى المصرية ، وتحمل الدليل المؤكد على تأثير المعتقدات المصرية فى تلك المناطق البعيدة فى هذه الفترة .[٦]

وترجع بعض الأساطير الفضل إلى الملك جر (عند مانيتون Athotis) فى أنه كتب بعض المؤلفات فى الطب وخصائص جسم الإنسان وكان طبيبا وملما

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٧٧ ؛ Von Beckerath, LA V, p. 25 – 26 .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٧٠ شكل ١٠٨ .

(٤) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٧٩ صورة ٩٢ .

(٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٦) عن آثار ملوك الأسرة الأولى التى عاصرت حضارة المجموعة الأولى فى السودان ، راجع : د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ١٩٧١ ، ص ٣١ – ٣٢ .

بالتشريح وشيد المعابد والقصور فى منف .[١]

وذكر مانيتون أيضا أن رابع ملوك الأسرة قد شيد هرما بالقرب من كوكوم Kokome وأن مجاعة كبيرة حدثت فى عهده وعن سابعهم حدثت كارثة فى عهده أيضا .[٢]

وذكر ديودور الصقلى أن المصريين قد تعلموا عن نعرمر – منى كيف يتعبدون المعبودات المختلفة ويعيشون حياة متحضرة . وقد استمرت هذه الأسرة حوالى قرنين ونصف من الزمان لم تترك لنا مصادر أثرية – تاريخية يمكن أن تعتمد كمادة تاريخية ، وكانت الاكتشافات الأثرية فى أبيدوس وسقارة وحلوان وغيرها ، بالأعداد المذهلة على الرغم من قدم هذه الفترة .

الأسرة الثانية (٢٧٧٠ – ٢٦٤٩ ق. م . تقريبا)[٣] :

لا يزال أمر ترتيب أسماء ملوك الأسرة الثانية موضع نقاش بين العلماء ، فهناك اختلاف أيضا بين قائمة مانيتون والقوائم الملكية الأخرى التى تعطينا أسماء تسعة ملوك أو عشرة على حين تمدنا الآثار التى تركها لنا هؤلاء الملوك والتى عثر على أسمائهم عليها بثمانية ملوك ، تتراوح مدة حكمهم جميعا بين ٢٩٧ عاما طبقا لرأى أوسب ٣٠٢ عاما وفقا لرأى الأفريقى ، وهم[٤] :

---

(١) Daumas , op. cit., p. 64 .

(٢) د. عبد الحميد زايد لك المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) يعطينا فون بكرات لتاريخ هذه الأسرة من ٢٨٦٠ أو ٢٧٨٠ إلى ٢٦٩٥ أو ٢٦٤٠ ق. م ، راجع : LA I, p. 970

(٤) يعطى ولف اسماء ستة ملوك فقط Wolf, Das Alte Egypten, München, (1971), p. 321 ؛ وأيضا ، Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 55 ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٤ .
واعتمدنا فى هذا التاريخ للأسرة الثانية على التأريخ الذى أعطاه :
Baines- Malek, op. cit., p. 36 .

١- حتب سخموى (نثر باو) [(١)]

٢- نب رع (كا كا و)

٣- نى نثر أو نثريمو (با ان نثر)

٤- ونج (واج نس)

٥- - (سنج) [(٢)]

٦- سخم ايب[(٣)] (برى ايب سن)[(٤)]

---

(١) يعطى جوتييه للأسرة الثانية أسماء سبعة ملوك هم : نعرمر ، (كاكـــاو)، (با ان نثر) ، (واج نس) ، (سنج) (برايب سن) ، (نفر كـــار ع) ، (نفر كاسكر) ، راجع : Gauthier, Livre des Rois 1, p. 17-28 ويعطى بعد ذلك ستة اسماء لملوك الأسرة الثانية لم يجد – ما يقابلـــها فـــى قائمة مانيتون باليونانية ، هم : خع سخموى ، حتب سخموى ، نـــب رع ، نى نثر ، واج ، سخم ايب بران ماعت، راجع : وأيضا : نيقولا جريمـــال، المرجع السابق ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ ؛ ويعطينا فون بكرات اســـماء تســـعة ملوك ، راجع : Gauthier, op. cit., p. 34 – ؛ ٩٨LA 111, p. 543 40 عن معانى بعض أسماء ملوك هذه الأسرة ، راجع :

د. عبد الحليم نور الدين : المرجع السابق ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(٢) لم يعثر على الاسم الحورى لهذا الملك .

(٣) جاء هذا الاسم الحورى على ختم أسطوانى، راجع: Weill, La lleme et

(٤) جاء هذا الاسم على الآثار كاسم حورى وكاســـم ملكـــى . La llleme Dynastie, Paris (1908), p. 111 ، فهل يعنى هذا الاســـم " الـــذى يخرج قلوبهم " إشارة إلى أعداء الملك ، راجع د. عبد الحليم نور الديـــن : المرجع السابق ، ١٨٦ (٢) أم يعنى " خريـــج قلوبـــهم أى تفكـــيرهم " أى المعبودات . ويقرأ هلك هذا الاسم Prj – n – m 3 ct ، راجـــع : Helck, LA V, p. 777 .

٧- خع سخم

٨- خع سخموى (جاجاى)

لم يختلف هؤلاء الملوك عن الملوك السابقين فى أحداثهم ، فالذهاب لاستغلال محاجر سيناء ومحاولة تهدئة الشمال وتأمين حدود البلاد ، كانت من أهم أعمالهم ، وعثر على بعض الاثار التى تدل على نشاطهم . ولكن لم يعثر على أى أثر لمقابر بعض ملوك تلك الأسرة فى أبيدوس مما يرجح أنهم كانوا يفضلون الإقامة فى العاصمة الشمالية ، الجدار الأبيض ، وفضلوا تشييد مقابرهم على مقربة منها فيما عدا برى ايب سن الذى شيد مقبرته فى أبيدوس .[١] فبالنسبة لأولهم فقد عثر على اسمه على تمثال من الجرانيت عثر عليه فى منف ، وهو الآن بالمتحف المصرى ، ولم تكتشف مقبرته ، حتى الآن ، وعثر على اسمه أيضا على آنية عثر عليها بالقرب من هرم ونيس بسقارة .[٢]

أما نب رع فقد عثر على اسمه على صخرة فى واحات الصحراء الليبية وبالقرب من أرمنت وعثر على أختام تحمل اسمه بالقرب من هرم ونيس . وكان اسمه يعنى " السيد (هو) رع " .[٣] وهذه هى المرة الأولى التى يظهر فيها اسم رع ، معبود الشمس فى أسماء الملوك . ويبدو أن هذا الحكم يعلن بداية أهمية عبادة الشمس . تلك الأهمية التى سوف تزداد بعد ذلك حتى الأسرة الخامسة . ومن المحتمل أن حتب سخموى ونب رع قد دفنا فى جبانة سقارة .

وهناك شواهد واضحة تؤكد أن حجر بالرمو المؤرخ من الأسرة الخامسة حافظ على أسماء العديد من الحكام الذين حكموا قبل نعرمر – منى وقبل أن تتوحد

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨٢ – ٨٤ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٤٦ ؛ وأيضا : Kaplony, LA 11, p. 1174 – 1175 .

(٣) Garnot, L'Hommage Aux Dieux, Paris (1954), p. 265 n. (1); Petrie, Royal Tombs 11, p1. 8 (12) et pl. 28; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 27; Helck, LA 1V, p. 365 – 366 .

البلاد أو بعد ذلك . ولابد أن الكتبة كان لديهم نماذج من قوائم ملكية قديمة .[١] ويعقب الأفريقى فيقول أنه فى عهد الملك نب رع عبد العجل ابيس فى منف والعجل منيفس فى إيونو . فإذا نظرنا إلى ما جاء على حجر بالرمو بالنسبة للملك نى نثر نجد أنـــه كتــب تحت اسمه أحداث عصره خلال ست سنوات فى ستة صفوف رأسية يفصل بينها علامة rnpt (= سنة) : (١) ظهور الملك ، الجرى الثانى للعجل أبيس (٢) موكب حـــورس (= الملك) والمرة الثامنة للعد (٣) ظهور الملك، والمرة الثالثة لاحتفال سوكر(٤) موكب حورس، والمرة التاسعة للعد (٥) ظهور وتقديم... لواجيت ونخبت (٦) موكب حورس، والمرة العاشرة (للعد). ويحتوى الصف الأدنى من كل خانة بيان لارتفاع مياه الفيضـــان الذى كان يتراوح بين ٣و ٢ أذرع و ٤ و ٣ قبضـــات وأصبعـــان (أى حوالـــى ١,٩٢ متر)[٢]، ثم حدثت حروب أهلية فى الشمال فى السنة الثالثة عشرة من حكمه . وقد عثر له على تمثال صغير من المرمر جالسا على العرش .[٣] ويذكر الأفريقى أنه قد تقـــرر فى عهد نى نثر أحقية النساء فى تولى العرش ويعتبر هذا تطور كبير فى نظم الحكم .

أما عن ونج وسنج فالآثار المنسوبة إليهما تكاد تكون نادرة .[٤] وقد عثر على تمثال من البرونز يحمل اسم الأخير يرجع إلى عصر الأسرة السادســـة والعشـــرين . ويبدو أنه قد حدثت ثورة على عبادة المعبود حورس فى عصر الملك برايب سن ، الذى كان مواليا لعبادة المعبود ست . فقد ظهر معبود الأسرة القديم ست فجأة . وقد اعتنـــق برايب سن عبادته وترك عبادة حورس .[٥] وكتب اسمه فى داخل الخانة الملكية التـــى تمثل القصر الملكى يعلوه صورة حيوان أمبوس المقدس وليس الصقر حورس . وعـــثر فى شونة الزبيب على ختم أسطوانى كتب عليه اسمه الحورى سخم ايب. وقد رأى لوير أن برايب سن قد طرد فى بداية الأمر صاحب الحق الشرعى فى العرش خع سخم .[٥]

---

(١) Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 38 .

(٢) بارى كيمب : تشريح حضارة (ترجمة أحمد محمود) المشـــروع القومـــى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠، ص ٣٦٢ شكل (٥) .

(٣) Weill, RT 29 (1907), p. 26 – 35; Helck, LA 1V, p. 509 ؛ وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، وعن اسم نـــى نثر ، راجع : Grdseloff, ASAE 44 (1944), p. 287 .

(٤) عن ونج ، راجع : Helck, LA V1, p. 848 . وعن ســـنج ، راجـــع : Helck, LA V, p. 849 .

(٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(٦) Lauer, BIFAO 55 (1956), p. 162; Weill, Ia 11 eme et Ia III eme Dynastie, Paris (1908), p. 111 .

عمل خع سخم[١] وخع سخموى على القضاء على الفتنة وتأديب المتـآمرين من سكان الوجه البحرى ، وقد حققا الهدوء والاستقرار فى البلاد [٢] . وعاد خع سخم إلى عبادة المعبود حورس ، وقد عثر له على تمثال من الشست الأخضر فى مدينـة نخن ، عاصمة عبدة حورس القديمة وقد عثر عليه كوبيل عام ١٨٩٨ [٣] ، وهو الآن بالمتحف المصرى ويحمل رقم ٣٢١٦١ وصور على قاعدتـه بعـض مـن جثـث الأعداء وتقص علينا النقوش انتصاره هذا وقتله لأكثر من أربعين من أهل الشـمال ، وعثر على تمثال آخر فى المدينة نفسها فـى متحـف اكسـفورد الآن [٤] . ويذكـر الأفريقى أن فيضان النيل ارتفع فى عهد خع سخم .

امتاز عهد خع سخموى[٥] بالسلام والهدوء وعمل على تهدئة الأمور وإزالـة أسباب الفرقة كما يدل على ذلك الاسم الذى اتخذه والذى يعنى " تجلى القويـان " أى حورس وست ، وكتب اسمه فى داخل خانة ملكية التى تمثل واجهة القصـر الملكـى يعلوها حيوان ست المقدس وطائر الصقر وجها لوجه . ويبدو أن خع سـخموى قـد تزوج من أميرة من السلالة المنهزمة فى الشمال، وهى " نى ماعت حاب "[٦]، وعمل على تحقيق السلام والهدوء فى كل البلاد وتوطيد وحدتها وشيد مدينة أجداده نخـن ،

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Kaplony , LA I, p. 910

(٢) Weill , RT29 (1907) , p . 29 ; Newberry , Ancient Egypt (1922) p . 40 ; Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 164 .

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـى القديـم ، الجـزء الأول : مصـر والعراق ، ص ٧٩ .

(٣) Saleh – Sourouzian , op . cit . , no 14 .

(٤) Sethe , Beitrage Zur Altesten Geschichte , p . 50 ; وأيضـا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ . Drioton – Vandier , op . cit , p . 165 .

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Kaplony , LA I, p. 910

(٦) Helck, LA 1V, p. 507 – 509 .

معبدا بوابته من الجرانيت الصلب ، تخليدا لذكرى هذا الانتصار وشيد لنفسه مقبرة فى الجبانة الملكية فى أبيدوس ، وأهم ما يميز هذه المقبرة أنها تتكون من حجرة واحدة فى الوسط مشيده من الحجر الجيرى . وقد كشفت الحفائر التى تمت فى هذه المقبرة على بقايا رموز ملكية وأوانى حجرية وفخارية . وعثر على اسمه فى بقايا معبد الكاب ، وعلى قطعة حجر عليها فى مدينة بيبلوس وقد جاء على حجر بالرمو أنه صنع له تمثال من النحاس .

ويذكر لنا الأفريقى أن الملك خع سخموى كان يمتاز بطول القامة [١] ، وكما ذكرنا يبدو أن حتب سخموى ونب رع قد دفنا فى جبانة سقارة . أما بقية ملوك الأسرة الثانية فقد دفنوا مثل سابقيهم فى جبانة أبيدوس ، وهكذا استمرت الأسرة الثانية أكثر من قرنين ونصف من الزمان .

ولا يزال يقوم فى أبيدوس بناءان كبيران من اللبن من عصر الأسرة الثانية ، إحداهما يطلق عليه أسم " شونة الزبيب " ، وكان كل منهما فيما يبدو قصرا مؤقتا ينزل فيه الملك عندما كان يشترك فى احتفالات معبد أبيدوس الدينية [٢]

أهم المظاهر الحضارية فى عصر الأسرتين الأولى والثانية :

التحدث عن المظاهر الحضارية للأسرة الأولى يجعلنا نشير هنا إلى الحفائر التى بدأها املينو فى ابيدوس فى منطقة " أم الجعاب " عام ١٨٩٧ واستمرت لمدة أربعة أعوام وأكملها بعد ذلك بترى ونافيا وبيت ، وكشفوا عن جبانة ملكية من تلك الفترة ، عثر فيها على أوان وأختام أسطوانية ولوحات حجرية ولوحات صغيرة من الآبنوس والعاج [٣]. ويرى بعض العلماء أن الملوك الأوائل قد دفنوا هنا بالقرب من

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٣٢ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٩٩ شكل ٢٠ .

(٣) تقع فى الجزء الشمالى الغربى من معبد سيتى الأول ، حيث يوجد تلان منخفضان ، يميل لونهما إلى الحمرة ، لكثرة ما تراكم فوقهما من الفخار المكسور من الأوانى التى كان يقدمها الزائرون المتعبدين لاوزير ، ===

عاصمتهم – تيس This الحالية ، وبعد ذلك بدأ أعماله فى سقارة عام ١٩٣٥ وعثر فيها على مقابر كبيرة من هذا العصر تخص بعض كبار الأشخاص والوزراء .[١]

أمام هذا العدد الكبير من الآثار كان لزاما علينا أن نتساءل كيف أن أشخاصا من الطبقة المتوسطة أصبحوا وزراء ؟ وهل مقابر أبيدوس رمزية أو فعلية ؟ وافترض بعض منهم أن الجد كان يدفن فى سقارة غرب منف بينما كانت الأحشاء توضع فى أوانى وتدفن فى أبيدوس . ومهما تكن صحة هذه النظرية[٢] فإن مقابر الملوك والأشخاص كانت تنقسم إلى جزأين : إحداهما تحت سطح الأرض مخصص للمتوفى والآخر فوق سطح الأرض معد لاستقبال الأحياء لتأدية الطقوس الجنائزية فى الأعياد الأولية التى حدثت كانت غير متقنة ولذلك اختفت كل الأجزاء العليا من القابر ، أما مقابر سقارة فهى أكثر أهمية . وقد عثر فى سقارة على مقبرة واجى ، عج إيب وقاءآخر ملوك الأسرة ويوجد حولهم مقابر كبار موظفيهم ، ويوجد أيضا حفر المراكب الضخمة التى كانت تستخدم كوسيلة للانتقال إلى المدن المقدسة وأماكن المزارات : سايس ، بوتو ، وبوزوريس . وقد عثر زكى سعد بعد اثنى عشر موسما للحفائر فى منطقة حلوان فى الفترة من ١٩٤٢ إلى ١٩٥٢ على حوالى ١٠٢٥٨ مقبرة ترجع إلى عصر الأسرتين الأولى والثانية[٣] وهى مقابر ذات أهمية كبرى كانت تخص بعض كبار الشخصيات . وكانت حجرة الدفن مشيدة من كتل كبيرة من الأحجار الجيرية.أما الجزء العلوى فكان من الطوب اللبن . قد عثر فيها على أسرة ومقاعد وصناديق وعصى . وكانت أرجل الأسرة تقلد أرجل

=== وتعرف هذه المنطقة باسم " ام الجعاب " لكثرة ما بها من بقايا الفخار المكسور، راجع : موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤- ١٩٩٤، المجلدان السادس عشر والسابع عشر ، ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٥٨١. Amelineau , les Nouvelles Fouilles. d'Abydos , Paris 1899 .

(١) Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p. 57.
عن مقابر الأسرة الأولى حتى الثالثة فى سقارة ، راجع : Helck, LA V, p. 387 – 400 .

(٢) Daumas . op . cit ., p . 58 .

(٣) Kaplony , LA 11, p. 1115 .

الثيران وكانت من العاج أو الأبنوس . وقد عثر أيضا عللا ملابس من الكتان تمتاز بجمال نسيجها وحياكتها (١) . ونتائج هذه الحفائر سوف تشهد الحضارة المصرية فى العصر العتيق بأنها كانت أكثر تقدما مما كنا نعتقد ، وقد دلت الحفائر الحديثة على وجود مدن من الطوب اللبن بالقرب من هيراقو نبوليس وأبيدوس ، وهناك أيضا بعض تحصينات بالقرب من الحدود الليبية ، وقد عثر بالقرب من قرية بلاص على كثير من الأفران التى تحتوى على حبوب القمح والشعير المجفف مما يدل على أن هذه الأفران كانت تستخدم لتجفيف الحبوب لإعدادها لاستخراج الجعة . وقد تقدمت فى هذه الفترة صناعة الطلاء بالمينا وتعددت ألوانها . وتقدمت أيضا صناعة الأحجار الكريمة وأدوات النحاس وحتى وسائل الكتابة أصابها التقدم . ففى مقبرة أحد موظفى واجى عثر على لوحتين لأحد الكتاب عليهما محبرة تحمل آثار المداد الأحمر والأسود وعثر أيضا على باقيا حجرية عليها حسابات من نفس عهد هذا الملك .

وفى مقبرة حماكا (Ḥm3 – K3) (٢) وزير الملك وديمو عثر على جراب مستدير من الخشب يحتوى على عدد من البرديات غير المكتوبة .

ويمكننا أن نرى فى الأسرة الثانية تكملة لمراحل التطور التاريخى والحضارى لمصر . ويتمثل هذا التطور فى تقدم الكتابة ونظام الحكم والإدارة الملكية . وهذان الأمران يرتبط بعضهما ببعض بدون شك فتطور الكتابة لم يكن يتحقق إلا باتساع سلطات الملكية وتعدد وظائفها فالكتابة هى سجل للتاريخ ولغة للحضارة وبدون شك فإن الفترة التى سبقت الأسرتين الأولى والثانية هى التى حدثت فيها هذا الاختراع الهام ، بل يمكن القول بأن بعض العلامات للخط الهيروغليفى قد تواجدت فى عصور ما قبل التاريخ .(٣)

---

(١) Z. Saad , Fouilles de Helouan , Les grandes decouvertes archeólogique de 1945 (dans La Revue du Caire) , p . 5; Id., dans CASAE 3 (1947), p. 105 .

(٢) Behrens, LA 11, p. 1115 – 1116 .

(٣) Daumas , op . cit . , p . 38 – 40 .

ومن الصعب تحديد أقدمية للكتابة ولكن عثر فى الممرات السفلى لهرم جسر . فى سقارة على ممرين سليمين إحداهما مملوء بأكوام من الأوانى المصنوعة من الحجر وهذه تحتوى سواء بالنقش أم بالكتابة بالمداد على بعض العلامات الهيروغليفية التى تعطى أسماء ملكية وخاصة الألقاب ، وقد أستخدم مؤسس الأسرة الثالثة هذا المخزن الثمين من أوانى ما بقية نظرا لجمالها وربما رغبة منه فى المحافظة عليها داخل هرمه . ونلاحظ أن الكتابات التى عليها تمتد خلال الأسرتين الأولى والثانية . و نجد فيها أثر الاتجاه لمحاولة نطق بعض الضمائر الشخصية وعلامات الجمع والتعبير عن بعض المخصصات .

والآثار القليلة التى وصلت إلينا تسمح لنا بأن نقول بأن الكتابة كانت تستخدم بواسطة أهل العصر الثينى فى تسجيل الأعمال الإدارية كما يبين لنا لقب " مستشار الجنوب لكل الكتابات " ولا نعرف على وجه التحديد دور هذا اللقب . ويمكننا أن نقول أيضا إن اللغة كانت تصويرية أى يعبر عنها بالصورة أو أنه يمكن قراءتها عن طريق الصور التى أعطيت . فعلى مقبض سكين جبل العركى نرى صور صراع بدون وجود كلمة تشرحُ هذا المنظر ، وبالعكس على آثر آخر هو لوحة نعرمر نرى تحديدا كبيرا قد حدث وهو كتابة اسم الأشخاص الذين كانوا يحيطون بالملك ونرى اسم الملك مكتوبا أيضا ولكنه لم يحدد عنوانا لهذا المنظر فالصورة تعلن عن نفسها .

وقد أصبحت الملكية فى تلك الفترة قوية بما فيه الكفاية لكى ترسل البعثات خارج مصر ، فالجيوش المصرية ذهبت حتى سيناء للبحث عن الأحجار الكريمة ، وتوغلت بعمق فى النوبة وفى الصحراء الشرقية . وأخذت معالم الملكية تتكون شيئا فشيئا . وكنا نريد أن نعرف هل كانت ذات سلطة مطلقة منذ ذلك الوقت كما حدث فيما بعد فى عصر الدولة القديمة ؟ وهل كانت القبائل والقرى تتمتع أيضا بنوع من الاستقلال الذاتى أو بنوع من الحياة المستقلة ؟

نحن لا نعلم أى شئ عن تلك التفاصيل ، ولكن هناك أمرا كان سائدا أو سوف يصبح من أهم معالم الملكية المصرية حتى نهاية العصر البطلمى – الرومانى ألا وهو ، الطابع الدينى لهذه الملكية . فالملك اعتبر شبه معبود على الأرض ، ونجد

إن احتفالات التتويج والاحتفالات الدينية أخذت تتزايد فى هـذه الفـترة وكـان لـها معنيان :

فهى احتفالات شرعية وأيضا دينية ومقدسة . وما هو دينى لا ينفصل عمـا هو مدنى . فالموظف المدنى ، مثل الملك نفسه ، فى إمكانه أن يؤدى دور الكـاهن . ويبدو أن الوظائف قد تطورت أيضا فى هذه الفترة ، وإذا كانت تمتاز بالتنوع والتعدد فإننا لا نعرف حتى الآن هل كانت تتبع نظام التخصص أولا . ويعتقد بعض العلمـاء . أن وظيفة الوزير كانت مؤرخة من الأسرة الرابعة لأن هذا اللقب لم يظـهر فـى أى نص قبل هذا التاريخ [١] . ولكن الأوانى التى عثر عليها تحت هـرم جسـر جعلتنـا نتعرف على لقب قاض عال ووزير باسم منكاى Menkai ، فهل كان مواليـا لأول ملوك الأسرة الثالثة أو لأحد سابقيه فقد عثر على هذا الاسم على أوانى كثيرة ولكـن من الصعب تحديد ذلك . وإن كان هناك احتمال بأن هذا اللقب يرجع إلـى العصـر الثينى .

وقد كان لابد للملوك الذين حققوا وحدة البـلاد أن يكـون بـالقرب منـهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم . فعلى لوحة نعرمر على الوجـه الآخر . نجد أن الشخص الذى كان يسبق الملك والمميز عن الآخرين بطوله وحلتـه وشعره المستعار ربما انطبق هذا على شخصية الوزير . وكان لدى ملـوك العصـر الثينى إداريون عثر على ألقابهم فى الوثائق . ولكـن لا نسـتطيع ترتيبـهم بالتـأكيد فمستشار الوجه البحرى ، كان له دور هام وفعال لأنه كان يتحكم فى الجزء الشـمالى الأكثر غنى فى البلاد . ولو أننا لا نملك أى دليل مؤكد فإنه توجد وظيفة مماثلة فـى الجنوب ، فتحت حكم الملك برايب سن نحن نعرف أنه إلى جـانب مستشـار قبـائل الشمال . وكان بيت مال أبيض ويشرف عليه رئيس ويختـص بضرائـب الجنـوب ويوجد أيضا بيت مال أحمر يختص بضرائب الشمال .

---

(١) Daumas , op . cit . , p . 52 .

وطبقا لحجر بالرمو ، نعلم أنه ابتداء من عصر عج أيب كان هناك إحصاء كل عامين وهذه التفاصيل تسمح لنا بتخيل أن هناك ضرائب ، تدفع عينية والإحصاء يسمح بتحديد الأرض التى خربت بواسطة الفيضان . وكان القصر هو مركز الحكومة وهو بيت ملك مصر العليا ، والذى يشرف عليه هو رئيس القصر ، وكان يتضمن جزءا خاصا بالحريم يشرف عليه أحد الموظفين . وكان هناك مدير للصالة الوسطى يمثل رئيس التشريفات الذى يقوم بتقديم الموظفين إلى الملك .[١]

ونعرف من النقوش كل أسماء مجموعات المبانى التى كانت تدار بواسطة أفراد متخصصين وكان حول الملك بلاط به أصدقاء ومن الصعب معرفة مدى هذه الصداقة . وكانت مخصصات القصر لها مميزات أكبر من مخصصات الشعب .

فقد كان يوجد " محاسب للأوانى وذهب المعبود حورس " وكانت حدائق كروم الملك تدار بواسطة مدير ونعرف أيضا " المشرف على تموين البيت الأحمر وحدائق وكروم ملك مصر العليا والوجه البحرى " وكان هناك أيضا من يهتمون بالحدائق ، والنحت والرسم ، والعمال اللازمين لصناعة الأثاث . وكان يوجد رئيس للجيش حيث عثر على لقبه فى أقدم نقوش سيناء من عصر الأسرة الثالثة . ونرى على أثرين من آثار تلك الفترة ، الملك وهو يقوم بافتتاح مشاريع حفر الترع أو الرى [٢] . وكان أحد كبار الموظفين يحمل لقب المشرف على الترع . وهو أيضا أحد ألقاب " حاكم المقاطعة أو الإقليم " وتقع على عاتق حاكم الإقليم كل الأعباء الإدارية والمحلية . مع هذا العدد الكبير من الموظفين كان يجب إنشاء العاصمة . وشيدت مدينة الجدار الأبيض ، وكان لابد من تشييد القصر الملكى فيها، فعلى لوحة الملك واجى فى اللوفر نرى البوابة الرمزية للقصر الذى يسكن فيه الملك ، ويبدو أنه

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٩ ؛ وأيضا : Daumas , op . cit ., p . 53 .

(٢) Pirenne, Histoire de la Civilisation de L'Egypte Ancienne , p . 67 – 69 ; Erman – Ranke , La Civilisaton Egyptienne , p111.

كان من الطوب والأخشاب والحصير والبوص . ولكن تفاصيل كل ذلك غير معروفة ولا تزال على احتمال . وأعقب تشيد العاصمة تتويج الملك .

مراسيم التتويج :

فنحن نعلم أنه منذ بداية عصر الأسرة الأولى أخذت معالم الملكية المصرية تتكون شيئا فشيئا وأصبح هناك ملك واحد يحكم على البلاد كلها وتم تتويجه رسميا وأطلقت عليه عدة ألقاب وأسماء ونعلم أن مراسيم التتويج كانت تتم فى البداية على أربع مراحل :(١)

فى البداية يظهر المرشح للملك على منصة مرتفعة عليها مقصورتان وفى كل مقصورة عرش للوجه القلبى وعرش للوجه البحرى . ويصعد الملك على هذه المنصة ويجلس فترة على عرش الشمال مرتديا التاج الأحمر ، وبعدها يصعد على عرش الجنوب مرتديا التاج الأبيض (٢) ، وبعد ذلك يقوم بضم الأرضيين ويتمثل ذلك فى ضم البنائين البردى واللوتس حول العمود " سما " الذى يرمز إلى الوحدة ، وهو يقوم بهذه الحركة الرمزية إشارة إلى توحيد القطرين تحت حكمه .

وبعدها يقوم بالطواف حول جدار مدينة منف ، الجدار الأبيض ليثبت سيطرته على عاصمة البلاد .

وأخيرا يتم تسجيل الألقاب والأسماء الخمسة التى يجب أن يحملها عند توليه العرش . وبعد الانتهاء من احتفالات التتويج ، تسجل هذه الأحداث على أوراق البردى وترسل نسخ منها لكل حاكم إقليم لأخباره بهذا الحدث السياسى الهام .

ونعلم من النقوش فى المعابد وعلى الآثار المختلفة من العصور التالية بأن مراسيم التتويج تبدأ عامة بإثبات أحقية الملك فى العرش على أساس أن المعبودات

---

(١) Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 55 , 65 , 68 .

(٢) يعطينا د. عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه : اللغة المصرية القديمة ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ (٣) أسماء التيجان الملكية ومسمياتها العديدة ودلالتها .

هى التى اختارته منذ أن كان طفلا رضيعا ليصبح ملكا على البلاد ، وعلى الكهنة أن يروجوا لهذا الميلاد المقدس بكافة الصور .

فإذا ما أستكمل الملك هذه الصفة المقدسة اجتمع كبار الكهنة ليحتاروا اسم العرش الخاص بهذا الملك .[١]

ولإضافة طابع القداسة على هذا التتويج فإنه بعد أن يتم الاختيار يقوم المعبودان حورس وست بتطهير الملك بالماء المقدس ، ثم يضعان فوق رأسه التاجين ويقومان بعميلة رمزية تمثل توحيد القطرين وتتم بربط ساقين إحداهما من نبات البردى والأخرى من نبات اللوتس بعلامة " سما " (علامة الوحدة)[٢] . وبعد أن تتم هذه المراسيم المقدسة يجلس الملك تحت شجرة مقدسة (شجرة الإشد) ومن خلفه المعبود آتوم ، أقدم المعبودات المصرية ويقوم بمراقبة ما يحدث .

وأمام الملك المعبود تحوتى والمعبودة سشات يقومان بتسجيل اسمه على أوراق هذه الشجرة ، وهى شجرة الخلود ، متمنين له طول العمر . ثم يقام بعد ذلك احتفال بإقامة العمود " جد" الذى يرمز إلى الاستقرار والأمن والأمان ويتبعه احتفال تطلق فيه أربعة سهام يصوب كل منها نحو ناحية من الجهات الأصلية الأربع ، والمقصود بهذه السهام أنها نذير وتحذير للأعداء فى الجهات الأربع .[٣]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص١٧٠ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ص ١٧١ ؛ وأيضا : Daumas , op . cit . , p . 55,65,68.

(٣) Daumas , op . cit ., p . 68 .

الألقاب الرسمية التى كانت تطلق على الملك:

نعلم من القوائم الملكية ومن المصادر الأثرية الأخرى أنه كان يطلق علـــى الملك خمسة أسماء وألقاب تربطه بالمعبودات . وعرف بعضها فـــى عصـــر بدايـــة الأسرات وعرف البعض الآخر فى العصور التالية أى الدولة القديمة ومـــا بعدهـــا . وهذه الألقاب هى :

١- **اللقب الحورى** :أو اسم " كا " الملك ، فالملك هو الممثـــل الشـــرعى للمعبـــود حورس (الصقر) على الأرض ، وهو معبود الأسرات الملكية المصرية ، فـــهو لم يكن معبودا فقط بل كان ملكا وورث الملك عن أبيه اوزير وجده جب ، وهـــو آخر المعبودات الملوك على الأرض ، وأصبح الملوك يعتقـــدون أنـــهم ورثـــة حورس والممثلون له ، وأن ملوك الصعيد فى عصر ما قبل الأســـرات كـــانوا يتعبدون للمعبود حورس فى نخن ، ولما تم لهم تحقيق وحدة البـــلاد احتفظـــوا برمز هذا المعبود وأصبح يعلو السرخ الذى يمثل واجهة القصر الملكى (كمـــا نرى على لوحة الملك واجى فى متحف اللوفر) .

وبذلك يصبح الملك أيضا تحت حماية المعبود ، ونجد هذا الاســـم أو اللقـــب مذكورا بكثرة فى نصوص مقابر الدولة القديمة .(١)

٢- **اللقب النبتى** : وهو الاسم الذى يربط الملك بـــالمعبودتين الرســـميتين للوجـــهين القلبى والبحرى ، وهما أيضا المعبودتان الحاميتان منذ الأسرة الأولى . فعندمـــا كانت مصر مقسمة إلى مملكتين قبل الأسرة ، كانت المعبـــودة " نخبـــت " أنثـــى العقاب حامية للوجه القلبى ومقر عبادتها فى الكاب ، والمعبودة " واجيت " التـــى ترمز إليها بالحية ، حامية للوجه البحرى ، ومقر عبادتها بوتو ، وهذه التسمية تدل على أن الملك ممثلا لسلطانهما ويحكم على مملكة مزدوجـــة تحـــت حمايتـــهما.

---

(١) Gardiner , Egyptian Grammar , Oxford (1957) p. 71-75; Beckerath, LA 111, p. 540 - 542 .

أشار د. عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه: اللغة المصرية القديمة، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ملحق (٨) إلى الألقاب الخمسة التى كانت تطلق على الملك .

٣- **لقب حورس الذهبى** : أصبح الملك فى الأسرة الرابعة حورس الذهبى ، ويبدو أن سنفرو من الأسرة الرابعة ومران رع من الأسرة السادسة قد حملا هذا اللقب . فنجد رمز الصقر ممثلا واقفا على علامة الذهب ، وفى الأسرة الحادية عشرة كان حورس الذهبى مشتقا فعلا من اسم الذهب وعلامة الذهب تعبر أيضا عن اسم نوبت – امبوس مقر عبادة المعبود ست ، والذهب يعبر عن جسد المعبودات ، فالمعبود رع عندما تحدث قال " جلدى من الذهب الخالص " وهناك إشارة إلى أن لحوم المعبودات من ذهب وعظامهم من الفضة وشعورهم من اللازورد ، وفى العصر البطلمى أصبح اللقب يعنى " حورس المنتصر على ست " ولكن هذه الترجمة تعتبر ثانوية [١]. ويجب البحث عن تفسير آخر لمعنى حورس الذهبى فى الصلة بين حورس ورع الممثل فى قرص الشمس ومعدن الذهب فيقال للمعبود رع فى النصوص البطلمية : " الذى يتلألأ مثل الذهب "[٢] و " قرص الشمس الذهبى "[٣] .

٤ – **لقب النسوبيتى** : لم تكتف كل من مملكة الوجه القلبى والبحرى قبل اتحادهما بمعبودة وحامية فحسب وإنما اتخذت كل منهما شعارا ملكيا مميزا لها ، فاتخذت مملكة الصعيد نبات السوت أو الأثل شعارا ملكيا لها واتخذت مملكة الوجه البحرى شعارا ملكيا لها وهو النحلة ، فلما اتحد الوجهان تعمد ملوك الأسرة الأولى أن يؤكدوا اتخاذهم للشعارين معا فى اسم ثالث وهو ما يعبر عنه بالنسوبيتى أى " النتسب إلى نبات السوت وإلى النحلة " ويحتمل أن أول ملك

---

(١) Frankfort , La Royauté et les dieux , Paris (1951) , p . 83 ; Gunn – Gardiner , JEA 4 (1917) . p . 248 ; Daumas , op . cit . , p . 45

(٢) Daumas , Mamimisi de Dendera , p . 106, 3 ; Chassinat , Edfou V, p . 342 , 12.

(٣) Chassinat , Edfou V , p . 148 , 2; 251 , 12 .

اتخذ هذا اللقب هو الملك دن (أو ديمو) رابع ملوك الأسرة الأولى . ومنذ عـهده أصبح اللقب النسوبيتى أهم الألقاب الملكية الذى يتخذه الملك عند جلوسـه علـى العرش .[١]

٥- **لقب سارع** : أى أبن معبود الشمس رع ، وكان يسبق الفعل للملك ، وهو اللقب الذى يحمله الملك منذ ميلاده أى قبل صعوده على العرش ، ويبـدوا أن هـذا اللقب قد ظهر عند خفرع فى الأسرة الرابعة وقد وجد مكتوبا فى داخل خانـة ملكية .

٦- **لقب بر – عا** : وهو لفظ مركب كان يطلق على القصر الملكى منـذ عصـر بداية الأسرات بمعنى " البيت العظيم أو العالى ". وكان يقصد ب" البيت العظيم ، والعالى " القصر الذى يسكن فيه الحاكم أو الملك [٢] ، والذى كان يجب أن يكون مميزا عن بقية البيوت المخصصة لكبار رجال الدولة . كما كان يطلـق علـى القصر الملكى منذ هذه الفترة لقب آخر هو : بـر – نسـوت بمعنـى " البيـت الملكى "[٣]. وبمرور الوقت أعطى اللقب الأول مدلولا أشمل وأكبر الذى يطلـق على القصر وساكنه فى الوقت نفسه ، مثل التعبير الذى عـرف فـى العصـر الحديث أثناء الحكم العثمانى وهو " الباب العالى " أو حاليا " البيت الأبيض " أو " قصر الأليزيه " الذى يعبر عن قصر الحاكم وبتـالى عـن السـلطة الرسـمية للدولة .[٤]

ولم يطلق المصريون القدماء لقب برعا على بعض الملوك إلا بعد ذلك بعـدة قرون وعندما أطلقوه على بعض ملوكهم فهذا لا يعنـى أنـه كـان حاكمـا جـائرا

---

(١) Daumas , op . cit . , p . 129 .

(٢) Lacau , Etudes d'Egyptologie , Phonetique Egyptienne Ancienne , BdE XLI , le Caire 1970 , p . 98 – 104 .

(٣) وهناك لفظ : بر – إن – برعا " القصر الملكى " ، راجع : Lacau , op . cit . , p . 105 – 106 .

(٤) Daumas, op . cit ., p . 629 ; Drioton – Vandier , L'Egypte , (éd . 1946) p . 175; Cerny, Coptic Etymological Dictionary, p. 138 - 139 .
ويرى أن لفظ Pr – c3 كان لقبا للملك وللملكة .

أو صاحب سلطة غاشمة ، بل كانوا يقصدون من ورائه معنى " ساكن القصر الملكى" أى صاحب السلطة الشرعية والرسمية أى الملك نفسه . ولم يطلق لقب برعا على أى ملك من ملوك الدولتين القديمة والوسطى ، ولكن ظهر بكثرة بمعنى القصر الملكى فى نصوص الدولة القديمة .[١] وظهر أيضا فى بعض نصوص الأسرة الثامنة عشرة بمعنى " القصر الملكى "[٢] وبمعنى " الحاكم " فى خطاب من عهد امنحتب الرابع ولكن يرجع أصله إلى عهد تحوتمس الثالث[٣] . وأشير فى نصوص قصائد معركة

---

(١) ظهر هذا اللقب بمعنى " القصر الملكى " فى ألقاب بعض الشخصيات الذين كانوا يعملون القصر – الملكى وفى وظائف مختلفة تربطهم بالقصر الملكى فى هذه الفترة ، فمثلا ظهر – اللقب فى الوظائف الآتية : " طبيب القصر الملكى ، كاتب القصر الملكى ، مشرف حدائق القصر " الملكى ، حارس القصر الملكى ، مصفف الشعر فى القصر الملكى ، مغنى القصر الملكى ، الملحق بالقصر الملكى " . راجع: Posener –Krieger , Les Archives du Temple Funeraire , p . 109 n. 2t . 11 , p . 385 – 391 , 404 , 588 , 607 , 661 ; Meeks , Alex . I , p.130 – 131 ; t. 11 , p . 137 ; t 111 , p . 96 ; Faulkner , Concise Dictionary , p . 89 .

(٢) وجاء ذلك فى نصوص اللوحة التى تخص آمن ام ستنب بالمتحف المصرى ، والذى كان يحمل لقب " حارس القصر الملكى (برعا) " راجع: Chr. Zivie , Giza au Deuxieme Mellenaire (BdE 70) (1976) , p . 222 , 1 . 2 .
وفى نقوش معبد الدير البحرى التى تمثل حاملى القرابين الذين كانوا يحملون ألقابا مثل " سمير القصر الملكى " ، " مصفف الشعر فى القصر الملكى "، راجع : Naville , Deir el Bahari IV , PI , 109 .

(٣) ذكر على بردية من آبى غراب ، راجع :
Griffith , Hieratic Papyri From Kahun and Gurob pI. 38 ; Gardiner , Egyptian Grammar , p . 65 .

قادش وفى مصادر أخرى إلى الملك رمسيس الثانى من الأســـرة التاســـعة عشــرة بالتسمية برعا أكثر من خمسين مرة [١] وكذلك إلى ولده مرنبتاح أكثر من مـــرة [٢] . وفى عصر الأسرة التاسعة عشرة نفسها أطلق لفظ بر – عا على حاكم أرض مصــر باعتبار أن الملك أو الحاكم هو سيد الأرضيين (الوجه القلبى والوجه البحـــرى) أو سيد الأرض وهى تحت حمايته ولهذا يقال تا – بر – عا بمعنـــى " أرض الملـــك أو الحاكم " أو با – تا – ان – بر – عا وهى تدل على المعنى نفسه .[٣] وظـــهر هـــذا اللقب بعد ذلك فى الخطابات التى ترجع إلى نهاية الأسرة العشرين وذلك دون ذكـــر اسم الملك صراحة ، وذلك فى أكثر من ثلاثة عشر خطابا ، ولكن من المعـــروف أن المقصود بهذه التسمية هو الملك رمسيس الحادى عشر [٤] . ويرى شـــرنى أن هـــذا اللقب كان يطلق على الملك الحى .[٥]

وظهر هذا اللقب مرة أخرى فى عصر الأسرة الحادية والعشرين فى ألقـــاب بعض رجال البلاط الذين كانوا يعملون فى خدمة الملك بسوســـينس الأول بمعنـــى " القصر الملكى " . وعثر على هذه الألقاب منقوشة على الكتل التى عثر عليـــها فـــى

---

(١) Kitchen , Ramesside Inscriptions 11 , p . 92 . 104 – 105 , 114 – 117 , 129 – 133 , 159 , 174 , 176 , 181 – 182 , 222 , 226 , 383 .

(٢) نص فناء الخبيئة بالكرنك السطرين ٢٨ – ٢٩ ، راجع : Kitchen , op . cit . IV , p . 5 ولوحة اتريـــب ، الســـطر ٦ ، راجـــع : Lefebvre , ASAE 27 (1927) , p . 22 .

(٣) Meeks , Alex . 111 , p . 318 .

(٤) Wente , Late Ramesside Letters , p . 4 , 21 , 32 – 33 , 37 , 42 , 49 , 52 – 54 , 61 , 69 .

(٥) Černy – Peet , JEA 13 (1927), p . 38.

مقابرهم فى تانيس [١] .

ولم يستخدم هذا اللقب أمام اسم الملك فى النصوص الرسمية كلقب بمعنى صاحب السلطة أو الحاكم . إلا ابتداء من عصر الملك شِشنق الثانى من عصر الأسرة الثانية والعشرين .[٢]

وظهر بعد ذلك أمام أسماء بعض الملوك من الأسرة الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين والثلاثين ، من أمثال : طهرقا ، بسماتيك الأول ، بسماتيك الثانى ، ابريس ، امازيس ، دارا الأول ، نختنبو الأول ، تيوس ، نختنبو الثانى . خباباشا . وأمام أسماء بعض ملوك البطالمة أمثال : الاسكندر الأكبر ، الاسكندر الثانى ، بطلميوس الأول ، بطلميوس العاشر ، بطلميوس الثالث عشر . وأمام أسماء بعض الأباطرة الرومان أمثال : اغسطس ، كلاديوس ، نيرون [٣] .

---

(١) وهذه الألقاب هى : " مدير مراسيم القصر الملكى ، مدير فنانى القصر الملكى ، مدير صناع القصر الملكى ، مدير خزانة القصر الملكى ، كاتب القصر الملكى " ، راجع :
Von Kaenel , BSFE 100 (Juin 1984) , p . 34 – 36 .
ويلاحظ أن فون كانل تترجم هذا اللقب بـ " فرعون " ولكن المقصود به هنا القصر الملكى .

(٢) J . Gordn , Hommages Sauneron I , p . 180 – 182 ; Meeks , Alex . III , p . 96 .

(٣) Gauthier, Livre des Rois IV, p . 441 – 442 ; t . V , p . 244 ; Weill , Le Titulature Pharaonique de Ptolemeé Cesar , in : RT 34 (1912) , p . 77 – 86 .
عن هذا اللقب وتطور معناه عبر العصور ، راجع : د. رمضان عبده : حضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، ص ٢٨٧ – ٢٩١ ؛ المؤلف نفسه : فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب جامعة المنيا ، عدد يناير ١٩٩٩ ، ص ١٠٦ – ١١٤ .

وعرف هذا اللقب فيما بعد في القبطية بـــــ " ب – رو " وفـــي اليونانيـــة بـــ " بو – رو " [١] ثم حرف العبرانيون اللقب إلى " بر – عو " ثم إلـــــى " فرعـــو" وأخيرا وأضاف إليه العرب نونا أخيرة ليصبح " فرعون " .[٢] وقد جاء هذا اللقب في آيات القرآن الكريم التي تحدثنا عن فرعون الذي عاصره سيدنا موسى عليه الســلام . والذي يعني في هذه الآيات " ساكن البيت الكبير أو العالي أي القصر الذي تدار منــــه شئون الدولة تحت مسئولية الملك ، صاحب السلطة الرسمية في الدولــــة أي الحـــاكم المطلق " . ومن بلاغة آيات القرآن الكريم أنها نقلت إلينا لقبا كان معروفا فـــي نظـــم الحكم المصرية من أقدم العصور وفي أيام سيدنا موسى عليه السلام بالمعنى نفسه أي " صاحب السلطة الرسمية في الدولة " بما اتصف به من صفات زميمة فــــي عصـــر سيدنا موسى .

بالإضافة إلى هذه الألقاب التي كان يحملها الملك ، كان يسمى باسمين الاسم الذي ولد به[٣] مسبوقا بلقب سارع (ابن رع) ، إن خت إف (من صلبه) ومــــرى إف (محبوبه) . والاسم الآخر هو الاسم الذي يتخذه عند توليه العرش مسبوقا بلقــب نسوبيتي (ملك الوجه القبلي والبري) . مثال ذلك نجد أن الاسم ميلاد خامس ملــوك الأسرة الحادية عشرة هو منتوحتب الأول (مونتو راضى) واسم التتويج أو العـــرش " تبى – عا " ، وسادس ملك كان يسمى منتوحتب الثاني واسم التتويج ســــعنخ ايـــب تاوى .[٤]

وكانت كل الألقاب التي يتخذها الملك تكتب وتنســـخ عــــادة فيمـــا يســـمى بـــ " بيت الحياة " [٥] . وهو مكان نسخ كل النصوص الرسمية والمؤلفـــات الدينيـــة والعلمية والأدبية والفنية . أما إذا كان هناك لقب جديد فكان ينشر بواسطة الموظفيـــن ورجال البلاط الملكي في كل أنحاء البلاد .

---

(١) Pestman , Textes Demotiques et Bilingues I. P . 104 n . 12.

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنــــى القديـــم ، الجــزء الأول : مصـــر والعراق ، ص ٧٥ .

(٣) عن اسم الميلاد ، راجع : Vernus, LA1V, p. 326-327

(٤) Beckerath, LA111, p. 545-546; Id., 1V, p.66 – 69 .

(٥) من أشهر دور الحياة ما كان يوجد في مدن سايس ومنـــف واخـــت اتـــون وابيدوس ، راجع : د. أحمد بدوى – د. جمـــال مختـــار : تـــاريخ التربيـــة والتعليم في مصر ، ص١٨١ : وايضا الدراسة التي قام بها : Gardiner , JEA 24 (1938) , p . 175 – 179 .

احتفالات عيد – سد :

من الطقوس الدينية الهامة التى كان لابد أن يقوم بها الملك هـــو الاحتفـــال بعيد – سد . وقد بدأت هذه الطقوس مع بداية الأسرات واكتملـــت مظاهرهـــا فـــى العصور التالية .

وتبين لنا نقوش بعض العناصر المعمارية التى تركها لنا الملك جســـر مـــن بداية الأسرة الثالثة مراسيم هذا العيد ، وخاصة المناظر التى عثر عليها فـــى أســـفل المقبرة الجنوبية للملك جسر .[١]

أما اقدم مناظر كاملة لهذه الطقوس فنجدها قد صورت على بعض جـــدران معبد الشمس الخاص بالملك نى اوسررع – آنى من الأسرة الخامسة فى أبى غراب . وكذلك وجدت مناظر لهذا الاحتفال كاملة فى معبد امنحتب الثالث من الأسرة الثامنـــة عشرة فى منطقة صولب (التى تقع بين الجندلين الأول والثانى) . كمـــا صـــورت مناظر هذه الاحتفالات على جدران بوابة من الجرانيت اقيمت بين بنـــاءين كبـــيرين داخل معبد بوباسطة من عهد الملك أو سركون الثانى من الأسرة الثانية والعشـــرين[٢] وقد قسمت هذه الطقوس إلى ثمانى مراحل :

أولا : الأعداد لعيد سد ، فقبل أن تبدأ مراسيم الخاصة بـــهذه الطقـــوس ، كانت تعد المقبرة الملكية ، وبعض دور العبادة وكانت البـــلاد كلـــها تســـتعد لـــهذه الاحتفالات . وكان لابد من إقامة جواسق صغيرة تزين بمنـــاظر ونقـــوش دينيـــة ، وتقطع المسلات من المحاجر . وكان يحضر من كل مدن مصر إلى العاصمة جميـــع الموظفون الرسميون ، وكان آخر عمل هو كل أعداد القصر الخاص الذى يســـتخدمه الملك فى هذه المناسبة .

ثانيا : الإعلان عن بدء الاحتفال بعيد سد والإعلان عن تشـــريف الملـــك ،

---

(١) Martin, LA V, p 782 – 790 ؛ د. أحمد فخرى:الأهرامات المصريـــة. ص ٥٦ – ٥٩ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٨ .
عن مراسم خروج الملك من القصر الملكى ، راجع :
Barguet , Hommage a'Francios Daumas , Montepellier , 1986 , p . 51 – 54 .

ويبدأ بحضور موكب الملك ومن خلفه حملة الأعلام والكهنة .

ثالثا : تقدم الموكب نحو قصر عيد سد ، ويتكون هذا الموكب من المجموعات السالفة وينضم إليه الوزيران (أحدهما للشمال والآخر للجنوب) .

رابعا : ظهور الملك فى قصر عيد سد وزيارته لمقاصير المعبودات . ونمثل فى هذه المقاصير جميع معبودات مصر التى يقوم الملك بتأدية الطقوس والشعائر الدينية أمامها ، وكان هناك ٢٩ مقصورة لأرباب مصر العليا و ٣٢ مقصورة لأرباب الوجه البحرى .

خامسا : الظهور الثانى للملك ومنح عطايا الحتب " دى نسوت " أى " العطايا والهبات الملكية " .

سادسا : يقوم الملك بأداء بعض الطقوس الغامضة الخاصة بمقبرة الملك .

سابعا : رفع العمود " جد " والطقوس الختامية فى المعابد - الجنائزية .[١] ومن بينها طقوس تشير إلى انتصار الملك على الموت ، وقهر حورس لمعبود الترست . كذلك يؤدى الملك فى الوقت نفسه الطقوس الخاصة بالسعى والجرى وهى أربعة وذلك لكى يظهر عودة قوته إليه ، وكذلك ليؤكد استمرار تحقيق الرفاهية لبلاده .

ثامنا : الاحتفالات الختامية فى المدينة والمعبد ويعود الموكب بعد ذلك إلى المدينة لأداء الطقوس الشعبية الباقية ، والتى كانت تشمل إعادة تتويج الملك .[٢]

---

(١) ترمز إقامة أو رفع العمود جد إلى انتصار مملكة الجنوب على مملكة الشمال واتحاد القطرين كما ترمز إلى بعث أوزير وارتباط هذا البعث بمصير الملك الذى كان يتشبه بالمعبود أوزير وتتطابق احتفالات إقامة العمود جد مع أعياد سوكر فى اليوم الأول من الشهر الأول لفصل الشتاء وفى هذا الوقت يحتفى أيضا بعيد تتويج الملك ، وكان احتفال إقامة العمود جد معروف منذ العصر الثينى - ونجد مناظر احتفالات إقامة العمود جد بمشاركة الملك ممثلة فى مقبرة خرو إف رقم ١٩٢ من عصر الملك امنحتب الثالث ، راجع : Vandier, La Religion Egyptienne, p. 200 - 202 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨٦٥ - ٨٧٥ .

أما عن متى كان يقام هذا الاحتفال ؟ فهناك بعض العلماء الذى تشكك فـــى حدوثه فى السنة الثلاثين من حكم الملك . لأن هناك بعض الملوك كانوا يحتفلون بـــه بعد اثنتى عشرة سنة من توليهم العرش .[١]

وتبعا لذلك فالأسرة الأولى والثانية تمثلان فترة تبلور الحضارة المصرية فقد تجمعت العناصر المادية الضرورية لهذه الحضارة فى العصور السابقة على عصـــر الأسرات : من تنظيم للإدارة وظهور بعض الوظائف الإداريـــة الهامـــة ، وتشـــييد العاصمة والقصر الملكى بها ، وتتويج الملك رسميا واتخاذه ألقابه الرسمية ، وقيامـــه بالطقوس الدينية التى تؤكد شرعيته فى تولى السلطة . ونجح المصرى القديـــم فـــى الاستغلال الزراعى لأراضى البلاد ، وتكوين عناصر الديانة وتطور اللغة والكتابـة ، والتحكم فى صناعة المعادن والفخار والنسيج والحلى . ويمكن القول بأن الأســـرتين الأولى والثانية قد حولتا هذه الحضارة التى كانت فى سبيلها للتطور ، إلى مملكة قوية متحدة سياسيا ومتماسكة حضاريا . ولهذا فنحن نأسف لأننا لم نستطع أن نتعرف على المشاكل التى كانت تخص تطور النظام الإدارى للبلاد . فالآثار ودراسة الأســـاطير الدينية هى النى سمحت لنا إلى حد ما بمعرفة الطريقة التى اتحدت بها البلاد وكيـــف أن الممالك المتعارضة فى الجنوب والشمال قد اندمجت بعد فترة صراع ، ولم تفصح لنا الوثائق الأثرية ولا الأساطبر الدينية عن الطريقه التى تأسست بها الدولة المصرية التى تكونت عناصرها واكتملت فى العصور التالية . ونحن نعلم أنه منذ بداية عصـــر الأسرة الأولى كان هناك ملك واحد ، وأن البلاد كانت مقسمة إلى عدة أقاليم وضــــع على رأس كل منها موظفون ملكيون ، ولم يكن كل ذلك إلا نتيجة لعوامل التطور .

وعلى ضوء بعض المظاهر التى كشف عنها حتى الآن فى سقارة وحلـــوان ربما استطعنا أن نحدد تنظيم البلاد أكثر فأكثر فى قلب تلك القرون الغامضـــة مـــن عصور ما قبل الأسرات أو عصور ما قبل التأريخ .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٧٦ .

الفصل السابع

عصر الدولة القديمة

من بداية الأسرة الثالثة حتى نهاية

الأسرة السادسة

عصر الاستقرار والتطور والازدهار

(٢٧٨٠ – ٢٢٦٣ ق.م) [١]

الأسرة الثالثة : (٢٧٨٠ – ٢٦٨٠ ق.م) :[٢]

عندما يفكر المصريون خلال عصر الضعف والانهيار ، فى فترة العصر الذهبى والتقدم الحضارى ، فإنهم يتذكرون دائما الدولة القديمة . فنجد أن الفنانين والكتاب يبذلون أقصى ما فى وسعهم لتقليد فن هذه الفترة ونسخ قواعد وتعبيرات لغتها خاصة فى الأسرة السادسة والعشرين ، ونحن لا نعرف أى الوثائق أو النصوص كانت لديهم لمعرفة تاريخ وفن ولغة هؤلاء الأسلاف البعيدين ، ونحن أقل حظا منهم بالتأكيد ، لأن تاريخ الدولة القديمة لا يزال غير معروف تماما . فحوليات حجر بالرمو عن هذه الفترة ، ما هى إلا صورة مختصرة وغامضة . وقد تعرضت لكثير من التشويه .[٣]

ويمكن القول بأنه بمساعدة ما ذكره مانيتون ونقوش بعض مقابر كبار الأفراد يمكن أن نصل إلى معرفة جزء من هذا التاريخ . فقد خلف لنا هذا العصر فى

---

(١) عن تاريخ هذه الفترة ، راجع :
Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford , 1984 ,p. 36
يعطى بكرات كتاريخ لهذه الأسرة : ٢٦٩٥ أو ٢٦٤٠ إلى ٢٦٣٠ أو ٢٥٧٥ ق. م ، راجع : Beckerath, LA I, p. 970

(٢) راجع أيضا : Baines – Malek , op . cit . , p . 36 .

(٣) Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 71.

الواقع ، آثارا عديدة عوضا عن التاريخ السياسى والحربى والإدارى ، وتبعا لذلك يمكننا القول أيضا بأننا نعرف الحضارة المادية وفن العمارة معرفة جيدة ولن نأخذ فى الاعتبار هنا سوى الإطار التاريخى للدولة القديمة ، التى كانت تعتبر فى عرف الكثير من العلماء بمثابة الفترة الأكثر نضوجا فى تاريخ الحضارة المصرية كلها .

وكما كان لا يوجد أى فاصل واضح بين العصر الحجرى الحديث الأعلى ، والأسرات المصرية الأولى ، نجد نفس الوضع بين هذه الأخيرة وبداية الأسرة الثالثة . ولكن هناك اختلاف كبير بين ما يذكره مانيتون والقوائم الملكية الأخرى وما تمدنا به الآثار حول أول من بدأ الأسرة الثالثة وعدد ملوكها ومدد حكمهم فقد أعطى مانيتون أسماء تسعة ملوك حكموا لمدة ٢١٤ عاما أما على لوحتى سقارة وأبيدوس وبردية تورين فنجد ذكر أسماء أربعة ملوك فقط .[١] وتجمع الآراء على أن الأسرة الثالثة تتكون من ستة ملوك وهم .

١-نثر إرخت [٢] (جسر) [٣] .

---

(١) يعطو ولف أسماء أربعة ملوك ففط وأولهم " نب كا " وأخرهم "حونى" ، راجع : Wolf, Das Alte Agypten , p . 231 .

(٢) عرف هذا الاسم منذ الأسرة الثالثة ، فقد عثر عليه على أختام اسطوانية فى بيت خلاف ، راجع : . (1) (3) Gauthier, livre des Rois I , p . 50

(٣) كما ذكرنا من قبل أن الاسم الأول هو الاسم الحورى ، أما الاسم الثانى الذى يكتب هنا بين القوسين فهو الاسم الذى كتب على الأثر داخل الخانة الملكية ، راجع : Gauthier, livre des Rois I, p . 47 – 59 .

يعطى جوتييه تسعة أسماء لملوك الأسرة الثالثة طبقا لما جاء عند مانيتون وهم : (جاجاى) (ببى) ، نب كا ، (جسر) ، نب كارع ، جفا ، (جسر تيتى) ، (نوست حتسى) ، سجدس ، حونى ، راجع :

وأيضا نقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ٤٩٨؛ Gauthier , livre des Rois I , p . 47-58 .

٢- سخم خت (جسرتيتى) .

٣- سانخت .

٤- خع با .

٥- (نب كا) أو (نفركا) .

٦- (حونى) .

كان نثر إرخت (٢٦٤٩ – ٢٦٢١ ق.م) (أى ربانى الجسد) أو المنتمى إلى جسد المعبود الذى يسمى أيضا جسر (أى المقدس) وهى تسمية من عصر الأسرة الثانية عشرة [١] ، من أشهر ملوك الأسرة الثالثة ، وربما كان أبنا للملك خع سخموى ، آخر ملوك الأسرة الثانية من زوجته نى ماعت حاب ، وترجع شهرته إلى المنجزات الحضارية التى تمت فى عهده ولاسيما فى مجال العمارة ، وربما كان يرجع وضعه على رأس أسرة جديدة إلى ذلك الأمر . وقد أعطته بردية تورين اهتماما خاصا برصفه مؤسسا لعصر جديد فسجلت اسمه بالمداد الأحمر ، ولعل من أهم الأحداث السياسية التى تمت فى عصره هو نقل العاصمة السياسية والإدارية بصفة نهائية من ثينى إلى منف[٢] ، ولعل هذا هو أهم ما يميز الدولة القديمة فى

---

(١) عثر على هذا الاسم على تمثال أقامه سنوسرت الثانى تكريما للملك جسر ولم يبق منه سوى القاعدة ، وه موجود الآن بمتحف برلين ، كما ورد هذا الاسم على بردية وستكار : Gauthier , livre des Rois I , p .51(VI-VII); Beckerath, LA I, p. 1111- 1112 .

وهن هذا الاسم ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٩٠ وحاشية (١) ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٩٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ،ص ٩٣ ؛ وأيضا : Gunn , ASAE . 26 (1926) , p . 188 ; Chr. Zivie, LA 1V, p. 24 – 42 .

بعض الأحيان ويطلق عليها لذلك " الدولة المنفية " ونجد أن الملك جسر بعد أن شيد لنفسه مقبرة فى بيت خلاف جنوبى جرجا ، بنى لنفسه فى النهاية هرما مدرجا فى منطقة سقارة ، جبانة منف ، فبعيدا فى الجنوب فى بيت خلاف ، شيد الملك فى أول الأمر مقبرة كبيرة ، كانت تأخذ شكل المصطبة الكبيرة وشيدت من الطوب اللبن ، فوق عديد من الحجرات تحت سطح الأرض وقد كشف بداخلها على اسم الملك وأمه ، وليس من السهل القول بأن تلك المقبرة كانت تخص الملكة أو أنها كانت مقبرة ثانوية أو رمزية للملك نفسه ، ويجب أن نذكر أن أم الملك نى ماعت حاب كانت تلقب بلقب " أم ملك مصر العليا والوجه البحرى " ، وذلك ما جاء فى نقش على خاتم عثر عليه فى بيت خلاف .[١]

وكان أعظم ما حققه مهندس الملك " ايموحتب" هو المجموعة المعمارية الرائعة الخاصة بالملك فى جبانة سقارة والتى تتضمن ست عمائر خلاف الهرم والسور الخارجى : المعبد الجنائزى والسرداب الملحق به ، الفناء الجنوبى ، القصر الملكى ، معبد عيد سد ، بيتا الجنوب والشمال وهى مبان فريدة من حيث نوعها وطرازها وقلد فيها الفنان عناصر نباتية لبنية قديمة[٢] . وتشغل هذه المبانى مساحة تزيد على مائة وخمسين ألف متر مربع . وينتشر فى منطقة سقارة وحدها ثلاثون

---

(١) Garstang , Mahasna and Bet – Khallaf , (1902) , p . 38 , pl . 19 ; Vandier , Manuel d'Archéologie I , p . 867 , Urk I , p. 4(g)

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٩٨ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٧٥ – ٢٧٨ ، شكل ١١٧ – ١١٨ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٣ ، ص ٣٥ – ٦٤ .

هرما من الأسرة الثالثة حتى الأسرة الثالثة عشرة منها خمسة عشر هرما للملـــوك[(١)] بينما الأهرام الأخرى تخص فى الغالب الملكات زوجات الملوك أو أنها أهرام خاصــة بعقيدة الملك.[(٢)] كما ينتشر فى سقارة العشرات من مقابر النبلاء من عصـــر الأســـرة الرابعة حتى السادسة [(٣)] ومن العصر الوسيط الأول حتى عصر الدولة الحديـــثة [(٤)] وأيضا من العصر المتأخر .[(٥)]

وكانت الفكرة فى البداية هى تشييد مقـــبرة مثـل المصطبــة ، ويبـــدو أن ايمحوتب كان متأثرا بأفكار دينية جعلته يحولها إلى هرم مدرج ، وربما لكـــى يمثـل صعودا الملك نحو معبود الشمس وعالم السماء [(٦)] . وهو أول بناء ضخم من الحجـــر عرفته العمارة المصرية القديمة وقد شيد الهرم بالطريقة الآتية :

فى بداية الأمر رفعت الرمال من أعلى الهضبة الصخرية ، وظهرت طبقـــى من الحجر الجيرة التى اكتشفت على امتداد كبير وحفر فى الصخر بئر كبـــير يبلـــغ اتساعه سبعة أمتار وعمقه خمسة وعشرون مترا تقريبا ، نصل إليه عن طريق ســـلم منحدر من الجانب الشمالى للهرم وقد غطيت قاع البئر بجدرانها بكتل من الجرانيـــت المنحوتة بعناية كبيرة . وقد نقلت هذه الكتل عن طريق النيل ، ثم أحضرت إلى قلـــب

---

(١) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford 1984 , p 140-144 وبيانها كالتالى :

٣ من الأسرة الثالثة	١ من الأسرة الثامنة
٤ من الأسرة الرابعة	١ من الأسرة التاسعة أو العاشرة
٣ من الأسرة الخامسة	٢ من الأسرة الثالثة عشرة

٤ من الأسرة السادسة. وعن أهرام الدولة القديمة بوجه عـــام ، راجـــع : Stadelmann, LA 1V, p 1205 – 1263 .

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٣٦٤ – ٣٦٧ ؛ ألان زيفى : مقبرة عبريا ، كشف فـــى ســـقارة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٧ .

(٣) Spencer, LA V, p. 400 – 407 .

(٤) Malek, op. cit. V, p. 407 – 412 .

(٥) Smith, op. cit. V, p. 412 – 428 .

(٦) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 71 .

الصحراء على زحافات من الخشب [١] ، ويؤدى هذا البئر إلى حجرة لدفن الملـــك ، عثر فيها على تابوت به بقايا مومياء الملك ، وهى تعتبر أول مومياء ملكية تعرضـت لعملية التحنيط[٢] . وبالقرب من جوانب البئر دهاليز طويلة محفـورة فـى الصخـر

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٦ شكل ٤ .

(٢) وكانت عملية التحنيط تتم عادة فى بيت التحنيط والذى كان يقع بالقرب مـن الجبانة ، ويقوم بها الكاهن المحنط الذى يرتدى قناعا على هيئـة ابـن آوى حامى الجبانة ورب التحنيط . وكان الجسد يوضع فـى حمـام مـن ملـح النطرون ليمتص السوائل ويذيب الدهون . وكانت العملية تجرى على سرير التحنيط الحجرى . وتبدأ باستخراج المخ عن طريق الأنف بواسطته خطـاف ينفذ لتجويف المخ ، ثم يقوم الكاهن بعمل فتحة فى الجهة اليسرى من البطـن ويستخرج منها الأحشاء عدا القلب . ثم يوضع بالتجويف صررا من الكتـان ويتم تغير هذه الصرر باستمرار حتى يجف الجسد ويعالج بعد ذلك بـالزيوت العطرية ونبيذ النخل والقرفة والبصل ، وهناك أكثر من ١٣ مادة تدخل فـى عملية التحنيط ، ويدهن الجسم بعد ذلك بلفائف الكتان .

وكانت هذه العملية تستغرق سبعين يوما منذ الوفاة حتـى الدفـن . وكلمـة تحنيط كلمة عربية تشير إلى علاج الجسد بالأعشاب الطبية من أجل الحفـاظ على الجسد . ويعرف الجسد الذى تجرى له عملية التحنيط باسم الموميـاء , وهى كلمة فارسية تعنى بيتوميـن (القـار) اعتقـادا أن المصرييـن قـد استخدموا هذه المادة فى مرحلة من مراحل عملية التحنيـط . وهنـاك رأى يرى أنها كلمة عربية قديمة من كلمة " ميماء " وهى نتاج مادة عضوية عثر عليها فى جبال جنوب الجزيرة العربية (اليمنى) وقد استخدمها اليمنيـون فى التحنيط ، راجع :

R.el Sayed , L'embaumement dans L'Egypte Ancienne فـى مجلة كلية الآثار ، العدد الثانى ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٩١ – ٩٨ . وأيضـا د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونـى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ٢٥٧ – ٢٦٩ ؛ Sandison, LA I, p. 610 – 614 .

تؤدى ثلاثة منها إلى عدة مخازن وتضمنت هذه المخازن ودهاليز الهرم ما يزيد عن ٣٦ ألفا من أوانى الفخار والألبستر والشست والبرشيا الرائعة الصنع ونقش على بعضها أسماء بعض ملوك الأسرة الأولى والثانية ، وبعضها اعتبره صاحب الهرم ميراثا له وبعضها الآخر ربما كانت هدايا باسم حكام أقاليمه وكبار موظفيه (١) .

منها آنية من المرمر ارتفاعها ٣٧ سم ، نقش عليها علامة الملايين " حح" أى رجل جالس ويحمل منصة العرش الخاصة بعيد سد .

وعثر على هذه الآنية أثناء حفائر مصلحة الآثار عام ١٩٣٢ – ١٩٣٣، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم ٦٤٨٧٢ (٢) ، كما يوجد بالمتحف مذبح جميل من المرمر ارتفاعه ٣٨ سم وعرضه ٤٢ سم وعثر عليه ماريت عام ١٨٦٠ ويحمل رقم ١٣٢١ .(٣)

وهناك دهليز رابع يؤدى إلى عدة قاعات ، منها أربع قاعات تكسو جدرانها قراميد صغيرة من القيشانى الأزرق الجميل ، والتى كانت تثبت بثقبين صغيرين يمر فيهما خيط من الكتان أو الجلد لتربطها فى مكانها حتى يجف الخيط ، وكانت هذه القراميد تقلد شكل الحصير الفاخر المجدول الذى كانوا فى البيوت ستارا .(٤)

وهناك جزء من هذه الجدران المحلاة بالقيشانى موجود الآن بالمتحف المصرى وعثرت عليه بعثة مصلحة الآثار عام ١٩٢٨ ، ويحمل رقم ٦٨٩٢١ ويبلغ

---

(١) Saleh – Sourouzian , Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo , no . 19 .

(٢) Id . , op . cit . , no . 18 .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩٩ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ، صورة ٤٦ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٥١ .

ارتفاعه ١,٨١ متر وعرضه ٢,٠٣ متر [١]

وفى إحدى الجدران ثلاثة أبواب وهمية تواجه الشرق وتحليها نقوش غاية فى الدقة تمثل جسر يؤدى فيه بعض طقوس العيد الثلاثينى (أو سد) .[٢]

وفوق هذا البئر تم بناء مربع كبير من الحجر الجيرى المأخوذ من محاجر طره على الشاطئ للنيل ، ويبلغ ارتفاع هذا المربع اثنى عشر مترا وطوله مائة وعشرون مترا ، وفوق هذا البناء المربع أقيم بناء بالشكل نفسه ولكن أقل حجما ، ثم ثالث ، ورابع وخامس وأخيرا سادس ، حتى أصبح الشكل النهائى هرما مدرجا ذا ست درجات كبيرة ويبلغ ارتفاعه النهائى ستون مترا فوق سطح الأرض ، ويبلغ طوله من أسفل نحو ١٣٠ مترا ، وعرضه نحو مائة متر وعشرة .

وإلى الشمال من الهرم يوجد المعبد الجنائزى أو معبد الشعائر ، وكان ضخما كثير الحجرات ، وشيدت عند مدخله حجرة مغلقة سميت اصطلاحا باسم السرداب ، وتحتوى فى داخلها على التمثال الكامل الوحيد الباقى للملك جسر ورأى العلماء أو وجود تمثال الملك فى سردابه لم يكن أكثر من هاد لروح صاحبه عندما تهبط من شمال السماء ثم تتجه إلى معبد الشعائر لتنعم بالقرابين والطقوس التى تؤدى فيه [٣] ، وهو من الحجر الجيرى الملون ويبلغ ارتفاعه ١,٤٢ متر وعثرت عليه بعثة مصلحة الآثار عامى ١٩٢٤ – ١٩٢٥ ، وهو الآن بالمتحف الصرى ويحمل رقم ٤٩١٥٨ .[٤]

وإلى الجنوب من الهرم يوجد فناء واسع ، حدد بنصب حجرية كبيرة ، ولسنا ندرى تفاصيل ما كان يتم فيه ، ولكن ليس من المستبعد أنه ارتبط بصورة ما

---

(١) Saleh – Sourouzian , op . cit . , no . 17 .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٠ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٥٦ .

(٤) Saleh – Sourouzian , op . cit . , no . 16 .

بما سمى باسم عيد الطواف [١] ، أو بشعائر وطقوس اليوبيل الملكى .

وإلى الشرق من الهرم بناء صغير مستطيل يبدو أنه كان مخصصا للملك لكى يستريح فيه ويستبدل فيه ملابسه وشاراته خلال أداء الطقوس الدينية [٢] ، أو أنه كانت تؤدى فيه بعض الطقوس أثناء الاحتفال بشعائر اليوبيل الملكى ، ويحتوى هذا القصر على ردهة ذات ثلاثة أساطين مقناة غير مستقلة تعتمد على جدران ساندة من ورائها . ولكل اسطون قاعدة مستديرة ، وتعلوه ركيزة ، وتؤدى الردهة إلى مقصورة كانت تعلو ثلاثة جوانب منها أعتاب يحلى كلا منها أفريز . ويصل بين فناء معبد اليوبيل والقصر أو الجوسق الملكى طريق قصير تستدير نهايته جداره الأيمن فى شكل ربع دائرة محكمة الاستدارة ليس لها مثيل فى العمارة المصرية القديمة .[٣]

وبجوار قصر الملك فناء رحب واسع حفت بجانبيه مقاصير فخمة ، وشيدت الغربية منها بأسماء معبودات الوجه القبلى ، وشيدت الشرقية منها بأسماء معبودات الوجه البحرى . وتتصدر الفناء منصة حجرية متسعة ترتفع عن الأرض بنحو المتر ، ويؤدى إلى سطحها درجان فى واجهتها الشرقية . وكانت تعلوها مظلتان تضم إحداهما عرش الوجه القبلى وتضم الأخرى عرش الوجه البحرى ، ولم يتبق من مقاصير هذا الفناء غير أطلال تنم عن مهارة صانعيها . وكانت تتصدر واجهاتها أساطين محدبة المقطع تحليها فى أعلاها دلايات مشكلة فى الحجر على هيئة أوراق الشجر ، وأقيم للملك تمثالان كبيران على منصتين مرتفعتين فى مقدمة المقاصير ، وربما كان له كذلك تمثال صغير فى كل مقصورة مع تمثال المعبود ، وفى المقصورة الأخيرة الغربية لفناء العيد الثلاثينى ، عثر على أربعة أزواج من الأقدام

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ شكل ١١٣ – ١١٤ صورة ٤٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٥٣ .

ربما كانت تمثل الملك مع زوجته وابنتيه [١] . ويرى د. شكرى أن معبد اليوبيل لم يشيد ليحتفل فيه الملك وهو على قيد الحياة بيوبيله الذى كان يسمى " عيد سد " وإنما كان مبنى رمزيا ضخما يتيح للملك المتوفى الاحتفال بهذا العيد من فترة إلى أخرى فى عالم الآخرة .[٢]

يلى معبد عيد سد ، بيتا الجنوب والشمال . وهما بناءان مصمتان إلى حد كبير ، يشبه إحداهما الآخر ، ولكل منهما واجهة من حجر جيرى جيد أملس ، ويكتنفها سندان بينهما أربعة أساطين مقناة . ويعلو المدخل أفريز من الزخرفة ، وكانت الواجهة مقوسة فى أعلاها ، وفى كل بيت دهليز ضيق يؤدى إلى مقصورة فى جدرانها مشكاوات صغيرة فى شكل نبات اللوتس ، وتحلى الجدار الجانبى لواجهة بيت الشمال ثلاثة أساطين جميلة فى شكل غصن البردى ، يعتقد أن هذين البيتين إنما يمثلان بهوين أو قاعتى عرش . كان الملك فى العصور السالفة فيهما بعض الوقت ويدير شئون القطرين منها .[٣]

وكانت كل هذه المجموعة المعمارية محاطة بسور خارجى ضخم سميك يبلغ طوله ٥٤٤,٩ من المتر وعرضه ٢٧٧,٦ من المتر وارتفاعه نحو عشرة أمتار ، ويبلغ سمكه فى بعض مواضعه نحو ستة أمتار ، وكساه المعماريون بالحجر الجيرى الأبيض ، وشادوا فيه دخلات رأسية متعاقبة أى المشكاوات . وزخرفوا الأجزاء العليا من واجهة الضخم بمربعات صغيرة محفورة قليلة العمق. وفى أعلاها افريز

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ، شكل ١١٦ – ١١٧ ، صورة ٤٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٠٠ ، وأيضا:Lauer , La Pyramide a'degres , le Caire (1939), p . 1-23 ; Id . , The Step Pyramid , le Caire (1935) , p . 7-59 , pI . 16 ; Vandier , Manuel d'Archéologie I, p . 868 – 919; Stadelmann, LA 1V, p. 1208 – 1215 .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٥٧ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ شكل ١١٥ ، صورة ٤٥ .

من الصلال (أى الحيات) المقدسة . ورسموا جوانب السور بشكل البوابات أو الأبراج ويبلغ عددها أربعة عشر فى جهاته الأربع ، التى يرى فيها بعض العلماء صورة من السور الذى كان يحيط بالقصر الملكى فى الوادى على مقربة من العاصمة منف ، وأن المدخل الرئيسى شبيه بمدخل القصر الملكى بأعمدته وأماكن حراسه ، يقع هذا المدخل فى سور مجموعة جسر على شكل باب مفتوح فى الركن الشرقى الجنوبى (أى البوابة الرابعة عشرة) ويؤدى إلى بهو طويل طوله ٥٤ مترا ويحتوى على صفين من الأساطين الحجرية ، وفى كل صف عشرون أسطونا ذا نسب رشيقة وتقلد حزم الغاب ويعلوها السقف ذو الجوع الحجرية [١] . وينتهى البهو بقاعة تطل على الفناء الجنوبى وترفع سقفها ثمانية أساطين [٢] .

وهناك طريق قصير يبدأ من أول البهو على اليمين ويؤدى إلى فناء العيد سد . وعلى يسار هذا الطريق وبطول الجدار الغربى للسور مبانى عديدة مهدمة ، وبعضها حقيقة ، بيد أن أكثرها مبان وهمية مصمتة ، وهى صور أو نماذج لمبان حقيقية ربما كانت أماكن مخصصة كمخازن لتموين القائمين على الشعائر الدينية .

ومن عصر جسر هناك أيضا المقبرة الجنوبية التى تقع فى جوف الجدار الجنوبى للسور الخارجى ، وهى على شكل تابوت ضخم ولها درج طويل يؤدى إلى بئر فى نهايتها غرفة دفن صغيرة مربعة مكسوة بحجر الجرانيت [٣] ، وغطيت جدران الحجرات الأخرى السفلى بقطع صغيرة من القراميد من القيشانى الأخضر ، صور عليها الملك وهو يقوم ببعض الطقوس مسرعا تكاد أطراف أصابعه لا تلمس

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ ، صورة ٤٧ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٩٢ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ٤٩ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، صورة ٤٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٩٩ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ شكل ١١٩ ؛ د. أحمد فخرى الأهرامات المصرية ، ص ٥١ شكل ١٣ .

الأرض . وقد اختلفت آراء العلماء فى الغرض من هذه المقبرة ، فيرى بعض العلماء أن ايموحتب قد بدأ أعماله فى سقارة بهذه المقبرة ، ثم هجر الفكـــرة وشـــيد الـــهرم المدرج ، وهناك البعض الآخر الذى يعتقد أنها مقبرة لوضع صنـــدوق مـــن الحجـــر الجيرى أو المرمر خاص بحفظ أحشاء الملك أو لدفن مشيمة الملك ، أو أنها مقـــبرة مؤقتة لقرين الملك ، أو أنها لها علاقة باليوبيل الملكى ، أو لتحفظ فيها تيجان الملـــك أو تمثال له ، ويرجع البعض الآخر أنها مقبرة تذكارية جنوب الـــهرم علـــى غـــرار مقابر ابيدوس [١] . وأصبحت هذه المجموعة المعمارية أماكن للزيارة فـــى عصـــر الدولة الحديثة .ففى عصر الأسرة الثامنة عشرة سجل كاتب زائر لـــهذه المجموعـــة على الحائط الأيسر من مدخل بيت الجنوب كتابات بها إسفاف فى الأســـلوب وذلـــك بالخط الهيراطيقى ، وفيما بعد جاء كاتب آخر وقرأ ما كتبه الأول ، فكتب بجوار مـــا سجله :

" يقال أنه من إنتاج امرأة بدون تفكير ... لقد رأيت فضيحة انهم ليسوا كتبة يتلقون الوحى من تحوتى "[٢] .

وهنا لا يجب أن ننسى مجهودات الأثرى المعمارى الفرنسى لويـــر Lauer الذى عمل على ترميم أجزاء المجموعة المعمارية بسقارة منذ ١٩٢٧ عندمـــا كـــان يعمل مع فيرث Firth ، وحل محله فى عام ١٩٣٢[٣] وأخذ يعمل فى المنطقة لمـــدة تقرب من الخمسين عاما .

ولا شك أن ايمحوتب قد جند لمثل هذا العمل الضخم عددا كبيرا من العمـــال تم تزويدهم بالطعام والشراب والملبس والمأوى .

وهناك آثار أخرى تدل على نشاط هذا الملك ، ونذكر من بينها تشييده لمعبد

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

(٢) Daumas , la Vie dans L'Egypte Ancienne , Paris 1968 , p . 114 .

(٣) د. أحمد فخرى : الأهرامـــات المصريـــة ، ص ٣٩ – ٤٠ ؛ Guides Bleus : Egypte , p .184 .

فى هليوبوليس ، وعثر أيضا على بقايا معبد له على مقربة من هربيط فى محافظة الشرقية (١) ، ونعلم من مصادر أن جسر استمر فى تحقيق سياسة ملوك الأسرة الأولى ، فأرسل الحملات الحربية إلى بلاد النوبة وتابع سياسة كان يجب أن تستمر خلال فترة قيام الدولة القديمة لأن المصريين فى هذا العصر كانوا يبدون أكثر انشغالا بجيرانهم فى الجنوب أكثر من هؤلاء فى الشمال الشرقى ، وهناك نص ولو أنه يرجع إلى عصر متأخر ، جعل حدوث أول تسرب مصر فى بلاد النوبة فيما وراء الجندل الأول ، قد حدث فى عهد الجسر ، ولكننا نعرف أن جسر كما ذكرنا فى البداية قد سبق له الذهاب حتى الجندل الثانى ، ولكننا يمكن أن نرى فى هذا النص ليس إشارة إلى التسرب فحسب ولكن إلى ضم بلاد النوبة بالفعل ، أما عن سيناء التى ظلت ضرورية بالنسبة للاقتصاد والصناعة والمواد المستخدمة فى الطقوس الدينية بسبب محاجرها لاستخراج الأحجار الكريمة ، وربما النحاس أيضا ، فقد ظلت عرضه لغارات البدو ، وقد عثر على نقش على الصخور هناك على مقربة من وادى المغارة مما يؤكد أن جيوش جسر قد ذهبت إلى هناك بالفعل لاستغلال مناجم النحاس .

وربما حدث فى هذا العصر أيضا مجموعة من الفيضانات غير الكافية ، مما أدى إلى مجاعة ، ولهذا الغرض كتب جسر إلى حاكم البلاد العليا قائلا " أننى أخبرك هنا بالحزن الذى حل بى على عرشى الكبير ، والألم الذى يشعر به قلبى أمام المصيبة الكبرى التى حلت " ويختتم خطابه بطلب المساعدة ، وقد عرف هذا النص باسم " نص المجاعة " ونقش على صخرة كبيرة فى جزيرة سهيل جنوب أسوان .(٢)

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٩٥ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

Barguet , la Stèle de la famine a' Sahel (BdE 24) , le Caire (1953) , p . 16 ; Vandier , la famine dans L' Egypte Ancienne , p . 38 ; Drioton – Vandier, L' Egypte (éd . 1954) , p . 169; Gomaa, LA V, p. 825 – 826

وقد أختلف العلماء بخصوص هذا النص ، فبعضهم يرى أنها قصة مختلفة من خيال كهنة المعبود خنوم فى العصر البطلمى ، وبعضهم الأخر يرى أنها قصة حقيقية حدثت فى عصر جسر ، على حين يرى " بارجيه Barguet " أن الملك الذى حدثت فى عصره المجاعة هو بطلميوس الخامس وليس جسر وبناء على ذلك منح الملك البطلمى معبد المعبود خنوم الأراضى الممتدة من أسوان حتى تاكو مبسو Takompso (بالقرب من دكه) .

وقد اتخذ الملك جسر لقب رع نوب (أى رع الذهبى) وهو يعبر عن ارتباطه بمعبود الشمس وسوف يستبدل هذا اللقب من الأسرة الرابعة بلقب حورنوب. ويرى مانيتون أن جسر قد حكم لمدة ٢٨ عاما [١] . ويبدو أيضا أنه تحت حكم هذا الملك ، بدأت الإدارة الملكية فى التوسع ، لدرجة أنها أصبحت ذات أنظمة معقدة ، ووجد إلى جانب الملك وزير أول لكى يساعده فى مهامه لتنظيم البلاد وإدارتها ، ويتشابه هذا الوزير الأول مه أمثاله فى بلاد الشرق القديم ، وهو ايموحتب ، الذى كان إداريا ومهندسا وكاتبا وأيضا طبيبا وكان يتولى الإشراف على كل الأعمال الإنشائية للملك ، وكان حاملا للقب رئيس المثالين ، وكان أيضا كبير لكهنة رع فى مدينة ايونو[٢] وأدت شهرته إلى تقديسه فى العصر المتأخر .[٣]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، دار النهضة العربية ١٩٦٦ ، ص ١٦٦ حاشية (٣) ، ص ٩٨٨ ، وأيضا :
Gauthier , Livre des Rois I , p . 47 n . (2) .
وقد أعطى جوتبيه الاسم نثرارخت باليونانية ولكن الاسم بالمصرية ليس صحيحا كاسم لنفس الملك .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٩٤ – ٩٥ .

(٣) Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 73 ; Daumas , la Civilsation de L'Egypte Pharaonique , p . 71 . وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩١ – ٩٢ .

وفى الواقع أن تاريخ حياته وأعماله لا تزال غير معروفة جيدا ، فنعرف أنه كان مستشارا للملك وكان هو المخطط لهذه المجموعة المعمارية وإليه يرجع الفضل فى البناء بالأحجار بدلا من الطوب والخشب اللذين كان يستخدمان من قبل . وهناك روايات من العصر الفارسى والبطلمى تجعل منه سيدا للفنون كلها واعتبر ابنا للمعبود بتاح .

وليس هذا التصميم المعمارى ذو النتائج الهامة أو شهرته كرجل حكيم التى تنسبها إليه المصادر الأدبية ، هما اللذين وضعاه فى مصاف المعبودات ، بل الكتب التى ألفها هى التى سمت به إلى هذه المكانة الرفيعة ، وقد اختفت هذه المؤلفات ، ولا نعرف أين توجد مقبرته حتى الآن ؛ ولذلك ينثر الكتبة بعض النقاط من قبل البدء فى كتاباتهم وذلك وفاء له أو تكريما لذكراه ، وكان أيضا موضع تكريم من تلاميذه ، وقد نظر إليه العصر المتأخر كمعبود وشيدت له مقصورة فى سقارة سماها اليونانيون Asklepieion وأصبحت مثل المصحة التى يلجأ إليها كل العجزة من أنحاء مصر كلها[1] ، وانتشر الاحتفال بذكراه فى كل أنحاء البلاد .

وقامت بعثة الآثار الإنجليزية " جمعية استكشاف مصر – Egypt Exploration Society برئاسة إمرى Emery بالبحث عن مقبرة ايمحوتب فى غرب سقارة وذلك ابتداء من عام ١٩٦٤ ولكنها عثرت فى شمال غرب سقارة على جبانة بها سراديب كانت توضع فيها مومياوات " أم العجل ابيس " كما تم الكشف عن

---

(١) Sethe , Imhotep der Asklepios der Aegypten (unter . III) p. 4 ; Bataille , ASAE 38 (1933) , p . 64 – 65 ; Dawson , Aegyptus VII (1926) , p . 118 – 138 ; Gardiner , op . cit . , p . 73 ; Daumas , op . cit . , p 73 ; Gilbert , L'Histoire et la legende d'Imhotep , Brussel (1949) , p . 200 – 202 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 138 – 139 ; Wildung , Imhotep und Amenhotep , Gottwerdung im alten Agypten , MAS 36 , Munchen 1977 , p . 42 – 64; Id., LA 111, p. 145 - 148 .

مومياوات أبقار وصقور وطيور الأبيس والقردة[١] . ولا يزال مكان مقبرة ايمحوتب مجهولا حتى الآن .

وشيدت له المقاصير فى مختلف المعابد فى منطقة طيبة فى الكرنك ، وفى البر الغربى فى الدير البحرى ودير المدينة ، وأخيرا فى فيلة حيث خصص له بطلميوس الخامس مقصورة ، وكان ذا شهرة كبيرة عند اليونانيين وأسموه " إموتس Imouthes " ، بل أنه شبهوه بمعبود الطب الإغريقى " اسكليبيوس " وقد عثر على كتب وقائية تختص بنشر وصفاته الطبية الشافية ، وعلى الرغم من أنه لم يحمل فى الواقع لقب الوزير " ثاتى Thati " إلا أنه كان يمارس أعباء هذه الوظيفة ، حيث كان الملك وزيره الأول معا فعلا . .

ولم يكن فى مقدوره أن يصل إلى هذه المكانة الرفيعة لولا أنه وجد من يقدره ويشد أزره ، وكان مولده على الأرجح فى بلدة الجبلين بين الأقصر واسنا ، أما أبوه فكان مشرفا على الأعمال يسمى كانفر وأمه خردو غنخ واسم زوجته نفررنبت عثر عليه فى نقش على صخور وادى الحمامات [٢] ، وعثر خارج سور مجموعة جسر على بعض مقابر أسرة جسر حيث عثر فيها على بقايا توابيت فاخرة من الحجر الجيرى والمرمر ، كانت تثبت فوق قواعد حجرية ملائمة ، وتعلوها أغطية مقبية .[٣]

ونهاية الأسرة الثالثة غير معروفة جيدا ، ولا نعرف إلا القليل النادر عن بقية ملوكها ، فقد كشفت الحفائر التى قام بها زكريا غنيم منذ عام ١٩٥١ حتى صيف عام ١٩٥٤ عن بقايا هرم مدرج لم يتم بناؤه نسب إلى خليفة جسر .

سخم خت (١٦٢٠ – ١٦١١ ق.م)[٤] " قوى البدن " ، الذى لم يكن معروفا فى أى مصدر من القوائم الملكية ، فقد اكتشف غنيم جزء من السور المطمور الذى

---

(١) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford 1984 , p. 151 .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٩٣ – ٩٥ حاشية (١).

(٣) د. عبدالعزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ٩٩ .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Goedicke, LA V, p. 776 – 777

كان يتخذ شكل المصطبة المدرجة وكانت المعضلة الكبرى تتمثل فى إيجـاد مدخـل الغرفة التى تقع تحت سطح الأرض أسفل المصطبة الضخمة . وفى نهاية المطـاف عثر غنيم على ممر فى قلب الصخر شمال المصطبة الضخمة ، وبدأ بتطهره واتضح له بأنه الممر المؤدى إلى حجرة الدفن . وعندما دخل حجرة الدفن وجد فى وسـطها تابوت ضخم من المرمر الصلب ، ووجده مغلقا ، وعثر عليه فى السادس عشر مـن يونيو عام ١٩٥٤ . وأمكن إزاحة الغطاء الضخم لتابوت المرمر البالغ وزنه خمسـة عشر طنا ، وتبين أن التابوت كان فارغا ونظيفا تاما ولم يعثر عى ما يشير علـى أن شيئا وضع بداخله ، وهذا يرجح أن الملك دفن فى مكان آخر . وفى الممر الذى تـم عن طريقه نقل التابوت عثر على صندوق صغير به إحدى وعشـرين أسـوره مـن الذهب وعقد وزوج من الملاقيط الذهبية ، ويبدو أن هذه الحلى كانت تخص إحـدى الأميرات أو الملكات من عائلة الملك [١]

وعثر فى هذا الممر على أوانى حجرية صنعت مـن المرمـر والشسـت والديوريت والبرشيا بعضها قد تم صقله وأكثره لم يتم ، وكذلك أوانى فخارية عليـها سدادات من الطين الممهور باسم سخم خت ، كما عثر على بعض الحلى الذهبية[٢] . وعثر على بعض الأوانى الحجرية التى تحمل اسم شخص يدعى إى ان خنوم وهـو موظف كبير عاش أيام جسر . وعثر على لوحة عليها قائمة بالأنسجة الكتابية باسـم

---

(١) د. ايفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمـة شاكر إبراهيم ومراجعة د. أبو المحاسـن عصفـور) ١٩٨١ ، ص ٥٥ – ٥٧ ؛د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٦٧ – ٧٦ شكل ٢٢ .

(٢) Goneim , The Buried Pyramid (1956) , p . 48 – 133 ; Id . , Horus Sekhem – Khet (1957) , p . 8-33; LA 1V, p. 1215 - 1217. وأيضا د. أحمد فخرى : الأهرامـات المصريـة ، ص ٦٧ – ٧٣ ؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونيـة ، ص ٩٦ – ٩٧ ؛ د. أنـور شـكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٩٣ ، شكل ١٢٠ .

جسرتى عنخ ، وقد كثرت الدهاليز الداخلية فبلغ طول إحداها ١٥١ مترا . ولا يـــزال سر هذا الهرم غامضا . إذ لم يهتم الكشف عن جميع محتوياتـــه [١] ، ورأى زكريـــا غنيم أن هذا البناء صمم على أن يكون هرما مكونا من سبعة درجات ، وأنه لو كـــان قد تم لبلغ ارتفاعه ٦٩ مترا .[٢]

أما عن أعمال هذا الملك فمن المحتمل أنه أرسل بعثـــة تعديـــن إلـــى وادى المغارة .

أما عن سانخت[٣] (١٦١١ – ١٦٠٣ ق.م) فكل ما نعرفه أن أسمه وجـــد مكتوبا إلى جوار جسر فى شبه جزيرة سيناء ، ويرى بعضهم أنه كـــان أخـــا أكـــبر لجسر [٤] وعثر على أسمه على بعض الأختام فى مقبرة بيت خلاف وكانت له عبادة فى عصر الأسرة السادسة والعشرين .[٥]

ولا نعرف أى شئ عن **خع با** (٢٦٠٣ – ٢٥٩٩ ق.م) سوى أنه عثر فـــى زاوية العريان شمالى الجيزة على هرم يســـمى " الـــهرم ذى الطبقـــات " أو الـــهرم المـــدرج ، وينسبـــه بعضهم إلـــى هذا الملك لأنه عثر على أسمه منقوشا على بعض

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٣) من الغريب أن بانز ومالك يضعان هذا الملك كأول ملوك الأسرة الثالثة :
Baines – Malek,op . cit ., p . 36 .
وعن هذا الملك ، راجع :. Helck, LA V, p. 375 – 376

(٤) Gardiner – Peet and Černy , The Inscription of Sinai , I (1917) , pI et 4 ; t.11 (1952-1955) p . 52 ; Weill ,la II eme et la III eme Dynastie , p . 128 ; Benedite , RT 16 (1894) , p . 104 ; Drioton – Vandier , L'Egypte (éd. 1954) , p . 197.

(٥) Erman , ZAS 38 (1900) , p . 115 ; Jaquier , RT 29 (1907) , p . 1-2 ; Drioton – Vandier , op . cit ., p . 197 .

الأوانى .[١]

أما الخامس فقد اختلفت المصادر على تسميته، فقد عثر على اسـمه فـى قائمة أبيدوس وكتب **نفركا** ، أما لوحة سقارة فتذكر اسم **نب كا** قبل حونى . وقـد رأى " شرنى Cerny " أنه من الأفضل قراءة الاسم نب كا . ويقال أنه قام بزيارة معبـد المعبود بتاح فى منف ويميل " فانديه Vandier " إلى هذا الرأى [٢] . وقد جاء اسمه على بقايا باب وهمى محفوظ فى متحف برلين . وقد ورد اسمه أيضا علـى بردية وستكار [٣]، وقد أراد نب كا أن يشيد لنفسه هرما على مقربة من هرم من سـبقه أى فى منطقة زاوية العريان ولكن العمل لم يتقدم أكثر من الانتهاء من الجـزء الأسـفل المحفور فى الصخر تحت الأرض ولهذا يسمى " الهرم النـاقص " وفيـه التـابوت المنحوت من الجرانيت .[٤]

أما **حونى** حكم حوالى ٢٩ عامـا طبقـا لمـانيتون [٥] (٢٥٩٩ – ٢٥٧٥

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ شكل ١٢١ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصـر الخـالدة ، ص ١٧١ ؛ د. أحمـد فخـرى : مصـر الفرعونية ، ص ٩٧ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصريـة ، ص ٧٦ – ٨٢ شكل ٢٦ ؛ LA 1V, p. 1217 – 1218

(٢) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p . 197 ; Dodson , DE3 (1985) , p . 21-24 ; Černy , MDIAK 16 (1958) , p . 25 – 29 ؛ وعن هذا الملك ، راجع : Helck, LA 1V, p. 365

(٣) Drioton – Vandier , op . cit . , p . 197 .

(٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ – ٣٠٥ ، شـكل ١٢٦ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٩٧ ؛ المؤلف نفسـه : الأهرامـات المصرية ، ص ٨٤ – ٩٠ شكل ٢٧ – ٣٠ ؛ LA 1V, p. 1218 –1219

(٥) Gauthier , op . cit ., p . 48 (2) n . (3) .

وعن هذا الملك ، راجع : Helck, LA 111, p. 85 – 86

ق.م) آخر ملوك الأسرة ، فقد عثر على هرمه فى ميدوم جنوبى سقارة بنحو ٥٠ كيلو مترا ، وقد تزوج من مرس عنخ الأولى[١]، وجاء اسمه فى بردية تورين وعلى لوّحة سقارة ، وطبقا لبردية تورين نجد أنه حكم حوالى ٢٤ عاما وذكر مانيتون انه حكم ٢٦ عاما [٢] ، ويبلغ ارتفاع هرمه فى ميدوم ٩٢ مترا وطول ضلعه ١٤٤ مترا وزاويته ٥١ وكان يحيط بالهرم سور سميك يضم معبده الجنائزى الذى يقع فى منتصف الجانب الشرقى للهرم تجاه شروق الشمس ويخرج من المعبد طريق صاعد غير مسقوف .[٣]

ولكنه توفى دون أن يتمه فأتمه الملك سنفرو بعد ذلك ، وربما كان هذا هو السبب فى ارتباط اسم سنفرو بذلك الهرم والذى كان يطلق عليه Dd SnFrw " فليبق سنفرو "[٤]، والذى جعل كثيرا من المصريين القدماء فى عصر الدولة الحديثة ينسبون هذا الهرم إلى سنفرو فى كتاباتهم التى دونها على أحجاره عندما كانوا يأتون لزيارة منطقة الهرم [٥] ، وقد جاء على بردية " بريس Prisse " التى هى عبارة عن تعليمات موجهة إلى الوزير كايجمنى أن الملك حونى قد توفى وتبعه سنفرو .[٦]

---

(١) Simpson, LA 1V, p. 78 .

(٢) Id . , op . cit . , p 57 (9) n . (5-6) .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ، شكل ١٢٢ ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ شكل ١٢٤ ؛ وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٠ ؛ Edwards , JEA 60 , (1970) , p . 251 – 252; Wildung, LA 1V, p. 9 – 13 ; Stadelmann, op. cit., p. 1219 – 1221 .

(٤) Helck, LA V, p. 5 ; Wildung, LA 1V, p. 10 .

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٩٨ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ٩٨ – ١٠٧ ، شكل ٣٣ ، ٣٦ – ٣٨ .

(٦) Jequier , le Papyrus Prisse et ses Variantes (1911) , p . 12 ; Drioton – Vandier , op . cit . , p . 196 (III) .

ومن أهم الشخصيات فى الأسرة الثالثة ، حسى رع الذى كان من كبار أصحاب المناصب وكان يحمل لقب " رئيس كتبة الملك " وقد ترك لنا لوحات خشبية كشف عنها فى مقبرة فى سقارة [١] ، وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى فى حالة جيدة . ويبلغ ارتفاعها ١,٣٤ متر وعرضها ٤٠ سم وسمكها ٨ سم وهى تحمل رقم ٢٨٥٠٤ . وقد عثر عليها ماريت فى المصطبة رقم A3 فى سقارة . وكانت هذه اللوحات الخشبية تشبه المشكاوات السبع فى المقبرة . ونقش عليها بالحفر الغائر نقش يمثل صاحب المقبرة فى أوضاع مختلفة تبرز جمال الرجولة وصرامتها .

وهناك أيضا رسم جميل يمثل ستائر الحصير على جدران مقبرته .[٢]

ومن الشخصيات أيضا الأمير الوراثى نجم عنخ [٣] ، و خع باوسكر [٤] الذى كشف عن مقبرته فى سقارة .

الأسرة الرابعة (٢٦٨٠ – ٢٥٦٠ ق.م)[٥] :

قد يبدو لبعض دارسى تاريخ مصر القديم أن الأسرة الرابعة التى تبدأ بحكم

---

(١) Quibell , The Tomb of Hesy in Saqqara (1911-1912) p . 26 pl . 29 ; Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p. 160 , fig . 42 ; PM III , 99 – 100 ; وأيضا د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٣ شكل ١٤٩ ، ص ٤٥٧ Saleh – Sourouzian , op . cit ., no . 21 ...

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، صورة ٥٨ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٤) Murry , The Tomob of Kha- Bau – Seker II (1937) , p . 11 (13) ; PM III , p . 100 ؛ وأيضا د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦١ ، شكل ١٥٠ .

(٥) لهذا التاريخ راجع : Baines – Malek , op . cit . , p . 36 . يعطى بكرات كتاريخ لهذه الأسرة ٢٦٣٠ أو ٢٥٧٥ إلى ٢٥٠٥ أو ٢٤٦٠ ق. م، راجع : Beckerath, LA I, p. 970

الملك سنفرو خليفة حونى ، من أكثر الأسرات المعروفة فى مصر القديمة ، فهى فى الواقع أسرة بناة الأهرام الكبرى ، ولكن الحقيقة غير ذلك فليس لدينا إلا الشىء القليل عن تاريخ هذه الأسرة ، والملك الذى لدينا معلومات أكثر عن عهده ، هو الملك سنفرو مؤسس الأسرة أما عن بقية الملوك فلا نعلم عنهم الشىء الكثير ، سوى نشاطهم المعمارى .

ويبدأ مانيتون هذه الأسرة بملك سماه " سوريس Soris " وغالبا ما يكون سنفرو ، ويبلغ عدد ملوك الأسرة طبقا للقوائم الملكية والمصادر الأخرى ثمانية ملوك ، وقد اختلف العلماء فى ترتيب أسمائهم [١] وهم (مع ذكر الأسماء الحورية لبعضهم) :

١- نب ماعت (سنفرو) [٢] .

٢- مجدو (خوفو) أو (خنوم خوإف وى) .

٣- خبر (جد إف رع) .

٤- اوسرايب (خفرع) .

٥- (ديدى إف حور)[٣] .

٦- (باو إف رع) .

٧- كاخت(؟) اوكا (منكاورع) .

---

(١) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 72 ; Wolf , Das Alte Agypten , p . 231 ; Gauthier , livre des Rois I, p . 6-97 .

(٢) Gauthier , op . cit . , I p . 61 – 103 ؛ وأيضا : نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ .

(٣) لم يذكر له جوتييه اسما حوريا ، راجع : Gauthier , op . cit.,I,p.79(XXXVIII A) .

٨-شبسى خت (شبسكاف) .

سنفرو (٢٥٧٥ – ٢٥٥١ ق.م)[١] :

اعتبر هذا الملك من الملوك الكبار وقدسته الأجيال اللاحقة كأحد الملوك البارزين ، وبقايا الحوليات المكتوبة على حجر بالرمو تجعلنا نعرف الكثير من أعماله ، من بينها إرساله حملة تأديبية ضد النوبيين الذين يعيشون فيما وراء الجندل الأول ، وربما بسبب هذه الحملة عمل سنفرو على بناء عدد كبير من السفن الضخمة التى يبلغ طولها أكثر من عشرين مترا ، وتتحدث النصوص عن حملة أخرى إلى ليبيا ، أحضر منها العديد من الأسرى والماشية بما يقدر بعشرات الآلاف [٢] ، وبذلك أمن الحدود الجنوبية والغربية ويبدو أنه دخل فى علاقات ود مع الشاطئ السورى لكى يحضر من هناك أخشاب الأرز اللازمة لبناء هرمية فى منطقة دهشور أو بمعنى آخر لاستخدامها فى بعض الأجزاء الداخلية لهرمه الجنوبى فى دهشور ، والتى كانت تستخدم أيضا فى صناعة المراكب وأبواب القصور الملكية ، وقد عادت الحملة بأربعين مركب محملة بأخشاب الأرز ، وقد بقى حتى الآن كثير من كتل الأخشاب داخل هرمه المنحنى فى دهشور وما زالت أيضا فى حالة جيدة من الحفظ حتى الآن ولم يصبها أى تلف [٣] ، لأنها كانت مغطاة بطبقة من الدهان تحفظها من التسوس وعوامل البيئة .

وقد تابع الملك سياسة استغلال مناجم النحاس فى صحراء سيناء[٤] ، وقام بعمل عدة استحكامات عسكرية لتأمين حدود مصر الشرقية وأرسل بعثات التعدين إلى

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Stadelmann, LA V, p. 992 – 994

(٢) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 71 .
د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٠١ .

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٠٠ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ١٣٦ ، شكل ٥٤ .

(٤) Giveon, LA 111, p. 1136 .

سيناء وترك لنا رجاله ذكرى على صخور وادى المغارة ، وبقى اسمه خالدا حتى الدولة الوسطى ، واعتبر معبودا حاميا للمنطقة كما يدل على ذلك النقوش الموجودة هناك .[١]

وبالمتحف المصرى كتلة من الحجر الجيرى الأحمر عليها منظر يمثل سنفرو وهو يعاقب أحد البدو ، ويبلغ ارتفاع هذه الكتلة ١١٢ سم ، وعرضها ١٣٣ سم وتحمل رقم ٣٨٥٦٨ [٢] .

وبالإضافة إلى ذلك كانت منتجات مناجم الذهب التى تمتد إلى الشرق بين النيل والبحر الأحمر تحول إلى خزائن الملك ، ويذكر حجر بالرمو أيضا أنه قام بتشييد ستين مركب فى عام واحد .

ويعد هذا الملك من الملوك البناة كما يدل على ذلك الهرمين اللذين شيدهما لنفسه فى منطقى دهشور ، وقبل ذلك قام بتكملة هرم حونى فى ميدوم والذى يختلف فى شكله عن هرم جسر ، وقد شيد فى أول الأمر الهرم الجنوبى فى دهشور والمعروف باسم المنكسر الأضلاع أو المنحنى ، فقد بنى بزاوية حادة أدت إلى تغيير تصميمه فى منتصف المرحلة ، وقد شيد من الحجر الجيرى المحلى ، وكسى من الخارج بالحجر الجيرى الأبيض وقاعدة الهرم مربعة وطول كل ضلع من أضلاعها ١٨٨,٦٠ مترا وارتفاعه الأصلى ١٠٥ مترا والآن ١٠١,١٥ مترا وزاوية ميله ٥٤ درجة ، ثم تغيرت إلى ٤٣ درجة ويبدو أن تغير الزاوية هو الذى جعل الشكل هرما منكسر الأضلاع على الصورى التى نراها الآن . وكان هناك ممر يخترق الهرم ويؤدى إلى حجرة الدفن ، ويعد هذا الهرم بأنه وحده من بين أهرام مصر الذى له

---

(١) Gardiner – Peet and Černy , The Inscriptions of Sinia , I,p. 4; Urk I , p . 7 ; Breasted ARI (168) .

(٢) Saleh – Sourouzian , op . cit . , no. 24 .

مدخلان فى الواجهتين الشمالية والغربية [١] . ويقد المدخل الشمالى على ارتفاع ١١,٨٠ مترا من الأرض ، وكان الهرم يحمل اسم " خع سنفرو رسى " أى إشراق سنفرو الجنوبى "[٢] .

وفقد الكساء الخارجى ، وكان عمال محمد بك الدفتردار صهر الوالى محمد على باشا يحطمون كساء الهرم المنحنى لسنفرو فى دهشور وكذلك معبد الوادى هناك للحصول على الأحجار اللازمة لبناء قصره فى القاهرة . وأخذت أحجار أخرى من جبانات الجيزة وهليوبوليس ومنف لبناء أسوار القاهرة وبعض مساجدها وقصور حكامها ، ويقع معبد الوادى بالقرب من حافة الأرض الزراعية بناحية دهشور ثن يسير الزائر بعد ذلك فى طريق صاعد له سور من اللبن على جانبيه . وعلى إحدى أبهاء المعبد رسوم ونقوش مختلفة بعضها يمثل ضياع الملك سنفرو ، وقد رمز لها بأشكال سيدات يحملن كل واحدة منهن اسم الضيعة أو أسم الإقليم الذى توجد فيها .[٣]

وفى الجانب الشرقى معبد جنائزيا ، وهناك طريق صاعد يربط بين الهرم والمعبد ، وقد تطلب بناء كل ذلك ثمانية عشر عاما ، وقد شيد الملك هرما آخر إلى الشمال جنوبى غرب منف ، وهو من الحجر الجيرى ، ويعتبر أول بناء يتخذ شكل

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٠١ – ١٠٢ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ١٠٩ – ١٤٣ شكل ٤٢ – ٥٨ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ ؛ LA 1V, p. 1222 – 1225 .

(٢) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 141 . Gauthier , livre des Rois I , p . 62; Helck, LA V, p. 5; LA 1V, p. 1222 .

يعطينا د. عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه : اللغة المصرية القديمة ، ص ٢٥٨ – ٢٦٠ (٤) الأسماء المصرية القديمة التى أطلقت على الأهرام من الأسرة الرابعة حتى الأسرة السادسة وبعض الأسماء من الأسرة الثانية عشرة .

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١١٩ حاشية (١) ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٠ .

الهرم الحقيقى فى تاريخ العمارة المصرية القديمة ، ويبلغ طول أضلاعه من أسفل أكثر من ٢٢٠ مترا ويزيد ارتفاعه عن ٩٩ مترا ، وكان فى الأصل ١٠٤ مترا وزاوية ميله ٤٣ درجة[١] ، ويسمى هذا الهرم [٢] بالهرم الأحمر لأن الحجارة التى شيد منها تميل إلى الحمرة ، وكان يحمل أيضا اسم " خع سنفرو " أى " إشراق سنفرو "[٣] . وقد علل الأثريون اختلاف الزوايا فى الهرم الأول أنه كان نتيجة احتمال وقوع بعض التصدعات فى حجراته الداخلية ، وهذا ما يفسر وجود بعض الكتل الخشبية فى إحدى الحجرات الداخلية ، ولم يعثر على أى أثر يدل على أن الهرم قد استخدم لدفن الملك . ويعتقد د. فخرى أنه دفن فى الهرم المنحنى لأنهم أتموا جميع الأجزاء الداخلية . ومن الناحية الجنوبية شيد هرم صغير وهو الذى يطلق عليه هرم الروح أو هرم الطقوس، وربما شيد للقيام بشعائر خاصة متصلة بتقديم القرابين ، وأقاموا حول الهرم سورا كبيرا من الحجر ، وشيدوا فى الناحية الشرقية منه معبدا جنائزيا ، كما شيدوا طريقا يوصل من الناحية الشمالية من السور إلى الوادى وانحرفوا به نحو الشرق حيث شيدوا هناك معبد كبيرا [٤] ، وعلى جدرانه

---

(١) Stadelmann, LA 1V, p. 1225 – 1227 .

(٢) كان يطلق على الشكل الهرمى فى النصوص المصرية القديمة اسم " مر " وكلمة Pyramid جاءت من التسمية اليونانية Pyramis التى أطلقها اليونانيون على شكل جاتوه يصنع من الدقيق وعسل النحل ، راجع Lalouette , L'Empire des Ramsès , p . 35 . وفى كتاب بيل شول وإد بتيت : سرقوه الهرم الأكبر) ترجمة أمين سلامة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣ ، ص .٥٩ يذكران تفسيرا آخر وهو أن " كلمة Pyramid " (بمعنى هرم) مشتقة من كلمتين إغريقيتين : Pyro ومعناها " النار " وكلمة amid ومعناها " عند المركز أو فى الوسط " أى كلمة الهرم تعنى " النار أو الطاقة فى الوسط " أى وسط الكون .

(٣) Bains – Malek , Atlas of Ancient Egyt , p. 141 ; Gauṭhier , op . cit . , I, p . 60 (1); Helck, LA V, p. 5 .

(٤) Fakhry , The Monuments of Sneferou at Dahshụr I , Cairo (1950) p . 15 –23 , t . II (1961) , p . 3 – 4 ; Vandier , ==

صور الملك وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية وأهمها العيد الثلاثينى ، ونقشت مناظر تمثل أقاليم مصر وأهم الأقاليم التى كان يمتلك فيها سنفرو ضيعة ورموزا لكل إقليم بسيدة تحمل القرابين .

وأظهرت الحفائر التى قام بها د. أحمد فخرى فى معبد الوادى بين أعوام ١٩٥١ ، ١٩٥٣ بعض التماثيل المهشمة للملك سنفرو وعدد كبير من تماثيل كهنة المعبد فى عصر الدولتين القديمة والوسطى عندما كان المعبد قائما ولم تمتد إليه يد التخريب إلا فى عصر الدولة الحديثة .[١]

وتذكر النصوص اسم " مدينة مزدوجة لهرمى سنفرو " ونذكر أيضا أن المدينة كانت مركز لادارة ممتلكات هذين الهرمين .[٢]

وإلى الشرق من الهرم الشمالى انتشرت مقابر عائلة سنفرو . ومن بينهم بعض أبنائه ، ولم يتم الحفر فى المنطقة حول الهرم الشمالى حتى نستطيع القول أن كان هو الآخر معبد جنائزى إلى الشرق منه ومعبد فى الوادى [٣] ، ويقال أن منصب الوزير قد انشىء فى عهد سنفرو واتخذه نفرماعت ، واتخذ الملك نفسه لقب حورنوب أى حورس الذهبى بدلا من رع نوب .

= Manuel d'Archéologie I , p . 1-25 ؛ وأيضا د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ ، ومن الملوك من له قربان أيضا : جسر له قبران فى سقارة ، وسنوسرت الثالث واحد فى دهشور وآخر فى ابيدوس وامنمحات الثالث واحد فى هوارة وآخر فى دهشور ، راجع فى ذلك د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ حاشية (٢-٣) .

(١) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٠٢ – ١٠٣ ، ص ١٩٤ شكل ٣ : المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ١٢٤ – ١٢٥ ، شكل ٤٦ – ٤٧ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ شكل ١٢٥ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣ ؛ Vandier , Manuel d'archéologie II,p.3-27 .

ويبدو أن الفنون وخاصة فن النحت قد بلغ فى عهد سنفرو مستوى متقدما لم يسبق أن وصل إليه ، والدليل على ذلك تمثال الأمير رع حتب ونفرت إحدى سيدات البلاط الملكى [١] ، الذى يعتبر من أجمل التماثيل الحجرية الملونة وقد عثر عليه ماريت عام ١٨٧١ فى أثناء حفائره فى ميدوم .

ومن أهم الشخصيات التى عاشت فى عصره أيضا " متن " الذى كان رئيسا لكتبة التموين وتولى إدارة بعض الأقاليم والمدن الهامة ، وكافأه الملك بمساحة واسعة من الأراضى [٢] . ومن نقوش مقبرته التى نقلت بأكملها إلى متحف برلين ، ونعرف الشىء الكثير عن التنظيم الإدارى للبلاد فى ذلك العصر .[٣]

وجاء فى بردية تورين أن سنفرو حكم ٢٤ عاما ، وذكر مانيتون أنه حكم ٢٩ عاما [٤] وتزوج من إحدى الأميرات التى كانت تدعى حتب حرس[٥] والتى عثر على مقبرتها فى عام ١٩٢٥ بعثة هارفارد – بوسطون الأمريكية . وهى تقع إلى شرق الهرم الأكبر فى الجيزة ، وكانت حتب حرس مدفونة فى مقبرة فى دهشور على مقربة من هرم زوجها ، وبعد دفنها بقليل تكمن اللصوص من الوصول إلى المقبرة وحملوا معهم مومياء الملكة والأشياء الثمينة من الحلى ، وعندما اكتشف

---

(١) Petrite , Maidum (1892) , p . 17 , p . 1.9-10,Baer , Rank and title , p . 15 وأيضا : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ، وشكل ١٥١ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ شكل ٧ .. Saleh – Sourouzian ,op . cit . , no . 27

(٢) Goedicke , MDIAK 21 (1966) , p . 25- 47 ; Godecken, LA 1V, p. 118 – 120; Breasted AR I , p . 97 – 98, 170 – 175 ; PM III , p . 124 .

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٩٨ .

(٤) Gauthier , livre des Rois I , p . 60(1) n . (2-3) .

(٥) Seipel, LA 11, p. 1172 – 1173 .

حراس الجبانة حادث السرقة ، نقلوا ما بقى فى مقبرة أخرى بـــالجيزة إلـــى جـــانب الطريق الصاعد للمعبد الجنائزى للملك خوفو ، وهناك حفروا بئرا عميق وكدسوا فيـه ما بقى من محتويات المقبرة الأولى ، ولم يعثر فى مقبرة الجيزة على أى هيكل ولكـن عثر على تابوت من المرمر وضع غطاؤه فوق صندوقـــه ولا يملـك المشـاهد إلا الإعجاب عندما يقف فى القاعة التى وضعت فيها محتويات مقبرة الملكة حتب حـرس فى المتحف المصرى ، ويرى فى هذه القاعة الحلى الخاصة بها وسريرها المصفـــح بالذهب وكرسيها الكبير وخيمتها المتنقلة ذات الأعمدة الخشبية والمصفحـــة بـالذهب والأحجار الكريمة ويرى كذلك أدوات زينتها من الذهب والأحجار الثمينـــة وكذلـك محفتها والأوانى الذهبية .[١]

وعلى الرغم من أنه لم يمض على اتحاد القطرين إلا فترة تقدر بنحو ســـتة قرون فقط ، إلا أن مصر حتى ذلك الوقت قد قطعت مرحلة طويلة فى مجال التقـــدم الحضارى وكان شعبها أكثر الشعوب تنظيما وتقدما ، وتحت حكم الملـــك حونـــى أو سنفرو كان يعيش الوزير كايجمنى ، وقد توجهت إليه مجموعة من الحكم والتعـــاليم التى أصبحت من أهم قطع الأدب المصرى القديم .

وقد حررت هذه البردية فى عصر الأسرة الثانية عشرة ولكن كاتبها نســـبها إلى أيام الدولة القديمة ، وربط بينها وبين اسم الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعـــة والذى قدس فى عصر الأسرة الثانية عشرة .

---

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٠٤ – ١٠٥ ؛ وأيضـا : – Saleh Sourouzian , Official Catalouge : The Egyptian Museum Cairo , no . 29-30 .

وأنظر أيضا فيما بعد ص ٥٣٥ حاشية (٢) .

ويقال أن الذى كتب هذه التعاليم هو والد كايجمنى ويدعـــى " كـارس "(١) الذى ذكر اسمه على بردية شستربيتى رقم ٤ ، وهذه التعاليم موجهة لأولاده ، وعلى الأخص لولده الأكبر كايجمنى وهو يقول : " بعد أن تدخل بعمق فى أعمال الرجـال ، استدعى أولاده وقد جاءوا متسائلين (لماذا استدعاهم) وعندئذ قال لهم : استمعوا إلى كل ما كتب فى هذا الكتاب ، كما لو كان شخصى هو الذى يتحدث إليكم ، وعلى ذلك التف أولاده من حوله و قرءوا الحكم المكتوبة ، وكانت فى رأيهم أنها أكثر جمالا من أى شئ آخر فى البلاد "(٢) .

ويتناول فيها بعض الملاحظات فى آداب السلوك العامة الذى يجـب اتباعـه ونبذه وحدثه عن طريقة الأكل بنظافة وتجنب الإسراع فى تناول الأطعمـة أو نقدهـا وعدم التفاخر بالقوة الجسمانية . ولم تصل ألينا مثل هذه الحكم السليمة ولكنها فقـدت

---

(١) هذه التعاليم موجهة إلى الوزير كايجمنى الذى كان يخـدم الملـك حونـى وسنفرو ، وتحتل هذه التعاليم الصفحات الأولى من بردية بريـس Prisse وبعدها تأتى تعاليم بتاح حتب ، راجع :
Lichtheim , Ancient Egyptian literature , Calfornia (1973) p. 6,p . 50 ; Bresciani , Litteratura E Poeia dell Antico Egitto , Torino (1969) , p . 30 (1) ; Simpson , . Literature of Ancient Egypt, New – Haven (1972), p. 17 ; Daumas , op . cit . , p . 163 et 606; Helck, LA 111, p. 980 - 982 .
د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .
وكايجمنى الذى عاش فى عصر الملك حونـى أو سـنفرو يختلـف عـن كايجمنى الشهير الذى كان طفلا فى عهد الملك اسيسى وأصبح موظفا فـى عهد ونيس ثم وزيرا فى عصر الملك تيتى فى الأسرة السادسة ، راجـع :
د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٤٥ ، ٢٧٦ ؛ PM III , p . 135 – 138 .

(٢) Lichtheim , op . cit . , p. 59 – 61 ; Simpson op . cit ., p 127 ; Bresciani , op . cit . , 30 – 32;Gunn , The Instruction of Ptahotep and the Instruction of Kagemni , London (1909) .

بسبب تمزق البرديات التى كتبت عليها ، ونذكر منها اثنتين :

- " إذا جلست (للأكل) مع أشخاص كثيرين ، فلا تقبل كثيرا على الطعام ولو كنت تشتهيه ، ولن تحتاج إلا لحظة قصيرة لتسيطر على نفسك فإنه من المخجل أن يكون الإنسان شرها ... إن كوبا من الماء يروى الظمأ وإذا ملأ الإنسان فمه ... فإن ذلك يقوى القلب . وكما يحل الشيء (المقبول) محل شيء طيب آخر فإن القليل يقوم مقام الكثير . ما اتعس الرجل الذى يكون نهما من آجل بطنه " .
- " وإذا جلست (للأكل) مع شخص نهم فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من طعامه " ويقول أيضا :
- " لا تتفاخر بقوتك بين أقارنك فى السن ، وكن على حذر من كل إنسان حتى من نفسك ، إن الإنسان لا يدرى ماذا سصيحدث ما الذى سيفعله المعبود عندما ينزل عقابه " .
- " كل البيوت تفتح أبوابها لغير المتكبرين ، ولصاحب اللسان المتواضع توجد حجرات عديدة ، وهناك سيف حاد يوقف من يرغب فى أن يظهر أهميته [١] " .

وقد عرف الملك سنفرو فى الروايات الأدبية الملاحقة على أنه " ملك طيب وخير ومتحرر وراع " وتظهره النصوص الأدبية وهو يتصرف ببساطة مع الآخرين من حوله ويناديهم بلفظ " أخى " و" صديقى " . فقد جاء فى التعاليم الموجهة إلى كايجمنى أو سنفرو كان يلقب بلقب الملك الخير فى كل البلاد[٢] .

وجاء أيضا فى بردية وستكار الموجود الآن فى متحف برلين [٣] وترجع

---

(١) Lichtheim , op . cit ., p . 30 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٣ .

(٣) بردية وستكار نسبة إلى جامع الآثار الإنجليزى هنرى وستكار (١٧٩٨ – ١٨٦٨) وقد أحضرتها الآنسة وستكار من مصر وسلمتها إلى لبسيوس حينما كان مقيما بإنجلترا عام ١٨٣٨ – ١٨٣٩ ، ثم أودعت بمتحف برلين بعد وفاة لبسيوس، راجع : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، ص ١٩١؛ وأيضا : Simpson, LA 1V, p. 744 – 746

إلى عصر الأسرة الثانية عشرة (أو إلى عصر الهكسوس) إن هناك قصة حدقـت في عهد الملك سنفرو ، وقصها أحد أبناء خوفو ، بـاواف رع ، وقـال " أن الملـك سنفرو كان يجوب حجرات القصر بحثا عن تسلية يسرى بها عن قلبه .

وقال اذهبوا واحضروا الكاهن المرتل جاجا ام عنخ ، فأقترح عليه الكـاهن الذهاب إلى بحيرة القصر ، وبتجهيز مركب فيه بعض الحور الجميلات وسوف يسـر قلبه ، فأمر الملك بتنفيذ ذلك وتم إعداد المركب بعشرين مجدافا من الأبنوس المغطـى بالذهب وأخذت الحوريات فى الغناء والطرب وحدث أ، سقطت حليه إحداهـن فـى الماء فسكتت عن الغناء ، وهنا استدعى الملك كبير الكهنة المرتلين وقال له جاجـا أم عنخ يا أخى حدث كذا وكذا ، فاستجاب الكاهن لطلب مولاه ، واستعان بسحره فطوى ماء البحيرة على جانب حتى أمكن رؤية الحلية المفقودة التى كانت على شكل سمكة ، وتم استخراجها وردت إلى صاحبتها [١] . وما يهمنا هو هنا مخاطبة الملـك للكـاهن بقوله " يا أخى " .

والبردية الثالثة التى تحدث عن ذكرى سنفرو هـى أسـطورة أو تنبـؤات نفرتى وهو موجـودة علـى برديـة محفوظـة الآن فـى متحـف لينجـراد [٢] ، ويرجع تاريخها إلى أيام امتحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشـرة[٣] . وتقـص

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـى القديـم ، الجـزء الأول : مصـر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٦: Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 270 ; Gunn , JEA12 (1926) , p . 250 – 251 ; lefebvre , Romans et Contes Egyptiens , Paris (1949) , p . 79 ; Derchain , Snefrou et les Rameuses , in RdE 21 (1969) , p . 19-25 .

(٢) معروفة باسم بردية بطرسبرج رقم ١١١٦ ب ، راجـع :د. عبـد العزيـز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ حاشية (٥) ؛ ألفة نخبة من العلمـاء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٠ حاشية (١) .

(٣) Lefebvre, op. cit ., p . 97; Blumenthal, LA 1V, p. 380-381 .

علينا أن الملك الفاضل سنفرو قد استدعى أهل بلاطه وقال لهم " يا أخوانى لقد أموت بطلبكم لتبحثوا لى عن ابن من أبنائكم يجيد الفهم ، وقالوا له يوجد كاهل مرتل للمعبودة باستت حاذق الأنامل وماهر فقال اذهبوا وآتونى به ، وعندما حضر قال له الملك : تعال يا نفرتى يا صديقى وحدثنى ببعض كلمات جميلة حين اسمعها أجد فيها تسلية ، فقال الكاهن : هل ستكون الكلمات عن الأمور التى حدثت أو عما سيحدث فقال الملك : لا مما سيحدث ... ومد الملك يده إلى صندوق الكتابة ليسجل ما يتحدث به الكاهن المرتل "[1]

خلفاء سنفرو :

للأسف الشديد نحن لا نعلم أى شئ بالتفصيل عن خلفاء سنفرو ، فليس لدينا أية معلومات عن خوفو ، وخفرع ومنكاورع الثلاثة البناة للآثار الأكثر شهرة فى عمارة الحضارة المصرية ، الأهرام الكبرى ، فالمعلومات التى لدينا هى أقل بالنسبة للوثائق التى نملكها عن سابقيهم على الرغم من شهرتهم فى التاريخ ، وقد أظهر المؤرخون اليونانيون وبعض الكتاب المعاصرين ، هؤلاء الملوك بمظهر المتجبرين ، وإنهم أنهكوا قوى الشعب المصرى القديم تحت نير العبودية والاستقلال . ولكن يرى عالم المصريات " بوزنر – Posener" أن هذا الادعاء يرجع إلى الأدب ذى الاتجاه المضاد للملكية ، ذاك الأدب الذى انتشر فى مصر خلال العصر الوسيط الأول ، ومن ناحية أخرى نجد الطقوس الجنائزية التى كانت تؤدى لهؤلاء الملوك قد استمرت فى مصر القديمة حتى عصر متأخر ، وهذا بالطبع يتنافى مع السمعة بأن هؤلاء الملوك كانوا مكروهين [2] أو قساة أو متكبرين .

خوفو (٢٥٥١ – ٢٥١٨ ق.م) :

ارتقى العرش بعد سنفرو ، وكان ابنا له من زوجته حتب حرس ، وطبقا

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٣٦ ؛ وأيضا :
Lefebvre , op . cit . , p . 98 .

(٢) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 60 – 61 .

للنصوص التى وصلت إلينا فقد كان خوفو رجلا تقيا فيما يخص الديانة وكان يميل إلى ديانة معبود الشمس رع – ربما – على حساب المعبودات الأخرى لأن مانيتون يقول عنه : " أنه كان متكبرا تجاه المعبودات ، ولكنه على الرغم من ذلك كتب كتابا مقدسا ، اعتبره المصريون من أهم الأعمال " (١) .

ويذكر هيرودوت الذى زار مصر فى حوالى عام ٤٤٨ ق.م : أنه قد اغلق كل المعابد وحرم على المصريين تقديم قرابينهم (٢) ، ولكن ربما كان كل ذلك تفسيرا خاطئا لبعض الأوضاع التى أراد أن يطبقها خوفو بالنسبة لمقاصير القربان فى مصاطب كبار الشخصيات . ولكن كما أن ذكراه قد خلدت على مدى الأجيال اللاحقة ، وعبادة روحه قد استمرت أكثر من ألفى عام فيما بعد(٣) ، فانه يبدو أن عدم التسامح الدينى قد جاء نتيجة لحرصه الشديد على الطقوس وليس نتيجة لتعصب أو كبرياء ، ومن أهم أعماله هو تشييده لهرمه الشهير الذى شرع فيه فى بداية حكمه الذى كان يعد بالأمس واحد من عجائب الدنيا السبع ولكنه يعد اليوم عجيبة العجائب لأن جميعها قد زالت واختفت معظم معالمها وبقى وحده شامخا فى مكانه .(٤)

---

(١) Id ., op . cit ., p . 61; Beckerath, LA I, p. 932- 933 .

(٢) Herodote – Thucydide , Oeuvres Completes , Texte presenté traduit par A.Barguet , Paris 1964 , p . 192-193 .

(٣) ذكر اسمه على العديد من الآثار ، راجع : Gauthier , livre des Rois I , p . 72- 83 .

(٤) الذى كان يعتبر من أهم عجائب الدنيا السبع القديمة إلى جانب حدائق بابل وتمثال كبير معبودات اليونان (زيوس) فى آثينا وضريح الملك مرزولوس وزوجته ارتميزيا فى هاليكارنس بآسيا الصغرى (الموزيليوم) ومعبد ارتميس معبودة الصيد عند اليونانيين أو كما يسمى (ديانا) وكان مشيدا فى مدينة افيسوس على بعد ٦٠ كيلو من مدينة أزمير ، وتمثال هليوس معبود الشمس فى جزيرة رودس وكان مصنوعا من البرونز بارتفاع يزيد على==

وكان أول شاغل لكل ملك فى بداية حكمه وعند صعوده على العرش هـــو إعداد مقبرته ومتاعه الجنائزى ، وقد اختار الملك خوفو هضبة الجيزة لبناء هرمـــه

=الثلاثين مترا ليرشد السفن إلى ميناء الجزيرة ، وآخر هذه العجـــائب السبع منارة الإسكندرية ، أنظر : د. أبو المحاسن عصفور : معالم تـــاريخ الشـــرق الأدنى القديم ، ص ١٠٨ حاشية (١) ؛ د. احمد فخرى : مصر الفرعونيـــة ، ص ١٠٨ حاشية (١) . وبالنسبة لمنارة الإسكندرية فنعرف أن الذى شيدها هو المهندس المعمارى سوستراتوس من جزيرة كيندوس وقد بدأها فـــى عصـــر الملك بطلميوس الأول وتم افتتاحها فى عصر بطلميوس الثانى (حوالى عـــام ٢٨٥ ق.م) واستخدم فيها الحجر الجيرى والرخام والجرانيت وكانت مكونـــة من ثلاثة طوابق يبلغ ارتفاعها ١٢٠ مترا . وشيد الطابق الأول علـــى شـــكل مربع وكان يحتوى على ٣٠٠ حجرة استخدمت كمخازن للمعـــدات ومســـاكن للعمال . ويبلغ ارتفاعه ٦٠ مترا . والثانى له شكل مستدير قام على عدة أعمدة من الجرانيت وتعلوها قبة وتحتها كل يوجد مرآة كبيرة مقعـــرة تقـــاد أمامـــها النيران ويصل ضوئها المنعكس على بعد ١٠٠ ميل ويبلغ ارتفاع هذا الجـــزء ١٥ مترا . وكان يعلو هذه القبة تمثال للمعبود " بوزيدون " إله البحار ويبلـــغ ارتفاع القبة والتمثال معا ١٥ مترا . وظلت المنارة مســـتخدمة حتـــى الفتـــح العربى عام ٦٤٢ م . ولكنها تعرضت لكارثتين : أولهما حدثـــت عـــام ٧٠٠ عندما سقط الجزء الذى يحتوى على المرأة فى البحر . وفد فـــهد أحمـــد بـــن طولون عام ٨٨٠ م تعرض الطابق الثانى للهدم بدعوى أنه كان يوجـــد كـــنز للاسكندر الأكبر تحت القبة ولكن حدثت عملية ترميم لهذا الجزء عام ٩٨٠ م . زار أبو الحجاج الأندلسى بقايا هذا الجزء واخذ أبعـــاده بدقـــة متناهيـــة عـــام ١١٦٦ م . وحدثت الكارثة الثانية فى ٨ أغسطس عام ١٣٠٣ م عندما تعـــوض ما بقى من المنارة لزلزال قوى أدى إلى سقوط بقية أجزائها وسجل تاريخ هـــدم المنارة فى سجل كنيسة فى مونبليه . وقام بوصف هذه البقايا المعماريـــة ابـــن بطوطه فى ابريل عام ١٣٢٦ . وفى عام ١٤٨٠ شيد السلطان قايتباى قلعة =

فوق مربع طول ضلعه ٢٣٠ مترا فى الأصل وحاليا ٢٢٧ مترا ، ومجموع مساحته تبلغ حوالى ٥٤ ألف متر مربع ، وعلى هذه القاعدة شيد الهرم الذى بلغ ارتفاعه الأصلى ١٤٦ مترا ، ويبلغ ارتفاعه اليوم ١٣٧ مترا فقط واستخدم بناته مليونين وثلثمائة من كتل الأحجار الجيرية ويشمل ذلك أحجار الكساء الخارجى ، وفى الطبقات السفلى من البناء نجد أن أغلب الكتل تزن حوالى طنين أو اكثر ، وتم نقل بعض هذه الكتل عبر النيل من المحاجر التى تقع على الجانب الشرقى من طره ، وذلك فى فترة الفيضانات عندما يصبح الوادى شبه بحيرة ، ثم تنقل على زحافات على الهضبة وتوضع فى أكوام متراصة لاستخدامها فى البناء استخدمت فى عملية البناء ستة ملايين طن من الحاجرة .

== مكان المنارة . وتم استخدام ما بقى من المنارة من قطع حجرية من الجرانيت فى بناء البرج الرئيسى للقلعة مستخدمين فى ذلك اساسات المنارة القديمة اعتقادا منهم أنها بنيت منذ آلاف السنين لذلك تعد أصلح أساسات للبرج الرئيسى لهذه القلعة . كما استخدمت بعض الأعمدة الجرانيتية فى صلب بناء جدران هذا البرج ويمكن مشاهدتها بالعين المجردة وكذلك فى بوابة القلعة . وكانت أبعاد الطابق الأول للمنارة الأصلية تبلغ ٣٠ × ٣٠ وهذا ما يتفق تماما مع أضلاع البرج الرئيسى للقلعة ، راجع :

A. Bernand , Alexandrie la Grande , Hachette (Paris) 1996 , p . 103 – 111 ; Sur le Phare en general cf. la Bibl., p . 340 – 341 ; Breccia , Alexandrea and Aegyptum , Bergamo , 1922 , p . 107 – 110 .

مرجع أمدنا به د. فوزى الفخرانى Riad , Alexandrie , Guide archéologique de la ville , p . 19 – 22 Fig . 2

د. هنرى رياض : فى تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور ، محافظة الإسكندرية ١٩٦٣ ، ص ١٣٦ – ١٣٩ .

ونقرأ هنا وهناك عن قسوة الملوك ، وإجبارهم أفراد الشعب الذين سخروا للعمل تحت نير السوط لتشييد الأهرام [١] ، ولكن كل من يقرأ المزيد عن الحضارة المصرية القديمة سوف يوقن تماما أنهم كانوا أكثر إنسانية وأكثر احتراما للحياة الإنسانية من أى بلد آخر فى الشرق الأدنى القديم ، وفى كل البلاد التى وجدت فيها قسوة ينعكس ذلك فى رسوماتها ونقوشها ، ولكن فى مصر القديمة لا نجد أى أثر لتلك القسوة ، فكل شئ مصور بطريقة ملائمة ومناسبة – بل ومحببة .

يمثل بناء الأهرام قمة ما وصل إليه الإنسان المصرى القديم من فكر صائب ، ولا يمكن أن يكون هذا الإنجاز المعمارى الفريد والدقة المتناهية فى البناء ، قد تم بالسخرة ، ولكنه عمل جماعى فنى وثقافى [٢] ، ولا مكان فيه للمعبودات والاضطهاد ، فالسخرة ، لا تبنى أهراما ولا تحقق المعجزات بهذه الصورة المتكاملة مجموعة من عوامل تتمثل فيما يأتى :

- محاولة إبراز الولاء للملك فى شكل عمل معمارى ضخم محسوس .
- وضع خطة هندسية محكمة التصميم لأبد وانه تم اختيارها .. من بين خطط أخرى عديدة درست بعناية .
- تنفيذ هذه الخطة عن طريق إنشاء أجهزة فنية وإدارية وتوفير الأيدى العاملة الماهرة ، ومكافأتها على ذلك ورعايتها وتوفير أسباب الأمن لها وتحقيق العدالة الاجتماعية لها .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١١٢ – ١١٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٥ – ١١١ .

(٢) ويذكر د. سليمان حزين فى مؤلفه " مستقبل الثقافة فى مصر العربية ، دار الشروق ، ص ٢٤ " أن بناة الهرم الأكبر وأمثاله من أثار هذا الشعب الخالد إنما كان من عمل مهندسين وفنانين وعمال يفهمون حقا ما يفعلون . ويحبون حقا ما يفعلون ... كانوا جميعا أهل ثقافة ، وكان عملهم عملا فنيا وثقافيا قبل أن يكون مشروعا إنشائيا عاديا "

- إتقان إخراج هذا العمل الضخم بصورته النهائية التى تتحدى القرون وليس الأعوام ، وتتحدى أيضا عوامل الزمن التى لم تؤثر فى شموخها وعظمتها كعمل جماعى متكامل يدل على ذكاء الإنسان المصرى .

ولا يمكن أن يحدث هذا كله فى ظل نظام يدعى البعض أنه استخدام " السخرة " أو إجبار الفلاحين والعمال المصريين على العمل لأن الإنسان المجبر لا يمكنه أن ينجز عملا رائعا وإذا أنجزه فإنه لا يمكن أن يخرجه بمثل هذه الدقة والإتقان (١) . لقد حقق المصرى القديم هذه المعجزة المعمارية بابسط الوسائل لقطع الأحجار وصقلها ورفعها لأن " البكرة " لم تكن معروفة فى مصر قبل العصر الرومانى (٢) .

ولا يمكن آن يتم مثل هذا العمل المعمارى الضخم بكل الكمال والجلال والعظمة بغير حب ، هذا الحب والتفانى تشعر به . ويحدثك ببديع صنع الصانعين الذين أعطوا الحجر الحب فأصبح ناطقا بالحياة لأنهم أعطوه حياتهم وقبسا من عشقهم ، وكل حبهم وصاروا مبدعين ، فالحرفيون خلدوا حرفتهم فى هذا البناء .

وإذا وضعنا كل هذه العوامل فى الاعتبار فمن السهل علينا أن نفهم أنه خلال ثلاثة أشهر من فصا الفيضان السنوى ، لا يستطيع المزارع المصرى القديم أن يعمل فى الحقل ، وفى أثناء هذه الفترة أيضا ، كانت هناك أعداد كبيرة من العمال يمكن استخدامهم فى البناء دون أن يؤثر ذلك على رخاء البلاد واقتصادهم ، فهناك فى الواقع ، التقارير المسجلة التى تدل على أنه كان يستخدم للعمل مئات الآلاف من العمال كل عام خلال الثلاثة الشهور هذه ، وقد انتهى من العمل فى بناء الهرم بعد

---

(١) فى الفصل رقم ١٢٥ من كتاب الموتى الخاص باعترافات المتوفى ، يقرر المتوفى فى الفقرة رقم ٦ " أنا لم أجبر الناس على عمل (ما هو)فوق طاقتهم فى أى يوم " راجع بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٤٨٤ حاشية (٥٣) .

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ص ١٨ .

عشرين عاما ، ويذكر هيرودوت أن الهرم الأكبر بنى أولا على هيئة سلالم أى مدرجات وأن الحجار الأخرى رفعت بواسطة آلات من ألواح خشبية قصيرة [١] . وذكر أيضا أن مائة ألف عامل عملوا باستمرار فى بنائه ، وأن الهرم شيد فى عشرين سنة بينما تحتاج بناء وتمهيد الطريق الصاعد إلى عشر سنين .[٢]

ويذكر هيرودوت : (11, 124 – 125)

" جلس على العرش خيبوس الذى انغمس فى جميع وسائل الشرور ، فأغلق المعابد ومنع المصريين من تقديم القرابين فارضا عليهم جميعا فردا أن يكودا من العمل من أجله ، واكن يفرض على بعضهم جر كتل من الأحجار من المحاجر فى سلسة تلال الصحراء الشرقية حتى شاطئ النيل .. وكان يقوم بهذا العمل بصفة مستمرة مائة ألف شخص يعملون لمدة ثلاثة أشهر ثم يحل مكانهم غيرهم ، وقد احتاج بناء الطريق الصاعد الذى استخدموه فى نقل الأحجار إلى عشرة أعوام من ظلم الناس ، وهم عمل لا يقل فى رأى عن بناء الهرم نفسه ، وقد استغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما " .

واستمر قائلا :" هناك نقش على جداران الهرم كتب بالمصرية كميات الفجل والبصل والثوم التى استهلكها العمال الذين شيدوه ، واذكر جيدا أن المترجم الذى قرأ له هذه الكتابة قال : أن المال الذى صرف فى هذا السبيل كان ١٥٠٠ تالنت

---

(١) عن التشابه بين هذه الألواح الخشبية التى ذكرها هيرودوت وفعل " يرفع إلى أعلى " (wt̲s / t̲sy)راجع : الدراسة التى قام بها حديثا : , Deaton DE (1989), p . 5-7 .

وعن استخدام الحبال فى بناء الهرم الأكبر ، راجع :

Hansen , Akten , Munchen 1985 , p . 45- 52 .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣١٦ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٧٦ .

وزنة من الفضة [١] .

ويبدو أن هيرودوت قد اصطحب معه فى جولته أحد التراجمة المصريين الذى كان يجيد الحديث باليونانية ولكن لا نعرف مدى ثقافته أو معلوماته .

وكان الحجر الجيرى يسوى بأزاميل من نحاس يطرق عليها بمداق من الخشب السميك ، وإذا كان الحجر الجيرى شديدا فقد كان يستعان فى صقله بمصاقل من حرج شديد الصلابة من الظران (الصوان) أو بأدوات من الحديد أيضا [٢] ، وكانت الأحجار الصلبة تسوى بسحقها بكرات من الكوارتزيت وتصقل بمصاقل من حجر الجرانيت أو البازلت أو الكوارتزيت .[٣]

وكانت هذه الكتل ترفع بعد صقلها على زحافات بطول منحدرات ملتوية ، شيدت مؤقتا من الطوب المجفف على الأوجه الأربعة الخارجية للهرم .[٤]

ويذكر ديودور الصقلى الذى زار مصر فى عام ٥٩ ق.م . أن بناة الهرم كان يتم فإقامته تلال من التراب ، ويبدوا أن المقصود من ذلك هى الجسور التى كانت تنقل عليها الأحجار ، وكان وضع العقل يساعد فى إنزال الأحجار من الزلاقات وفى تحريكها إلى الأماكن التى يراد وضعها فيها ، وتدل على ذلك نقر صغيرة فى الأحجار الكبيرة كانت تعد لتستقر فيها أطراف العقل[٥] ، وكانت كل كتلة تستلزم بدون شك مجهود ثلاثين عاملا ، وإذا كان يوضع بمعدل ١٢٠٠ كتلة فى اليوم ، لذا

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٧ – ١٩٨ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .
Guides Bleus : Egypte , p . 159 ; Herodote – Thucydide , op . cit ., p . 193-194 .

(٢) د.أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٣) د.أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ شكل ٨٦ .

(٥) المرجع السابق ص ٣١٧ .

فإن العمل كان يحتاج إلى ٣٦ ألف عامل يوميا لكل واجهة من الأوجه الأربعة للهرم ، أى للأوجه كلها يحتاج العمل إلى حوالى ١٤٤ ألف عامل .

وإذا صدقنا هذه الأعداد من العمال فكان من الواجب وضع حوالى ١٢٠٠ كتلة كل يوم .

وربما كان هناك ما بين ١٨ ، ٢٠ منحدرا ملتويا على كل واجهة ، وكان يتناوب العمل حوالى ٣ مجموعة تلى إحداهما الأخرى على الممر المنحدر وكانت كل كتلة توضع على زحافة أو زلاقة من الخشب ذات جذوع متحركة من تحتها سهلة الشد أو الجذب ، وذلك بسبب صب الماء أمامها مما يساعد على عملية الدفع و الجذب [١] ، وكان قطع الكتل مستمرا طوال العام ، وكان يستخدم فى كل فصل حوالى ١٠٠ ألف كتلة ، لذلك كان لابد من استخراج ٢١٠٠ كتلة فى الأسبوع أى حوالى ٣٠٠ كتلة كل يوم ، وهو ما كان يقوم به المئات من عمال المحاجر أيضا .

ويبدو أن الهرم كان يبنى من نواة وسطى تتضمن الغرف الداخلية ، تضاف إليها فى جوانبها الأربعة إضافات جانبية تميل بزاوية قدرها ٧٠ درجة ويعتقد أيضا أنه كان يتم بناء الدهاليز والحجرات الداخلية قبل بناء المداميك التى تحيد بها ، وأن التابوت والمتاريس التى تسد حجرة الدفن كانت تأخذ مكانها قبل أن يتم بناء جدران الأماكن التى كانت توضع فيها .[٢]

وتظهر براعة النحات المصرى والبناء كذلك فى بناء الممرات الداخلية والحجرات الداخلية التى تدل على قدرة وحسن تصرف لا يمكن قياسه لأن تلك الكتل موضوعه وملصقة بطريقة غاية فى الإتقان والبراعة .[٣]

---

(١) عثر بالقرب من هرم سنوسرت الثانى فى اللاهون وهرم سنوسرت الثالث فى دهشور على ما يدل على استخدام هذه الزلاقات ، راجع : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٥ – ٤٦ شكل (٤) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٤- ٣١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٢- ٣٢٠ .

وقد بلغت دقة القياس فى البناء أقصى حد فى هذا الهرم ولا سيما تحقيق النسب فى تخطيط الدهليز العظيم الذى يؤدى إلى حجرة الدفن .[١]

ويعتقد علماء الآثار أن التصميم الأول للهرم كان أصغر من ذلك ، فقد بدأ البناء بحفرة دفن تحت الهرم ، ثم عدل عن ذلك وشيدت حجرة أخرى تسمى حاليا حجرة الملكة ذات سقف جمالونى يبلغ ارتفاعها ١٥ مترا ، وفى كل من حائطها الشمالى والجنوبى فتحة توصل كل منها إلى مسلكين غير منتهيين ، وفى جدار الحجرة الشرقى كوة كبيرة لها سقف متدرج ، ثم عدل عن هذا التصميم الثانى إلى آخر وهو الأخير ، فبنيت حجرة ثالثة أعلى من الحجرتين السابقتين والخاصتين بالمشروع الأول والثانى ، ويصل الزائر إلى هذه الحجرة عن طريق ممر طويل يبلغ طوله ٤٧ مترا وارتفاعه ٨,٥٠ متر ، وقد غطى بسقف متدرج ، وبالطريق العلوى للمر فتحة تؤدى إلى حجرات خمس سيدات فوق بعضها لتخفف الضغط على حرجة الدفن ، واكتشفت هذه الحجرات عامى ١٨٣٧ و ١٨٣٨ ، وارتفاع كل حجرة من هذه الحجرات مترا واحدا ، وقد غطى سقف كل منها بكتل من الجرانيت ، وعثر فى أحد هذه الحجرات على نص مكتوب ، جاء فيه ذكر السنة السابعة عشرة من حكم خوفو ، وهى كل ما أمكن معرفته حتى الآن من نصوص هيروغليفية فى هذا الهرم . وينتهى بعد ذلك هذا الممر الصاعد بممر أفقى بنى من الجرانيت الأحمر على شكل ألواح والتى يغلق بها الممر الذى ينتهى بحجرة الدفن ، وهى تسمى حاليا بحجرة الملك كسيت حوائطها وسقفها بالجرانيت الأحمر وأبعادها ٥,٢٠ × ١٠,٨٠ متر تزن كل منها ٥٠ طنا على الأقل .

ويقع التابوت فى الجزء الغربى من الحجرة بدون غطاء وخال من أى نقش ، وبكل من الحائط الشمالى والجنوبى للحجرة فتحة صغيرة تمر وسط بناء الهرم

---

(١) د. أنور شكرى ، ص ٤٦٥ ، شكل ٥١ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٤٥ – ١٨١ شكل ٦١ .

وعن المقاسات والأبعاد فى الهرم راجع الدراسة الحديثة التى قام بها :
Legon , DE 17 (1990) , p . 25 – 34 .

حتى تصل إلى سطحه الخارجي من ناحيته الشمالية والجنوبية ، ويستطيع الزائـــر أن يشعر بالهواء المتجدد والداخل من هذه الفتحة [١] ، والتي يبلغ اتساعها ٢٠ × ٢٠ سم واكتشفت هذه الفتحات للتهوية عام ١٨٩٨ .

ويقع المدخل في الجانب الشمالي للهرم على مستوى مرتفع قليـــلا ، وبعـــد عملية الدفن كان هذا المدخل يغطى بالكساء الخارجي حتى لا يظهر مكانه على الوجه المصقول له والذي لا يمكن تسلقه ، وهذا المدخل غير مستعمل حاليا ، أما المدخـــل الذي يدخل منه الزوار فهو الذي يعرف بمدخل الخليفة المأمون ، إذ أنها فتحة قام بـــها عمال الخليفة في القرن التاسع الميلادي في عام ٨٢٠ م[٢] . وفي المدماك الســادس ، وبعد مسافة ٢٦ مترا تتصل هذه الفتحة بالممر الأصلي وبقية الممرات الأخرى .

وقد غطيت الأوجه الخارجية للهرم بكساء خارجي من كتل محـــددة بدقـــة وملصقة بمهارة ، وكان هذا الكساء الخارجي من الحجـــر الأبيـــض الجيـــد ويعنـــى

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع الســـابق ، ص ١٩٦ – ١٩٧ وقبـــل وضـــع الأحجار في أماكنها التي أعدت لها كانت تتعرض لعدة ترتيبات ، راجع :

Varene , Sur la taille de la pierre antique , medievale et moderne , centre de recherche sur les techniques Greco – Romaines , Université de Dijon , no 13 , Dijon , 1974 , p . 5 .

(٢) يذكر المقريزي أن الخليفة المأمون بن هارون الرشيد هو الذي أمـــر بفتـــح الهرم في الجيزة ظنا أنه يضم كنوزا دفينة ، راجع :

د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ٩– ١٠ ؛ بيل شول وإديتيت : سر قوة الهرم الأكبر (ترجمة أميـــن ســـلامة) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣ ، ص ٣٧ ؛ د.أحمد فخـــري : الأهرامـــات المصرية ، ص ١٦٩ ؛ Guides Bleus : Egypte ,p. 160

البناءون بتسوية سطحه الظاهر من أعلى إلى أسفل .[١]

وكان يحيط بالهرم سور عظيم من الحجر الجيرى [٢] . والشكل الهرمى للمقبرة الملكية ، وإن كان نتيجة تطور معمارى منذ عهد جسر ، إلا أنه اقترن فى تصور المصريين القدماء بالحجر المقدس بنين ، الذى كان يرمز إلى الأكمة الأولى التى استقر عليها معبود الشمس ، وهكذا يكون الملك المتوفى قد دفن فى ابرز مكان على الأرض ، ويرى العلماء أن جوانب الهرم المائلة تشبه أشعة الشمس المائلة والتى بفضلها يرقى الملك المتوفى أو روحه إلى عالم السماء [٣] . وكان هرم خوفو يسمى " آخت خوفو " أى أفق خوفو [٤] . وتكوين وبناء هذا الكم من الأحجار يعتبر معجزة فى التنظيم والترتيب ويدل على قدرة وصبر ومهارة العامل المصرى ، وكان لابد لعمال الهرم من ثكنات تتسع للآلاف منهم ، هذا إلى جانب توفير الطعام والشراب والملبس لهم ، كان هناك فريق خاص من العمال لإعداد الطعام ، وفريق آخر لجلب الماء اللازم للشرب أو الاغتسال . كما كانت تصرف لهم الملابس والأدوات اللازمة للعمل من مخازن الملك .[٥]

وربما استخدموا فى إقامة مثل هذه الأهرام وسائل أخرى علمية لم يتوصل

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨ – ٣١٩ ؛
Bained – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 140 .

(٤) Gauthier , livre des Rois I , p . 72; Helck, LA V, p. 5 .

(٥) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٥ – ٢٦ ؛ وأيضا :
Hoelscher , Das Grabdenkamal des konigs Chephren , Leipzig 1912 , p . 15 ; Vandier , Manuel d'archéologie II , p. 28-86 ; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne , p .37-39; LA 1V, p. 1227 – 1231 .

علماء المصريات بعد إلى الكشف عن أسرارها.

ومما قاله ديودور الصقلى فى القرن الأول ق.م عن الأهـــرام المصريـــة :
" واتفقت الآراء على أن الأهرام لم تحظ فى مصر بذلك المركز الممتـــاز لضخامـــة بنائها وباهظ تكاليفها فحسب ، بل لدقة بنائها أيضـــا ، ومهندســـو المشـــروع أولـــى بالإعجاب فيما يقال عن الملوك الذين دبروا المال لإنجازه ، لأن المهندسين اســـتنفذوا فى إنجاز المشروع أرواحهم وهممهم ، بينما استغل الملوك الأموال التـــى ورثوهـــا ومجهودات الآخرين "[1].

الأهرام فى نظر الإخباريين العرب :

كان هناك العديد من الرحالة والمؤرخين والإخباريين والجغرافيين العـــرب الذين شجعهم ازدهار الحضارة الإسلامية . وسيادة المسلمين فـــى الـــبر والبحـــر ، وطبيعة الدين الإسلامى السمحاء ، والحج والتعرف على أهل الأمم القريبة والبعيـدة ، على الأسفار والرحلات . وكان من الطبيعى أن يزور بعـــض هـــؤلاء الرحالـــة أو الإخباريين مصر ويكتبون عن آثارها القديمة وما يتعلق بهذه الآثار وكلها تعتمد علـــى الرواية الشفهية دون معرفة قراءة الكتابة وما يتعلق بالهيروغليفية والروجـــوع إلـــى المصادر التاريخية .

ولا شك فى أن ما سجله المؤرخون أو الأخباريون العرب بالنســـبة للآثـــار المصرية وما يتعلق بها له أهميته لأنهم كانوا بمثابة شهود عيان على مـــا رأوا فـــى عصورهم من آثار قائمة ، وساهموا بطريقة غير مباشرة بتفسيراتهم الغربية لطبيعـــة هذه الآثار على إيجاد نوع من الرغبة الملحة وحب الاستطلاع والبحث لمعرفة ما هو حقيقَى وما هو منطقى وما هو خيالى ويدخل فى مجال الخرافة والبعد عن المنطق .

---

(١) ترجمة د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصـــر والعراق ، ١٩٧٩، ص ١٠٧ ؛ د. أنور شكرى : المرجـــع الســـابق ، ص ٣٠٥ .

المسعودى :

الجغرافى والمؤرخ والرحالة الذى نشأ فى العراق فى بغداد ، وأقام بمصـــر مدة بعد أن زار بلاد عديدة . وألف كثيرا من الكتب المفيدة فـــى مواضيـــع شـــتى ، وأهمها فى التاريخ ، وتوفى فى عام ٣٤٦ هــ (٩٥٦ ميلادية) وزار مصر فى أيـام الفاطميين . وتحدث عن الأهرام فى كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر " .

" وسئل عن بناة الأهرام ، فقال : أنها قبور الملوك ، وكان الملك منـــهم إذا مات وضع فى حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن وأطبق عليه ، ثم يبنـــى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الأساس ثم يحمل الحوض فيوضع فى وسط الهرم ، ثم يقنطر عليه البنيان والأقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونـــه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ، ثم يحفر له طريق فى الأرض بعقـــد أزج ، فيكـــون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع وأكثر ، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخـــل منه على ما وصفت ، فقيل له : فكيف بنيت هذه الأهرام ؟ وعلـــى أى شـــئ كـــانوا يصعدون ويبنون ؟ وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقـــدر أهل زمنا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد إلا بجهد وإن قدروا ؟ فقال كان القـــوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراقى كالدرج ، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أســـفل ، فهذه كانت حيلتهم ، وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة " [١] .

ويذكر فى مكان آخر :

" والأهرام وطولها عظيم ، وبنياتها عجيب ، عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة ، والممالك الدائرة ، لا يدرى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها ، قال من

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر فى تحف الأشـــراف والملـــوك وأسماء القرابات (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) المجلـــد الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣٥٠ .

عنى بتقدير ذرعها " أن مقدار ارتفاع ذهابها فى الجو نحو من أربعمائة ذراع ، أو أكثر ، وكلما علا به الصعداء دق ذلك ، والعرض نحو ما وصفنا عليها من الرسوم ما ذكرنا ... "(١) .

وتحدث المسعودى عن الأهرام فى كتاب آخر (٢) :

" وكان من كهانهم فيلمون ، وقد ذكرنا خبرة مع نوح عليه السلام ، وكان منهم شيمون ، وهو الذى كان يوقد النار ، ويتكلم عليها ، فتطلع منها صورة نارية ، وكانت الكهانة عندهم عمل المعجزات ، ولم يزل هذا كاهنا إلى وقت فرعون ملك مصر الذى كان الطوفان فى أيامه ، وكان فيه صورتا الشمس والقمر تنطقان ، (وكان الهرم الثانى ناووسا لأجساد الملوك) التى نقلها إليه سورند ، وفيه العجائب والتماثيل والمصاحف ، وان فيه التمثال الذى يضحك وكان من جوهر أخضر ، وخزنوا ذلك فيه خوفا من (تلفه فى) الغرق " .(٣)

وكان سوريد بن فيلمون ، وكان ملكا على مصر قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ...فأمر الملك ببناء الأهرام ، فلما تمت على ما دبروا حكمه ، نقل إليها ما أحب من عجائب وأموالهم وأجساد ملوكهم ، وأمر الكهان فدبروا فيها علومهم ، وحكمهم ... "(٤) .

" وهو الذى بنى الهرمين العظيمين المنسوبين إلى شداد بن عاد ، والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلدهم ، والعمالقة تقول سحرهم ومنعهم من أرادتهم بشر

---

(١) المسعودى : المرجع السابق ، ص ٣٦١ .

(٢) المسعودى : أخبار الزمان (ومن إبادة الحدثان) وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران) دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ م .

(٣) المسعودى : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

ما يريدونه بهم ، وبذلك يقول الحرانيون ، وقد نقل ذلك أبو معشر فى كتاب الألـوف وكان سبب بناء سوريد للهرمين أنه رأى رؤيا أثبتها فى موضعها ... "[١] .

ويتحدث عن بناة الأهرام فيقول :

" فأمر الملك بقطع الأساطين العظام وبنشر البلاطات الهائلـة واستخراج الرصاص من أرض المغرب ، وإحضار الصخور من ناحية أسوان وكانت سـوداء عظاما تساق فى العجل ، فجعل منها أساس الأهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملـون وجميعه من الحجر الأسود والأبيض .[٢] وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون فى وسطها قضيب حديد قائم ، ثم يركبون عليها بلاطة أخرى متقوبة الوسط ، فيخل فـى ذلـك الثقب ، ثم يذاب الرصاص ويصب حول البلاطة وفى الثقب بهندمه وإتقان بعد تـأليف ما فيها من النقوش والكتابة والصور ، وحتى بلغوها من ذلك إلـى مـا يحـار فيـه الوهم ، وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعـا فـى آزاج مبنيـة بالرصـاص والحجارة ، طول كل ازج منها مائة وخمسون ذراعا " .

" فأما باب الهرم الشرقى ، فإنه من الناحية الشرقية على مقدار مائـة ذراع من وسط حائط الهرم ، وأما باب الهرم الغربى فمن الناحية الغربية ، وهو أيضا على قياس مائة ذراع من وسط الحائط ، حتى تنزل إلى باب الأزج المبنى فتدخل منه .

وأما باب الهرم الملون بلونين من الحجارة فمن الناحية الجنوبية يقاس أيضـا من وسط الحائط الجنوبى مائة ذراع ، ويحفر حتى يوصل إلى باب الأزج والمبنـى له ، ويدخل منه إلى باب الهرم ، وجعل طول كل واحد منهما فى الهوى مائـة ذراع بالذراع الملكى ، وهو خمسمائة ذراع عندنا بذراعنا اليوم ، وجعل ضلع كل واحد من جهاته مائة ذراع ورفعها فى الاستواء حتى يبلغ أربعين ذراعا فـوق الأرض ، ثـم هندمها من كل جانب حتى تحددت أعاليها عند آخر طولها .[٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

وكان ابتداؤهم لبنائها فى وقت سعد اجتمعوا عليه وتخيروه ، فلما فرغ منها كساها ديباجا ملونا نمن فوها إلى أسفلها ، وعمل لها عيدا لم يبق فى المملكة أحد إلا حضره .

" ثم أمر بعمل ثلاثين مخزنا بنيت من حجارة صوان ملونة فى الهرم الغربى ، وملئت بآلات الزبرجد والتماثيل المعمولة من الجواهر الغالية ، والطلسمات الغربية ، وآلات الحديد الفاخر والسلاح الذى لا يصدأ ، والزجاج الذى يطوى فينطوى ولا ينكسر وأصناف العقاقير والمفردات والمؤلفات ، والسموم القاتلات وغير ذلك مما يطول وصفه ، ولا يدرك عده " .

ونقل إلى الهرم الآخر وهو الشرقى أصنام الكواكب والقباب الفلكية وما عمل أجداده من التماثيل والدخن الذى يتقرب بها إليها ومصاحفها ، وما عمل لها من التواريخ والحوادث التى مضت والأوقات التى تحدث منها ما ينتظر ، وذكر من لى مصر إلى آخر الزمان ، وكون أدوار الكواكب الثابتة وما يحدث فى دورانها وقتا وقتا ، وجعل فيها المظاهر التى فيها المياه المدبرات وما أشبه ذلك من هذه الأشياء .

وجعل فى الهرم أجساد الكهنة فى توابيت صوان اسود ، ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صنعته معمله وسيرته وما عمل فى وقته " .[١]

وجعل لكل هرم منها خزانا ، فصاحب الهرم الشرقى صنم مجزع من جزع أسود وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان ، وهو جالس على كرسى ومعه شبه الحربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوت يكاد ينزع قلبه فيهيم على وجه ويختلس عقله ، ولا يكاد يفارقه الهم حتى يموت منه .

وجعل خازن الهرم الغربى صنما من حجر الصوان مجزعا واقفا معه شبه الحربة على رأسه حية مطوقة ، من قرب منه وثبت إليه من ناحية قصده ، فتطوقت على عنقه فقتلته ثم عادت إلى رأس الصنم .[٢]

---

(١) المسعودى : المرجع السابق ،ص ١٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

وجعل خازن الهرم الملون صنما صغيرا من حجر البهت على قاعدة منـــه قائما ، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلصق به ، فلا يفارقه حتى يموت .

وذكر القبط أن عليها كتابا منقوشا تفسيره بالعربية : " أنا ســوريد الملــك ، بنيت هذه الأهرام فى وقت كذا من الزمان ،و أتممت بنياتها فى ست سنين ، فمن أتى بعدى ، وزعم أنه ملك مثلى فليهدمها فى ستين سنة ، وقد علم أن الهدم أيســر مــن البنيان ن وأنى قد كسوتها بالديباج فليكسها من أتى بعدى حصيرا " .[1]

" فمنها أن الرشيد لما دخل مصر ، فرأى الأهرام أحب أن يــهدم بعضــها ليعلم ما فيه ، فقيل له إنك لا تقدر على ذلك ، فقال لا بد من فتح شئ منـــه ففتحـت الثلمة المفتوحة بنار توقد وخل يرش ومجانيق يرمى بها وحدادين يعملون مـــا فسـد منها ، وانفق عليها مالا عظيما فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا ، فلما انتهوا إلى آخر حائط وجدوا خلف النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضــروب وزن كل دينار أوقية من أواقينا ، وكان عددها ألف دينار فعجبوا من ذلــك ولــم يعرفــوا معناه ، فأخبروا بذلك الرشيد ، وأتوه بالذهب والمطهرة فجعــل يعجــب مــن ذلــك الذهب ، ومن جودته وحسنه وحمرته ، ثم قالوا ارفعوا إلى حساب ما أنفقتموه علـــى هذه الثلمة ففعل ذلك فوجدوه بازاء ذلك الذهب الذى أصابوه لا يزيد ولا ينقص .

ومن عاجئبها وما يستغرب منها أن الرشيد لما فتح تلك الثلمة من الهرم أقام الناس سنين يقصدونه ويدخلونه ، وينزلون فيه من الزلاقة التى فيــه ، فمنــهم مــن يسلم ، ومن من يهلك [2] ...

ابن النديم:

البغدادى توفى عام ٤٣٨ هــ ، وألف ابن النديم كتابه " الفهرست " فى عــام ٣٧٧ هــ (٩٨٧ – ٩٨٨ م) وتحدث فى المقالة العاشرة عن حكاية الهرمين :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

" قرأت فى كتاب وقع إلى يحتوى على قطعة من أخبار الأرض وعجائب مل عليها وفيها من الأبنية والممالك واجناس الأمم منسوبا إلى بعض آل ثوابه . قال : أخبرنى أحمد بن محمد الأشمونى آن بعض ولاة مصر أحب أن يعلم مل على قمة أحد الهرمين . و اشرأبت نفسه إلى ذلك . فتوصل إليه بكل حيلة حتى وقع إليه رجل من أرض الهند . فبذل له الصعود إلى رأسها برغبة أرغبة فيها قال : إنما يعجز عن الصعود لما يلحقه عند ترقيه وتسلقه من هيجان المرار والجزع عند نظره إلى ما بين يديه . قال : وهذه البنية وطولها بالذراع الهاشمية أربعمائة ذراع وثمانون ذراعا على مسافة أربعمائة وثمانين ذراعا . ثم ينخرط البناء . فإذا حصل الإنسان فى رأسه كان مقدار سطحه أربعين ذراعا فى أربعين فى أربعين ذراعا هذا بالهندسة "(١)

آبو الصليت أمية :

أديب وشاعر كبير من بلاد الأندلس ولد فى سنة ٤٧٠ هـ وجاء إلى القاهرة عام ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ - ١٠٩٦ م) فى أيام الفاطميين .

وعن الأهرام يقول :

" وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام ، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور "

" ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقبها ، فنقب أحد الهرمين المحاذين للفساط بعد جهد شديد ، وعناء طويل ، فوجدوا داخله مهاوى ومراقى يهول ارمها ويعسر السلوك فيها ، ووجدوا فى أعلاها بيتا مكعبا ، طول كل من أضلاعه نحو ثمانية اذرع ، وفى وسطه حوض رخام مطبق ، فلما كشف عطاؤه لم يجدوا فيه

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق د. ناهد عباس ، دار قطرى بن الفجاءة ، الطبعة الأولى ، الدوحة ١٩٨٥ ، ص ٦٧٨ .

غير رمية بالية ، قد آتت عليها العصور الخالية ، عند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه ويقال أن النفقة على نقبة كانت عظيمة والمؤونة شديدة " .

" ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها إلى أسفلها بسطور متضايقة متوازية ، من كتابة بانيها ، لا تعرف اليوم أحرفها ، ولا تفهم معانيها وبالجملة الأمر فيها عجيب "[١]

ابن جبير :

الرحالة المغربى الذى وصف لنا الإسكندرية والقاهرة ولد فى بلنسية سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) وزار الإسكندرية يوم ٢٦ مارس ١١٨٣ ميلادية وفى ٣ أبريل من نفس العام وصل إلى القاهرة .[٢]

وعن الأهرام وأبى الهول يقول :

" وبمقربة من هذه التنظرة المتحدثة – الأهرام – القديمة ، معجزة البناء ، الغريبة المنظر ، المربعة الشكل ، كأنها القباب المضروبة قد قمت فى جو السماء ، ولا سيما الاثنان منها فإنهما يغص الجو بهما سموا فى سعة الواحد منها من أحد أركانه إلى الركن الثانى ، ثلاثة مائة خطوة ، وست وستون خطوة ، قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة ، وركبت تركيبا هائلا ، بديع الإلصاق ، دون أن يتخللها ما يعين على الصقاها ، محدودة الأطراف فى رأى العين ، وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة ، فتلقى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب ، لو رام أهل الأرض نقص بنائها لأعجزهم ذلك.

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٩٦٦ ، ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

للناس فى أمرها اختلاف : فمنهم من يجعلها قبورا لعاد وبنيه ، ومنهم من يزعم غير ذلك . وبالجملة فلم يعلم شأنها إلا الله عز وجل .

ولأحد الكبيرين منها باب يصعد إليه على نحو القامة من الأرض أو أزيد ، ويدخل منه إلى بيت كبير سعته نحو خمسين شبرا . وطوله نحو ذلك . وفى جوف ذلك البيت رخامة طويلة مجوفة ، شبه التى تسميها العامة البيلة "(أى حوض النافورة) يقال : أنها قبر والله أعلم بحقيقة ذلك . ودون الكبير هرم سعته من الركن الواحد إلى الركن الثانى مائة وأربعون خطوة . ودون هذا الصغير خمسة صغار ، وثلاثة متصلة ، والاثنان على مقربة منها متصلان ، وعلى مقربة من الأهرام بمقدار غلوه (أى المدن الذى يذهبه السهم حتى يرمى به) صورة غريبة من الحجر ، قد قامت كالصومعة ، على صفة آدمى هائل المنظر ، وجهه إلى الأهرام ، وظهره إلى القبلة مهبط النيل ، تعرف بأبى الهول [١]

الهروى السائح :

ولد فى الموصل ، وكان مغرما بالأسفار وبكتابة اسمه على الآثار التى يزورها ، وكان فى الإسكندرية سنة ٥٧٠ هـ .، وقد وصل إلينا من مؤلفات الهروى كتاب " الإرشادات إلى معرفة الزيارات " ولا يزال مخطوطا لم يطبع إلى اليوم . وتوفى سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ ميلادية) .

- ومما كتبه الهروى عن الأهرام:

" الأهرام من عجائب الدنيا ، وليس على وجه الأرض شرقيها وغربيها عمارة أعجب منها ولا أعظم ولا أرفع ، ورأيت بمصر أهراما كثيرا منها خمسة كبار والباقى صغار ... "

" وقيل أن المأمون فتح هرما منها ، وهو أحد الهرمين اللذين عند الجزيرة ، فوجدوا داخله بئرا مربعة ، فى تربيعها أبواب يفضى كل باب منها إلى بيت فيه

---

(١) د. عبد الحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

موتى بأكفانهم ، وقيل أنهم وجودوا فى رأس هذا الهرم بيتا فيه حوض من الصخر على مثال القرب ، وفيه صنم كالآدمى الرهنج ، وفى وسطه إنسان عليه درع من الذهب مرصع بالجواهر ، وعلى صدره سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ضوءه كالنار " .

" وأضاف الهروى أنه دخل إلى هذا الهرم ، ورأى الحوض واضحا وقد كتب أنه سيذكر فى كتاب العجائب والآثار وأصنام والطلسمات جميع ما سمعه من أخبار الأهرام والصنم أبى الهول "[١] .

ياقوت الحموى :

المتوفى فى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ ميلادية) ، ألف كتاب معجم البلدان ، ويقول عن الأهرام :

" هى أهرام كثيرة إلا أن المشهور منها اثنان . وأختلف الناس فى أهرام مصر اختلافا جما وتكاد أن تكون حقيقة أقوالهم فيها كالمنام إلا أننا نحكى من ذلك ما يحس عندنا ، فمن ذلك ما ذكره " أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعى " فى كتاب خطط مصر " إن سوريد بن سهلوف " بنى لنفسه الهرم الشرقى وبنى لأخيه هوجيب الهرم الغربى وبنى لابن هوجيب الهرم المؤزر[٢] .. ، فلما مات سوريد دفن فى الهرم الشرقى ودفن هوجيب فى الهرم الغربى ودفن كرورس فى الهرم الذى أسفله من حجارة أسوان وأعلاها كدان ، ولهذه الأهرام أبواب فى آزاج تحت الأرض طول كل منها مائة وخمسون ذراعا ، فأما باب الهرم الشرقى فمن الناحية البحرية ، وأما باب الهرم الغربى فمن الناحية الغربية ، وأما باب الهرم المؤزز فمن الناحية القبلية ، وفى الأهرام من الذهب وحجارة الزمرد مالا يحتمله الوصف...

---

(١) د. زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٩١ – ٩٢ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، المجلد الخامس ١٩٨٤ ، ص ٣٣٩ .

وحكى ابن زولاق : ومن عجائب مصر أمر الهرمين الكبيرين فى جانبها الغربى ولا يعلم فى الدنيا حجر على حرج أعلى ولا أوسع منها ، طولها فى الأرض أربعمائة ذراع فى أربعمائة ذراع ، وكذلك علوها أربعمائة ذراع ، وفى أحدهما قبر هرمس وهو ادريس ، عليه السلام ، وفى الآخر قبر تلميذه أغاتيمون ، وإليهما تحج الصائبة .[1]

عبد اللطيف البغدادى :

طبيب عالم ورحالة ، موصلى الأصل بغدادى المولد ، ولد فى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) وتوفى عام ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) وجاء إلى مصر عام ١١٩٤ وظل بها حتى عام ١٢٠٤ فى أيام الأيوبيين . وجاء ليلتقى بعلمائها وأطبائها . وقد تنبه عبد اللطيف البغدادى إلى قيمة الآثار وأهميتها التاريخية وضرورى المحافظة عليها .

وذكر البغدادى أن كثيرا من الناس يدخلون الهرم الأكبر ، وذكر أن الطريق المسلوك فى هذا الهرم زلاقة تفضى إلى قلعة فيها ناووس من حرج ، ولا حظ أن مدخل الهرم ليس الباب المتخذ له فى أصل البناء ، و إنما منقوب نقبا صودف اتفاقا ، أعجب ببناء الأهرام إعجابا عظيما فقال :

" وقد سلك فى بناء الأهرام طريق عجيب من الشكل والإتقان ، ولذلك صبرت على ممر الزمان ، بل على ممرها صبر الزمان "[2]

" فإنك إذا تبحرتها وجدت الأذهان الشريفة قد استهلكت فيها ، والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها ، والأنفس النيرة قد فاضت عليها أشرف ما عندها لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها إلى الفعل مثلا هى غاية إمكانها ، حتى أنها تكاد

---

(١) ياقوت الحموى : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠٥ .

تحدث عن قومها وتخبر بحالهم (١) ، وتنطق عن علوهم وأذهانهم ، وتـــترجم عــن سريهم وأخبارهم ، وذلك أن وضعها على مخروط يبتدئ من قاعدة مربعة وينتـــهى إلى نقطة ، ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله فى وسطه ، وهـــو يتســاند على نفسه ، و يتواقع على ذاته ، ويتحامل بعضه على بعض فليس له جهــة أخــرى خارجة عنه يتساقط عليها ، ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الأربع فإن الريح تتكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليس كذلــك عندمــا تلقى السطح .(٢)

" وذكر أن الحجر وضع فى الهرم بهندام ليس فى الإمكان أصح منه يحبـث لا تجد بينهما مدخل أبره ولا خلل شعره ، وبينهما طين كأنه ورقة (٣) "

وقال عبد اللطيف البغدادى عن أبى الهول :

" وسألنى بعض الفضلاء ما أعجب ما رأيت ، فقلت تناســب وجــه أبــى الهول ، فإن أعضاء وجهه كالأنف والعين والأذن مناسبة كما تصنع الطبيعة الصــورة متناسبة ، والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ نظام التناسب فى الأعضــاء مــع عظمها وأنه ليس فى أعمال الطبيعة ما يحاكيه " (٤)

القزوينى :

المتوفى عام ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م) :

وتحدث فى كتابه آثار البلاد وأخبار العباد عن الجيزة :

" ناحيــة بمصر ، قــال أبــو حامد الأندلسى " بها طلسم للرمل وهو صنم

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٢) د. زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فـــى العصـــور الوســطى ، درا الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١١٣ – ١١٤ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١١ .

(٤) د. زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

والرمل خلفه إلى ناحية المغرب مثل البحر ، تأتى به الرياح من أرض المغرب ، فإذا وصل إلى ذلك الصنم لا يتعداه ، والقرى والرساتيق والمزارع والبساتين بين يدى ذلك الصنم والرمل العظيم خلفه [١]، وكان مكان ذلك الرمل مدن وقرى علاها الرمل وغطاها ، وتظهر رؤوس الأعمدة الرخام والجدار العظام فى وسط ذلك الرمل ، ولا يمكن الوصول إليها ؛ قال : وكنت أصعد بعض التلال الرمل بالغداة إذا تلبد الرمل بالطل فى الليل . فرأيت الرجل مثل البحر لا يتبين آخره البتة ، ورأيت مدينة فرعون يوسف ، عليه السلام ، والرمل قد غطى أكثرها فظهرت رؤوس الأعمدة التى كانت فى القصور ، وهناك سجن يوسف ، عليه السلام ، فى جوف حائط بباب قصر الملك ، والحائط منحوت من الصخر ..[٢]

ومن عجائب مصر الهرمان المحاذيان للفسطاط ،قال أبو الصلت : كل واحد منهما جسم من أعظم الحجارة ، مربع القاعدة مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع وسبعة عر ذراعا ، ويحيط بها أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع ، كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا ، وهون مع هذا العظم من أحكم الصنعة وإتقان الهندام وحسن التقدير ، لم يتأثر تضاعف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل .

وذكر قوم أن على الهرمين مكتوبا بخط المسند : أنى بنيتهما فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمهما ، فإن الهدم أيسر من البناء ، وقد كسوتاهما بالديباج فمن استطاع فليكسهما بالحصير .[٣]

" وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها ، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميزوا عنهم فى حياتهم ، وأرادوا أن يبقى ذكرهم بسبب ذلك على تطاول الدهور .

---

(١) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

ومن عجائب مصر أبو الهول ، وهو صورة آدمي عظيمة مصنعة ، وقد غطى الرمل أكثره . ويقال : لأنه طلسم للزمل لئلا يغلب على كوره الجيزة ، فإن الرمال كثيرة شمالية متكاثفة ، فإذا انتهت إليها لا تتعداه ، والمرتفع من الرمل رأسه وكتفاه ، وهو عظيم جدا ، وصورته مليحة.كأن الصانع الآن فرغ منه .[١]

ولما وصل المأمون إلى مصر ، نقب أحد الهرمين المحاذين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل ، فوجد فى داخله مراقى ومهادى هائلة يعسر السلوك فيها . ووجد فى أعلاه بيتا مكعبا طول كل ضلع منه ثمانية أذرع ، وفى وسطه حوضا رخاما مطبقا ، فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه غير رمة بالية ، فأمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه .[٢]

صفى الدين البغدادي :

المتوفى عام ٧٣٩ هـ

عن الأهرام يقول :

" هى أهرام كثيرة ببلاد مصر ، إلا أن المشهور منها اثنان هما فى غربى مصر ، وهو بناء مربع مخروط الشكل ، به أربع مثلثات ، طول كل ضلع من إضلاعه أربعمائة ذراع ، وارتفاعه أربعمائة ذراع ، ينتهى أعلاه إلى مثل مفرش حصير .

قيل فى أحدهما قبر هرمس وهو ادريس عليه السلام ، وفى الآخر قبر تلميذه أغاثيمون ، وهما من عجائب الدنيا ، لأنك إذا رأيتهما حسبتهما جبلين موضوعين ، ولا يدرى ما الغرض من بنائها ، فلذلك كثرت الأقاويل فيها

---

(١) القزوينى : المرجع السابق ، ص ٢٦٩.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

واختنف • [١]

ابن بطوطه :

ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) وتوفى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) ووصل إلى مدينة الإسكندرية فى أيام المماليك البحرية عام ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) وتحدث عن الأهرام :

وهى من العجائب المذكورة على مر الدهور ، وللناس فيها كلام كثير فى شأنها وأولية بنائها ويزعمون أن جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى .

ويسمى أخنوخ ، وهو ادريس ، وأنه أول من تكلم فى الحركات الفلكية والجواهر العلوية ، وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها ، وأنه انذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ، ودرس الصنائع فبنى الأهرام والبرابى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة .

والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت ، متناهى السمو ، مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ، فملا أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فلج فى ذلك ، وأمر أن تفتح من الجانب الشمالى ، فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التى بها إلى اليوم ، ووجدوا بازاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما انفق فوجدوهما سواء فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا •[٢]

---

(١) صفى الدين البغدادى : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت ، تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، الجزء الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – الجزء الثالث ، ١٩٥٤ ، ص ١٤٥٧ .

(٢) د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ١٤٥ ؛ د. زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص١٤١ ، ١٥٠ .

ابن خلدون :

المتوفى عام ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ - ١٤٠٦ م)

" وكذلك اتفق للمأمون فى هدم الأهرام التى بمصر وجمع الفعلة لهدمها ، فلم يحل بطائل ، وشرعوا فى نقبه فانتهوا إلى جو بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان ، وهنالك كان منتهى هدمهم ، وهو إلى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر ، ويزعم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان ، والله أعلم ."(١)

القلقشندى :

ولد ٧٥٦ والمتوفى عام ٨٢١ هـ . ونشر كتابه " صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء " فى عام ٨١٥ هـ .

والأهرام فى نظر القلقشندى من أعظم أبنية الفراعنة .. والهرمان اللذان بالجيزة من أعظم الآثار وأقدمها وأجل المبانى و ادومها والله در القائل ,.(٢)

المقريزى :

ولد بالقاهرة فى عام ١٣٦٤ وتوفى فى عام ١٤٤١ م (= ٨٤٥ هـ) وعاصر فترة دولتى المماليك البحرية والجراكسة .

ذكر العجائب التى كانت بمصر من الطلسمات والبرابى :

(ومنها بمصر عشرون أعجوبة) فمن ذلك الهرمان وهما أطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناد باليد حجر على حجر أطول منهما وإذا رأيتهما

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، المجلد الأول (٢) ، دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، بيروت ، ص ٦١٦ - ٦١٧ .

(٢) د. حسن الباشا وآخرون : القاهرة تاريخها فنونها وآثارها ، مؤسسة الأهرام ، ص ١٥٩ . جاء ذكر هذه الأبيات عند المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، ص ١٢١ .

ظننت أنهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شـــئ إلا وأنـــا ارحمه من الدهر إلا الهرمين فإنى لأرحم الدهر منهما .

وذكر ابن وضيف شاه أن سوريد الذى بنى الأهرام هو الذى بنى الـــبرابى كلها وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكـــل بـــها روحانيـــة تحفظـــها ممـــن يقصدها .[١]

" أعلم أن الأهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوصير شـــئ كثير بعضها كبار وبعضها صغار ن وبعضها طين ولبن وأكثرها حجـــر وبعضـــها مدرج وأكثرها مخروط أملس . وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدد كثـــيرة كلها صغار هدمت فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب " .[٢]

وذكر كل ما ذكره كل ما ذكره السابقون عن الأهرام وسبب بنائها .[٣]

ابن ظهيرة :

من العلماء القرن التاسع الهجرى (ربما ٨٨٥ أو ٨٩١ هـــ) [٤] :

من عجائب مصر :

" الفقرة العشرون : الهرمـــان الكبيـــران فى جانبهما الغربى، وهما من عجائبها

---

(١) المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطـــط والآثـــار (المعـــروف بالخطط المقريزية)الجزء الأول ، دار صادر بـــيروت ، الطبعـــة الأولـــى صدرت فى عام ١٨٥٣ ، ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٤) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبوعـــات دار الكتـــب بالقـــاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٤.

الظاهرة ، ذكر الشريشى فى شرح المقامات : أن بين الجيزة والأهرام سبعة أميال ، لا يعلم فى الدنيا حجر على حجر أوسع منهما . سعة دورهما أربع مائة ذراع ، وأساسهما يزيد على جريب ، وعرض حائطهما ثلاث مائة ذراع بذراعهم قيل : فى أحدهما قبر هرمس ، وهو إدريس عليه السلام ، وفى الآخر قبر تلميذه اغاثيمون ، وغليهما كانت تحج الصائبة ، وتقول : يا أبا الهول إليك قد حججنا ، وقيل كانا فى سالف الدهر مستورين بالديباج ، وعليهما مكتوب قد كسوناهما الديباج فمن شاء بعد فليكسهما حصيرا ، وقال حكيم من حكماء مصر : إذا رأيت الهرمين ظننت أنه لا يعملهما أحد من الأنس ، ولا يقدر الجن على عمل مثلهما ، ولا أنسب ذلك إلا لقدرة خالق السماء والأرض ، وقال ما من شئ (إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإنى أرحم الدهر منهما ، ولم يمر الطوفان على شئ إلا أهلكه ، وقد مر عليهما ولم يؤثر فيهما ، لأن إدريس عليه السلام هو الذى بناهما (قبل نوح وقبل الطوفان) فقيل : إن الذى بقى فيهما بعض ما دفن ووجد عليهما مكتوب : إنى بنيت هذين الهرمين خوفا من آفة تكون فى الأرض : غرق ارضى أو غرق سماوى ، ومثل هذا وجد مكتوبا على دير القصير .[1]

ابن اياس :

المتوفى فى ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) :

جاء فى كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور :

" وأما بقية الأعاجيب ، العشرون أعجوبة بمصر ، فمن ذلك : الهرمان وهما بالجيزة ، وطولهما أربعمائة ذراع ، كأنهما جبلان قائمان فى الهواء ، قال بعض الحكماء : ليس من شئ إلا وأنا أرحمه من الدهر ، إلا الهرمين ، فأنى أرحم الدهر منهما ، ومنها صنم الهرمين ، الذى يقال له عند العوام : أبو الهول ، يقال أنه طلسم للرمل ، لئلا يغلب الرمل على طين بر الجيزة ، وكان طوله نحو من سبعين ذراعا ، ولكن طم بالرمال ، وكانت الصائبة تحج إلى أبى الهول ، وتقرب إليه

---

(١) ابن ظهيرة : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

الديوك البيض ، ويبخرون حوله بالحصى لبان الشرب .(١)

قال ابن وصيف شاه : ان سوارنيد هذا هو الذى بنى الهزمين العظيمين فى مصر ، قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ، وكانت الكهنة تنذر الناس بأمر الطوفان ، فبنى سورنيد هذه الأهرام ، وأودع فيها أمواله وتحفه وكتبه النفيسة فى العلوم الجليلة (٢) ، وقال إن مضى الطوفان ونحن فى الدنيا فترجع إلينا أموالنا وذخائرنا ، وأن نحن متنا فى هذا الطوفان ، فتكون هذه الأهرام قبورا أجسادنا ، قال ابن عبد الحكيم : لم أجد عند أحد من أهل المعرفة ، عن الأهرام ، خبرا يثبت عن بنانيها ، فى أى وقت بنيت ، وما السبب فى ذلك ، وقد بنيت هذه الأهرام فى طالع سعيد ، ووكلوا بها روحانية ، وتحفظ ما فيها من الأموال إلى آخر الزمان ، وأخبار الأهرام لا تحصى ، قابل ابن عبد الحكيم وجد على الأهرام مكتوبا بالخط القديم ، وهو قلم الطير ، فكان معناه : أنا سورنيد ابن شهلوق ، بنيت هذه الأهرام فى ستين سنة ، فمن أتى بعدى وزعم أنه مثلى ، فليهدمها فى ستمائة سنة ، فإن الهدم أيسر من البناء ، وإنى لما انتهى العمل منها جعلت لها عيدا ، وكسوتها بالديباج الملون ، فمن أتى بعدى ، وزعم أنه مثلى ، فليكسها بالحصر إن استطاع لذلك سبيلا .(٣)

قال بان عبد الحكيم : لما دخل الأمير أحمد بن طولون إلى مصر ، أراد أن يفتح أحد الهرمين ، فحفر حولها على أن يجد شيئا من أبوابها ، فبينما هو يغوص فى الرمال ، فوجد قطعة كبيره من مرجان أحمر ، وعليها سطور مكتوبة بقلم الطير ، فأحضر من له خبرة بهذا القلم ، فقرأ ذلك الخط فإذا معناه أبيات شعر .. "

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى ، الجزء الأول القسم الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٣) ابن اياس : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

واستمر سورنيد فى ملكه حتى هلك ، بعد أن عاش نحو مائتى سنة ؟ ثم تولى بعده أبنه هو جيب ، وكان عالما بعلوم الكهانة ، والسحر ، وقيل هو الذى بنى أهرام دهشور ، وحمل إليها أمواله وذخائره .[١]

قال الكندى : لما دخل المأمون مصر ،أى الأهرام فأمر بفتح الهرم الكبير ، فلما انتهى فيه إلى عشرين ذراعا ، وهو هناك مظهرة خضراء ، فيها ذهب مضروب ، زنة كل دينار أوقية ، وكان عددها ألف دينار ، فتعجب المأمون من جودة ذلك الذهب ، وقال " ارفعوا حساب ما قد صرفناه على فتح هذه الثلمة " فوجد الذهب الذى أصابه فى المظهرة ، بقدر ما نفقه على فتح الثلمة ، ولا يزيد ولا ينقص ، فتعجب من ذلك غاية التعجب ، وقال : " كان هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركها نحن ، ولا أمثالنا " ..واستمر النقب موجودا فى الهرم الكبير ، يقصدونه الناس ، وينزلون به ، فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك ، أنتهى ذلك "[٢]

قال ابن وصيف شاه : خرج الأمير أحمد بن طولون يوما على سبيل التنزه ، فتوجه إلى نحو الأهرام ، فبينما هو راكب إذا غاصت قوائم فرسه فى الأرض ، فأمر بكشف ذلك المكان ، فلما كشف ، فإذا هو كنز فيه دنانير ذهبا ، كل دينار قدر رغيف ، ووجد به إنسان ميت ، فكان طول كل عظمه من أضلاعه أربعة عشر شبرا ، وعرضه نحو شبر ، ثم أمر الأمير أحمد بن طولون بنقل ذلك المال إلى خزائنه .[٣]

القرمانى:

٩٣٩ – ١٠١٩ هـ (١٥٣٢ – ١٦١٠ م) :

الفصل العاشر فى ذكر ملوك مصر قبل الطوفان ومالهم من الآثار والبنيان:

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٢) أبن اياس : المرجع السابق ،ص ١٥١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

" سوريد هو الذى بنى الأهرامات واقتفى سيره أبيه فى العمـــارة والعــدل والإنصاف وبنى بالصعيد ثلاث مداين " [١]

" فأخبروا بأمر الطوفان قال سوريد ويلحق بلادنا قالوا نعم وتخرب وتبقـــى ستين خرابا ، فأمر بعمل الأهرام ليكون قبورا لهم وله ولأهل بيته يحفـــظ أجســـادهم وكتبهم وكنوزهم وأمر بأن يعمل لها مسارات يدخل منها النيل إلى مكان ويخرج إلـــى المواضع من أرض الغرب والصعيد وملأها طلسمات وعجايب وخزائن وغير ذلـــك وزير فى سقوفها وإسطوانها ما قالته الحكماء من العلوم الغامضة وأســـرار العقـــاقير ومنافعها ومضارها وعمل الطلسمات والحساب والهندسة والطب وغير ذلك . وكـــل ذلك معلوم لمن يعرف كتاباتهم ولغاتهم وليس على وجه الأرض بناء أرفـــع وأعظـــم منها ، وكان ابتداء بناءهما فى طالع سعيد قرر عليهما وبناء هذين الهرمين والنســـر الواقع فى السرطان فلما فرغ من بنائهما كساهما ديباجا ملونا وعمل لهما عيدا حضـــر إليه أهل مملكته وكتب عليهما إنى بنيتهما فى ستين سنة فمن أدعى قوة بهدمـــها فـــى ستمائة سنة فإن الهدم أهون من البناء وأنى كسوتهما حريرا فليكســـهما مـــن بعـــدى حصيرا وعددها ثمانية عشر هرما ثلاثة منها بالجيزة.[٢]

ونخرج مما سجله المؤرخون أو الأخباريون العرب عن الأهرام بأن جميعها بدون استثناء أعطوا تفسيرات غريبة اعتمدت على التهويل والمبالغة واختلط الأمـــر بين السحر وحب الاستطلاع ولكن لم يعتمد أحد منهم على مصدر تاريخى مؤكـــد ، وقد يكون فى وصفهم للأهرام شئ من الحقيقة ودخول عمال المأمون الهرم هو أيضـــا من الحقائق أما فيما عدا ذلك فلا يمكننا الاعتماد عليه أو الأخذ به .

عودة إلى مواصلة الحديث عن المجموعة المعمارية للملك خوفو :

وقد يتساءل البعض ألم يكن أولى بملوك الدولة القديمـــة أن يعملـــوا علـــى توجيه الجُهود التى بذلها رعاياها ومهندسيهم ورؤساء عمالهم فى تشييد أهرامهم إلى

---

(١) القرمانى : كتاب أخبار الدول وآثار الأول فى التـــاريخ ، عـــالم الكتـــب ، بيروت ، مكتبة المتنبى – القاهرة ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، ص ٣٨٠ .

(٢) القرمانى : المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

نواح عمرانية أخرى أو مشاريع أخرى يعم نفعها على الناس ؟

ليس لنا أن نحكم بمنطقنا الحالى على مثل هذه المشروعات . فالواقع أنه كان لكل طائفة من الحاكم ميول . منها النافع ومنها الضار . فقد عرف عن الأباطرة الرومان حب البطش والجبروت . وعرف عن ملوك وأمراء العصور الوسطى بذل جانب من موارد بلادهم فى بناء القصور .وكانت رغبة ملوك الدولة القديمة هو توجيه جانبا كبيرا من موارد بلادهم إلى بناء الأهرام الضخمة فى الجيزة وأبو صير وسقارة ودهشور والفيوم . وقد ابتغوا من وراء ذلك نعيم الدنيا وحب الآخرة . وقد يكون من وراء هذا الصرح المعمارى أغراض أخرى نجهل أهدافها حتى الآن .

وحول الهرم كانت هناك مدينة حقيقية للموتى . فقد خصصت الناحية الشرقية من الهرم لأفراد عائلته . فنرى فى أول صف قريب من ضلع الهرم الشرقى وثلاثة أهرام صغيرة لثلاث من زوجات خوفو ثم نرى مقابر أبنائه وأخوته وغيرهم من عائلته فى صفوف مترامية ، وكان لكل هرم صغير مقصورة بها باب وهمى .[١]

أما فى الناحية الغربية من الهرم فقد دفن عدد كبير من الأشراف ، والنبلاء ورجال البلاط وكبار رجال الدولة من موظفين وإداريين وكهنة فى مقابر أو مصاطب فى صفوف بينها طرقات مستقيمة .وكان لكل مقبرة مقصورتها الجنائزية ، ومن بين هذه المصاطب مقبرة " حم ايونو " الذى كان مشرفا على بناء الهرم والذى ربما كان يمت بصلة قرابة للملك خوفو .[٢]

---

(١) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢١ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٦٢ شكل ٦٥ – ٦٧ .

(٢) يعتقد يونكر وريزنر أنه هو مهندس الهرم الأكبر ، وهو ابن أخ خوفو أو أبن عمه ، وتلقب بألقاب " المهندس الملكى ومدير المنشآت المقدسة كلها " ، راجع : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦١ ، ص ٣٦٤ – ٣٦٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٨٢ ، ص ١١٣ حاشية (١) ؛ Helck, LA II, p. 1117

وعثر فى مقبرة أو مصطبة حم ايونو على جزء أعلى من تمثاله موجود . الآن فى متحف هيلد بألمانيا الغربية .(١)

وقد بدأت دراسة موقع الأهرام بالجيزة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ومن بين المكتشفين الأوائل كان كافيجليا Caviglia وبلزونى Belzoni الذى دخل الهرم الثانى عام ١٨٢٠ وفيس Vyse عام ١٨٣٧ وبرينج Perring ولبسيوس Lepsius وأعضاء البعثة الروسية التى عملت هناك فى بداية عام ١٨٤٠ . وقامت بكتابة نقش بالهيروغليفية فوق المدخل الرئيسى للهرم وذلك بمناسبة الذكرى لعيد الجلوس لملك بروسيا فيلهلم الرابع . وقد قلد لبسيوس أسلوب البرتوكول المصرى القديم فسمى ملك بروسيا " ملك مصر العليا والوجه البحرى " (٢) وهو نقش مقلد وليس قديما بالطبع حتى لا يخدع البعض فى حقيقة أمره . كما عمل ماريت وبترى بنشاط فى الموقع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن .(٣)

وقد تم عمل حفائر فى مصاطب الجانبين الشرقى والغربى على يدى أعضاء بعثة جامعة هارفارد – بوسطن برئاسة ريزنر وأكاديمية العلوم فى فينا برئاسة يونكر وبعثة جامعة القاهرة عام ١٩٢٩ فى المنطقة الواقعة إلى جنوب الطريق الصاعد للملك خفرع برئاسة د. سليم حسن . ونشروا مؤلفاتهم عن نتاج هذه الحفائر . كما قام د. أبو بكر بعمل حفائر فى المنطقة نفسها على نطاق ضيق ونشر مؤلفه عنها .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١١٥ ، ١٩٧ شكل ٨ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٦ ؛ د. كمال رضوان : ألمان فى مصر ، المكتبة القومية الثقافية ، ١٩٩ ، ص ١١٤ .

(٣) Baines -Malek , Atlas of Ancient Egypt , London (1958) , p . 156 .

وكان للهرم معبد جنائزى كبير فى الناحية الشرقية منه مازالت بقايا أرضيته من حجر الديوريت الأسود المقطوعة من محاجر فى شمال بحيرة قارون بـــالفيوم.[١] وفى الناحية الشرقية من المعبد شيدوا طريقا ضخما يصل إلى معبد الوادى الذى لـــم يكشف مكانه حتى الآن ولا تزال أطلال هذا المعبد مطمـــورة تحـــت منــــازل قريـــة السمان .[٢] وعلى بعد حوالى ٥٠٠ مترا تقريبا من مكان معبد الوادى مــــن الجهـــة الشرقية عثر على بطريق الصدفة أثناء حفر أساسات أبراج سكانية بواســـطة إحـــدى شركات الاستثمار فى منطقة نزلة السيسى شرق نزلة السمان على رصيف أثرى هـــو جزء من الرصيف الذى كان يطل على الفرع الثانى للنيل القديم المعـــروف باســـم " النيل الليبى " (نهر قديم لأصله بينه وبين النيل الحالى) ويتقدم معبد الوادى للملــــك خوفو . وهذا الرصيف الأثرى مكون من كتل أحجار جيرية مغطى بكتـــل البـــازلت الأسود الذى كان يغطى أرضية المعبد الجنائزى لملك خوفو . ويقع هـــذا الرصيـــف على عمق مترين فى الأرض الطينية ويمتد يمينا وشمالا بالأرض التى تملكها الشركة التى تقوم بالبناء . وقمت بمعاينة هذا الرصيف ضمن لجنة شكلت من قبـــل اللجنـــة الدائمة للآثار المصرية بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٢٨ . ولكن ضاعت معظم معالمه تحـــت أساسات الأبراج السكنية .[٣]

---

(١) د. أنور شكرى : العامرة فى مصر القديمة ، ص ٣٠٦ - ٣٢٤ .

(٢) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١١٠ ؛ د.أنور شكرى : المرجـــع السابق ، ص ٣٢٠ .

(٣) أخيرا نشر خبر هذا الكشف الأثرى العام فـــى جريـــدة الأهـــرام بتـــاريخ ١٩٩٧/٢/١٩ ، وص ١٣ تحت عنوان : " جريمة أثرية فى الهرم . شـــركة مقاولات تقيم أبراجا سكنية فوق كشف أثرى معروف بالهرم .

تحدث د. حواس عن هذا الكشف فى مقال ظهر حديثا تحت عنوان :

Z. Hawass , The Discovery of the Harbors of Khufu and Khafre at Giza , in Etudes sur l'Ancien Empire et la nécropole de Saqqara, Montpellier 1997 , p . 245 – 26

وقد وصف هيرودوت الطريق الصاعد وقال بأنه عمل لا يقل فـــى أهميتـــه عن بناء الهرم وحفروا من تحت الطريق الصاعد نفقا ، كـــان يصـــل بيـــن الشـــمال والجنوب من الجبانة دون الاضطرار إلى الالتفاف من وراء الهرم [١] .

وكان هناك هرم صغير للطقوس فى الناحية الجنوبية من هرم خوفو [٢] هدم وزالت أحجاره منذ عهد بعيد . وقد كشفت الحفائر منذ وقت بعيد عـــن ثلاثـــة حفـــر كانت معبدة للمراكب الجنائزية فى الناحية الشرقية من الهرم ، اثنيـــن فـــى الناحيـــة الشرقية والثالثة إلى جانب الطريق الموصل إلى معبد الوادى . وعـــثر فـــى صيـــف ١٩٥٤ على أماكن اثنين أخريين فى الناحية الجنوبية [٣] ، تم افتتاح إحداهما واتضح

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ . وقد نجح د. حواس فى تحديد طول الطريق الصاعد لهرم خوفو بحوالى ٨١٠ مترا . وعثر فـــى نهايته على باقيا أرضية معبد الوادى التى كانت من البازلت الأسود والتـــى يبلغ طولها ٥٦ مترا ، راجع : Siliotti – Hawass , Guide to the Pyramids of Egypt , p . 56 .

(٢) وعثر د. حواس على باقيا هذا الهرم الصغير الذى كان يتخذ شكل حـــرف T فى الركن الجنوبى الشرقى للهرم وكان قد عثر عليه بترى عـــام ١٨٨١ . كما كان يوجد هرم صغير بهذا الشكل فى الجانب الجنوبى لهرم خفـــرع ، وعلى بعد من الجانب الجنوبى لهرم الطقوس عثر حواس على مـــا يســـمى بهريم الملك خوفو ، راجع : Siliotti – Hawass , op . cit . , p 56-57

(٣) د.أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ ؛ د. أحمد فخـــرى: مصـــر الفرعونية ، ١١٠ - ١١١ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامـــات المصريـــة ، ص ١٥٦ - ١٦١ شكل ٦٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـــى القديـــم ، الجزء الأول : مصر و العـــراق ، ١٩٧٩ ، ص ١١١- ١١٢ ؛ د. محمـــد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر ، ١٩٨٤ ، ص ٩٣ - ٩٤ ، وعـــن مركب خوفو راجع الدراسة الحديثة : Lipke , The Royal Ship of Cheops , Oxford , 1984
Siliotti – Hawass , op . cit , , p . 54 – 55 .

أنها تحتوى أجزاء مفككة عددها ١٢٢٤ قطعة خشبية لمركب ضخم ، وبعد أن تمست معالجتها بالمواد الكيماوية ، رسمت أجزاؤها و أعيسد بنائسها وتركيبسها (بفضسل مجهودات المرمم الكبير أحمد يوسف الذى امضى اكثر من عشر سنوات ففى إعسادة تركيبها حتى عام ١٩٦٨ . وتبين أنها مركب طوله ٤٣,٤ مترا وأقصى عرض لسه سبعة أمتار وارتفاع مقدمته خمسة أمتار ومؤخرته سبعة أمتار . وهو مسن خشب الأرز وله اثنا عشر مجدافا . وعثر مع المركب كمية كبيرة من الحبال التسى كسانت تستخدم لربط قطع الأخشاب بدلا من المسامير وقطع الحديد ، وتركت الحفرة الأخرى التى تضم المركب الثانى كما هى حتى تم الانتهاء من العمسل فسى إعسادة تركيسب المركب الأول وإعداد المتحف الخاص به [١] . وكان هذا المركب يعد جزءا من أثاث الملك الجنائزى ، بعد أن استعملها الملك فى حياته الدنيوية فسى تنقلاتسه ورحلاتسه الخاصة مثل المركب الجنائزى الذى استخدمه سنفرو ، كما يستخدم هسذا المركسب أيضا فى نقل المتاع الجنائزى وتابوت الملك بعد الوفاة ، ثم يوضع مفككا فى حفرة أو حفرتين بجوار الهرم [٢] . وقد كان معروفا من قبل ثلاثة أماكن للمراكب فى الناحية

---

(١) ولكن تم تصويره بواسطة.مختبر خاص بالتعاون مع الجمعيسة الجغرافيسة العالمية عام ١٩٨٧ واتضح انه مركب مشابه للأول ، راجع :
Siliotti – Hawass , op . cit . , p . 55 .

(٢) تسمية هذه المركب بمركب الشمس ، هى فى الواقع تسمية غير دقيقسة لأن مركب الشمس هى من خيال المصريين القدماء ، فقسد تخيلسوا أن معبسود الشمس رع يعبر محيط السماء فى النهار من الشرق إلى الغرب فى مركسب تسمى " معنجت " . ثم يجوب عباب العالم السفلى أثناء ساعات الليسل فسى مركب أخرى تسمى " مسكتت " وبعض هذه المراكب كان يستخدم رمزيسا فى رحلات أخرى جنائزيسة (راجسع : Kitchen, LA I, p. 619)، والبعض ربما كان مراكب حقيقية تستخدم فى نقل تابوت الملسك ومتاعسه الجنائزى من مقر إقامته قم توضع فى حفرة أو حفرتين بجوار الهرم لتكسون جزءا من متاعه الجنائزى ، راجع : د. عبد الحميد زايد : مصر الخسالدة ، ص ١٩٥ .

الشرقية من الهرم وإلى جانب الطريق الصاعد الموصل إلى معبد الوادى .

ولا يزال الهرم الأكبر أكبر لغز معمارى لمعرفة حقيقية دوره والغرض من بنائه . فكما تعلمنا وكما نكتب ويكتب أغلب علماء الدراسات المصرية القديمة بأن الهرم الأكبر وبقية الأهرام كانت بمثابة مقابر للملوك . ولكن يستبعد البعض أن يكون هذا البناء الضخم مقبرة فحسب ، منهم من رأى أنه كان بمثابة مخزن كبير لتخزين الحبوب بداخله . ومنهم من رأى انه ساعة شمسية عملاقة ، وأنه يستغل لدراسة الفلك وأنه يمثل خلاصة المعارف المصرية القديمة .[١]

وهناك رأى آخر يعتقد أن الأهرام تعتبر كنقطة ثابتة التى تتحدد وتقاس وترصد منها الارتفاعات والمسافات بالإضافة إلى الاستخدامات الحضارية الأخرى كالبوصلة والمنارة فضلا عن الوظيفة العلمية المتعلقة بالفلك والتقويم ، فهى فى راى البعض أماكن لخزن المعارف وليست أبنية استخدمت كمقابر .

---

(١) راجع : بيل سول وإد بتيت : سر قوة الهرم الأكبر (ترجمة أمين سلامة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣ ، اللذان تحدثا عن استخدام الهرم فى عدة مجالات : الهرم صانع المعجزات ، القديم والجديد (ص ٢١ – ٣٤) اللغز التاريخى (ص ٣٥ ٥٦) الهرم كمجال للطاقة الغريبة (ص ٥٩ – ٧٣) ، الأهرام وقوة النبات (ص ٧٧ – ١٠٧) ، الهرم والتأثير فى السوائل (ص ١١١ – ١٢٧) ، الهرم والتأثير فى الأجسام الصلبة (ص ١٣١ – ١٤٩) والهرم والقوى الشافية (ص ١٦٩ – ١٨٩) ، والهرم والتأثير فى إعادة الشباب (ص ١٩٣ – ٢٠٩) ، وتحدثا عن صوت الهرم او الذبذبات المفيدة فيه (ص ٢١٣ – ١٣١) الهرم وحالات الوعى المغيرة (ص ٢٣٥ – ٢٥٥) ، والهرم والهندسة الخفية وشبكات الطاقة (ص ٢٥٩ – ٢٧٥) ، وأخيرا الهرم كنافذة على الكون (ص ٢٩٣ – ٣٠١) ؛ وأيضا ما جاء عند د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

وقد جرت محاولات كثيرة للوصول إلى حقيقة هذا اللغــز بفضــل التقــدم العلمى والتكنولوجى . ففى عام ١٩٦٦ قامت مجموعــة مــن العلمــاء الأمريكييــن والمصريين بتصوير داخل الهرم الأكبر بالأشعة الكونية لتحديد دور الفراغات ومــا يوجد خلف الممرات الداخلية .

و فى عام ١٩٨٥ قام علماء فرنسا بثقب بعض أحجار الممر الصاعد داخل الهرم بطريقة فنية للوصول إلى سر اللغز .

وفى عام ١٩٨٧ شك اليابانيون فى وجود حجرة سرية أو أكثر داخل الــهرم الأكبر فاستخدموا السونار واستخدمت الكاميرات والأجهزة الدقيقة التى صنعت فــى ألمانيا وسويسرا .

وفى عام ١٩٩١ اكتشف أحد المهندسين الألمان (١) وجود ممر طولــه ٦٥ مترا متفرع من حرجة الملكة فى وسط الهرم على ارتفاع نحو ستين مــترا متفــرع ضيق مثل فتحات التهوية يبلغ اتساعه ٢٢× ٢٢ سم ويستحيل دخول جسم الإنسان فيه ولذلك أدخل المهندس الألمانى فيديو الألمانى بإنسان فيديــو بإنســان آلــى صغــير الحجم(٢) . واكتشف فى نهاية الممر الضيق باب مستطيل له مقابض مقابض نحاســية طولها ٤ بوصات (٣) وهى أول قطع نحاسية توجد داخل الهرم . ولا بد أنها ليســت للزينة لفتح الباب الذى لابد من وجود شئ خلفة فالباب له هدف ولا بد مــن البحــث وراء هذا الباب والكشف عن أسراره .

وكانت هناك مخاوف من عدم قدرة الكاميرا الصغيرة على الارتفاع ولكنــها ارتفعت بعد إدخالها من فتحة حجرة الملكة توازى فتحة التهوية فــى حجرة الملك ،

---

(١) يدعى رودلف جانتبرينكRudolf Gantendrink، راجع ؛ - , Kerisel RdE 44 (1993) , p . 35 – 37 .

(٢) أطلق عليه المهندس الألمانى اسم وبواووت ٢ ، راجع : Kerisel , op . cit . , p 36 fig (2) .

(٣) Kerisel , op . cit ., p . 36 fig . (3) .

والتى أكتشف عام ١٨٩٨ والتى تنتهى فى الجانب الجنوبى للسطح الخارجى للـــهرم . وكان ديكسون Dixon قد اكتشف عام ١٨٧٢ أنه يوجد فى حجـــرة الملكـــة قناتـــان للتهوية تنتهيان فى الجانب الجنوبى والشمالى للهرم وكانت مغطيتان وهمـــا يشـــبهان قناتى التهوية فى حجرة الملك وهما يقعان على ارتفاع ١,٤٠ متر من أرضيه الحجرة وهما يبدأن أفقيا بطول مترين وبعد ذلك ينحدران . ويبلغ اتســـاع الواحـــدة ٢٢ ســـم تقريبا وبعد ذلك بفترة قام بترى بفحص نهاية القناة الجنوبية بواسطة منظار ولكن لـــم يحاول اكتشافها حتى جاء المهندس الألمانى جانتبرنيك عام ١٩٩١[١] . وإذا عدنا إلـــى الحديث على تسع قصص قد صورت الملك خوفو هو يسامر أبناءه[٢] ويسمع من كـــل منهم ما تناهى إلى عمله من أخبار الملوك السابقين وأهل الحكمة السابقين وصورتـــه وهو يستمتع بما يسمعه ويتشوق إلى كل عمل قام به كاهن أو ساحر قديـــم . فمثـــلا عليه باواف رع قصة حدثت فى عهد سنفرو (والتى ذكرناها سابقا) . أمـــا جـــدف حور فقال لوالده إنه كان هناك رجل عظيم يدعى جدى قادر على أنه يعيـــد الـــرأس المقطوعة إلى الجسد ، فأمر بإحضاره ، وعندما جاء جدى طلب أن يحضر له ســـجينا فرد عليه جدى أن ذلك الأمر لا ينطبق على البشر ، فأحضرت له إوزة فقطع رأســـها ووضعها فى مكان ، ثم وضع جسدها فى مكان آخر . وبعد أن تمتم جـــدى بكلمـــات رجعت الرأس إلى مكانها وعادت الحياة إلى الأوزة .[٣]

ولم يتردد راوى القصة فى أن يحكى عن خوفو أنه عجز عن معرفة مكـــان طائفة من الخزائن المقدسة مخصصة للمعبود تحوتى ، ولما سأل عنها جـــدى أخـــذ يحاوره ولم يفز منه بجواب صريح عنها .

كانت زوجة خوفو الرئيسية تدعى مريت ايت إس ومن المحتمل أنها دفنـــت فى الهرم الصغير الواقع إلى أقصى الشمال .أما الهرم الأوسط فكان لأم مـــن فـــرع

---

(١) Kerisel , op . cit . , p 33 .

(٢) عن أشهر أولاد خوفو الأربعة ، راجع : Christophe , Dans Cahiers d'Histoire Egyptienne 7 , Paris , p . 213 – 222 .

(٣) Lefebvre , Romans et Contes égyptiens , p . 83 .

ثانوى للعائلة التى كانت جدف رع ، أما الهرم الثالث الصغير فقد رممت مقصورته فى أيام الأسرة الحادية والعشرين وأصبحت معبدا المعبودة إيسه (ايزيس) ودفنت فيه الملكة حنوت سن [١] وتذكر بردية تورين أنه حكم ٢٣ عاما مانيتون فيذكر أنه حكم ٦٣ عاما [٢] ، وهكذا شهد إتمام بناء هرمه . ولا نعرف أى شئ عن النشاط العسكرى لملوك هذه الأسرة غير الحملة التى أمر بها خوفو إلى شبه جزيرة سيناء . وعلى الرغم من أن آثار تلك الأسرة موجودة كاملة ، وكشاهد تاريخى ومادى لا يمكن تجاهله عن مدى التقدم الحضارى الذى بلغه الإنسان المصرى القديم ، فنيا وصناعيا ومعماريا وإداريا ، إلا أنها لا تفصح لنا عن شئ بل أكثر من هذا فهى لا تفصح لنا مثلا عن أحداث سياسية معينة ، ولدينا تمثال صغير لخوفو من العاج عثر عليه فى ابيدوس وهو محفوظ بالمتحف المصرى وهو التمثال الوحيد الذى نملكه ولا يتعدى طوله بضعة سنتيمترات[٣] ، وهو يمثله جالسا على كرسى متوجا بالتاج الأحمر .[٤] وكان لخوفو ابنة تحمل اسم مرسى عنخ الثانية دفنت فى المصطبة رقم G 741 oB .[٥]

---

(١) Vandier , Manuel d'Archéologie II , p .75-79 ، وايضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٠٣ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٦٢ ، شكل ٦٥-٦٧ .
ويرى د. حواس أن الأهرام الثلاثة خصص أولها من الشمال لأم الملك حتب حرس والثانى والثالث لزوجتيه مريت إيت إس وحنوت سن ، راجع : Siliotti-Hawass , Guide to Pyramids of Egypt , p . 56 .

(٢) Gauthier , op . cit . , p . 72 (2) n. 2 - 3 ؛ عن عصر خوفو عامة، راجع : Dormin–Goidin, Kheops, Nouvelle Enquete, Paris1986.

(٣) إذ يبلغ طوله ٧,٥ سم فى الارتفاع و ٢,٥ سم فى العرض وكان قد عثر عليه بترى عام ١٩٠٣ ، راجع : Gauthier , op . cit . , I , p 73.

(٤) Vandier , Manuel d'Archéologie III , p . 15 وأيضا : Saleh – Sourouzian ,Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no . 28 .

(٥) Simpson, LA 1V, p. 78 .

جدف رع (٢٥٣٨ – ٢٥٣٠ ق.م) : (١)

أن ترتيب تتابع ملوك هذه الأسرة غير مؤكد ، فلا نعرف مثلا حتى الآن أين يوضع الملك جدف رع ، الابن الثانى لخوفو ، الذى سلب العرش بعد أن دبر مؤامرة وقتل أخيه كاوعب(٢) ، وربما قتل نفسه بعد ذلك ، وقد جاء اسمه على الكتل الحجرية التى كانت تغطى المركب الكبير التى عثر عليها جنوب الهرم الأكبر ، مما يدل على أنه اشرف على دفن أبيه (٣) . وقد شيد لنفسه هرما أصغر حجما على بعد بضعة كيلو مترات إلى الشمال بالقرب من أبى رواش وكان يحمل اسم " سحدو جدف رع" أى مضئ جدف رع.(٤) وللهرم معبدان ، وتوجد حفرة على هيئة مركب منحوتة فى الصخر تقع إلى الشرق من الهرم طولها ٣٥ مترا وأكبر عرض لها ٣,٧٥ متر وعمقها ٩,٣٠ متر ، وقد عثر فيها على ثلاثة رؤوس لتماثيل الملك الأولى فى المتحف المصرى واثنين فى متحف اللوفر بباريس (٥) .وتذكر بردية تورين أنه حكم

---

(١) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p 36; Beckerath, LA I, p. 1099 - 1100 .

(٢) Martin – Pardey, LA 111, p. 378 – 379 .

(٣) وقد كتب على هذه الكتلة السنة الحادية والعشرين وهذا يدفعنا إلى اعتقاد أنها كانت قد قطعت فى هذه السنة أو أنها جهزت فى مكانها سنة أو سنتين قبل وفاة خوفو ، راجع : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٠٦ . وأيضا : Baines – Malek , op . cit ., p . 140 .

(٤) يعطى جوتبيه اسما آخر هرم جدف رع هو : " حرمر أى الهرم العلوى " ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨٦ – ١٩١ شكل ٧٢ ؛ Gauthier , livre des Rois I , p . 83 (3); LA 1V, p. 1231 – 1232 ; Helck, LA V, p. 5 .

(٥) عثر عليها شاسينا فى حفائره بالمنطقة عام ١٩٠٠ – ١٩٠١ ويبلغ ارتفاع الرأس ٢٨ سم ، راجع : Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt ,p. 165 .

ثمانية أعوام [1] .

خفرع (٢٥٢٠ – ٢٤٩٤ ق.م) :

تولى من بعد جدف رع ، وحكم خمسة وعشرين عاما أو أكثر [2] ، وقرر أن يشيد لنفسه هرما كبيرا مثل هرم خوفو ، وقد أختار الهضبة نفسها المرتفعة قليلا إلى جوار هرم أبيه ، وعلى الرغم من أن الارتفاع الحقيقى لهرم خفرع هو أقل من الهرم الأكبر بحوالى ثلاثة أمتار أى حوالى ١٤٣,٥ مترا وطول ضلع قاعدته المربعة ٢١٥,٥ مترا . وزاوية ميله هى ٥٣,١٠ درجة إلا انه يبدو اكثر ارتفاعا وكان من المفروض أن يكون الكساء الخارجى من الجرانيت ولكن قبل الانتهاء من العمل توفى الملك . ويسمى هذا الهرم " ور خفرع " أى عظيم خفرع .[3]

ونستطيع أن نرى باقيا معبده الجنائزى ، ومعبد الوادى الذى يمتاز باستقامة خطوطه وجودة صقل سطوحه الخارجية [4] ، وكانت تماثيل خفرع منتشرة فى أرجاء هذا المعبد وبعضها من حجر الديوريت ، ومن بينها تمثاله الشهير الذى يعتبر آية من آيات الفن المصرى ، ومن أجمل تحف المتحف المصرى ، ويمثل الملك وهو جالس على عرشه ووقف المعبود حورس على شكل صقر خلفه رأسه ليحميه ، ونرى مدى نجاح الفنان أو النحات المصرى فى إظهار التعبيرات على وجهه ودقته فى إظهار

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ،ص ١١٣ . Gauthier,op.cit., I , p . 83 (3) n . (2) .

(٢) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١١٨ ؛ Beckerath, LA I, p. 933 .

(٣) د.أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٩٢ – ٢٠٣ شكل ٧٥ – ٧٧ ؛ Baines – Malek , op . cit ., p .140 ; Gauthier , op . cit ., I , p 86 (4); LA 1V, p. 1232 – 1234 ; Helck, LA V, p. 5 .

(٤) أنور شكرى العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٢٥ – ٣٣٢ ، ص ٤٦٥ ، شكل ٥٢ ، ٥٣ .

عضلات الجسم .[١]

وكان ماريت قد عثر على هذا التمثال عام ١٨٦٠ ويبلغ ارتفاعه ١٦٨ سم وعرضه ٥٧ سم[٢] . وكان لمعبد الوادى مرسى فى الجهة الشرقية . ويبلغ طول الطريق الصاعد الموصل بين المعبدين حوالى ٥٠٠ مترا . ونرى أيضا الحفر التى كانت معبدة للمراكب حول الهرم وعثر منها على خمسة مراكب جنائزية [٣] . وهناك أيضا بقايا مدينة العمال فى الجهة الغربية من الهرم وكانت مقسمة إلى حوالى ١١٠ قاعة وكانت معدة إيواء أكثر من ٣٥٠٠ عاملا [٤] .

ومن أشهر المقابر الصخرية التى تقع فى الشرق من الهرم الأكبر ، مقبرة الملكة مرس عنخ الثالثة زوجة خفرع .[٥]

أبو الهول :

من المعتقد بوجه عام أن تمثال أبى الهول الشهير مؤرخ من حكم خفرع ، وقد نحت تمثال أبى الهول فى وسط مكان منخفض ، وليس هذا المنخفض فى حقيقة الأمر إلا محجرا كبيرا من المحاجر التى قطع منها العمال الأحجار اللازمة لبناء المجموعة الهرمية وكان فى الأصل عبارة عن كتلة صخرية تعترض الطريق الصاعد بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى وهنا واجه البناءون مشكلة وجود هذه الكتلة وفكروا فى تغيير شكلها ، وقد حولت هذه الصخرة إلى تمثال له جسد أسد ضخمن رابض رمزا للملكية ورأس آدمية تحمل غطاء الرأس الملكى المعروف باسم

---

(١) د. أحمد فخرى :المرجع السابق ، ص ١٢٠ – ١٢١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ،ص ١١٥ ؛ وأيضا : Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 96 fig , 26 .

(٢) Saleh – Sourouzian , op . cit . , no . 31 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٤ – ١١٥ .

(٤) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ ، صورة ٥٩ ؛ Simpson, LA 1V, p. 78.

" نمس " ويمثل وجهه الملك خفرع نفسه ويبلغ طول الجسم حوالى ٧٣,٥ مترا . وارتفاع الرأس من فوق مستوى الأرض ٢١ مترا ، وارتفاع الأذن ١,٧٣ متر ، وارتفاع الأنف ١,٧٠ متر . ويبلغ اتساع فتحة الفم ٢,٣٢ متر . ويبلغ أقصى عرض الوجه ٤,١٥ متر .[١]

وفى الأصل كان الوجه ملونا باللون الأحمر ، وغطاء الرأس باللون الأبيض ، ولم يحدث أن ملكا من ملوك الدولة القديمة أو غيرها حاول تقليد هذا التمثال الضخم ، وقد وجد اليونانيون فيه شبها من " أبى الهول " المقدس عندهم الذى يمثل بأنثى الأسد برأس امرأة الذى كان يسبب الرعب فى مدينة طيبة فى " بوتى Beoti" طبقا للأسطورة ، ولذلك أعطوه هذا الاسم الذى يطلق عليه خطأ حتى الآن .

وعند الحديث عن تمثال أبى الهول يخلط الناس بين عقيدتين مختلفتين : أبو الهول اليونانى الذى كان عبارة عن أنثى الأسد ذات جناحين ورأس امرأة وهى تلك الصورة المتخيلة فى أسطورة " أوديب " والأخرى وهى الأسود المقدسة الشهيرة المعروفة فى مصر والتى أسماها الإغريق أنفسهم " أبا الهول "[٢] ولكنها أسود برأس ملك وهى مذكورة ، كما ذكر هيرودوت . وهناك تشابه بين الكلمة اليونانية " سفنكس Sphinx" والتعبير " شسب عنخ Shespankh" (أى التمثال الحى أو الصورة

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢١١ ؛ Chr. Zivie, LA V, p. 1139 – 1147 .

(٢) فضلنا استخدام اسم " أبى الهول " اسما مبنيا كما استخدمه د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١١٧ (٤٦) ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص٢٢٧ – ٢٤٠ شكل ٩٣ ؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ٩٠ – ٩١ (١) ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٣٢ – ٣٣٤ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١١١ .

الحية) [١] . والذى استخدمه المصريون للتعبير عن الأسود الرابضة ، وابتداء من هذه التسمية اقترح بعضهم أن أسم أبى الهول اليونانى وشكله ما هو إلا تقليد فنى نقلى إلى الإغريق عن طريق سوريا وقد ثبت صحة هذا الأمر ، فأبو الهول أو الأسد يمثل قوة الملك الذى يقسو على المتمردين ويحمى الخيرين . وبوجهه الإنسانى ذى اللحية فهو ملك ، وبجسمه الحيوانى فهو أسد ضار ولا يمكن مقاومته أثناء القتال .

ونرى تماثيل أبى الهول موضوعة فى صفين يزدان بهما طريق المعبد فيما بعد ، ويزيد الملك من إعداد تماثيل أبى الهول لكى يدعم حماية المعبد ، وهو يندمج مع روح أبى الهول (أو روح الأسد) حارس الأفقين ، وأحيانا نجد أن المعبود نفسه هو الذى يتمثل فى الحيوانات الضارية لكى يدافع عن مسكنه ، وأبو الهول بالجيزة له شهرة كبيرة ، فهو أكبر تماثيل أبى الهول الموجودة لدينا ، وأقدمها ، وقد نحتها عمال خفرع على شكل أسد رابض حارس لجبانة الموتى الغربية حيث تغرب فيها الشمس ويسكن فيها الموتى .

وفى عصر الدولة الحديثة تغيرت فكرة المصريين عن " أبى الهول " فقد أصبح يمثل معبود الشمس وأصبحت له عبادة خاصة فى المنطقة ، وكان يطلق عليه اسم حور آختى أى " حورس المنتمى إلى الأفقين ".[٢] وكانت الصحراء التى حول الأهرام تعج بحيوانات الصيد ، وفى هذه الفترة كان أبو الهول مغطى بالرمال ، وكان الملوك والأمراء يأتون للصيد وزيارة هذا المكان وقد حدث أن جاء الأمير تحوتمس إلى المكان القريب من أبى الهول لكى يستريح فى ظل رأسه . وعندما أخذت الأمير سنة من النوم رأى فى الحلم أن هذا المعبود يتحدث إليه ويشكو إليه من تراكم الرمال حوله . وبشر المعبود الأمير بأنه سيصبح ملكا على مصر إذا وعده بإزالة الرمال التى تمنعه من التنفس ، ونقرأ تفاصيل حلم تحوتمس الرابع على لوحة أمر بإقامتها

---

(١) د.أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١١١ .

(٢) Muller – Winkler, LA V, p. 1139 – 1147; Assmann, LA 11, p. 992 – 996 .

هناك أمام صدر أبى الهول [١] . وعثر فى حفائر عام ١٩٣٦ وما بعدها على لوحات كثيرة هامة تدل على أن " أبا الهول " كان موضع تكريم فى الدولة الحديثة .[٢]

وقد عثر على معبد صغير شيده الملك امنحتب الثانى تكريما لأبى الهول وقام الملك بوضع لوحة فى ذلك المعبد تكريما للمعبود يقص فيها زيارته للمنطقة [٣] وقام الملك سيتى الأول بتكريس لوحة من الحجر الجيرى وأضاف بعض الأجزاء المعمارية إلى البوابة الخارجية لهذا المعبد .[٤]

ولم يقتصر الأمر على اللوحات التى أمر الملك بإقامتها ، بل كشفت الحفائر أيضا عن وجود عدد كبير من اللوحات التى أقامها رعاياهم [٥] وقد وفد على مصر فى عصر الدولة الحديثة الكثير من الآسيويين الذين جاءوا بعبادة معبوداتهم الآسيوية ومعهم وحالوا التقريب بينها وبين المعبودات المصرية ، وقد استقرت فى هذه المنطقة مجموعة من الرواد الآسيويين كانوا يتعبدون إلى معبودهم المسمى " حورون "[٦] .ورأوا فى " أبى الهول " المصرى شبيها لمعبودهم وقدسوه بهذا الاسم وأطلقوا على المكان الذى يحيط به " بوحول " ولما جاء العرب حرفوا الكلمة إلى أبى

---

(١) Chr. Zivie , Giza au Deuxième Millenaire, BdE 70 (1976) , p . 125 – 145 (doc , 14); Id., LA 11, p. 602 - 612 .
ترك تحوتمس الرابع حوالى ١٩ لوحة فى منطقى الجيزة مخصصة للمعبودات تحوت وحروس وآتوم وسوكر وآمون رع وبتاح وسشات وحتحور وايزيس وموت ، راجع Chr . Zivie , op . cit . , p . 145 – 159 .

(٢) Id . , op . cit . , p . 160 – 203 .

(٣) Id . , op . cit . , p . 64- 84 .

(٤) Chr , Zivie , op . cit . , p . 184 – 189 .

(٥) Id . , op . cit . , p 207 - 249 .

(٦) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٩٨ ؛ Chr . Zivie . , op . cit . , p , 311 – 313 .

الهول[١] ، وذلك بعد إضافة كلمة (أبو) وهى مأخوذة من لفظ مصر قديـــم " بـــو " بمعنى مكان .

وقد تعرض تمثال أبى الهول لكثير من عمليات الردم بواسطة الرمال التـــى تحيط به ، وفى العصر البطلمى حاول البناءون ترميـــم التمثـــال باســـتخدام أحجـــار صغيرة الحجم ، ووضعوا بين قدميه مائدة للقرابين من الجرانيت الأحمر مازالت فـــى مكانها حتى الآن . وكانت منطقة أبى الهول من المناطق التى كان يقبل عليها النـــاس فى العصر الرومانى ، وكان الزوار ينقشون أسماءهم وتعليقاتهم على ذراعـــى أبـــى الهول وعلى لوحات تركوها على مقربة من هذا المكان وقد شوه أنفه وكذلك اللحيـــة والعنق وضاعت بعض ألوانه .

ولم يقم جنود بونابرت بتحطيم انف أبو الهول كما يقال . ولكن طبقـــا لمـــا رواه المقريزى الذى توفى عام ١٤٤١ ميلادية ، يذكر أنه كان يعيش فى زمانه رجـلى صوفى يدعى " صائم الدهر " هو الذى ذهب إلى منطقة الأهرام وشـــوه وجـــه أبـــى الهول باعتباره من آثار الوثنية القديمة . وقد ترك خفرع تمثالا جميلا من الديوريـــت عثر عليه فى معبد الوادى ، وهو الآن بالمتحف المصرى . ويعد من آيات فن النحت المصرى كما ذكرنا سلفا[٢] . وقد حكم خفرع طبقا لمانيتون ٦٦ عاما [٣] . وقد تزوج خفرع من ابنة أخيه كاوعب ، مرس عنخ الثالثة ، وقد ظهر فى عهده لقـــب ملكـــى جديد هو " سارع " أى " ابن رع " [٤] .

---

(١) S. Hassan , The Great Sphinx and its Secrets (1958) , p . 52 – 122 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 271 – 272 , Chr . Zivie, Giza Au Deuxieme Millenaire (BdE 70) , (1967) , p . 310 – 315 .

(٢) د.أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٤٤ – ٤٤٥ .

(٣) Gauthier , Livre des Rois I , p . 86 (4) n . (2) .

(٤) يرى دوما أن هذا اللقب قد أضافه الملوك ابتداء من نفـــرار كـــارع فـــى الأسرة الخامســـة : Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique,p.73

جاء من بعده جدف حور[١] وباواِف رع[٢] اللذين ورد ذكرهما فــى بردية وستكار . ولكنا لا نعرف عن حكمها أى شئ . وتولى العرش بعد ذلـــك منكـاورع ٢٤٩٠ – ٢٤٧٢ ق.م [٣] . وحاول بعض الباحثين أن يشـكوا فــى اعتبـاره ولـدا لخفرع ، وحكم فى حوالى عام ٢٦٠٠ ق.م . ويقص علينا هــيرودوت جــزءا مــن تاريخ حياته فيقول إن ابنته قد انتحرت . وقد توفى فجأة ، ويقـول أيضـا أن وحــى مدينة بوتو لم يعطيه أكثر من ست سنوات للعيش ، فلما عرف نهايته قد قربت أخــذ يشرب ويمجن بالنهار والليل ، ويقصد أماكن اللهو حيثما وجدت ليجعل من الســنوات الست اثنتى عشرة سنة ، بما يثبت للوحى كذبه [٤] . وفى الواقع أنه كان رجلا تقيـا ، ولذلك لم يوافق على القواعد الصارمة التى وضعها سابقوه ، فقد ترك الشعب حرا فـى أن يتفرغ لعمله ويقدم القرابين ، وبعكس جميع الملوك فقد حكم بــالعدل ، ويبــدو أن هيرودوت قد خلط بينه وبين باك إن رن إف أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين .[٥]

وقد شيد منكاورع هرمه على الهضبة نفسها ، ويبلغ ارتفاعه ٦٥,٥ مـــترا وطول الضلع ١٠٨,٥٠ مترا . وقد اكتشفه " برينج Berring" عــام ١٨٣٩ . وقــد شيد بحجم صغير دون أن يصل إلى ارتفاعات أهرام سابقيه ، فهذا الهرم لا يصـل إلا إلى منتصف الأهرام الأخرى ، مما يدل علـــى ضعــف الإمكانيــات الماديــة فــى عصره [٦] . ويسمى هذا الهرم " نثرى خفرع " أى " مقدس خفرع " [٧] وعندما دخـل برينج حجرة الدفن فى الهرم عثر على بقايا مومياء الملك فى تابوته والذى كتب عليـه النص الاتى :

---

(١) Beckerath, LA I, p. 1099 – 1100 .

(٢) Beckerath, LA I, p. 600.

(٣) Baines – Malek , op . cit . , p . 36 .

(٤) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٢٤ حاشية (٢) .

(٥) Posener , op .cit . , p . 182; Griffiths, LA IV, p. 276-277.

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٧) Baines – Malek, op cit., p140; Gauthier, Livre des Rios I, p . 95 (5); LA IV, 1234-1239; Helck, LA V, p. 5

د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية، ص ٢٠٣ ٢١٩ شكل ٧٨ – ٨٧ .

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ، منكاورع ، الحى أبدا ولد من نوت ، وأنجبته معبودة السماء نوت ، وريث المعبود جب المفضل لديه ، أمك نـوت تبسـط ذراعيها عليك باسمها " سر السماء " وتمنحك الحياة كمعبود بدون أعداء "[١] . وقـد عثر أيضا على التابوت الخارجى من البازلت ،الذى كان فى طريقه إلى إنجلترا ولكـن الباخرة التى نقلته غرقت فى البحر المتوسط أمام شواطئ أسبانيا ، ويرقـد التـابوت الآن فى أعماق البحر . وقد أجريت عدة حفائر فى معبد الوادى عثر فيه على بعـض التماثيل الجميلة التى تمثل الملك وعن يمينه المعبودة حتحور وتمثال آخر على هيئـة امرأة يمثل أحد الأقاليم المصرية ، وقد عثر على أربعة تماثيل من هذا النوع ، وهـى موجود بالمتحف المصرى ، ويبلغ ارتفاعها ٩٢.٥ سم وعرضها ٤٦,٥ سـم . وقـد عثرت عليها بعثة هارفارد بوسطن عام ١٩٠٨ ولم ينته البناء من المعبد عندما توفـى الملك ، فأكمله أبنه وخليفته شبسسكاف (٢٤٧٢ – ٢٤٦٧ ق.م)[٢] . وأتـم معبـد الوادى بمواد بسيطة من الطوب اللبن [٣] ، أما الطريق الصاعد فبنـى مـن الجحـر الجيرى المحلى .[٤]

ويقال أنه فى نهاية حكمه عرف منكاورع الصعاب المالية ، وفرغـت خزائنه ، فقد قام الكثير من الأعياد وكان يتمتع بالنهار والليل دون انقطاع وعاش ابنه فى تلك الصعاب الماليـة ، و علـى الرغم من أنه حكم حوالى ثمانية عشر عاما [٥]

---

(١) Wiegall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 41 – 42 .
د.احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢١٤ – ٢١٩ .

(٢) Saleh – Sourouzian , op. cit . , no . 33 .

(٣) Baines – Malek , op . cit . , p . 36 .

(٤) أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ – ٣٣٨ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢١٦ .

(٥) يذكر د .أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٢٣ أنه حكم أكـثر مـن واحد وعشرين عاما . ويذكر مانيتون انـه حكـم ٦٣ عامـا ، راجـع :
Gauthier , livre des Rois I , p . 95 (5) n . (2) .

ألا أنه ترك فى النصوص المصرية ذكرى طيبة كرجل متسامح .

جاء من بعده شبسسكاف الذى لم يحكم سوى أربع سنوات . ويذكر مانيتون أنه حكم سبع سنوات [١] وشيد لنفسه فى الناحية الجنوبية من سقارة ، مقبرة على هيئة مصطبة كبيرة سميت الآن باسم مصطبة فرعون [٢] . وتبلغ ١٠٠ مترا × ٧٢ مترا × ١٨ مترا فى الارتفاع ، وأضاف إليها معبدا جنائزيا ومعبد للوادى وطريقا يوصل بينهما وكانت المقبرة تحمل اسم " كبحو شبسسكاف " طاهر شبسسكاف "[٣] .

أما عن خنتكاوس فيثار الجدل بشأنها ويتجه الرأى الآن إلى أنها كانت ابنة منكاورع وآختا لشبسسكاف وأنها تزوجت من بعده أحد الخواص وهو وسر كاف فأيدت حقه فى اعتلاء العرش ، وشيدت لنفسها مقبرة فى الجيزة على هيئة مصطبة كبيرة أو تابوت كبير ، فوق قاعدة من الصخر كستها بحجر جيرى جيد وشيدت كذلك معبدا جنائزيا صغيرا .[٤]

وعلى بعد حوالى كيلو متر إلى الجنوب الشرقى من أهرام الجيزة عثر د. حواس على حوالى ٣٠مقبرة كبيرة و٦٠٠ مقبرة صغيرة واستخدمت لدفن الفنانين ورؤساء العمال والعمال الذين ساهموا فى بناء الأهرام وملحقاتها وهى مقابر بسيطة

---

(١) Gauthier , op . cit ., I ; p . 101 (6) n . (2); Beckerath, LA V, p. 582 – 583 .

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢١٩ – ٢٢٣ شكل ٨٨ – ٩٠ ؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ١٢٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٣) Baines – Malek , op . cit . , p . 140 ; Gauthier , op . cit . I , p . 101 (6); LA 1V, p. 1239 – 1241 ; Helck, LA V, p. 5 .

(٤) د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية، ص ٢٢٣ – ٢٢٦؛ المؤلف نفسه : مصر الفرعونية ، ص ١٢٥ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ ؛ Otto, LA I, p. 930 – 931; LA 1V, p. 1241 –1243

جدا شيدت بكتل صغيرة من الحجارة على سـطح الأرض .[١] ولا تقـارن بمقـابر العمال فى دير المدينة .

الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ – ٢٤٢٠ ق.م) [٢] :

ظهرت عائلة ملكية جديدة فى الأسرة الخامسة ومعها بدأت تظـهر أهميـة عبادة الشمس . وهناك أسطورة مصرية ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة تقص علينـا كيفية نشأة الأسرة الخامسة ، وهى بردية وستكار [٣] والمعروفة باسم قصص أبنـاء الملك خوفو [٤] والتى صورت الملك خوفو يسامر أبناءه ويسمح من كل منهم قصة او معجزة قام بها ملك من عصر سابق أو كاهن أو ساحر قدير ، فقص جـدف حـور لوالده خوفو قصة الساحر جدى الذى تنبأ بأسماء ثلاثة ملوك الأسرة الخامسة الذيـن سوف يتولون الحكم بعد مدة طويلة ، وذلك عندما سأله الملك عـن معرفتـه لعـدد الخزائن السرية المقدسة المخصصة للمعبود تحوتى معبود الحكمة والمعرفة ، قال لـه جدى ان الذى يعرف ذلك هو أكبر ثلاثة أبناء لسيدة تدعى رود جدت زوجة كـاهن المعبود رع " سيد ساخبو "[٥] . وسوف تحمل فيهم من روح المعبود نفسه وهـؤلاء

---

(١) Siliotti –Hawass , Guide to the Pyramids of Egypt, p. 86 – 87 .

(٢) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 36 .

(٣) وستكار Westcar رحالة وجامع آثار إنجليزى (١٧٩٨ – ١٨٦٨) وهو الذى اشترى هذه البردية التى عرفت باسمه وآلت ملكيتها بعـد ذلـك إلـى لبسيوس ، راجع :
Dawson , Who was in Egyptology , Oxford 1972,p302 .

(٤) هى مجموعة من القصص محفوظة فى بردية فى متحف برلين ، راجـع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٩٦ – ٤٠٢ .

(٥) مدينة لا تبعد كثيرا عن منطقة هليوبوليس ، فهى تقع غالبا علـى الضفـة الغربية من النيل ، راجع :د. عبد الحميـد زايـد : مصـر الخـالدة ، ص ١٠٦٢؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السـابق ، ص ١٢٣ ؛ وأيضـا :
Daumas, op . cit ., p . 73;Sauneron , Kemi II (1950), p . 63.

الثلاثة سوف يتولون السلطة فيما بعد ، وعندئذ انزعج خوفو ، فطمأنه جدى أن ذلك لن يحدث فى حكمه أو حكم أبنه أو حفيده .[١]

ويحكى أنه قبل حكم خوفو أو أحد أبناءه ، هاجر أحد نبلاء الفنتين ، بالقرب من الجندل الأول وكان يسمى وسررع ، إلى ايونو ، وبالفعل وجد له مكانه هامة بين كهنة معبود الشمس رع ، وقد تزوج هذا الكاهن من أميرة يجرى فى عروقها الدم الملكى ، وقد حملت هذه الزوجة بثلاثة الملوك الأوائل للأسرة الخامسة ، وحملت من روح المعبود رع نفسه الذى اعتبر أبا روحيا لهؤلاء الملوك الثلاثة ، وقد ولد لها ثلاثة أبناء أكبرهم وسر كاف ، الذى ولد فى عهد خوفو ، وربما أصبح كبيرا لكهنة المعبود رع فى ايونو تحت حكم الملك منكاورع .

وفى الواقع أن عبادة معبود الشمس رع أصبح لها أهمية كبرى وذلك لأن اصل الأسرة كان من ايونو ، وربما أيضا أن كهنة هذه المدينة قد ساهموا فى الاستيلاء على السلطة بواسطة أسرة هؤلاء الملوك . ومنذ بداية هذا العصر نجد أن الملوك يتلقبون بصفة دائمة بلقب " ابن رع [٢] " وغلب على حياة هذا العصر الطابع الدينى الذى يمكن أن نراه أولا فى أسماء الملوك أنفسهم حيث نجد اسم المعبود رع يظهر دائما فى أسمائهم وهم تسعة ملوك: [٣]

١- اير ماعت (وسر كاف) [٤] .

---

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ؛ وأيضا : Lefebvre , Romans et Contes Egyptiens , p . 85 .

(٢) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 61 .

(٣) يعطى ولف نفس القائمة ، راجع : Wolf , Das Alte Agypten , p . 231 ; Gauthier , Livre des Rois I , p. 106 – 121 .

(٤) يشير الاسم إلى رع لأنه يعنى " تجلت روحه " .

٢- نب خعو (ساحورع) .

٣- اوسر خعو (نفرار كارع) كاكاى) .

٤- ... وسرنثرو (شبسكارع) .

٥- نفرخعو (اسيى) (نفر إف زع) .[١]

٦- ست إيب تاوى (نى اوسر رع) (انى) .

٧- من خعو (منكاوحور) (ايكا وحور) .

٨- جد خعو _ جد كارع) (اسيسى) .

٩- واج تاوى (ونيس) أو (سارع ونيس) .[٢]

وس كاف (٣٤٦٥ – ٣٤٥٨ ق.م) :[٣]

كان من بين المرشحين للعرش حيث توفى شبسسكاف ، وعندما انتهت الأسرة الرابعة ، أعلن وسر كاف ملكا وكان يبلغ عندئذ الخمسين عاما أو أكثر ، ولم يمكث وسر كاف على العرش إلى لمدة قد تزيد عن سبع سنوات [٤] فطبقا لما جاء فى بردية تورين ومانيتون نجد أنه حكم ثمانى سنوات . ولا نعرف آى شئ عن الأحداث

---

(١) أحيانا نجد لبعض الملوك الأسرة الخامسة أسمين فى خرطوشين ، راجع : نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ٤٩٩ ، وأيضا : Gauthier , livre des Rois I , p . 105 – 142 .

(٢) Gauthier , op . cit . I , p . 139 (III), p . 140 (V – VI) .

(٣) Baines – Malek , op . cit ., p. 36; Goedicke, LA V1, p. 900- 901 .

(٤) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٣١ ، أما بردية تورين ومانيتون فيذكران أنه حكم ثمانية أعوام ، راجع :. Gauthier , op cit . I , p . 105 (1) n . (3-4) .

التى تمت خلال حكمه ، وقد عثر على اسمه منقوشا على عمود من الجرانيت فى طيبة ، وعثر على اسمه منقوشا أيضا على آنية من المرمر الحجر عثر عليها فى معبده الجنائزى ونقش عليها " (إلى) وسر كاف من كيثر " (الآن سريجو إحدى جزر بحر ايجه)[١] Cerigo بالقرب من الشاطئ الجنوبى اليونان . مما يبعث على الاعتقاد بأنه أقام علاقات تجارية مع الشاطئ الشمالى للبحر المتوسط ، وشيد وسر كاف هرمه على بعد قليل من الناحية الشمالية لهرم جسر ، وكان يحمل اسم " وعب سوت وسر كاف " أى " الأماكن الطاهرة لاوسركاف "[٢] ويطلق عليه الآن اسم الهرم المخربش ، وقد شيد بقطع صغيرة من الأحجار الجيرية .

ويبلغ طول ضلعه ٧٠,٣٧ مترا وارتفاعه الأصلى ٤٩ مترا ، وأصبح الآن ٤٤,٥٣ مترا . وفى المعبد الجنائزى لأوسر كاف عثر على كتلة من الحجر الجيرى الملون بالمتحف المصرى عثرت عليها بعثة مصلحة الآثار عام ١٩٢٨ ، ونرى على هذه الكتلة منظرا يمثل أحراش البردى والطيور التى تحوم حولها .[٣]

ونعرف من مصادر أخرى أنه أول من بنى معبدا للشمس فى أبو صير ، وعثرت فيه البعثة السويسرية الألمانية المشتركة عام ١٩٥٧ على رأس من الشست كانت جزءا من تمثال كامل . وهى على درجة كبيرة من الإتقان [٤] . وربما كانت هذه الرأس جزءا من تمثال للمعبودة نيت الذى كان قائما فى معبد رع لأن نيت كانت تعتبر أما للمعبود رع [٥] التى كان لها عبادة هامة فى منف بجوار

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne p . 42; Helck, LA I, p. 69; Sethe, ZAS 53 (1917), p. 55 .

(٢) Baines – Malek , op . cit . , p . 140 ; Gauthier , op . cit . I , p.105; LA 1V, 1244-1245 ; Helck, LA V, p. 5 .
د.أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٤٢ – ٢٤٧ .

(٣) Saleh – Sourouzian , op . cit . , no . 36 .

(٤) د.احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٥) R. el Sayed , la Déesse Neith de Sais , BdE 86 , le Caire 1982 . p . 262 – 263 (doc , 183) .

معبد المعبود بتاح فى الدولة القديمة . وقد اعتقد البعض خطأ أن هذه الرأس تخص الملك وسر كاف نفسه ويبلغ ارتفاعها ٤٥ سم وعرضها ٢٥ سم ، وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى [١] .

ومن أهم الشخصيات فى عهده " نى كاعنخ " الذى كان يشغل وظيفة رئيس حجاب القصر وله مقبرتان فى طهنا الجبل .[٢] وقد عثر على اسم الملك فى مقبرة نى كا عنخ ، وتعتبر فترة حكمه من أهم الفترات فى التاريخ المصرى القديم ، بالنسبة لتعاون البلاط الملكى مع كهنة معبود الشمس رع ، ونرى أيضا تأثيرا ديانة الشمس فى العمارة وفى المعابد ، وتذكر لنا حوليات حجر بالرمو ، بناء الكثير من المعابد لمعبود الشمس رع .[٣]

ساحورع (٢٤٥٨ – ٢٤٤٦ ق.م) : [٤]

جاء من بعد وسر كاف ، ساحورع الذى شيد لنفسه هرما صغيرا فى منطقة

---

(١) Saleh – Sourouzian , Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo , no . 35 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٣٢ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٩ ، ص ١٢٤ .
ولقد شيد ستة ملوك من الأسرة الخامسة وهم : وسر كاف ، وساحورع ، ونفراركارع – كاكاى ، ونفر إف رع ، ونى أوسررع – آنى ، ومنكاوحور ، معابد للشمس على غرار معبد ايونو ، وكان كل معبد يحمل اسما يتصل بالمعبود رع مثل : سرور رع ، افق رع ، حقل رع ، ولم يبق من هذه المعابد إلا اثنان فقط وهما اللذان يخصان وسر كاف ونى آوسررع آنى ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٤) Baines – Malek , op . cit . , p . 36; Chr. Muller, LA V, p. 352 - 353 .

أبى صير شمال سقارة [١] وكان أول ملوك الأسرة الخامسة الذين اختاروا منطقة أبو صير ليشيدوا فيها أهرامهم وملحقاتها ، وتبعه أربعة ممن جاءوا من بعده وهم نفرار كارع ، شبسسكارع ، نفر إف رع ، نى أو سررع [٢] . وكان لمعبد الوادى للملك ساحورع مرسى فى شرقه وآخر فى جنوبه وكانت أرضيته من البازلت المصقول والسقف من حجر جيرى ، ويعتمد على ثمانية أساطين نخيلية الشكل . وقد أصبح الطريق الصاعد يسقف لحماية ما ينقش على جدرانه من الداخل ، وكان الهرم يحمل اسم " خع با ساحورع " أى " إشراق روح ساحورع "[٣] . وكان الارتفاع الأصلى ٤٧ مترا .[٤]

ويمتاز المعبد الجنائزى للملك ساحورع باتزان أجزائه ويتألف من خمسة أجزاء رئيسية ردهة وفناء مكشوف وخمس مشكاوات ومخازن وقدس الأقداس ، وقد عثر بورخارت فى هذا المعبد عامى ١٩٠٧، ١٩٠٨ على كتلة من الحجر الجيرى الملون عليها منظر يمتل موكب الأشخاص الذين يمثلون الأقاليم يحملون منتجات أقاليمهم إلى سيد المعبد .وتوجد هذه الكتلة الآن بالمتحف المصرى .[٥]

وفى الجنوب الشرقى من هرم كل من ساحورع ونى أوسررع – أنى وونيس هرم صغير ، يقع مدخله فى شماله ويؤدى إلى منحدر يؤدى إلى قاعة .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٥ – ٣٤٧ شكل ١٣٩ وصور ٥٥- ٥٦ .

(٣) LA IV, p. 1245 – 1246; Helck, LA V, p. 5 .

(٤) Baines – Malek , op . cit . , p . 140 ; Gauthier , op . cit . I , p . 109 (2) . د. أحمد فخرى :الأهرامات لالمصرية ، ص ٢٤٧ – ٢٥٢، شكل ٩٦ – ٩٨ .

(٥) Saleh – Sourouzian , op cit . , no . 37 .

وهو ما عرف باسم هرم الطقوس .[١]

وتجمع بين أعمدة عمارة معابد الوادى والمعابد الجنائزية فى الأسرتين الخامسة والسادسة صفات عامة مشتركة ، مع ذلك فهى تختلف قيما بينهما فى كثير من التفاصيل .

وقد شيد ساحورع كذلك معبد لمعبود الشمس رع فى المنطقة نفسها على غرار معابد الشمس فى هليوبوليس ، ويتكون من فناء كبير مفتوح يحيط به من الجوانب مجموعة من الحجرات ، أسقفها محمولة على أعمدة ، وفى نهاية الفناء يوجد منصة من الحجر الضخم أمامها مائدة قربان ضخمة [٢] . ويعد هذا المعبد من أفخم المعابد واستخدمت فيه أعمدة الجرانيت ذات تيجان النخيلية ، بلغ من عناية المهندس المعمارى أن جعل مياه المطار تنساب من مزاريب كل منها على هيئة راس أسد تسقط المياه من أفواهها إلى قنوات صغيرة فى باطن الأرض ، ثم تسير المياه منحدرة إلى الخارج . أما المياه المستخدمة داخل المعبد فكانت تسير فى مواسير تحت أرضية المعبد ، وكانت مصنوعة من النحاس ومتماسكة إلى بعضها بالرصاص.

وتسير إلى خارج المعبد حيث تصب فى خزان فى أحد الأماكن المنخفضة بعيدا عن المعبد [٣] وقد نقشت على جدران هذا المعبد ، مناظر تمثل بعض الأحداث التى تمت فى عصره ، ومن بينها ، رحيل أحد الأساطيل إلى شواطئ سوريا العليا

---

(١) د.أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٣٢ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ – ٣٥٤ ، شكل١٣٨ – ١٤٤ .

(٢) Borchardt , Das Grab denkmal des konigs Sahure I (1910) p. 7-12 . ؛ وأيضا د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٤٩ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٣٢ .

وذلك لإحضار أخشاب الأرز من غابات جبيل ، ونرى ضمن المناظر أيضا عودة بعض البحارة الآسيويين .

وربما عادت المراكب بأميرة ليتخذها الملك كزوجة له [١] ، ومن بين المناظر تصوير لوفود أسرى ليبيين .

ولم يبق من هذه النقوش إلا القليل ، ونعلم أيضا أنه ارسل حملة إلى سيناء لتأديب القبائل البدو الذين يعملون على السلب والنهب وأرسل حملة إلى بلاد النوبة السفلى – بين الجندلين الأول والثانى [٢] – وذلك بغرض تأديب الزنوج الثائرين ، وقد عثر على لوحة باسمه فى محاجر الديوريت بالقرب من ابى سمبل ، ونعرف من حجر بالرمو أنه أرسل حملة إلى بلاد بونت وأن تلك الحملة عادت ومعها مقادير كبيرة من البخور والذهب والأبنوس [٣]

وقد أمر هذا الملك بتشييد باب وهمى لطبيبه الخاص فى جبانة سقارة ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٣ ؛ Weigall , op . cit . , p. 43 .

(٢) تنقسم بلاد النوبة إلى قسمين : النوبة السفلى وتقع معظمها داخل الحدود المصرية إذ تمتد من جنوبى أسوان حتى ادندان جنوب قسطل وكان يطلق عليها اسم "واوات" . والنوبة العليا وتمتد من جنوب ادندان أى الجندل الثانى حتى الجندل السادس شمال الخرطوم وكان يطلق عليها اسم " كاش " ، راجع د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو ١٩٧١ ، ص ٤٧ ؛ وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة حندوسه) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

(٣) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ويعتبر هذا أول ذكر لبلاد بونت فى النقوش المصرية ، راجع : حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ١٩٨٤ ، ص ١٤٣ حاشية (٣) (عن موقع هذه البلاد ، راجع فيما بعد : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، ص ١١٠ – ١١١ حاشية (٥)) ؛ ومقالنا فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب – جامعة المنيا ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٩٩ ، ص ١ – ١٠٣.

وتقص علينا النقوش أن هذا الباب الوهمى ، قد نفذ بأمر الملــك بواســطة صنــاع مهــره من معبد المعبود بتاح فى منف ، وكان هذا العمل تحت المراقبة حتى اليــوم الذى انتهى منه فيه ، ويقص علينا الطبيب قائلا :

" لقد قالى صاحب الجلالة ، بحق أن خياشيمى تستنشق الصحــة (بفضــل مهارتك) وبحق حب المعبودات لى ، لعلك تذهب إلــى مثــواك الأخــير ، منعمــا بالتكريمات وبطول الخلود ، ولقد شكرت الملك كثيرا ومدحت كل معبود مــن أجــل ساحورع لأنه يعلم رغبات كل من فى البلاد ... وإذا كنتــم تحبــون رع ، فســوف تمدحون المعبودات من أجل ساحورع ، الذى أقام هذا الأثر من أجلى " [١] .

وقد ذكر مانيتون أن ساحورع حكم لمدة ثلاثة عشر عاما على حين ذكــرت بردية تورين أنه حكم لمدة اثنى عشر عاما فقط [٢] .

نفرار كارع – كاكاى (٢٤٤٦ – ٢٤٣٦ ق.م) : [٣]

حكم من بعد ساحورع ملوك جلسوا على العرش فترات قصيرة منهم نفــرار كارع – كاكاى الذى أقام لنفسه هرما فى أبى صير ولكنه لم يتمه وكان يحمــل اســم " با نفرار كارع " أى " روح نفرار كارع "[٤] وكان ارتفاعه الأصلى ٧٠ مــــترا[٥] ، ويبدو أنه حكم فترة أكثر من العشرة الأعوام [٦] .وكان يبلغ من العمر عنــد توليــه

---

(١) Weigall , op . cit . , p . 44 .

(٢) د.أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٣١ ، يذكر أنه حكم أربعة عشــر عاما ، راجع : Gauthier , Livre des Rois I , p . 109 (2) n . (23)

(٣) Baines – Malek , op . cit , p .36; Beckerath, LA 1V, p. 375

(٤) LA 1V, p. 1246 – 1247; Helck, LA V, p. 5 .

(٥) Baines – Malek , op . cit . , p .140 .
د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٥٢ – ٢٥٤ ، شــكل ٩٩ ؛ Gauthier , op . cit . I , p . 116 (4) .

(٦) تذكر بردية تورين أنه حكم لمدة عامين ، راجع :. Gauthier , op . cit I , p . 114 (3) n . (2) .

العرش حوالى السبعين عاما ولكنه عاش حتى التسعين ، ونقرأ عن أعماله فى نقوش حجر بالرمو ، ففى السنة الأولى من حكمه منح الأوقاف للمعبودات والتاسوع المقدس ولأرواح هليوبوليس ، وقدم مذبحا للمعبود رع ومذبحا آخر للمعبود حتحور . وقدم الهبات للمزارعين الذين كانوا يعملون فى الأراضى التى تملكها المعابد ، وأصدر مرسوما ملكيا يعلن فيه إعفاء مزارعى المعابد من القيام بأى عمل آخر تتطلبه مشاريع الإصلاح فى الأقاليم الأخرى (١)

ومن اللمحات الإنسانية التى كان يتصف بها هذا الملك ، ما جاء فى نقوش مقبرة وزيره " واش – بتاح " .

ففى يوم ما كان الملك يقوم بصحبة عائلته بتفقد بعض العمائر الخاصة به ، وكان يصحبه واشبتاح الذى كان فى سن متقدمة .

وكان واشبتاح يقوم بشرح ما تم إنجازه وقد امضى الملك نهاره هناك مسرورا بنا رأى وشاهد وقد شكر وزيره على جهوده ." وقد لاحظ جلالته أن واشبتاح لا ينصت إلى ما يقول " ، وأدرك الملك أن الرجل المسن قد أتته النوبة ، فأمر بأن يصحب إلى القصر ، " وأمر جلالته بان يحصروا له كتابا (أى بردية) فى الطب ، ولكنه أتضح من الكتاب أن حالة واشبتاح من الحالات الميئوس منها وحزن صاحب الجلالة بدرجة كبيرة ، وقبل أن يقوم بعمل أى شئ انطوى جلالته فى إحدى الحجرات قائلا لو اشبتاح أنه سيفعل كل ما يريده ويرغب ولكن واشبتاح توفى بعد ذلك بقليل "، و" أمر جلالته بأن يصنع له تابوت من الخشب المغطى بقطع من المرمر " وطلب جلالته أن ينقش هذا الحدث على جدران مقبرته " (٢)

وهناك قصة أخرى لشخص يدعى رع ور ، الذى كان يعمل مديرا للقصر الملكى ، " وقد جاء أنه بينما كان يسير إلى جوار الملك أثناء احتفال رسمى ، إذ

---

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ، س ص١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ؛ وأيضا – Breasted , ARI(III); Martin – Pardey, LA IV, p. 1181 – 1182 .

حدث أن لمست عصا الملك التى كان يحركها ساق رع ور ، فاعتذر الملك له . وأمر أن يسجل هذا الاعتذار على لوحة وضعت فى مقبرة ذلك الموظف " ، وقال له :"أنت أحب رجل إلى وأخص الناس بعطفى " .[١]

وقد كشف عن مقبرة رع ور عام ١٩٢٩ فى منطقة الجيزة وعثر فيها على عدد كبير من التماثيل [٢] ويكفى أن نذكر أن عدد حجرات المقبرة وأبهائها وممراتها لا تقل عن خمسين ، ولو حصرنا ما بقى من أجزاء تماثيلها لتأكد لنا أنه كان منها اكثر من مائة فى هذه المقبرة .[٣].

بقية ملوك الأسرة :

تولى بعد ذلك شبسسكارع (٢٤٢٦ - ٢٤١٦ ق.م)[٤] الذى حكم لمدة اثنى عشر عاما طبقا عاما لما جاء فى بردية تورين وسبع وسنوات [٥] فى تاريخ مانيتون ، ولا نعلم عنه إلا القليل ، وجاء من بعده نفر إف رع الذى حكم سبع سنوات طبقا لبردية تورين [٦] وشيد هرما صغيرا فى أبى صير [٧] .وكان يحمل اسم " نثرباو نفر اف رع " أى " مقدسة أرواح نفر اف رع " .[٨] وعثرت بعثة المعهد التشيكى عامى ١٩٨٤و١٩٨٥ فى أثناء حفائرها فى المعبد الجنائزى الخاص بهذا

---

(١) S.Hassan , Excavations at Giza I, p. 18 – 19 ; Weigall, op . cit . , p . 45 .
وأيضا " د. احمد فخرى :المرجع السابق ،ص ١٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٢) Jelinkova , ASAE50 (1950) , p . 342 ; PM III , p . 57 .

(٣) د.أحمد فخرى : المرجع الساق ، ص ١٣٦ .

(٤) Baines –Malek , op. cit . , p . 36; Beckerath, LA V, p. 583.

(٥) Gauthier , Livre des Rois I , p . ; 119 (5) n .(4-5) .

(٦) Gauthier , op . cit . I , p . 120 (6) n . (2); Beckerath, LA V, p. 372 .

(٧) د. أحمد فخرى :مصر الفرعونية ، ص ١٣٧ .

(٨) Baines – Malek ,op.cit . , p . 140 ; Gauthier , livre des Rois I,p.120 (6); LA 1V, p. 1247; Helck, LA V, p. 5 .؛ د.أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٥٥ .

الملك فى أبى صير ، على تمثال صغير لهذا الملك من الحجـر الجـيرى الملـون ، يحميه مـن الخلف المعبود حورس ، ويوجد هذا التمثال الذى يبلغ ارتفاعه ٣٤ سـم بالمتحف المصرى.[١]

وذكر اسمه فى قائمة ابيدوس ،وصعد على العرش بعدذلك ،نى اوسر رع – انى(٢٤٠٩ – ٢٣٧٧ق.م)[٢].والذى طالت أيام جلوسه على العرش فزادت عن اثنين وثلاثين عاما [٣] ، وبنى لنفسه هرما فى أبى صير أيضا ، وكان يحمل اسـم " مـن سوت نى اوسر رع " أى " ثابتة أماكن نى اوسر رع "[٤] ويبلغ ارتفاعـه الأصلـى ٥١,٥ مترا " كما بنى معبدا للشمس فى منطقة أبو غراب شمال سقارة وعلى بعد قليل من المبانى التى شيدها ساحورع ، ويظن أنه كان يشبه فى مخططه معبد الشمس فـى ايونو ، وكان هذا المعبد يشغل مساحة طولها ١١٠ من الأمتار وعرضها ٨٠ مـترا يحيط بها جدار مرتفع سميك ، وتقوم فى مؤخرتها قاعدة ضخمة ترتفع لنحو عشـرين مترا تقريبا ، وكانت تعلوها مسلة كبيرة ،وأمام قاعدة المسلة مائدة قربان ضخمـة ، ويعتبر هذا المعبد من أهم ما كشف عنه من معابد للشمس فى هذه المنطقة . وأطلـق عليه فى النصوص القديمة " ساحورع" أى"بهجة رع [٥] " وزين الملك جدرانه بمناظر تمثله مراسيم العيد الثلاثينى ونرى من بين المناظر ما يدل على خضـوع الأعـداء الليبيين والآسيويين ، الذين كانوا يهددون شرق وغرب حدود الدلتا ، ولو أن هنـاك بعض العلماء ما يرى انه لم يقم بمثل هذه الحروب .[٦]

---

(١) Saleh – Sourouzian ,op.cit , no .38 .

(٢) Baines – Malek , op . cit .,p . 36; Beckerath, LA 1V, p. 517 - 518 .

(٣) يعطى د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٣٦ كتاريخ لمـدة حكـم هذا الملك ص ٢٥١٦ إلى ٢٤٨٤ ق.م بردية تورين أنـه حكـم ٢٥ عامـا ويذكر مانيتون انه حكم ٤٤ عاما ، راجع : Gauthier , op . cit . I , p . 124 (8) n. (2-3) .

(٤) Baines – Malek , op . cit . , p 140 : Gauthier, op. cit. I, p . 124 (8); LA 1V, p. 1247 – 1248; Helck, LA V, p. 5. د. أحمد فخرى :الأهرامات المصرية ، ص ٢٥٦ – ٢٥٨ شكل ١٠١ .

(٥) د.أنور شكرى :العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٧-١٧٣ ،شكل ٥٨ .

(٦) د.أحمد فخرى :المرجع السابق ، ص ١٣٧؛ Weigall,op.cit., p. 45

وقد عثر على اسم هذا الملك منقوشا على صخور محاجر سيناء مما يـــدل على إرسال البعثات لاستغلال محاجر المنطقة .

ومن أهم الشخصيات فى عهده " تى " الذى كان أحد رؤساء دواوين الكتبة ، وشيد له مقبرة فى سقارة تعطينا مناظرها فكرة عن بعض مظـــاهر الحيـــاة اليوميـــة والاجتماعية فى ذلك العصر (١) . وقد عثر على نقش هام فى مقبرة أحد القضاة الذين عاشوا أيضا فى عهد هذا الملك ، وهو يبين إلى أى مدى أن خلود الروح فى الآخـــرة يعتمد على القرابين والدعوات التى يقوم بها الأحياء ، وأنه كـــان مـــن الضـــرورى احترام دار الآخرة .ويقول فى نصه أنه قام ببناء هذه المقبرة كملك خاص بـــه ، وأن الملك وضعه محل تكريم ، وأنعم عليه بتابوت خاص له ، ويدعو الآخرين الذين إلـــى الجبانة لتقديم القرابين أن يفكروا فيه حتى يوصى عليهم المعبود وهـــو فـــى العـــالم الآخر ،ويحذر فى الوقت نفسه من الاعتداء على مقبرته أو سلبها (٢) .

ويقول النص : " لقد قمت بعمل هذه المقبرة ، كملك خاص بى ن فأنا لـــم استول على شئ يخص الآخرين على الإطلاق ، وما سأفعله لمن سوف يأتى إلى هـــذا المكان لتقديم القرابين ، أننى سوف أوصى المعبود عليه بشده بسبب هذا ... إننى لـــم ارتكب أن عنف ضد أى إنسان ، وكما أن المعبود يحب الحقيقة ، فإن الملك وضعنـــى محل تكريم " . وهو يقصد بذلك أن أية توصية صادرة منه كان لها تأثير كبيرا فـــى العالم الآخر ، ويستمر قائلا :

" لقد قمت بعمل هذه المقبرة فى الصحراء الغربية ، فى مكان طاهر ، فـــى مكان لم يدفن فيه أحد من قبل على الإطلاق ، لقد قمت بإعدادها لكى تصبـــح ملكـــا إنسان مثلى ، اقترن بروحه ، وهى غير عرضه للسلب ، وإذا جعل أى إنسان مثلى ، اقترن بروحه ، وهى غير عرضه للسلب ، وإذا جعل أى إنسان مـــن هـــذا المكـــان

---

(١) د. أنور شكرى :المرجع السابق ، ص ٣٦٧ ؛ د. عبـــد العزيـــز صـــالح : المرجع السابق ، ص ١٣١؛ Schmitz, LA V1, p. 551 – 552

(٢) Weigall , op . cit ., p 45 .

مقبرته الخاصة أو سبب فيها بعض التلف فأنه سوف يحـاكم ويقـدم إلـى العدالـة أمـام المعبود الأكبر ، لقد قمت بعمل هذه المقبرة لكى تصبح كمأوى لـى ، أنا الذى أنعم عليه الملك بنفسه ، بشرف منحه (تابوتا خاصا)" [١]

وتولى بعد ذلك الملك يسمى منكاو حـور (٢٣٧٧ – ٢٣٦٩ ق.م) [٢] : وقد جاء ذكر هرمه ومعبد الشمس الخاص به فى النقوش ،ولكن لم يتعرف عليـهما حتى الآن وربما كانا فى سقارة ، كان الهرم يحمل اسم " نثرسوت منكـاوحور " أى " مقدسة أماكن منكاوحور ". [٣] وتذكر بردية تورين آن حكمه لم يطل أكثر من ثمانى سنوات . ويذكر مانيتون أنه حكم تسع سنوات .[٤]

جاء من بعده جد كارع اسيسى (٢٣٦٩ – ٢٣٤١ ق.م)[٥] .وقد عثر علـى مجموعته الهرمية فى جنوب سقارة ،وكان الهرم يحمل اسم " نفر جـد كـارع " أى " جميل جد كارع "[٦] ويبلغ ارتفاعه الأصلى ٥٢,٥ مترا [٧] ،وقد حكم طبقا لبرديـة تورين ثمانية وعشرين عاما ويذكر مانيتون انه حكم٤٤ عاما [٨] .

وقد عثر على اسمه فى محاجر الديوريت بـالصحراء الغربيـة والنوبـة السفلى[٩]،وسجلت النقوش إرساله لبعثة تعدين إلى وادى المغارة[١٠]، ولعل أهم ما قـلم

---

(١) Weigall, op.cit .,p. 47 .

(٢) Baines – Malek , op.cit .,p.36 . Gauthier ,Livre des Rois I,p.123 (7) : 130 (9); Beckerath, LA IV, p. 53 - 54.

(٣) Baines – Malek , op.cit .,p.141, LA 1V, p. 1248; Helck, LA V, p. 5.

(٤) Gauthier ,Livre des Rois I,p.130 (9) n. (2-3)

(٥) Baines – Malek , op.cit .,p.35; Beckerath, LA I, p. 473 - 475 .

(٦) LA 1V, 1249 – 1250; Helck, LA V, p. 5.

(٧) Baines – Malek , op.cit .,p.140; Gauthier ,op.cit. I,p.133(10). د.أحمد فخرى : الأهرامات المصريـة ، ص ٢٥٨ – ٢٦١ شكل ١٠٢ .

(٨) Gauthier ,Livre des Rois I,p.133 (10) n.(2-3).

(٩) د.أحمد فخرى :مصر الفرعونية ، ص ١٣٧ .

(١٠) Giveon, LA 111, p. 1135.

به الملك جدكارع – اسيسى هو إرساله لحملة تجارية إلى بلاد بونت ، بالقرب من الشاطئ الصومالى ، وكانت مهمة صعبة وشاقة للغاية أنه كان يجب على القوات أن تعبر الصحراء بين النيل والبحر الأحمر ، وبعد ذلك يتم بناء المراكب على الشاطئ الخال من المياه الصالح للشرب ، وأخيرا كان لابد لهم من إقامة اتصالات مع سكان بلاد بونت الأصليين والذين كانوا ينظرون إليهم بعين الحرص والحذر ، وكان يقود هذه الحملة قائد يسمى " باورجدت ".وقد كافأه الملك كثيرا على هذه المهمة ، لدرجة أن هذه المكافأة كانت هامة ومجال تعليق تحت حكم الملك بيبى الثانى فى الأسرة السادسة .

وكانت تلك البلاد البعيدة مشهورة بالبخور الذى كان يستخدم فى المعابد والطقوس الدينية المختلفة ،ومن بين ما أحضرته من أدوات ثمينة حوالى ثلاثة آلاف عصا من الأبنوس وبعض الأخشاب الثمينة والصمغ والجلود .

وقد قام هذا الملك بعمل قائمة بأسماء الملوك وتاريخهم ومدد حكمهم وذلك على لوحة كبيرة من الحجر وهى المعروفة باسم " حجر بالرمو "(١) . وفى عام ١٩٤٨ كشف مصلحة الآثار فى منطقة سقارة الجنوبية عن هرمه ومعبده الجنلنزى ، كما كشفت المصلحة فى عام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ عن هرمه ومعبد آخرين لزوجته فى المنطقة نفسها ، ولم يعثر داخل هرم جد كارع اسيسى على أى نقوش ، وأما المعبد فكان يمتاز بجمال نقوشه فيما بقى منه ، كما ظهر فى حفائر المعبد تماثيل لأسود وثيران وتماثيل لبعض الأسرى من الأجانب (٢) .

ومن أهم الشخصيات التى عاشت فى عصره ، الوزير بتاح حتب وهو غير بتاح صاحب المقبرة المعروفة فى سقارة (٣) . الذى قام بتأليف كتاب عن الحكم

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 47 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٣) د. عبد الحميد زايد :المرجع السلبق ، ص ٢٧٢؛ Martin – Pardey, LA 1V, p. 1181 .

والتعاليم القديمة وجهها إلى ولده ، وفى مقدمة الكتاب يخاطب بتاح حتب الملك قائلا:

" أيها الملك ، سيدى لقد حل بى المشيب ، وتقدمت نحو الشيخوخة وقربت أيام زوالى ، ولقد حل الضعف محل الحيوية ، أسجل كل يوم ضمورا جديدا فى البدن ، لقد كل نظرى ، وصمت أذناى ، وخارت قواى ، وخيم الظلام على عقلى ، وأصبح فمى أخرس لا يتكلم ، وأصبح لبى (أى عقلى) يدع كل شئ يمر ولا يتذكر حتى أحداث الأمس ، وكل عظمة فى جسدى تؤلمنى ، ولم يعد السرور إلا تعاسة واختفت جميع المتع ".(١)

وعلى ذلك فهو يطلب أن يعفى من وظائفه الرسمية ، لكى يستطيع أن يعد هذا الكتاب بعنوان " كلمات كل هؤلاء الذين عرفوا تاريخ العصور الماضية والذين استمعوا إلى كلمات المعبود فى الوقت الماضى " .

ونذكر هنا بعض الفقرات من هذه الحكم :

" كم هو جميل أن يطيع الابن آباه " .

" ما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته إليه الشيخوخة "

لا يداخلنك الغرور بسبب علمك ، ولا تتعال لأنك رجل عالم أستشر الجاهل كما تستشير العالم لأنه ما من أحد يستطيع الوصول إلى آخر حدود الفن (إى المعرفة) ..."

وإذا كنت رئيسا يحكم الناس فلا تسع إلا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة .ما أعظم العدالة لأن قيمتها خالدة ولم ينل منها (أى) إنسان" .

وإذا كنت مدعوا إلى مائدة من هم أعظم منك فخذ ما عسى أن يعطيه لك

---

(١) Weigall , op . cit . , p . 47 – 48; Posener, LA 111, p. 986 – 989 .

عندما يوضع أمامك (الطعام) .ولا تنظر إلى ما هو أمامك ،ولا توجه نظرات عديدة إليه ،لأن إجباره على الالتفاف إليك أمر تكره النفس . غض من طرفك حتى يحييك ولا تتكلم حتى يخاطبك .اضحك عندما يضحك فإن ذلك يدخل السرور على قلبه وسيقبل منك كل ما تفعله ، إن الإنسان لا يعلم ما فى قلب (الآخرين) "

" وإذا كنت ترغب فى المحافظة على سلام/فى منزل تقوم بزيارته ، كسيد ، كأخ ، أو كصديق ، وفى أى مكان تدخله ، فتجنب أن تتقرب من النساء ، فإن المكان الذى ه فيه لا يصلح ، فآلاف من الرجال قد تتبعوا ساروا وراء) تلك المخلوقات الجميلة ، ولكنهم حطموا بواسطتها ، وخدعوا بأجسادهن الرقيقة التى ستصبح فيما بعد أكثر صلابة من الحجر ، إن الرغبة لا تستمر إلا لحظة وتمر كأنها حلم (١) "

ونصحه بالزواج :

"إذا كنت رجلا معروفا ،فتزوج،وأحبب زوجتك كما يحق لها قدم لها الطعام واستر ظهرها بالملابس فأفضل دواء لأعضائها هو الطيب الجميل ،أسعد قلبها طالما هى تعيش ، تصبح حقلا خصبا من أجل صاحبه .. ولا تتهمها عن سوء ظن ، و امتحدها يقل شرها ، فإن نفرت راقبها ، و استمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك ، سوف يكيدها أن تعاشرها ضرة فى منزلها " .

وفى آداب الحديث قال لولده أيضا : "لا تصمت تماما ولكن تحفظ وتروى قبل أن ترد فى حماس مفتعل فإن الحماس المفتعل لابد وأن يخمد والحصيف كلما خطى خطوة أعد طريقة ومهده ، وإذا أصبحت رجلا ذا مقام يحضر مجلس الولاه فأحضر ذهنك فى الخير أو اصمت فإن الصمت خير لك ... كن عميق الفكر قليل الكلام ... ، وأخيرا أنهى كلامه بقوله " عندما يأتى الموت فإنه يصيب الطفل الرضيع المتعلق بثدى أمه ويصيب أيضا الرجل الذى أصبح هرما ، وعندما يأتى هذا الرسول

---

(١) Daumas ,la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p .390 – 391 ؛ وأيضا د.عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٢٧٢ –٢٧٣ .

(الموت) ليأخذك فيجب أن يجدك على استعداد له [١] " .

ومن أجمل ما قاله :

" إن ما أراده المعبود سوف يتحقق ، فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره لك ، والرزق وفق الرادة المعبود ، والجاهل من يعترض على إرادته [٢] " .

وقد عثر على نسخ من تعاليم بتاح حتب والتعاليم الموجهة إلى كايجمنى وبردية بريس Prisse فى تابوت من الخشب لأحد ملوك الأسرة السابعة عشرة فى دراع أبو النجا [٣] (وهى الآن فى المكتبة القومية بباريس) .

ومن الشخصيات الهامة أيضا التى عاشت فى عهد الملك جد كارع اسيسى ، أسى الذى كان مشرفا على الكا الملكية فى منف ثم عين وزيرا ، وأصبح بعد ذلك محل تقديس ودفن فى مقبرته فى إدفو .[٤]

ونيس (٢٣٤١ – ٢٣١١ ق.م) : [٥]

كان آخر ملوك الأسرة ، وكان أول ملك من الأسرة لا يحتوى اسمه أو يتداخل فيه اسم رع ، وعلى الرغم من ذلك فإنه كان يلقب بلقب ابن رع كأسلافه ، ولا نعرف عن حكمه إلا القليل ، ولكنه كان ذا شهرة امتدت إلى أبعد الأماكن فقد

---

(١) Daumas , op . cit ., p.391 .

(٢) د.عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر و العراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣٥٢ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٧٤، وأيضا : Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Galfornia (1973) , p . 59 – 91; Simpson, LA 1V, p. 726 .

(٤) R. el Sayed , Quelques hommes célèbres : فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢ .

(٥) Baines – Malek , op . cit ., p 36; Beckerath, LA V1, p. 845 - 847 .

عثر على آنية تحمل اسمه فى البقايا الأثرية التى كشف عنها فى ببيلوس [١] ، أكـــبر المدن التجارية على الشاطئ الفينيقى ، وقد أستمر حكمه حوالى ثلاثين عاما ، طبقـــا لما جاء فى بردية تورين ، ويذكر مانيتون أنه حكم ٣٣ عاما [٢] . وعثر على اســـمه على أثر منحوت فى جزيرة الفنتين ، وفى داخل هرمه الصغير الذى بناه فى الركـــن الجنوبى الغربى لهرم جسر ، نقشت فيه لأول مرة ما يسمى بنصوص الأهرام (وقـد تساءل بعضهم إذا كانت هذه النصوص لم تحرر وتكتب فقط فى هذه الفـــترة وليـــس قبلها) وكان الهرم يحمل اسم " نفرسوت ونيس " أى " جميلة أماكن ونيس "[٣] ويبلـــغ ارتفاعه الأصلى ٤٣ مترا[٤] . وكانت جدران حجرة الدفن تحمل نقوشا تمثل فصـــولا طويلة ، وهى عبارة عن طقوس متعددة الأغراض بالنســـبة للملـــك المتوفـــى [٥] ، وتتحدث عن صعود روح الملك إلى عالم السماء ومعرفتها تضع الملـــك فـــى حالـــة الدفاع فى العالم الآخر ، ويستطيع بها أن يثبت حقوقه ، وهناك أيضا بعض الفقـــرات الخاصة بخلود الملك وارتباطه بمعبود الشمس الذى كان يعتبر ابنا له علـــى الأرض والممثل له .والغرض من كثرتها هو تأكيد صعود الملـــك إلـــى الســـماء واســـتقبال المعبودات له فى عالم السماء ، ونقرأ فيها متلا :

---

(١) Montet , Revue Syria 10 (1929) , p . 14 ; Id . , Byblos et L'Egypte, p.69 (46); Dunand , Fouilles de Byblos II (1954) , p. 267 ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 89

(٢) Gauthier , Livre des Rois I , p . 138 (11) n . (3-4) .

(٣) LA 1V, p. 1250-1251; Helck, LA V, p. 5.

(٤) Baines – Malek , op . cit . , p 140 ; Gauthier , op . cit . I , p 138 (11) . ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٦١ – ٢٦٦ شكل ١٠٣ – ١٠٤ .

(٥) Faulkner , Pyramids Texts , p . 5 , Kees , Gotterglaube , p . 101 ; Piankoff , Unas , p . 15 ; Speleers , Textes des Pyramides , p . 12 ; Mercer , Pyramids Texts I , p . 9; Altenmuller, LA V, p. 14 – 23 . ؛ وأيضا د.أحمد فخرى : مصـــر الفرعونية ، ص ١٣٩ – ١٤٠ (٢) ؛ ألفة نخبـــة مـــن العلمـــاء : تـــاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٧٤ حاشية (١) .

تقول أحد النصوص " الملك لم يمت ، أنه أصبح (كائنا) حيا مثل شمس الصباح يبزغ من ناحية الشرق خلف الأفق . وهو يستريح من الحياة فى الغرب مثل الشمس عند غروبها ، ولكن الفجر سوف يجده فى الشرق ، هل قلت إنه سوف يموت ، لا لن يموت على الإطلاق لأنه الشمس – إنه يعيش إلى الأبد أيها السامى بين النجوم التى لا تفنى لن تفن .

تتساقط الرجال (أى تموت) وتختفى أسماؤهم ولكن هذا الملك يؤخذ من يده ويقاد نحو السماء لكى لا يموت على الأرض بين الناس "

" أن هذا الملك يهرب بعيداً عنكم أيها الفانون ، إنه لم يصبح من الأرض على الإطلاق ولكن من السماء ، إنه مثل السحاب ، إنه يطير نحو السماء ، إنه يرتفع مثل الصقر وأجنحته تشبه أجنحة الإوز البرى ، أنه يندفع بقوة نحو السماء مثل الجرادة ، إنه يصعد نحو السماء ؛ إنه يصعد نحو المساء على متن الرياح ، على الرياح ،أن سحب السماء تهتم به وهو يصعد على متن سحابة من المطر " .

" إنه الشعلة التى ترتفع على جناح الرياح نحو حدود السماء ، إن درجات السماء تطاطئ له لكى يستطيع أن يصعد ،أيتها المعبودات أعينوا الملك بأذرعتكم ارفعوه وأعلوا به نحو السماء ، نحوالساء ،نحو العرش الكبير لرع فى وسط المعبودات حيث تتفتح أبواب السماء المزدوجة ،وتفتح أبواب السماء المزدوجة ، يارع أن ابنك آت إليك ، قربه إلى قلبك وضمه بذراعيك أيها الملك،أيها النقى العظيم خذ مكانك فى قارب الشمس واندفع.عبر السماء ،واندفع مع النجوم التى لا تفنى واندفع مع الكواكب التى لا تسأم أبدا [١] "

وكما نرى فإن الغرض من تسجيل هذه النصوص هو تمكين الملك المتوفى من أن يأخذ مكانه بين المعبودات وليصبح متحدا مع رع ، ومن خلال الوصف الذى صورته تلك النصوص فإن ذلك المعراج كان على أجنحة وريش الصقر حورس المضيئة والذى كانت عيناه تمثل الشمس والقمر .وقد اختلفت أشكال أجنحة ذلك

---

(١) Weigall ,op . cit . , p.50.

المعراج كذلك اختلفت المراقى من سلالم ومنحدرات لبلوغ [١] أسباب السموات .

وهناك أيضا بعض الفقرات الخاصة بخلود الملك وارتباطه بمعبود الشمس الذى كان يعتبر ابنا له على الأرض والممثل له .

وعثر على بقايا معبد الملك الجنائزى من الناحية الشرقية من الهرم وكذلك معبده للوادى ،وقد عثر كذلك على جزء كبير من الطريق الصاعد الذى يربط بين المعبدين والذى كشف عنه عام ١٩٣٨ [٢] .كان هذا الطريق مسقوفا بالأحجار وسقفه ملون كأنه سماء زرقاء ويدخل إليه الضوء من فتحات السقف [٣] . وتمثل هذه النقوش الملك ونيس وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية ، وهو يقضى على أعدائه ، ومن بين تلك المناظر ما يمثل الزراعة والحصاد والصيد فى الصحراء ، وما يمثل وصول بعض الأجانب إلى مصر أو بعض الذين حلت بهم المجاعة وكادوا يهلكون جوعا [٤] ، وللأسف لم يتم الكشف عن باقى أجزاء الطريق الصاعد .ويعتبر هذا الطريق الصاعد من اعظم الطرق الصاعدة التى تتصل بمعابد الأهرام ويبلغ طوله حوالى ٦٦٠ مترا حتى يصل إلى المعبد الجنائزى .

ونجد على جدران هذا الطريق نقش لأسطول من المراكب يحضر بعض المواد المعمارية اللازمة لبناء معبدى الوادى والجنائزى من محاجر الجرانيت

---

(١) عبد الحميد زايد :مصر الخالدة ، ص ٢٧٧- ٢٧٨ ؛ د.أحمد فخرى – د.جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٧١ .

(٢) بالنسبة لأهرام ملوك الأسرة الخامسة وملحقاتها ، راجع د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ – ٣٥٤ شكل ١٣٨ – ١٤٤ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٤٠ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ص ٢٦٣ – ٢٦٤ شكل ١-٣ .

(٤) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٤١ حاشية (١) .

بأسوان ، ومن هذه العناصر المعمارية بعض الركائز التى توضع على الأعمدة .[١]

ومن نهاية السرة الخامسة عثر فى منطقة ابو صير على برديات تخص إدارة معبد نفرار كارع – كاكاى الجنائزى [٢] . وقامت مدام بوزنر بدراسة هذا الأرشيف الهام [٣] .

ولعل من أجمل مقابر سقارة من عهد هذه الأسرة والتى يجب الإشارة إليها مقبرة نفر ، نى عنخ خنوم حتب ، تى.بتاح حتب ، وهى مقبرة يتقاسمها مع موظف آخر يدعى آخت حتب .

الأسرة السادسة (٢٤٣٠ – ٢٢٦٣ ق.م) : [٤]

حدث انتقال الملك من السرة الخامسة إلى السادسة دون أى نزاع ، ولا نعلم أى شئ ولا نستطيع أن نقول من هو أول ملوكها وما هى الروابط التى كانت تربطه بالسلالة السابقة . ومن أهم هذه ملوك هذه الأسرة سبعة وهم [٥] :

١– سحتب تاوى (تيتى) أو (سارع تيتى) أو (تيتى مران بتاح)[٦]

---

(١) د. احمد فخرى : المرجع السابق ،ص ١٤١ ؛د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٢٤١ .

(٢) د. عبد الحميد زايد :المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

(٣) عثر على هاتين البردتين فى ابى صير ، الأولى أثناء حفائر خفية تمت فى عام ١٨٩٣ ، والأخرى عثر عليها بورخارت عام ١٩٠٧ ، وكلاهما يرجع إلى عصر الملك اسيسى راجع : Posener – Krieger , les Archivres du Temple funéraire de Neferirkare – Kakai (les Papyrus d'Abousir) BdE 65, 2 vols . , le Caire 1976 .

(٤) Baines – Malek , op.cit . , p . 36 .

(٥) يعطى ولف نفس القائمة . Wolf , Das Alte Agypten , p . 232 .

(٦) يعطى جوتبيه أحيانا بالإضافة إلى الاسم الحورى اسمين ملكيين داخل الخرطوش الملكى راجع : – Gauthier , Livre des Rois I , p . 145 – 178 . وأيضا نيقولا جريمال : المرجع السابق ،ص٤٩٩ .

]٢- (وسر كارع) (إتى) .

٣- مرى تاوى (مر رع) (ببيى) الأول أو (سارع ببيى) .

٤- عنخ خعو (مر ان رع) الأول أو (عنتى أم سا إف)الأول .

٥- نثر خعو (نفر كارع) ، (ببيى) الثانى .

٦- (مر إن رع الثانى عنتى أم سا إف) [١] الثانى .

٧- (نيت اقرت) .

تيتى (٢٣١١ - ٢٣٠٠ ق.م) : [٢]

شيد هرمه فى الشمال الشرقى من هرم وسر كاف فى سقارة وكان يحمل اسم " جد سوت تيتى " أى " مستقرة أماكن تيتى "[٣] وكان ارتفاعه الأصلى ٥٢,٥ مترا[٤] وعثر على بقايا مومياته داخل هرمه [٥] . وقد عثر على اسمه منقوشا على آنية عثر عليها فى بيبلوس [٦] . وربما أن مدة حكم تيتى لم تتجاوز الأثنى عشر عاما [٧] .

---

(١) هناك اختلاف بين العلماء حول قراءة هذا الاسم ، راجع : Gauthier ,op . cit . , I , p . 176 – 178 n (5) .

(٢) Baines – Malek , op . cit . p 36; Goedicke, LA V1, p. 547-458.

(٣) LA 1V, p. 1231 – 1232; Helck, LA V, p. 5 .

(٤) Baines – Malek , op . cit . p 140 ; Gauthier , op . cit . I , p . 146 (3) .

(٥) عن أهرام ملوك الأسرة السادسة ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٥٤ ؛ د.أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ،ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

(٦) Dunand , Fouilles de Byblos I (1938) , p . 258 .

(٧) يذكر جوتبيه ان تاريخ حكم هذا الملك غير معروف ، راجع : Gauthier , Livre de Rois I , p . 146 (3) n . (3) .

وكانت أشهر زوجاته " ابوت "[١] ، ومن كبار الشخصيات فى عصره الوزيران : مرى روكا (مرر وى – كا – إ) وكايجمنى [٢] .وتعتبر مقبرة الأول فى سقارة من أجمل المقابر نظرا لما تحتويه من نقوش ومناظر عن الحياة اليومية فى عصر الدولة القديمة .

وكذلك القائد " ونى " الذى بدأ حياته فى عهد " تيتى " وتولى عدة وظائف فى عهد ببيى .

وسر كارع (٢٣٠٠ – ٢٢٩٤ ق.م)[٣]:

لا نعلم عنه شيئا سوى أنه جاء ذكر اسمه فى قائمة أبيدوس وشيد هرما كان يحمل اسم " باو وسر كارع " أى " أرواح وسر كارع " ربما شيده فى سقارة [٤] ، وربما حكم ست سنوات أو أكثر[٥] ولم يترك أية آثارا هامة أو ضخمة .

---

(١) د.أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٧٢ – ٢٤٧ Jequier , Les Pyramides des Reines Neit et Apouit ,pI . 9; Seipel, LA 111, p. 176; LA 1V, p. 1252.

(٢) Duell , Mereruka (dans OIP) , pI . 46 ; Gauthier, LRI , p. 201 m . (3) ; Firth – Gunn , Teti Pyramid Cemeteries I , p. 141 ; Bissing , Die Mastaba des Gem – ni – kai , 2 vol; Martin – Pardey, LA 111, p. 290 – 291. PM III , p . 136 – 138 , p . 140 – 142 .
Gauthier, op.cit., I.p 144 (2), Baines – Malek, op. cit., p. 141 .

(٣) Goedicke, LA V1, p. 901 .

(٤) Weigall , op . cit . , p . 50 . يذكر مانيتون انه حكم لمدة ثلاثين عاما ، وتذكر بردية تورين أنه حكم لمدة عشرة أعوام وستة أشهر وأحدى وعشرين يوما ، راجع : Dauthier , Livre des Rois I , p . 144 (2). (2-3) .

(٥) عثر على اسمه فى نقوش وادى الحمامات وعلى جدران فى متحف تورين ، راجع : Gauthier, op . cit .I , p . 144- 145 (1-111) .

مرى رعم – ببيبى الأول (٢٣٩٤ – ٢٣٥٢ ق.م) : [١]

مع ظهور هذا الاسم نجد أننا أكثر حظا فنعلم عنه أنه شــــيد الكثــير مــن المعابد ، ونعرف بعض التفاصيل عم حياة الملك بفضل تاريخ حياة كبار موظفيـــــه ، التى تركوها ووصلت إلينا سليمة ، فنعلم آن ببيى الأول قد تزوج على التوالـــى مــن ابنتين (الواحدة بعد الأخرى) لأحد كبار الموظفين من ابيدوس وانجب من كل منهن أولاد ذكورا حكموا على التوالى من بعده [٢] . ففى تلك الفترة برزت بعض العـائلات القوية من الأمراء الذى كانوا يتمتعون بسلطة كبيرة فى أقاليمهم مع الطاعة الواجبـــة للبيت المالك ، وكان لكل عاصمة إقليم أمير أو حاكم كان يعيش فيها بصفة دائمـــة ، ولا يذهب إلى منف إلا فى المناسبات لكى يحمى الملك أو يشارك فى احتفالاته ، ولـم تعد مقابر هؤلاء الأشراف والنبلاء تنتشر حول أهرام ملوكهم ، ولكنها انتشرت فـــى مختلف الأقاليم وخاصة فى مصر الوسطى ، وكانت تنحت فى الصخر فـــى مدنـــهم الأصلية ، ولم تعد مصالح الملك وحكومته مركزة فى العاصمة ، ولذلـــك انتشــرت المبانى والمعابد الأخرى فى جميع أنحاء البلاد ، ولدينا الكثير من الوثائق والنصوص عن نشاط هذا الملك وخاصة المراسيم الملكية التى أصدرها فى صالح تنظيم الأوقـاف الدينية ، وتعتبر دراسة هذه المراسيم هامة بالنسبة لدراسة القانون المصرى القديم فـى تلك الفترة البعيدة .[٣]

أما عن مدة حكمه فتبلغ من أربعين عاما [٤] عمل ببيى الأول تبعا لسياســة

---

(١) Baines – Malek , op.cit ., p . 36; Beckerath, LA 1V, p. 926-927 .

(٢) د. عبد العزيز صالح :الشرق الأدنـــى القديـم ، الجـزء الأول : مصـر والعراق ، ص ١٣٤ .

(٣) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p .51 .

(٤) طبقا لما ذكره مانيتون ، وتذكره بردية تورين أنه حكم لمدة عشرين عاما ، وتذكر الآثار العام الخامس والعشرين من حكمه ، راجـــع : , Gauthier Livre des Rois I , p . 150 (4) , n . (4-6) .

الملوك السابقين على مراقبة بلاد النوبة وقد عثر على اسمه فى النوبة السفلى على صخور توماس ، وعثر على نقش له فى وادى المغارة وصور وهو يضرب البدو فى سيناء . وقام بعدة حملات ضد الآسيويين ، وفى نقوش أحد بكار موظفيه "ونى" التى تركها لنا على لوحة كانت قائمة فى مقبرته فى أبيدوس ونقلت الآن إلى المتحف المصرى ، والذى بدأ حياته الوظيفية فى عصر الملك تيتى ، يبين لنا أن العلاقات مع آسيا كانت فى حالة توتر ، فقد هاجم الآسيويين الحدود المصرية ونهبوا شرق الدلتا ومنعوا بعض بعثات التعدين إلى سيناء ، وأرسله بيبى الأول خمس مرات على رأس جيش مكون من آلاف الرجال ، منها أربع حملات عن طريق البحر وفى المرة الخامسة أضطر إلى مهاجمة العدو من الأمام من البر ، فقد ذهب على رأس جنوده وتركز فى نقطة ما فى فلسطين – ربما – جبل الكرم وهاجم الأسيويين وانتصر عليهم ، ولا يدل هذا على احتلال بلاد العدو ولكن يدل على أن الجيوش المصرية كانت تقوم فقط بغارات كبيرة ، تشبه بدون شك غارات القبائل الصحراوية ، ويفتخر ونى فى نقوشه بأن جيشه عاد سالما بعد أن حقق الكثير من الأعمال ، ويحكى بكبرياء أن لا أحد من جنوده الذين اشتركوا فى الحملة قد نهب مدنيا أو سرق أغذية من القرى التى مروا بها ، ويتحدث عن جيشه وسلامته بأسلوب شاعرى ، فيقول : "عاد الجيش سالما (١) ، وبعد أن هدم بلاد أولئك الذين يعيشون فوق الرمال ، عاد الجيش سالما ، وبعد أن بدد هؤلاء الذين يعيشون فوق الرمال عاد الجيش سالما ، بعد أن ضرب حصونهم .

عاد الجيش سالما ، بعد أن أستأصل (أشجار) تينهم وكرمات عنبهم .

عاد الجيش سالما ، بعد ان أضرم النيران فى مساكنهم .

عاد الجيش سالما ، بعد قتل فرقا كثيرة العدد .

عاد الجيش سالما ، بعد أن اصطحب معه أعداد كبيرة من الفرق كأسرى

---

(١) حرفيا " فى سلام " .

وقد امتدحنى جلالته من اجل ذلك أكثر من أى شخص آخر [١]

ونعرف أن الملك بيبى الأول ، كان مخلصا لعبادة المعبودة حتحور ، فى دندرة وأرسل أوانى عليها أسماء بعض المعبوجات المصرية إلى جانب اسمه [٢] ، وقد عثر فى مدينة نخن على تمثال رائع لهذا الملك مه ابنه بالحجم الطبيعى من النحاس موجود الآن بالمتحف المصرى [٣] ومما يؤسف له أنه أصيب بتآكل شديد فى المعدن .شيد هذا الملك هرمه فى جبانة سقارة [٤] وهو أقل حجما من هرمى ونيس وتيتى ، ويبلغ طول قاعدته من كل جانب حوالى ١٢٠ مترا ، ويبلغ ارتفاعه الأصلى ٥٢,٥ مترا .وندما دخل الثريون حجرة الدفن ، وعثروا على تابوت من البازلت الأسود كان يحتوى على بقايا بعض العظام وكان يحمل اسم " من نفر بيبى " أى " باق جمال بيبى "[٥] . وكان للعمال الذين شيدوا الهرم مدينة خاصة بهم .[٦]

وحدث إبان هذا الحكم فضيحة فى البلاد الملكى ، فقد تعرضت الملكة

---

(١) Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique p . 292 ; Lichtheim , op . cit . , p . 18 ; Breasted ARI (306 – 315) .
وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ي ١٣٤ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢) Montet , Byblos et L'Egypte , Paris (1929) , p . 69 (46) .

(٣) Vandier , Manuel d'Archéologie III , p . 34 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 217 .

(٤) وقد سجل نخبو فى مقبرته فى الجيزة أنه امضى ست سنوات فى الإشراف على العمل فى هرم بيبى الأول ، وأن الملك منحه ذهبا وخبزا وجعة بقدر كبير ، راجع : د. أنور شكرى :العمارة فى مصر القديمة ، ص ٥٩ ؛ د.أحمد فخرى :الأهرامات المصرية ، ص ٢٧٤ – ٢٧٧ .

(٥) Baines – Malek , op. cit .p . 10 ; Gauthier,op . cit .I , p. 151 (I); LA 1V, p. 1252 – 1253; Helck, LA V, p. 5 .

(٦) Chr. Zivie, LA 1V, p. 25 .

ايمتس للمحاكمة ، بتهمة عمل اقترفه لا يزال آمره مجهولا حتى الآن [١] ، وقد تكفل بالتحقيق فى هذا الموضوع ونى ، المشرف على القصر ، والذى استمع إلى الشهود فى سرية تامة ، وكان فخورا بذلك وأشار إلى هذه الثقة فى النقوش التى تتحدث عن تاريخ حياته .

خلفاء بيبى الأول :

مرى إن رع – عنتى أم – سا إف [٢] (٢٣٥٢ – ٢٣٤٦ ق.م) : [٣]

كان أول خليفة لبيبى الأول هو لولده " مرىإن رع – عنتى ام – سا – إف " –الذى كان مريضا – ويبدو أنه قد توفى صغيرا حيث لم يطل حكمه أكثر من خمسة أعوام او ستة فقط [٤] وقد شيد لنفسه هرما فى سقارة يبلغ ارتفاعه الأصلى ٥٢,٥ مترا ويحمل اسم " خع نفر مران رع " أى " إشراق جمال مران رع ".[٥] .وقد أرسل مرى رع (أو مرى أن رع) إلى بلاد النوبة العليا ، أحد الرحالة حرخوف الذى وصل بدون شك حتى واحة سليمة – Selimeh، ويبدو أن مرى رع وقد انتقل بنفسه إلى الجنوب حتى يتقبل الهدايا وخضوع القبائل الزنجية ، وقد رقى ونى فى هذه الفترة إلى وظيفة " حاكم الجنوب " ويقص علينا أنه أدار البلاد كثيرا من الحزم والعدالة ، ولم يحدث أن تشاجرت قرية أو عائلة مع جيرانها .

---

(١) د.محمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٤٨ .

(٢) يقرأ بعض العلماء هذا الاسم نمتى ام ساف ، راجع :
Beckerath, LA 111, p. 544 (4); Id., 1V, p. 76 – 77
وعن المعبود نمتى ، راجع : Barta, LA 1V, p. 453

(٣) Baines – Malek , op . cit . , p 36 .

(٤) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 63 .
ويذكر مانيتون أنه حكم سبعة أعوام ، وتذكر بردية تورين انه حكم اربعة عشر عاما ، وتذكر الآثار العام الخامس من حكمه ، راجع : Gauthier , Livre des Rois I , p . 162 n (2-4) .

(٥) Baines – Malek, op.cit . ,p 140 ؛ د.احمد فخرى : الأهرامات المصرية ص ٢٧٧ ؛ Gauthier , op. cit.I , p . 162 (XIIX – A), 163

ومن أهم أعماله مراقبة محاجر الجرانيت والأحجار الأخرى التى تستخدم فى مبانى الهرم والمنشات الأخرى العديدة التى شيدت فى تلك الفترة ، ويقول أنه أرسل إلى الجندل الأول لكى يحصل على كتل من الجرانيت من آجل تابوت الملك ، وكتلة أخرى لكى توضع ، فوق قمة الهرم، وثالثة لعمل الأبواب وموائد القرابين وقطع لهرم الأم الملكية ، وبعد ذلك أرسل إلى محاجر المرمر ، بالقرب من تل العمارنة ، وكانت مهمته هو العثور على كتلة كبيرة من المرمر لكى تستخدم كمائدة قربان فى المعبد الجنائزى للملك ، ويقص أنه انتهى من هذا العمل فى سبعة عشر يوما ، وفى خلالها شيد أيضا المركب التى سوف توضع عليها هذه الكتلة لتعبر النهر ، وبعد هذا صدرت الأوامر إليه بحفر خمس قنوات عبر سيول المياه السريعة الجندل الأول لكى يساعد المراكب التى تأتى من النوبى السفلى على المرور فى السيول دون خطورة .

ولكن كل هذه الأعمال التى قام بها ونى قد أسدل عليها الستار ، بسبب خليفته حرخوف الذى كان أصلا من الفنتين ، وتحمل نقوش مقربته فى أسوان تفاصيل كل أعماله ، وقد حفرت هذه النقوش بطريقة تسمح لهؤلاء الذين يأتون لزيارة المقبرة بقراءتها ، وهى تبدأ بصيغة مخصصة تحث الزائر على الدعوات لروح المتوفى .

فهو يقول :

" منذ ولادتى ، وأنا انتمى إلى هذه المدينة ، وهنا أقمت منزلى ، وحفرت بحيرة فى حديقتى ، وأحطتها بالأشجار ، وكافأنى الملك ، وعمل أبى وصية فى صالحى ، وكنت آنسانا طيبا ، أثيرا لدى أبيه ، ومباركا من أمه ، ومحبوبا من جميع أخوته ، وقد أعطيت الخبز للجائع والملبس للعارى ،وعبرت النهر بالذى لا قارب له . وكنت أقول الكلمات الطيبة ، ولم اكرر إلا ما هو مفيد ولم أقل قط آية كلمة سيئة لدى رجل فى السلطة ضد أى إنسان .. ولم يحدث أن أكدت شئ على الإطلاق يمكن أن يحرم الأبن من ميراث أبيه لأننى أرغب أن أجد القبول لدى المعبود الكبير "[١]

---

(١) Weigall , op.cit . , p . 52 – 53; Helck, LA 11, p. 1129 .

ويصف حرخوف بعد ذلك خروجه فى ثلاث حملات قام بها فى مناطق غير معروفة تمتد إلى ما بعد الجندل الثانى ، وكان يطلق عليها فى ذلك الوقت " بلاد الأرواح " وكان يجلب منها البخور والعاج والأبنوس وجلد الفهد ومنتجات أخرى تنمو بكثرة فى تلك المناطق (١) .

أما عن حملته الرابعة وهى الأهم فقد حدثا أثناء حكم الملك بيبى الثانى ، وكان من نتيجة هذه الحملات هو النجاح فى سياسة التهدئة والكشف فى بلاد النوبة التى بدأها حرخوف تحت حكم مرى رع ، وقد أقيم استقبال رسمى عند الجندل الأول ، وبمناسبته عرض أمام الملك الذى كان صغيرا ، أمراء ورؤساء الزنوج ، وبعد مرور وقت قليل على هذا الاحتفال سقط الملك الصغير مريضا وتوفى أثناء رحلة عودته إلى منف ، وقد دفن فى هرمه فى جبانة سقارة فيه على موميائه التى كانت محفوظة حفظا جيدا .(٢)

نفر كارع – بيبى الثانى (٢٢٤٦ – ٢١٥١ ق.م): (٣)

ونتيجة لوفاة مرى رع المبكرة ، فإن أخاه من أم ثانية هو نفر كاره بيبى الثانى هو الذى صعد على العرش ، وهو يبلغ من العمر ست سنوات فقط ، وتعتبر فترة حكم هذا الملك من أطول فترات الحكم فى تاريخ مصر القديم حيث أنه بلغت أربعة وتسعين عاما طبقا لما ذكره مانيتون ،وتوفى عن مائة عام .(٤)

---

(١) د.احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(٢) Weigall , op . cit . , p . 54; Beckerath, LA 1V, p. 927- 929 ؛ د. عبد الحميد زايد :المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٣) Baines – Malek , op . cit . , p . 36 .

(٤) وذلك طبقا لمانيتون أما بردية تورين فتذكر أنه حكم لمدة مائة عام ، أما الآثار فتذكر العام الثانى من حكمه، راجع : Gauthier , op.cit . I , p. 169 (6) n (2-4).

وبعد مرور عدة شهور على توليه العرش ، عاد حرخـــوف مـــن حملتـــه الرابعة من بلاد النوبة العليا مصطحبا معه قزما زنجيا ، والذى كان تعلم أثناء حياتـــه فى الغابات بعض الرقصات المقدسة ، وكتب حرخوف على الفور إلى الملك الصغـير لكى يحدثه عن هذا القزم الغريب ، وقام بنقش الإجابة التى تلقاها مـــن الملـــك فـــى النقوش التى تتحدث عن تاريخ حياته فى مقبرته فى أسوان ، وهذه الإجابة فى صورة خطاب تصور لنا شخصية الملك الصغير الذى كان يجلس على عرش البلاد فى ذلك الوقت ، ويبدو أن هذا الخطاب الملكى قد حـــرر بمســـاعدة الأم الملكيـــة وصيغتـــه كالآتى : (١)

" لقد سجلت جيدا الملاحظات التى احتواها خطابك الذى أرسلته إلى الملـــك ، فى قصرى ، لكى تخبرنى أنك عدت سالما معافى من بلاد النوبة السفلى مع القـــوات التى كانت بصحبتك ، وأنك تقول فى خطابك أنك أحضرت من "بلاد الأرواح " قزمـــا (من بين) هؤلاء الذين يرقصون رقصات مقدسة ،وقلت لجلالتى :" أن هؤلاء الذيـــن كانوا فى تلك البلاد (من قبل) لم يحضروا ما يشبه ذلك على الإطلاق ، فعد ســـريعا إلى البلاد ، لهذا الأمر واصطحب معك هذا القزم ذا الرقصات المقدسة الذى أحضرته حيا فى صحة جيدة من بلاد الأرواح .. لكى يسعد قلب الملك ويدخل السرور عليـــه ، وعندما ينزل معك فى المركب ضع على جانبى المرسى أناسا ذوى ثقة يبقون معـــه و أحذر من آن يسقط فى الماء ، وفى المساء عندما ينام ، عين أناسا ذوى ثقة ينـــامون إلى جواره فى مقصورته ، وكرر نوبات الحراسة عشر مرات فى الليل ، إن جلالتـــى يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل ثروات محاجر سيناء أو بلاد بونـــت ، وعندمـــا تصل إلى البلاط ، وإذا كان هذا القزم حيا وفى صحة -جيدة ، فإن جلالتـــى ســـوف يحقق لك أكثر مما حقق لباور جدت (رئيس البعثة إلى بلاد بونت) فـــى عهد الملك

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع الســـابق ، ص ١٥٥ – ١٥٦ ؛د. عبـــد العزيـــز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٧ – ١٣٩ ؛ د. عبـــد الحميـــد زايـــد : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

إسيسى ، لأن جلالتى ترغب من (كل) قلبها رؤية هذا القزم " [١]

ويذكر لنا أيضا أن : " جلالة مرى رع سيدى أرسلنى مع والدى النديم وكاهن التلاوه ارى إلى بلاد إيام لأفتح الطريق إلى هذا البلد ، وقد أنجزت المهمة فى سبعة شهور ،و أحضرت منها كل الهدايا الطرفة والنادرة ، وقد مدحنى – جلالته) كثيرا من أجل ذلك ، وارسلنى جلالته مرة أخرى وحدى ، وقد سرت فى طريق الفنتين وعدت من ارثت ومخر وترايروس وارثت مرة (أخرى) فى مدة ثمانى شهور وقد رجعت وأحضرت هدايا من هذا القطر بمجموعات كبيرة ، لم يؤت مثلها من هذه الأرض من قبل ، ولقد عدت بالقرب من منزل زعيم زاتو وزعيم إرثت ، لقد فتحت هذه البلاد ولم يوجد من فعل (مثل ذلك) من بين أى نديم أو مشرف على التراجمة ممن ذهبوا إلى أيام من قبل (ثم) أرسلنى جلالته للمرة الثالثة إلى ايام ، وبدأت الرحلة من إقليم طينة إلى طريق الواحات ... " [٢]

أرسل الملك بعد ذلك أحد حكام أسوان يدعى بيبى نخت الذى قام أيضا بعدة حملات[٣] ، فبعد مرور بضع سنوات ، قرر الملك إرسال حملة إلى بلاد بونت ، وخصص لهذا الغرض ، قوة من الجنود والبحارة والعمال لبناء المراكب على شواطئ البحر الأحمر ، وكان يرأس هذه الحملة أحد الضباط ، ويبدو أن أفراد هذه القوة قد تعرضوا لهجوم من مجموعات من بدو الصحراء الشرقية وقضى عليهم ، وعندما وصلت أنباء هذه الكارثة إلى البلاط الملكى ، أرسل الملك – بيبى نخت بهدف معاقبة هؤلاء البدو والانتقام منهم والعودة بأجساد الذين قتلوا وخاصة إحضار الضابط المقتول ، وقام بيبى نخت بهذا العمل وقتل أعداد كبيرة من البدو ، ويذكر فى نص آخر أن الملك قد أرسله لتأديب بلاد إرثت وتهدئة الحالة هناك ".[٤]

---

(١) Weigall , op. cit .,p.54; UrK I, 120 – 131 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(٣) Martin – Pardey, LA 1V, p. 929.

(٤) د. أحمد فخرى :المرجع السابق ، ص ١٥٦ – ١٥٧ ؛د. عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

جاء من بعد ببيى – نخت ميخو الذى حفظت لنا مقربته فى أسوان تـــاريخ حياته ، وقد توفى بلاد النوبة السفلى [١] ، وخلفه ولده المسمى سابنى الذى كان حاكما للجنوب وترك أيضا قصة مغامراته فى بلاده النوبة السفلى ، فقد كان يقيم فى الفنتيـن عندما تلقى يوما ما خبر وفاة والده الذى كان قد توفى بالقرب من الجنـــدل الثـانى ، وعلى ذلك رحل على التو إلى المناطق البعيدة بحثا عن جسد أبيه ، مصطحبـا معـه عددا لا بأس به من الدواب المحملة بالبضائع التى كانت توزع كهدايا على الســـكان هناك نظير مساعدتهم له ، وبعد ان تغلب على كل الصعوبات ، والمخاطر ، نجح فى العثور على جثة أبيه ثم وضعها فى تابوت مؤقت وحملها على ظهر دابة وعبر بـــها بشجاعة مناطق كانت مشهورة بوحشيتها ، وبالقرب من كورســكو الحاليـة ، قـابل مركب النجدة الذى أرسله الملك خصيصا لأنه سمع الكثـير عـن سـابنى وأعجـب بالطريقة التى أكمل بها سابنى واجبه كابن بار ، وعلى ظهر هذا المركب كان يوجـد رجال التحنيط ذوى الخبرة – مع كل ما هو ضرورى لعملهم – وكان يصحبهم كهنـة ونائحات رسميات للاحتفال بالمراسيم الجنائزية ، وأخيرا دفن الأب فى مقبرة بجـوار مقبرة حرخوف ، ومن الغريب أن سابنى لم يحدثنا عن حملة تأديبية ولذلـك يمكـن الاعتقاد بأن وفاة أبيه كانت طبيعية ، وقد تلقى سابنى بكل سرور خطابا من الملـك ، صيغته كالآتى :

" وكمكافأة لهذا العمل الطيب ، لأنك وجدت جثة أبيك ، أنا – الملـك – سوف أحقق لك كل الأشياء الطيبة " . وذهب سابنى إلى منف لمقابلة الملـــك الـذى منحه مساحات كبيرة من الأراضى الملكية ، وصندوقا جميلا يحتوى علـى قنينـات للعطور ، ومجموعة من الملابس وأساور من ذهب وكميات كبيرة من المؤونة .[٢]

---

(١) R.el Sayed , Quelques Hommes Célèbres. فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ ؛ وأيضـا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ – ١٥٨ ؛ د. أنور شـكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٦٩ – ٣٧٠ .

(٢) Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p.73; Edel, LA V, p. 322 - 323.

وقد جاء بعد سابنى كحاكم للجنوب شخص يدعى (ايبـــى) وكـــان أمـــيرا لمقاطعة تقوم عليها حاليا محافظة أسيوط ، وفى مقبرته التى لا تبعد كثيرا عن ذلـــك المكان ، ترك لنا نقشا يقص علينا فضائله قائلا :

" كنت محبوبا من أبى وممدوحا من أمى [١]"

ومن النقوش التى تدل على تعلق الابن بأبيه ، ما سطره زاو لأبيه زاو الذى يحمل الاسم نفسه ، والذى عاش فى الفترة نفسها من الأسرة السادسة ،وفى نصـــوص . مقبرته فى دير الجبراوى يقول :

" وهكذا أعددت (لشخصى) دفنه فى مقبرة واحدة مع زوار هذا لكى أكون معه فى المكان نفسه ، وهذا بالتأكيد ليس لأنى لم أكن أملك الوســيلة لعمـــل مقـــبرة أخرى ، ولكن فعلت هذا لكى أرى زاو هذا كل يوم ولكى أكون معـــه فـــى المكـــان نفسه " . وهذا يدل على محافظته على صلة الرحم حيا وميتا .[٢]

ويبدو أن لعض الرحلات التجارية قد أرسلت أيضـــا إلـــى بيبلـــوس فـــى الشمال ، وقد كشف فيل Weill فى عام ١٩١٠ – ١٩١١ فى مدينة فقط على عـــدة مراسيم بعضها مؤرخ من عهد بيبى الثانى وأغلبها تشير إلى حماية معبـــد المعبـــود وكهنته من التعرض للأزمات وكذلك عدم قيامهم هم ومن معهم بأعمال الســـخرة [٣] وشيد بيبى الثانى لنفسه هرما فى سقارة كان يبلغ فى ارتفاعه الأصلـــى ٥٢,٥ مـــترا ويحمل اسم "من عنخ بيبى" أى " دائمة حياة بيبى " [٤] قـــام الأثرى جكييه بالكشـــف

---

(١) R.el Sayed, Formules de Pieté Filiale, in: Mel. Mokhtar, BdE 97 (1) (1985), p. 291 et n 44.

(٢) R.el Sayed, op. cit., p. 291 et n. 46. وأيضـــا :د. احمـــد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٢٩ .

(٣) Weill, les Decrets Royaux de l'Ancien Empire, p. 5; Gardiner, PSBA 24 (1912), p. 257 – 265; Fischer, LA 111, p. 738. وأيضا : د. عبد الحميد زايد :مصر الخالدة ، ص ٢٩٥ .

(٤) Baines – Malek, op. cit., p 140; Gauthier, op.cit.I, p.169. LA 1V, p. 1253 – 1254; Helck, LA V, p. 5.

عن هذه المجموعة الهرمية [١] ،كما كشف عن ثلاثة أهرام لزوجاته أهمها هرم الملكة نيت [٢]

كان لطول مدة حكم الملك بيبى الثانى أثره فى ضعف الأسرة فنجد أنه فى النهاية ، بسبب كبر سنة ، كان غير قادر على أن يكتسب طاعة أمراء الأقاليم الأقوياء ، الذين زادت سلطتهم ولم يدينوا بالولاء للملك ولم يدفعوا الجزية للخزانة الملكية ، وظهرت المجاعة والمرض وظهر عدم استتباب الأمن وانتشرت العصابات فى كل مكان وهاجر الناس من البلاد ، وقطعت كل العلاقات مع العالم الخارجى ولم تصل أخشاب الأرز من لبنان وأيضا الزيوت اللازمة للمراسيم الجنائزية ومنتجات الواحات اللازمة لطقوس المعابد .

وأصبحت البلاد عرضة للغزو الخارجى وسادت الفوضى فى كل مكان وأهملت القوانين واصبح من المستحيل تحصيل الضرائب أو معرفة من المالك أو صاحب الأرض ومن المغتصب ونهبت المقابر الملكية وتوقفت الطقوس الدينية وانهار الصرح الاجتماعى ، وطرد الموظفون من وظائفهم .[٣]

وعقب وفاة الملك كانت هناك حالة من الفوضى الكاملة ، فلم يكن فى إمكان الملك المحافظة على وحدة البلاد التى تقوم فى الواقع على قوة شخصيته ، وهكذا بدأ انهيار الدولة القديمة وفى نهاية حكم الملك بيبى الثانى يذكر لنا مانيتون فى قائمته اسم ملك وملكة حكما بعد بيبى الثانى،[٤] ولا نعرف إلا القليل عن أحداث عصرهما ،

---

(١) د.أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٧٨ – ٢٨٣ شكل١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ،ص ٢٨٣ – ٢٨٥ ؛ Seipel, LA 1V, p. 394

(٣) Daumas , op , cit ., p 76 .

(٤) يذكر مانيتون انه حكم لمدة عام واحد وتذكر بردية تورين إنه حكم لمدة عام وشهر واحد ، راجع : Gauthier ,Livre des Rois I , p . 176 (7) n (3-4).

وهما الملك مرى أن رع الثانى (عنتى ام ساف الثانى)(١) والملكة نيت اقرت (نيتوكريس)(٢) التى حكى عنها فيما بعد قصة غريبة ، وربما كانت أصل حقيقى ، فقد أرادت الملكة التى حكمت بعد زوجها الذى كان يسمى نثر كارع ، والذى ارتقى العرش بمساعدة مجموعة من النبلاء ، ولكنه قتل أو اغتيل بعد فترة ، أن تنتقم لموت زوجها – ولتحقيق ذلك دعت النبلاء الذين اشتركوا فى مقتل زوجها للاحتفال بوضع حجر الأساس لأحد المعابد الجديدة التى أمرت بتشييده فى الأراضى المنخفضة بالقرب من النيل ، ودعتهم إلى قبو ، وهناك أقفلت عليهم الأبواب وتركت المياه تتسرب لتغرقهم جميعا ، وبعد ذلك خشيت انتقام شعبها ، فانتحرت بحبس نفسها فى حجرة مملوءة بدخان فحم الأخشاب . وهكذا انتهت الأسرة السادسة بحكم ملكة ، ذكر عنها هيرودوت قصة انتحارها هذه وذكر مانيتون عنها " أنها كانت أنبل واحدة فى نساء عهدها " . ويمكن القول بأن الأسرة انتهت بنوع من الغموض .

ومن عصر الأسرة السادسة اشتهر أحد حكام الفنتين " حقا – ايب " بحكمته وفضائله ، وأصبحت له عبادة فى مقبرته ، وعثر على مقصورة له تحمل اسمه فى جزيرة الفنتين (٣)

ولعل من أهم مقابر كبار الشخصيات فى هذه الأسرة نذكر على سبيل المثال : مقبرة مرى روكا (مرروى – كا – إ) وعنخ مع حور ومحو فى سقارة ، ومقبرة ايدو فى الجيزة ، ولعل من أهم ما يلفت النظر فى مقبرة مرى روكا (مرروى – كا – إ) أن بها ما يقرب من ٣٢ غرفة وممر وهى مقبرة عائلية ، وقد أحتفظ مرى روكا لنفسه بـ ٢١ غرفة وخص زوجته بست غرف ، وكان نصيب ابنهما خمس غرف .(٤)

---

(١) Beckerath, LA 1V, p. 77 .

(٢) يذكر مانيتون أنها حكمت لمدة اثنى عشر عاما ، ويذكر اراتو سيثينيس أنها حكمت لمدة سبع سنوات ، راجع : Gauthier , op . cit . I , p . 1771 (8) p (2-3); Chr. Zivie, LA 1V, p. 513 – 514.

(٣) R. el Sayed , Quelques Hommes Célèbres; فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ ؛ Habachi, LA 11, p. 1120 – 1121 .

(٤) د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص٢١٢ .

أهم المظاهر الحضارية فى عصر الدولة القديمة :

تعتبر الدولة القديمة من أكثر الفترات رخاء من الناحية الداخليـــة بالنســبة لمصر ؛ وهذا مما يدل على مدى القوة التى وصل إليها الملوك فى هـــذا العصــر ، فالملك اعتبر معبودا بكل معانى هذه الكلمة ؛ يخشاه الناس ولكنهم فى نفـــس الوقـت يطيعونه عن احترام وتقديس ، ويبدو انه بفضل ذلك النظام الصارم عرفـــت مصـــر فترة من الرخاء الاقتصادى لن تعرفها بعد ذلك ولن تتمتـــع بـــها إلا خـــلال فـــترات منقطعة فيما بعد .[١]

ومما يؤسف له أننا لا نعلم الشيء الكثير عن سياسة التوسع الخارجى للدولة القديمة ، ولكن العثور على معبد مصر فى بيبلوس [٢] يبين أن السياسة الخارجية لـــم تقتصر على اكتشاف وغزو بلاد النوبة عدة مرات ولكن كان هنـــاك علاقـــات مـــع الشمال ويمثل ذلك فى حد ذاته أكبر انتصار لملوك هذه الدولة .

وكان المجتمع المصرى القديم فى هذه الفترة يتكون من طبقتين ، طبقة عليـا وعلى رأسها الملك وأسرته وحاشيته ، ومعاونوه من كبار الموظفين وأمراء الأقـــاليم وكبار الكهنة ، ثم طبقة دنيا تتكون من عمال يعملون فى الزراعة والرعى والصيــــد والصناعة والحرف والمهن المختلفة ، وكان هناك طبقة وسطى تتكون مـــن صغـــار الموظفين والكتبة الذين يعملون فى إدارات الدولة والصناع الكبيرة . وكان ضمن هذه الطبقة أيضا أصحاب الحرف من الصناع المهرة [٣] . وكان تكريم العمـــال معروفـــا عند بعض كبار الشخصيات فى الدولة القديمة ، فيقول مدير الضيعة "منـــى" مـــن الأسرة الرابعة بأنه قد كافأ بسخاء كل من ساعد أو ساهم فى بناء وزخرفة مقبرتـــه ، وهو يقول : "لن يندم أى شخص قد ساهم فى بنائها ، سواء فنان أم قاطع أحجار ، لقد

---

(١) Vercoutter , op . cit ., p . 64 .

(٢) Montet, Byblos et L'Egypte , p . 36 , 62 , 70 – 71 , (45-50)

(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصـــر ، ص ٤٧ ، ٤٩ – ٥٣ .

أعطيت كل واحد مكافأته [١] " .

ويقول آخر :

" لقد طلبت إلى المثال أن ينحت لى هذه التماثيل وكان راضيا عن الأجر الذى دفعته له " .[٢]

ويقول ثالث : وهو أحد القضاة من الأسرة الخامسة ، " إن جميع من عملوا فى هذه المقبرة قد نالوا أجرهم كاملا ، من خبز وجعة وملابس وزيت وقمح بكميات وافرة ، كما أننى لم أكره أحد على العمل [٣] "

كما أن الملك منكاورع كان قد أمر ببناء مقبرة لأحد رجال بلاطه ،وقد عمل فيها خمسين عاملا ، وجاء فى النص الذى يروى هذا الحدث أن الملك أمر بالا يسخر أحد فى هذا العمل فضلا عن عدم إكراه العمال فى آى عمل (آخر) [٤] " .

أما عن حالة الشعب فى هذه الفترة ، فيمكن القول بأن الشعب المصرى كان شعبا سعيدا راضيا بوجه خاص – وكان أكثر إنسانية من شعوب الأمم الأخرى وكان دائما فخورا بفضائله ، وكان لديه شعور دينى عميق ،ولديه معنى واضح لما هو عادل وما ظالم ، وما هو حسن وما هو سيئ فى نظر المعبودات ، وكان مسلكه يتميز بمجهود حقيقى لإطاعة قوانين المعبودات والدولة ، لكى يصبح فى علاقة طبيعية مع المعبودات ، وكان المصريون ، سكانا طيبين ، ومن السهل حكمهم ، سالمين متحفظين إلى درجة كبيرة ، فعندما وضعوا قواعد آداب السلوك وحسن التصرف كانوا يطبقونها بحزم ، واستمرت القواعد الفنية التى نشأت فى عصر الأسرة الثالثة والرابعة فى تقدمها مع كثير من العناية ، وعلى الرغم من ان كل جيل

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

كانت له ميوله وينتج التحف الخاصة به ، إلا أن أغلب الإنتاج الفنــــى كـــان يمـــيزه المستوى الرفيع .(١)

كان النبلاء يعيشون حياة ثقافية ، نظيفة وفاخرة ، وكانت بعـــض الطبقـــات الدنيا تعانى من بعض مظاهر الفقر ، ولم يكن هناك أى تذمر وحتى الطبقة الوســطى كانت قانعة بنصيبها فى الحياة .

وكان كل ذى أهمية ، يحتل وظيفة فى الحكومة أو فى طبقة الكهنة ، وسمح للأبناء بأن يرثوا وظائف آبائهم ما داموا أهلا لها ، وسمح لكبار شخصيات الأســـرة الخامسة بأن يتقلدوا منصب الوزير ، وبعد أن كان هذا المنصب قاصرا فـــى عصـــر سنفرو على كبار الأمراء ، ولم تتردد أميرة من البيت المالك فى أن تتزوج من قـــزم كان يدعى سنب (٢) . وكان سنب موظفا مصريا كبيرا ، وكان رئيســـا لكـــل أقـــزام القصر الملكى ، وكان مسئولا عن ملابس الملك ، وكان ملحقـــا ببعـــض الوظـــائف الكهنوتية : فكان كاهنا لروح الملك خوفو وجدف رع . وكان يملك آلافا مـــن رؤوس الماشية وأسطول شخصى من المراكب .(٣)

وعثر الألمانى يونكر فى عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٧ على مقبرة القزم سنب فى الجيزة ، وعثر فى هذه المقبرة على تمثال من الحجر الجيرى الملـــون يمثـــل القـــزم وعائلته ، ويبلغ ارتفاعه ٣٤ سم وعرضه ٢٢ سم . وعندما أراد الفنان أن يمثل سنب وزوجته معافى جلسة عائلية أختار أن يمثلها جالسين .

---

(١) Vandier , Manuel d'archeologie III , p . 13 .

(٢) Junker , Giza III , p . 211 ; Weigall , op . cit . , p. 57 .

(٣) فمن النقوش بابه الوهمى بالمتحف المصرى ، نعرف أنـــه كـــان يمتلـــك ١٠,٠١٥ راس من الثـــيران ، و ١٠ آلاف مـــن الأبقـــار ، ١٢,٠١٧ مـــن الحمير ، و ١٠,٢٠٠ من الأتن (أنثى الحمار) ، و ١٢,٢٠٥ من الكباش ، و ١٠,١٠٣ من النعاج ، راجع : دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٢٩ (٦٠١٠) .

وفى مستوى واحد لا يظهر الفرق واضحا بين طول قامة الزوجة سنت إيت إس وقصر الروج سنب ، ومثل أمامهما ولده عنخ مع جد إف رع وابنته اوت ايـــب إن خوفو واقفين [١] .

ولا شك فى أن إخراج هذا التمثال بهذه الصورة يعبر عن اتجـــاه النحـــات المصرى القديم فى احترام الشخصية الإنسانية فى حد ذاتها وعدم السخرية بأية حـــال من العيوب الخلقية لأخيه الإنسان .وهنا تبرز أيضا عمق أحاسيس هذا الفنان الأصيل الذى لا نعرف اسمه ولكن حسن صنيعه يعبر عن شخصيته .

أما بالنسبة للحياة الدينية فنجد أنه كان : لكل مدينة معبودها المحلى ، وتعترف أيضـــا بمعبودات المدن الأخرى ، فمثلا نجد أوزير فى أبيدوس وبوزوريس[٢] ، وأنوبيـــس فى أسيوط[٣] ، وخنوم[٤] فى أسوان وسانت[٥] وعنقت[٦]، وواحيت[٧] وحورس فـــى بوتو[٨] (مدينه ب ودب القديمـــة) ونخبـــت فـــى الكـــاب[٩]، ورع[١٠] وآتـــوم فـــى إيونو.[١١]وحرى شف فى هيراقليوبوليس ماجنا[١٢]وتحوتـــى فـــى هرموبوليـــس[١٣]،

---

(١) Saleh – Sourouzian , op . cit . , no 39 .

(٢) Griffiths, LA 1V, p. 623 – 633 .

(٣) Altenmuller, LA I, p. 327 – 333 .

(٤) Otto, LA I, p. 950 – 954 .

(٥) Valbelle, LA V, p. 487 – 488 .

(٦) Otto, LA I, p. 333 – 334 .

(٧) Martin, LA V1, p. 864 – 868.

(٨) Schenkel, LA 111, p. 14 – 25 .

(٩) Van Voss, LA 1V, p. 366 – 367 .

(١٠) Barta , LA V, p. 156 – 179 .

(١١) Kakosy, LA I, p. 550 – 551 .

(١٢) Altenmuller, LA 11, p. 1015 – 1017 .

(١٣) Kurth, LA V1, p. 498 – 523 .

وحورس فى هيراقونبوليس (الكوم الأحمر حاليا) وسبك[١] فى كوم امبو والفيــوم ؛ وبتاح[٢] وتاتنن[٣] وسوكر[٤] فى منف ، ونيت فى سايس[٥] ، وست فـــى أمبـــوس[٦] ومع ثالوث طيبة فى تانيس ، وآمون وموت (أو أمنت) وخونسو فى طيبة فى بدايـة الدولة الوسطى[٧]، ومين فى أخميم[٨] ، وحتحور فى دندرة[٩] ومونتو فى أرمنــت[١٠] وسوبدت (سوتس)[١١] ... الخ .

وإلى جانب هذه المعبودات المحلية المعروفة فى كل مدينة وفى كل إقليــم ، كان هناك مجموعة أخرى من المعبودات العامة ، التى كانت تعبد فى مصر القديمة ، وهى معبودات ذات طابع جغرافى مثل معبود النيل : حعبى[١٢] ، ومعبود المحـاصيل والمزارع : آخت ومعبود الحبوب : نبرى[١٣] ، ومعبـــود الحصـــاد : رننوتــت آو

---

(١) Brovarski, LA V, p. 995 – 1031 .

(٢) Te Velde, LA 1V, p. 1177 – 1180 .

(٣) Schoske, LA V1, p. 238 – 239 .

(٤) Brovarski, LA V, p. 1055 – 1074; Helck, LA V, p. 1074 – 1075.

(٥) R. el Sayed, la Deesse Neith de Sais, BdE 86, le Caire 1982; Schlichting, LA 1V, p. 392 – 394 .

(٦) Te Velde, LA V, p. 908 – 911 .

(٧) Otto, LA I, p. 237 – 248; Te Velde, LA 1V, p. 246 – 248; Brunner. LA I, p. 960 – 963 .

(٨) Gundlach, LA 1V, p. 136 – 140 .

(٩) Daumas, LA 11, p. 1024 – 1033 .

(١٠) Borghouts, LA 1V, p. 200 – 204 .

(١١) Kakosy, LA V, p. 1110 – 1117 .

(١٢) Eggebrecht, LA 11, p. 951 – 952 .

(١٣) Th. Derchain, LA 1V, p. 454 .

رننوت[١] ، ومعبود الأرض : جب[٢] ومعبودة السماء : نوت[٣] ومعبود الفضاء : شو[٤] . وهناك معبودة العدالة : ماعت[٥] ، ومعبودة الكتابة : سشات[٦] ، والمعبودة توريس Toueris أنثى عجل البحر التى تساعد على السمنة[٧] ، ومسخت معبودة الولادة[٨] ، والمعبود : بس الذى يحمى من التأثيرات السحرية[٩] ، ومعبود القوة والسحر : سخمت[١٠] ، وغيرها ارتبطت بالأساطير والمعتقدات والخليقة مثل ايزيس[١١] ونفتيس[١٢] ، وخونسو[١٣] ونفرتم[١٤] ، وسلكت[١٥] اونوريس .[١٦]

---

(١) B. Seeber, LA V, p. 232 – 235 .

(٢) Te Velde, LA 11, p. 427 – 429 .

(٣) Kurth, LA 1V, p. 535 – 541 .

(٤) Te Velde, LA V, p. 735 – 737 .

(٥) Helck, LA 111, p. 1110 – 1119 .

(٦) Helck, LA V, p. 884 – 888 .

(٧) Gundlach, LA V1, p. 494 – 497 .

(٨) Grieshammer, LA 1V, p. 107 – 108 .

(٩) Altenmuller, LA I, p. 720 – 724 .

(١٠) Staehelin, LA V, p. 323 – 333 .

(١١) Jan Bergman, LA 111, p. 186 – 203 .

(١٢) Graefe, LA 1V, p. 457 – 460 .

(١٣) Brunner, L A I, p. 960 – 963 .

(١٤) Schlogl, LA 1V, p. 378 – 380 .

(١٥) Von Kanel, LA V, p. 830 – 833 .

(١٦) Schenkel, LA 1V, p. 573 – 574 .

وكان هناك ما يسمى بأنصاف المعبودات والقوى الحامية والقـوى الخـيرة ذات الأشكال المتعددة[١] . ومع الأساطير وتطور الفكر الدينى حلول الكهنـة تفسـير الكون والوجود والخليقة بطريقة أكثر تعقيدا فنشأت فى بداية الأمر فكـرة المذاهـب الدينية فى هليوبوليس ، منف ، وهرموبوليس .

فالمعبود آتوم ، معبود الخليقة فى ايونو ، خلق بقواه الشخصية داخـل المحيط الأزلى ، وبعد ذلك بدأ بدون أية مساعدة خارجية فى خلق العناصر الأساسـية للكون التى بدونها لا توجد الحياة : الهواء – شو ، الرطوبـة – تفنـوت ، وأنجـب كلاهما جب معبود الأرض ، ونوت معبودة السماء ، وأنجب هؤلاء الآخرون بدورهم المعبودات الهامة التى تجاوزت مع الزمن حدود أقاليمها الأصليـة منـها حـورس ، وأيضا تحوتى وأنوبيس وماعت ، ونجد ان طيبة اعتنقت أيضا مذهـب التاسـوع[٢] وأضافت عليه خمس معبودات وجعلته يتكون فى عصر الملكة حتشبسوت من مونتـو فى المقدمة ثم آتوم ، شو ، تفنوت ، جب ، نوت ، أوزير ، إيسه ، ست ، نفتيـس ، حورس ، سبك ، تننت[٣] ، وايونيت[٤] .

ومن المحتمل أن كهنة منف أرادوا أن يخرجوا بنظرية أو مذهب عن الخلق بواسطة الكلمة المنطوقة بواسطة المعبود بتـاح فـهم يعتقـدون آن كـل الأشـياء والمخلوقات صادرة عنه عن طريق الكلمة والنطق ، أى ان المعبود فكر بذهنـه أى قلبه وحقق كل شئ عن طريق فمه آى الكلمة ، ومن المحتمل أن تأسيس هذا المذهـب يرجع إلى بداية الدولة القديمة[٥] .

---

(١) يعطينا د.عبد الحليم نور الدين فى مؤلفه : اللغة المصريـة القديمـة ، ص ٢٠٧ – ٢٢١ ملحق (٥) قائمة بأسماء بعض المعبودات وأمـاكن عبادتـها (أعطى ٦٨ اسما) .

(٢) عن هذا التاسوع ، راجع : Brunner, LA 1V, p. 473 – 479

(٣) Brunner, LA 1V, p. 475; Id., V1, p. 610 .

(٤) Jankuhn, LA 111, p. 212 .

(٥) Te Velde, LA 1V, p. 1178 .

وخرج كهنة الأشمونين (مدينة الثامون) بمذهب آخر على رأسه تحوتى معبود المعرفة والحكمة والكتابة . ونظرا لارتباطه بالقمر أصبح حاسبا للوقت ، وهو الذى اخترع الكتابة واللغات وفن حسن التعبير وقد عبد فى الأشمونين (هرموبوليس) منذ وقت بعيد مع ثامون مقدس كان مستقلا عن المعبود تحوتى فى البداية ، وقد أدى هذا الثامون دورا هاما فى خلق الكون ويلاحظ أن تحوتى يظهر بقلة فى هذا المذهب . وهو يقوم على مبدأ التزاوج بين أربعة كائنات مذكرة ومؤنثة : نون ونانوت ، وهما يمثلا المحيط الأزلى ، حى وححت فهما الخير بدون نهاية ، ككو وكوكت وهما الظلام الدامس ، وآمون وأمنت وهما الخفيان بدون تحديد ، وكان هذا الثامون يمثل برؤوس ضفادع وثعابين لها صلة بحياة المستنقعات والبرك التى ظهرت منها الأرض ، وهى أيضا التى ساعدت على خلق الشمس وأعدت لها مكانا فوق التل الأزلى ، وتجعل بعض النصوص الشمس تخرج أحيانا من زهرة اللوتس التى خلقها الثامون . وأحيانا نجد أن الثامون هو الذى خلق البويضة التى خرجت منها الشمس .[١]

إلى جانب هذه المذاهب الدينية الرئيسية الثلاثة نسب أهل الفكر الدينى إلى بعض المعبودات الرئيسية أدوارا هامة فى عملية الخلق والخليقة ، مثل رع وآتوم وآمون وخنوم ونيت ، وتعكس لنا نصوص التوابيت فكرة الخلق طبقا لسبع مراحل ، وهو مذهب جديد غير معروف قمنا بدراسته .[٢]

وكانت أغلب المعتقدات تتفق مع بعضها بعضا فيما عدا فى العصور القديمة ، وكان من النادر أن نجد صراعا دينيا ، وكانت تقام أعياد كثيرة تكريما للمعبودات وكانت الخدمة الدينية فى المعابد جزءا من الحياة اليومية .

---

(١) Daumas , Les Dieux de L'Egypte , Paris (1955) , p . 19 63 – 65 , 112 – 113 ; Sethe , Amun,p . 38 (136) ; Sauneron – Yoyotte , la Naissance du Monde , p . 26 – 28 ; Meeks , Sources Orientales 8 (1971) , p . 40 ; Junker , Gotter lehre von Memphis , p .59 ; Helck , ZAS 79 (1954) , p . 28 ; Kees , Gotterglaube , p . 103 Altenmuller, LA I, p. 56-57 .

(٢) R.el Sayed , RdE 26 (1979) , p . 76 – 80 .

وفى كل المجالات نلاحظ الأهمية التى أسبغها المصريون القدماء على عادات الدفن وتكريم الروح ، ففى مصر العليا كانت أغلب الجبانات تقع فى حواف الصحراء ، وهكذا احتفظت لنا الأرض الجافة بكثير من المقابر وكانت القصور والمنازل تقام عادة بالقرب من الأراضى الزراعية وهذا هو السبب فى اختفائها بسرعة ، وهكذا خلد ما يخص الموتى أكثر مما يخص الأحياء ، ولهذا فمن الخطأ الحكم على أن المصريين القدماء قد اهتموا بالموت أكثر من الحياة ، وأدى الاهتمام بالحياة بعد الموت ، إلى محاولة حفظ الجسد عن طريق التحنيط الذى توصلوا إليه مبكرا فى بداية الأسرة الثالثة [١] ، وكان من الضرورى امتلاك مقبرة تسكن فيها روح المتوفى ، وحيث يأتى الناس إليها حاملين القرابين ، وعلى الرغم من ذلك ففى حياتهم العائلية والاجتماعية ، ظهر نوع من المصريين يفضلون حياة المرح وعدم التفكير أو الانشغال بأمور الآخرة ، وكانوا يقدرون نعمات هذه الأرض ، المسكن ، الملبس ، والغذاء ، الشراب ، اللهو والتسلية ، الألعاب الرياضية ، الموسيقى ، والرقص والأغانى وينعكس تفكيرهم هذا فى إحدى القصائد التى تركها عازف القيثارة ، وهى على الرغم من أنها من عصر لاحق (سنوسرت الثانى) إلا أنها تعبر عن روحهم .

وفى الواقع تشبه هذه القصائد المواويل التى كانوا يرددونها فى تنغيم ويدعون الناس فيها إلى التمتع بمباهج الدنيا دون القلق على الآخرة وما يصيبهم فيها ونرى أحد المواويل يرددها أحد الرجال على أنغام الجونك فى حفل لذكرى أمير كبير ، فقال بعد أن مدح صاحب الذكرى [٢]:

---

(١) Vandier , La Religion Egyptienne , Paris (1944), p . 111; Daumas , la Vie dans L'Egypte Ancienne (1968) , p . 120 ; Engelbach, Introduction to Egyptian Archeology, p. 190 – 201 .

(٢) Lichtheim , Ancient Egyptian literature , p ,193 ; Id . , JNES 9 (1950) , p. 187 – 191 ; Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 403-404;Weigall , op.cit., p. 59

" أجيال تختفى وتذهب ، وأخرى تبقى وذلك معروف منذ عــهد الأسـلاف فهناك معبودات (ملوك) كانت ترقد فى أهرامها من قبل الآن (موجودة) ، ونبـلاء وأناس مشهورين دفنوا فى مقابرهم ، ولقد شيدوا منازل لم يبق لها أثر . فماذا حـل بهم ؟ سمعنا جملا من ايموحتب وجدف حور التى تذكر كحكم[1] وهى خالدة أكثر من آى شئ، ولكن أين منازلهم ؟ تهدمت جدرانها ، ولم يبق منها أى أثر ، كما لو أنها لم تقم على الإطلاق ، وما عاد أحد من هناك حتى يحكى ما حدث ويقول عما يحتاجونـه ، لكى تطمئن قلوبنا حتى نرحل إلى المكان الذى حلوا به .ومن اجل هـذا ، طمئـن قلبك ، فالنسيان أجدى لك ، اتبع قلبك طالما أنت تعيش . وضع الزيوت المعطرة فوق رأسك ، ارتد الكتان الفاخر ، أدفن نفسك بأفضل عجـائب القربـان المقـدس (مـن الزيوت) اعمل على دوام سعادتك ، لكى لا يضعف قلبك ، ابتع قلبـك ومـا هـو مناسب لك ، تخلص من أعمالك على الأرض ، لا تتعب قلبك على الإطـلاق حتـى اليوم الذى يأتيك فيه العويل الجنائزى (النعى) . ومن كان قلبه صلبا فهو لا يسـتمع إلى ندائه على الإطلاق ، فنداؤه لا ينقذ أى إنسان من المقبرة ، لهذا السبب تمتـع ولا تمل هذا على الإطلاق ، انظر لا أحد حمل متاعه معه ، انظر لا أحد ذهـب (إلـى هناك) وعاد مرة أخرى " .

وقد وجدت نقوش أغنية حامل القيثارة ، فى مقبرة نب خبر رع – انتف مـن الأسرة السابعة عشرة وهى من أدب منف ، وتقص الأزمات التى مرت بالبلاد فـى نهاية الدولة القديمة ، اما موضوع الأغنية فهو :" الأغنية التى كانت فى منزل الملـك انتف ، المتوفى ، أمام المغنى ومعه القيثارة " أما عنوان الأغنية فهو " كل واشـرب وكن فرحا ،لأننا سنموت غدا " [2] . ولقد شك أصحاب هـذا الاتجـاه فـى الخلـود وأفكاره . وهناك اتجاه آخر غلب على أصحابه التشاؤم على أحوال عصرهم ودنيـاهم

---

(١) Posener, LA 111, p. 978 – 979 .

(٢) Lichtheim , JNES 9 (1950) , p . 191 – 195 ; Simpson , Literature of Ancient Egypt , p . 286 ; Bresciani , Litterature Epoesio del L'Egitto , p . 119 .

ويتمثل ذلك فى حوار سجله كاتب مصرى على بردية بين رجل يئس من الحياة وعيوب الدنيا فى عصره وجعل روحه تتحدث إليه كأنها شخص آخر ، وظل كل منهما يحاور الآخر ، وشكا لها سبب ضيقة من الحياة ، وأنه تكفل بالدعوة بين الناس ولكنه لم يجد من بينهم مجيبا وقص عليها ذلك فى أربع قصائد :

يقول فى الأولى : " يا روحى أنت غير عاقلة لكى تختفى من بؤس الحياة إنك تحاولين آن تبعدينى عن الموت قبل آن أذهب إليه ، ويقول فى الثانية : لمن أتحدث اليوم والأخوة أشرار وأصدقاء لا يرغبون لمن أتحدث اليوم وقد اعتاد الناس على السوء وأهملت الحسنى فى كل كان ، ويقول فى الثالثة : " أصبح الموت أمامى اليوم أشبه بعبير المر أو بجلسة تحت مظلة فى يوم ريح عاصف ، وفى الرابعة : " يؤكد إيمانه بالحياة بعد الموت وإيمانه بالثواب وعدل الأرباب " .(١)

وهذه البردية أيضا من عصر الملك سنوسرت الثانى : وتعتبر هذه البردية عن نواح نفسية وفلسفية غاية فى الدقة ويرجع ذلك إلى حالة التشاؤم التى سادت فى لا أعقاب السنوات الصعبة التى عاشتها البلاد فى أواخر الدولة القديمة .

وإلى جانب هذين الاتجاهين ظهر اتجاه ثالث آمن أصحابه بعقائد أسلافهم وفى الخلود ومقوماته .(٢)

---

(١) Posener , Literature et Politique , Paris (1956) , p . 40 ; Erman , Die literature p . 86 – 108 ; Daumas , La Civilisation de l'Egypte Pharaonique , p . 403 ; Simpson , op . cit . , p . 201 ; Bresciani , op . cit . , p . III; Posener, LA 111, p. 984 – 986 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٠ ، ١٥٢ ، س ٣٤٤ – ٣٤٦ ؛ محاضرات كلية الآداب قسم الآثار المصرية عام ١٩٥٩ عام – ١٩٦٠ ، راجع بوجه عام : Scharff , Streigesprach eines lebenmuden mit seiner Seele (1937) , p . 15 ; Faulkner JEA 42 (1956), p . 21 – 40 ; Brunner – Traut, ZAS (1967) , p . 6 – 15 94 ; Daumas , op . cit . , p . 40 – 403 ; Bresciani , op . cit . , p . 111-118 ; Simpson , op . cit . , p . 201 – 229 ; Donadoni , Storia della litterature egiziana antica (1957) , p . p : 76 ; Id . , La Religione dell antico Egitto (1959),p 166-168 .

وتدل هذه الاتجاهات على إدراك تام بتعاليم الحكم وآداب السلوك . وعن مصادر أصول التربية ، لنا أن نذكر تعاليم والدكايجمنى من عهد الملك سنفرو التى وجهها لأولاده فى آداب السلوك العامة والأسلوب الذى يجب أتباعه ونبذه عند تناول الطعام ، ولدينا أيضا تعاليم بتاح حتب الذى قام بتأليف عدد من الحكم والتعاليم القديمة موجهة إلى ولده فيما يجب اتباعه فى السلوك العام وآداب الحديث .[١] واشتهر فى عصر الأسرة السادسة أحد حكام الفنتين بحكمه وفضائله [٢] . وتكشف لنا بعض ذكرنا ما حدث لو اشتباح فى عصر الملك ساحورع وتصرف الملك معه ومع رع ور ، وكذلك ما ذكره أحد القضاة الذى عاش فى عصر الملك نى اوسررع – آنى .

وفى مجال المعارف والعلوم ، فقد برع المصريون القدماء فى عصر الدولة القديمة فى معارف الفلك واجتهدوا فى تحديد مواقع العديد من النجوم والكواكب السيارة وحركات الأجرام السماوية ومسار الشمس الظاهرى بين بروج النجوم ،واهتموا بخسوف القمر وكسوف الشمس .

وبرعوا فى الرياضة وعرفوا استخدام الحساب والجمع والطرح والضرب والقسمة والكسور البسيطة ، وعرفوا علم المساحة ومساحة الدائرة .

وفى مجال الطب برعوا فى علاج العديد من الأمراض وتشخيصها ، ووصفوا أيضا العديد من الأمراض فى بردياتهم الطبية التى وصلت إلينا ، وكانت لديهم خبرة كبيرة فى التشريح ومعرفة الأعضاء وأسلوب الجراحة .وقد عثر أيضا على بعض الأدوات التى استخدمها المصريون القدماء فى الجراحة .[٣]

بل أكثر من هذا فهناك نصوص مصرية تحدثنا عن بعض الأمراض

---

(١) Bresciani , op . cit ., p . 117 .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٠٣ – ١٦٠ . R.el Sayed , Quelques hommes célèbres فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ .

(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٨٥ – ٩٣ شكل ١٦ ؛ د.سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلية المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ص ١٤١ – ١٥١ .

وعلاقاتها بالدم والإفرازات المختلفة [١] . وكان لأطباء مصر القديمة شهرة واسعة فى بلاد الشرق القديم .[٢] ، وهناك نص من عصر الدولة القديمة يدلنا على وجود طبيبة دون تحديد تخصصها [٣] . وكانت أيضا قاضية ووزيرة . فهناك لوحة عثر عليها فى ابيدوس وموجودة الآن بالمتحف المصرى تحت رقم ١٥٧٨ من عصر الأسرة السادسة وعليها نص يخص خوى وزوجته نبت ، ونقرا فى السطر ٢-٤ ألقاب السيدة نبت : " الأميرة الوراثية ،ابنة جب ، النبيلة ابنة مرحو ، ذات الستره (t3 yty) ، القاضية ، الوزيرة ابنة تحوتى ، سميرة ملك الوجه البحرى ، ابنة حورس ، المبجلة من قبل (اوزير)الذى يترأس الغرب ، سيد ابيدوس ، المبجلة نبت ".[٤] فهل هذا يعنى أن هذه المناصب كانت قاصرة على بعض سيدات السرة المالكة ؟ وعندما يقال لها أنها ابنة تحوتى ، فهل هذا يعنى أنها كانت صاحبة ثقافة وعلم ؟

وفى مجال التحنيط ، توصلوا إلى الكثير فى معرفة طبيعة الجسم البشرة أسراره وكانت مومياء الملك جسر هى أول مومياء ملكية محنطة .

وفى مجال الكيمياء توصلوا إلى المعارف كثيرة ساعدتهم مثلا على تحضير الكثير من الأصباغ والألوان التى نراها فى مقابرهم فى الجيزة وسقارة وعلى بردياتهم ، ساعدتهم أيضا فى إعداد المواد اللازمة للعلاج والتحنيط .[٥]

وفى مجال الفنون فقد امتازت الدولة القديمة تلك المعالم المعمارية الضخمة

---

(١) Ghalioungui , BIFAO 62 (1964) , p . 37-48 .

(٢) د. أحمدبدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٣) Ghalioungui , BIFAO 62 (1975) , p . 163 .

(٤) Borchardt , Denkmaler des Alten Reiches 11 , p . 59 (1) ; Vernus , Athribis , BdE 74 (1978) , p .455 (3) ; Meeks , Alex . 11 , p . 418 ; Wb. V , 344 , 2 . ، د. رمضان عبده :حضارة مصر القديمة ، الجزء الأول ، ص ٣١٦ (٤) .

(٥) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٩٢- ٩٣ .

التى أقامها الملوك فى منطقتى الجيزة وسقارة وسماها المحدثون الأهرام . فقد أقام ملوك عصر بداية الأسرات مقابرهم على هيئة شكل مستطيل فوق سطح الأرض ، بنى من الطوب اللبن واصطلح على تسميته مصطبة ثم تطورت المقبرة الملكية فى عصر الدولة القديمة من الشكل مدرج فى عهد جسر وسخم خت فى سقارة إلى الهرم ذى الطابقين فى عهد حونى فى ميدوم ، إلى الهرم المنكسر الأضلاع للملك سنفرو فى دهشور ، إلى الهرم الكامل لأول مرة فى عمارة مصر القديمة من عهد سنفرو فى دهشور إلى الشمال من الهرم المنكسر الأضلاع . وأن هذا التطور فى عمارة المقابر الملكية هذا النحو كلن ملحيا ومصريا ولم يتأثر بأى فكر خارجى . وفى الواقع أن السبب فى بلوغ عمارة المقابر الملكية إلى هذه الدرجة من الضخامة والإتقان الهندسى عاملان . أولهما تقديس الملك ، إذ لابد أن يقيم الناس له بناءا عظيما ليشرف منه فى العالم الآخر كما كان يشرف عليهم فى الدنيا شامخا مرتفعا يراه الناس فى كل مكان . وثانيهما حب المصريين للفنون ، فهى التى دفعتهم إلى إيجاد محاولات جديدة فى تطور عمارة المقابر الملكية ، ولذلك خرج مهندسو العمارة فى الدولة القديمة على الناس بهذه الأساليب ولا بد انه كانت لديهم الرسومات الخاصة بشكل تصميم الهرم وأبعاده الداخلية وملحقاته . ومما يدل على عظمة بناء الأهرام غير أبعادها الدقيقة أنهم لم يستخدموا فى إقامتها أى نوع من الآلات التى تستخدم فى عصرنا الحالى لتحريك ورفع ونقل الأحجار الضخمة ، فلم يعرفوا العجلات والبكرات ولا الأوناش . ولكن استخدموا المنحدرات الصاعدة حتى آخر مدماك فى قمة الهرم إلى ارتفاع ١٤٦ مترا فى الهرم الأكبر .(١)

---

(١) د. عبد الحميد زايد :مصر الخالدة ، ص ٢٥٩ .
ومما يدل على دقة بناء الهرم أن العلماء الذين قاموا بقياس الأبعاد داخل الهرم وخارجه وجدوا أن الفواصل بين بعض أحجاره لا تزيد عن نصف ملليمتر . وأن متوسط الاختلاف فى طول جوانبه لا يعدو ١ على ٤٠٠٠ وأن الاختلاف فى ضبط ضلعيه الشرقى والغربى لا يزيد عن ٣ على ١٠٠، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول:مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٠٦ .

ونذكر هنا ثلاثة أهرام لم تدرس دراسة علمية حتى الآن [١] . وهى تنسب إلى الأسرة الثالثة ، أولها هرم سيلا فى الفيوم ، وهرم زاوية الموات فى المنيا ، وهرم الكولة فى أسوان أمام بلدة الكاب على مقربة من قرية البصيلية [٢] . وقام النحاتون والرسامون الذين كانوا يقومون برسم أو نحت المقابر ، بتنفيذ مقابر الجيزة وسقارة وغيرها نجد أنها كانت سجلا لحياتهم ونشاطهم فنجد الصيادين والرعاة يقومون بأداء أعمالهم بجد ونشاط ، فى حصادهم يتحركون فى صف واحد وقد لوحوا بمناجلهم بانسجام من الأغانى بينما وقف بينهم عازف لهم على أداة أشبه بالمزمار صنعت من غاب ، وحضرت النسوة إلى الحقول ومعهن الطعام ولم ينس الفنان أن يسجل ما كان يحدث من أدق الأمور وأطرفها ، فقد سجل على أحد الجدران فتاتين تتنازعان ، بينما أخذت ثالثة تعمل على نزع شوكة قد خلت فى قدم صاحبتها . ونجد الفنان قد سجل بالنقش أحد الرعاة وقد أخذ سنة من نوم فى ظلال شجرة وبجواره كلبة الأليف ، وراعى آخر يقوم فيشرب من قربة ماء مصنوعة من الجلد .ونرى فى مقبرة بتاح حتب فى سقارة مناظر تمثل جماعة من الخدم فى صحبة سيدهم يقوم أحدهم بتقديم بعض المناشف له لتنظيف وجهه وآخر يقوم بتقليم أظافر يده وثالث يقوم بتهذيب أظافر أقدامه أو تدليك قدميه .[٣]

وتظهر مقدرة النحات المصرى فيما أخرجه من تماثيل منها تمثال جسر من الحجر الجيرى الذى عثر عليه فى معبد الملك الجنائزى بسقارة ، وهو موجود الآن

---

(١) راجع أيضا المؤلف الحديث عن أهم أهرام ملوك الدولة القديمة والوسطى بين الجيزة والفيوم فى : Siliotti – Z . Hawass , Guide to the Pyramids of Egypt , publ . by the American University in Cairo Press , 1997 , p . 36 – 166 . وتحدث المؤلفان عن حوالى ٢٨ هرما .

(٢) د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٩٠ – ٩٨ شكل ٣٢ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ،ص ٢٨١ .

بالمتحف المصرى .[١]

وقد وصل الفنان فى الأسرة الرابعة إلى درجة كبيرة من المهارة فى سيطرته على المادة التى ينحت منها تماثيله ، ويظهر ذلك فى تمثال خفرع من الديوريت ،والذى عثر عليه معبد الوادى بالجيزة [٢] ومنكاورع من الشست ٬والذى عثر عليه فى معبد الوادى بالجيزة[٣] والرؤوس البديلة المنحوتة فى الحجر الجيرى والتى عثر عليها فى الجبانة الغربية بالجيزة [٤] ، كما تظهر دقة التعبير فى تمثالى رع حتب ونفرت المنحوتان فى الحجر الجيرى الملون وعثر عليهما فى ميدوم [٥] . وتظهر سيطرة الفنان أيضا فى نحته لرأس تمثال للمعبودة نيت من الشست التى عثر عليها فى معبد الملك وسر كاف فى أبى صير [٦] . وتمثال الملك نفر إف رع من الحجر الجيرى والذى عثر عليه فى معبده الجنائزى فى أبى صير .[٧] ، وتمثال القزم سنب الذى عثر عليه فى مقبرته فى الجيزة وهو الحجر الجيرى الملون[٨] وتمثال الكاتب من الحجر الجيرى الملون من الأسرة الخامسة والذى عثر عليه فى سقارة[٩] ، وأيضا تمثالى رع نفر من بداية الأسرة الخامسة وعثر عليهما فى مقبرته فى سقارة

----

(١) Saleh – Sourouzian, Official Catalogue ; The Egyptian Museum Cairo , no . 16 .

(٢) Saleh - Sourouzian , op . cit . , no . 31 .

(٣) Id . , op . cit . , no . 33 .

(٤) Id . , op cit . , no 32 .

(٥) Id . , op . cit . , no . 37 .

(٦) Id . , op . cit . , no . 35 . وتحدثنا عن هذه الرأس فيما قبل (راجع : ص٥٥٠ – ٥٥١) .

(٧) Id . , op . cit . , no . 38 .

(٨) Id . , op . cit . , no . 39 .

(٩) Id . , op . cit . , no . 43 .

وهما من الحجر الجيرى الملون [١] ، وتظهر مقـدرة الفنـان أيضـا فـى التمـاثيل المصنوعة من مواد أخرى ، ففى المتحف المصرى يوجد تمثال الملك بيبى الأول من النحاس والذى عثر عليه فى الكوم الأحمر .[٢] ، وتمثال كا – عبر (شـيخ البلـد) المصنوع من الخشب والذى عثر عليه فى المصطبة رقم C8 بسقارة [٣] ، وتمثـال زوجة كاعبر من الخشب أيضا (من الأسرة الخامسة)[٤] وتمثال نى عنخ بيبى مـن الجص والخشب الملون من الأسرة السادسة وعثر عليه فى مير .[٥]

أما عن مهارة الفنان فى النقش الغائر فتظهر فى النقوش التى عثر عليها فـى مقابر الجيزة وسقارة من الدولة القديمة ، منها نقش جميل لباب وهمى مـن الحجـر الجيرى الملون للمدعو نى كاورع من سقارة من الأسـرة الخامسـة . ونقـش مـن مصطبة كأم أم روهور يبين منظر للحياة اليومية والحرف المختلفة من سـقارة مـن الأسرة الخامسة ، وصراع بين فريقين على ظهر مركبين خفيفين مـن سـقارة مـن مقبرة غير معروفة من الأسرة الخامسة .[٦] وتفاصيل من الحياة اليومية والحصاد من مقبرة إيبى بسقارة من الأسرة السادسة .[٧]

وتبين اللوحات الخشبية الخاصة بحسى رع [٨] ، التى عثر عليها فى مقبرتـه فى سقارة من الأسرة الثالثة ، مدى المقدرة التى وصلها الفنـان فـى النحـت فـى الخشب ، فإظهار تفاصيل عضلات جسم حسى رع والتفـاصيل الدقيقـة للعلامـات الهيروغليفية الموجودة على اللوحات تبين تفوق النحات المصرى علـى الخشب الذى

---

(١) Id ., op . cit ., no . 45 – 46 .
(٢) Id ., op . cit ., no . 63 .
(٣) Id ., op . cit ., no . 40 .
(٤) Id ., op . cit ., no . 41.
(٥) Id ., op . cit ., no . 65 .
(٦) Id ., op . cit ., no . 57 .
(٧) Id ., op . cit ., no . 99 .
(٨) Id ., op . cit ., no . 60 .

يتطلب عناية ودقة بالغين [١] ، ويظهر هذا أيضا فى نقش الباب الوهمى من الخشب الخاص بايكا من مقبرته بسقارة من الأسرة الخامسة [٢] وتظهر مقدرة الفنان المصرى فى النقوش التى تمثل مناظر صيد فى الصحراء ومناظر فلاحة الأرض ، ومن مصطبة نفر ماعت وإتيت فى ميدوم من الأسرة الرابعة ، وهى نقوش غائرة مملوءة بعجينه ملونة [٣] ، وعثر على هذه النقوش بترى عام ١٨٩٢ .

أما مهارة الرسام فتظهر فى رسوم " أوز – ميدوم " فى مصطبة نفر ماعت واتيت ، واكتشف هذه الرسوم ماريت عام ١٨٧١ ، وهى من الأسرة الرابعة ، ويبدو أن المادة التى رسم عليها المنظر كانت هشة ، ولكن الألوان غاية فى الإبداع ، لأن تفاصيل كل إوزة من الإوزات الست تختلف عن الأخرى [٤] ، ويبلغ ارتفاع المنظر ٢٧ سم وعرضه ١٧٢ سم .

وكما برعوا فى مجال فنون العمارة والنحت والنقش والرسم والتلوين كما بينا من بعض الأمثلة ، نجد انهم برعوا أيضا فى فنون الموسيقى والغناء والرقص كما تبينه بعض مناظر الحياة اليومية فى مقابر سقارة ، ومنها نقش عثر عليه فى مقبرة نن خفت – كا فى سقارة من الأسرة الخامسة وموجود الآن بالمتحف المصرى ، وينقسم هذا المنظر إلى قسمين فى أعلى نرى فرقة موسيقة من الرجال ، ونرى فيها موسيقيا يعزف على الجنك ، وآخرين ينفخان فى مزمارين ، مغنى يرفع صوته بالغناء ، بينما يتابع ثلاثة رجال النغم بأصوات يخرجونها من أطراف أصابعهم وفى أسفل نرى مجموعة من خمس فتيات يرقصن تحت إشراف مدربتين يصفقن لضبط إيقاع الرقص .[٥]

---

(١) Id ., op . cit ., no . 21 .

(٢) Id ., op . cit ., no . 58 .

(٣) Id ., op . cit ., no . 25 a-b; Simpson, LA 1V, p. 376 – 377 .

(٤) Id ., op . cit ., no . 26 .

(٥) Saleh – Sourouzian ,op . cit ., no . 61; Vandier , Manuel d'archeologie IV ,p. 364 – 417

وفى منظر بمقبرة مرى روكا (حرفيا : مررروى – كا – إ) (Mrr. wy k3. i)[1] من الأسرة السادسة بسقارة ، نراه وقد جلس جلسة هادئة ، يستمع إلى غناء زوجته وعزفها على الجنك .[2]

وقام سيليوتى وحواس فى مؤلف حديث بوصف بعض المناظر عن الحياة اليومية فى المقابر الهامة فى سقارة مثل مقبرة الوزير مرى روكا (مرروى – كا – إ) ، والوزير كايجمنى من الأسرة السادسة ، ومقبرة تى المشرف على هرم نى وسر رع ونفر إركارع ، ومقبرة المشرف على هرم ونيس خنسو من نهاية الأسرة السادسة ، ومقبرة ابنة الملك سشات – ايدوت من نهاية الأسرة الخامسة وبداية الأسرة السادسة ومقبرة الوزير محو من بداية الأسرة السادسة [3] كما تحدثا عن مناظر المقابر التى اكتشفت حديثا فى الفترة من ١٩٦٤ – ١٩٧٢ بواسطة الأثرى المرحوم أحمد موسى جنوب الطريق الصاعد للملك ونيس ، وهى مقبرة رئيس مصففى الشعر نفر حر إن بتاح، ومقبرة المشرف على الفنانين (الصناع) نفر ، ومقبرة إرو إك بتاح رئيس القصابين فى البيت العظيم ، ومقبرة نى عنخ خنوم كاهن رع فى معبد الشمس الخاص بنى وسر رع ، ومقبرة خنوم حتب الذى يشغل نفس الوظيفة السابقة . وجميع هذه مقابر المكتشفة حديثا ترجع إلى الأسرة الخامسة [4] ووجود هذه المقابر بجوار الطريق الصاعد للملك يدل على شدة التقارب تجاه الملك المتوفى كما يدل على أمنيات المتوفى المدفون فى هذه المقابر بان تنعم روحه بالدعوات والطقوس التى يقوم بها الكهنة فى المعبد الجنائزى أثناء مرورهم وصعودهم عبر هذا الطريق الصاعد .

---

(١) Martin – Pardey, LA 1V, p. 78 .

(٢) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 205 .

(٣) Siliotti – Hawass , Guide to the Pyramide of Egypt , Cairo 1997 , p . 118 – 125 .

(٤) Id . ,op . cit. , no . 130 - 137 .

الفصل الثامن

العصر الوسيط الأول

من بداية الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة

قيام الثورة الطبقية وحكم الأسرات المحلية

(٢٢٦٣-٢٠٥٢ ق.م)

يبدو أن هذه الفترة المضطربة " الغامضة " التى تسمى العصر الوسيط الأول قد بدأت فى الواقع منذ نهاية حكم الملك ببيى الثانى . وتشمل : أولا انهيار الملكية وقيام أول الثورات الطبقية ، ثانيا : تأسيس الأسرة السابعة والثامنة ، وثالثا : قيام الأسرة التاسعة والعاشرة وتفصل بين الوجه الأول لتاريخ مصر المتطور والمزدهر ، والوجه الثانى المظلم القائم المضطرب .

أولا : قيام الثورة الطبقية :

تجمعت عناصر هذه الثورة فى نهاية حكم الملك ببيى الثانى، وهى تعتبر فى نفس الوقت أول ثورة اجتماعية فى تاريخ مصر القديم ، وعاشت مصر هكذا – قرابة قرن من الزمان – فى حالة من التفكك والقلق والاضطرابات الاجتماعية ، شملت كل أقاليمها ، وسوف نناقش أسبابها ، مصادرها ، ونتائجها .[1]

فقد أدت إلى هذه الثورة عدة عوامل منها :

١- ضعف السلطة المركزية فى منف ، وقد رأينا أن بداية انهيار للسلطة الملكية يتمثل فى أنه منذ بداية الأسرة الخامسة ، وأصبحت سلطة حاكم الإقليم سلطة وراثية ، ويمكن القول بأن ضعف الملوك هو الذى سمح لهؤلاء الحاكم بأن ينقلوا بالوراثة هذه السلطة إلى أبنائهم فى الأقاليم ، وكان من حق الملك أن يعترض ، ولكن

---

(١) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 36 .

لم يحدث مثل هذا الاعتراض ، وتبعا لذلك زادت سلطتهم ولم يدينو بالولاء للملك ولم يدفعوا الجزية للخزانة الملكية . ولعل من الأسباب الأكثر وضوحا لانهيار الملكية هو فقدان الملك لهيبته أو بمعنى آخر اختفاء الصفات المقدسة لشخصيته ،فلم يعد ذلك المعبود على الأرض .

٢- سؤ الحالة الاقتصادية وظهور المجاعة ، ويرى بعض العلماء أن بداية نظام الإقطاع قد ظهر فى مصر فى تلك الفترة ، ولكن لا يجب أن نذهب بعيدا فى فهم وتحليل هذه الكلمة . وذلك لأنه لم يكن يوجد نوع من التعديات المحلية للسلطة ، وهذا أمر يختلف عن معنى الإقطاع ، وهذه التعديات كان يعترف بها الملك إلى حد ما ، لأنه كان غير قادر على القضاء عليها ، ولكن هذه التعديات لم تصل قد إلى حد تكوين نظام قريب من ذلك النظام الذى قام على أنقاض الإمبراطورية الرومانية أى تكوين ممالك منفصلة عن السلطة المركزية فى العاصمة .

٣- ربما كان من العوامل أيضا التى أدت إلى سرعة قيام هذه الثورة ، هى تلك الغارات التى كان يقوم بها البدو فى شرق الدلتا ولم يكن فى استطاعة الملك ردعها ، وهى التى أدت أيضا إلى الاضطرابات الاجتماعية . وقد وصلت إلينا إشارات عنها عن طريق عدة نصوص .

وفى الواقع أن الآسيويين لم يغزوا مصر ، غزوا مسلحا ولكن هناك نوع من أنواع التسلل أو التسرب الذى قامت به بعض القبائل الموجودة على الحدود الشرقية وهذه القبائل كانت تحت تأثير ضغط بعض الشعوب الآسيوية وهذا مما أدى بهم إلى الرحيل إلى الشرق ، وقد رأى " بترى " أن كل تغير يحدث على مسرح الأحداث فى البلاد التى تحيط بمصر كان له تأثير على مصر نفسها [(١)] .

وعن مصادر هذه الثورة فإننا لا نملك إلا وثائق لسنا قادرين على معرفة ما حدث بالتفصيل ، وكنا نفضل أن ندرسها عن كثب ، ولكن – لسوء الحظ – ليس لدينا أية وثيقة تاريخية تحدثنا عن ذلك بنوع من التفصيل ، ولكن لدينا بعض النصوص

---

(١) Petrie , The Making of Egypt , p . 210 .

التى كتبت فى عصر لاحق للأحداث ،بواسطة كتبة ، يمكن أن نطلق عليهم صفة المحافظين – كانوا مكلفين من قبل ملوك الأسرة الثانية عشرة خاصة بالإشارة فى كتاباتهم إلى إعادة النظام والاستقرار فى البلاد على أيديهم . ولذلك كان من السهام أن يبالغوا فى وصف حالة التفكك البناء الاجتماعى فى العصر السابق لكىٌ يبرزوا عصرهم فى صورة أفضل ، وكيف أن ملوك الدولة الوسطى ، أعادوا الهدوء والسلام والوحدة السياسية إلى البلاد ، ولا نعرف هل امتدت الثورة إلى كل مصر أو اقتصرت على بعض المناطق ، ومن المحتمل أنها كانت مركزة فى المناطق المحيطة بمنف ، ولا نعرف بطريقة مؤكدة، أى شئ على الإطلاق عن الأحداث الأخرى التى وقعت أثناء هذه الفترة الطويلة .

أما عن مظاهرها ، فإن بعض النصوص تمتاز بنوع من الوضوح حيث تبين أنه حدثت فى مصر ثورة حقيقية تحدثنا عن مظاهرها ، وأهم هذه النصوص هى بردية تعرف باسم بردية ليدن وكتبت فى عصر الأسرة التاسعة عشرة وتحوى وصف وآراء إيبوور فيما حدث ، وهو يعرض لنا الموقف فى العاصمة وما حولها فيقول : " كان هناك أشخاص قد تجرئوا على الثورة ضد التاج ، وقد حاول بعض الأشخاص الخارجين عن القوانين أن يحرموا البلاد من ملكيتها ، وأصبح فقراء البلاد هم الأغنياء ، وجرد ملاك الأرض من كل ما يمتلكونه ، وهجر الخدم أعمالهم ، وأصبحت الخادمات متكبرات ، وعندما تتحدث إليهن سيدتهن ، فإنهم لا يخفين ضجرهن . وتقول النبيلات " آه " لو أن لدينا بعض الشيء نقتات منه ، لأن الأشياء الطيبة أصبحت تذهب الآن إلى الفقراء ، ومن كانوا يلبسون أحسن الثياب ، أصبحوا فى ملابّس رثة ، ومن كانوا لا يمتلكون الخبز ، أصبحوا اليوم يمتلكون مخزنا للغلال ودفع أطفال الأمراء بقسوة إلى الحائط ، وألقيت عائلات النبلاء فى الشارع ، وأصبح الأغنياء فى حزن والفقراء فى سعادة ومرح ، وأعلن فى كل مدينة " اقضوا على هؤلاء الذين يمارسون السلطة علينا ، وأصبح الرجل مشتت الفكر يقول : " لو أننى أعرف أين يوجد المعبود لأديت (الطقوس) له " والعدالة مازالت تمارس فى البلاد ولكن اسما فقط ، ويفعل الرجال الشر مع انتسابهم إلى الخير ، واختفى النظام القديم، والضوضاء لا تريد أن تهدا، وسكتت الضحكات فى كل مكان ، وساد الهمس

والبكاء أنحاء البلاد " . ويقول الصغار والكبار " آه لو أننا نستطيع الموت " ويقـــول الأطفال الصغار "ليت آباءنا لم يهبونا الحياة على الإطلاق " ، وانقلـــب القصـــر فـــى لحظة ، وطرد الملك بواسطة الجماهير " وانتشر اللصوص فى كل مكان ، وأصبحت الأبواب ، الأعمدة ، والجدران فريسة للهب ، وحطمت الصناديق من الأبنـــوس إلـــى شذرات صغيرة ، وكذلك الصناديق من أخشاب السنط الثمينة . وأصبح الأمراء فـــى تعاسة يتألمون من الجوع ، والسيدات النبيلات لا يأكلن وأجسادهن مغطاة بـــالملابس الرثة وفى حالى يرثى لها ، ويأكل الرجال الحشائش ويبتلعونـــها بالمـــاء، وســـادت القذارة البلاد ، ولا يرتدى الآن الكتان الأبيض أحد على الإطلاق ، وفى المحـــاكم ، ألقيت كتب القانون خارجا ووطئها الناس بالأقدام فى الميادين العامة . ونهبت المكاتب الرسمية ، واغتيـــل الموظفـــون وســـرقت وثائقـــهم ، وأضحـــت الأشـــياء كلـــها انقاضا [١] " . وتعرض اقتصاد البلاد نفسه للانهيار (ليـــس فقـــط بالنســـبة لتقســـيم الثروات) : فهناك عجز فى المواد المصنعة ... وأصبحت البلاد فى انهيار تام ، ولم يبق أى شئ قائما ... وفقدت بالتأكيد كل الأشياء الجميلة ."[٢]

وهكذا نجحت الثورة على طول الخط ... وختم الراوى هذه الكوارث بقولـه بأن الناس مثل القطيع بدون راع . ويتنبأ بمجيء منقذ مقدس هو " الذى سوف يحمـل الرطب إلى من تتملكه الحمى"، و" سوف يصبح راعيا لشـعبه وليـس تشـوبه أيـة خطيئة، وعندما تتفرق قطعانه ، سوف يهتم بجمع شملها [٣] " ...وهذا المستهتر الأثيم تجده أينما تذهب ، ولم نعد نرى رجال الأيام السالفة الطاهرين الطيبين . فهذا الفـلاح

---

(١) Lichtheim , Ancient Egyptian Literature (1973) , p . 145 ; Gardiner , The Admonitions of an Egyptian Sage , Leipzig (1909) , p . 20 ; Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 63 – 64 ; Simpson , Literature of Ancient Egypt (1972) , p . 210 ; Bresciana , Literture E Poesia dell Antico Egitto , p 65; Spiegel, LA I, p. 65 - 66 .

(٢) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 65 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ – ٢٩١ .

لا يستطيع أن يذهب إلى حقله للحرث دون درع يحميه ، وهذا رجل آخر يقتل أخاه الشقيق ، وهؤلاء الرجال قبعوا بين الغابات فإذا ما مر عابر سبيل ودهمه الظلام انقض عليه رجال السوء وسلبوه ما يحمل ، لقد أضحى اللص صاحب ثروة .. " ويذكر الراوى إيبوور أن السبب فى الفوضى التى حدثت فى البلاد هو الملك . فقال عن الملك " لقد تجمعت فى يديك السلطة ولكنك لا تنشر فى البلاد غير الفوضى . انظر : فكل شخص يطعن فى الآخر لأن الناس لا يرضخون لما تأمر به "[1] ..

وهكذا صور إيبورو ثورة عنيفة فى مظهرها ضد الأوضاع السياسية والاجتماعية التى أشتد فسادها فى عهده ، ويفهم من البردية أنه تضافرت على إشعال هذه الثورة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، وظهر عجز الملكية فى عدم مقدرتها على صد هجمات البدو الآسيويين فتجاوزوا الحدود وتسربوا إلى أراضى الدلتا ، وظهر جهل الملكية بحقيقة ما يجرى داخل البلاد . وقال إيبوور وهو يصور كل ذلك " بكت الدلتا وأصبحت خزانة الملك نهبا مشاعا لكل إنسان واصبح القصر الملكى فى نهاية أمره غير مصان الحقوق " . وقال إيبوور وهو يصور جهل الملك بما يحدث داخل البلاد " إن ما يحكى لك هو الزور ، فالبلاد تشتعل والناس قد هلكوا وتخاصم حكام الأقاليم فيما بينهم وامتنعت عن خزائن الحكومة المركزية أغلب ضرائب مناطق الصعيد " وقال إيبوور فى ذلك " الواقع ان الفنتين وثينى من أراضى الصعيد قد توقفتا عن أداء الضرائب نتيجة الفتن ، وكيف يكون بيت المال بدون مورده ؟ "[2] .

وتعطلت الزراعة وقال أيضا "وفاض النيل ولكن ما من أحد يحرث من أجل نفسه وأصبح الناس جميعا يقولون لسنا نعرف ما سوف يحدث فى هذه الدنيا وعزت الحبوب ، وتأثرت الصناعة . وقال " أصبح الصناع لا يعملون ودمر أعداء البلاد فنونها وأختل دولاب الحكومة "

---

(١) محاضرات د. عبد العزيز صالح : كلية الآداب قسم الآثار المصرية عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ؛ المؤلف نفسه :الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

نشبت الثورة إذن من جراء هذه الأوضاع وصحبها فى بدايتها نـوع من العنف والرغبة فى الانتقام من الأغنياء ، واستغلها الغوغاء من أهل السوء ، وأنتشر الخارجون عن القانون فى كل مكان وظهرت الأمراض وساد عدم استقرار الأمن ، وهاجر الناس من البلاد وسادت الفوضى فى كل مكان ، وتوقفت الطقوس الدينية وأنهار الكيان الاجتماعى ، وطرد الموظفون من وظائفهم . وقال إيبوور فى وصف هذا العنف " لقد قست القلوب وأنتشر الطاعون فى الأرض وأصبح الدم فى كل مكان وألقى كثير من القتلى فى النهر ".[1] وانقلبت أوضاع الطبقات ، ويقول " أصبح الفقراء ملاكا للجاه والمال ، ومن لم يمتلك صندلا أصبح الآن مالكا للكنوز .. وأصبح الأغنياء يولولون على حين اصبح لفقراء فى سعادة . ولم تقتصر حملات الناقمين على الأحياء والأغنياء بل امتدت إلى موتاهم فنهبوا الأهرام والمقابر وما أوقف عليها من بعض الهبات ودمروا ما استطاعوا تدميره وعطلوا الشعائر الخاصة بها .

وعلى الرغم من هذه المساوئ والمظاهر فإن هذه الثورة كانت لها نتائج إيجابية وأهمها ثلاث :

١- خلق نوع من الوعى لدى المفكرين الذين عز عليهم أن يعجزوا عن دفع البلاء عن البلاد وعز عليهم تنبههم إلى بوادر الخطر وأن تنتهك حرمات البلاد . وعبر إيبوور عن هذا الوعى حين قال " ليتنى جهرت بالقول من قبل وإذن لانقذى ذلك من عذاب مازلت أعانيه " .

٢- بعد انتهاء الثورة نشأت طبقة جديدة لا تعتز بحسب او نسب بقدر ما تهتم بالفردية وبالمجهود الفردى ويفخر الفرد فيها بأنه مواطن قادر على أن يتكلم بوحى من نفسه .

٣- أن أهل الفكر أصبحوا يتطلعون إلى حاكم صالح وصفه إيبوور بأنه

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ – ٣٦١ .

رجل يستطيع أن يحيل اللهيب أى النار إلى برد وسلام ويعتبره قومه راعيا للناس أجمعين ليس فى قلبه ضغينة .

وهكذا كانت صورة الأوضاع فى أواخر الأسرة السادسة والتى نقلها إلينا إيبوور الذى كان موظفا محنكا ، عاش فى أواخر حكم بيبى الثانى أو عهد أحد خلفائه وكان ذا صلة بمناصب الدلتا ويقال أنه نجح فى إبلاغ صوته إلى أهل البلاد وأن يقابل الملك نفسه وأن يحمله هو وأعوانه ما أصاب البلاد من فوضى وانهيار .(١)

ثانيا : حكم أسرتين محليتين : السابعة والثامنة (٢١٦٠ – ٢٠٠٤ ق.م)(٢)

نجد أن القوائم الملكية ومانيتون تعطى أسماء حكام جمعت فى أسرات ، ولا نعرف أية معلومات عن هؤلاء الملوك أو حكام الأقاليم ، فطبقا لما جاء عند مانيتون تتكون الأسرة السابعة من سبعين ملكا حكموا سبعين يوما بالكامل (٣) . وهناك بعض العلماء الذين يشكون فى وجود هذه الأسرة ، وقد أعطى المؤرخ " سميث Smith– " للأسرة السابعة التاريخ ٢١٨١ – ٢١٧٣ ق.م ، أى أنها حكمت مدة تقرب من حوالى سبع سنوات وأعطى لأهم ملوكها الأسماء الآتية : (٤)

(١) نفر كارع (الأول)
(٢) نفر كارع بنى
(٣) جد كارع شماى
(٦) نفر كامين
(٧) نى كارع
(٨) نفر كارع تيربرو

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٢ – ١٤٣ .

(٢) Baines – Malek , op . cit . , p . 36 .
يعطى بكرات كتاريخ للأسرات السادسة والسابعة والثامنة : ٢٣٤٥ أو ٢٣١٠ ق. م. إلى ٢١٦٠ أو ٢١٣٤ ق. م ، راجع : Beckerath, LA I, p. 970 .

(٣) ربما اجتمع سبعون من كبار الموظفين وحكام الأقاليم وكونوا من أنفسهم هيئة حاكمة أو مجلس حكام ، راجع " د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٦٥ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٤٢؛ وأيضا :Vercoutter, op . cit . , p . 66 .

(٤) نفر كارع خندو (٩) نفر كاحور

(٥) مرى إن حور

وينسب بانز إلى أول ملوك الأسرة نفر كارع أنه ربما شيد هرما فى سقارة لم يحدد مكانه حتى ألان . وكان يحمل اسم "جد عنخ نفر كارع "أى " فلتدم حياة نفر كارع ".[1]

أما الأسرة الثامنة فهى ليست معروفة إلا من خلال القوائم الملكية لأن مانيتون أكتفى بالنسبة لهذه الأسرة بإعطاء العدد الإجمالى لملوكها دون أن يسميهم وهم ثمانية عشر ملكا . وقد رأى بعض العلماء أنه فى بداية الأسرة الثامنة تجمع سبعة من كبار حكام الأقاليم الجنوبية لمصر العليا فى مملكة مستقلة حول حاكم إقليم قفط . ولم تستمر هذه الأسرة فى الحكم أكثر من أثنى عشر عاما ، وقد حكمت من ٢١٧٣ – ٢١٦٠ ق.م . وطبقا لترتيب مانيتون فهم كالآتى : [2]

(١) نفر كامين – آنى

(٢) (كاى كارع (ايبى)[3]

(٣) نفر كارع (الثانى)

(٤) نفر كاوحرو (حور نثرى باو)

(٥) نفر إر كارع الثانى (حور دمج إيب تاوى) .

وقد استمرت هذه المملكة الصغيرة المحلية للأسرة الثامنة أكثر من عشر

---

(١) د. احمد فخرى :الأهرامات المصرية ،ص ٢٨٨ ؛ Baines – Malek , op . cit ., p. 141 .

(٢) د. عبد الحميد زايد :المرجع السابق ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ وأيضا : Hayes, JEA 32 (1946) , p . 3- 30 ; Drioton – Vandier , L'Egypte (éd .1952) , p . 235 .

(٣) Beckerath, LA V, p. 36 – 37 .

سنوات (بضعهم يرى أنها استمرت حوالى أربعين عاما) .
ولكن العالم " هيس " قد رأى فى عام ١٩٤٦ أن هذه الأسرة التى يقال أنها قفطية لم يكن لها أى وجود على الإطلاق بل كان هناك ملوك منفيين حكموا فترة قصيرة فى الأسرة الثامنة . ويبدو أن بعض التقاليد التى كانت متبعة فى الدولة القديمة ظلت متبعة أيضا فى الأسرة الثامنة ، فقد عثر على بقايا هرم للملك كاى كارع – إيبى فى سقارة الجنوبية وكان لهذا الهرم معبد جنائزى من الطوب اللبن ولم يعثر على معبد الوادى الخاص بهذا الهرم [١] . وانتهت هذه الأسرة فى غموض تام حوالى ٢١٦٠ ق.م .

ومن أواخر الأسرة الثامنة المنفية كان هناك بعض الشخصيات الهامة بناحية قفط ، وكان أكثرهم أثرا اثنان هما " شماى – Shemai " وولده " إدى – Idi "[٢] وقد توليا وظيفة حاكم قفط وشغلا منصب الوزير ، وقد تزوج شماى من كبرى بنات نفر كا حور رابع ملوك الأسرة [٣] . وكانت هذه الأسرة فى قفط تكون العماد الرئيسى للملوك الضعاف فى منف .

ثالثا : حكم أسرتين محليتين أخريين :

الأسرة التاسعة والعاشرة (٣١٣٤-٣٠٤٠ ق.م) : [٤]

فى حوالى عام ٢١٦٠ ق.م كان الوضع السياسى فى مصر يتخلص فى

---

(١) د. احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٩١ – ٢٩٣ ؛ Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 140 .

(٢) عثر فى معبد المعبود مين فى قفط على بعض المراسيم التى منحها آخر ثلاثة ملوك من الأسرة الثامنة لأعضاء بيت قفط فاعتزوا بها ، وأكثر هذه المراسيم كانت لصالح شماى وولده إدى ، راجع : د. أحمد فخرى :مصر الفرعونية ، ص ١٦٥ .

(٣) Drioton – Vandier , op . cit . , p . 235 ; Hayes , JEA 34 (1948) , p . 155 – 116 ; Stock , Die Erste Zwisehenzeit Agyptens , p . 34-40 .

(٤) Baines – Malek , op .cit ., p. 36 .
يعطى بكرات كتاريخ لهاتين الأسرتين : ٢١٦٠ أو ٢١٣٤ إلى ٢٠٤٧ أو ٢٠٣٣ ق. م ، راجع : Beckerath, LA I, p. 970

الآتى :

١-فى الشمال الشرقى من الدلتا كان يوجد فلول من تسربات القبائل الآسيوية ، كانوا يتمتعون بقوة فائقة ، وفى منف استمر ما بقى من الملكية القديمة المركزية .

٢- فى مصر الوسطى ، نجد أن حاكم الإقليم العشرين من أقاليم مصر العليا " خيتى – Kheti " حاكم إقليم " هيراقليوبوليس " مكانها الحالى إهناسيا المدينة ، على البر الغربى للنيل ، أتخذ لنفسه لقب ملك مصر العليا والوجه البحرى وسرعان ما أخذ نفوذه وسلطانه يمتدان حتى إقليم منف وأيضا الفيوم ، وأسس الحكم الأهناسى .

٣- فى الجنوب نجد أن الملوك الذين كانوا أصلا من مدينة منف قد أبعدوا عن مسرح الأحداث بواسطة حكام إقليم طيبة ، الذين جمعوا الأقاليم الأخرى من حولهم .

ويبدو آن هذا الوضع قد استمر لوقت ما . وإذا أبعدنا من اعتبارنا ما حدث فى الدلتا ، فيبدو أن مصر قد عادت إلى عصر ما قبل الأسرات ، يسودها حكام أقاليم فى شمال ، وفى مصر الوسطى ، وفى الجنوب [١] .

خرجت الأسرتان التاسعة والعاشرة من أهناسيا ، ويبدو أنه من الأسباب التى أدت إلى اختيار ملوك هاتين الأسرتين للعاصمة فى ذلك المكان ، هو عامل جغرافى ، لقربها من منطقة الثورة والاضطرابات فى إقليم منف ، وعامل دينى ، وهو أهمية تلك المدينة الدينية فقد كانت إحدى العواصم الرئيسية فى عصر ما قبل الأسرات ، وأخيرا عامل سياسى لأنهم كانوا ينتمون فى الأصل لهذه المدينة فحاولوا إبراز أهمية مدينتهم ، وقد استمرت الأسرتان أكثر من مائة وعشرين عاما .

أعطى بعض العلماء للأسرة التاسعة تاريخا هو ٢١٦٠ – ٢١٣٠ ق.م

---

(١) Vercoutter , op . cit . , p . 66 .

مع ملاحظة أن هناك عددا كبيرا من الملوك لا نعرف أسماءهم وأن قراءة تلك الأسماء غير مؤكدة ، ولكن أهم ملوك هذه الأسرة هم [١] :

(١) (مرى ايب رع) (خيتى) الأول

(٢) خيتى (الثانى)

(٣) (نفر كارع) (الأول)

(٤) ملك يدعى مرى

(٥) مرى ايبو تاوى (او مرى ايبو رع)

(٦) (نب كاو رع)[٢]

(٧) ملك يسمى ستوت

أما عن ملوك الأسرة العاشرة التى تولت الحكم من ٢١٣٠ - ٢٠٤٤ ق.م تقريبا فلا نعرف من ملوكها [٣] إلا :

(١) مرى حتحور

(٢) نفر كارع الثانى

---

(١) Drioton – Vandier , op . cit . , p . 629 ; Gauthier , Livre des Rois I , p . 184 – 210; Schenkel, LA I, p. 945 – 946 (3 -1) ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٢٩٩ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٧١ ، ص ١٦٨ (١) . (وفى الواقع أننا أخذنا بالترتيب الذى ذكره د. فخرى) .

(٢) Schenkel, op. cit. I, p. 946 (3 – 2) .

(٣) Drioton – Vandier , op . cit . , p . 217. ، وأيضا د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٦٨ (١) .

(٣) (واح كارع) (خيتى) الثالث أو الرابع (؟) [١]

(٤) (مرى كارع)

(٥) خيتى (وهو خامس ملك يحمل هذا الاسم) .

وقد أوردت بردية تورين أسماء خمسة ملوك بالفعل .

وصف لنا مانيتون مؤسس الأسرة خيتى الأول [٢] ، بأنه كان إنسانا قاسيا ، فقد قواه العقلية فى نهاية حياته والتهمه تمساح ، ولكن ليس لدينا وثائق تاريخية تسمح لنا بأن نؤكد هذه الرواية ، وكل ما يمكن قوله بأنه كان قويا بما فيه الكفاية واستطاع أن يقيم حكومة قوية فى اهناسيا ، ولهذا تسمى الأسرتان التاسعة والعاشرة " بالعصر الاهناسى " وأصبح المعبود المحلى -- حرى شف (حارسفيس) معبودا رسميا للأسرة[٣]

وفى هذه الأثناء ظهر رؤساء أقوياء فى الجنوب يطلق عليهم الأناتقة أو المناتحة وقد ظهر فى بداية الأسرة التاسعة ملك فى طيبة ، اتخذ اسم" واح عنخ – إنتف " ولكن يبدو أنه اعترف بسيادة حاكم الشمال فى اهناسيا كملك على البلاد كلها .

وأصبحت هذه الأسرة الطيبية موالية للأسرة التاسعة والعاشرة لمدة الخمسة والسبعين عاما [٤] التى تلت ، كما سوف نرى ، بعد سقوط الأسرة العاشرة فى الشمال ، أصبح ملوك الأسرة الحادية عشرة يحكمون فى الجنوب كملوك لمصر كلها

---

(١) هناك اختلاف بين العلماء فبعضهم يعتبره الثالث وبعضهم الآخر يؤكد أنه الرابع ، د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٦٨ (٢) ؛ وأيضا : Stock , op . cit . , p . 40 . 32 (1946) , p . 3 – 30; Schenkel, op. cit. I, p. 946 (4.2) .

(٢) Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 575 .

(٣) Daumas, op. cit., p. 602 ; Id . , Les Dieux de L'Egypte, Paris (1965) , p . 73-74 .

(٤) Drioton – Vandier,op. cit . , p . 217 .

وأسسوا فيما بعد الدولة الوسطى ، وقد حاول البيت الاهناسى التدخل فى شئون حكـام طيبة ، وكان كل واحد منهم يحاول أن يثبت أقدامه فى ممتلكات الآخر ، وشيئا فشـيئا سوف يؤدى ذلك إلى صراع طويل ، والشىء الغريب عند هؤلاء الملوك أنهم حاولوا أن يحققوا الأمن عن طريق القوة ، ولفترة طويلة ظل الموقف ينتابـــه الكثـير مــن الغموض من الانتصارات والهزائم بالتتابع من كلا الطرفين ، وقد حكـم الملـك واح عنخ -إنتف فى طيبة حوالى خمسين عاما ، وفى أثناء حكم ثـالث أو رابـع ملـوك اهناسيا واح كارع – خيتى ثار ملك الجنوب وأعلن الحرب على اهناسيا ، واسـتمرت هذه الحرب بضع سنين ، وكان سبب الحرب ، هى بعض الاعتداءات التى قام بـــها واح كارع – خيتى ، وقد أعترف لأنه ليس من العدل متابعـــة الحــرب ، وانتــهت الحرب باتفاق بين الجانبين يشير إلى أن كلا الملكين ، قد سئما الحـــرب ، وأصبـح هناك نوعا من الاحترام المتبادل بينهما ، وكان يؤيد ملوك اهناسـيا أمـراء أسـيوط وبيت أرمنت وإنضم إلى جانب طيبة عائلة قفط ودندرة . وقد وردت بعض إشـارات إلى هذه الحرب فى مقبرة عنخخ تيفى بالمعلا (بين الأقصر وإسنا) .[١]

وكان عنخ تيفى مواليا لأهناسيا وقد عاش فى أوائل الأسرة العاشرة . وكـان الملك خيتى الثالث (أو الرابع) رجلا مثقفا ، بعيد الفكر متدينا جدا ، يغلـب عليـه طابع الحزن والتعصب وكان واح عنخ – إنتف رجلا عادلا مستقيما أيضـا وعلـى جانب من الثقافة ، ولكنه كان يمتاز فى الواقع بكثير من حسـن التصـرف وقدحكـم المملكة بطريقة رب العائلة وأعلن بفخر فى نقوشه الجنائزية أنه كـان " غنيـا فـى الممتلكات مثل النهر ، وأنه لم يقم باى أعمال عنف ضد أحد رعاياه ولـم يجـرد أى شخص مما يمتلكه على الإطلاق ".[٢] .

وفى أثناء الحرب ، كان الحد الشمالى لمنطقة نفوذه يتعـدى قليـلا جنـوب العاصمة القديمة " ثينى "ولكن عمـا قريب سوف يستولى الجنوبيون علـى المدينة

---

(١) Vandier , Mocalla (BdE 18) , Le Caire 1950 , p . 5-24; Schenkel, LA I, p. 267 – 268; Drioton - Vandier, op . cit. , p . 217 – 218 .

(٢) Weigall . op . cit ., p . 61 .

المقدسة ، وقد تأثر خيتى كثيرا بهذه الخسارة ، وعندما انتهت الحرب كتب خيتى نصائحه وتعاليمه إلى ابنه وريثه فى وثيقة طويلة ، ولحس الحظ ، نملك منها نسخة محفوظة حفظا جيدا ، ومن هذه التعاليم يتضح أن حكام أقاليم الدلتا قد نجحوا فى التعامل مع الآسيويين الذين تسللوا إلى أقاليمها الشمالية ، وأعيد افتتاح الموانى فى الدلتا واستأنفت التجارة مع الشاطئ السورى وعاد استيراد أخشاب الأرز ، أما فى الجنوب فقد استطاع الطيبيون أن يبسطوا سلطانهم حتى ابيدوس فى الإقليم الثامن [١] ، ونجح واح عنخ – إنتف الطيبى ومعه رجاله من أهل الجنوب فى طرد الاهناسيين من اقليم طيبة (أو ثينى) ، ولما يئس الاهناسيون من النصر اتبعوا سياسة السلام مع الجنوب التى حث عليها خيتى الثالث (أو الرابع) فى فقرة من تعاليمه لولده مريكارع .

وقد توفى خيتى بعد فترة حكم دامت حوالى خمسين عاما . وكان متوسط العمر وقد توفى قبل أن يصل الطيبيون إلى اهناسيا ، ودفن بالقرب فى سقارة ، ولم يعثر على اى أثر لمقابر ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة فى اهناسيا ، ولكن يبدوا أن الكثير منهم قد دفنوا فى جبانة سقارة . فقد عثر فى سقارة على بقايا هرم لملك يدعى مرى كارع وهو من ملوك الأسرة العاشرة ، ويحمل الهرم اسم " واج سوت مرى كارع " أى " ناضرة أماكن مرى كارع "[٢] .وتوجد بقاياه إلى الجنوب من المعبد الجنائزى للملك تيتى إذا عثر هناك على الآثار الخاصة بكهنته وموظفيه .[٣]

ومن أهم الشخصيات التى عاصرت هاتين الأسرتين عنخ تيفى الذى كان مواليا لحكام الأسرة العاشرة ودفع بأهل نخن (هيراقونبوليس) ، وإدفو على الثورة ضد طيبة حينما حاولت هذه الأخيرة بمعاونة بين قفط السيطرة على الأقليم كله وكان

---

(١) Clere – Vandier , Textes de La Première Periode Intermediaire (BAe 10) , Bruxelles 1948 , p . 10 col.3 .

(٢) Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 140 ; Gauthier , Livre des Rois I , p . 209 (1) .

(٣) د.احمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .

عنخ تيفى حاكما لمنطقة نخن وهى الإقليم الثالث من أقاليم مصر العليا .

وقد عاش عنخ تيفى فى أوائل أيام الأسرة العاشرة فى عهد الملك نفر كارع ثانى ملوك هذه الأسرة الذى ورد اسمه فى المقبرة . ويفتخر عنخ تيفى فى نقوشه بسطوته وقوة جنوده ، وتحدث عن المجاعة التى فتكت بالصعيد ولم ينج منها غير أهالى إقليمه لأنه ساعد الناس ، وكان يوزع عليهم الحبوب ، وحمى الضعفاء من الأقوياء [١] . وأوضحت نقوش مقبرته فى المعلا أن الهدوء والسلام كانا يسودان اقليم نخن وحدثتنا النقوش عن وقوع صدام بين قوات المعلا وقوات طيبة .[٢]

وهناك ثلاثة مقابر فى أسيوط مؤرخة من العصر الاهناسى ، أهمها مقبرة حاكم أسيوط أخيتوى الذى يذكر لنا كيف أنه تربى صغيرا فى بلاط إهناسيا مع أبناء الملك ، ومن نقوش مقبرته نعلم أنه كان مهتما بالزراعة وإصلاح قنوات الرى واستصلاح الأراضى الصحراوية وقام بتوزيع الحبوب على الناس وحدثنا أيضا عن شجاعته كمحارب . ويدل ذلك على اهتمام البيت المالك فى اهناسيا بحكام أسيوط .[٣] ويتفاخر تف إيب خليفته بعدم وجود أى تمرد او عصيان فى عهده [٤] . وكشف فى أسيوط عن نماذج من الخشب لجنود كان يقوم بإعدادهم هؤلاء الرؤساء تجاه أعدائهم

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٢٠١ ؛ وأيضا : R.el Sayed, Quelques Hommes Célèbres فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٧ – ١٩ .

(٢) Vandier , Mocalla , p . 29 ; R.el Sayed , op . cit ., مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٧ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٦٩ – ١٧٠ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(٤) Brunner , dans Ag . Forsch . 5 (1937) , p . 11, 160 .

الطيبين .[١] وكان حكام إقليم الأرنب (الخامس عشر) (هرموبولبس) على جانب من الثراء ونرى مظاهر ذلك فى نصوص مقابر الشيخ سعيد ودير البرشا ومحاجر حاتنوب ، وقد عاش فى هذه الفترة أيضا أميران يحملان اسم ايمسا وثالث يسمى تحوتى نخت وكانوا من المعاصرين للأسرة الثامنة والتاسعة . ويبدو أن أصحاب إقليم الوعل (الإقليم الرابع عشر) والذى يقع شمال الأشمونين قد توددوا إلى أهل طيبة لأن العمل فى تنفيذ مقابرهم فى بنى حسن قد استمر دون توقف .[٢]

وكانت المناطق الأكثر استتبابا للأمن هى المناطق المتوسطة بين اهناسيا وطيبة مثل بنى حسن واخميم والبرشا .

أهم ما خلفه لنا العصر الأهناسى :

من أهم ما خلفه لنا هذا العصر ، برديتان تعتبران من أهم القطع الأدبية :

أولهما هى تعاليم الملك خيتى الثالث (أو الرابع) لولده مريكا رع وسجلت هذه القطعة على ثلاث برديات توجد الأولى فى متحف الأرميتاج فى لننجراد (111 6 B)، والثانية فى موسكو .والتالثة فى متحف كوبنهاجن ، وكتبت فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة ويجمع فيها الملك كل حكمه وتجاربه للسياسة الداخلية والخارجية [٣] بل نجد فيها الكثير من الحكم والأمثال فهو يقول : " أستخدم اللباقة فى

---

(١) Drioton – Vandier , op . cit . , p. 237 ; PM . IV , p . 265 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٣١٧ ؛ وأيضا Newberry , Beni- Hassan , p . 5-7 عن العمارة فى العصر الوسيط الأول ، راجع A. Badawi , History of Architecture , The First : Intermediate Period , the Middle Kingdom and the Seconde Intermediate Period , Berkely 1966 .

(٣) Scharff , Der Historische der Lehre fur Konig Merikare (Sit Mun . Heft 3) (1936) ; p . 3 ; Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 77 ; lichtheim , op . cit . , p . 135 Gardiner , JEAI (1914) , p . 20 – 36 . Simpson . Literature of Ancient Egypt , p . 130 ; Bresciani , op . cit . , p . 83; Posener, LA 111, p. 986- 989; Beckerath, LA 1V, p. 94; LA 1V, p. 719 (3) . ==

كلماتك ، إذ كنت تريد أن تصل إلى أغراضك ، أنه بالنسبة للملـــك ، اللســـان مثـل السيف والكلمة أكثر قوة من كل الأســـلحة ، لا أحـــد يســـتطيع أن يخـــدع خطيـــب ماهر [١] . ومن هو متكبر فهو يسعى لنهايته ، ولا تكن قاسيا ، وتحكم فى نفسك فهذا شئ حسن ، وشيد لنفسك أثرا خالدا بحب رعاياك ، وقو حدودك ، لأنه من الأفضـــل أن تكون مستعدا للأحداث المقبلة ، واحترام حياة مملوءة بالنشاط ، لأن التساهل مـــع نفسك سوف يجعل منك بائسا ، ومن يرغب فيما يملكه الآخرون فهو حقود ، فإن هذه الحياة على الأرض سوف تزول ، فهى ليست دائمة ، سعيد من يتذكر (كل) هـــذا ، إن امتلاك مليون من الرجال لا يصبح ذا نفع فى هذا الصدد بالنسبة للملـــك ، ولكـــن ذكرى الرجل الصالح هى التى تدوم إلى الأبد ، ولا تضع ثقتك فى عدد السنين ، أنـــه بالنسبة لمعبودات ساحة للعدالة (فى الآخرة) ، فإن الحياة ليست إلا ساعة ، ويعيـــش الإنسان أيضا حتى بعد أن يصل إلى أبواب الموت ، وتوضع أعماله بجـــواره كأنـــها ثروته الوحيدة ، فالوجود فى العالم الآخر خالد ، وليس بعاقل من لا يكترث بذلـــك ، فكن عادلا حتى يظل اسمك خالدا ،واس من يبكى ، لا تضطهد أرملـــة ، لا تطـــرد شخصا من ممتلكات أبيه ، وحاذر أن تعاقب بخطأ ، لا تقتل على الإطلاق ، لأنك لـــن تجنى أى شئ ، وصفاء القلب مطمئن للملك ، انه داخل القصر والعالم الخارجى هـــو عالم مملوء بالخوف ، ولا تقتل أى شخص ممن يحيطون بك ، لأن المعبود هو الـــذى أوكله إليك ، وهو الذى يحرسه ، فأعمل من أجل أن تكن لك كـــل البـــلاد الحـــب ، فالأخلاق الحميدة ، هى الشئ الذى يكون موضعا للذكرى ، لا تفرق بين ابـــن نبيـــل وابن رجل من طبقة متوسطة بسيطة على الإطلاق ولكن أحكم طبقا لمزايا هذا الـــذى تريد أن تقربه منك ، ولعل يدك لا تصبح عاطلة ، ولكن أقبل على عملك منشـــرحا ، فالتراخى يقضى على السماء نفسها ، احكم الناس كأنهم رعايا المعبـــود لأنـــه خلـــق

== وأيضـــا د. أحمـــد فخـــرى : مصـــر الفرعونيـــة ، ص ١٧٤ – ١٧٥ ؛
د. عبـــد العزيـــز صـــالح : المرجـــع الســـابق ، ص ١٤١ – ١٤٢ ؛
د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .

(١) Weigall , op . cit . , p . 62 – 63 .

السموات والأرض كما يريدها الناس ، إنهم صورة الشخصية الذين صدروا عنــه ، وهو يصعد إلى السماء طبقا لرغباتهم .[١] . وطبقا لطلبهم ، فهو يخلق الفجر ، وهـو يبحر لكى يذهب لزيارتهم وعندما يبكون فهو يسمع بكائهم وهو الـذى خلـق لـهم الحشائش والماشية وأيضا الطيور والأسماك لكى يغذيهم إنــه يعـرف كـل واحـد باسمه.[٢] وعندما تعرض لحربه مع الجنوب فهو يذكر المصائب التى حلت بـالبلاد ويقول له "اكسب إلى جانبك الجماهير وابعد عنها اللهيب ، الشعب الغنى لا يثـور ، فلا تفقره حتى لا تدفعه إلى الثورة ، لأن الفقير هو الذى يخلق المتاعب ... وأعمـل على غنى الفلاح وأهل المدينة"[٣] . وحدثت فى عصرى كارثة : لقد تعرضت منطقـة ثينى للغزو ، وفي الحقيقة حدث هذا الشىء بسبب خطئ الشخصى ، إننى أعترف بـه بعد أن وقع ما كان ، أعلم أننى نلت جزائى بسبب ما فعلته ، ضعيف ومخطـئ مـن يريد أن يبرر خطأ أرتكبه ، ومن يؤدى أعماله بدون تفكير أو يفسـرها لصالحـه ، ولعل هذا يفيدك كتذكرة " فالضربة ترد بضربة أخرى . وهذه هى القاعدة فى كل مـا يحدث ... ولا تسئ معاملة أهل الجنوب فلن يصبحوا هم المذنبين فقد كـانوا علـى صواب كما أثبتوه " .[٤]

ولم يحكم الملك مريكارع الذى قليت له هذه الكلمات طويلا وتوفـى دون أن يترك وريثا للعرش ، وفى حوالى نفس الفترة توفى الملك المعاصر فـى طيبـة واح عنخ – إنتف ، وخلفه انتف آخر ، وهو ثانى ملوك الأسرة الحادية عشرة الذى خلفـه ملكا آخر يدعى سعنخ إيب تاوى – منتوحتب ، وفى حوالى نهاية حكم هـذا الملـك الجنوبى ساد الأسرة العاشرة فى الشمال فوضى كاملة ، وتركت وراءها أسماء ملـوك مؤقتين لم يحكم كل منهم على العرش أكثر من سنة أو اثنتين .

ونخرج من هذه النصائح والتعاليم بثلاث صور :

---

(١) ربط كاتب البردية فى هذه الفقرة بين المعبود الخالق ومعبود الشمس رع .

(٢) Weigall , op . cit . , p . 63 .

(٣) Daumas , op . cit . , 394 – 395 .

(٤) Weigall , op . cit . , p . 63 .

١- أن الملك لم يعد ذلك المعبود على الأرض ، بل أصبح شخصا عاديا يتحدث عن أخطائه وضعفه وندمه مثل سائر البشر .

٢- إن سعادة الإنسان فى أخرته لم تعد تتوقف على قبر يبنى ولكن تتوقف على حسن أعماله فى الدنيا .

٣- نرى فى هذه النصائح وجود محكمة بعد الموت يقف أمامها الإنسان حيث لا ينفعه إلا العمل الصالح وتكون أعماله مكدسة إلى جواره ، فأصبح كل الناس سواسية وكل فرد سوف يحاسب على أعماله أمام محكمة المعبودات فى الآخرة . وهذه الأفكار والصور كانت من نتيجة الثورة التى علمت الناس كيف يبحثون عن حقوقهم ، وقد أيقظت المحنة التى مرت بها البلاد الناس جميعا ، وخرج منهم من ينادى بالمثل العليا وتطبيق العدالة ويثور ضد الظلم وينطق حر فى تفكيره وأحاديثه ويعلن سخطه على ما وقع عليه ، وهذا ما تمثله لنا البردية الثانية ، وهى بردية القروى الفصيح .

وتوجد نسخ من هذه البردية فى عدة متاحف أهمها متحف برلين والمتحف البريطانى [١] ، وأحداث القصة تقع فى أيام الأسرة العاشرة ، وترجع كتابتها إلى الأسرة الثالثة عشرة أو ما قبلها بقليل ، وتحتوى على تسع شكاوى كشف فيها أحد سكان واحة وادى النطرون التى تقع إلى الشمال الغربى من إهناسيا[٢]، عن كل ما فى خاطره ، وكان يدعى خو إن إنبو ، وقد اتجه هذا القروى نحو العاصمة إهناسيا بعد أن حمل حميره بالنطرون والملح وبعض النباتات والمحاصيل الأخرى التى كانت تنمو فى الواحة قديما ، وقد أراد الذهاب لكى يقايضها بمحاصيل أخرى فى سوق العاصمة . ولما بلغ ضيعة أحد الأشراف بالقرب من العاصمة ، كانت حافة الطريق تطل على النهر

---

(١) ذكرت هذه القصة على أربع برديات رئيسية هى : برلين أرقام 3023 و 3025 و 12499 ، والمتحف البريطانى رقم 10274 (بردية بتلر 527) ، راجع : Lefebvre , Romans et Contes Egyptiens p. 45-46 ; lichteim, op . cit . p . 169; LA IV, p. 683 (4), p. 690 (2).
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ – ٣١٤ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٧١ – ١٨٠ .

(٢) Helck, LA V1, p. 1114 – 1116 .

والحافة الأخرى تطل على حقل من الشعير . وكان يدير هذه الضيعة موظف شـرير يدعى تحوتى نخت نيابة عن كبير أمناء القصر الملكى المدعو رنسـى بـن مـرو . وعندما رأى تحوتى نخت حمير هذا الفلاح أرادها لنفسه وطمع فيها ، ذلك نادى على أحد الخدم بأن يحضر له قطعة القماش ومدها بعرض الطريق . وعندما أراد الفـلاح أن يتفادى المرور على قطعة القماش وسار من ناحية حقل الشعير انقض أحد حميـره على الشعير و أخذ منه قضمة ، وهنا ثار المشرف على ضيعة تحوتى نخـت وأخـذ الحمير مقابل ذلك الشعير وعامل القروى معاملة سيئة وقام بضربه . وأخذ القـروى يستعطفه ان يرد إليه حميره ولكنه لم ينجح ، فأتجه إلى العاصمة (إهناسيا) لـيرفع شكواه إلى كبير أمناء القصر رنسى بن مرو فوجده أمام المنزل وكـان علـى أهبـة التوجه إلى مكتبة ، فطلب منه القروى أن يقدم أن يرسل إليه أحـد رجالـه لفحـص شكواه ، الذى أدهشته دقى تعبيره وبلاغته ، فتقدم كبير الأمناء بموضوع ذلك القروى إلى الملك ولم يرغب فى أن يفحص الشكوى بنفسه مع أن الموضوع واضح ويمكـن البت فيه بسرعة ، ولكن أعجبته فصاحة القروى فأراد أن يعرضها على الملك لكـى يبين له أن من بين رعيته فلاحا فصيحا .

ويقول : " مولاى لقد وجدت واحدا من أولئك القرويين جيد الكلمة يتحـدث بالصواب ، نهب متاعه واتانى يتظلم إلى" . ولما قص قصته على الملك رد قائلا:[١]

" (استحلفك) بحق ما تحب أن ترانى معافى ، أن تؤخره ها هنا ولا تعقـب على أى شئ يقوله ، عساه يواصل الحديث ثم يؤتى إلينا بحديثه مكتوبـا فنسـمعه ، بشرط آن تتكفل بقوت زوجته وأولاده فالقروى من هؤلاء القرويين يأتينا عـادة بعـد إملاق . وعليك كذلك أن تتكفل بمعاشه (طيلة بقائه هنا) بشرط أن تصرف له (مـا يحتاجه) دون أن تشعره بأنك آنت معطيه " . وبالفعل تركوه يتكلم حتى انتهى مـن شكاياته وسجلت كل أحاديثه وشكواه وهى عبارة عن تسع فقرات . ينادى فيها العدالة والحق ، وهى تحتوى على كلمات نادرة وصور وتشبيهات وتعبيرات لغوية دقيقة [٢]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ .

(٢) Lefebvre , op .cit . , p . 41 – 70 ; Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 396; Fecht, LA I, p. 638 - 651 .

فيقول فى الشكوى الأولى إلى رنسى بن مــرو : " أنــت أب لليتيــم وزوج للأرملة وأخ للمرأة المطلقة ، وأنت ثوب لمن لا أم له ... "

وفى الثانية : " أيتها الدفة لا تنحرفى ، ويا أيها الصارى أستقم ، ويــا أيــها الميزان لا تمل ، أنت يا أكثر الناس علما ، هل تظل جاهلا بشكواى ... أنت الــذى ينتشل من يغرق فى النهر ، أنت الذى ينقذ الهالك ، أنقذنى " .

وفى الثالثة : " لا تجب الإحسان بالشر ، لا تضع شيئا مكان الآخــر ، إن كلامى سوف يكثر ... لا ترد أبق صامتا " ، وأمر رنسى بن مــرو بــأن يضــرب القروى فأنزعج القروى وقال : " هكذا يضل رنسى بن مرو مرة أخرى لقــد عمــى وجهه عن أن يرانى ، وصمت أذناه عما يسمع " .

وفى الرابعة : عندما ترى العين ، فإن القلب يمكنه ان يسعد ، لا تكن ظالمــا طالما أنت قوى ، حتى لا تصيبك الدوائر فى يوم ما ، لا تهمل أية مسألة ، حتــى لا تتفاقم بعد ذلك مرة أخــرى ، ومــن يــأكل فــهو يســتطعم ، ومــن يســأل فــهو يجيب ... فهذه هى المرة الرابعة التى أستجيرك فيها فهل اقضى طــول وقتــى فــى ذلك " :

وفى الخامسة : " لا تسلب فقيرا مما يمتلك ، ولا ضعيفا تعرفــــه ، إن مــا يمتلكه الفقير فيه حياته ومن يأخذه منه فهو يخنقه ، لقد وليت لكى تســمع الشــكوى ولكى تقضى بين المتخاصمين ولتعاقب المجرم ، ولكنك لا تفعل أى شئ سوى إعطاء تأييدك للسارق ,. ولقد وضعت الثقة فيك فلا تصبح غير أمين . ولقــد وليــت لكــى تصبح سندا للبائس ، فحذار من يغرق لأنــك بالنســبة لــه مثــل المــاء ذو التيــار الجارف " .

وفى السادسة : " ما حقق قاض فى قضية إلا وأظهر العدالة وقضى علــى الكذب وحقق الخير ومحا آثار الشر مثلما يحل الشبع محل الجوع ، والكســاء محــل العرى ، ...أنظر بعينك : من يجب ان يطبق العدالة هو سارق، ومن يجب أن يواسى هو نفسه الذى يسبب الحزن ، ومن يجب ان يزيل الصعاب (أى المشاكل)هو الــذى يسبب الأسى.. ". وعاد مرة أخرى يقول ".. .ومن هو أشد أهل البلاد خداعا يتظــاهر

بالاستقامة ، ورجل البستان الشرير يروى أرضه بالمساوئ فيحول أرضه إلـى أرض للكذب ، لكى ينمو كل ما هو سيئ فى ضيعته " .

وفى السابعة يقول : " يا كبير الأمناء ، سيدى أنت دفة للبلاد كلها ، البـلاد تبحر بأوامرك ، أنت مثل ثان للمعبود تحوتى (رب العدالة) الذى يحكم دون تحـيز كن محصنا إذا إستجار بك أحد الرجال ، لكى تقضى له بالحق ، لا تكن عنيدا فليـس هذا من خصالك ، ومن ينظر بعيدا جدا يصبح قلقا ... ولكن لن ترى فلاحا مثلـى ، وغافلا مثلك يستجيره عند بابه (من هو) مثلى ، فليس هناك رجل أخـرس جعلتـه يتكلم ، ولا نائم جعلته يستيقظ ... ولا رجل صامت الفم جعلته يفتـح فمـه (لكـى يتكلم) ، ولا جاهل جعلت منه عالما ... وعلى ذلك فإن كبار الموظفيـن يجـب أن يكونوا مناهضين للشر وأسيادا للخير ويجب أن يكونوا فنانين قادرين على تصريـف أى شئ طيب ...

وفى الثامنة : " إن كبار الموظفين هم لصوص وقطاع طرق وهـم الذيـن عينوا لكى يقضوا على الفساد ، فأصبحوا مأوى للشر ، هاهم كبار الموظفين الذيـن عينوا لكى يقضوا على الكذب والافتراء (هم يفترون) ..إننى لا استجير بك خوفـا منك ، إنك تعرف قلبى ، لأنه قلب رجل صريح يتجه باللوم إليـك ... أنـت تملـك الأراضى فى القرية ، ولك أملاك فى الضيعة ولك زاد فى مخـازن الغـلال وكبـار الموظفين يعطونك وأنت تأخذ أيضا ، فلا يجوز أن تكون لصا ، وتحمل لك الـهدايا عندما يحرسك الجنود عند تقسيم الأراضى . أقم العدالة من أجـل رب العدالـة لأن عدالته هى العدالة الحقيقية ... إن العدالة خالدة أبدا ، وهى تـنزل القـبر مـه مـن يمارسها [١] فإذا توارى هذا الإنسان فى قبره (فإن) اسمه سوف لن يمحى وسـوف تظل ذكراه (خالدة) بسبب الخير الذى فعلـه ، وفـى النهايـة يقـول : إذا أختـل الميزان ... فلن تصبح النتيجة عادلة ".

---

(١) Lefebvre , op cit . , p 51 – 68 ; Simpson , Literature of Ancient Egypt , p . 31 ; Bresciani , op . cit . , p . 95; Fecht, LA I, p. 638 - 651 .

وفى التاسعة يقول : " يا كبير الأمناء ، سيدى ، إن السنة الناس موازينهم ، إن الميزان هو الذى يبين السرقة ، فعاقب من يستحق العقاب ولن يعاب عليك عدالتك ، لا تكن منحازا ولا تطع قلبك ، ولا تخف وجهك عمن تعرفه ، ولا تكن اعمى إذا لاقيت من رأيته مرة (من قبل) ، ولا تنهر من آتاك شاكيا ، فليسُ هناك أمس (ماضى أى رصيد) للمتراخي وليس هناك سعادة لمن يحب المال . وهنا يئس القروى وختم حديثه قائلا : انظر إنى شكوت إليك وما أراك منصتا ، فهل تريد منى أن أذهب إلى المعبود انوبيس حتى أشكو إليه ؟ "

وترك القروى مكانه وسار فى طريقه فأرسل رنسى بن مرو وراءه اثنين من أعوانه فأعاداه . وظن القروى أنهم سيعاقبوه على ما بدر منه من ألفاظ ، فلما وقعت عيناه على رنسى بن مرو قال له : " آنى لتواق إلى الموت كما يتتوق الظمآن لشرب الماء ، وكما يتتوق فم الرضيع إلى لبن أمه " . ولكن رنسى بن مرو ردّ عليه قائلا : " لا تخف أيها القروى ، انظر أنك ستقيم معى " . ولكن يأس القروى كان قد بلغ مداه وقال له : " لن آكل خبزك أو اشرب من جعتك ما حييت " .

وفى الختام افهمه رنسى بن مرو أنهم أهملوه قصدا وأخرج قرطاسا من البردى قرأ منه شكواه ، ثم أرسلها رنسى بن مرو بعد ذلك إلى الملك ، وأمر الملك كبيرا الأمناء أن يتولى هو بنفسه التحقيق فى الأمر . وحكم رنسى بنفسه فى الشكوى وحكم لصالح القروى وأمر اثنين من رجاله بان يحضروا تحوتى نخت وأعطيت كل أملاكه أو أجزاء منها إلى القروى وأصبح تحوتى نخت عبدا لهذا القروى ، وهكذا انتهت القصة بأنصاف القروى بعد تمسكه وإصراره بعدالة شكواه .

لقد زود القروى شكاياته بأسلوب بليغ فيه صور واستعارات تصور المركب والدفة والشراع وكرر ذلك اكثر من سبع مرات . وشبه الميزان بالمركب ست مرات ونجده يشبه رنسى بن مرو بالقلم والردى وريشة الرسام وبالمعبود تحوتى . ولوحظ أيضا أنه يحب التكرار فيبلغ أحيانا أسلوب الإسهاب والسجع إذ يقول :

" أقم العدالة لرب العدالة الذى تقوم عدالته على العدالة الحقيقية "[1]

---

(١) نلاحظ أنه استخدم كلمة " عدالة " خمس مرات فى جملة واحدة .

وأحيانا نجده بسيطا فى أسلوبه إذا يقول:

" إذا كان الخير خيرا فذلك خير " (١)

لذلك نجد أن أهم آثار العصر الوسيط الأول هى تلك البرديات التى تعكس لنا الحياة الاجتماعية ، فأشرنا إلى بردية إيبوور التى صورت لنا حالة البلاد وما ساد فيها من فوضى واضطراب اجتماعى ، ورأينا فى بردية النصائح التى وجهها خيتى لأبنه مريكارع نوعا من الوعى لدى رجال السلطة . وأخيرا بردية القروى الفصيح التى تدل على وجود نوع من الإدراك عند بعض العامة من الناس ، فقد أنقذت البلاغة والوعى الفقير من بطش الغنى وإيقاف ظلم كبار الموظفين ، فلم يسأم أو يمل وأخيرا كان لحديثه أذن صاغية وسر الملك بفصاحته واستجاب لمطلبه وأنصفه . وقد استخدمت مثل هذه القصص كنماذج لموضوعات إنشائية لطلاب المدارس .

وظهرت فى عصر الأسرة التاسعة والعاشرة ما سمى بنصوص التوابيت وهى مجموعة من الصيغ الجنائزية التى كانت تكتب بالمداد الأسود وعناوين الفصول بالمداد الأحمر . داخل وخارج توابيت من البرشا ومير والأشمونين وأسيوط وسقارة وجبلين وأسوان وغيرها . وهى عبارة عن صيغ وفصول لتأمين حماية مومياء المتوفى فى المقبرة ولضمان استمرار تقديم القرابين له واختلاط أعضاؤه بأجساد المعبودات وأطرافهم . وقد صورت على توابيت البرشا طرق العالم الآخر لإرشاد المتوفى وقد سمى ذلك بكتاب السبيلين . فقد تخيل المصريون القدماء أن على المتوفى فى العالم آخر أن يسلك طريقين : الأول طريق مائى والثانى برى ، وبينهما نار مشتعلة يهوى فيها المتوفى إذا لم يتمكن من السير فى السبيل القويم التى سلكها . وكان عليه آن يسير فى الطريق الذى اختاره لنفسه ولا يلفت يمينا ولا يسارا . وكان عليه آن يقابل فى السبيلين أهوالا وصعابا كثيرة ومخلوقات وحراسا بروؤس مخيفة تقف فى وجه كل من لا يعرف الصيغة ، فإذا عرفها وتلاها أمام الحارس هيأ له الطريق وسمح له بالمرور إلى حيث توجد حقول أوزير ، عند ذلك تنعم روحه التى

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣١١ – ٣١٤ .

ترافق الشمس فى رحلتها من الشرق إلى الغرب وإلى العالم السفلى ويكتب له الخلـود الدائم ، ولدينا نسخ عديدة من كتاب السبيلين ، بعض فصوله مأخوذة مـن نصـوص الأهرام .(١)

---

(١) Vandier , la Religion Egyptienne , Paris (1914) , p . 31 – 33 et . 107 ; Barguet , RdE 21 (1969) ; p . 7 – 17 .

الفصل التاسع

عصر الدولة الوسطى

الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة

عصر إعادة وحدة البلاد السياسية وتحقيق الكثير من الإنجازات فى الداخل والخارج

(٢٠٥٢ - ١٧٨٥ ق.م)

فى أعقاب تلك الفترة الطويلة من الاضطرابات التى انتهت فى حوالى عام ٢٠٥٢ ق.م ، اتحدت السلطة المركزية فى مصر من جديد بفضل مجهودات حكام إقليم طيبة ، وقد بدأت هذه الوحدة بواسطة حكام الإقليم ، فى نفس الوقت الذى بدأ فيه ظهور ملوك اهناسيا المدينة ، فقد كانت الأسرة الحادية عشرة معاصرة فى بدايتها لملوك إهناسيا والأسرة العاشرة ، وبينما كان ملوك إهناسيا مهتمين بالدلتا بوجه خاص ونجحوا فى طرد البدو الآسيويين .نجد أن حكام طيبة الأوائل قد اتجهوا إلى بلاد النوبة لتحقيق الأمن على الحدود الجنوبية ، وبفضل هذين الجدثين المتشابهين فى الجنوب والشمال ، أصبحت وحدة مصر فى طريق التحقق ، ولم يهتم ملوك طيبة كثيرا بمواضيع الحكم والتعليم والنصائح مثل أهل إهناسيا ، بل عرفوا بأنهم محاربون أشداء ، وبعد قرن من الصراع ، نجحوا فى القضاء على مملكة إهناسيا فى هجوم أخير ، وكان على ملوك الأسرة الحادية عشرة أن يحققوا وحدة البلاد ولم يكن هذا من عمل ملك واحد ، بل أسرة بأكملها .[١]

وقد ظهرت أهمية طيبة مع بداية الأسرة الحادية عشرة [٢] وكانت تتكون

---

(١) Vercoutter, L'Egypte ancienne, p. 67.

(٢) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، ١٩٨٢ ، ص ٨ .وأيضا Stadelmann, LAVI, p. 465 – 473.

طود [١] ، أرمنت [٢] ، ومدامود [٣] ، وكـــان يطلـــق عليـــها اســـم واســـت أى " الصولجان " . وتارة أخرى " مدينة آمون " أو سميت بلفظ واحد مختصر " المدينة " كناية عن تفردها بين سائر المدن المصرية القديمة [٤] . وكـــان معبودهـــا الرســـمى آمون ، وكان المعبود مونتو معبود الحرب الذى يصور على هيئة الصقر يعبـــد فـــى أرمنت [٥] وكان معبودا حاميا للمدينة .

وأهتم الملوك المناتحة (نسبة إلى معبود مونتو) بمعبد آمون فى الكرنـــــك وشيدوا معبدا لآمون ولكن اندثرت معالمه الآن . وربما شادوا معبدا آخر شغل مكانه جزء من معبد الأقصر الحالى .[٦]

الأسرة الحادية عشرة :

- ٢١٣٤ – ٢٠٥٢ ق.م
- ٢٠٥٢ ١٩٩١ ق.م [٧]

(يبدأ التاريخ الأول بحكم الأناتفة فى طيبة ويبدأ التاريخ بتحقيـــق الوحـــدة السياسية للبلاد [٨]) . ولا نعرف الشىء الكبير عن مؤسس الأسرة وهو أنيوتف الذى

---

(١) Gomaa , LAVI , p . 615 – 616 .

(٢) Eggebrecht , LAI , p . 435 – 441 .

(٣) Gomaa , LAIII , p . 1253 – 1253

(٤) د. أنور شكرى : العامرة فى مصر القديمة ، ص ٧٢ .

(٥) عن أصل هذه الأسرة ، راجع :
Newberry , ZAS 72 (1936) , p . 118 ; Vandier , BIFAO 36 (1936) , p. 101 .

(٦) Barguet , LAIII , p . 342 – 352 .

(٧) يعطى فون بكرات كتاريخ للأسرة الحادية عشـــرة ٢١٣٤ – ١٩٩١ ق. م، راجع : Von Beckerath, LA I, p. 970
Baines – Malek , op . cit . , p . 36 .

(٨) Gauthier, Livre des Rois I, p.222,228,232,243-
== 244;Wolf,Das Alte Agypten (1971) , p . 231 .

يكتب أيضا إنتف ، وكان بداية هذه الأسرة معاصرة للأسرة العاشرة فى إهناسيا المدينة ، وقد توالى على عرش الأسرة الطيبية سبعة ملوك :

(١) سهر تاوى (إنتف) الأول [١]

(٢) واح عنخ (إنتف عا) الثانى .

(٣) نخت نب تب نفر (إنتف) الثالث .

(٤) تبى – عا (منتوحتب) الأول .

(٥) سعنخ ايب تاوى (نب حبت رع) (منتوحتب) الثانى .

(٦) (سعنخ تاوى إف) (سعنخ كارع) (منتوحتب) الثالث .

(٧) (نب تاوى) (نب تاوى رع) (منتوحتب) الرابع .

لم يطل حكم الملك إنيوتف الأول (٢١٣٤ – ٢١١٨ ق.م) [٢] . أكثر من ستة عشر سنة [٣] . وقد ورد اسمه فى لوحة الأجداد التى أقامها الملك تحوتمس

== وأيضا نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ٥٠١ ؛ جمعت بردية تورين الفترتين واعتبرت مجموع سنوات هذه الأسرة ١٤٣ عاما راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١٥٥ (١) ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٨٣.

(١) عن قائمة ملوك الدولة الوسطى ، راجع : Von Beckerath , LAIII , LA I, p. 300 – 301; Id., p . 545 – 546 ; Id., LA 1V, p. 66 – 69 .

(٢) Baines – Malek , op . cit . , p 36 .

(٣) Drioton – Vandier , L'Egypte (1952) , p. 217 et p 629 ; Stock, Die Erste Zwischenzeit Agyptens , p . 276-279 .
يعطى شتوك كتاريخ لانيوتف الأول من عام ٢١٣٠ إلى ٢١٢٠ ق.م ؛ وعن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath , LAI , p. 301 .
لم يعط جوتييه لملوك الأناتفة أى تواريخ ، راجع Gauthier , Livre: des Rois I, p . 216 (2) (3). P . 219 (5) , p . 221 (6) , 225 (8) , p . 227 (9) p . 237 (12) , p . 238 (13) , p . 246(15)
ويعطى أسماء تسعة ملوك يحملون اسم انتف .

الثالث فى الكرنك كأول ملوك السرة الحادية عشرة ، وكان هذا الملك محل تقديس من أهل طيبة ، وقد شيد لنفسه مقبرة فى جبانة الأناتفة شمال شرقى درع أبى النجا .[١]

وتلاه على العرش ، إنيوتف الثانى (٢١١٨ – ٢٠٦٩ ق.م)[٢] . وقد حكم خمسين عاما على الأقاليم الخمسة فى الصعيد ، وقد بدأ الطيبيون فى عهده مهاجمة الإقليم السادس وهو إقليم ثينى ، وكان إنيوتف من الحكام الأقوياء ، وقد زادت أهمية طيبة فى عهده وأصبح معبد الكرنك ، مركزا هاما لعبادة المعبود آمون . ولكن من أين أتى هذا المعبود ؟ لا يمكن الإجابة بسهولة على هذا السؤال ، فبعض العلماء يرى أنه كان يوجد بين معبودات الثامون فى هرموبوليس اسم آمون " المعبود الخفى " واعتقدوا أيضا أن هذا المعبود الغامض قد أخذه الطيبيون من المدينة المقدسة العتيقة لكى يستخدموه كنواة لمذهب دينى جديد ، ولكن من المحتمل أيضا أن آمون كان فى البداية معبودا طيبيا غامضا وتطور فى الكرنك منذ وقت بعيد . ولكن طبقا لعقيدته فهو معبود للهواء أو معبود للخصب ، وهذه الصفات مأخوذة فى الواقع من مذاهب مثل مذهب هليوبوليس والأشمونين ومنف وأحيانا من عبادات أقل شهرة مثل عبادة معبود مين فى قفط .[٣]

ويمثل المعبود آمون عادة على شكل إنسان وأحيانا برأس كبش وتصطحبه زوجته المعبودة موت ، وهى معبودة محلية من منطقة مجاورة للكرنك " إشرو " ، وأبنه المعبود خونسو ، معبود القمر ، وكانت له زوجة أخرى هى المعبودة أمنت . وقد ساعدت الظروف السياسية على انتشار عبادة آمون ، فقد أصبح معبودا حاميا لملوك طيبة الذين وحدوا البلاد .[٤]

وقد قص علينا انيوتف الثانى أعماله فى نقوش اللوحة التى أقامها أمام هرم

---

(١) هناك حوالى ٧٦ جبانة من عصر الدولة الوسطى موزعة بين أسوان والواحات الداخلة ، راجع : Gomaa, LA 1V, p. 415 – 427

(٢) Baines – Malek , op . cit ., p . 36 . وعن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath , LAI , p . 301.

(٣) Otto, LAI, p . 237 – 248 ; Daumas , les Dieux de L'Egypte, Paris (1967) , p . 48 – 50 .

(٤) Posener , Dictionnaire de La Civilisation Egyptienne (1929),p. 12 .

مقبرته :

" لقد ملأت معابد آمون بالأوانى الفاخرة ، وأقمت المقاصير ، مشيدا درجهم ، ورممت الأبواب ، وقررت القرابين المقدسة حتى أصبحت المدينة مثل البحر المتألق فى بهائه " [١]

وقد صور على لوحة عثر عليها فى طيبة ومعه خمسة من كلابه أسماها بأسماء ليبية وكتب إلى جانب ثلاثة منها معانيها باللغة المصرية : الغزالة ، السلوقى الأسود ، المكتنز (حرفيا : الدائرى) .[٢]

وفى نقوش مقبرته التى تقع إلى الجنوب من مقبرة إنيوتف الأول ، تحدث عن استيلائه على منطقة ثينى واتساع حدود مملكته إلى الشمال .[٣]

وجاء من بعده ولده إنيوتف الثالث (٢٠٦٩ - ٢٠٦١ ق.م)[٤] . ولم يحكم إلا مدة بسيطة ، ويبدو أنه حكم ثمانية أعوام [٥] وذلك طبقا لبردية تورين وشيد بوابة من الحجر الرملى للمعبود باستت ، ويقص علينا " أدينى " حاكم أبيدوس ، أن أبيدوس أصبحت ضمن ممتلكات إنيوتف الثالث وتعرضت لمجاعة وأنقذها منها الملك[٦].ودفن

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 65 – 66 .

(٢) Vandier , Manuel d'archéologie II , p . 466 – 468 .

وعن الحيوانات المستأنسة فى مصر القديمة ، راجع : Brunner – Traut , LAI , p . 1120 – 1127 .

(٣) وقد ذكرت هذه المقبرة فى بردية أبوت التى تحدثنا عن سرقات مقابر الملوك فى البر الغربى فى طيبة فى عصر الأسرة العشرين ، إذ زارت لجنة التحقيق هذه المقبرة وأشارت إلى اللوحة التى أقامها الملك ، راجع : د. أحمد فخرى مصر الفرعونية ، ص ١٨٦ ؛ د. عبد الحميد زايد :مصر الخالدة ، ص ٣٢٥ .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath , LAI , p . 301 .

(٥) Baines – Malek , op . cit . , p . 36 .

(٦) Vandier, La Famine dans L'Egypte Ancienne, Le Caire, p . 11,112.

مثل بقية ملوك الأسرة فى البر الغربى .

تولى العرش من بعده إينــه منتوحتـب الأول (٢٠٦١ – ٢٠٤٣ ق.م)[١] بمعنى " منتوراض " والذى قدس بعد وفاته بآلاف السنين [٢] ، والذى اغتنم فرصـة ضعف الأسرة العاشرة وحاول أن يمد سلطانه إلى الشمال ولكنه توفى أثنـاء الحملـة بعد أن حكم ثمانية عشر عاما [٣] . وكان قد وضع تصميما لمقبرة تزيد فى حجمـها عن مقابر كل من سبقوه من الملوك . ولكنه لم يتمها .

حكم بعد ذلك منتوحتب الثانى (٢٠٤٣ – ١٩٩٨ ق.م)[٤] ، الـذى كـان أقوى وأهم ملوك هذه الأسرة وفى عهده أراد ملوك إهناسيا أن يسترجعوا ما فقـدوه ، فحدث بينه وبين ملوك إهناسيا حرب ، حاولوا فيها استرداد إقليم ثينى وكان ذلك فـى عهد الملك خيتى الثالث (أو الرابع) ولا نعرف هل نجحوا فى ذلـك أو لا ، ولكـن نعرف أن الملك منتوحتب الثانى قام بهجوم نحو الشمال وسقطت أهناسيا نفسها فـى العام التاسع من حكمه ، وأعلن نفسه ملكا على مصر كلها ، وكان أول ملك من ملوك طيبة يصبح فى الواقع ملكا على الوجهين ، وكان ذلـك حوالـى عـام ٢٠٣٤ ق.م وأصبحت مدينته الأصلية ، طيبة عاصمة للبلاد لأول مرة [٥] .

وقد حاول منتوحتب الثانى أن يكمل أعمال انيوتف الثانى فى أن يجعل مـن مدينته الأصلية عاصمة تليق بمصر كلها وأقام فيها قصره ، وهو المكان الذى كانـت تمضى فيـه العائلة الملكية فصل الشتاء [٦]. وقد شيد الملك فى البر الغربى مقبـرة

---

(١) Baines – Malek , op . cit . , p . 36 ؛ ويضع فون بكرات هذا الملك على رأس الأسرة الحادية عشرة ، راجع :, Von Beckerath , LAIV p . 66 .

(٢) Posener , op . cit . , p . 171.

(٣) لم يذكر جوتبيه مدة حكم لهذا الملك ، راجع : Gauthier ,Livre des Rois I,p . 217(4)n (3) .

(٤) Baines – Malek , op . cit . , p . 36 . ؛ وعن هذا الملك ، راجع :. Von Beckerath , LAIV , p . 66- 68 .

(٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٦) Weigall , op . cit . , p . 66 .

ومعبدا جنائزيا بالقرب من معبد الدير البحرى ولا زال بقاياه موجودة إلى الجنوب من معبد حتشبسوت [١] .

وكانت المقبرة تحمل اسم " آخ سوت " أى " الأماكن النافعة أو المفيدة "[٢] .

وعثر فى أرضية المعبد على أوانى فخارية تحتوى على أنواع مختلفة من القرابين وكذلك قوالب من الطين وأوانى من الخشب والحجر والمعدن . وكانت هذه الأدوات جزءا من ودائع الأساس [٣] . وقد شيد المعبد على جزء مرتفع أقاموا أمامه صفوفا من الأعمدة . وشيد لنفسه فى وسط المعبد هرما من الحجر الجيرى الأبيض ، وتبلغ مقاييس قاعدته حوالى ٢٣٠ مترا مربعا تقريبا ، وكان محاطا بثلاثة أروقة للأعمدة ، ثم بحائط طوله حوالى ٤٫٢ مترا تقريبا ، ويقوم كل البناء على قاعدة صخرية نصل إليها عن طريق صاعد ، نصل إلى حجرة الدفن عن طريق حجرة بين الهرم والجبل ، وكان يوجد فى هذه الحجرة مقصورة من المرمر ، وأمام هذه المبانى ، اعد فناء كبيرا ، زرع على حوافه أشجار الجميز ، وكانت كل شجرة تنمو فى حفرة مستديرة حفرت فى الصخر وملئت بالطين ، وأخيرا مهد طريقا مستقيما ، تحف به الأشجار والتماثيل حتى الحقول التى تجاور النيل . وقد شيد الملك بالقرب من الدير البحرى أيضا ست مقابر لزوجاته .[٤] وكانت كل مقبرة تتكون من حجرة

---

(١) راجع د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٧٥ – ٣٧٨ ، شكل ١٥٥ – ١٥٦ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٩١ – ٢٫٠١ ؛ المؤلف نفسه : الأهرامات المصرية ، ص ٢٩٦ – ٣٠٢ شكل ١٠٩ ؛ وبوجه خاص : Arnold , LAI , p . 1011 – 1017 ; Helck, LA V, p. 6 .

(٢) Gauthier , Livre des Rois I , p . 228 (11) .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٩٢ – ٢٠١ .

(٤) أهمها مقابر أمه وزوجاته الملكات " نفرو " و"تم" وكذلك "عشاييت" و"كميت" و " كاويت " وقد دفنت هؤلاء الزوجات تحت أرضية المعبد ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٢٩٦ – ٢٩٩ ؛ ==

واحدة منحوتة من الصخر وتحتوى على تابوت . وقد عثر فى شمال طيبة فى دندرة على لوحة لمشرف ، كان فى خدمة إحدى ملكات هذا العصر ، وهو يتحدث عن سيدته قائلا أنها كنت : " ماهرة فى الكتابة وبارعة فى ملفات العلوم التى تستوعبها المكتبة الكبيرة فى الجنوب " ، ويقول عن مجموعة الكتب الخاصة التى تملكها هذه الملكة " لقد أضفت إلى هذه المجموعة بإحضار كمية كبيرة من الكتب ذات القيمة ، لدرجة أنه لا ينقصها أى شئ فى حدود معرفتى بالأمور ، لقد قمت بترتيبها ، وأصلحت ما وجدته تالفا منها ، جمعت المخطوطات التى وجدتها ممزقة ، ووضعت النظام ما وجدته قد أهمل "[١] .

وتعتبر فترة حكم هذا الملك ، بداية لمجد الأسرة الحادية عشرة ، فقد ارتقى العرش لمدة ستة وأربعين عاما [٢] نجح خلالها فى إحلال النظام فى الجنوب والشمال واعترفت له أجيال المصريين بهذه الجهود .

وعلى مقربة من مقبرته عثرت بعثة متحف المتروبوليتان على جثث ما يقرب من ستين جنديا ربما كانوا قد سقطوا عند مهاجمة الملك لمدينة إهناسيا ونقلت جثثهم بعد ذلك إلى طيبة ليدفنوا على مقربة من ملكهم .[٣]

وقد حاول الملك فى سياسته الداخلية الحد من سلطات حكام الأقاليم ، تلك السلطات التى تطورت أثناء العصر الوسيط الأول ، واتجه إلى الحد من نفوذ بعض كبار حكام الأقاليم وإعادة السلطة المركزية ، أما فى سياسته الخارجية فقد أخضع المنطقة جنوب الفنتين ، ويبدو أنه وصل حتى الجندل الثانى ، وقد عثر على نص له

= نفس المؤلف : مصر الفرعونية ، ص ٢٠١ ، وراجع أيضا :, Vandier Manuel d'Arche'ologie II,p . 160-166 ; Naville , Deir el Bahri I , London , (1907) p . 39 , 65 .

(١) Weigall , op . cit . , p . 66 .

(٢) يذكر جوتبيه أنه يوجد لهذا الملك آثار مؤرخة بالعام الثانى من حكمه ، راجع : Gauthier , Livre des Rois I , p . 222(7)n.(1) .

(٣) د. أحمد فخرى :مصر الفرعونية ، ص ١٨٩

عند الجندل الأول . وهناك نص من عصر الملك منتوحتب الثانى نعرف منه أنه أمـو بإرسال بعثة عبر الصحراء إلى بلاد بونت .[١] وحارب البدو فى شرق الدلتا ، وقـام أيضا بإعداد طريق وادى الحمامات الذى يربط بين البحر الأحمر والوادى ويسـتخدم كنقطة عبور انطلاق للبعثات نحو شبه جزيرة سيناء .[٢]

وقد عثر على اسمه وتماثيله فى عدة أماكن فى معبد المعبودة " ساتيت " فى الفنتين " وفى أساسات معبد المعبودة " نخبت " فى الكاب وجبلين ، وأعاد بناء معبـد مونتو فى طود [٣] ، وعثر على اسمه فى معبد مونتو بأرمنت[٤] وأقام المقاصير فـى دندرة [٥] وفى ابيدوس [٦] . وقد جاء ذكر اسمه فى قائمتى أبيدوس وسـقارة كـأول ملوك الأسرة الحادية عشرة .

ومن أهم رجال عصره داجى " حاكم طيبة والوزير " وصاحب المقبرة رقـم ١٠٣ بالبر الغربى فى منطقة الحوزة العليا [٧] ، ومرو رئيس حملة الأختام وصاحب

---

(١) د. رمضان عبده : بونت وتانثر فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كليـة الآداب جامعة المنيا ، العدد الثانى يوليو ١٩٩٩، ص ١٠ (١٣) .

(٢) Vercoutter, op. cit ., p . 68 ; Posener, Ar. Or. 20(1952) , p. 162 – 166 .

(٣) Bisson de la Roque , Tod (1934- 1936) , p . 1, 10 , 14 ; Vandier , Syria 18 (1937) , p . 174 – 182 .

(٤) Mond and Myers , Temples of Armant I , London (1940) p . 166 ; Corteggiani , BIFAO73(1973) , p . 146 .

(٥) Petrie , Dendera , London (1878) , p.53 et pI . 12 .

(٦) Petrie , Abydos II , London (1903),p . 14,32 et pI. 24 .

(٧) التى عثر فيها على تابوت جميل من الحجر الجيرى موجود الآن بـالمتحف المصرى تحت رقم CG 28024 . وكتبت نصوصه من الداخل بـالألوان وهى صيغة للقرابين مخصصة لكل من اوزير وأنوبيـس .. وأسـفل هـذه الصيغة صورت الأشياء التى يحتاج إليها المتوفى كالنعـال وآنيـة العطـر وقلائد وأساور وكتان وتروس ورماح وأقواس ونشاب، وسجلت بعد ذلك ما يسمى بمتون التوابيت التى كتبت بالمداد الأسود فى خطوط رأسية، راجع:

المقبرة رقم ٢٤٠ بالدير البحرى ، ومكت رع مستشار الملك ورئيس القضاء وصاحب المقبرة رقم ٢٨٠ خلف تل الحوزة العليا ، وخيتى حامل الختم الملكى ورئيس القضاء وصاحب المقبرة رقم ٣١١ بالدير البحرى ، وحننو رئيس الاستقبال وصاحب المقبرة رقم ٣١٣ بالدير البحرى ، وايبى حاكم طيبة والوزير وصاحب المقبرة رقم ٣١٥ بالدير البحرى ، وجار حارس الحريم الملكى وصاحب المقبرة رقم ٣٦٦ بالعساسيف .[١]

وعاش فى عهد هذا الملك أيضا المثال إرتى سن الذى نراه مرسوما مع زوجته وأبنائه على إحدى اللوحات ويفتخر بأنه كان يعرف يرسم حركات التقدم والتأخر فى صور أقدام الإنسان .[٢]

وعثرت بعثة متحف المتروبوليتان فى حجرة الدفن فى مقبرة مكت رع على ما يقرب من ألف ومائتى قطعة مختلفة من نماذج الأسلحة والأدوات المختلفة للقتال ، وعثر فى السرداب على مجموعة من النماذج الخشبية [٣] وعددها ثلاثة وعشرون

== Saleh – Sourouzian , official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no 71

أما عن الاسم داجى فيبدو أنه مشتق من الصفة المصرية d3gy التى ظهرت فى عصر الدولة الوسطى (راجع : Wb V , 419, 3) التى تعنى " طويل الأذنين " (راجع أيضا Meeks , Alex . I , p . 431) .

(١) عن أرقام هذه المقابر ومواقعها ، راجع د.سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة (الأقصر) ، ص ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٨٩ حاشية (١) .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٥٨ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٣١ ؛ Winlock , Models of Daily life in Ancient Egypt from the tomb of Meket – Rê (1953) ,p 1 . 10 .

تمثل جميع ممتلكات مكت ورع وهى وإن كانت صغيرة الحجم نسبيا إلا أن صانعيها عنو بتفاصيلها عناية كبيرة ، منها نموذج لمنزله ولحديقته ونماذج لأماكن حرف مختلفة منها مكان للغزل والنسيج تعمل فيه طائفة من النساء وورشة للنجارة ويعمل فيها صناع . وهناك نموذج لمعجن ومخبز يعمل فيه عدد من الرجال والنساء ونموذج لمكان تخمير الجعة وتصفيتها ، وهناك أيضا مخازن ، ومراكب ، ونماذج للخدم وحملة القرابين والمظلة التى يجلس تحتها مكت رع وهو يستعرض أمامها قطعان الماشية .

وأغلب هذه النماذج معروضة الآن فى المتحف المصرى وبعضها فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك .

خلف منتوحتب الثانى ، ابنه منتوحتب الثالث (١٩٩٨ – ١٩٩١ ق.م)[١] الذى لا نعلم عنه الشىء الكثير ، وكل ما نعلمه أنه حكم لفترة قصيرة من الزمن حوالى سبع سنوات [٢] وكان من أهم أعماله هو إرساله لحمة إلى بلاد بونت ، وقد وضعت هذه الحملة تحت قيادة ضابط يسمى " حننو – Hennou " الذى يقص علينا الكثير من مقتطفات هذه الرحلة فى النقش رقم ١١٤ بوادى الحمامات . وكيف أنه ذهب عبر الصحراء نحو البحر الأحمر ، وكان عليه آن يحارب قبائل البدو ، وكان يصرف لكل واحد من جنوده كمؤنه يومية ، ٢٠ رغيفا وقدرتين من الماء ، وأعدت المراكب وأنزلت إلى الماء بعد تقديم كثير من التضحيات والقرابين " أرسلنى سيدى لكى أجهز سفنا من بيبلوس متجهة إلى بونت لكى أحضر له المر الطازج الذى ينتجه الحكام رؤساء الصحراء لأن الخوف الذى يوحى به (جلالته) كان يعم البلاد الأجنبية : ورحلت من قفط عبر الطريق الذى أمرنى جلالته بأن أتبعه مصحوبا بقوات من أرض الجنوب . وقمت بما أمرنى به جلالته وأحضرت له كل المنتجات التى وجدتها فى تا – نثر " [٣]، وأخيرا كللت الرحلة الطويلة بالنجاح وعادت إلى

---

(١) وعن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath , LAI , p . 68 – 69 .
(٢) Baines – Malek , op . cit ., p. 36 .
(٣) د. رمضان عبده : بونت وتانثر فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب جامعة المنيا ، العدد الثانى يوليو ١٩٩٩، ص ١١ (١٤) .

البلاد محملة بكميات هائلة من البخور والعطور . وربما استعاد منتوحتب الثالث بذلك جزءا من بلاد النوبة .

وقد تأثر رخاء هذا الحكم بمجاعة حدثت نتيجة لعدم ارتفاع مياه النيل إلى المستوى المعتاد ، وهناك بعض الخطابات الشخصية التى تلقى ضوءا على الحياة اليومية ، وتكشف لنا إلى أى مدى كان من الصعب الحصول على مواد غذائية ، وهى رسائل حقا نخت الذى كان يعمل ككاهن لروح الوزير ايبى فى طيبة .(١)

وقد عثرت بعثة متحف المتروبوليتان فى الفناء الخارجى لمقبرة الوزير ايبى على هذه الرسائل ، وكان له مزرعة فى شمال منف وكان يتردد عليها ، وكلف ولده مرى سو بالإشراف على أرضه وشئون بيته الذى كان يوجد فى بلدة نب سويت على الشاطئ الغربى للنيل إلى الجنوب من العاصمة ، وكتب إلى والدته التى توجد فى الجنوب يقول : " كيف حالك ، لا تشغلى بالك بشأنى وإننى أحيا وبصحة جيدة ، ولكن كل البلاد تموت من المجاعة ، لقد حصلت على مواد غذائية لك بقدر المستطاع ، ولكن أليس النيل منخفضا جدا ، لا تغضبى من القلة ، فأفضل العيش نصف ميت على الموت كله ". وكان قبل أن يرحل إلى الشمال قد ترك لولده مرى سو تفاصيل قوائم الحبوب وكتب خطابين لولده خاصين بإدارة المزرعة ، وقال فى أحدهما : " يجب عليك أن تغذى رجالى على حين أنهم يباشرون العمل – تذكر هذا – وانزلوا أرضى بأقصى ما يمكن ، واحفروا الأرض واشغلوا أنفسكم بالعمل حتى الرقبة ، كن نشطا وتذكر أنك تأكل خبزى ومن حسن طالعك إننى أستطيع أن أعولك. وإذا احتقر أحد رجالى هذه الأطعمة فأرسله إلى هنا حالا . سوف يبقى معى وسوف يعيش مثلما أعيش ، ولا أحد يجرؤ على ذلك " . ويكلف ابنه بأن يرسل المشرف على الزراعة لاستئجار حقلين ويوصيه بأن يعطى الإيجار من ثمن الأقمشة التى كان قد أرسلها لابنه من الشمال وينصحه بأن يمدح نوع الأقمشة عند عرضها للبيع .ومن الملاحظ أنه كان فى غاية الشدة مع ابنه مرى سو وكان يوصى بولديه الأصغر سنا إنبوو سنفرو وكانت له خادمة تسمى أيوت أم حب وطلب من

---

(١) عن هذه الرسائل ، راجع : Kakosy , LA II , p . 1123 .

ولده حسن معاملتها وعدم الإساءة إليها من أية واحدة من الخادمات .[١]

توفى الملك قبل أن ينتهى من مقبرته ومعبده الجنائزى فى الجزء الجنوبى من الدير البحرى .[٢]

وقد عثر على بعض آثار هذا الملك فى ودائع الأساس التى كانت توضع فى حفر تحت أرضية المعبد .

وشيد كثير من رجال منتوحتب الثالث مقابرهم على مقربة من ذلك المكان . وأهمها مقبرة مكت رع الذى أشرنا إليها من قبل ، ومقبرة إنيوتف بن مكت رع الذى تولى وظائف أبيه بعد وفاته .

تولى العرش بعد ذلك منتوحتب الرابع وكان آخر ملوك الأسرة ، ولم تذكره بردية تورين والقوائم الملكية الأخرى [٣] . ولذا لا نعرف عنه الشيء الكثير ويرجع ذلك أيضا بسبب الأهمية البالغة التى احتلها وزيرة الأول امنمحات فى نقوشه الرسمية [٤]، فيعطينا أمنمحات صورة هامة عن نفسه لدرجة أننا نشعر معها أنه سيد البلاد الحقيقى :

" الأمير الوراثى حاكم المدينة ، القاضى الكبير ، رئيس الأعمال الكبرى " وكان يطلق عليه أيضا " المفضل عند الملك ذو المرتبة العالية ، ذو المكان المشرف فى القصر ، الذى يحيه الكبار حتى الأرض ، والذى ينبطح كل الناس أمامه ".[٥] وقد عثر على اسم الملك بالقرب من مناجم الأماتيست فى وادى الهودى جنوب شرقى

---

(١) James , The Hekanakhte Papers (1961) , p . 5; Id., LA 11, p. 1123 ; Weigall , op . cit . , p . 68 ; د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٠ – ١٦٢ ؛ د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ – ٢٠٧ ؛ R.el Sayed , Quelques Personnages Célebres فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٤٦ .

(٢) لم يعط جوتبيه فترة حكم لهذا الملك ، راجع : Gauthier , Livre des Rois I , p . 288 .

(٣) وعن هذا الملك راجع : Von Beckerath , LAI , p . 69 – 70 .

(٤) يذكر جوتبيه أنه حكم لمدة ٤٦ عاما طبقا للآثار المؤرخة من عهده ، راجع : Gauthier , op . cit . , I , p . 228 (11) n (4) .

(٥) Weigall , op . cit . , p . 60 .

أسوان.[١] . وأهم عمل قام به أمنمحات ، هـو قيامـه بحملـة إلـى محـاجر وادى الحمامات فى الصحراء الشرقية ، لكى يحصل على الأحجار اللازمة لتابوت الملـك ، وقد ترك هناك نقشا يقص فيه الأعمال التى قام بتنفيذها ، وكان معه فى هذه الحملـة عشرة آلاف رجل وأثناء هذه البعثة حدثت معجزتـان ، الأولـى هـى أن وحـوش الصحراء جميعا وصلت إلى الجبل وظلت واقفة فى المكان المختار لقطع الأحجـار ، وجاءت غزالة حبلى ووضعت مولودها على الحجر فكأنما هى التى أرشـدتهم عـن المكان فقاموا بقطع قطعة كبيرة لغطاء تابوت الملك ، والثانية هى أنه بعد وصولـهم بثمانية أيام عبر الصحراء المحرقة هبت رياح ممطرة فتفجر الماء من بئر .[٢]

ولكن فى أثناء ذلك الوقت ، ساءت الأمور فى الوجـه البحـرى ، وبـدأت القبائل التى تقوم بالسلب والنهب ، تظهر فى البلاد على الحدود الشـرقية [٣] .وفـى غرب الدلتا ، جاءت قبائل أخرى من الصحراء الليبية ، وظل النيـل منخفضـا كمـا حدث فى عصر الحكم السابق . وحدثت اضطرابات وأصبح الموقف العام فى الشمال ميئوسا منه مثلما كان عليه فى نهاية عصر الأسرة العاشرة، وفى هذه الفترة الحرجة، توفى الملك أو عزل ، واستولى وزيره الأول أمنمحات على العرش ، ووضع نهـاية

---

(١) Fakhry , The Amethyst Quarries of Wadi el Hudi (1952) , p.19 – 23 ; Sadek , The Amethyst Mining Inscription of Wadi el Hudi (1979) , p . 4-5 , 100 – 101 . وأيضـا : د. أحمـد فخرى ، المرجع السابق، ص ٢١٠ (١) .

(٢) Couyat – Montet , Quadi Hammamat (MIFAO34) . le Caire (1912) no 1 , 40 , 55 , 105 , 110 , 113 , 191 – 291 ; Goyon , Nouvelles Inscriptions rupestres du Wadi Hammamat , Paris (1957), n 52 – 60 ; Goedicke, in JARCE 3 (1964) , p . 46.
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

(٣) Weigall , op . cit . , p . 69 .

للأسرة الحادية عشرة التى ظلت فى الحكم حوالى ١٤٠ عاما .

الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٥ق.م) :

لا نعرف كيف انتقلت مقاليد الحكم من الأسرة الحادية عشرة إلى الأسرة الثانية عشرة ولكن يبدو أن أمنمحات قد اغتصب العرش وأسس الأسرة الثانية عشرة فى حوالى ١٩٩١ ق. م،[١] وهى تعتبر من الأسرات الهامة فى تاريخ مصر القديم ، فتحت حكم وإدارة هذه الأسرة لم تجد مصر فقط الاستقرار الداخلى بل نجدها أيضا تتألق فى الخارج ، ولذا يعتبر عصر الأسرة الثانية عشرة أزهى عصور الدولة الوسطى ، وذلك منذ عهد مركزية الدولة القديمة وسلطان ملوكها العظام فى الأسرة الرابعة . وعلى الرغم من أن هذه الأسرة كانت تنتمى فى الأصل إلى طيبة إلا أنها اهتمت بمنطقة الفيوم وذلك لكى يسهل عليها الإشراف على البلاد كلها من هذا المكان ، وهكذا خرجت مصر من عزلتها بعد فترة طويلة من الاضطرابات وكان من أهم ملوك هذه الأسرة ثمانية هم :

١- وهم مسوت (سحتب ايب رع) (أمنمحات) الأول .

٢- عنخ مسوت (خبر كارع) (سنوسرت) الأول .

٣- حكن ام ماعت (نوب كاو رع) (أمنمحات) الثانى .

٤- سشم تاوى (خع خبر رع) (سنوسرت) الثانى .

---

(١) أعطى وولف ويكرات هذه التواريخ التقريبية ، راجع : Wolf, op. cit., p. 223; Von Beckerath, LA I, p. 970.

وعن الأسماء الحورية ، راجع : Gauthier, livre des Rois I, p. 259 - 341 ; James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 263 - 264 ; Von Beckerath, LA 111, p. 546 (1-8) وعن القائمة، راجع أيضا : نيقولا جريمال : المرجع السابق ، ص ٥٠٠ Baines - Malek, op. cit., p. 36 .

٥- نثر خبرو (خع كاو رع) (سنوسرت) الثالث .

٦- عاباو (نى ماعت رع) (أمنمحات) الثالث .

٧- خبرو (ماعت خرورع) (أمنمحات) الرابع .

٨- مريت رع (سبك كارع) (سبك نفرو) .

أمنمحات الأول : (١٩٩١ – ١٩٦٢ ق. م) (١)

كان أول ملوك هذه الأسرة ، أمنمحات الأول محظوظا وساعدته الظروف ، فقد حكم حوالى ثلاثين عاما (٢) ، كانت حافلة بالكفاح والمخاطر فى بدايتها ونهايتها . وقد جاء أول فيضان بوفرة وذلك بعد الاحتفال بتتويجه ملكا ، وزادت تبعا لذلك المحاصيل وانتهت المجاعة . ونعلم من بردية تنبؤات نفرتى (٣) ، أن الملك سنفرو كان يبحث عن تسلية يسرى بها عن نفسه فأقترح عليه رجال حاشيته إحضار الكاهن المرتل للمعبودة باستت نفرتى . وعندما سأله الملك عن أحداث المستقبل عندئذ قال له : " أن ثورة سوف تهز مصر كلها وكل شئ سوف ينتهى بسلام وذلك عندما يأتى من الجنوب شخص يدعى أمينى ، ابن امرأة من النوبة وطفل مصر العليا ... تمتعوا يا رجال عصره . إن الرجل المنتظر سوف يكتسب شهرة للأبد ، ويرجع القانون إلى مكانه ويلقى بالحيرة خارجا ، فليسعد من يرى ذلك ومن يتواجد فى خدمة (هذا) الملك " .

---

(١) عن عصر هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, L A I, p. 188-189

(٢) تذكر بردية تورين أنه حكم ٢٩ عاما ويذكر مانيتون أنه حكم ١٦ عاما وهناك آثار مؤرخة بالعام الثلاثين من حكمه ، راجع : Gauthier, livre des Rois I, p. 253 (1) n. (3 – 5).

(٣) Posener, Litterature et Politique, p. 22 – 47 – 51; Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 7 et p. 405
وعن هذه الشخصية ، راجع : Blumenthal, LA 1V, p. 380 – 381

ولم يكن المقصود من كتابة تلك البردية ، إلا الترويج بين أفراد الشعب لهذا الحاكم الجديد ومحاولة إقناع الناس بأن اختياره لإنقاذ مصر كان أمرا أرادته المعبودات منذ فترة طويلة .

كان المعبود الرئيسى لأرمنت هو المعبود مونتو معبود الحرب ، وكان غالبا يصور برأس صقر وجسم إنسان(١) ، وتداخل اسم هذا المعبود فى اسم ملوك الأسرة الحادية عشرة ، منتوحتب ، ولكن ظهر فى الأسرة الجديدة آمون الخفى الذى عبد فى طيبة ، فنسبوا أسماءهم إليه وتوارثوا فيما بينهم اسم " أمنمحات " ، بمعنى " آمون فى المقدمة " . وعبد المعبود مين فى قفط . وكان من أول أعمال أمنمحات أنه رأى من الأفضل نقل الإدارة من طيبة إلى نقطة أكثر مركزية ، واختار لذلك مكانا بالقرب من بمها أو اللشت الحالية وأعطى المنطقة اسم " إيثت تاوى " بمعنى القابضة على الأرضين ، أى الوجه القبلى والبحرى (٢) . وقد اختار هذه المنطقة ، لكى يكون على مقربة من الآسيويين الذين كانوا يتسللون إلى الدلتا ، ثم رغبته فى أن تكون عاصمته الجديدة على مقربة من منطقة خصبة يمكن استغلالها فى مشاريع الزراعة وأيضا ليكون على مقربة من أقاليم أنصاره فى مصر الوسطى .(٣)

وأسس هناك القيادة العسكرية والإدارية وشيد أيضا مجموعته الهرمية وأماكن للطقوس الدينية (٤) . ومن هذا المكان المختار ، حكم البلاد بيد قوية ، وأصبح قريبا من الحدود الآسيوية التى تتطلب كل الحرص ، ونجح خلال بضع سنوات فى أن يحقق رخاء لم تعرفه مصر منذ الأسرة السادسة ، واهتم بالإدارة ، ولتعضيد مركزه يبدو أنه لجأ إلى الاعتماد على نبلاء الأقاليم ، وهذا ما يفسر عودة بعض الاستقلال

---

(١) Borghouts, LA 1V, p. 200 – 204 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧ ، Simpson, JARCE 2 (1063), p. 53 – 63 Helck, LA 111, p. 211 .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٠ – ١٧٨؛ د.عبد الحميد زايد : المرجع السابق، ص ٣٥٥ .

(٤) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٠٣ – ٣٠٧ شكل ١١٠ .

الذاتي لهؤلاء ، ولكي يسيطر على البلاد إداريا ، ثبت حكام الأقاليم الموالين له في أماكنهم وطرد الآخرين . وأصبحت وظيفة حاكم الأقاليم غير وراثية ولكنها تمنح بواسطة الملك . وثبت حدود الأقاليم والضياع بواسطة موظف إدارى مركزى كان يراقب كل صراع محلى أو أى امتناع عن دفع الضرائب .

وكان من أهم أعماله أيضا اهتمامه بإعادة النظام فى الوجه البحرى ولتحقيق هذا ، قام بطرد جميع قبائل البدو الذين دخلوا عن طريق الشرق واستقروا على الحدود الشرقية ، ثم شيد حائطا كبيرا بطول حدود الصحراء ، على الجانب الشرقى للدلتا ، وكان غرضه ، كما أعلنه فيما بعد ، أن يمنع القبائل من دخول مصر ، لكى يطلبوا الماء لقطيعهم (١) ، وسمى باسم " حائط الأمير أو الحاكم " . وهكذا نجح فى القضاء على المعارضة الداخلية وطرد البدو الذين كانوا يستقرون فى أحراش الدلتا وخاصة فى الشرق وقام بتحصينها وزود الدولة بإدارة قوية وخاصة فى موضوع تقسيم الأراضى وتوزيعها .

وفى بلاد النوبة يبدو أن أمنمحات قد توغل حتى " كورسكو " وربما حتى سمنة عند الجندل الثانى إلى الجنوب عند كرما التى سوف تلعب دورا هاما عن قريب . وربما أيضا امتد توغله أكثر من ذلك . وكانت هناك على ما يبدو علاقات دبلوماسية بين أمنمحات الأول وبعض أمراء سوريا العليا .(٢)

وقام باستغلال محاجر ومناجم النحاس فى شبه جزيرة سيناء ، وأبقى على ثراء بعض حكام الأقاليم ونفوذهم فى أقاليمهم أمثال أمراء إقليم بنى حسن . وقام بتشييد المعابد فى عدة أماكن فى شرق الدلتا وفى سيناء ، وبخاصة فى الختاعنة وفى تل بسطة . كما نرى بقايا معبد له فى مدينة الفيوم (كيمان فارس) . وشيد أيضا

---

(١) Posener, op. cit., p. 55 – 59 ; Weigall, op. cit., p. 70 ; Gardiner, JEA I (1914), p. 105 .

(٢) Posener, op. cit., p. 110 . وعن نشاطه فى النوبة راجع : Breasted, AR. I (472 – 473) ; Brugsch, ZAS 20 (182), p. 30 .

مجموعته الهرمية فى اللشت . وكانت تتكون من الهرم ويبلغ ارتفاعه الأصلـــى ٥٥ مترا .

وكان الهرم يحمل اسم " سوت خعو امنمحـــات " أى " أمـــاكن إشــراقات امنمحات "[١] . وكان المعبد الجنائزى يحمل اسم " كا – نفر امنمحـــات " أى " عـــال جمال امنمحات " [٢] ويقع إلى الشرق من الهرم ، و " سوت خعو مر أى الـــهرم ذى الأماكن المشرقة " .[٢] والمعبد الجنائزى إلى الشرق منه ، ثم طريق مـــوصل إلـــى الوادى ومعبد آخر عند بداية ذلك الطريق ، ويشتمل المعبد على دهليز منحدر يـــؤدى إلى البئر الذى يؤدى إلى حجرة الدفن . وعثر علماء الآثار هناك فى اللشـــت علـــى كثير من الأحجار المنقوشة من المعبدين . وعثر أيضا على بعض ودائـــع الأســـاس تحت أرضية ركن الهرم . وبعض أركان المعبد الجنائزى .

وكشفت الحفائر عن وجود مصاطب داخل سور الـــهرم وخارجـــه لكبـــار موظفى الملك وبعض أفراد أسرته .

واهتم أمنمحات بإعلاء شأن المعبود آمون . وربما أقام له معبدا فى طيبـــة وفى شمال القاهرة عثر على أطلال معبد من اللبن ربما من عهد أمنمحات الأول .[٣]

وهكذا أمضى أمنمحات الأول معظم السنوات الأولى فى تدعيم حكمه ونرى فى مقابر كبار الشخصيات فى بنى حسن صورة لهذا النشاط ، ومدى سلطان حكـــام إقليم الوعل . ففى مقبرة خنوم حتب الأول (رقم ١٤) الذى كان أميرا وراثيا حاكمـــا للصحراء الشرقية ولمقاطعة منعات خوفو ، نرى مناظر ليبييـــن وآســـيويين جـــاءوا وأحضروا معهم هداياهم وفى أحسن حللهم . وكما ذكرنا أن أمنمحات ثبت حدود كـــل إقليم حتى يمنع التنافس بينهم وقام بتوزيع مياه النيل الضرورية لرى أراضـــى كـــل

---

(١) Helck, LA V, p. 6; Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 141 ; Gauthier, Livre des Rois I, o. 253 (1) .

(٢) Baines – Malek, op. cit., p. 141; Helck, LA V, p. 6 .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمـــة ، ص ١٧٧ ، ٣٨٠ حاشـــية (١) ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢١٣ – ٢١٤ .

إقليم .[١]

ويذكر فى نصوص مقبرته :

" عينه (أى الملك) ليكون أميرا ووراثيا وحاكما للصحراء الشرقية فى منعات خوفو . وقد أقام لوحة لحدوده الجنوبية وأمن حده الشمالى كالسماء ، وقد قسم النهر الكبير (أى النيل) إلى مائة قسم ، وصمم جلالته على إبعاد الظلم . أشرق كآتوم نفسه ، كما أصر على أن يرمم ما وجده مهدما ، وأن يرد إلى كل مدينة ما أخذته منها مدينة أخرى . وأمر أن تعرف كل مدينة حدودها مع الأخرى ، وقد كانت علامة حدودها مثل السماء (أى ظاهرة) أما مياهها فقد فصلت طبقا لما هو مسجل فى (السجلات) وتحقق هذا وفقا كما هو ثابت فى الوثائق . كل ذلك لحب جلالته للعدالة " .[٢]

وقام ومعه حاكم إقليم الوعل خنوم حتب بحملة تفتيشية على رأس أسطول بلغ عدد وحداته عشرين مركب فى مصر العليا ووصل حتى الفنتين .[٣]

وعندما تولى أمنمحات الحكم كان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت الخمسين عاما ، وفى العام الحادى والعشرين من حكمه – أى عندما بلغ سن السبعين تقريبا – قرر إشراك ولده معه فى الحكم ، حتى يعتاد على تصريف الأمور تحت إشرافه ويأمن الخلاف والطمع فى عرشه بعد رحيله . ولكن قبل أن يتم مشروعه كانت هناك محاولة بدون نجاح لاغتياله ويبدو أنه قد حدثت مؤامرة فى القصر وضعت نهاية مفاجئة لحكمه وكان ولده فى هذه الأثناء على رأس حملة على الحدود الليبية ولكن يبدو أنه رجع فى الوقت المناسب وتولى السلطة حتى لا تحدث ثورة فى الداخل .

---

(١) Faulkner, JEA 39 (1953), p. 36 – 38; Breasted, AR. I (625); Wildung, LA I, p. 955 .

(٢) ترجمة د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦ ، ص ٣٥٦ .

(٣) المرجع السابق : ص ٣٥٧ .

وهكذا لم يترك أمنمحات أى شئ يفعله خلفاؤه ، ونجح فى خلق دولة قوية لمدة قرنين ، تميزت بالسيدة والاستقرار فى سياستها الداخلية والخارجية ، وبالثراء فى المجالات الاقتصادية والفنية والأدبية .

وأهم الأعمال الأدبية فى ذلك العهد ، برديتان ، أولهما تعاليم أمنمحات لابنه سنوسرت الأول ، وصف فيها الملك بنفسه تفاصيل ما حدث وخلاصة تجاربه فى السياسة فيقول[١] :

" حدث هذا بعد وجبة المساء ، وكان الليل قد حل وقتئذ . وأعطيت نفسى ساعة للراحة ، مسترخيا على فراشى كنت استريح وبدأت أفكر فى هدوء ، ولكن فجأة أشهرت الأسلحة ، وكان هناك من يسرع نحوى ، وعندئذ قمت مثل ثعبان الصحراء ، لكى أصارع بمفردى ، (ينقص هنا سطر واحد) ممسكا باليد الأسلحة بسرعة ، وأبعدت التعساء إلى الخلف ، (ينقص سطر من جديد) وهكذا حدث هذا الشيء البغيض وأنت لم تكن معى فى ذلك الوقت ، يا بنى ، وحيث لم يكن البلاط على علم أيضا يا بنى ، إننى أسلمتك مملكتى ، حتى تجلس على العرش المزدوج " . وقد أثرت فيه هذه المحاولة ، ونصح ولده بأن يستخدم الشدة تجاه رعاياه ، وألا يثق فى إنسان وألا يتخذ صديقا من قريب فهو يقول له :

" احترس من أعوانك حتى لا يحدث لك شئ غير متوقع ، لا تقترب منهم منفردا ، لا تثق على الإطلاق فى صديق ، لا تتعرف على (أى لا تقرب) أى صديق ، لا تثق فى أى إنسان لأن هذا ليس له فائدة وعندما تقضى الليالى فأجعل

---

(١) Daumas, op. cit., p. 401 – 402 ; Weigall, op. cit., p. 71 – 73; Erman, Die Literature der Aegypter, p. 108 ; Wilson , ANET (1950) p. 418; Maspero, Les Enseignements dAmenem – het Ier (BdE6) (1914), p. 20; Simpson, Literature of Ancient Egypt, p.193; Bresciani, Litteratura Epoesia dell Antico Egitto, p. 150; Blumenthal, LA 111, p. 962 – 971; Sesana – Nelson, Memnonia 1X (1998), p. 194-196 .

ذكاءك هو حارسك لأن الإنسان لا يجب أن يعتمد على الرعية فى يوم الكارثة ، لقد أعطيت الفقير وربيت اليتيم ... ولكن من أكل طعامى هو الذى ثار ضدي ومن مددت له يدى هو الذى دبر المؤامرة ضدى . ومن كسوتهم بالكتان الغالى اعتبرونى مثل الظل (أى لا شئ) ..... " .

ويبدو أنه كان لديه من الأسباب ما يكفى لكى يتحدث بهذا الأسلوب ؛ لأنه فى خلال العشرة أو الأثنى عشر عاما الأخيرة من حكمه ، ظهر نوع من التذمر غير المؤكد ، ولهذا عندما توفى الملك المسن عاد ولده بسرعة إلى القصر لكى يتجنب حدوث فتنة .

ويفهم من نصوص رجل معاصر له يدعى خنوم حتب أنه ظهر لأمنمحات فى بداية حكمه منافسون على العرش .

والثانية هى قصة " سنوهى " وكان أحد أعضاء العائلة الملكية ، وكان خائفا من أن يتهم بالخيانة ، لذلك هرب تاركا مصر ، ويصف لنا سنوهى وفاة أمنمحات [١] :

" لقد صعد إلى السماء[٢] ، واتحد بقرص الشمس ، واختلطت أعضاؤه

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ١٦٦؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .

(٢) النص الكامل لهذه القصة محفوظ على برديتين فى متحف برلين وهناك مقتطفات منها على برديات وقطع لخاف أخرى ، راجع :,Lefebvre Romans et Contes Egyptiens, p. 41- 70; Wilson, ANE T (1958), p. 5; Daumas, op. cit., p.400; Weigall, op. cit., p. 73; Simpson, op. cit., p. 57 ; Id. LA V, p. 950 – 955 ; Bresciani, op. cit., p. 158 . وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٨ . ٣٤٣ – ٣٤٤ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١٥ حاشية (١) و ٢١٦ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٤ .

المقدسة بخالقه ، وأصبح القصر ساكنا وامتلأت قلوب الرجال بالألم وعندئذ أغلقت الأبواب المزدوجة الكبرى . وظل رجال البلاط منكسى الرؤوس ، وخيم الحزن على الشعب " . ويقول أيضا " وفى ذلك الوقت كان صاحب الجلالة (أمنمحات) قد أرسل جيشا كبيرا إلى الصحراء الغربية بقيادة ابنه الأكبر الملك سنوسرت ولما كان هذا الأخير قد أصر على هذه الحملة ، فقد أرسل نبلاء البلاط الرسل لكى يخبروه بوفاة أبيه ، وقد التقى به الرسل قرب المساء ، ودون أن يفقد أى دقيقة ، طار الصقر (أى سنوسرت) مع تابعيه دون أن تعلم باقى القوات ، ويضيف سنوهى ، " وقد ظننت أنه سوف يكون هناك قتال فى القصر " .

وبقية قصة مغامرات سنوهى تعتبر من أجمل القصص فى الأدب المصرى القديم ، ونعلم من بقيتها ، أنه اختبأ لمدة أيام فى الصحراء ، وأخذ يتقدم شيئا فشيئا نحو الشمال ، وعبر سنوهى النهر فى قارب سرى ، وبعد ذلك سار على قدميه حتى وصل إلى الحائط الكبير الذى شيده الملك المتوفى ، وهناك حاول أن يتجنب حراس الحدود ، وتغلغل فى الصحراء جنوب فلسطين ، وكان على وشك الموت ظمأ ، وأنجده رئيس الصحراء الذى سبق له أن جاء إلى مصر وتعرف عليه واستقبله بكرم ، ومن هناك بدأ ينتقل من قبيلة إلى أخرى ، حتى وصل أخيرا إلى سوريا العليا ، وتزوج من ابنة الأمير المحلى واعتنق العادات السورية ، وأطلق لحيته كوب عائلة وعاش فى تلك البلاد سنين مملوءة بالمغامرات حتى أدركته الشيخوخة والوهن فى يوم ما وبدأ يفكر فى نهايته وآلمه أن يدفن بعيدا عن ثرى مصر وزاد الحنين لرؤية الوطن الذى ولد فيه وأرسل خطابا إلى ملك مصر ، وتلقى خطابا من الملك يدعوه فيه إلى العودة ويقول له أن هروبه كان بدون سبب ، لأنه لم يتهم أحد بالخيانة على الإطلاق ، وعندئذ عاد سنوهى إلى مصر واستقبله الملك سنوسرت كأخ كان غائبا منذ وقت طويل ، وأعطاه الملابس الجديدة وأرسله عند مصفف الشعر ليقص لحيته وأعد له منزلا وأوقافا .

وجاء فى بردية سنوهى ما يلى :

" عندما اشتد شوقه لرؤية أرض الوطن قال :

" يا معبود هل قدرت لى أن أرى القطر الذى أحبه ، فلا شئ أعظم عنـــدى من أن أدفن فى الأرض التى ولدت فيها ... وأسعد فى خدمتها " (مما يدل على إنـه كان فى خدمة الملكة) . وعندما وصلت أمنيته هذه إلى مسامع الملك عفا عنه وأرسل إليه معاتبا :

" انك غادرت البلاد برغبتك " وما أن وصل خطاب العفو إلى سـنوهى ودع أولاده من ابنة الزعيم السورى . ولما وصل سنوهى ومرافقيه إلى العاصمـــة ركـب مركب وظل فيها فترة من الزمن حتى وصل إلى القصر صباحـــا ، فاســتقبلوه فـى القصر استقبالا رائعا . وعندما وصل خر على بابه ساجدا ، وما أن وصل إلى بـــهو الملك خر ساجدا أيضا ، فأمر الملك من حوله بأن يساعدوه على النـــهوض وتحـدث إليه قائلا " ها قد رجعت إلينا بعد أن طويـت الأقطـار وبعـد أن أصبحـت شـيخا كهلا " .[١]

سنوسرت الأول (١٩٧١ – ١٩٢٩ ق. م) كان للملك الجديـد سنوسـرت الأول الذى أسماه الإغريق " سيزوستريس " خبرة بشئون الحكم .[٢] وفى عـلم ١٩٧١ ق. م . أصبح والده هرما ولم يترك القصر وأصبح ولده سنوسرت هو الــذى يقـود الحملات فى آسيا والنوبة وليبيا . ويقول عنه سنوهى بأنه " هو الذى يراقب المنـاطق الأجنبية على حين والده يقطن فى داخل قصره وكان يدرك أن ما قرره أبـــوه كـان يجب أن ينفذه " . وقد عثر فى معبد الرمسيوم على بردية مهلهلة تبين احتفالات تتويج الملك سنوسرت الأول .[٣] ولعل أهم حدث خلال هذا الحكم هو إرساله لحملة حربيـة كبيرة إلى بلاد النوبة السفلى فى السنة الثامنة عشـرة من حكمه [٤] ، وذلك بغـوض

---

(١) ترجمة د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٦٣ – ٣٦٥ .

(٢) عن سنوسرت الأول ، راجع : Simpson, LA V, p. 890 – 899

(٣) Quibell, Ramesseum (1896), p. 3-5; LA 1V, p 726 (E) .

(٤) كشفت بعثة حفائر جامعة الإسكندرية عن موقع ميناء فـــى منطقـة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر بدأ فى استخدامه منـــذ عصـــر الملـك سنوسرت الأول ، راجع : د. عبد المنعم عبـد الحليـم : البحـر الأحمـر وظهيره فى العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ٧٢ – ٩٥ .

===

إخضاع القبائل الزنجية التي تعيش في تلك المنطقة والتي كانت تعتبر فيما سبق كبلاد للأرواح ، وقد نجح في بسط نفوذه حتى الجندل الثالث .[١] وقد نفذت هذه الحملة بنجاح كبير ، وعين أمير مصري يسمى " جفا إي حعبي " [٢] حاكما لتلك المناطق الجديدة في كرما ، وقد توفي هناك ودفن في احتفال كبير . ويبدو أن الملك قد استولى أيضا على مناجم الذهب في وادي العلاقي . ولكي يصل إلى هذه المناجم كان لابد له من أن يرحل من وادي حلفا ، ولكي يؤمن سلامة البعثات ، لجأ سنوسرت إلى إقامة التحصينات عند كوبان حتى بوهن عند الجندل الثاني . وعند هذا الجندل أنشأ طريقا تجاريا يؤدي إلى كرما تحميه الحصون ، واستغل محاجر الديوريت التي كانت تستخدمها بعثات الملك خوفو في غرب توشكا .

كانت البعثات تقوم بنقل النحاس من وادي الهودي جنوب أسوان ، والذهب والرخام الأخضر من وادي الحمامات تجاه قفط [٣] ، وقد أرسل حملة إلى هناك في العام الثامن والثلاثين من حكمه مكونة من سبعة عشر ألفا من الرجال لقطع الأحجار لعمل ستين تمثالا على هيئة أبي الهول ومائة وخمسين تمثالا .[٤] وعثر على اسمه

=== Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford (1980), p 19 . واستخدم هذا الميناء للإنطلاق إلى بلاد بونت . وجدد هذا الميناء في عصر الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والعصر الفارسي كما كشف عن معبد في نهاية وادي جواسيس من عصر الأسرة الثانية عشرة وهذا ما يفسر العثور على لوحات وبقايا مقاصير .

(١) وأطلقت النصوص المصرية اسم " كاش " منذ ذلك الحين على منطقة النوبة العليا ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) ويعني الاسم " غذائي أو موردي (هو) الفيضان " راجع : Beinlich, LA I, p. 1105 .

(٣) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) Daumas,op. cit., p. 76; Simpson, JNES 18 (1959), p. 20-37

أيضا فى محاجر حاتنوب [١] وعلى لوحة للوزير إنتف – إقر التى عثر عليها فى وادى جواسيس تسجل نقوشها أمرا صدر من الملك سنوسرت الأول إلى الوزير لبناء سفنا لإرسالها إلى منطقة مناجم بونت.كما أن هناك نقوش بقايا مقصورة كانت مقامة فى وادى جواسيس لشخص يدعى عنخو ، كان رئيسا للبحارة فى عصر هذا الملك وتسجل نقوشها أخبار بعثة بحرية إلى مناجم بلاد بونت فى ثلاثة أماكن متفرقة من النص [٢]، وأرسل الحملات إلى الغرب لتأديب ومراقبة الليبيين كما تبين لنا قصة سنوهى .[٣] وحكم هذا الملك أكثر من ٤٢ عاما .[٤]

وبفضل هذه الحملات ضد الليبيين فى الغرب أصبح من السهل الاتصال بالواحات وخاصة أبيدوس حتى الخارجة . ومن ناحية آسيا ، فإذا كان الملك لا يمتلك مناطق نفوذ فيها لأن علاقاته مع أمراء فلسطين وسوريا كانت قوية وأيضا مع الإمارات الصغيرة وكانت اللغة المصرية معروفة فى البلاط الأسيوى والعلاقات مع ببيلوس تأكدت بواسطة العثور على آثار هناك تحمل اسم هذا الملك .[٥]

وشيد الملك الكثير من المبانى ، وفى مصر ظلت بقايا المعابد التى شيدها ، وأهم تلك المعابد كان يوجد فى ايونو حيث بقيت حتى الآن إحدى مسلاته الكبيرة التى كانت تقوم أمام المعبد ، وهى عبارة عن كتلة واحدة من الجرانيت الأحمر الوردى ، يبلغ ارتفاعها أكثر من ٢٠ مترا وتزن ١٢١ طنا ، جئ بها من محاجر الجندل الأول ، ونقلت ووضعت مكانها بمهارة بالغة ، مما يدل على أعماله الكبرى لصالح المعبود رع .

---

(١) Grdseloff, ASAE 51 (1951), p. 143 – 146 .

(٢) د. رمضان عبده : بونت وتانثر فى مجلة التاريخ والمستقبل ، العدد الثانى يوليو ١٩٩٩ ، ص ١٢ – ١٥ (١٧ ، ١٩) .

(٣) Posener, op. cit., p. 53, 104 .

(٤) تذكر بردية تورين انه حكم ٤٥ عاما ويذكر مانيتون أنه حكم ٤٦ عاما وهناك آثار مؤرخة بالعام الرابع والأربعين من حكمه ، راجع : Gauthier, Livre des Rois I, p. 265 (2) , (3 – 5) .

(٥) Daumas, op. cit., p. 79; Montet, le Pays de Negau (Revue Syria 4) (1923), p. 183; Id., Quelques objets Provenat de Byblos, (Revue Syria 10) (1929), p. 11 – 13 .

وقد شيد هذا المعبد فى السنة الثالثة من حكمه . وقد بدأ العمل فى بناء هرمه بالقرب من إيثت تاوى – العاصمة – وقام بتشييده المدعو سنوسرت عنخ [١] ويبلغ ارتفاعه الأصلى ٦١ مترا . وكان يحمل اسم : " بتر سنوسرت تاوى " أى سنوسرت ينظر الأرضين " .[٢] ويحمل المعبد الجنائزى اسم " غنمت سوت " أى " الأماكن المندمجة ". [٣] وقد عثر على بقايا المعبد الجنائزى وعشرة تماثيل جميلة تمثل الملك جالسا على العرش . وهى تمثل الملك شابا وديعا جميل السمات رسمت على شفتيه ابتسامة هادئة . وكان يؤدى إلى المعبد الجنائزى لهرم الملك طريق صاعد مسقوف .[٤] وعثر له فى الكرنك على مقصورة للقارب المقدس من الحجر الجيرى الأبيض الناصع . ولهذا تعرف باسم " المقصورة البيضاء " . وكانت مفككة واستخدمت فى بناء الصرح الثالث فى الكرنك . وقد عثر عليها الأثرى المعمارى الفرنسى " شفرييه Chevrier " كاملة وأعاد ترميمها من جديد ، وهى تعتبر من أجمل الأعمال المعمارية الصغيرة .[٥] وعثر على اسمه على العديد من الآثار فى المناطق الأثرية فى الفيوم حيث أقام معبدا هناك لم يبق منه إلا كتل حجرية وأقام معبدا فى منطقة عرب الأطاولة بأسيوط وفى العرابة المدفونة وفى دندرة وفى قفط وفى جزيرة فيلة وهيراقونبوليس ونخن . وأعاد بناء معبد مونتو فى طود الذى أقامه على طراز المعبد القديم .[٦]

وقد أشرنا إلى أن من أهم رجال عصره جفا إى حعبى الذى كان يشغل وظيفة رئيس زعماء الجنوب فى كرما ، والمندوب التجارى لمصر هناك وكان له مقبرة هناك ، ومقبرة أخرى فى أسيوط سجلت نقوشها عقودا خاصة بهبة من

---

(١) Baines – Malek, op.cit., p. 141; Gauthier, op.cit., I, p.265.

(٢) Helck, LA V, p. .6; Baines – Malek, op. cit., p. 141 .
د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٠٧ – ٣١١ شكل ١١١ .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٦١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٨٣ .

(٥) Lacau – Chevrier, Une Chapelle de Sesostris Ia Karnak, p. 2 .

(٦) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٨٢ – ١٨٣ ، شكل ٦٥ ؛ PM 1V, 99; V, p. 174, 191, 196, 200 .

الأراضى عقدها مع كهنة المعبد المحلى وببواوت[١] ، فقد عين كاهنا للروح ليشـوف على الطقوس الجنائزية الخاصة به بعد وفاته وأوقف على مقبرته الأراضى والعبيـد والماشية .[٢]

وهناك سارنبوت الذى عينه سنوسرت الأول بعد انتصاراته على الجنـوب حاكما على أملاكه الجديدة فى الجنوب . وهو الذى أشرف على المراحل الأولى فـى تشييد الحصون فى الجنوب . وقد قص علينا سارنبوت تاريخ حياته فى نقوش مقبرتـه فى أسوان .[٣] وهناك أيضا أمنمحات المسمى امينى الذى يقص علينا فى مقبرته فـى بنى حسن قصة اشتراكه مع الملك سنوسرت الأول فى حروبه ضد النوبيين . وفـى حملة أخرى كان على رأس ٤٠٠ جندى لإحضار الذهب من المناجم هنـاك . وقـام بحملة ثانية على رأس ٦٠٠ جندى للبحث عن الذهب فى الجبال ما بين حدود مصـر والبحر الأحمر . وبصفته حاكما لإقليم الوعل فى مصر الوسطى فإنه يذكر أنه توخـى العدالة فى حكم إقليمه ولم يسئ إلى أى مواطن قط ولم يزجر أرملة ، ولم يقس علـى مزارع . ولم يبعد راعيا . وتحدث عن سنوات حكمه وكيف أشرف علـى اسـتغلال أراضى إقليمه الزراعية لتوفير الأقوات للناس .[٤] وهناك كذلك من عهد سنوسـرت الأول المقبرة رقم ٦٠ فى جبانة شيخ عبد القرنة والتى تخص حاكم المقاطعة والوزير " انتف " ولكى يتجنب عودة الأحداث الدامية التى صاحبت نهاية حكم أبيـه ، عمـد سنوسرت إلى مشاركة ابنه الأكبر معه فى الحكم أثناء حياته ويبدو أن خلفاءه الذيـن

---

(١) Graefe, LA V1, p. 862 – 864 .

(٢) Weigall, op. cit., p. 73; Reisner, JEA 5 (1918), p. 79 – 89; Griffith, The Inscriptions of Siut and Der Rifeh, p. 2, Montet, Kemi I (1928), p. 53 .

(٣) عن هذه الشخصية ، راجع : Habachi, LA 11, p. 1121

(٤) R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٩ ؛ د. عبد الحميد صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

اتبعوه ساروا على نفس السياسة .

وبالفعل عندما بلغ سنوسرت الأول سن السبعين ، أشرك معه ، فى الحكم ولده أمنمحات الثانى ، ولكن الملك المسن توفى أثناء السنة الرابعة من الحكم المشترك ، وبقى ولده يحكم بمفرده بعد ذلك .

أمنمحات الثانى (١٩٢٩ – ١٨٩٢ ق. م) [١] :

اختار الملك الجديد لبناء هرمه مكانا منعزلا فى الصحراء على بعد ٨ كم جنوب الهرم المدرج بناحية دهشور ، ويبدو أن مشاريع أبيه قد أثرت فى الخزائن لذلك لجأ إلى خفض التكاليف وخلط بناء الأحجار بالطوب اللبن ، وكان يحمل اسم " جفا امنمحات " أى " رخاء امنمحات "[١] وكان المعبد الجنائزى يحمل اسم " آخ ست ايب امنمحات " أى " إشراق المكان المفضل لأمنمحات " .[٢] وكان هناك طريق صاعد عثر على بقاياه ولكن لم يعثر على معبد الوادى وعثر بالقرب من هرمه على مقابر بعض الأميرات ، التى عثر فيها رجال الحفائر على حلى فاخرة تزين المتحف المصرى الآن ، منها عقود من الذهب ومن الأحجار الكريمة وأدوات أخرى مغطاة بصفائح من الذهب ومنها خنجر مطعم بالذهب ومختلف الرموز الملكية . وقد بلغت صناعة هذه الحلى درجة كبيرة من الإتقان تدل على ذوق فنى رفيع . وقد عثر له فى منطقة الطود عام ١٩٢٦ على بعض الآثار فى ودائع الأساس ، وهى عبارة عن صناديق مصنوعة من البرونز وبداخلها أوانى ذهبية وفضية تدل على وجود علاقة بينه وبين آسيا الصغرى وبحر ايجه .[٣]

---

(١) عن عصر هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LAI, p. 189 - 190

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣١١ – ٣١٢ Baines-Malek, op. cit., p. 141; Gauthier, op. cit., I p. 284 (3); Helck, LA V, p. 6.

(٣) فقد عثر فى صندوق من النحاس عليه اسم أمنمحات الثانى ، كان يحتوى على العديد من الأوانى والهدايا الفينيقية أو تقليد كريتى وأختام أسطوانية من بلاد النهرين التى كانت هدايا من بعض المدن الآسيوية لهذا الملك ، راجع : Daumas, op. cit., p. 81; Bisson de La Roque, Depot Asiatque trouvé `a Tôd (1834 – 1936), p. 113 .

وقد عثر على آثار أخرى لامنمحات فى الأشمونين وفى منف وفى الديدمون قرب فاقوس وتل فرعون (نبيشه) .[١] فالطراز الفنى لهذه الأوانى هو طراز غريب عن الفن المصرى . ولم يختلف هذا الملك عن غيره من الملوك فقد أرسل البعثات لاستخراج المعادن فى سيناء وأيضا إلى محاجر المرمر فى حاتنوب . وأرسل بعثة إلى بلاد بونت ، وإلى جانب ما أحضرته البعثة من مواد ومنتجات هذه البلاد ، فقد أتاحت هذه البعثة للبحارة فرصة تأليف القصص الطريفة ، منها قصة " بحار السفينة الغارقة " أو " الملاح الذى نجا " وتسمى أيضا بقصة " جزيرة الثعبان " ويرجع أصلها إلى بداية الأسرة الثانية عشرة وهى معروفة باسم بردية " جولنيشف " ومحفوظة الآن فى متحف الأرميتاج فى لينينجراد .[٢]

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يذهب فيها المصريون إلى بلاد بونت لإحضار الصمغ والبخور ، ولكن مثل هذه الرحلات كانت مملوءة بالمخاطر والمصاعب ، فكانوا يرحلون من قفط ويعبرون الصحراء حتى يصلوا إلى البحر الأحمر وهناك كانوا يعدون السفن للاتجاه إلى الجنوب ، ومن هنا ولدت قصة " الملاح الذى نجا " فيقص علينا : فى البداية كان على مركب يستقلها معه مائة وعشرون بحارا من خيرة ملاحى مصر ، كانت لهم قلوب السود ، يراقبون السماء والأرض ويتنبأون بالعواصف قبل أن تحدث ، وبالفعل قامت العاصفة وغرق المركب ولم يبق منهم غير راوى القصة ، الذى حملته أمواج البحر وألقت به على جزيرة وأمضى هناك ثلاثة أيام وحيدا لا أنيس معه ، وكان يبحث عن أى شئ يقتات به ووجد فوق

---

(١) PM 1V, 168; Roeder, MDA1K 2, p. 123; t. 7, p. 12-17; Z AS 22, p. 2 .

(٢) Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, p. 20 – 40; lichtheim, Ancient Egyptian Literature (1973), p. 211; Simpson, op. cit., p. 50 ; Id., in LA V, p. 619 – 622 ; Bresciani, op. cit., p. 173; Noblecourt, Memnonia 1X (1998), p. 59-66 . وهى معروفة باسم " الملاح الغريق " ، راجع : د. عبد الحميد زايد :المرجع السابق، ص ٢٨؛ ولكن د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ يسميها " نجاة الملاح " ، ويسميها أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصسو ، ص ٧٣ بـ " قصة البحار " أو " البحار الغريق " ؛ د. رمضان عبده : بونت وتا – نثر فى مصر القديمة فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب – جامعة المنيا ، العدد الثانى يوليو ١٩٩٩ ، ص ١٥ – ١٨ (٢١) .

أرض الجزيرة ، التين والعنب والخضراوات من كل الأنواع وثمار الجميز والخيار ، وكان هناك أيضا أسماك وطيور ، وأشعل نارا وقدم القرابين للمعبودات شكرا لها على نجاته ، ثم سمع صوتا مثل الرعد وظن أنه آت من البحر . وعندما كشف عن وجهه وجد أمامه ثعبانا كبيرا يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وله لحية طولها أكثر من ذراعين ، وأعضاؤه مغطاة بالذهب ، وحاجباه من اللازورد الحقيقى ، وفتح فمه نحو الملاح على حين كان هو منبطحا أمامه وقال له : " من أحضرك هنا ، من أحضرك يا صغير . من أحضرك ، وإذا تأخرت عن إجابتى عن من أحضرك إلى هذه الجزيرة سوف تتحول إلى رماد ... " .[1] فرد عليه بأنه كان ذاهبا فى بعثة ملكية فى سفينة بحرية بلغ طولها مائة وعشرين ذراعا وبلغ عرضها أربعين ذراعا ، مع مائة وعشرين من خيرة ملاحى مصر ، يتصفون بالشجاعة والإقدام مثل الأسود ، وأخيرا تعرضت السفينة لعاصفة وتحطمت وغرقت ، وقال له عندئذ لا تخف ، لا تخف يا صغير ، إن المعبود أراد أن تحيا ، لأنه اصطحبك هنا إلى جزيرة الروح . سوف تمضى شهرا يلى شهرا حتى أربعة وبعد ذلك تأتى مركب لتعود بها إلى بلدك مع بحارة تعرفهم ، سوف تعود معهم وتتوفى فى مدينتك ، وقص عليه الثعبان قصته التى حدثت له على هذه الجزيرة ، وإنه كان مع بنى جنسه وكان يوجد من بينهم أطفال ، وكان عددهم جميعا خمسة وسبعين ثعبانا ، وكان يوجد أيضا فتاة صغيرة السن ، وهبت لهذا الثعبان عن طريق الطقوس والدعاء . وحدث أن سقطت نجمة من السماء وأهلكوا جميعا بنارها ، وحرقوا جميعا دون أن يكون بينهم ، وقد أوشك أن يموت بسببهم عندما وجدهم كومة واحدة من الجثث . وقال للملاح كن قويا وسوف تصبح بين أولادك وتقبل زوجتك وسوف ترى منزلك وهو أهم من كل شئ وسوف تصل إلى وطنك حيث تعيش بين إخوانك . وقال له الملاح سوف أحكى عن قوتك وعن عظمتك للملك . وسوف أعمل على أن يحضر لك البخور والعطور ، وسوف أنحر من أجلك الثيران والطيور وسوف أعمل على أن تأتى إليك المراكب محملة بكل منتجات مصر

---

(١) Lefebvre, op. cit., p. 34 .

الثمينة كما تقـدم للمعبود الذى يحبه الناس . وهنا ضحك منه الثعبان ومما قالــه ... وقال له أن ما تتحدث عنه من بخور وعطور يوجد فى هذه الجزيرة وقال فى السـطر ١٥٠ : " أنك لا تملك الكثير من المر (بينما أنا) نشأت كسيد للبخور . وأنا بالتـأكيد حاكم بونت والمر الذى بها يخصنى . (أما عن) عطر – هكنو هذا الذى قلت أنـك تستطيع إحضاره فانه المنتج الرئيسى لهذه الجزيرة "، وعندما تترك هذا المكان فـإنك لن ترى هذه الجزيرة التى سوف تختفى تحت الأمواج . وعندئذ جاءت المركب كمـا تنبأ . وعندما ذهب الملاح ليخبره بذلك وجده على علم بهذا قبل أن يحدث . وقال لـه عد فى صحة يا صغير إلى منزلك لترى أولادك وأعمل لى سمعة طيبة فـى مدينتـك فهذا كل ما أطلبه منك ، وأعطاه حمولة من العطور والزيوت والبخور وكلابا للصيـد وقردة وكل المنتجات الطيبة . وحمل كل ذلك فى المركب وقال الملاح : " ثم أعطـانى حمولة من المر وعطر – هكنو وعطـر iwdnbw والتوابـل والبـهارات ومنتـج الـ š3c- ch وكحل أسود وذيول زراف وزكائب كبيرة من البخور وسن فيل وكـلاب صيد وقردة ونسانيس وكل النفائس الطيبة ثم حملت (كل) ذلك إلى هذا المركـب " . وقال له سوف تصل إلى بلدك فى غضون شهرين ، ورحلت المركب ووصلـت فـى شهرين تماما كما قال . وهنا قدم الملاح إلى الأمير كل الهدايا التى أحضرها من هـذه الجزيرة وشكره الأمير أمام نبلاء البلاد كلها ورفعه إلى مرتبة صديق .[١] كما عـثر على لوحة للمدعو خنتى – ور الأمير الوراثى من عصر هذا الملك ، عثر عليها فـى الموقع الرومانى بوادى جواسيس ، ولكن يبدو أنها كانت مقامة فى الأصل بالقرب من مرسى ميناء وادى جواسيس ، وتذكر نصوصها عودة خنتى – ور مـن بونـت ؛ " التعبد للمبعود وأداء الابتهالات إلى مين قفط بواسطة الأمير الوراثـى " حـامل ختـم الوجه البحرى ، المشرف على القاعة، خنتى – ور وذلك بعد وصوله بسلام من بـلاد بونت وقواته معه ورسى بأسطوله بسلام فى ساوو " . وهو اسم الميناء البحرى فـى وادى جواسيس .[٢]

---

(١) Daumas, op. cit., p. 399 .

(٢) د. رمضان عبده : بونت وتانثر فى مجلة التـاريخ والمسـتقبل ، كليـة الآداب – جامعة المنيا ، ص ١٨ (٢٢) .

وقد سجل موظف من عصر الملك أمنمحات الثانى ويدعى ساحتحور على لوحته الجنائزية التى عثر عليها فى أبيدوس ، انه أحضر منتجات أراضى المناجم من بلاد النوبة .[١] وكان نشاط أمنمحات الثانى موجها بصفة خاصة إلى استغلال مناجم المعادن والأحجار نصف الكريمة .[٢]

وقد اشرك أمنمحات الثانى معه ولده فى الحكم كما فعل سلفه ولكنه توفى فى السنة السابعة من الحكم المشترك .[٣] وتوفى الملك نفسه بعد أن حكم على العرش أكثر من خمسة وثلاثين عاما .[٤]

سنوسرت الثانى (١٨٩٧ – ١٨٧٨ ق.م)[٥] :

فى بداية حكمه حدث تهديد خطير من الجنوب ، حيث بدأت القبائل من الأصل الزنجى والتى سبق أن غزاها سنوسرت الأول ، تثور وترفض طاعة مصر واحتلت كل الأراضى جنوب الجندل الثانى وبدأت تهدد بغزو حدود مصر الجنوبية ، وهناك لوحة صخرية فى أسوان للمدعو " حابو " يذكر عليها أنه زار بلاد النوبة فى العام الثالث من حكم سنوسرت الثانى ليتفقد طريق " واوات " .[٦]

أما فى الشرق فقد عاملت مصر رؤساء القبائل البدو التى تسكن الصحراء الشرقية باحترام ؛ وذلك لضمان صداقتهم ومساعدتهم . وفى إحدى مقابر بنى حسن فى هذه الفترة وهى مقبرة خنوم حتب الثانى (رقم ٣)[٧] ، نرى وصول أحد أمراء

---

(١) ولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة حندوسة) ١٩٧٠ ، ص ١٦١ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢١٩ .

(٣) Weigall, op. cit., p. 71 .

(٤) يذكر مانيتون أنه حكم ٣٨ عاما، وهناك آثار مؤرخة بالعام ٣٥ من حكمه ، راجع : Gauthier, Livre des Rois I, p. 284 (3) n. (3-4)

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Simpson, LA V, p. 899 – 403

(٦) ولتر إمرى : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٧) Wildung, LA I, p. 955 كما أن هناك مقبرة خنوم حتب الثالث (بدون رقم) ومقبرة خنوم الرابع (رقم ٤) وهو ابن خنوم حتب الثانى ، راجع : Id., LA I, p. 456 – 457 .

الصحراء فى السنة السادسة من هذا الحكم ، وكان يسمى " ابشاى Abshai " الـــذى كان رئيسا لقبيلة من الآسيويين فى جنوب فلسطين . وقد مثل ابشاى مع ستة وثلاثيــن شخصا من قبيلته ، رجالا ونساء وأطفالا ، يرتدون جميعـــا الملابــس الفـــاخرة ذات الألوان المتعددة ، وكان الرجال يطلقون لحيتهم ومسلحين بالأقواس والسهام ،،وكـــان للنساء شعر طويل أسود ، وكن يلبسن النعل وليس الصندل كما فى مصـــر ، وهـــذا التمثيل يعطينا فكرة عن أشكال تلك الأجناس . وصورة من العلاقـــات بيــن مصـــر وآسيا ، وكان خنوم حتب الثانى فى استقبال هذا الوفد ، فهل جاءوا إلى إقليم الوعـــل بمصر الوسطى بغرض الزيارة ، أو بغرض التبادل التجارى خاصة وأنـــهم جـــاءوا يحملون منتجات بلادهم ، أو بغرض الاستقرار وبحثا عن سبل العيش ، أو أنهم مروا بهذا الإقليم فى إحدى مراحل تنقلاتهم العديدة بحثا عن أماكن للهجرة فى مصر[1] ؟.

طال حكم هذا الملكحتى زاد على تسعة عشر عاما [2] ، وقام ببعض النشاط المعمارى فى هيراقليوبوليس .[3] وعثر له على لوحة فى وادى جواسيس وقد شـــيد سنوسرت هرمه فى منطقة اللاهون على بعد ٤٠ كم جنوب إيثت تاوى عند مدخـــل الفيوم وأصبح مدخل الهرم فى عهد هذا الملك فى الجانب الجنوبى .[4] وكان المعبـــد الجنائزى يحمل اسم " سخم سنوسرت " أى " قوة سنوسرت " .[5] وأقامه فوق صخرة

----

(١) Newberry, Beni – Hassan I, p. 23 – 31; Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 639; Vergote, Joseph en Egypte (1969), p. 16 . وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع الســـابق ، ص ٢٩ ؛ د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٨٧ (١) .

(٢) تذكر بردية تورين انه حكم ١٩ عاما ؛ ويذكر مانيتون أنه حكـــم ٤٨ عامـــا وهناك اثار مؤرخة بالعام الثالث عشر من حكمه ، راجع : Gauthier, op. cit., I, p. 295 (4) n. (2-4) .

(٣) Naville, Ahnas el – Medineh . London (1894) , p. 25; Nibbi, JEA 62, p. 45 - 56 .

(٤) د.أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٨٠ ؛ د. أحمد فخـــرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣١٣ – ٣١٧ .

(٥) Gauthier, op. cit., I, p. 295 (4) n. (5); Helck, LAV, p. 6 .

وأكمل البناء بالأحجار والطوب اللبن وكساه بالحجر الجيرى الأبيض وقد عثر أيضـــا على مدينة الهرم بجوار معبد الوادى ، التى كانت تشمل حجرات العمال والمشـــرفين ومساكن موظفيه .(١) وهى من أقدم مدن العمال . وقد عثر فيها على مجموعـــة مـــن أوراق البردى الخاصة بالطب والحساب والقانون والإدارة والأدب .(٢) وعلى مقربـــة من هرمه عثر على عـــدد كبير من المصاطب لأفراد عائلته ورجال بلاطه .

وقد اهتم سنوسرت الثانى بالفيوم وهو أول من بدأ مشروع التحكم فى ميـــاه النيل عند الفيوم واستغلال المياه فى رى الأراضى .

وقد توفى الملك قبل أن يصل إلى السن الذى يستطيع أن يعين له شريك فى الحكـــم . وأهم ما يبين غنى الأدب فى هذه الفترة ، برديتان من عهد سنوسرت الثانى .

الأولى : عبارة عن مجموعة من التأملات (٣) ، وبعـــض الصيـــغ وبحـــث بإمعان عما يوجد القلب . كتبت بواسطة كاهن مطهر من هليوبوليس يسمى خع خـــبر رع سنب المسمى أيضا عنخو (٤) ، وهو يريد أن يجد كلمات يصف بها حالة لم يشعر بها من قبل ذلك . وكتبت هذه البردية على لوح صبى من تلاميـــذ الأســرة الثامنـــة عشرة ، ويوجد هذا اللوح الآن فى المتحف البريطانى ، ويقول فيها : (٥)

---

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣١٣ – ٤١٤ .

(٢) هذه البردية محفوظة بمتحف برلين، Petrie, IIlahun, Kahun and Gurob I (1889 – 1800), p. 1 14; Borchardt, ZAS 32 (1894), p. 97 – 98 ; Simpson, LA 1V, 712 (A) ; وأيضا د. عبد العزيز صـــالح : المرجع السابق ، ص ١٧١ ، حاشية (١) .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤١٣ .

(٤) Helck, LA 111, p. 977 .

(٥) Posener, RdE 6 (1949), p. 37 ; Daumas, op. cit., p. 402 – 403;Lichtheim, op, cit., p. 145; Simpson, Literature of Ancient Egypt, p. 230; Bresciani, op. cit., p. 139 .

" آه لو أننى أعرف شيئا لا يعرفه (الآخرون حتى الآن) شيئا لم يتكرر من قبل على الإطلاق ، لكى اقوله ويجيبنى قلبى . لكى أرى بوضوح مأساتى وأبعد ذلك الحمل الذى يجثم على كاهلى "، ويقول : " لأن أى قلب آخر يرفض أن يستمع إلى هذا " " آه لو استطعت أن أملك قلبا صلبا يتحمل الأهوال ، حينئذ سأركن إليه وأصب فى حناياه من معانى العطف ولو وددت سوف ألقى بأسباب شجنى عليه " ، ثم يخاطب قلبه قائلا : " اقترب أى قلبى أحادثك تعال أسألك وتجيب على أسئلتى ولتكن لى دليلا تبصرنى عما يجرى فى أنحاء البلاد " .[1]

والثانية : هى حوار اليأس من الحياة مع روحه وقصائد عازف القيثارة اللتين تحدثنا عنهما فى نهاية الدول القديمة . وكانت هذه القصائد تلقى فى الحفلات الرسمية ، ويغنيها عازف القيثارة وقام بتسجيلها بعض الكتبة على بعض لوحات المقابر وعلى بعض صفحات جدران المقابر .

سنوسرت الثالث (١٨٧٨ - ١٨٤١ ق. م) [2] :

يعتبر هذا الملك من أكبر ملوك مصر وكانت ذكراه التى رددتها العصور مدعاة لعدة أساطير جمعها الإغريق فى العصور المتأخرة ، وكان من أكبر سلالة ملوك هذه الأسرة ، وقد ترك ذكراه بعد مرور قرنين كملك قوى وفاتح موهوب الجانب ، ورفع إلى مصاف المعبودات . ففى بلاد النوبة اتبع السياسة التى بدأها سلفاه أمنمحات الأول وسنوسرت الأول وأكمل ما تركوه بتحقيق المحافظة على النفوذ المصرى هناك . ولحماية مصر من هذا الخطر قام الملك سنوسرت الثالث بإقامة عدة تحصينات قوية ، عبارة عن حائط كبير من الطوب اللبن بطول الشاطئ الشرقى

(١) Daumas, op. cit., p. 403; Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, p. 95 . وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥١ حاشية (١) .

(٢) عن سنوسرت الثالث ، راجع : Simpson, LAV, p. 903 - 906

للنيل ، عند الجندل الأول . وهكذا وضع نهاية للتهديد الذى تعرضت له البلاد من الجنوب من غزو زنجي ، وثبت الحدود المصرية عند الجندل الثانى ، وقام بأربع حملات ضد هذه القبائل ، ونجح فى إصلاح الوضع وشيد على الحدود الجديدة ثلاثة حصون كبيرة واحد على كل شاطئ للنيل فى سمنة وقمة،والثالث على جزيرة فى وسط نهر النيل ، بالقرب من وادى حلفا . ولتسهيل السيطرة على الجنوب ، لجأ إلى فتح قناة فى الجندل الأول للحد من شدة التيار ولكى يسمح للمراكب بأن تمر بسرعة وكذلك لتسهيل رسو المراكب فى هذا الجزء الوعر من النهر ، حيث كانت المراكب تشد على معابر صناعية عبر التيار ، أو أنها كانت تربط بالحبار عند إنزالها النهر ، وقد سميت هذه القناة باسم " حسنة طرق خع كاورع " ، وقد أقام فى سمنة تمثالا كبيرا لشخصه ولوحات لكي يحدد مكان الحدود .[١] وقد عثر هناك على لوحة تقص نقوشها أنه شيدها " لكى يمنع أى زنجى من أن يعبرها عن طريق البر أو النيل ، على قارب أو مع قطعانه من الماشية على الإطلاق ، وذلك إلا بإذن خاص " .

وهناك نقش آخر أقيم فيما بعد ببضع سنوات يبين مدى الخوف العميق الذى شعر به المصريون لمدة طويلة ودهشتهم عندما رأوا أنهم استطاعوا إخضاع هذه القبائل الزنجية القوية . ويقول الملك فى هذا النقش [٢] : " إن هؤلاء الزنوج ليسوا أناسا شجعانا بعد كل هذا : إنهم تعساء ومجردون من الشجاعة ، لقد رآهم جلالتى وهذا ليس كذبا ، لقد أسرت نساءهم واصطحبت رعاياهم ، وذهبت حتى آبارهم ، وقضيت على ماشيتهم وأحرقت غلالهم ، وأقسم بحياتى وبأبى ، أننى أقول الحقيقة وليس هناك أية فرية تخرج من فمى فيما يتعلق بهذا الموضوع " .

وفى الحقيقة أن المصريين كانوا يخشون هؤلاء الزنوج . ويقسم الملك فى نقوشه ويؤكد أنهم ليسوا إلا شعبا ضعيفا ، ويتحدث الملك تحوتمس الثالث عن هذه الأعمال ويرفع سنوسرت الثالث إلى مصاف المعبودات حيث أقام له عبادة فى معبد

---

(١) Daumas, op. cit., p. 78 – 81.

(٢) Waigall, op. cit., p. 76 .

سمنة ، ويتحدث هيرودوت أيضا عن الغزوات التى قام بها الملك الكبير ويقـول [١] :
" إنه تقدم بأسطول من مراكب الحرب من البحـر الأحمـر نحـو شـواطئ البحـر الأرتيرى وأخضع القبائل فى أثناء مروره ، حتى وصل أخيرا إلـى بحـر لا يمكـن الإبحار فيه نظرا لمياهه الضحلة ، ومن هنا عاد إلى مصر " . وقد عثر على نـص من عصر لاحق ، فى تل بسطة يؤكد هذه الحملة ويشير إليها .

وهكذا ضمنت مصر الدفاع عن الجنوب ضد غزو متوقـع مـن العنـاصر الزنجية ، وضمن السكان الذين يعيشون فى اضطراب فى تلك المناطق ، نوعا مـن الهدوء . وللأسف ردمت هذه القناة التى حفرها عند الجنـدل الأول ليسـهل عمليـة الوصول إلى وراءها . ويبلغ عدد ما أقامه هناك حوالى أربع عشرة قلعة وحصنا [٢] مزودة كل منها بدار للعبادة ، وأصبح محل تقديس فى منطقة سمنة وفى معبد عمـدا ببلاد النوبة [٣] ، ومعبد بوهن [٤] ، وقد وجه هو نفسه فى أحد لوحاته رسـالة إلـى الأجيال المقبلة :

" إن أيا من أبنائى يحافظ على هذه الحدود التى أقرها جلالتى فإنه ابنـى وولـد مـن صلبى وأما من يدمرها ويفشل فى الحفاظ عليها فليـس ابنـا لـى ولـم يولـد مـن صلبى " .[٥]

---

(١) Id., op. cit., p. 76 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨٥ ؛ Smither, JEA 31 (1945), p. 3 – 10 .

(٣) Weigall, Lower Nubia, p. 104 .

(٤) Maciver – Wooley, Buhen (1911), p. 41- 42; Wilbour – Maspero, RT 13 (1891), p. 202 .

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣١ ؛ جاردنر : مصر الفراعنـة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) ، ص ١٥٦ .

وقد حارب أيضا فى الشمال فى فلسطين ، ووصل إلى رتنو فى سوريا ، فقد أرسل سنوسرت أحد قواده " سبك خو " على رأس حملة إلى فلسطين وصل فيها إلى مدينة سشم ومن نتائج هذه الحملة أنها زادت من سيطرة مصر على فلسطين وسوريا .[1] كان سنوسرت الأول أو الثالث (؟) أول من فكر فى ربط البحر المتوسط والبحر الأحمر عن طريق قناة تخرج من الفرع البوباسطى للنيل ثم تمتد خلال وادى الطميلات حتى تنتهى إلى البحيرات المرة .[2]

---

(١) Posener, Dictionnaire de La Civilisation Egyptienne, p. 265

(٢) نسب بلينى أقدم مشروع لهذه القناة إلى عهد الملك " سيزوستريس " ورأى بعض علماء المصريات أن هذا الاسم هو اسم محرف لاسم سنوسرت الأول أو الثالث (؟) ، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١٧٠ . ويذكر بوزنر أن التقاليد هى التى تنسب إلى أحد الملوك وهو " سيزوستريس " إنه كان أول من شق هذه القناة ، راجع : . Posener, op. cit.,p. 41

وينفى د. عبد المنعم وجود هذه القناة فى عصر الأسرة الثانية عشرة ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : " قناة النيل – البحر الأحمر المسماة " قناة سيزوستريس " وأدلة عدم وجودها فى العصر الفرعونى " ، دراسة ظهرت فى مؤلفه : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ١٩٩ – ٢٠٥ .

ويذكر أن الذى حفر هذه القناة هو الملك الفارسى دارا الأول . وفى رأينا أن الذى أمر بحفر القناة فى بداية الأمر هو أحد ملكين : إما سنوسرت الأول أو الثالث (؟) عن هذه القناة فى عصر نكاو ودارا الأول ، راجع مؤلفنا هذا : " تاريخ مصر القديم " الجزء الثانى ، ص ٤٢٥ – ٤٢٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

يرى بعض العلماء أنها طهرت فى عصر البطالمة وأقيمت أهوسة عند اتصالها بالبحر الأحمر . ولكن هذه القناة سدت فى خلال القرن الأول قبل الميلاد . وأعيد فتحها فى عهد تراجان (٩٨ – ١١٧ م) وذلك بعد أن مد=

مسارها من شمال الفسطاط ويربط بين حصن بابليون ومدينة هليوبوليس .
وسميت بـ " نهر تراجان " وظل هذا الفرع يمر بالقاهرة ويتبع القسم الأعلى من الفرع البيلوزى للنيل . ولما ردم هذا الفرع ، استخدمت قناة أخرى أكثر اتساعا متفرع من النيل عند جزيرة الروضة وحفرها هادريان (١١٧ - ١٣٨م) . ويرى المقريزى أنه عند الفتح العربى لمصر ٦٤٠ كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب بأن الاتصالات قد قطعت والملاحة هجرت بسبب ردم الفرع القديم للخليج . وبناء على ذلك أمر الخليفة فى ١٨ هـ / ٦٣٩ م بأن يعيد عمر بن العاص القناة (أى الخليج) شمال الفسطاط . وأطلق على هذه القناة اسم " قناة أمير المؤمنين " واستخدمها عمرو بن العاص لنقل القمح من الفسطاط إلى القلزم (السويس) ومنها إلى شبه الجزيرة العربية .

ولما شيدت القاهرة فى عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م كانت هذه القناة تحاذى سورها الغربى . ثم لما اتسعت المدينة أصبحت القناة (= الخليج) تخترق المدينة ، وكانت تخرج من النيل عند مجرى العيون الحالى إلى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب حاليا) ثم تمر ببركة الفيل ودرب الجماميز وباب الخلق وباب الشعرية وتسير خارج القاهرة إلى جامع الظاهر بيبرس ومن هناك تسير بين الحقول والمزارع إلى الزاوية الحمراء والأميرية وسرياقوس والخانكاه فى الشرق . وكان المؤرخون العرب يسمونها " خليج القاهرة " و " خليج أمير المؤمنين " وأخيرا " الخليج الحاكمى " وأصبحت تسمى " الخليج " فقط . وظلت القناة باقية وتعمل بعد رحيل الحملة الفرنسية على مصر عام ١٨٠١ إلى أن ردمت فى عام ١٨٩٦ فى المسافة الواقعة بين مقام السيدة زينب وترعة الإسماعيلية وزال الخليج من حياة القاهرة وأصبح يسير مكانه أول خط للترام فى القاهرة من السيدة زينب حتى ميدان باب الشعرية وأصبح مكانها يسمى شارع " الخليج المصرى " الذى أصبح يسمى الآن " شارع بورسعيد " ، راجع : جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل (ترجمة د. أيمن فؤاد) مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٦٨ - ٦٩ ، ١٥٦ - ١٦١، ٣٣٣ ، شكل ١ ، ٢، موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٥٥ - ٥٧ .

وقد أقام الملك الكثير من المبانى وخاصة فى أبيدوس [١] ، وشيد لنفسه هرما بالقرب من هرم سنفرو بدهشور وشيد باطن الهرم من الطوب اللبن وكساه من الخارج بالحجر الجيرى وكان يبلغ فى ارتفاعه الأصلى ٧٨,٥ مترا [٢] ومن حوله مقابر أميرات من العائلة الملكية التى عثر فيها على بعض الحلى[٣] وكان معبده الجنائزى يحمل اسم " قبح سنوسرت " أى " طاهر سنوسرت "[٤] وشيد معبدا للمعبود مونتوفى بمدامود بمناسبة يوبيله وفى الجهة الجنوبية القريبة من الهرم وعلى مقربة من السور الخارجى عثر على ست مراكب كانت مدفونة فى كهوف مشيدة بالطوب اللبن اثنتان منها فى المتحف المصرى ، وواحدة فى متحف التاريخ الطبيعى بجامعة شيكاغو ، وواحدة فى متحف كارنجى فى بطرسبورج أما الاثنتان الأخريان فربما لا زالتا فى دهشور ؟ .[٥] كما شيد سنوسرت الثالث لنفسه مقبرة رمزية فى أبيدوس .[٦]

وفى إحدى مقابر البرشا التى تخص حاكم الإقليم " تحوتى – حتب الثانى " (رقم ٢) [٧] ، يوجد بعض المناظر والنقوش الهامة التى تلقى ضوءا على الحياة والعادات فى تلك الفترة ، نذكر منها ذلك المنظر الذى يمثل نقل تمثال ضخم جالس من المرمر يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار ويبلغ وزنه حوالى ستين طنا . وسبق أن ذكرنا أنه من الخطأ الكبير الحكم على المصريين بأنهم كانوا يعملون تحت نير السياط على حين أنهم يضعون تلك الكتل الضخمة فى أماكنها ، ولكنه كان شعبا مسالما يؤدى عمله

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٢) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 141 .

(٣) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣١٧ – ٣٢١ ، شكل ١١٢ .

(٤) Helck, LA V, p. 6.

(٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٣– ١٨٤ شكل (٦٦) .

(٦) Petrie, Abydos, vol. 111, p. 11 .

(٧) Junge , LA I , p , 711 .

بنوع من التقوى والإدارة الحكيمة والحيوية غير المعروفة فى المجتمعات الأخـرى ، وتأكيدا لذلك ، نذكر هنا تلك القصة التى يقصها علينا الأمير عن نقل هـذا التمثـال " كان الطريق الذى يجب أن ينزل فيه لتمثال [١] من المحاجر صعبا ، وكما أن قـوى الرجال سوف تخور إذا هم استمروا فى سحب هذه الكتلة الضخمة على هذا الطريـق ، لذلك قمت بعمل طريـق جديـد ، وعندئـذ قـال الرجـال الأقويـاء : وهـانحن هنا ، سوف نحمله ، وقد اسعد هذا قلبى . وتجمع سكان المدينة كلها طواعية وكـان جميلا أن يرى هذا ، أكثر جمالا من أى شئ آخر ، فقد كان هناك رجـال بسـواعد قوية وضعيفة أيضا ، ومن بين المتطوعين كان يوجد رجل هرم يستند على طفـل ، لقد كانت شجاعتهم كبيرة وأصبحت سواعدهم أكثر قوة وبذل كل واحد مجهودا مثـل ألف رجل ، كلهم يصيحون ويصفقون ، وعندما وصلنا المدينة ، كان النـاس علـى كثرتهم ينتظرون ويستمعون إلى الغناء ، لقد كان شيئا جميلا رؤية هذا ، أكثر جمـالا من أى شئ آخر فى الدنيا " .

وقد حكم هذا الملك أكثر من ثلاثة وثلاثين عاما .[٢]

أمنمحات الثالث (١٨٤٤ – ١٧٩٧ ق.م) [٣] :

قبل وفاة الملك سنوسرت الثالث ، أشرك معه ولده (؟) فى الحكم ، وهـو الذى كان يطلق عليه أمنمحات الثالث ، وله مكانة خاصة فى تاريخ مصـر القديـم ، بسبب الأعمال التى قام بها فى أثناء فترة حكمه . ويبدو أنه اسـتغل حالـة الـهدوء السائدة التى حققتها حملات أبيه الحربية واتجه فيما يبدو إلى الاسـتغلال الزراعـى

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 77-78 .
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٢٤ .

(٢) تذكر بردية تورين أنه حكم ٤٠ عاما ويذكر مانيتون أنه حكم ثمان سنوات وهناك آثار مؤرخة بالعام ٣٣ من حكمه ، راجع : Gauthier , Livre des Rois I , p . 292 (5) n . (2-4) .

(٣) عن عصر هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LAI, p. 190-191

بوجه خاص والاهتمام بإصلاح اقتصاد مصر[١] ، فعلى بعد ٨٠ كم من القاهرة فـــى الصحراء التى تمتد غرب وادى النيل ، كان يوجد واحة مساحتها ٥٠ كم تسمى اليـوم الفيوم ، وكانت تصل إليها مياه فيضان النيل عن طريق لسان من الأرض الخصبـة ، عرضه ٨ كم فقط ، وكانت الفيوم فى ذلك الوقت واحة غنية بها مدينة وعدة قـرى ، وبحيرة فى أطرافها[٢]، وكانت فيما سبق عبارة عن مستنقعات واسعة مملوءة بالمياه . وفى الأسرة الخامسة جففت الأجزاء الأكثر قربا عن طريق عمل جســـور وشــيدت هناك مدينة سميت باسم " شـدت Shedet " " التـى اغتنمـت " ، فكـر أمنمحـات ومهندسوه فى جعل كل هذه المنطقة مثل الخزان الواسع ، الذى تتجمــع فيـه ميـاه الفيضان لاستخدامها فى حالة الضرورة ، وعلى بعد ٣٠٠كم بــالقرب مـن شـمال أسيوط عند ديروط فى المنطقة المعروفة حاليا باسم بحر يوسف ، استخدم المجـــرى الطبيعى الذى كانت تجرى فيه مياه النيل ، وجعلها تمر فى ترعة تجلب المياه مباشرة إلى هذا الخزان ، وعندما يرتفع النيل بمياهه كان هناك الكثير من المياه المخزونـة ، وكان هذا الخزان مقفلا بواسطة سد كبير وله أهوسة وعيون ، وكانت هذه الـهواويس تفتح للمحافظة على مستوى معين للمياه فى الوادى الرئيسى فى أشهر الجفـاف فـى نهاية فصل الخريف وفى بداية الصيف .[٣]

وعلى أطراف السد أقام تمثالين له ، كان ارتفاع كل منهما ١٢ مترا وكـــان التمثالان قائمين حتى العصر البطلمى الرومانى ، ولكنــهما اختفيـا اليـوم ، وقـام بوصفهما هيرودوت عندما زار مصر فى القرن الخامس ق. م .[٤]

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٣١ – ٢٣٣ .

(٢) راجع : Arnold, LA 11, p. 87 – 93

(٣) وطبقا لما ذكره سترابون أن السد كان طوله ٤٧ كم وهــو يسـمح بـرى أراضى شاسعة لمدة مائة يوم عن طريق تسرب المياه وانسيابها ببطئ .

(٤) وقد أقيمت التماثيل الضخمة التى زارها هيرودوت علـــى حافـة البحـيرة الصناعية بالقرب من بهو الحالية ، راجع : Daumas, op. cit., p. 81; Weigall, op. cit., p. 79; Butzer, LA I, p. 822 – 823 .

وكان من نتيجة هذا العمل الكبير أن حفظ كل الجزء الجنوبى للبلاد من المجاعة التى يصيبها أحيانا انخفاض منسوب المياه فى النيل . وهناك دلائل تشير إلى أن عملية مراقبة ارتفاع منسوب المياه كانت تحدث عند الجندل الثانى ، وأقام أمنمحات المقاييس فى سمنة لتسجيل المناسيب المختلفة لارتفاع المياه . وقد استفادت من هذا الخزان أيضا الأقاليم الواقعة بين أسيوط ورأس الدلتا .

ولا نعرف الكثير عن معبد الوادى والطريق الصاعد لأغلب أهرام الأسرة الثانية عشرة . وتقع المعابد الجنائزية إلى الشرق من مبنى الهرم فيما عدا المعبد الجنائزى لأمنمحات الثالث فى هوارة ، إذ يقع فى جنوب هرمه ، ليس ببعيد عن هذا الخزان . وكان يشغل مساحة ما يزيد على سبعين ألف متر مربع (٣٠٠ × ٢٤٠ مترا) وكان يحمل اسم " عنخ امنمحات " أى " فليعش امنمحات ".[1] وشيد فى هذا المعبد مركزا إدارى ودينى مثل فيه كل إقليم من أقاليم مصر ، وهو يحتوى على قاعة ومعبد صغير لكل معبود محلى .[2] وكان هناك العديد من المشرفين والكهنة لإدارته . وكان هذا البناء أعجوبة من عجائب العمارة فى مصر القديمة حقا . وكانت هذه المجموعة موجودة أيام هيرودوت الذى زار مصر عام ٤٤٨ ق. م . والذى يؤكد أنه كان هناك لا يقل عن ثلاثة آلاف حجرة منفصلة نصفها تحت الأرض ، ونصفها الآخر فوقها وبه أيضا اثنى عشر فناء مسقوفا .

ويقول : " إن المجموعة تفوق كل أعمال البشر الأخرى وكانت هناك ممرات عبر المبانى والطرق التى تتقابل فى الأفنية ، تبعث فى نفسى إعجابا حيا على حين أننى أتجول فى الأفنية إلى الحجرات ، حجرات بأعمدة ، ومنها إلى قاعات

---

(١) Helck, LA V, p. 6 .

(٢) Lanzone, Papyrus du Lac Moeris, pl. I (A); Pleyte, Papyrus du Lac Moeris, pl. 3-4 ; Mariette, Pap. Mus. Boulaq, p. 8, pl. 2-3 ; LA IV, p. 688 (A) (1) .

أخرى ، ثم أفنية أخرى من جديد ، وكانت الأسقف فى كـــل مكـــان مـــن الحجـــارة والجدران أيضا وكل فناء محاط بصف أعمدة " .(١)

وعن الممرات يقول : " إنها بمثابة التيه لدرجة أن الأجنبى لا يســـتطيع أن يتجول فيها دون مرشد " .(٢) ووصفه ديودور الصقلى الــذى زار مصـــر عـــام ٥٩ ق. م . وقال : " بأنه لا يدعو للعجب بسبب اتساعه (فقط) وإنما لدقة صناعته التـــى لا تحاكى ولا تحدث " ، وذكر أنه قصر كبير مؤلف من قصور عديدة بعــــدد أقـــاليم مصر فى الزمن القديم ، وأعجب بعدد الأبهاء المحاطة بأعمدته .(٣)

وزاره أيضا بلينى الذى جاء إلى مصر فى النصف الثانى من القـــرن الأول الميلادى . وقال :

" ان بعض القاعات قد شيد بطريقة خاصة لدرجة إنه فى اللحظة التى تفتـــح فيها الأبواب يحدث صوت مزعج ، شبيه بصوت الرعد ، ينعكس فى الداخل ، ويجـب عبور معظم الأبنية فى ظلام تام (٤) ، وكانت هذه المبانى فيما يبدو مركـــز الحكومـــة وكان يطلق عليها بواسطة الإغريق " اللابيرانث " .(٥) ولكن تعرضت هـــذه المبـــانى

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٥ .

(٤) Weigall, op. cit., p. 80 ; Daumas, op. cit., p. 81 .

(٥) يعنى التيه وسمى بهذا الاسم نظرا للتشابه بينه وبين اللابيرانت الذى شـيده ملك كريت فى كنوسوس وذلك لكثرة حجراته ودهاليزه . ولكن لم يبـــق أى شئ من هذا البناء العجيب ولذلك لا يمكننا أن نحـــدد خطتـــه ومعالمـــه ، راجع : د. عبد الحميد زايـــد : المرجـــع الســـابق ، ص ٢٩٨ ؛ د. أنـــور شكرى : المرجـــع الســـابق ، ص ٣٨٣ – ٣٨٥ شـــكل ١٦٢ ؛ د. أحمـــد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٢١ ؛ د. عبد العزيز صـــالح : المرجـــع السابق ، ص ١٧٣ ؛ وبوجه خاص : – Arnold, LA 111, p. 905 907 .

للتخريب والهدم كلية فى العصر الرومانى والعصور الوسطى ، وكان الناس يستخدمونها كمحاجر ، ولم يبق منها إلا القليل الذى نجا بأعجوبة ، وبالقرب من اللابيرانث فى هوارة ، شيد الملك بالحجارة والطوب اللبن هرما طول كل قاعدة من قواعده أكثر من ١٠٠ متر. وكانت كل الحجرات والممرات الداخلية مبنية من الحجارة . ويوجد المدخل فى الجانب الجنوبى وليس فى الشمال كالمعتاد . وعمد مهندس البناء إلى حيل مختلفة لتضليل اللصوص ، منها كثرة الدهاليز والغرف فضلا عن ذلك فإن غرفة الدفن كانت قطعة واحدة من حجر الكوارتزيت وتزن نحو ١١٠ طنا . وقد نحتت بمهارة فائقة . وكان السقف مكونا من ثلاث كتل كبيرة من حجر الكوارتزيت أيضا .

واتخذت كل الاحتياطات الهامة لأمن وسلامة مومياء الملك من نهب اللصوص [١] ، ولكن على الرغم من كل هذه الأعمال فقد نجح اللصوص فى فتح ممر حتى حجرة الدفن حيث عثروا على مومياء الملك مدفونة مع ابنته الصغرى – المفضلة عنده والتى توفيت عندما كان لا يزال حيا . وقد أصبح محل تقديس وتكريم فى منطقة الفيوم بعد وفاته بحوالى ألفى عام .

وقد شيد الملك أيضا هرما آخر فى الصحراء ، على بعد قليل من جنوب سقارة فى دهشور ويبلغ ارتفاعه الأصلى ٨١,٥ مترا وكان مشيدا بالطوب اللبن .[٢] وكان المعبد الجنائزى يحمل اسم " سخم امنمحات " أى " قوة امنمحات " .[٣]

---

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٢١ – ٣٢٩ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨١ شكل ١٥٩ ؛ Weigall , op. cit., p. 81

(٢) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٢٦ – ٣٢٩ شكل ١١٤ ؛ Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 141 .

وعن أهرام الدولة الوسطى بوجه عام ، راجع : Arnold, LA 1V, p. 1263 – 1272 .

(٣) Helck, LA V, p. 6 .

ومنذ عهد سنوسرت الثالث كانت نواة الهرم تبنى بأكملها بمداميك من اللبن . وكان يعلو الهرم هريم من كتلة واحدة من حجر مصقول من الجرانيت أو البازلت . وفى المتحف المصرى هريم خاص بهرم أمنمحات فى دهشور ، وهو من الجرانيت الأشهب وعليه نقش بخط هيروغليفى جميل يبين ألقاب الملك ونقش لقرص الشمس المجنح ويبلغ ارتفاعه ١٣١ سم .(١) وبالقرب منه أقيمت أهراما أقل حجما لأميرات عثر فيها على حلى جميلة .(٢)

وأهم ما يميز هذا الحكم هو أوجه النشاط المختلفة على الحدود . فلدينا وثائق تشير إلى حملة قام بها الملك فى بلاد النوبة جعلت حدود مصر تمتد حتى الجندل الثالث . وقام باستغلال محاجر النحاس فى سيناء .(٣)

ونذكر هنا بهذا الصدد ما جاء فى نصين ويدل على مدى التقدير الذى كان يناله العمال فى مصر القديمة . أحدهما عبارة عن نقش لقائد حملة الذى يقول : " لقد عملت فى المحاجر وكان عدد رجالى من الشباب لا ينقص أبدا ، ولم يتوف أحد منهم " .

والثانى ، يخص قائد آخر ، فبعد أن أكد أنه لم تحدث أية وفاة أثناء العمل ، يضيف هذه الجملة المعبرة : " لقد عاملت جميع رجالى بكثير من الطيبة ، ولم أنساد على العمال صائحا على الإطلاق " .(٤)

وقد عثر على اسم هذا الملك على آثار عديدة عثر عليها فى أماكن كثيرة فى أرمنت وفى تانيس وفى كرما وفى شبه جزيرة سيناء وفى وادى الهودى.(٥) فى الكاب وتل اليهودية ومنف واهناسيا والكرنك ، وأقام مقصورة للمعبود رننوتت

---

(١) Baines – Malek, op. cit., p. 138 .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية، ص ٣٢٨ – ٣٢٩ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ . Vandier, Manuel d'arche'ologie 11, p. 190 – 194 .

(٣) Petrie, Researches in Sinai, London (1906), p. 94 .

(٤) Weigall, op. cit., p. 82 .

(٥) PM 1V, p. 100 – 101 .

(أورننوت) ، معبودة الحصاد فى مدينة ماضى ، فى جنوب غــرب الفيــوم [١] ، ومعبدا للمعبود سبك فى كيمان فارس [٢] ، بقيت منه أعمدة كبــيرة مــن الجرانيــت الوردى أساطينها على هيئة حزمة البردى .[٣] وأضاف الملك مبان لمعبــد المعبــود بتاح فى منف .

وقد حكم أمنمحات الثالث أكثر من سبعة وأربعين عامــا[٤] ، وفــى الســنة الأخيرة من حكمه أشرك معه خليفته وكان يسمى أمنمحات الرابع .

وفى عام ١٩٥٦ تم الكشف عن مقبرة تقع إلى الجنوب الشرقى مــن هــرم أمنمحات الثالث وهى تخص ابنة الملك نفرو بتاح .[٥]

ومن عصر أمنمحات الثالث سجل رجل يدعى سحتب إيب رع فــى نــص تركه فى مقبرته وصية وجهها إلى أولاده ، أوصاهم فيها بأن يخلصوا لملكــهم قلبــا وقالبا ونبههم إلى أن الملك يفطن إلى ما فى النفوس .[٦]

---

(١) عن هذه المعبودة ، راجع : Beinlich – Seeber, LAV, p. 232 – 236

(٢) عن المعبود سبك وانتشار عبادته فى كــل أقــاليم مصــر تقريبــا ، راجــع : Brovarski, LA V, p. 995 – 1031 .

(٣) Petrie, Labyrinth and Gerzeh and Mazghuneh (1912), p. 27 – 28, pl. 22 – 32,. وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤١٢ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٨ شكل ٦١ ، ص ٣٥٢ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٢١ .

(٤) تذكر بردية تورين انه حكم ٥٠ عاما ويذكر مانيتون أنه حكم ثمان سنوات وهناك آثار مؤرخة بالعام ٤٦ من حكمه ، راجع : Gauthier, op. cit., I, p. 319 (7) n. (3 – 5) .

(٥) وقد عثر فى داخل حجرة الدفن على تابوت كبير من الجرانيت الأحمــر . وقد عثر على اسم هذه الأميرة مكتوبا على أوان كبيرة من الفضة كما عــثر على مجموعة كبيرة من الحلى الجميلــة ، راجــع : د. أحمــد فخــرى : الأهرامــات المصريــــة ، ص ٣٢٦؛ Farag – Iskander, The discovery of Neferwptah (1971), p. 15 .

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

لم يحكم أمنمحات الرابع (١٧٩٨ – ١٧٨٩ ق. م)[١] مدة طويلة ، ربما لا تتعدى تسعة أعوام وذلك طبقا لبردية تورين [٢] . ولكنه ترك آثارا عديدة منها معبد في مدينة ماضى لمعبودة الحصاد رننوت ولمعبودات أخرى مثل سبك وحورس . والمعبد مشيد من الحجر الرملى وكشف عنه فى عام ١٩٢٦ . وعثر على تمثال باسمه للمعبودة " حتحور " فى طيبة وتمثال آخر له على هيئة أبى الهول بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية . وأرسل بعثات لإحضار أحجار الجمشت من وادى الهودى .[٣] وهناك بقايا هرمين فى مزغونة يرى البعض أن أحدهما وهو الجنوبى يخص أمنمحات الرابع وان الهرم الشمالى الذى لم يستخدم يخص الملكة سبك نفرو أو أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة .[٤]

وتوفى الملك دون أن يترك وريثا ذكرا للعرش ، ولكن اعتلت العرش الأميرة سبك نفرو (١٧٨٩ – ١٧٨٥ ق. م) [٥] ، التى أصبحت ملكة ولقبت بالألقاب الخاصة بالملوك ، وحكمت على الأقل ثلاثة أعوام طبقا لبردية تورين .[٦] وقد ذكر مانيتون أنها كانت أختا لأمنمحات الرابع ، وقامت بعدة إضافات معمارية فى مدينة

---

(١) عن عصر هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LAI, p. 191 – 192

(٢) تذكر بردية تورين أنه حكم تسع سنوات و٣ أشهر و٢٧ يوما . ويذكر مانيتون أنه حكم ثمان سنوات. وهناك آثار مؤرخة بالعام العاشر من حكمه ، راجع : Gauthier, op. cit., I, p. 338 (8), n. (2-4)

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ – ٤٠٣ .

(٤) راجع : Siliotti – Z. Hawass . Guide to the Pyramids of Egypt, 1997, p. 149 ; Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 141. بينما يفضل د. أحمد فخرى نسبة هرما مزغونة إلى ملوك الأسرة الثالثة عشرة، راجع : د. أحمد فخرى :الأهرامات المصرية، ص ٣٣٦ – ٣٣٨ .

(٥) عن هذه الملكة ، راجع : Von Beckerath, LA V, p. 1050 – 1051

(٦) تذكر بردية تورين أنها حكمت ثلاث سنوات و١٠ اشهر و٢٤ يوما ويذكر مانيتون أنها حكمت أربع سنوات ، راجع : Gauthier, op. cit., I, p.341 (9) n. 3 – 4 .

هوارة .[١] وهذه هى المرة الثانية فى تاريخ مصر التى تتولى العرش فيها امرأة بعد الملكة نيتوكريس فى نهاية الأسرة السادسة .

وهكذا انتهت الأسرة الثانية عشرة ، عرفت فيها مصر فترة رخاء طويلة . وكان هذا الرخاء نتيجة مباشرة للعمل الجماعى لملوك هذه الأسرة أصحاب الإنجازات فى الداخل والخارج .

أهم المظاهر الحضارية فى عصر الدولة الوسطى :

فبالنسبة للسياسة الداخلية نجد أن الملك أمنمحات الأول قد اضطر إلى التساهل قليلا فى العلاقات التى تربط بين الملك وحكام الأقاليم ، فإن هذا التساهل لم يستمر طويلا ، فتحت حكم سنوسرت الثالث ، أصبحت السلطة الملكية مطلقة من جديد ، لدرجة أن مسئوليات حكام الأقاليم قد ألغيت .[٢] وأصبح توريث حكم الإقليم أيام الدولة الوسطى من حق القصر وأصبح الأمراء يتوددون إلى الملك بأسلوب يدل على الخضوع التام وكان القصر يمنحهم الأراضى لاستغلالها ولم يكن لهم حق توارثها إلا بإذن من الملك [٣] وهكذا عادت إلى الملك سلطته القوية .

واهتم ملوك الأسرة بالاتجاه إلى استغلال أراضى البلاد وخاصة فى الفيوم التى جعلوا منها واحة حقيقية وعن قرب منها شيدوا عاصمتهم إيثت – تاوى فى اللشت ، واعتبر ملوك الأسرة من كبار البناة أيضا ، ومصر مدينة لهم ببناء تلك المجموعة من التحصينات فى الجنوب وفى الشرق التى تجعلها فى وضع حماية ضد أعدائها ، واعتبر قصر أمنمحات الثالث فى هوارة من التحف المعمارية .

وتحدثنا عن مشروعاتهم فى الفيوم ، وقد جذب هذا العمل الكثير من الانتباه حتى الفترة التى زار فيها هيرودوت مصر .

---

(١) . Petrie, Kahun, Gurab and Hawara, pl. 26 (12); Weigall, op. cit., p. 82 .

(٢) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 70 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

وفيما يختص بالعلاقات الخارجية ، فيبدو أن الاتصال بسوريا العليا وبيبلوس كان نشيطا وقائما على الصداقة ، وقد تساءل بعض العلماء عما إذا كانت فينيقيا قد أديرت فى تلك الفترة بواسطة حاكم مصرى [١] ، وقد استغلت محاجر سيناء بانتظام ، وأرسل المصريون البعثات التجارية إلى بلاد بونت ، وامتدت حدود مصر حتى سمنة (على بعد ٧ كم من وادى حلفا) حيث وجد هناك منطقة محصنة تحصينا قويا ، ضد غارات الزنوج ، وأهمها تحصينات سمنة وقمة وبوهن وأقيم حصنا سمنة وقمة على ضفتى النهر عند أضيق موضع فيه . وكانت تلك الحصون مشيدة من الطوب اللبن فوق قواعد متينة من الحجر ، وبداخلها تكنات الجنود ومستودعات ودور عبادة .

وأصبحت تلك التحصينات المعقدة تحمى من الآن فصاعدا المدخل الجنوبى لمصر ضد القبائل الزنجية المشاغبة بصفة دائمة . وبالاعتماد على التحصينات القوية عند الجندل الثانى نجح ملوك الأسرة الثانية عشرة فى إرسال البعثات التجارية حتى جنوب الجندل الثالث ، وكان المركز التجارى لهذه البعثات يقع فى ذلك الوقت " كرما " فى جنوب الجندل الثالث ، حيث أقام أمنمحات الثالث هناك مركزا إداريا محصنا .

وإذا كانت تنقصنا معظم الوثائق فإن القوائم الملكية تفيدنا بأن مصر كانت تعرف جيدا الجزء الذى يمثله الهلال الخصيب حتى سوريا ، فقد عثر فى الواقع على أسماء أمراء البلاد الآسيوية . كتبت فوق تماثيل صغيرة من الطين لهدف سحرى وهى تثبت أنه كان لدى المصريين معرفة دقيقة بالأماكن ورؤسائها ، ومن ناحية أخرى فقد عثر على آثار فى طود تحمل الطابع الفينيقى والكريتى ، وللأسف لا نستطيع تحديد طبيعة العلاقة بين مصر وآسيا الصغرى ومدى حجمها .

أما عن العلاقة مع جزر كريت التى اعتقد بعض العلماء أنها علاقات مؤكدة وكانت قائمة منذ هذه الفترة ، فهى علاقات غير معروفة جيدا حتى نستطيع أن نكون

---

(١) Vercoutter, op. cit., p. 70 .

رأيا قاطعا عنها . وربما كانت هذه العلاقة قائمة فى الواقع ولكن عن طريق فينيقيـــا وليس عن طريق السواحل المصرية مباشرة .

وهكذا ساد الاستقرار مصر فى عصر الأسرة الثانية عشرة وأصبحت أكـثر نظاما وترتيبا من الناحية الإدارية فى الداخل ، محميـــة بواسـطة مجموعــة من التحصينات فى الشرق والغرب والجنوب ، بفضلها لا تخشى أية غارات من الخـارج ولكن هذا الأمن فى الواقع لم يكن إلا وقتيا لأنه كان يعتمد أولا على قــوة السـلطة المركزية لملوك الدولة الوسطى ، ومن ناحيـــة أخــرى علــى ضعـف الأعـداء الآسيويين ، ولكن هذين العاملين الأساسين للمحافظة على أمن مصر قد اختفيا خـلال بضع سنوات لكى تواجه مصر من جديد صفحة أخرى من تاريخها المضطرب .

وبالنسبة للمعتقدات الدينية والمذاهب ، فقد كانت الدولة الوسطى فترة تطـور سريع ، فقد شاعت عبادة المعبود أوزير معبود الموتى ورب الآخرة فى أبيدوس فـى مصر العليا ، بالقرب من العاصمة القديمة ثينى ، وكـــانت تـؤدى لـــه الطقــوس والاحتفالات ، وفى طيبة تطورت عبادة المعبود المحلـــى آمـون ، وذلـك بفضـل ارتباطه بمعبود الشمس القديم ، وأصبح المعبود آمون رع ، المعبود الأكثر أهميـــة وسوف يسمى " ملك المعبودات " . وقد شيدت المعابد الكثيرة فى أنحـــاء البـلاد . والتى كانت مخصصة لمختلف المعبودات فى مناطق عديدة . وزاد تبعا لذلك غنـــى ونفوذ العديد من الكهنة فى كل إقليم وفى كل عصر . وكانت مصـــر بلـدا غنيـا ، بفضل خصوبة أرضها من ناحية وبفضل المواد الطبيعية ومصادرها مـــن منـاجم الذهب فى الصحراء الشرقية ، ومناجم النحاس فى شبه جزيرة سـيناء مـن ناحيـة أخرى ، وقد زاد الاهتمام بإظهار قيمة هذه الثروات بوجه خاص فى هذه الفترة .[١]

---

(١) Weigall , op. cit., p. 83 .

وقد شيد بالقرب من مدخل بحيرة الفيوم مركز إدارى ودينى مثل فيه كل إقليم من أقاليم مصر ، وهو يحتوى على صالة مائدة قرابين ومعبد صغير لكل معبود محلى .(١)

وكان هناك الكثير من المشرفين والكهنة لإدارته ، وكان هذا البناء أعجوبة مصر حقا . وفى القرن الأول الميلادى زاره سترابون ووصفه بإعجاب .

وتقدم الأدب وزاد الإنتاج الأدبى فى ذلك العصر أيضا ، وأصبحت بعض النصوص تصلح لأن تكون قطعا مسرحية . فمثلا فى قصة مغامرات سنوهى نجد بعض الفقرات المؤثرة التى يتحدث فيها عن شيخوخته وعندما استقبل بواسطة العائلة الملكية . وبقية القصة ، تعتبر من أجمل القطع الأدبية فى أدب القصة ، وهناك أيضا نوع من الخيال فى القصة الشهيرة من هذا العصر والتى تسمى " الملاح الذى نجا " والتى تقص علينا مغامرات بحار ألقت به الأمواج على جزيرة مسحورة حيث كان يعيش فيها ثعبان عجوز ذو حجم كبير ، له صوت إنسان وطبيعة طيبة ومن المحتمل أن هذه الجزيرة هى جزيرة سان جون الواقعة بعيدا عن الشاطئ الأفريقى للبحر الأحمر بالقرب من رأس بناس .(٢)

وهناك أيضا تعاليم الكاتب " خيتى بن دواواف " الذى كان يعيش أيام الملوك الأوائل للأسرة الثانية عشرة وهى توجيهات إلى ولده " بيبى " وهو فى طريقه إلى المدرسة وهو يحثه على التعليم والفوائد التى يمكن أن يحصل عليها الكاتب أكثر من غيره . وبالغ فى احتقار المهن والحرف الأخرى . ويبين له فى الوقت نفسه عاقبة الجهل وأضراره ، ويصور له فى أسلوب هجائى مدى المعاناة التى يقاسيها أصحاب الحرف والمهن المختلفة فى سبيل كسب قوتهم اليومى . فيحدثه عن متاعب الحداد

---

(١) Lanzone, Papyrus du Lac Moeris, pl. I(A); Pleyte, Pap. du Moris, pl. 3 – 4 ; Mariette, Pap. Mus. Boulaq, p. 8, pl. 2-3 ; LA 1V, p. 688 (A) (1) .

(٢) Wainwright, JEA 32 (1946). P. 31 – 38; Myers, JEA 34 (1948), p. 119 – 120 . وتذكر لنا نوبلكور رأيا آخر بخصوص هذا الأمر فى : Noblecourt, Memnonia 1X (1998), p. 59-66

والنجار والبناء وصانع الطوب والنساج والدباغ والإسكافى وصانع السهام والخباز والحلاق والبستانى وغاسل الثياب وصياد البر والبحر وساعى البريد والسقى والتاجر والجندى والكاهن . ولذلك ينصحه بقوله : " كن كاتبا ، تعفى من المعاناة وتحمى نفسك من كل عمل شاق ".(١)

إلى جانب هذه البرديات الأدبية ، خلفت لنا الدولة الوسطى مجموعة من البرديات الطبية فمثلا بردية – ادوين سميث – المشهورة الخاصة بالجراحة مؤرخة من عهد الهكسوس ولكن الأصل يرجع غالبا إلى ما قبل ذلك بكثير وترجع البرديات الطبية : إيرس Ebers (المحفوظة بمتحف ليبزج)(٢) وهرست Hearst (المحفوظة بمتحف جامعة كاليفورنيا)(٣) وبرلين ٣٠٣٨(٤) إلى عصر الدولة الوسطى أيضا وهى تحتوى على مجموعة من الوصفات للأمراض المختلفة واختلط فيها الطب بالسحر والأساطير . وبردية – رند Rhind – الرياضية بالمتحف البريطانى ونقلت هذه الوثيقة من أيام ملك الهكسوس أبى فيس من نسخة قديمة من أيام أمنمحات الثالث وبها حلول لعدد كبير من المسائل الحسابية (٥) ومنها عرفنا مساحة الدائرة والمثلث والكسور بأنواعها والجمع والضرب والقسمة بأنواعها .

---

(١) Posener, RdE 6 (1949), p. 36-37; Lichtheim, Ancient Egyptian literature, p. 184 . وأيضا : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٧ – ٤٤٠ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٥١ – ١٥٥ ، وأيضا : Brunner, Die Lehre des Cheti (Egypt. Forsch. 13), p. 14; Id., LA 111, p. 977 – 978 .

(٢) Rossler – Kohler, LA 1V, p. 704 .

(٣) Id., op. cit., p. 707 .

(٤) De Meulenaere, LA 1V, p. 684 (c) (3) .

(٥) Chace – Manning and Bull, The Rhind Mattematical Papyrus, 2 vol. (1927), (1929); Reineke, LA 111, p. 1237 – 1239; LA 1V, 730.

ومن الناحية الفنية : تقدمت فى تلك الفترة جميع الفنون ، وتبين لنا الصور المنحوتة لأمنمحات الثانى وكذلك تمثالى أبى الهول ذوى الرأسين الآدميين – عثر عليهما فى تانيس – مدى تقدم فن النحت وقوة تعبير الفنان المصرى ودقته التى لم يسبق أن شوهدت قبل ذلك العصر [١] ، وكانت هناك المدارس الفنية المتعددة فى الفيوم وتمتاز بالمثالية ويتمثل ذلك فى تماثيل سنوسرت الأول التى عثر عليها فى معبده الجنائزى باللشت والتى عثرت عليها بعثة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية عام ١٨٩٤ ، وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى .[٢] ومدرسة أخرى فى طيبة وتميل إلى الواقعية ويتمثل ذلك فى نقوش تابوت كاويت من الأسرة الحادية عشرة ، والذى عثر عليه فى معبد منتوحتب الثانى بالدير البحرى عام ١٩٠٣ – ١٩٠٧ ، والمعروض الآن بالمتحف المصرى .[٣] فمن بين المناظر المعبرة والمؤثرة نرى منظرا يمثل مزارعا يحلب بقرة ولمزيد من إعطاء البقرة إحساسا بالأمان والطمأنينة ربطوا وليدها فى رجلها اليسرى حتى يزداد ادرار اللبن ، ولا تشعر بالوحشة التى يسببها البعد عن وحيدها . والملفت للنظر هنا هو أن البقرة تدرك تماما أن اللبن ليس لوليدها ، ولهذا فقد صورها الفنان الحساس وهى تذرف دمعة من عينها اليمنى .[٤]

---

(١) Weigall, op. cit., p. 82 .

(٢) Saleh – Sourouzian , Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no 87.

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٤ . Vandier, Manuel d'arche'ologie 111, p. 196 عن أنواع التوابيت وتقسيم المناظر على جدرانها الخارجية منذ عصر الدولة القديمة حتى العصر المتأخر ؛ راجع الدراسة الهامة لـ : Niwinski, LAV, p. 430 – 468

(٤) Saleh – Sourouzian , op. cit., no. 68; Naville, The XI Dynasty Temple at Deir el – Bahari I, London 1907, p. 48 – 56 pl. 19 – 20 .

ومن أهم مقابر هذا العصر ، بنى حسن ، دير البرشا ، دير ريفا ، وأسوان وكلها لحكام أقاليم . وهى منحوتة من الصخر ، وفى مقابر فاو الكبير كانت الردهات والأفنية منحوتة فى الصخر ، وهناك أيضا مقابر مير مركز القوصية محافظة أسيوط ، وأهم ما فى تلك المقابر مناظرها ، فمثلا فى مقابر دير البرشا منظر للمصارعة الذى يبين أنه كان هناك حكم يقوم بمراقبة المتصارعين .

أما فى مقابر بنى حسن فكانت مناظر المصارعة مقسمة إلى مجموعات مختلفة[١] ، وتتكون كل مجموعة من ٢١٩ شخصا وأخرى من ١٢٢ شخصا وأخرى من ٥٩ ليس معهم حكام وتتميز كل مجموعة بزى ملون ، وغير مناظر المصارعة هناك مناظر حمل الأثقال والقفز وتمارين تشبه لعبة الملاكمة والجمباز الحالية . ومنها ما يصور لعب الفتيات بالكرات الصغيرة ، وغير هذه المناظر الرياضية هناك مناظر الرقص الدينى عند نقل تمثال المتوفى إلى المقبرة ، ومناظر التسلية مثل لعبة الداما ، ومناظر الصيد فى الصحراء .[٢] ومن أجمل التماثيل فى هذه الفترة تمثال ملون من الخشب المغطى بالمصيص لحاملة السلة ويوجد الآن فى متحف اللوفر ، وكان قد عثر عليه فى أسيوط .[٣]

---

(١) عن هذه المقابر ، راجع : Junge, LA I, p. 695 – 698

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .
وأيضا : Newberry, Beni – Hassan 11, pl. 16-32.

(٣) Vandier, Manuel d'arche'ologie 111, p. 235 – 237 .
وأيضا د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢١٢ – ٢١٣ ، حاشية (١) .

الفصل العاشر

العصر الوسيط الثانى
من بداية الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الأسرة الرابعة عشرة
عصر حكم بعض الأسرات المحلية مرة أخرى

(١٧٨٥ – ١٦٠٤ ق. م . تقريبا) (١)

تعتبر فترة العصر الوسيط الثانى من أكثر فترات التاريخ المصرى غموضا لأننا لا نعرف عنها الشئ الكثير ، إلى جانب ذلك ، فهى ما زالت حتى الآن تثير الجدل بين العلماء حول مدة استمرارها . يميل بعض العلماء إلى اعتبارها فترة استمرت طويلا (وذلك بعد إضافة الأرقام والسنوات التى أعطيت بواسطة مانيتون وبردية تورين لكل الأسرات من الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة التى تتكون منها هذه الفترة لكى نصل إلى الرقم الإجمالى وهو حوالى ألف وخمسمائة وثلاثة وثمانين عاما) .(٢) ولكن الشائع بوجه عام حتى الآن أن هذه الفترة لم تستمر أكثر من مائتى عام تقريبا ، وهناك بعض النظريات الحديثة التى تنقص من هذا الرقم أيضا ، وذلك لأن الأحداث التى مرت بها آسيا الصغرى لا تسمح بالقول بكل هذه المدة ، فالأحداث المواكبة فى تلك البلاد تجعلنا ننقص مدة هذه الفترة إلى العدد الذى ذكرناه .(٣) ويمكن تفسير هذا العدد الكبير من الملوك الذين حكموا فى تلك الفترة ، بأن أسرات العصر الوسيط الثانى كانت جميعها متشابهة ، فنجد أن مجموعة من

----

(١) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 36.

(٢) Vercoutter, L'Egypte ancienne. p 71; Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 82 ; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 325 – 331 .

(٣) Daumas, op. cit., p. 82.

هؤلاء الملوك كانت تحكم فى الشمال ، ومجموعة أخرى تحكم فى مصر الوسطى ، ومجموعة ثالثة تحكم فى الجنوب ومن المحتمل أن مؤرخى آسيا الصغرى سوف يساهمون فى يوم ما فى التوصل إلى عدة حقائق عن تاريخ وترتيب ملوك هذه الفترة . فقد كان هناك فى ذلك العصر العديد من نقاط الالتقاء والاتصال التى تربط بين مصر وآسيا فهى فترة الغزو لكل المنطقة ، فقد جاء الهندو أوروبيون فى موجات متتالية على آسيا الصغرى وبدأنا نرى اختفاء الآثار المصرية فى الشرق القديم ابتداء من الأسرة الثالثة عشرة ، وعلى الرغم من أن أرشيف مارى يذكر فينيقيا ، إلا أنه كان يجهل مصر تماما ، ويمكن بمساعدة بعض المصادر الآسيوية أن نصل إلى ترتيب بعض التواريخ بدقة لتصبح بالنسبة لنا كنقطة انطلاق كافية لتحديد تاريخ تلك الفترة بأكملها .[١] ومهما يكن طول مدة العصر الوسيط الثانى ، فإنه يمكننا أن نميز فى هذا العصر ثلاث مراحل مختلفة :

- فترة أولية كانت تحكم أثناءها أسرات مصرية ، واستمر يحكم فيها ملوك مصريون بمفردهم . وكانت تحكم فى وقت واحد ، فكان هناك بيت قوى فى طيبة ، وبيت أخر فى قفط ، وثالث فى أسيوط ، ورابع فى الدلتا ، وخامس فى غربها . ولكن أهمها جميعا هو ما نسميه بالأسرة الثالثة عشرة وهو البيت المالك الذى خلف لنا آثارا كثيرة فى طيبة وفى أماكن عديدة فى البلاد ، والذى ظهر منه بعض الملوك امتد نفوذهم جنوبا إلى بلاد النوبة ، أو كانت لهم صلات مباشرة ببلاد النوبة .[٢]

وكان ملوك الأسرة الثالثة عشرة وربما الرابعة عشرة أيضا ، يدفنون فى جبانة منف .[٣]

---

(١) Vercoutter, op. cit., p. 71 .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

- فترة ثانية هى التى تعرضت فيها البلاد لغزو أجنبى لأول مرة ، ودخولهم البلاد واغتصابهم الحكم بعد ذلك .

- فترة أخيرة عادت فيها لمصر قوتها ونجحت فى طرد العدو الأجنبى وبدأت سياسة التوسع وإيجاد مواطن للنفوذ المصرى فى آسيا لتأمين الحدود الشرقية .

ويمكن القول بأن الأمور لم تكن فى الحقيقة محددة بوضوح هكذا ، وقد بدأ غزو الهكسوس لمصر فى فترة لم تكن فيها الملكية المصرية قد ألغيت بل كانت قائمة (ويرى بعض العلماء أن الغزو الأجنبى قد بدأ منذ الأسرة الثالثة عشرة) وأن رد الفعل المصرى والطرد قد بدأ أثناء حكم ملوك الهكسوس لمصر .[1] وقد أعطى مانيتون الفترة التى تفصل بين الأسرة الثانية عشرة والثامنة عشرة ما يقرب من حوالى خمسة عشر قرنا ولكن فى الواقع أن هذه الفترة لم تستمر أكثر من قرنين من ١٧٨٥ – ١٥٨٠ ق. م . تقريبا .

الأسرة الثالثة عشرة (١٧٨٥ – ١٦٣٣ ق. م) [2] :

إن ترتيب ملوك الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة أمر غير مؤكد ، وقد عرفت هاتان الأسرتان عن طريق أسماء ملوكها فقط . فنجد فى بداية الأمر أنه نظرا لمجد وهيبة الأسرة السابقة ، فإن ملوك الأسرة الثالثة عشرة كانوا يتخذون غالبا أسماء أمنمحات وسنوسرت ، على الرغم من أنهم لم يكونوا فى الحقيقة خلفاء لهم أو من أصل أسر هؤلاء الملوك . ولا نعرف على وجه التحديد كيف بدأ اتجاه الانهيار . وكما سوف نرى أن الكثيرين من ملوك الأسرة الثالثة عشرة كانوا يحملون أسماء : نفرحتب ، سبك حتب ، ديدى مس . على حين يذكر مانيتون أن أصل ملوك الأسرة

---

(١) Vercoutter, op. cit., p. 72 .

(٢) يعطى فون بكرات لهذه الأسرة عدد ٤٠ ملكا + ١٨ ملكا لا نعرف ترتيبهم ، فيصبح العدد ٥٨ ملكا ، راجع : Von Beckerath, LA VI, p. 1445 - 1446 وفى مكان آخر يعطينا قائمة بـ ٤٧ اسما ، راجع : Von Beckerath, LA III, p. 546 – 547 .
وعن تاريخ هذه الأسرة يعطينا فون بكرات ١٧٨٥ – ١٦٦٠ ق. م، راجع: Id., op. cit., I, p. 970 .

الثالثة عشرة كان يرجع إلى طيبة وأنها كانت تتكون من ستين ملكـــا حكمـــوا ٤٥٣ عاما . وقد أعطى العالم " هيس Hayes " قائمة بأسماء ملوك هذه الأســـرة الذيـــن يبلغون الواحد والثلاثين ملكا .[1] ولكن نذكر هنا أسماء الملوك الذين تركوا لنا آثـــارا تحمل أسماءهم :

(خع عنخ رع)[2] سبك حتب الأول[3] (حوالى ١٧٥٠ ق. م)[4] :

نعلم أن أول ملوك الأسرة – قد حكم مصر كلها – ويبدو أن الشعب قد شعر بنوع من الهدوء بوجه عام عندما أحس بأنه لم يعد يحكم بواسطة ملكه كما حدث فـــى نهاية الأسرة الثانية عشرة ، وقد أبدى الشعب تأييده المطلق لمؤسس الأسرة الملـــك القوى ، الذى يبدو أنه لم تكن تربطه بالأسرة المالكة فى عصر الأسرة الثانية عشـــرة أية أواصر قربى مباشرة أو غير مباشرة . وطبقا لأغلب الآراء يبدو أنه كان ينتمـــى إلى بيت أمراء طيبة ذلك البيت الذى كانت تنتمى إليه كل ســـلالة الملوك الســـابقين.

---

(١) Drioton – Vandier. op. cit., p. 284 – 287 . وأيضـــا : د. عبـــد الحميد زايد : مصر الخالدة ؛ ص ٤٤٦ . ويعطى جيمس أسماء ثلاثة ملوك فى هذه الأسرة ، راجـــع : James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 264 .

(٢) الأسماء بين القوسين هى الأسماء التى كتبت على الآثـــار داخـــل الخانـــة الملكية ، راجع : نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمـــة (ترجمـــة مـــاهر جويجاتى ومراجعة د. زكية طبـــوزاده) دار الفكـــر للدراســـات والنشـــر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩١ ؛ ص ٥٠١ . وهى أسماء تربطهم بـــالمعبودين آمون وسبك ، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ؛ ص ١٨٣ .

(٣) عن هذا الملك وقراءة اسمه ، راجع : – Spencer, LAV, p. 1036 1037 ويأتى هذا الملك فى قائمة فون بكرات تحت رقـــم ١٢ ، راجـــع : Von Beckerath, op. cit., p. 1445 (12) .

(٤) أعطى هذا التاريخ : Baines – Malek, op. cit., p. 36

وهناك ما يدفع إلى الاعتقاد بأن الملك جعل من هذه المدينة عاصمة للمـــرة الثانيـــة ، ويرجح أنه تزوج من الملكة سبك نفر ورع التى ختمت الأسرة الثانية عشرة ووصـــل إلى العرش عن طريق الزواج ، ويمكن قبول هذا الرأى من فاندية .[١] ولكن هنـــاك رأى آخر يرى أن الملك قد اغتصب العرش ولكى يخفى صورة عـــدم أحقيتـــه فـــى العرش اختار كأسم له ، اسم أمنمحات ، وسبك حتب وهى أســـماء تربطـــه بـــأواخر ملوك الأسرة السابقة (أمنمحات الرابع وسبك نفرو رع) . ولم يعثر حتى الآن على اسم هذا الملك سبك حتب الأول فى الوجه البحرى ولكن يرجح على الرغم من هـــذا أنه كان يحكم مصر كلها ، وقام بتشييد المقاصير فى مداموود والدير البحرى .[٢]

وفى العام الرابع من حكمه (يبدو أنه لم يحكم أكثر من هذه الفـــترة) قـــام بتسجيل ارتفاع مياه النيل عند قياس سمنة وقمة عند الجندل الثانى ، مما يدل علـــى أن الملك الجديد قد ركز مجهوداته على تلك المنطقة حيث أنه ربما كان يشـــغل وظيفـــة الحاكم هناك قبل أن يرتقى العرش .[٣]

ولكن هذا الملك لم يحقق كل أهدافه وقد توفى فجأة بعد أربع سنوات فقط من اعتلائه للعرش .

سخم رع (سعنخ تاوى) (نفر حتب الثالث) [٤] :

تولى العرش ، ولا نعرف على وجه التحديد اسمه الشـــخصى ، وقـــد ورد اسمه فى بردية تورين على أنه حكم ست سنوات فى حين أن الآثار المعاصرة ، تـــدل على أنه حكم ثلاث سنوات فقط ، وقد عثر على اسمه منقوشا على لوحة اكتشفت فـــى

---

(١) Drioton – Vandier, op. cit , p. 281 .

(٢) Id., op cit., p. 281 .

وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

(٣) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 35 .

(٤) وبأتى هذا الملك فى قائمة فون بكرات تحت رقم (أ) بعد الاسم رقم ٤٠ ، راجع : Von Beckerath, op. cit., p. 1445 (i)

أتريب (بنها) كما عثر له أيضا على بعض الآثار فى الفيوم ومصر العليا ، ويبدو أن سلطته كانت قد تعرضت للاهتزاز ، ويبدو أن انقسام البلاد إلى مملكتين ربما قد حدث فى عصره ونعلم من ناحية أخرى أن سلطانه لم يمتد حتى بلاد النوبة لأنه مقاييس ارتفاع مياه النيل لم تسجل فى هذه الفترة عند سمنة وقمة .

وبعد حكم هذين الملكين اللذين تواليا على العرش – وذلك مما تؤكده البرديات المعاصرة والتى عثر عليها فى اللاهون فى الفيوم – نجد أن التاريخ يفسح المجال بعد ذلك لعدة آراء يمكن تأكيدها لبعد حكم هذين الملكين ، ويجب أن نذكر حكم ملكين آخرين هما :

- (سخم رع ٠ خوتاوى) (با إن تن) [١]
- (سخم كارع) (أمنمحات) (سنبو إف)[٢]

وهما يحملان فى أسمائهما أسماء سلفيهما . وتولى العرش من بعدهما أربعة ملوك ينتمون إلى نفس المجموعة وهم :

- (سعنخ إيب رع) (أمنمحات السادس) [٣]
- (سدج إف كارع) (أمنمحات السابع) [٤]

---

(١) يأتى هذا الملك فى قائمة فون بكرات تحت رقم (a) بعد الاسم رقم ٤٠ ، راجع : Id., op. cit., p. 1445 (a)

(٢) يأتى هذا الملك فى قائمة فون بكرات تحت رقم ٢ ، راجع : Id., op cit., p. 1445 (2) .

(٣) ذكر هذا الملك فى قائمة فون بكرات تحت رقم ٧ ، راجع Von: Beckerath, LA VI, p.1445 (7) .

(٤) ذكر تحت رقم ١٥ فى القائمة السابقة ، راجع : Id., op. cit., p. 1445 (15) .

- (وجاف) (رع خوتاوى)[١] (١٧٨٣ – ١٧٧٩ ق.م)[٢]
- (سنفر ايب رع) (سنوسرت الرابع)[٣]

ولا نستطيع أن نجزم من الذى بدأ الحكم من بينهم ، لأن ترتيب تواليهم على العرش ليس بالشيء المؤكد على الإطلاق ، ولا نعرف إلى أى مدى بلغت سلطتهم .

وقد ترك ثانى ملوك الأسرة من ورائه مملكة يسودها حالة من الفوضى ويتمثل ذلك فى أنه حكم بعده إثنا عشر ملكا ، وحكموا فى نفس الفترة مختلف أقاليم مصر ويقص علينا هيرودوت أن هؤلاء الأثنى عشر ملكا قد تقاسموا السلطة فى البلاد فى الفترة التى شيد فيها قصر اللابيرانث . ومن المحتمل أيضا أن الملكية اتجهت فى ذلك العهد إلى التمركز فى الجنوب وأنها استقرت نهائيا فى منطقة طيبة .

ونعلم فقط أن سدج إف كارع – كاى – أمنمحات وجاف رع خوتاوى تواليا على العرش لأنه عثر على اسم كل منهما يلى الآخر على كتلة من الحجر الجيرى عثر عليها فى مدامود ومن ناحية أخرى نجد أن اسم الملك وجاف كان مرتبطا باسم سنوسرت على لوحة من الحجر الجيرى عثر عليها فى الفنتين .[٤]

وربما كان المقصود بهذا هو سنفر ايب رع – سنوسرت الرابع الذى عثر له على لوحة وتمثال فى الكرنك ، وقد عثر للملك أمنمحات السادس على هرم فى دهشور فى عام ١٩٥٧ .[٥] وكتب اسمه على أوانى الأحشاء التى هشمها اللصوص .

---

(١) ذكر تحت رقم ١ فى القائمة السابقة ، راجع : Id., op. cit., p. 1445 (1) ; Id., LA VI, p. 838; Vercoutter, RdE 27 (1975), p. 222 – 224 .

(٢) أعطى هذا التاريخ . Baines – Malek, op. cit., p. 36

(٣) ذكر هذا الملك فى القائمة السابقة تحت رقم (g) بعد الاسم رقم ٤٠ ، راجع : Von Beckerath, op. cit., p. 1445 (g)

(٤) Vercoutter, op. cit., p. 223 .

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٩٧ .

ويلاحظ أن أغلب آثار هؤلاء الملوك قد عثر عليها فى مصر العليا مما يجعلنا نقبل النظرية التى نادى بها " شتوك " وهى أن هؤلاء الملوك لم يحكموا إلا الجنوب فقط .[١]

- (سحتب إيب رع) (أمنمحات) [٢] :

الذى يحمل نفس اسم مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، ويبدو أنه حكم فى الشمال .

- (حر إيب شدت) (أمنمحات) :

الذى أقام فى الفيوم معبدا للمعبود سبك ، وشيده فى مدينة شدت (وهو الاسم الذى كان يطلق على عاصمة الفيوم) .

- (أوسر كارع) (خنجر) [٣] :

الذى كان من سلالة الملك السابق ، وعثر له على هرم فى منطقة سقارة عثر عليه " جكييه) وكان مشيدا من الطوب وكساؤه الخارجى من الحجر الجيرى [٤] ويبلغ ارتفاعه الأصلى ٣٧ مترا .

وكشف عنه عام ١٩٢٩ ، ونعرف أيضا أن هذا الملك أمر وزيره عنخو ليقوم بترميم معبد سنوسرت الأول فى أبيدوس فكلف الوزير بدوره الكاهن المدعو

---

(١) Stock, Studien Zur Geschite und archaologie der 13 bis 17 dyn. Egyptens, Ag. Forsch. 12 (1935), p. 63 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LA V, p 827

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LA I, p. 922

(٤) Drioton – Vandier, op. cit., p. 285 .

وأيضا : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٣ز ، شكل ١١٥ ؛
Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 140 .

امينى – سنب للقيام بهذه المهمة واصطحب معه بعض الفنانين لإنجاز هذه المهمة.[١]

(سخم رع خوى تاوى) (سبك حتب الثانى) [٢] :

ذكرته بردية تورين تحت رقم ١٩ ، جاء ذكر أمه نبوحتبتى على بعض الجعارين .

(سمنح كارع) مرمشع) [٣] :

وجدت ألقابه منقوشة على تمثالين عثر عليهما فى تانيس [٤] وقد نهبا بواسطة ملك من ملوك الهكسوس أبى فيس وهذا يعنى أنه سابق لحكم الهكسوس ، وربما أن الهكسوس قد أحضروا إلى تانيس تلك التماثيل الضخمة من مصر العليا . ومن المرجح أيضا أن هذين التمثالين كانا فى الدلتا ، وبالتالى فليس من المستبعد أن الملك مرمشع كان يحكم فى الوجه البحرى .

- سنفر كارع (إيبى)
- (ست كارع)

اللذان ربما حكما بهذا الترتيب فى الدلتا ، وكان هذان الملكان من المعاصرين على وجه التقريب لملك الجنوب سنفر ايب رع – سنوسرت ، وقد ذكرا على بردية تورين ، وهكذا نرى فى النصف الأول من عصر الأسرة الثالثة عشرة مجموعة من الملوك تحكم فى الجنوب ومجموعة أخرى تحكم فى الشمال وإلى جانب

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٣٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق . ص ١٨٤ .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Spencer, LA V, p. 1037 - 1038 وذكر فى قائمة فون بكرات تحت رقم ١٦ ، راجع : Von Beckerath, LA VI, p. 1445 (16) .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LA II, p. 148 – 149

(٤) Weigall, op. cit., p. 85 .

هؤلاء الملوك الذين ذكرنا أسماءهم نجد أن بردية تورين تذكر أيضا أسماء ملوك غير معروفين من الصعب ترتيبهم نظرا لقلة ما لدينا من معلومات عنهم .

(سخم رع سوادج تاوى) (سبك حتب الثالث)[١] (١٧٤٥ ق. م)[٢] :

مع بداية حكم هذا الملك دخلت مصر فى فترة ازدهار نسبيا – ويعتبر هذا الملك مغتصبا أيضا – وكان أبوه يدعى منتوحتب وأمه تسمى ايع – حتب – ايب . وقد جاء ذكر اسمه فى مقبرة الكاب وعلى لوحة موجودة الآن فى متحف اللوفر .[٣] وقام بتشييد معبد فى مدامود . ولكن يبدو أنه قام باغتصاب بعض الآثار التى كانت ملكا لأسلافه من ملوك الأسرة الثانية عشرة والثالثة عشرة ، وربما بفضل جهوده تحققت لمصر وحدتها . وقد عثر على اسمه أيضا فى اللشت فى الفيوم .

- (خع سخم رع) (نفرحتب)[٤] (١٧٤١ – ١٧٣٠ ق. م) [٥]
- (خع نفر رع) (سبك حتب الرابع)[٦] (١٧٣٠ – ١٧٢٠ ق. م)[٧]

---

(١) يضع فون بكرات هذا الملك تحت رقم ٢١ ، راجع : Von Beckerath, LA V1, p. 1445 (21). وعن أعماله ، راجع : Spencer, LA V, p. 1039 – 1041 ;

(٢) Baines – Malek, op. cit., p. 36 .

(٣) Hayes : Egypt : from the Death of Ammenemes III to Sequenne II, (CAH 1962), p. 10-15 .

(٤) يضع فون بكرات هذا الملك تحت رقم ٢٢ ، راجع : Von Beckerath, LA V1, p. 1445 (22). وعن أعماله ، راجع : Id., LA 1V, p. 374 – 375 .

(٥) أعطى هذا التاريخ : Baines – Malek, op. cit., p. 36

(٦) يضع فون بكرات هذا الملك تحت رقم ٢٤ ، راجع : Von Beckerath, LA V1, p. 1445 (24). وعن أعماله ، راجع : Spencer, LA V, p. 1041 – 1048 .

(٧) أعطى هذا التاريخ Baines – Malek, op. cit., p. 36 .

وهما أخوان من أسرة من الخواص البسطاء ، ويبدو أنهما حكما كل مصر ، وقد عثر حديثا فى بيبلوس على الشاطئ الفينيقى على أثر على جانب من الأهمية وهو عبارة عن نقش غائر يمثل أمير بيبلوس يوناثان جالسا أمام شخص آخر (اختفت صورته الآن بعد تهشم الأثر) ولكن النص الذى يصاحب هذا المنظر وجد كاملا ومن خلاله نستطيع أن نؤكد أن هذا الشخص كان خع سخم رع – نفر حتب ، وإذا صح هذا ففى ذلك دلالة على أنه كان لهذا الملك بعض النفوذ فى فينيقيا ، ولابد أنه حكم أيضا فى الدلتا .[١] وكان هذا الملك رجلا قويا وتقص علينا النقوش المعاصرة ، أنه درس الكتب القديمة فى المكتبات وترك أكثر من أثر يدل على تأثيره الواضح .

وهناك نص مسجل باسمه ، تحدث فيه عن رغبته فى أن يزور مكتبة معبد المعبود أتوم فى ايونو ليطلع فى وثائقها القديمة على الصورة الأصلية لمعبود الغروب أوزير وهيئة جسده وأطرافه ، حتى يوصى رجاله وفنانيه بصنع تماثيله على منوالها . ونعلم أن الملك بنفسه حضر عيد المعبود أوزير فى أبيدوس ، وجمع كهنته وأوصاهم بعدم التهاون فى مراسيم معبدهم وطقوسه ، وقال لهم أيضا :

" أنا الملك عظيم البأس ، شديد الإرادة ، لن يحيا من يعادينى ، ولن يتنفس الهواء من يتآمر ضدى ، لن يبق له اسم بين الأحياء ، ولسوف تزهق روحه أمام المواطنين ويطرد من عند هذا المعبود (أى من المعبد) هو ومن لا يهتمون بأمر جلالتى ، ومن لا يعملون بأمر جلالتى ... " .[٢]

وعثر للملك خع نفر رع – سبك حتب الرابع على تمثال فى " تانيس ، ولكن ربما نقلت هذه التماثيل إلى الدلتا فى فترة لاحقة وذلك خلال عهد الأسرة التاسعة عشرة . وعثر له على تمثال آخر فى جزيرة آرجو بالقرب من الجندل الثالث ويبدو

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٤ حاشية (٥) .

أنه نقل أيضا فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين . ومن المؤكد أن سلطة هؤلاء الملوك لم تتعد حدود السودان . أما عن بقية الآثار الخاصة بهذين الملكين فقد عثر عليها فى مصر العليا وخاصة فى إقليم طيبة حيث أقاموا هناك عاصمتهم . ونجد بردية تورين تذكر بعد اسم خع نفر رع – سبك حتب اسم ملكين هما :

- (ساحتحور)
- (خع حتب رع) (سبك حتب الخامس) (١٧٢٠ – ١٧١٥ ق.م)(١)

وطبقا لقائمة الملوك فى الكرنك نجد أن الذى خلف هذا الأخير هو الملك خع عنخ رع . وفى هذه الحالة يمكننا أن نفترض أن خع عنخ رع الذى ورد اسمه على الجعران هو نفسه ذلك الملك الذى ذكر اسمه فى قائمة معبد الكرنك وعلى أية حال نجد أن خع عنخ رع ، قد ترك لنا آثارا كثيرة منها مائدة قرابين ولوحتان وبعض الكتل المعمارية .(٢)

أما عن خع حتب رع (سبك حتب الخامس) فلا نعرف عنه إلا القليل عن طريق بعض نقوش الجعارين ولكن له أثرا آخر قام بتسجيله الأثرى الإيطالى " روزلينى " ولكن بردية تورين تذكر لنا أنه جاء بعد خع حتب رع ملكا آخر هو : (واح ايب رع أو يع ايب) الذى ذكر اسمه على لوحة فى طيبة وفى اللاهون فى الفيوم وعلى آنية من القيشانى . ويبدو أن هذا الملك لم يحكم مصر كلها ، إلا أنه مارس سلطته على جزء كبير من البلاد وذلك لفترة تعتبر طويلة إلى حد ما بالنسبة للعصر نفسه وذلك لأن بردية تورين تبين لنا أنه حكم حوالى عشرة أعوام .

---

(١) يضع فون بكرات هذا الملك تحت رقم ٢٥ ، راجع : Von Beckerath, LA V`, p 1445 (25) وعن أعماله ، راجع : Spencer, LAV,p.1048

(٢) عن ملوك وآثار الأسرة الثالثة عشرة . راجع : Gauthier, Livre des Rois II, p. 1-56 .

وفى عام ١٨٩٤ كشف دى مرجان فى حفائره فى دهشور عن مقبرة ملـــك يسمى حتب إيب تاوى (أو ايب رع) (حور) .[١] وعثر فى هــذه المقــبرة علــى أشياء ثمينة ومن بينها تمثال خشبى للملك نفسه يمثله واقفا فى ناووس من الخشـــب ، وقد مثله الفنان عاريا وفوق رأسه علامة الذراعين رمز الكا . ويوجد هذا التمثال فــى المتحف المصرى .[٢] وعثر فى هذه المقبرة على تمثال آخر من الخشـــب المذهــب وأوانى من المرمر ومجموعة من الجعارين وتابوت ولوحة عليها اسم هذا الملك .

يذكر فون بكرات اسم ملكين ضمن ملوك هذه الأسرة :

- مرى عنخ رع – منتوحتب الخامس

وعثر له على تمثال فى خبيئة الكرنك .

- سوادج رع – منتوحتب السادس

عثر له على بقايا تمثال فى معبد منتوحتب الثانى بالدير البحرى .[٣]

(مر نفر رع) (اى) (١٧٠٤ – ١٦٩٠ ق. م)[٤]

الذى لا نعلم عنه أى شئ سوى أنه طبقا لبردية تورين حكم فـــترة أطـــول وهى ثلاثة عشرة عاما .

---

(١) يضع جوتييه هذا الاسم كأحد ملوك الأسرة الثانية عشرة بعد اسم سنوســـرت الثالث ، راجع : Gauthier, op. cit., I, p. 317 (6) . بينما يضعه فون بكرات ضمن ملوك الأسرة الثالثة عشرة تحت رقـــم ١٤ ، راجـــع : Von Beckerath, LA V1, p. 1445 (14) .

(٢) Gauthier, op. cit. I, p. 317 (6) (I) .

(٣) Von Beckerath, LA 1V, p. 70 .

(٤) Gauthier, op. cit , I, p. 317 – 319 (11 – IX) .

(مر حتب رع)

وهو اخر ملوك هذه المجموعة ولم يذكر لقبه الآخر على بردية تورين ويمكننا أن نشك فى اسمى هذين الملكين لأنهما كانا يحملان على بعض آثار هذه الفترة اسمى سبك حتب و (مرشبس رع) (أنى) .

- (مر حتب رع) (سبك حتب السادس) .[١]
- (مر كاورع) (سبك حتب السابع) .[٢]
- (سخم رع سوسر تاوى) (سبك حتب الثامن) .[٣]
- ماع رع (سبك حتب التاسع) .[٤]

وفى مزعونة ، بين دهشور واللشت ، عثر على هرمين مهدمين ينسبان إلى الأسرة الثالثة عشرة .[٥]

---

(١) عن هذا الملك الذى يضعه سبنسر ضمن ملوك الأسرة الثالثة عشرة وانه حكم حوالى عامين من ١٦٩٠ إلى ١٦٨٨ ق. م ، راجع : Spencer, LA V, p. 1048 – 1049
وربما كان هذا الملك هو الذى تذكره بردية تورين باسم مر حتب رع فقط

(٢) جاء ذكر اسمه على بردية تورين وحكم حوالى عامين من ١٦٨٤ إلى ١٦٨٢ ق. م ، راجع : Spencer, LA V, p. 1049

(٣) عاش فى نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، وحكم فى الفترة ما بين ١٦٩٥ إلى ١٦٢٥ ق. م ، راجع : Spencer, LA V, p. 1049

(٤) عاش فى نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، ويضعه فون بكرات تحت رقم (٩)، راجع : Von Beckerath, LA V1, p. 1446 (9)

(٥) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٣٦ – ٣٣٨ .

الأسرة الرابعة عشرة (١٧٨٥ – ١٦٠٣ ق.م) [١] :

لا نعرف شيئا عن كيفية انتقال مقاليد الحكم من الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، وطبقا لمانيتون فإن عدد ملوك هذه الأسرة كان يبلغ ستة وسبعين ملكا .[٢] وكانوا من إقليم " سخا Xois " بمحافظة كفر الشيخ وأنهم حكموا ١٨٤ عاما وذكر الأفريقى وأوسب ذلك عن مانيتون أيضا ، وهذا العدد من الملوك من الكثرة بحيث لم يسبق أن توارد مثله لأسرة مصرية حاكمة ، وفى ذلك دلالة واضحة على اضطراب الحكم فى نهاية عصر هذه الأسرة بوجه خاص . كما يدل على عدم الاستقرار فى الداخل . ويبدو أن هذه الأسرة قد بدأت فى نفس الوقت الذى قامت فيه الأسرة الثالثة عشرة ،[٣] ونتيجة لهذا التباين أصبح فى مصر مملكتان ، إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب ، وعلى الرغم من أن السلالة الملكية التى كانت تحكم فى الوجه البحرى كانت موالية ومعاصرة إلى حد ما لسلالة ملوك مصر العليا فإنه لم يحدث نزاع بينهما . ونظرا لقصر فترات حكمهم فإن تأثيرهم التاريخى كان غير ذى أهمية تذكر .

فبعد قائمة الملوك التى أعطتنا إياها بردية تورين للملوك السابقين نجدها تمدنا بقائمة طويلة بأسماء الملوك الذين جاء ذكرهم بطريقة ناقصة أو مفقودة – وربما – أن الغالبية العظمى من هؤلاء الملوك كانوا من أسر لم تحكم إلا على أجزاء متفرقة من البلاد . وقد عرفت مصر فى هذه الفترة بعض الأسرات القوية مثل بيت طيبة .

---

(١) يعطى فون بكرات لهذه الأسرة عدد ٥٠ أو ٦٢ ملكا ، راجع : Von Beckerath, LA 111, p. 548; Id., LA.V1, p. 1446 .

(٢) أعطى هذا التاريخ : Baines – Malek, op. cit., p. 36

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤٠ .

ومن بين ملوك الجنوب الذين جاء ذكرهم على الآثار يجب أن نذكر :

١- (مر سخم رع) (نفر حتب) .

٢- (سواح إن رع) (سنب ميو) .

٣- (جد عنخ رع) (منتو ام ساف) .

٤- (منخعو رع) (سشيب) .

٥- (حتب ايب رع سيامو) (نجد حر ايت إف)

وقد عثر على آثارهم فى مصر العليا فى المنطقة بين الجبلين وأسيوط ومن المحتمل أن بعضا منهم لم يحكم سوى مدن مستقلة إلى حد ما عن السلطة فى طيبة ، ولا تذكر بردية تورين بوضعها الحالى أى اسم من هؤلاء الملوك .

٦- (جد نفر رع) (ديدى مس) الأول .

٧- (جد حتب رع) (ديدى مس) الثانى .

جاء على بردية توردين فى السطر الثالث عشر من العمود السابع بقايا الجزء الأول من اسم ملك يدعى ديدى – مس .[١] وتذكر لنا الآثار ملكين يحملان هذا الاسم هما : جد نفر رع وجد حتب رع .[٢] ويعرف الأول عن طريق لوحة عثر عليها فى جبلين وآثار أخرى عثر عليها فى طيبة ، وجاء اسم الثانى على لوحة عثر عليها فى إدفو (وقد جاء ذكر اسم ديدى – مس على لوحة أخرى عثر عليها أيضا

---

(١) Gardiner, The Royal Canon of Turin, p. 16 – 17 pl.3 ; Burchard – Pieper, Handbuch, p. 38 (146) .

(٢) عن هذين الملكين ، راجع : Von Beckerath, LA I, p. 1003 يعتبرهما فون بكرات لقبين لملك واحد هو ديدى مس ويضعه ضمن ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، تحت رقم ٣٧ راجع : Von Beckerath, LA VI, p. 1445 (37) .

فى ادفو) ولا نعرف هل المقصود بهذا الاسم هو الأول أو الثانى ؟ .[١] ومن الناحيـة التاريخية يبدو أن هذين الملكين قد حكما فى فترات متقاربة فى مصر العليـا وأنـهما ينتسبان إلى أواخر الأسرة الثالثة عشرة ، التى عاصرت فترة ما بداية الأسرة الرابعـة عشرة التى حكمت فى الوجه البحرى .

وقد ذكر أحدهما بواسطة مانيتون على أنه كان معاصرا لغـزو الهكسـوس (وذلك إذا صح أن الاسم الذى ذكره مانيتون توتيمايوس هو نفسه ديدى – مس).[٢] وفى خلال هذه الفترة كان يحكم فى الشمال الشرقى من الدلتا ملـك يدعـى نحسـى (يعنى اسمه الزنجى) وعرف اسمه عن طريق لوحة خصصها للمعبود سـت سـيد افاريس ولهذا السبب رأى المؤرخ " ماير" أنه كان معاصرا للهكسوس وربما كان هذا

----

(١) Beckerath, Unter . Zur. Polit. Geschichte (Agyptol Forch. 23), p. 222 n. 32 (1), 37 et p. 256 – 257; Drioton – Vandier, op. cit., p. 317 (32 – 33), p. 630 (32 – 33); Hayes, op. cit., p. 14; Id., JEA 33, p. 9 . قمنا بدراسـة نقـوش هاتين اللوحتيـن الموجودتـان الآن بـالمتحف المصـرى تحـت رقمـى JE46988, JE38917 وألقينا الضوء على الأوضاع الإداريـة والعقـائد الدينية فى إقليم إدفو خلال العصر الوسيط الثانى وجاء عليهما ذكر الملـك ديدى مس ، راجع : R. el Sayed, BIFAO79 (1979), p. 167-207

(٢) Waddel, Manetho, p. 72 –75; Chassinat, BIFAO 30, p. 301. فى الواقع أن بعض العلماء يضع لملوك الأسرة الثالثـة عشـرة والرابعـة عشرة قائمة واحدة مشتركة ، على حين يضع بعضهم الآخر عددا من ملوك الأسرة الرابعة عشرة ضمن ملـوك الأسـرة الثالثـة عشـرة ، راجـع : Weigall, op. cit., p. 85; Vercoutter, op. cit., p. 73; Drioton – Vandier, op. cit., p. 88 . وأيضا : د. عبد الحميد زايـد : المرجـع السابق ، ص ٤٤٦ .

الملك هو قبل الأخير للأسرة طبقا لبردية تورين . وإذا لـم يكـن معـاصرا لغـزو الهكسوس فربما أنه قد حكم فى فترة ما قبل استقرار الملوك الغزاة فى الدلتا . وفـى الحقيقة أن بعض عناصر الغزاة كانوا قد استقروا فى شرق الدلتا منذ نهايـة الأسـرة الثالثة عشرة وبدأت حركة التوسع تتركز فى نهاية حكم ملوك الأسرة الثالثة عشـرة ومع بداية حكم ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، ففى الواقع نجد أن نحسى قـد اعتـبر نفسه منفذا فى ذلك الوقت لأوامر الهكسوس مما يعنى أن الغزو كان قد انتشر بسرعة (على الأقل فى شرق الدلتا) .

أهم وثائق هذا العصر وبقايا آثاره المعمارية :

عثر فى مدينة اللاهون فى الفيوم وفى إقليم طيبة على عدة وثائق مؤرخـة من الأسرة الثالثة عشرة ، وهى عبارة عن عقوة إدارية . والمعلومات التـى توجـد على هذه الوثائق على الرغم من قيمتها إلا أنها غير واضحة بما فيـه الكفايـة لكـى نستطيع أن نكون فكرة عامة . وهى وثائق عثر عليها فى منطقة قريبة من العاصمـة لذلك نجهل الحالة التى كانت عليها الإدارة الإقليمية فى هـذا العصـر ، ويبـدو أن الإدارة قد تغيرت بالتأكيد خلال العصر الوسيط الثانى . ففى البداية يبدو أن الاتجـاه العام كان يميل إلى المركزية كما حدث أثناء الأسرة الثانية عشرة ومن المحتمـل أن هذا الوضع كان قائما بالفعل . وعندما نقرأ الصيغ على بردية اللاهون والتى كـانت تحرر فى مكتب أو إدارة ما فمن المحتمل إذن أنه كان هناك إدارات مماثلة وتوجـد فى كل إقليم لنسخ نفس الصيغ بسهولة .

برديات اللاهون :

عثر فى مدينة اللاهون على مجموعة كبيرة من البردى مؤرخة من نهايـة عصر ملوك الأسرة الثانية عشرة وأوائل ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، ومحتويات هذه البرديات متنوعة : نصوص أدبية ، وصفات طبية ، مسائل رياضيـة ، خطابـات ، وثائق قانونية وحسابات[١] ، وأغلب هذه الوثائق تخص التعداد وهذا بـالطبع عـامل

---

(١) LA IV, p. 712 – 713 (A – G).

أساسي للإدارة فى أى بلد وقد كتبت بعناية كبيرة جدا . وكان تعداد الأفراد يتم فى مكتب رئيس التعداد أمام موظف كبير ، ويسجل بواسطة كاتب توثيق أمام عدد معين من الشهود ، من موظفى المقاطعة الإدارية الشمالية . وكان يوجد أيضا مثل هذا التعداد بالنسبة للماشية والممتلكات العقارية . ومن المحتمل أنه كانْ يحدث فى فترات محددة بحيث تستطيع الحكومة المركزية الإحاطة على وجه التقريب فى كل وقت بعدد السكان وحصر ثروة البلاد .

وكان يوجد ضمن مجموعة البرديات كثير من الوصايا وهى مثل التعداد كانت تحرر بحضور ثلاثة شهود ، وتحفظ نسخة منها فى مكاتب المقاطعة . ونرى من هذه البرديات أن إقليم الفيوم كان مقسما إلى مقاطعة شمالية وأخرى جنوبية . وأعمال الحسابات التى حفظت لنا على برديات اللاهون تبين لنا مدى دقة التنظيم فى الإدارة ويكفى أن نشير هنا إلى " مكتب تبرعات الأهالى " وهى هيئة كانت تلعب دورا هاما فى الإدارة فى هذا العصر ويبدو أن وظيفتها كانت تنحصر فى جمع الهبات التى تؤدى إلى التاج الملكى من الفلاحين والأهالى .[١]

بردية بولاق ١٨ :

عثر عليها فى دراع أبو النجا عام ١٨٦٠ .[٢] وهى ترجع إلى بداية الأسرة الثالثة عشرة أو النصف الأول منها ، وقد حررت بواسطة كاتب من طيبة يدعى نفر حتب ، كان يعيش تحت حكم ملك له وزير يسمى عنخو . وكان هذا الكاتب مكلفا بعمل ميزانية دخل البلاط الملكى حيث كان يسجل يوميا المصروفات والإيرادات لعمل موازنة ويحدد رصيد اليوم التالى وكانت المصروفات نوعين :

---

(١) Drioton – Vandier, op. cit., p. 301 – 308 ; Kaplony – Heckel, LA 111, p. 292 – 293 .

(٢) LA 1V, p. 689 (C) (1); Scharff, ZAS 57 (1922), p. 55 .

١- مصروفات عادية تشمل مخصصات الدولة ومستحقات العائلة الملكية ومرتبات الموظفين .[١]

٢- مصروفات غير عادية وتشمل الهبات التى منحت بواسطة الملك لأفراد حاشيته على هيئة مكافأة بمناسبة عيد من الأعياد الدينية .

وكان الكاتب يتبع كل مجموعة من المصروفات بإيضاحات :

" أمر شفهى من الملك نقل بواسطة موظف سمى باسمه " أو عن طريق أمر مكتوب مشابه إلى المنشورات أو القرارات فى وقتنا الحاضر .

أما الدخل فكان يشمل جملة الضرائب التى كانت تجمع فى ثلاثة أقسام يحمل كل قسم فيها اسما عاما . أى أن دفع الضرائب كان موزعا بين ثلاثة مكاتب ، ويشمل دخولا عادية وغير عادية ويومية . وتكشف لنا البردية عن بعض التفاصيل الأخرى . فيظهر دائما من بين المستفيدين بالعطاءات الملكية ، الملكة وأخوات الملك ويبدو طبقا للبردية أن هؤلاء كن يقمن بوظائف إدارية فى الدولة ولكن لسوء الحظ لا نستطيع أن نحدد طبيعة هذه الوظائف .

وهناك قائمة طويلة بالموظفين ، ومما يؤسف له أن التدرج الوظيفى لم يؤخذ به إلا بالنسبة لأربع وظائف هامة هى : الوزير وكان معه ثلاثة من المستشارين الذين يمارسون المهام الآتية على التوالى : قائد الجيش ، رئيس (أو المشرف على) الزراعة ، كاتب السجلات الملكية .

وتشمل بقية القائمة مجموعة من ألقاب البلاط سواء أكانت ألقابا شرفية أو فعلية مثل رئيس الديوان الملكى الذى كان مكلفا بنقل الأوامر الملكية الشفهية إلى كاتب البردية وكان يشرف أيضا على " مكتب تبرعات الشعب " . والثانى هو " كبير مقاطعة المدنيين " وهى الوظيفة المعروفة حاليا باسم العمدة ، ولم يهمل ذكر أبسط

---

(١) Hayes, op. cit., p. 5 –10; Drioton – Vandier, op. cit., p. 304 – 305 .

الوظائف فى تلك القوائم ، كوظيفة الموسيقيين والمغنيين من ذكور وإناث وكالمهرجين وكذلك طائفة العمال والصناع .... الخ . كل هؤلاء كانوا يعاملون معاملة الموظفين ويقوم الملك بإعاشتهم وكذا نسائهم وأطفالهم ، وهى مدفوعات عينية تحل محل المرتبات لأن البلاد كانت لا تعرف فى ذلك الوقت نظام العملة ، وكان يجب ألا تمثل هذه المدفوعات عبئا ثقيلا على الخزينة العامة .

ذكرنا أن الملك كان يمنح أفراد العائلة الملكية بعض الهبات العينية بمناسبة الأعياد وتذكر بردية بولاق عيدين كلاهما يخص طقوس المعبود مونتو معبود مدامود . وعثر أثناء الحفائر التى أجريت حديثا فى منطقة مدامود على عدة كتل ذكر عليها أسماء ملوك عديدين من العصر الوسيط الثانى . وهى تبين بشكل واضح مدى التكريم الذى حفظه ملوك هذه الفترة للمعبود مونتو . وهذا التكريم نلمسه أيضا من بردية بولاق . وعلى الرغم من أن عبادة المعبود مونتو ظلت منتشرة خلال الأسرة الثانية عشرة إلا أن هذا المعبود كان محل تكريم بوجه خاص فى الأسرة الحادية عشرة . ويمكننا أن نرى ذلك فى الارتباط باسم المعبود فى الأسماء الملكية . وذلك يدل على رغبة ملوك هذا العصر فى الارتباط بملوك الأسرة الحادية عشرة الطيبيين الذين كانوا ذوى مصير مشابه لهم . وهناك وثيقتان تلقيان الضوء أيضا على الإدارة فى ذلك العصر هما :

لوحة المتحف المصرى رقم ٥١٩١١ :

وهى جزء من لوحة من الحجر الرملى ، عثر عليها فى الكرنك وهى لم تنشر بعد وقد أقامها الملك خع نفر رع – سبك حتب الرابع وذلك تخليدا لما حققه من أعمال خيرة بالنسبة لمعبد آمون فى الكرنك . وتذكر اللوحة أيضا أسماء ثلاث إدارات كانت تختص بجباية الضرائب ، وكان لمكتب الوزير السلطة العليا فى مراقبتها بوجه عام ومن الصعب تحديد دور الثلاث الإدارات بشىء من التفصيل .

لوحة المتحف المصرى ٥٢٤٥٣ :

عثر عليها أيضا فى الكرنك وتحتوى على عقد بمقتضاه أن شخصا يدعـــى كبسى أراد أن يدفع له ما قيمته ستون دبنا من الذهب (حوالى خمسة كيلـــو جــرام ونصف) لكى يتنازل للشاكى سبك نخت عن وظيفته كحاكم لمنطقة الكاب .[١]

وكان قد ورث هذه الوظيفة عن أبيه الوزير آى مرو ، وقد تم عمل بحـــث إدارى بواسطة مكتب الوزير والمشرف على المقاطعة الشمالية ، وعلى الرغم من أن هذا النص لم يفحص حتى الآن بواسطة متخصص بالنسبة لما جاء فيـــه مـــن بنـــود قانونية إلا أنه يمكن أن نستقى منه معلومات لا بأس بها بالنسبة للإدارة .[٢]

ويفهم من هذا أن مصر كانت مقسمة إلى عدة أقاليم ، وكان كل إقليم مقسما إلى قسمين إداريين ويطلق عليهما طبقا للتقسيم الجغرافى : مقاطعة الشمال ومقاطعـــة الجنوب .

ولكن يمكن القول بأن صفات شمال وجنوب التى تتصل بالاســـم لا يجـــب الأخذ بها نهائيا بل إلى حد ما ، ويفهم كذلك أن وظيفة حاكم الإقليم كان يمكن التنـــازل عنها نظير قدر من الذهب ، ولكن يمكننا القول أيضا بأن هذا كان يحـــدث كاســـتثناء فقط وليس كقاعدة عامة . ويبدو أنه فى هذا العصر عندما تشترى هذه الوظيفة فإنـــها تنتقل فيما بعد إلى الورثة من عائلة الحاكم ومن الطبيعى أن حكام الأقاليم عندما كـــانوا يستولون على هذا المنصب كانوا يعتبرون أنفسهم مستقلين عن الإدارة المركزية .

ويمكن إضافة أن إقليم الكاب كان يتمتع بوضع متميز ، ففى الواقع كان هـــو الإقليم الوحيد فى الصعيد الذى نشأت فيه – خـــلال العصر الوســـيط الثانى – عائلة

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٣٨ .

(٢) هذا هو تقريبا ملخص لما جاء عن الإدارة فى هذه الفترة طبقا لما جاء عند فانديه ، راجع : Drioton – Vandier, op. cit., p. 302 – 308 ; Kees, ZAS 70 (1934), p. 88 – 100 .

إقطاعية بلغ نفوذها حدا كبيرا .

أما عن الأعمال الفنية الباقية من هذا العصر فتكاد تكون نادرة جدا ولنا أن ندرك بسهولة أن هذه الفترة لم تكن ملائمة للإبداع الفنى ، وإذا كانت التحف الفنية نادرة فهذا مرجعه إلى أن الإنتاج الفنى نفسه قد قل إلى حد كبير ، ويلاحظ فى بعض تحف هذا العصر افتقاد فنانيها للأصالة والابتكار هذا إلى جانب عدم الإتقان ، ومن العصر الوسيط الثانى كشف حديثا فى سقارة عن بقايا هرمين ملكيين ، أحدهما كما ذكرنا سابقا كان مخصصا للملك أوسر كارع خنجر والثانى لا نعرف اسم صاحبه . وهذه الأهرام نسخة طبق الأصل من أهرام الأسرة الثانية عشرة فى دهشور . وبالنسبة للجبانة الملكية فى دراع أبو النجا فقد تهدمت بأكملها ، ولكن من الأطلال الباقية يمكننا أن نتخيل تكوين كل مقبرة ، فكل منها كانت عبارة عن هرم من الطوب اللبن يرتفع فوق قاعدة عالية إلى حد ما أمام مقصورة محفورة فى الصخر ، وأمام كل هرم توجد مسلتان عثر على بقاياهما .[١]

وعثر على بعض مقابر كبار الشخصيات فى ذلك العصر ، وهى مقابر الكاب ، فقد حفر حكام هذا الإقليم الأقوياء ، وأفراد عائلتهم مقابر فى الصخر ولكن مما يؤسف له أن هذه المقابر قد تهدمت إلى حد كبير . ويبدو أن جدرانها كانت مغطاة بالمناظر التقليدية التى تمثل نشاط صاحب المقبرة فى حياته الدنيا وخاصة نشاطه فى إقليمه من الإشراف على الزراعة والحصاد والصيد وحصر الماشية .

ونظرا لأن كل ما تركوه قد تعرض للهدم والتخريب فمن الصعب أحيانا تكوين حكم عادل على فنهم .[٢]

---

(١) د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ٣٤٠ .

(٢) Drioton – Vandier, op. cit., p. 303 –31; A. Badawi, A History of Egyptian Architecture : The first Intermediate Period, the Middle Kingdom and the Second intermediate Period, Berkely 1966, p. 20 – 40 .

ومع نهاية الأسرة الرابعة عشرة تدخل البلاد فى فترة مظلمة من تاريخها القومى وذلك بمجيء الهكسوس إلى مصر واحتلالهم لها . ولكن بعد هذه الفترة تبدأ صفحة جديدة من المجد فى هذا التاريخ مع بداية الأسرة الثامنة عشرة . وبدأت سياسة التوسع وإيجاد مواطن للنفوذ المصرى فى آسيا ، ومن الصعب التحدث هنا عن تكوين إمبراطورية بالمعنى المفهوم ، كما يذكر بعض المؤرخين أو المؤلفين فى كتاباتهم ، لأن مصر أو جيوشها لم تحتل هذه البلاد فى آسيا احتلالا عسكريا ولكن بقاء نفوذها كان يحتاج دائما إلى تعضيد بواسطة الحملات العسكرية فى كل الأوقات بل قام على عدة علاقات منها الدبلوماسية والفكرية والثقافية والتجارية والفنية . وقام أيضا على حماية بعض البلدان الصغيرة أو الإمارات الصغيرة من أطماع الجيران الأقوياء فى آسيا وخاصة فى بلاد الشام . وقام كذلك على روابط الود والمصاهرة بين بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة وأمراء آسيا .

كشاف الأعلام

(أ)

(ش)

(ن)

(هـ)

محتويات الكتاب

الكتاب الأول

عموميات

علم الدراسات المصرية القديمة - مصادر هذا التاريخ - تقسيم عصوره - طبيعة البلاد الجغرافية

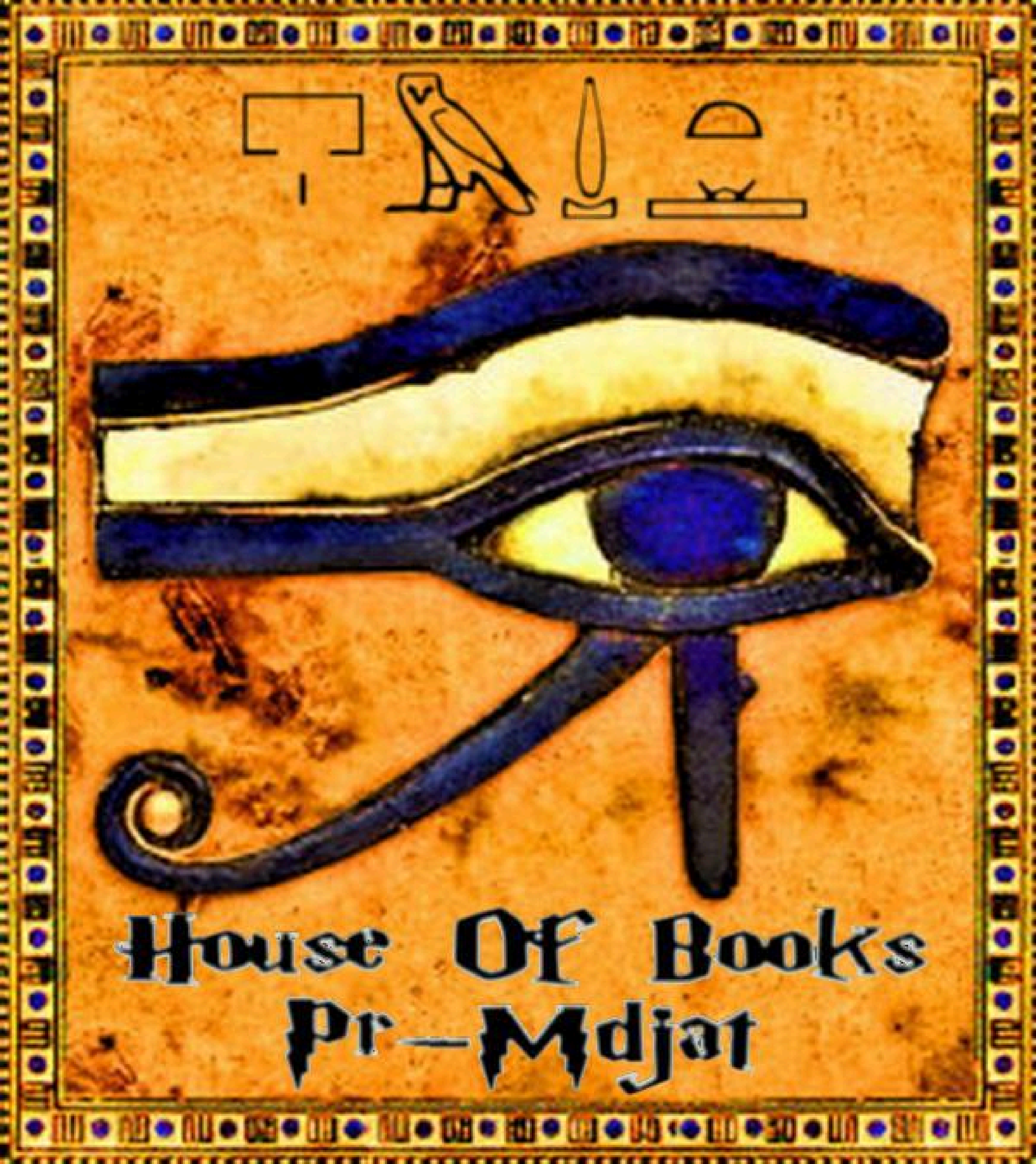
صفحة

صفحة

الكتاب الثاني

أحداث هذا التاريخ منذ أقدم العصور حتى نهاية الأسرة الرابعة عشرة

صفحة


House Of Books
Pr—Mdjat

نحن ننظر إلي الماضى باعتباره أحداثاً مضت واندثرت وانتهى أمرها و لكن اليس الحاضر هو امتداد للماضى وإن اختلفت ظروف بيئة الإنسان وطرق معيشتةوامكانياته المادية ومعارفه وتجاربه وثقافته وإن اختلف ماحققه من انجازات . ولهذا يمكن أن يعتبر تاريخ مصرالقديم هو «الماضى الحى »لأن آثاره التي خلفها الإنسان المصرى القديم تجدها منتشرةفي كل مكان على هذه الأرض الطيبة كأنها «متحف مفتوح » تمثل آثاره جميع العصور التاريخية، فالتراث الأثرى ليس مجرد أحجار خرساء اوأطلال صماء أو بقايا متناثرة ، ولكنه تجسيد مادى لتراث فكرى وفنى وروحى عميق الجذور .فعلى الرغم من الصمت الذى رأن على هذا التراث إلا إن نقوشه تعكس أحداثاً تاريخية هامة و مظاهرحضارية متعددة تدل على ثراء حياة الإنسان المصري القديم وتعدد معارفه و تجاربه تنوع مجالات ثقافته و سمو أفكاره الدينية.

لذا يجب علينا أن نعرف جيداً و باسلوب علمى تاريخ مصر القديم لأنه جزء من تاريخنا القومى و جزء من الذات الوطنية و الشخصية المصرية . وفهم ما مر بهذا الوطن من أحداث يعطينا مزيداً من الاعتزاز بكرامتنا و يزيدنا تمسكاً بقيمة أرضنا و أصالة تراثنا الحضارى الذى تتضاءل إلى جواره آثارأى بلد آخر .

النـاشر

